قصة الأدب المهجري

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي



دار الكتاب اللبناني - بيروت

دكتور

محمد عبد المنعم خفاجي

قصة الأدب المهجري

دار الكتاب اللبناني - بيروت

الطبعة الثانية - ١٩٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذه فصول تتناول الأدب المهجرى ، فى نشأته ، وتطوره ، وفنونه ، وأعلامه ، بالبحث والدراسة والتحليل .

وهى فصول بدأت فى كتابة جزء منها عام ١٩٥٥ ، ثم واليت كتابة أجزاء أخرى عام ١٩٦٠ ، وفى عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٦ درست مادة الأدب المهجرى لطلابى فى كلية اللغة العربية بالبيضاء بالمملكة الليبية أثناء قيامى بالتدريس فيها .

وآرائى فى الأدب المهجرى سجلت بعضها فى كتبى : دراسات فى الأدب والنقد [١] (القاهرة - ١٩٥٦) ، فصول من الثقافة المعاصرة (القاهرة - ١٩٦٠) ، رائد الشعر الحديث (القاهرة - ١٩٥٣ و ١٩٥٥) ، الأدب العربى الحديث ومدارسه (القاهرة - ١٩٦٧) ، وأشير إلى بعضها فى كتاب « من رواد الأدب المعاصر - تأليف حليم مترى » [٢] .

ولكن هذا الكتاب « قصة الأدب المهجرى » يسلك فى دراسة آداب المهجريين منهجا علميا مستقلا شاملا .

---

(١) ص ٢١٥ - ٢٢٨ المرجع المذكور .

(٢) القاهرة ١٩٥٤م .

وبحسبى أن أشير إلى صعوبة دراسة الأدب المهجرى ، على كثرة الدارسين له ، والباحثين عنه ، ففى الأعوام الأخيرة ظهرت كتب عدة فى شعر المهجر وشعرائه ، ومع ذلك فقد بقى هـــذا الأدب مجالا حياً للدراسة والبحث .

ولم يكن من حظ هذا الكتاب أن يرى النور قبل اليوم ؛ فإذا كان قد جاء إلى الميدان متأخرا عن ميعاده بعض التأخير ، فإنى لا أريد به إلا أن أسجل آرائى فى آداب المهجريين وبلاغاتهم ، وأن أضيف مجهودى إلى مجهود الدارسين والباحثين فى هذا الباب .

وأسأل الله التوفيق والسداد ؟

المؤلف

القِسمُ الأوّل

تمهيد

— ١ —

هاجرت جماعات من العرب ، وبخاصة من سوريا ولبنان ، فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، إلى العالم الجديد ، وأقاموا فى كندا والولايات المتحدة وفى دول أمريكا الجنوبية ، ومن بينها البرازيل والأرجنتين وشيلى وفنزويلا (١) ، ونقلوا اللغة العربية والأدب العربى إلى تلك المهاجر البعيدة ، فأنشأ أولئك المهاجرون فى تلك الديار النائية أدبا، يعبرون به عن مشاعرهم ، وعواطفهم ، ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى أوطانهم ، ويصفون فيه البلاد التى أقاموا فيها ، ومظاهر الحضارة السائدة فى حياة الناس هناك ، كما يصفون فيه حياتهم وماتعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة؛ وكان أدبهم هذا هو الأدب المهجرى ، الذى أصبح مدرسة أدبية كبرى ، بين مدارس الأدب الحديث ومذاهبه ، وعنى به الأدباء والنقاد ، وكتب حوله وحول أعلامه فى النثر والقصة والمسرحية والشعر الكثير من البحوث والدراسات .

وظهرت فيه مؤلفات عديدة نالت حظا من الذيوع والشهرة . .

وقد تناول الأدب المهجرى الحياة فى جميع مظاهرها ومشاهدها ، ومن شتى جوانبها وتياراتها وفلسفاتها ، كما تناول مختلف ألوان النشاط الأدبى : من قصة ومقالة ونقد ونثر وشعر ومسرحية ومن فلسفة وحكمة وتجارب ، ومن تأملات وحنين وأنين ، وأمل وألم ، وغناء وبكاء .

---

(١) كانت الهجرة إلى الأرجنتين فى أول القرن العشرين . وإلى البرازيل نحو عام ١٨٨٠ ، وكان أول مهاجر إلى البرازيل هو يوسف موسى مزبارا (٩ و ١١ أدب المغتربين) .

— ٢ —

وهذا الأدب حديث النشأة ، ولد مع القرن العشرين ، ونشأ وترعرع ونمـا وازدهر ، حتى بلغ ما بلغه اليوم من مكانة بين مدارس الأدب العربى المعـاصر .

وتشبه هجرة الأدب العربى إلى أمريكا الشمالية والجنوبية فى العصر الحديث ، هجرة الآداب العربية كذلك إلى بلاد الأندلس فى آخر القرن الأول الهجرى وأول القرن السابع الميلادى ، فالأدب المهجرى صنو الأدب الأندلسى ، كلاهما عاش فى بيئة جديدة ، وأحدث أثرا ودويا ضخما فى حياة الآداب العربية كلها ، وكان ثورة تجديدية كبرى شملت شتى عناصر الأدب ومقوماته . . وإن اختلف الأدبان أحدهما عن الآخر : فالأدب المهجرى نشأ من هجرة أفراد وجماعات إلى أرض العالم الجديد ، وعاش فى بيئة لا يملك الناطقون به فيها نفوذا ولا جاها ولا ثراء ، ولم يمض عليه بعد أكثر من نحو سبعين عاما . أما الأدب الأندلسى فقد نشأ من هجرة قبائل وسلالات وجيوش عربية كثيرة إلى بلاد أسبانيا بعد الفتح الإسلامى لها عام ٩٢ هـ — ٧١١ م ، وعاش فى بيئة يملك الناطقون به فيها كل أسباب السيادة والنفوذ والسلطان ، فقد استحالت هـذه الأرض الجديدة إلى دولة عربية السيادة فيها للعرب وللعربية ، وحكامها عرب ، وجميع مظاهر الحياة فيها عربية إسلامية ، والأدباء فيها لهم من رعاية الدولة ومن إقبال الشعب عليهم وتقديره إياهم الكثير من الإشراق والفرح والأمل والطموح ؛ ومضى على الأدب العربى فى الأندلس أكثر من ثمانية قرون ، فلم يغادر الأدب ربوع هذه البلاد الجميلة إلا حين انتهى حكم العرب والمسلمين للأندلس عام ٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م . . ومن ثم كانت كفتا هذين الأدبين غير متكافئتين ؛ وإن كانت قيمة الأدب المهجرى تكاد تعادل قيمة الأدب الأندلسى من ناحية الثراء والتجديد والشمول .

— ٣ —

ولقد كان المهاجرون العرب يعيشون فى بيئة هم عنها جد غرباء ، كما كان المتنبي غريبا فى بلاد فارس وهو يزورها ويردد قوله :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها ... غريب الوجه واليد واللسان

ولكنهم عاشوا فى ألفة فكرية مع بيئتهم الجديدة ؛ ولم يعيشوا شاعرين بغربة المتنبي الروحية ، وإن شعروا بالغربة الحسية لبعدهم عن أوطانهم .

على أن بعض الأدباء كان يشعر بالغربة الفكرية فى وطنه للبعد بين أفكاره وأفكار مجتمعه وبيئته فى البلاد العربية ، فهاجر ليجد الحرية الفكرية والوئام العقلى فى مجتمع جديد ، يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى الشاعر المصرى الذى هاجر إلى نيويورك فى ابريل ١٩٤٦ :

وغربة الفكر فى دار يمجدها
أقسى على الحر من فقدان ناظره(١)

وقد مثل المهاجرون دعوة الحرية ، ودعوا إلى الثورة على الظلم والاستبداد فى بلادهم ؛ وكتبوا عن العرب والشرق بمختلف اللغات العالمية كثيرا من الكتب والبحوث والمقالات ، وترجموا كثيرا من أصول الثقافة العربية إلى هذه اللغات كما ترجموا كثيراً من آداب المهجريين إليها ، ومن أشهر الذين قاموا بذلك : جبران والريحانى ونبيه فارس وحبيب أسطفان وسلمون جورج الذى نشر للقروى عام ١٩٤٥ ديوانا بالبرتغالية بعنوان « حضن الأم » .

---

(١) ٩٧ ديوان من السماء لأبى شادى المطبوع فى نيويورك عام ١٩٤٩ م .

وقد فاق نتاج النثر فى المهجر الأمريكى نتاج الشعر كمية وأهمية وانتشارا، فلقد نفذ إلى الأوساط العالمية حاملا رسالة العروبة، بينما نجد الشعر المهجرى لم يتخط إلا نادرا الأوساط العربية فى المهجر وفى الوطن العربى .

ومما يمثل دعوات الحرية التى كان يدعو إليها المهجريون مايؤثر من خطاب لأمين الريحانى جاء فيه :

« إن لم تدمر الحكومة التركية حصون الجهل ، دمر الجهل حصون الحكومة » .

وقال جبران :

خذوها يامسلمون كلمة من مسيحى ، أسكن يسوع فى شطر من حشاشته ومحمدا فى الشطر الثانى : إن لم يقم فيكم من ينصر الإسلام على عدوه الداخلى فلا ينقضى هذا الجيل إلا والشرق فى قبضة ذوى الوجوه البائخة والعيون الزرقاء (١) .

ورتل القروى القرآن وبكى قائلا : ويل لكم أيها المسلمون ، أتذل أمة بين يديها هذا الكنز الثمين ، ويستعمر شعب يملك هذه القوة والعظمة (٢) .

ويقول جبران : إن روح الغرب صديق إذا تمكنا منه ، وعدو إذا تمكن منا ، صديق إذا فتحنا له صدورنا ، وعدو إذا وهبناه قلوبنا ، صديق إذا أخذنا منه مايوافقنا ، وعدو إذا وضعنا أنفسنا فى الحالة التى توافقه (٣) .

ويقول العقاد فى الأدب المهجرى منذ نحو ربع قرن : الأدب المهجرى

---

(١) ١٣٩ أدبنا وأدباؤنا - طبعة ثالثة .
(٢) ٦٢ المرجع .
(٣) ١٤٣ المرجع .

عمره أربعون سنة على الأكثر ، وعلينا أن نضعه أمام أربعين سنة تقابلها فى موازين الآداب العربية ، فلا يخرج من المقابلة خاسرا[١] ، وقال فى صيدح[٢] : إنه من أشعر المهجريين ، وأنصعهم ديباجة وأكثرهم تجديدا وأعلمهم بفن الشعر ؛ وكان شعر القروى وفرحات ونصر سمعان وحسنى غراب من اللون الكلاسيكى ، أما شعر شفيق معلوف وأبى ماضى وعريضة ونعيمة ففيه من القديم والجديد معا .

ويقول محمد حسنين هيكل : إن أدباء المهجر طرقوا أبوابا لم يتعرض لها العرب من قبل إلا عرضا ، لم يقف بهم التجديد عند الأسلوب فحسب ، بل تناولوا طريقـــة البحث وألوان الحس ودرجات الشعور ووسائل التأثير .

ونوه بالأدب المهجرى : محمد لطفى جمعة ، والأمير مصطفى الشهابى ، وخليل هنداوى ، وأبو شادى ، ومحمد مندور ، والسحرتى ، وخفاجي ، ووديع فلسطين ، وسواهم .

وقد خصص صيدح جزءا كبيراً من كتابه « أدبنا وأدباؤنا » لاستعراض آراء عزيز أباظة فى الشعر المهجرى وللرد عليها[٣] ، ورد على آراء طه حسين فى الشاعر أبى ماضى[٤] ، وعلى آراء صلاح لبكى فى كتابه « لبنان الشاعر » فى الشعر المهجرى[٥] .

وأكثر المهاجرين من العالم العربى إلى أرض العالم الجديد ، كانوا من

---

(١) جريدة أخبار اليوم .
(٢) ٢١٠ أدبنا وأدباؤنا .
(٣) ٢٠٢ — ٢٢٤ أدبنا وأدباؤنا — طبعة ثالثة .
(٤) ١٩٥ — ٢٠٢ المرجع .
(٥) ١٧٠ — ١٩٤ المرجع .

أبناء سوريا ولبنان ، وقد دفعتهم إلى هذه الهجرة البعيدة عوامل كثيرة [1] :

١ — فأول هذه العوامل هو العامل السياسى ، فقد كانت سوريا ولبنان خاضعتين فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثمانى الفردى الجائر ، الذى تضطهد فيه الحريات ، وتوأد فيه الكرامات ، ويساق الناس فيه إلى السجون والمعتقلات والمشانق لأوهى الأسباب ، وأتفه الوشايات ، فأخذ الناس يهاجرون إلى مصر وشمال افريقيا ، ولكن هذه البلاد كان النفوذ العثمانى فيها سائدا ، والاستعمار يتغلغل فى ربوعها ؛ ومن ثم أخذ المهاجرون يتجهون صوب العالم الجديد ، نشدانا للحرية ، وطلبا لها ، وفرارا من الظلم والجور والطغيان السياسى . . يقول نسيب عريضة من قصيدته « حكاية مهاجر سورى [2] » :

غريبا من بلاد الشرق جئت ... بعيدا عن حمى الأحباب عشت
تخذت أميركا وطنا عزيزا ... فكانت لى كأحسن ما اتخذت
أتاها للغنى غيرى ، وإنى ... كما جاءوا مع الإقدام جئت
ولكنى طلبت بها حياة ... مع الحرية المثلى ، فنلت

وفى ديوان « حكاية مغترب » للشاعر الكبير جورج صيدح الكثير مما يفسر ذلك من قصائد وأبيات ، وكذلك فى كتاب حكايات المهجر للأديب المهجرى الكبير عبد المسيح حداد .

ويقول الشاعر المهجرى مسعود سماحة ـ الذى هاجر إلى أمريكا عام ١٩١٣ ـ وهو يفارق وطنه :

سأترك أرض الجدود ففيها ... حياة الجبان وموت الجرى

---

(١) راجع كتاب أدبنا وأدباؤنا طبعة ثالثة ص ٣٢
(٢) ٢٦٧ ديوان الأرواح الحائرة لنسيب عريضة .

ثقيد أقـــلام أحرارها وتطلق أيدى ذوى الميسر
سأضرب فى الأرض لاخائفا من البر أو لجج الأبحر
سلام على أرض كولمبس سلام على ربعها الأزهر

ويقول إيليا أبو ماضى يخاطب وطنه العربى لبنان :

لبنان لاتعذل بنيك إذا هم ركبوا إلى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة لـكنهم خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون
لما ولدتهم نسورا حلقوا لايقنعون من العلا بالدون
والنسر لايرضى السجون وإن تكن
ذهبا ، فكيف محابس من طين
الأرض للحشرات تزحف فوقها والجو للبـــازى وللشاهين

ويتحدث أنيس المقدسى فى كتابه « الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث » عن هذا الباعث السياسى بتفصيل ، فيقول (١) :

« كان الباعث الاكبر على المهاجرة اختلال الأحوال الاقتصادية فى السلطنة العثمانية ، بفساد الحكومة الاستبدادية ، حتى تضعضع الأمن ، وسادت الفوضى ، ودرس العلم ، وثقلت المعيشة » .

٢ — وثانيها هو العامل الاقتصادى فى ربوع سوريا ولبنان آنذاك ، حيث الفقر والشقاء وإهمال الزراعة والصناعة وشتى مرافق الحياة ، وحيث الجوع والحرمان هما مصير الـكثير من السكان .

لذلك أقبل الناس على الهجرة إلى أرض العالم الجديد يطلبون الحياة الـكريمة ، ويطلبون معها الغنى والثراء والمال ، مما أغراهم بطلبها فيها أوائلهم

---

(١) ٢ : ٦٨ المرجع المذكور ، وراجع ص ٣٢ أدبنا وأدباؤنا الطبعة الثالثة .

من المهاجرين ، وأقاربهم من المغتربين، يقول أديب مهجرى فى تقديم ديوان إلياس فرحات : لقد جئنا المهاجر مستجيرين مسترزقين(١) .

٣ — وثالثها بواعث تاريخية قديمة ، فإن السورى واللبنانى مولعان من قديم بالهجرة وحب السعى فى الأرض والاغتراب وركوب البحار وحياة العمل والتجارة ، وهما من سلالة الفينيقيين القدماء الذين ركبوا البحار ، وجابوا البلاد ، واشتغلوا بالتجارة ، وأنشأوا لهم المستعمرات على شاطىء البحر الأبيض المتوسط فى شمال أفريقيا، وقرطاجنة فى تونس حديثها مشهور، وتاريخها وتاريخ نشاطها التجارى معروف ، ولا يضير السورى أو اللبنانى أن يهاجر إلى أى مكان يستطيع أن يجد فيه اليسر والرخاء والاطمئنان الحيوى والأمن على النفس والمال، لأن حب الهجرة والاغتراب، وحب السعى فى الأرض(٢)،

---

(١) ديوان فرحات - طبع سان باولو - مقدمة جورج معلوف .

(٢) لا يوجد إحصاء رسمى دقيق لعدد المغتربين العرب فى العالم ، وإنما هناك إحصائيات تقديرية يعتمد عليها المسئولون فى جامعة الدول العربية . . ومنها يتضح أن مجموع عدد هؤلاء المغتربين يزيد على ٢ مليون نسمة متفرقين فى مختلف البلدان طبقا للإحصاء الآتى :

الولايات المتحدة	٦٠٠٠٠٠	فنزويلا	١٠٠٠٠	كوستكاريكا	١٠٠٠
كندا	١٠٠٠٠٠	سلفادور	٦٠٠٠	جامايكا	١٠٠٠
البرازيل	٧٠٠٠٠٠	بيرو	٥٠٠٠	سانتودومنكو	٣٠٠٠
الأرجنتين	٣٥٠٠٠٠			جواتيمالا	١٨٠٠
كوبا	٣٠٠٠٠	كولومبيا	١٠٠٠٠	نيكاراجوا	١٤٠٠
المكسيك	٥٥٠٠٠	أورجواى	٨٠٠٠	بناما	٢٠٠
شيلى	٧٠٠٠٠	هندوراس	٨٠٠٠	بورتوريكو	١٠٠
هايتى	١٥٠٠٠	باراجوى	٣٠٠٠	أوستراليا	٣٠٠٠٠
بوليفيا	١٠٠٠٠	اكوادور	٨٠٠٠	نيوزيلندا	١٠٠٠٠

وحب التجارة والعمل من أجل الحياة ، كلها كالغرائز المتأصلة فى نفسه ، العميقة فى مسارب دمه .

٤ — ويضاف إلى هذه العوامل الثلاثة عامل آخر هو سهولة الهجرة إلى هذه البلاد النائية ، فلم يكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين إليها ، وليس هناك فى قوانينها ما يقيد حرية المهاجر فى اختيار العمل الذى يريده ، وفى شق طريق الحياة بالوسائل التى يختارها ، وفرص الغنى والثراء كانت فى هذه المهاجر البعيدة كثيرة ومواتية ، فأراضيها فسيحة ، والسكان قليلون ، وشتى مرافق الصناعة والتجارة والزراعة فيها فى حاجة شديدة إلى الأيدى العاملة الكثيرة .

٥ — على أن من المهاجرين من هاجر إلى أمريكا الشمالية أو اللاتينية طلبا لحياة جديدة غير الحياة التى كان يحياها فى الشرق ، أو شغفا بما يسمع عن مظاهر الحضارة فيها ، أو طموحا ورغبة فى إدراك فرص جديدة أكثر من الفرص المتاحة له فى بلاده ، يقول شكر الله الجر :

إيه لبنان يشهد الله أنا ما هجرناك عن قلى وصلابه
إنما أصبح المقام بأرض الـ أرز للحر ذلة ومعابه
كيف لا يهجر الأبى مكانا ملأ اليأس جوه ورحابه[1]

ويقول أبو شادى وهو يضع قدميه فى نيويورك بعد هجرته إلى أمريكا فى ابريل ١٩٤٦ :

أمانا أيها الوطن السعيد لقد دفن الردى ومضى الوعيد
فأمسى مأتمى لفراق أهلى ويومى الحر فى نجواك عيد
عرفتك ملجأ الأحرار دوما إذا ما حوزب الحر الشريد[2]

---

(١) ديوان الروافد ـ شكر الله الجر ـ المطبوع فى الأرجنتين .
(٢) ٩٩ ديوان من السماء ـ أحمد زكى أبو شادى ـ ١٩٤٩ نيويورك .

ويقول رشيد أيوب يصور نشدانه لحياة جديدة ولو فى ظلال الفقر والحرمان(١) :

ولما رأيت المال يستعبد الورى　　وآمال نفس الحر تقضى بأن يحيا
عكفت على الإقلال علما بأنه　　يلذ لنفسى الانتصار على الدنيا

ويصور نسيب عريضة طموحه ، وعزمه على الكفاح ، وتصميمه على الحياة ، فيقول مخاطبا رفيقه ، كما كان يخاطب الشاعر الجاهلى خليليه ليقوى بهما على حمل أعباء الذكريات ، وقد يكون مخاطبة الرفيق من الشاعر المهجرى دعوة منه لأخيه فى الهجرة ، ولكل مهاجر ، بأن يكافح ويتقدم ، ويخطو إلى الأمل ، وألا ييأس من الانتصار فى معركة الحياة ، يقول نسيب عريضة :

ياأخى يارفيق عزمى وضعفى　　سر نكابد ، إن الشجاع المكابد
فإذا ماعييت تسند ضعفى　　وأنا بعد ذا لضعفك ساند
سر ، تقدم ، لكى تخط طريقا　　لأباة الهوان عند الشدائد
فلنسر فى الظلام ، فى القفر ، فى الوحـ
ـشة ، فى الويل ، فى طريق المجاهد

— ٤ —

ويصف عبد اللطيف اليونس فى كتابه « المغتربون » المصاعب التى لاقاها المغتربون ، فيقول(٢) :

لايستطيع كاتب ، مهما أوتى من قوة البلاغة ، أن يصور تلك الفترة القاسية التى مرت على المغتربين ، فى المراحل الأولى من اغترابهم ، ومهرت حياتهم بنضال دونه قدرة الإنسان العادى ، وطبعته بطابع الكفاح البطولى ،

---

(١) ٩٨ أغانى الدرويش لرشيد أيوب - ط نيويورك ١٩٢٨ م .
(٢) ص ٩٥٣ مجلة العرفان آذار ١٩٦٤ م .

والجهاد فى سبيل وضع أفضل ، وعيش أجمل ، وحال أكمل ؛ وقد كان شعار كل منهم قول « بدوى الجبل » :

والعيش معناه الكفاح   فهالك من لم يكافح

وهجرة المغتربين العرب إلى أمريكا ، ووطابهم فارغ ، وجيوبهم مثقوبة ، وهم غرباء عن اللغة والبيئة والتقاليد ، ثم هيمنتهم بعد ذلك ، ونجاحهم المنقطع النظير ، أكبر برهان على ما يكمن فى نفس العربى من قوة حافزة ، وحيوية متوثبة . . .

ويقول « ضعون » فى كتابه « ذكرى الهجرة » :

إن الهجرة فى زمن العثمانيين كانت محظورة رسمياً ، ومباحة عملياً ، بواسطة المهربين ، حيث يصل المسافر إلى جنوا أو مرسيليا ! وهناك يستلمه سمسار جديد ، وينزله فى « خان » قذر ! ولا يحمله إلى باخرة تنقله إلى أمريكا إلا حينما يفرغ جيبه من الفلس الأخير ! وفى تلك الباخرة يلتقى بأمثاله الذين قضى عليهم القدر بالاغتراب . . وكان أسعدهم حظاً من كان يجد على المرفأ إنساناً ينتظره ، أو إنساناً يتكلم العربية فيأنس به ، أو يعرف عنواناً لنسيب أو صديق . . أو يحمل كتاب توصية يؤمن له الطعام والمأوى فى الليلة الأولى ، ومن لم تتوفر له إحدى هذه الوسائل يكون فراشه رصيف الشارع ، وطعامه الكسرة الباقية من زاد السفر فى جعبته » .

ولغانم ياسين فى هجرته قصص لا تمحى من ذهن أى مغترب ، وقد استقر به المقام بعد أهوال فى الأرجنتين ، وصار بعدئذ من أعلام الأدب العربى فى تلك البلاد . . وكلف بتدريس الأدب العربى فى جامعة سانتافة ؛ وقد عاد غانم ياسين إلى وطنه عام ١٩٤٨ م .

ولكل واحد من المغتربين القدامى ، قصة ، حينما يرويها لك ، يستثير عاطفتك ، وكامن شعورك ، بينما يبتسم ، وهو يشكر الله ويحمده على حسن العاقبة والمصير . . وقد سجل ضعون فى كتابه « اعترافات » بعض الأحداث

التي مرت به ، كما تجلى كذلك جميل شوحى — وهو أديب معروف من حمص ، ويقيم فى عاصمة شيلى - أحداثا كثيرة له فى هجرته فى كتابه : « ذكرى مهاجر » الذى نشره بالأسبانية .

— ٥ —

ويقول عبد اللطيف اليونس فى كتابه « المغتربون »(١) نقلا عن « توفيق ضعون » فى كتابه « ذكرى الهجرة » : إن الذين رافقوا البطل اللبنانى « يوسف كرم » إلى منفاه فى إيطاليا ، قد آثروا الهجرة إلى أمريكا الجنوبية بعد وفاة عميدهم فى روما ، وإنهم كانوا أول الوافدين إليها من الأقطار العربية ، وليس ثمة مايدل على أن أحدهم قد تقدمهم بالهجرة إلى تلك البلاد .

وكان لزيارة أمبراطور البرازيل « الدن بدرو الثانى » إلى لبنان أثر كبير فى التشجيع على الهجرة ، ودفع الناس إليها ، إذ أبدى رغبته فى أن يهاجر إلى بلاده عدد من اللبنانيين الذين أعجب بحيويتهم ونشاطهم ، فضلا عن سروره من الحفاوة البالغة التى استقبلوه بها ، والترحاب الحار الذى لقيه منهم ، ووعدهم بتقديم كل مساعدة لهم ، وانه سيشملهم بكل أنواع العناية والرعاية .

وحينما ذهب مرافقو المرحوم « يوسف كرم » إلى البرازيل ، وجدوا من عناية الأمبراطور ، وحسن رعايته ، ماشجعهم على الكتابة ، لبعض أقربائهم وأصدقائهم كى يلتحقوا بهم .

ومما يؤثر عن هذا الأمبراطور أنه التقى يوما بلبنانيين لم يحسنا مخاطبته ، ولا الرد على أسئلته ، لجهلهما لغة البلاد البرتغالية ، إذ أنهما كانا حديثى العهد فى تلك البلاد ، فأعطاهما الأمبراطور بطاقته الشخصية ، وأشار إليهما أن يذهبا فى اليوم الثانى لمقابلته ؛ ولما اطلع بعض البرازيليون على البطاقة

---

(١) مجلة العرفان ص ٩٣٩ - عدد آذار ١٩٦٤

أخبروا حامليها أن صاحبها هو الأمبراطور نفسه ، فذهبا لمقابلته فى قصره، حيث أحسن استقبالهما ، وهيأ لهما عملا ، وأعطاهما مبلغاً من المال ؛ ومثل هذه الحادثة لايمكن أن تمر دون أن يكتب المغتربان عنها إلى أقاربهم فى فى الوطن ، ودون أن يكون لها أثر بالغ فى تحميس الكثيرين منهم للحاق بهم .

ولكن الهجرة لم تبدأ بشكل جماعى إلا فى زمن الثورة التى قام بها « أحمد عرابى » فى مصر سنة ١٨٨٢ ، إذ أن فريقاً من السوريين واللبنانيين كانوا قد هاجروا إلى مصر وسكنوا فى القاهرة والإسكندرية وبعض المدن الأخرى ، وقد اضطرهم الإنذار البريطانى إلى مغادرة القطر المصرى إلى أمريكا أو استراليا وتلك كانت بدء الهجرة على نطاق واسع ، وأول هجرة شبه جماعية ، وكانت مقدمة للسيل الذى تدفق فيما بعد .

وقد سبق اللبنانيين إلى الهجرة ، بصورة مصغرة ، أهل فلسطين ، ولكنهم لم يستقروا جميعاً فى البلدان التى نزلوا فيها - كما فعل اللبنانيون ، بل كانوا يزورونها حاملين المسابح والايقونات والتعاويذ المصنوعة فى فلسطين ، لبيعها من المؤمنين المتعبدين ، وبعد أن طافوا بثغور البحر المتوسط اجتذبهم معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ ، فأموا أمريكا الشمالية ، واستطابوا الأرباح ، فمكث بعضهم فيها ، والبعض الآخر توغل فى الجمهوريات القريبة « كاكوادور» وكولومبيا ، ثم فى البعيدة « بيرو » والاورغواى ، والبرازيل ، والأرجنتين ، وشيلى ، بينما اتجه أكثرهم إلى أمريكا الوسطى حيث كان يندر أن تجد غير الفلسطينيين فى الجوالى العربية ، وهم الآن كثرة فى جمهورية « شيلى » ، ولهم المقام الأول فى التجارة والصناعة فيها .

واعتاد المغتربون السوريون الإقامة فى العواصم والمدن ، فلم يخشوشنوا ويركبوا الأخطار كاللبنانيين الذين كانوا يتوغلون فى مجاهل البلاد ، ويعمرون المزارع الغامرة ، ويفتتحون الأراضى البائرة ، حتى ليقول

شكرى الخورى فى جريدة أبى الهول : لو كان للقمر طريق لكنت ترى لبنانياً حاملا كشمته ، صاعداً إليه ، وخلفه لبنانى شك دواته فى زناره لينشىء مدرسة أو جريدة فى القمر .

وكان العمال الذين يعملون فى بعض الموانىء العربية ، يتسللون إلى السفن، ويختبئون فيها ، وكثيراً ما كانت تلفظهم تلك السفن فى موانىء أوروبية ، حيث يصبحون عرضة للبؤس والفاقة والتشريد إلى أن يرأف الله بهم ، فيتسللون إلى سفن أخرى ، تنقلهم إلى بعض الموانىء الأمريكية ، ولا نستطيع أن نغفل العقيدة الدينية ، وأثرها الفعال فى التشجيع على الهجرة ، إذ أن بعض المتدينين الأوروبيين ، الذين كانوا يؤمون بيت المقدس لأداء فريضة الحج ، كانوا يعودون إلى بلادهم ببعض الأصداف المصنوعة فى فلسطين ، وبكثير من الايقونات والمسابح والشارات الدينية المختلفة .

وقد حفز أولئك الأتقياء الأوروبيون بعض ذوى النباهة والحذق فى فلسطين ، للاتجار بتلك الأشياء ، ونقلها إلى أوروبا ، وبيعها للمؤمنين فيها ؛ ولما تعددت رحلات هؤلاء إلى أوروبا ، دفعتهم المطامع إلى مدى أبعد ، فصاروا يذهبون إلى البلدان الأمريكية لبيع مايحملونه من أعراض فيها ، وكان من البدهى أن يستقر الكثيرون منهم هناك ، وأن يصبحوا خير عون لإخوانهم المغتربين الجدد الذين كانوا يلحقون بهم ، وهم يجهلون عادات تلك البلدان ولغتها ، فضلا عما كانوا يقاسونه من إرهاق وشدة وضيق .

وحذا بعض السوريين واللبنانيين حذو إخوانهم الفلسطينيين ، فكانوا يمتهنون نفس العمل ، ويتبعون نفس السبل ، إلى أن كثر المحترفون ، وراجت دعاية — كان لها بعض الصحة — عن تلك الأشياء التى كان يزعم بائعوها أنها صنعت فى بيت المقدس ، وروج المروجون أن تلك الأصداف والايقونات إنما تصنع فى أوروبا ، وبعضها فى أمريكا نفسها ، وتباع على أنها من فلسطين ، وأنها قد وضعت على قبر السيد المسيح ، لتظفر بالبركة

والقداسة ، قبل أن تنقل إلى المؤمنين الصالحين فى العالم الجديد .

وأثرت هذه الدعاية فى نفوس الأتقياء المتدينين ، فأحجموا عن شراء الأعراض التى كان يحملها تجار من فلسطين وسواها ، ويزعمون أنها صنعت فى بيت المقدس ، وأنه طيف بها على الأماكن المقدسة فيه ، متأثرين بالدعاية المناهضة لأولئك البائعين المحترفين ، فكسدت تلك التجارة التى كانت رابحة ، وضعف الاقبال على موادها ، حتى تلاشى آخر الأمر ، وكان لابد أن يتجه المتجرون بها وجهات أخرى ، ومن هنا بدأ التمركز والاستقرار ، والانصراف إلى الزراعة والتجارة الحرة .

والحكم العثمانى ، وجوره ، وعصبيته ، والضرائب الباهظة التى كان يفرضها على المواطنين العرب ، والأعمال الوحشية التى كان يرتكبها الموظفون الأتراك ، والدرك المتوحشون ، بدون رحمة أو إنسانية أو شفقة. مما دفع الكثيرين إلى الرحيل عن ديارهم ، وهجر وطنهم ، طلباً للحرية ، وسعياً وراء العيش الشريف ، والحياة الكريمة ، وكان ذلك من أهم بواعث الهجرة ؛ وكانت الدول الأوروبية تشجع المسيحيين على الهجرة والتخلص من النير التركى الصفيق ، وتهيء لبعضهم الوسائل والسبل لمغادرة الأقطار التى يسيطر العثمانيون عليها ، ويسعون لتتريكها بالحديد والنار .

ولقد كان لتعصب الأتراك العنصرى ، الرامى إلى إثارة النعرات الطائفية ، أثره الفعال فى هجرة عدد كبير من المسيحيين والمسلمين ؛ وكانت الحكومة العثمانية تقدم على استعمال كل الأساليب الهمجية التى يكون من نتائجها اضطرار بعض المواطنين العرب للهجرة من بلادهم — هرباً من الظلم والضغط .

وكانت الحكومة التركية تشجع أيضاً على الهجرة، ولكن بصورة خفية، وتتظاهر بمنعها من الناحية الرسمية .

وما أجمل هذه الصورة عن المغتربين واغترابهم للشاعر شفيق معلوف :

در مع الدهر خلف شعب شرود ... مليكنا الضخم حول كل الحدود
يوم سدوا عليه للرزق باباً ... شق بالمنكبين باب الخلود

وزحفت إلى شواطىء أمريكا موجات متلاحقة من جبال العلويين . حيث الناس أكثر عوزاً وضنكاً ، وتعرضاً للاضطهاد العنصرى ، الذى كان يرتدى طابعاً مريباً من الدولة التركية المستبدة ؛ وكانت الهجرة من المحافظات الأخرى تضعف وتشتد ، تبعاً لقوة الضغط وتفاقم الحاجة ، لا لنسبة عدد السكان وكثافتهم . ولهذا فاننا نجد عدد النازحين يتفاوت بين محافظة وأخرى ، وأحيانا بين منطقة ومنطقة ، للأسباب التى ذكرنا .

وكان للسلطة فى جبال العلويين ، حينذاك ، أثر قوى ، يدفع الكثيرين من السكان إلى الهجرة ، فراراً من الظلم والضغط والاضطهاد ، وهربا من الفقر المدقع الذى كان يعانيه السكان ، ويقاسون من وطأته الأمرين .

وفى الحرب العالمية الأولى وضع الأتراك ، بواسطة طاغيتهم « السفاح جمال باشا » ، خطة رهيبة لإبادة أكبر عدد من السكان العرب ، فى سورية ولبنان ،فكان السفاح المذكور يستولى أو يحاول الاستيلاء على كل ماتنتجه البلاد من وسائل العيش ، وينقله إلى الجنود الأتراك والألمان فى أوروبة . ويترك الشعب فريسة للمرض والجوع ، ومعرضا للموت والهلاك ! ومايزال الأحياء يذكرون تلك المآسى الرهيبة التى مرت بهم ، وعصفت بحياة الكثيرين من ذويهم . وكيف كان بعض الناس يموتون فى الطرقات ، وهم يبحثون عن شىء ـ أى شىء ـ يقتاتون به ! !

ولا يسوغ أن نغفل أمر الدعاة والمشوقين ، والوسطاء والتجار ، إذ أن بعض أغنياء التجار حينما رأوا شدة الإقبال على الهجرة ، اغتنموا هذه السانحة الثمينة ، واتفقوا مع سماسرة بيروت ، وهى الميناء الرئيسى الذى كان ينقل المهاجرين إلى شتى أنحاء العالم ، وأخذوا يشوقون إلى الهجرة عن طريق

سماسرتهم وسواهم ، وكثيراً ما كانوا يستغلون ظروف « المهاجر » ليمتصوا كل ما يستطيعون امتصاصه من دمه .

— ٦ —

وأول مهاجر عربى هو أنطون البشعلانى اللبنانى الذى هاجر إلى أمريكا الشمالية ، وأقام فى نيويورك عام ١٨٥٤ م ، ومات فيها (١) .

ثم تبعه أفواج من المهاجرين من سوريا ولبنان وفلسطين ، وكان بعض المهاجرين من الأدباء ، فأخذوا يعبرون عن مشاعرهم بالشعر أو النثر .

وأقدم أديب ، هاجر إلى الأرض الجديدة ، هو ميخائيل رستم ، والد الشاعر أسعد رستم الذى كان فيما بعد من شعراء الرابطة القلمية فى الولايات المتحدة .

ثم هاجر بعده الدكتور لويس صابنجى الذى نظم قصيدة فى نيويورك فى وصف السنترال بارك عام ١٨٧٢ م ، وكان يصدر من قبل مجلة « النحلة » المشهورة فى لندن ، وله ديوان سماه « ديوان شعر النحلة » وهو مطبوع عام ١٩٠١ فى الإسكندرية .

وقد تكاثر عدد المهاجرين بعد الثورة العرابية ، حيث سافروا إلى كندا والولايات المتحدة ، وإلى البرازيل وشيلى والأرجنتين وغيرها من دول أمريكا .

ومن أوائل الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر ندرة حداد

---

(١) ويقال إن هجرته كانت عام ١٨٥٥ م ، وقد التحق بجامعة كولومبيا ، ومات بعد سنتين من هجرته وضريحه فى بروكلن (نيويورك) ـ مجلة العرفان عام ١٣٨٤ هـ .

(١٨٨١ - ١٩٥٠)، وقد وصل إلى نيويورك عام ١٨٩٧ ، ثم كان من أعلام شعراء الرابطة القلمية فيما بعد ، وكان يعد آنذاك عميد شعراء العربية فى أمريكا [١] .

وتبعه رشيد أيوب الشاعر الذى هاجر إلى نيويورك عام ١٨٩٨ ، وقد أكثر فى شعره من شكوى الزمان،ولقب شاعر الدموع ، والشاعر الباكى وديوانه « أغانى الدرويش » مشهور .

وهاجر بعد هؤلاء نسيب عريضة الذى اغترب وعاش فى أمريكا عام ١٩٠٥ ، وتوفى فيها عام ١٩٤٦ ، وديوانه الأرواح الحائرة » معروف . وهو من شعراء الرابطة القلمية المشهورين ، وقد أنشأ عام ١٩١٣ م فى نيويورك مجلته الأدبية « الفنون » .

وتوالت الهجرة إلى تلك المهاجر ، وأخذ الأدب المهجرى فى الظهور والذيوع ، وقرأ الأدباء فى العالم العربى لأدباء وشعراء المهجر أدباً رائعا رصينا ، وشعرا بليغا ممتعا ، فى إعجاب وتقدير .

وفى هذه الديار ترعرع أبو الأدب المهجرى أمين الريحانى (١٨٧٦ - ١٩٤٠) ، الذى ألف الكثير من المؤلفات فى التاريخ ، ومنها كتابه « ملوك العرب » ، وتاريخ الثورة الفرنسية ، وألف فى الأدب كذلك ، ومن كتبه فيه : الريحانيات . والشعر المنثور .

كما ترعرع فيها كذلك عميد أدباء المهجر جبران خليل جبران (١٨٨٣- ابريل ١٩٣١) وهو عميد الرابطة القلمية فى الولايات المتحدة ..

---

(١) يمتاز شعره بنزعة إنسانية ، وقد تعددت موضوعاته ، فنظم فى الاجتماعيات والاخوانيات والطبيعة والوجدانيات والتأملات ، وله شعر قصصى ، ومن أجمل شعره التأملى قصيدته « الله »،ومن شعره فى المناسبات « طابع البريد» ، ومن روائع شعره الانسانى قصيدته « سر معي » ، وقصيدته « أنا إن مت » .

وهاجر إليها كذلك عبدالمسيح حداد (١٨٩٠ — ١٩٦١) وكانت هجرته عام ١٩٠٧ إلى نيويورك ، وأنشأ فيها جريدة السائح عام ١٩١٢ ، وظلت الجريدة حتى عام ١٩٥٩ .. وقد ألف كتابه « حكايات المهجر » وهو مشهور، وكان من أول الراغبين إلى إنشاء الرابطة القلمية عام ١٩٢٠ فى نيويورك .

ثم كان من المهاجرين ميخائيل نعيمة (١٨٨٩ — ٠٠٠) الذى هاجر إلى ولاية واشنطون عام ١٩١١ ، ثم انتقل إلى نيويورك،واتصل بجبران ، وكان مستشار الرابطة القلمية بعد إنشائها عام ١٩٢٠ وكتبه : الغربال ، جبران ، دروب ، زاد المعاد ، البيادر ، وديوان « همس الجفون » ، مشهورة .

— ٧ —

واقد بدأت قوافل المغتربين إلى أمريكا الشمالية والجنوبية تتوالى منذ عام ١٨٦٥ م .

ولقد كانت هجرة السوريين واللبنانيين إلى أرض العالم الجديد تسير على هيئة موجات متتالية منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر(١)،وكان عددهم فى زيادة مستمرة ، وبلغت موجات الهجرة قمتها عام ١٩١٣(٢) ، حيث هاجر إلى أمريكا الشمالية وحدها فى هذا العام ٩٢١٠ مهاجرا(٣) .

---

(١) ١٩ الناطقون بالضاد فى أمريكا - نشر عام ١٩٤٦ - معهد الشئون العربية الأمريكية ،

(٢) ٢٤ الشعر العربى فى المهجر - محمد عبد الغنى حسن .

(٣) فى منتصف القرن التاسع عشر أدت هجرة اللبنانيين إلى تكوين جاليات كبيرة فى الخارج وخاصة فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأفريقيا .

فإذا علمنا أن تعداد الشعب اللبنانى فى الوقت الحاضر يبلغ ١٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة ، أدهشنا أن نعلم كذلك أن عدد المغتربين يزيد على ١٫١٠٠٫٠٠٠ شخصا وهو عدد ضخم بالنسبة لعدد السكان ، وخاصة أن هذه الهجرة تمت خلال قرن واحد من الزمن .

. . . .

= وقد بدأت الهجرة فى القرن الماضى وكان من أهم أسبابها كما ذكرنا طغيان الحكم العثمانى والاقطاع وضيق مساحة البلاد وتخلفها وافتقارها للموارد .

وبلغت نسبة الهجرة بين عامى ١٨٦٠ و١٩٠٠ حوالى ٣٠٠٠ شخصا سنويا ، ارتفعت بين عامى ١٩٠٠ و ١٩١٤ إلى ١٥٠٠٠ شخصا ثم عادت هذه النسبة إلى الهبوط بين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٩ إلى متوسط ٤٠٠ شخصا سنويا .

وعند قيام دولة لبنان المستقلة وازدهارها بدأ المغتربون يعودون إلى الوطن الأم إلا أن نسبة الهجرة الحالية مازالت فى حدود ٣٠٠٠ شخصا سنويا ، ومن إحصاء قامت به الحكومة اللبنانية أخيراً اتضح أن عدد المغتربين ١ر٠٨٩ر٠٤٠ شخصا منتشرين فى أرجاء العالم على النحو الآتى :

أمريكا الشمالية	٤١٥٨٧٨	أمريكا اللاتينية	٥٨٢٥٧٩
أوروبا	٢٣٣٨	الشرق الأقصى	١٣٨٨٩
أفريقيا	٧٤٢٥٦		

ويضاف إلى هذه الأرقام حوالى ٨٠ر٠٠٠ لبنانى يعيشون بصفة مؤقتة فى العراق والكويت وإمارات الخليج العربى .

وكلما زادت مدة غياب المغتربين عن الوطن الأم كلما ضعفت الروابط بهم وخاصة فى الميدان الاقتصادى ، لذلك تعمل الحكومة اللبنانية على تنمية الروابط مع أبنائها فى المهجر بدعوتهم إلى مؤتمرات المغتربين فى العالم تعقد فى لبنان كما تعمل على إنشاء خطوط جوية وزيادة رحلاتها بين لبنان والدول الافريقية ، وتدرس حاليا إمكانية افتتاح خط جوى يربط لبنان بالبرازيل .

وفى الفترة الأخيرة تغيرت وجهة الهجرة فبعد أن كانت تتجه إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأفريقيا لوحظ أنها تتجه إلى استراليا .

ومما هو جدير بالذكر أن تدعيم الروابط بين الوطن الأم والمغتربين الذين يحتلون مراكز هامة فى الأوساط الاقتصادية والسياسية فى دول المهجر سيكون له آثار فعالة فى خدمة القضايا العربية (الأهرام عدد ٢٤/١١/١٩٦٤) .

وفى كولومبيا بأمريكا الجنوبية أقدم مدينة تحمل اسم قرطاجة ، بلد الفنيقيين القدماء - وهم من أصل لبنانى - فى الشمال الأفريقى ، وموطن هانيبال القائد القرطاجى المشهور .

ويقول محمد عبد الغنى حسن(١) : دخل العرب الأندلس فاتحين آخذين لها من يد القوط والفرنج ، فكان لهم فيها تاريخ صنعوه على أيديهم ، وكان لهم فيها شعر جديد وموشحات جديدة ، وأدب يمتاز عن أدب المشارقة فى كثير من الوجوه ، ودخل أبناء العرب أمريكا فارين من الفقر والظلم فى موجات كثيرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، فكان لهم مقام ومستقر فى العالم الجديد ، وكان معهم أدبهم وشعرهم العربى لم يتخلوا عنهما ، ولم يتركوهما فى ميدان الصراع فى سبيل الرزق والحياة ، وكانت معهم لغتهم العربية ، ولعل قيام هذا العدد الكاثر من الصحف والمجلات العربية فى أمريكا الشمالية والجنوبية هو دليل على تصميم العرب هناك على أن تبقى العربية بينهم لغة الأبناء والأحفاد ، فلا تزاحمها الإنجليزية فى الشمال والأسبانية والبرتغالية فى الجنوب .

وهذا آخر إحصاء عن المغتربين فى أمريكا ، ورد فى كتاب « المغتربون » لمؤلفه عبد اللطيف اليونس الذى نشرته مجلة العرفان الشهيرة عام ١٩٦٤ (٢) ، وهو إحصاء شامل . .

---

(١) ٢٣ الشعر العربى فى المهجر .

(٢) يشمل هذا الإحصاء أبناء المهاجرين وحفدتهم ، والأحياء والأموات من المهاجرين .

اسم الدولة	المغتربون السوريون	اللبنانيون	الفلسطينيون
الولايات المتحدة	٤٠٠ ألف	٣٥٠ ألفا	١٥٠ ألفا
البرازيل	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	...
الأرجنتين	٥٠٠ ألف	٣٠٠ ألف	...
شيلي	٥٠ ألفا	١٥ ألفا	٨٠ ألفا
أورغواى	٥ آلاف	٢٠ ألفا	...
باراغواى	٥ آلاف	٥ آلاف	...
بوليفيا	١٠ آلاف	١٥ ألفا	٥ آلاف
فنزويلا	٣٠ ألفا	٥٠ ألفا	٥٠ ألفا
كولومبيا	١٥ ألفا	٣٠ ألفا	٦٠ ألفا
كوبا	١٠ آلاف	٥٠ ألفا	١٥ ألفا
سلفادور	٦ آلاف	٩ آلاف	...
هندوراس	١٠ آلاف	٥ آلاف	١٢ ألفا
غواتيمالا	٢ ألفان	٢٠ ألفا	١٠ آلاف
نيكاراغوا	٢ ألفان	٥ آلاف	...
كوستاريكا	٤ آلاف	٣٠ ألفا	٥٠ ألفا
المكسيك	٢٥ ألفا	١٠٠ ألف	...
باناما	٢ ألفان	١٠ آلاف	...
سانتادومينغو	١٥ ألفا	٥٠٥ آلاف	١٥ ألفا
هايتى	٥ آلاف	٣٠ ألفا	٣٠ ألفا
اكوادور	٥ آلاف	٧٠ ألفا	٣٠ ألفا
كندا	١٨ ألفا	٢٠ ألفا	١٥ ألفا
بيرو	٧ آلاف	١٠ آلاف	...
	١،٥٢٦	١،٥٤٩	٥٢٢ ألفا

— ٨ —

وجل المهاجرين كانوا من سوريا ولبنان ، والقليل من أبناء فلسطين .

والهجرة من مصر إلى أمريكا قليلة .. ومن الأدباء المهاجرين منها إلى البرازيل : محمود الشريف وله كتاب (ساعة مع قازان) [١] ، وإلى الأرجنتين سيف الدين الرحال الذى ولد فى بولاق عام ١٨٦٣ ، وهاجر إلى الأرجنتين عام ١٩١٠ ، ولايزال حتى اليوم (١٩٦٥ يعيش هناك) وقد ترجم القرآن الكريم إلى الأسبانية [٢] .

وأشهر المهاجرين المصريين أحمد زكى أبو شادى وقد أقام فى الولايات المتحدة تسعة أعوام (١٩٤٦ - ١٩٥٥) ، ولا تزال ابنته صفية أبو شادى الشاعرة فى واشنطون إلى اليوم ، وابنته هدى تقيم فى نيويورك مع زوجها ، وابنه رمزى فى نيويورك كذلك مع زوجه الأمريكية .

ونستطيع أن نذكر بعض المهجريين فى مختلف دول أمريكا الشمالية والجنوبية اعتماداً على كتاب « صيدح » ...

من أشهر المهجريين فى الولايات المتحدة : الريحانى (١٨٧٦ — ١٩٤٠) [٣] ، وجبران (١٨٨٣ - ١٩٣١) [٤] ، وميخائيل نعيمة (١٨٨٩) ، وأبو ماضى (١٨٩٠ - ١٩٥٧) [٥] ، ونسيب عريضة (١٨٨٧ - ١٩٤٦) [٦] ،

---

(١) واجع ص ٥٥١ ، ٥٥٢ أدبنا وأدباؤنا ـ ط ثالثة ، و ص ٢٦ أيضا .
(٢) ٦٥١ - ٦٦١ المرجع ، و ص ٢٦ أيضا .
(٣) ٢٣٢ - ٢٤١ أدبناوأدباؤنا.
(٤) ٢٤٢ - ٢٥٩ المرجع.
(٥) ٢٧٢ - ٢٩٥ المرجع ، وشقيقه مراد أبوماضى توفىعام ١٩٦٢ فى المهجر.
(٦) ٢٩٦ - ٣٠٣ المرجع ، وهو صهر عبد المسيح حداد ..

وندرة حداد (١٨٨١ - ١٩٥٠) [١] ، وشقيقه عبد المسيح حداد (١٧٩٠ - ١٩٦٣) [٢] ، ورشيد أيوب (١٨٧١ - ١٩٤١) ولقب بالدرويش لزهده فى المال [٣] ، ومسعود سماحة (١٨٨٢ - ١٩٤٦) [٤] ، ونعمة الله الحاج (١٨٨٩ ، هاجر عام ١٩٠٤) وقدم ديوانه الأول الشاعر أبو ماضى ، وظهر له ديوان آخر بعنوان المشرق [٥] وقد أسهم مع أبى شادى فى تأسيس رابطة منيرفا ، وأبو شادى ، وصفية أبو شادى [٦] وقد زارت وطنها عام ١٩٦١ و ١٩٦٥ ، وأسعد رستم الشاعر الشعبي [٧] ، ووليم كاتسفليس (١٨٧٩ - ١٩٥٠) [٨] ، وفؤاد شطارة وهو فلسطينى هاجر عام ١٩١٥ وتوفى منتحرا عام ١٩٤٢ [٩] ، وحبيب إبراهيم كاتبه (١٩١٢ - ١٩٥١) وهو سورى وعمل مديرا لمكتب الجامعة العربية فى نيويورك وله كتاب « المهاجرون العرب فى أمريكا الشمالية » باللغة الإنجليزية [١٠] ؛ وراجى ظاهر صاحب جريدة البيان الذى هاجر عام ١٩٣٢ [١١] ، وتوفيق فخر (١٨٨٣) وقد هاجر عام ١٩٠٢ [١٢] ، ووديع باحوط (١٩٥٢) [١٣] ، ورزق حداد (١٨٧٥ - ١٩٤٣) وقد هاجر عام ١٩٠٠ [١٤] ، وملحم الحاوى [١٥] نابغة الزجل اللبنانى .

ومن المهجريين فى الولايات المتحدة الدكتور أبو على جورج خير الله وقد أسلم ، وقد ولد فى الإسكندرية عام ١٨٧٩ ، وهاجر عام ١٨٩٦ م وتوفى فى المهجر عام ١٩٥٩ ، ولما أسلم سمى ابنه (عليا) ، وزوجه الأمريكية (أم على) ، وعلى ابنه مدرس فى كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية ، وبنته

---

(١) ٢٠٤ أدبنا وأدباؤنا (٢) ٣٠٦ المرجع . (٣) ٣١٣ المرجع .
(٤) ٣١٨ المرجع . (٥) ٣٢١ المرجع . (٦) ٣٤٢ المرجع .
(٧) ٣٤٦ المرجع . (٨) ٣٤٩ المرجع . (٩) ٣٥٥ المرجع .
(١٠) ٣٥٨ المرجع . (١١) ٣٦٣ المرجع . (١٢) ٣٦٥ المرجع .
(١٣) ٣٦٨ المرجع . (١٤) ٣٦٩ المرجع . (١٥) ٣٧١ المرجع .

جلنار تعيش مع زوجها الأمريكي في الولايات المتحدة ، وأمهما هناك أيضاً.. وله بالإنجليزية كتب مشهورة منها : تأثير الإسلام في الطب ، الإسلام والنبي العربي ، سيرة جبران ، بعث جزيرة العرب ، وقد قام بترجمته الأستاذ وديع فلسطين ولم يطبع بعد (١) .

ومن المهاجرين في المكسيك : محبوب الخوري الشرتوني (١٨٨٥ - ١٩٣١) (٢) ، وفي فنزويلا فؤاد الخشن (١٩٢٥) وقد عاد إلى لبنان عام ١٩٦٠ (٣) ، وفي الأكوادور أمين مشرق (١٨٩٨ - ١٩٣٧) (٤) ، وجورج قدوم (١٨٩٧ - ١٩٥٩) (٥) .

ومن المهجريين في البرازيل : قيصر سليم الخوري (١٨٩١) (٦) ، وميشال نعمان معلوف (١٨٨٩ - ١٩٤٢) رئيس العصبة الأول (٧) ، وشكر الله الجر الذي هاجر عام ١٩١٩ ، ثم عاد عام ١٩٦٢ إلى وطنه لبنان (٨) ، وأخوه عقل الله الجر (١٨٨٥ - ١٩٤٥) وله قصيدة رائعة في الأم منها :

وتلهب خدي من لثمها وتمسح من أدمعي ما انحدر (٩)

ونصر سمعان شاعر النادي الحمصي (١٩٠٥) وهو مقيم في سان باولو منذ عام ١٩٢٠ (١٠) ، وحسني غراب (١٨٩٩ - ١٩٥٠) هاجر كذلك منذ عام ١٩٢٠ إلى سان باولو (١١) ، وميشال مغربي (١٩٠١) وقد نزح إلى البرازيل

---

(١) ص ٦٢ و ٣٥٢ - ٣٥٤ أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية - لصيدح - طبعة ثالثة - بيروت . (٢) ٦٨٦ - ٦٨٩ أدبنا وأدباؤنا .
(٣) ٦٩٤ - ٦٩٩ المرجع . (٤) ٧٠٤ المرجع . (٥) ٧٠٢ المرجع .
(٦) راجع ص ٤٠٨ - ٤١٠ أدبنا وأدباؤنا لصيدح - طبعة ثالثة .
(٧) ٤٣٧ - ٤٤٠ المرجع . (٨) ٤٦٦ - ٤٧٢ المرجع .
(٩) ٤٧٣ - ٤٧٨ المرجع . (١٠) ٤٧٩ - ٤٨٢ المرجع .
(١١) ٤٨٣ - ٤٨٥ المرجع .

عام ١٩٢٣[١] ، وسعيد اليازجى[٢] ، وتوفيق ضعون (١٨٨٣) وقد هاجر إلى للبرازيل عام ١٩١٤ ، ونشر كتابه « ذكرى الهجرة » عام ١٩٣٢ ، وكتابه « من وحى السبعين » عام ١٩٥٤ ، ويعيش الآن فى سان باولو[٣] ، وكذلك موسى كريم (١٨٩٦) صاحب مجلة الشرق التى أصدرها عام ١٩٢٧[٤] ، وحبيب مسعود رئيس تحرير مجلة العصبة (١٨٩٩) وقد هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٣ وله كتاب « جبران حيا وميتا » وكتاب « ما أجملك يالبنان » ، وعاد إلى وطنه لبنان عام ١٩٦٤[٥] وجورج حسون معلوف (١٨٩٣)[٦] وداود شكور (١٨٩٣ — ١٩٦٣)[٧] ، ويوسف أسعد غانم[٨] الذى صدر له عام ١٩٥٣ ديوان البرج الأخضر ، واسكندر كرباج (١٨٨٥ — ١٩٥٣)[٩] ويوسف البعينى (١٩٠٨ — ١٩٤٩)[٩] وجبران سعادة (١٨٩٨) وقد هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٤[١٠] ، ومحمود الشريف المصرى[١١] ، ورزق الله حداد (١٨٧٦ — ١٩٥٩)[١٢] ، ورشيد عطية (١٨٨١ — ١٩٥٦)[١٣] ، وخليل

---

(١) ٤٨٦ - ٤٨٨ أدبنا وأدباؤنا لصيدح - طبعة ثالثة .

(٢) عاش ٧٦ عاما (١٨٨٤ - ١٩٦٠) راجع ٥٠٣ - ٥٠٤ المرجع نفسه .

(٣) ٥٣١ - ٥٣٥ المرجع السابق .

(٤) راجع ٥٣٦ - ٥٣٨ المرجع .

(٥) راجع ٥٢٩ - ٥٣٠ المرجع .

(٦) ٥٢٩ - ٥٤١ المرجع .

(٧) ٥٤٣ المرجع .

(٨) ٥٤٥ - ٥٤٦ المرجع .

(٩) ٥٤٧ المرجع .

(١٠) ص ٥٥٠ المرجع .

(١١) ٥٥١ ، ٥٥٢ المرجع .

(١٢) ٥٦١ المرجع نفسه .

(١٣) ٥٦٢ المرجع .

سعادة[1] ، (١٨٥٧ — ١٩٣٤) ، والدكتور حبيب اسطفان الخطيب المشهور (١٨٨٨ — ١٩٤٥)[2] .

وجميل المعلوف الذى هاجر إلى نيويورك ، ومنها إلى سان باولو عام ١٩٠٨ [3] ، وأمين الغريب الذى قدم الولايات المتحدة عام ١٨٩٧ ثم تركها عام ١٩٥٩ إلى البرازيل حيث أقام فى سان باولو[4] ، وله كتاب « جواهر العصور » .

ومن المهجريين توفيق قربان (١٨٩١) ، ويجيد تسع لغات ، وكشف ستة آلاف غلطة فى المعاجم العربية ، نشر بعضها تباعا فى مجلة الشرق التى أسسها موسى كريم عام ١٩٢٧ فى سان باولو ؛ وكان توفيق صديقا للقروى[5] .

ومن المهاجرين فى الأرجنتين : جورج عساف (١٨٨٣ — ١٩٥٧)[6] ، وعبد اللطيف الخشن (١٩٠٤) الذى هاجر عام ١٩٢٤[7] ، وعبد اللطيف اليونس[8] ، وقد نشرت له مجلة العرفان فى صيدا عددا ممتازا من أعدادها عام ١٩٦٤ ضمنته كتابه القيم « المغتربون » وجورج صوايا (الذى توفى عام ١٩٥٩)[9] .

---

(١) ٥٦٤ أدبنا وأدباؤنا اصيدح ـ طبعة ثالثة .

(٢) ٥٦٧ - ٦٠٢ المرجع .

(٣) ٣٥٦ المرجع .

(٤) ٣٥١ المرجع .

(٥) ٥١٨ - ٥٢١ المرجع .

(٦) ٦١٨ - ٦٢٥ المرجع .

(٧) ٦٤٥ - ٦٤٨ المرجع .

(٨) ص ٦٥٩ المرجع .

(٩) ٦٧٢ - ٦٧٣ المرجع .

ومن المهجريين الذين أقاموا فى سان باولو بالبرازيل : الياس عبد الله طعمة (١٨٨٩ — ١٩٥٢)، هاجر إلى الأرجنتين عام ١٩٠٨، ومنها رحل إلى البرازيل ، وقد أسلم ، وسمى نفسه أبا الفضل الوليد منذ عام ١٩١٦، وله ديوان الأنفاس الملتهبة ، ونفخات الصور، وديوان الغربيات، وأغاريد فى عواصف، ثم عاد إلى وطنه عام ١٩٢٢ وظل فيه حتى توفى هناك(١)

— ٩ —

وفى الشام ـ لبنان وسوريا ـ وفى المهاجرين من أبنائهما ، يقول حافظ إبراهيم ، فى قصيدته « مصر والشام » :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب ... هنا العلا، وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق ، لازالت ربوعهما ... قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ... ولا تحول عن مغناهما الأدب
أم اللغات غداة الفخر أمهما ... وإن سألت عن الآباء فالعرب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما ... فى رائعات المعالى ذلك النسب
ولا يمتان بالقربى وبينهما ... تلك القرابة لم يقطع لها سبب
إذا ألمت بوادى النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم ... أجابه فى ذرا لبنان منتحب
لو أخلص النيل والأردن ودهما ... تصافحت منهما الأمواه والعشب
بالواديين تمشى الفخر مشيته ... يحف ناحيتيه الجود والدأب
فسال هذا سخاء دونه ديم ... وسال هذا مضاء دونه القضب
نسيم لبنان كم جادتك عاطرة ... من الرياض وكم حياك منسكب
فى الشرق والغرب أنفاس مسعرة ... تهفو إليك ، وأكباد بها لهب

---

(١) راجع ص ٦٢ و ٤٨٩ - ٤٩٥ أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية ـ لصيدح ـ طبعة ثالثة ـ بيروت .

لولا طلاب العـــلا لم يبتغوا بدلا
من طيب رياك ، لـكن العلا تعب
كم غادة بربوع الشام باكية ... على أليف لها يرمى به الطلب
يمضى ولا حيلة إلا عزيمته ... وينثنى وحلاه المجد والذهب
يكر صرف الليالى عنه منقلباً ... وعزمه ليس يدرى كيف ينقلب
بأرض (كولمب) أبطال غطارفة ... أسد جياع إذا ماووثبوا وثبوا
لم يحمهم علم فيها ولا عدد ... سوى مضاء تحامى ورده النوب
أسطولهم أمل فى البحر مرتحل ... وجيشهم عمل فى البر مغترب
لهم بكل خضم مسرب نهج ... وفى ذرا كل طود مسلك عجب
لم تبد بارقة فى أفق منتجع ... إلا وكان لها بالشام مرتقب
ما عابهم أنهم فى الأرض قد نثروا
فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
رادوا المناهل فى الدنيا ولو وجدوا ... إلى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
أو قيل فى الشمس للراجين منتجع ... مدوا لها سبباً فى الجو وانتدبوا
سعوا إلى الكسب محموداً وما فتئت
أم اللغات بذاك السعى تكتسب
فأين كان الشآميون كان لها ... عيش جديد وفضل ليس يحتجب
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم ... فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة إلا الشام عاج على ... ربوعها من بنيها سادة نجب
لولا رجال تغالوا فى سياستهم ... منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
إن يكتبوا لى ذنباً فى مودتهم ... فإنما الفخر فى الذنب الذى كتبوا

— ١٠ —

عاش هؤلاء المهاجرون فى مدن أمريكا الشمالية والجنوبية فى جماعات متجاورة ، ويتكلمون فيما بينهم بلغتهم العربيـة ، ويتعلمون الأسبانية

أو الانجليزية ليتفاهموا بإحداهما مع سكان هـــذه البلاد وهم من المهاجرين القدماء .

وعاش بينهم أدباء وشعراء ، كما يعيشون ، يشقون فى ميدان الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويكدحون فى سبيل الرزق ، ويعملون ليل نهار ، فى المدن وخارجها ، فى القرى النائية ، أو المزارع البعيدة ، أو الغابات التى لم يكن بجرد السير فيها مأمونا . . ويصورون حياتهم فى أدبهم وشعرهم تصويرا رائعا ممتعا .

فهذا الشاعر المهجرى الكبير إلياس فرحات يقول من قصيدته الطويلة « حياة مشقات » ، يبكى حظه ويصور شقاءه وحرمانه :

أراقب فى الظلماء ماالليل يحجب وأقرأ فى الأسحار ماالله يكتب
وأستعرض الأيام ، يومى الذى مضى
دليـــل على يومى الذى أترقب
فـــلا تسألوا عنى وحظى فإننا
لأمثال مافى الشرق والغرب مضرب
طوى الدهر من عمرى ثلاثين حجة
طويت بها الأصقاع أسعى وأدأب
أغرب خلف الرزق وهو مشرق وأقسم لو شرقت كان يغرب
لئن غردت للشاعرين بلابل فإن غراب الشؤم حولى ينعب

ثم يصف كيف كان يركب على « مركبة للنقل يجرها حصانان » ، وعليها مختلف أنواع التجارة ، ليبيع للناس فى القرى والأماكن النائية طلبا للرزق ، فيقول :

ومركبة للنقل راحت يجرها حصانان : محمر هزيل وأشهب

لها خيمة تدعو إلى الهزء ، شدها غرابيل أدعى للوقار وأنسب
جلست إلى حوذيها ووراءنا صناديق فيها مايسر ويعجب
حوت سلعا من كل نوع يبيعها فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده وأغواره أمواجه ،وهى مركب
تبين وتخفى فى الربا وحيالها فيحسبها الراءون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر
فتحسب أن الليـــل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجـــلاتها
فتسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى فتوشك من تلك الخلاعة تقلب
نبيت بأكواخ خلت من أناسها وقام عليها البوم يبكى ويندب
مفككة جدرانها وسقوفها يطل علينا النجم منها ويغرب
يغنى لنـا فيها الهواء كأنه ينومنا ، والبرد للنوم مذهب
فنمسى وفى أجفاننا الشوق للكرى ونضحى وجمر السهد فيهن يلهب
ومأكلنا ممـــا نصيد وطالما طوينا لأن الصيد عنا مغيب
ونشرب ممـــا تشرب الخيل تارة
وطورا تعاف الخيل مانحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها عن الذل تصفو للأبى وتعذب

ثم يقول :

أقول لنفسى كلما عضها الأسى فآلمها : صبرا ففى الصبر مكسب
لئن كان صعبا حملك الهم والأذى لحملى من الناس لاشك أصعب
فلولا إباء مازج الطبع لم يكن لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب
ولولا رجائى أن تظل بعيدة عن الضيم لم يوطأ برجلى سبسب(١)

---

(١) راجع القصيدة كلها فى ص ٢٥٨ و ٢٥٩ فصول من الثقافة المعاصرة للمؤلف .

ويقول ميشال مغربى نزيل سان باولو بالبرازيل من قصيدة له عنوانها « تحية الوطن » ، ووطنه مدينة حمص السورية (١) :

وأنا الذى باع الشبيبة خاسرا   بجــــلاده وجهاده المتوالى
أثر النضال على الجبين ترونه   ماالإغتراب سوى حياة نضال

ثم ينصح أهله بعدم الهجرة فيقول :

شطر المهاجر لاتولوا أوجها   كالخاسرين ربوعهم أمثالى
أوطانـكم أولى بـكم وبسعيكم   وبما ملـكتم من كريم خصال
ولأنتمو أولى بطيب هوائها   وجمالها المزرى بـكل جمال
كن فى الذرى ياموطنى أوفى السما   أهواك فى حـلى وفى ترحالى
الأم تجمل فى عيون وليـدها   حتى ولو فى أخلق الأسمال
حي الحيا دون المواطن موطنا   فيـه أرى دارى وأنظر آلى
ويظلنى علمى الذى فى قلبه   يثوى صليبى فى جوار هـلالى
لايعشق الأحرار غير بلادهم   ولو أنها طلل من الأطـلال

والمذهب الذى يدعو إليه الشاعر وهو عدم الاغتراب مذهب خالفه المهجريون أنفسهم ، ويخالفه الـكثير من الناس فى كل العصور ..

وفى بيت قصير يصور الشاعر القروى كل حياته فى المهجر ، من الـكدح فى الأرض ، والفقر ، والحرمان من الغنى ، فيقول :

تروم بمهنة التجوال مالا   وحظـك والغنى ماء ونار

وقد كان الشاعر القروى فى بدء هجرته إلى البرازيل يعيش بائعا جوالا هو وصديقه الشاعر المهجرى إلياس فرحات .

---

(١) ولد ميشال عام ١٩٠٠ ، وهاجر إلى البرازيل عام ١٩٢٤ ، وأخرج هناك ديوانا سماه « العواصف » .

ويصور أحد الشعراء المهجريين هجرته وحياته فى المهجر الجنوبى ، وهو الشاعر رشيد سليم الخورى (القروى) ، الذى هاجر من وطنه لبنان إلى البرازيل ، فيقول [1] : « هاجرت إلى البرازيل من قريتى « البربارة » فى أول شهر آب (أغسطس) عام ١٩١٣ ، بعد أن ضاعت ثروة أبى ، وظللت أشهرا لا أجد (بارة) واحدة . . وفى ولاية ميناس فى البرازيل تعرضت لأشد ألوان الفقر ، ثم انتقلت إلى ريو دى جانيرو فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهناك كنت أرتزق بتعليم العزف على العود ، ثم بالتدريس فى إحدى المدارس ، ثم انتقلت إلى سان باولو عام ١٩١٥ ، ورحت أعمل فى التدريس فى بعض المدارس العربية والأجنبية .

ثم تركت التعليم لأنصرف إلى العمل ، معتمدا لبعض المحلات التجارية ، ثم اشتدت على الأزمة من الناحية المادية إلى أن أوسع الله علىّ ، بعد أن تعرفت إلى أحد الفتيان ، ممن يهوون العزف على العود فأعطيته بعض الدروس ، وهكذا انفرجت أزمتى ، وتاجرت مرة أخرى وظللت ثلاث سنوات أصنع الكراريس فى مدينة سان باولو ، ولكننى بعد ذلك أقفلت مصنع الكراريس لضياع نصف رأس مالى ، وكان الشعر فى ذلك الحين هوايتى الأولى ، وكانت هناك جالية عربية كبيرة ، لها أندية وجمعيات وصحافة ، وكانت تقيم الحفلات بكثرة ، فى سبيل الأغراض الاجتماعية والوطنية ، وكانوا يدعوننى لأقول شيئا من الشعر ، فألبى دعوتهم ، فنشطت الحركة الفكرية ، وكنت أراقب الأحداث بنفس ثائرة ، وأصورها بشعرى .

وكان ذلك هو أول عهدى بالجهاد الأدبى فى سان باولو التى كنا نسميها عاصمة اللوائيين ، أى حاملى اللواء ، هؤلاء الشبان الذين كانوا يوغلون

---

(١) عن مجلة آخر ساعة المصرية ـ فبراير ١٩٦٠ ، ص ٢٩٢ فصول من الثقافة المعاصرة المؤلف .

داخل البلاد للاكتشاف والتعمير .. وكل الحفلات كانت تحتاج إلى القصيدة والأنشودة ، وقد كنت اللسان المعبر عن ذلك » .

ويتحدث مسعود سماحة عن آلامه وشقائه وكفاحه فى المهجر الجديد . فيقول :

كم طويت القفار مشيا ، وحملى فوق ظهرى يكاد يقصم ظهرى
كم قرعت الأبواب غير مبال بكلال ، أو قر فصل وحر
كم ولجت الغابات والليل داج ووميض البروق شمسى وبدرى
كم توسدت صخـــرة وذراعى
تحت رأسى ، وخنجرى فوق صدرى
كم توغلت فى البرارى وقلبى سابح مثل زورق فى نهر
كم تعرضت للعواصف حتى خلت أن الثلوج فى القفر قبرى

وهو فى بيتيه الأولين يرشد إلى حرفته الأولى فى المهجر ، وهى حرفة البائع الجوال ، وفى الأبيات الأخرى يصور مايقاسيه فى البرارى والغابات والقفار التى كان يتجول فيها .

ويقول رشيد أيوب شاكيا وباكيا حزينا :

أوه ، ألم يكتب لهذا القلم إلا بأن يشكو الأسى والألم
ياقلبى الشارب خمر الشجا والمسمع الطرس صرير النقم
من أى غصن قصك المبترى من أى غيم قد سقتك الديم
نشأت نعابا فلا غرو أن تحسب أن النعب كل النغم

وكان يطلق على رشيد أيوب لقب الشاعر الباكى ، وشاعر الدموع(١) ،

---

(١) ٢١٩ فصول من الثقافة المعاصرة للمؤلف .

والشاعر الشاكى(١) ، وقد أكثر فى شعره من الشكوى والألم .

وفى ميدان الكفاح الجديد ، الذى كان الأديب المهجرى يمشى فيه تائها حائرا مشردا بلا سلاح ، يقول إلياس فرحات :

فإننى مذ غبت عن لبنانا مازلت أمشى تائها حيرانا
على أن أحالف الخسرانا أولا فأن أحتمل الهوانا
والنفس لاتقبل أن تهانا
أمشى من الأحزان والأوجاع كأن «حنين»(٢) على أضلاعى
أحاذر الذئاب والأفاعى والناس عند الذهب اللماع
شر من الحيات والسباع

ويقول أبو ماضى يصور آلام الهجرة :

نحن فى الأرض تائهون كأنا قوم موسى فى ليلة ليلاء
ضعفاء محقرون كأنا من ظلام والناس من لألاء

وشعور المهاجر بالحرمان والجوع والشقاء جعله يردد الشعر فى تحقير شأن المال والاستهانة بشأنه ، فهذا رشيد أيوب يرضى لنفسه الفقر فيقول فى ديوانه أغانى الدرويش(٣) :

عكفت على الإقلال علما بأنه يلذ لنفسى الانتصار على الدنيا

وهذا إلياس فرحات يسخر من المال ومن عبادة الناس له فيقول(٤) :

وسرحت فى الكون طرف الخبير
فشاهدت فيه صنوف العجب

---

(١) ٦٨ الشعر العربى فى المهجر ، ٤٠ الناطقون بالضاد فى أمريكا
(٢) حنين جبل فى الشام .
(٣) ٩٨ ديوان أغانى الدرويش .
(٤) ١٠٩ ديوان فرحات .

أناسا تدوس إله الضمير   وتحنى الرؤوس لعجل الذهب
ويذهلها المال كل الذهول   فتدنى الجهول وتقصى اللبيب
فرحمة ربى على من يقول   بأن النضار يغطى العيوب

لقد ردد كل شعراء المهجر أنغام الحزن والألم والشقاء، وصوروا صراعهم للحياة، وحرب الزمان الخئون لهم، ومحالفة الفقر إياهم، وتضورهم من الجوع والحرمان والظمأ فى فيافى المهاجر، وعاذوا بالدموع التي سكبها الشقاء والفقر، بل اليأس فى بعض الأحيان، فهذا إلياس فرحات يقول[1]:

يا عيد عدت وأدمعى منهلة   والقلب بين صوارم ورماح
والصدر فارقه الرجاء فقد غدا   وكأنه بيت بلا مصباح
يمشى الأسى فى داخلى متغلغلا   بين العروق كمبضع الجراح

كما رددوا إلى جانب ذلك كله أنغام الأمل والفرح والطموح وحب الحياة، يقول أبو ماضى[2] داعيا إلى الفرح:

الشجاع الشجاع عندى من أمـ   ـسى يغنى والدمع فى الأجفان

ويدعو كذلك إلى الابتسام والتفاؤل فى الحياة فيقول:

أيهاذا الشاكى ومابك داء   كن جميلا تر الوجود جميلا

ويرى البكاء سمة الأذلاء المستضعفين فى الأرض فيقول[3]:

أقول لكل نوّاح: رويدا   فإن الحزن لايغنى ويضنى
وجدت الدمع بالأحرار يزرى   فليت الدمع لم يخلق بجفن

---

(١) ٦٢ ديوان فرحات.
(٢) ٦١ الخمائل لأبى ماضى
(٣) ٢٧ و ٢٨ المرجع نفسه.

ويقول أبو ماضى فى فرح غامر ، تشوبه حيرة شديدة [١] :

يريد الحب أن نضحك فلنضحك مع الفجر
وأن نركض فلنركض مع الجدول والنهر
وأن نهتف فلنهتف مع البلبل والقمرى
فمن يعلم بعد اليوم ماذا يحدث أو يجرى [٢]

ويردد أبو ماضى قوله فى وطنه والاعتزاز به والحنين إليه :

اثنان أعيا الدهر أن يبليهما ... لبنان والأمل الذى لذويه
نشتاقه والصيف فوق هضابه ... ونحبه والثلج فى واديه
وإذا تمد له ذكاء حبالها ... بقلائد العقيان تستغويه
وإذا تنقطه السماء عشية ... بالأنجم الزهراء تسترضيه
وإذا الصبايا فى الحقول كزهرها ... يضحكن ضحكا لاتكلف فيه
هن اللواتى قد خلقن لى الهوى ... وسقيننى السحر الذى أسقيه
هذا الذى صان الشباب من البلى ... وأبى على الأيام أن تطويه

— ١١ —

ويتحدث عبد اللطيف اليونس فى كتابه « المغتربون » عن نجاح المغتربين ، فيقول [٣] :

« امتلأت المدن والأرياف بأصحاب الأعمال الناجحة من المغتربين . فشيدوا المعامل ، وأنشأوا المزارع ، وأسسوا الشركات والبنوك ، وسيطروا فى كثير من المدن على مجالات العمل والإنتاج ، حتى إنك تمر بشارع واسع

---

(١) ١٩ الجداول .
(٢) وللأستاذ نظير زيتون حديث عن نجاح المغتربين منشور فى مجلة العصبة الأندلسية (ص ٢٥١ عدد أيار ١٩٥٢)
(٣) ص ٩٧٢ مجلة العرفان اللبنانية ـ آذار ١٩٦٤ م .

فى مدينة « سان باولو » ـ وهى المدينة الصناعية الأولى فى البرازيل ، بل وفى أمريكا الجنوبية كلها ـ فلا تجد فيه متجراً لغير عربى . وذلك فضلا عن متاجر عربية كثيرة منتشرة فى أكثر أحياء المدينة » .

ويقول « توفيق ضعون » فى كتابه « ذكرى الهجرة » إنه زار مدينة فى « شيلى » تدعى « إليابل » ، وقد استلفت نظره شارعها الرئيسى الذى يخترقها من الشمال إلى الجنوب وقد انتظمت المخازن العربية للفلسطينيين واللبنانيين على جانبيه .

وفى قوانين البلدان الأمريكية تسامح ومساواة وعدالة ، فهى لا تفرق بين من يحمل جنسيتها ، ومن يظل محافظاً على جنسيته الأولى ، بل إن بعض الجمهوريات الأمريكية تسمح للأجنبى أن يرشح نفسه لعضوية المجالس البلدية ، متى مر على إقامته فيها سنوات معينة . وفى هذا منتهى التسامح والمساواة ، وكان لتساهل القوانين ورحابتها فضل كبير فى نجاح المغتربين ، وما حققوه من ثراء ضخم ، ومركز مرموق .

ومن الصعب ، بل يوشك أن يكون من المستحيل ـ أن توجد مدينة ، بله قرية كبيرة ، لا يوجد فيها مغترب أو مغتربون ، وكثير من البلدان الأمريكية ـ شيلى مثلا ـ يسيطر المغتربون على حيز كبير من اقتصادها ولهم رأى مسموع ، وكلمة محترمة ، فى توجيه سياسة البلاد الداخلية والخارجية ، وضرب المغتربون العرب بسهم وافر فى الصناعة . وصناعتهم الأولى فى شيلى ، والثانية فى البرازيل ، وأما فى الأرجنتين فقد اتجهوا إلى التجارة والزراعة الغالبتين على أوجه نشاطهم ، وكذلك الحال فى بقية جمهوريات أمريكا الجنوبية والوسطى ، التى لا تخلو بلاد واحدة منها من صناعة عربية ناجحة ، ولكن التجارة هى الظافرة ، دائماً باهتمام المغتربين ، واندفاع كثرتهم الساحقة نحوها .

ومما ساعد المغتربين على التمركز والنجاح صدق معاملتهم ، وحسن

مسايرتهم ، وكرم ضيافتهم ، وذلك إلى جانب دأبهم وصبرهم، وشدة احتمالهم قسوة الدهر ، ومتاعب الأيام، حتى أصبحوا من الركائز القوية لاقتصاد جمهوريات أمريكا الجنوبية والوسطى ؛ ورغم النكبات المالية الكثيرة التى مرت على تلك البلدان ، وطوحت بعدد كبير من المتمولين ، والشركات الرئيسية فيها ، فإن مركز العرب لم يتزعزع ، وكيانهم الاقتصادى لم يتضعضع ، بل ظل متماسكا متساندا ، ولعل السبب فى هذا يعود إلى عدم رغبتهم بالمجازفة التى تهدد رأس المال .

ويكفى أن يعرف القارىء أن مغتربا واحدا يقيم فى مدينة « سان باولو » ، هو الدكتور « جوزيف عبد الله » يملك هو وقرينته وهى كريمة « أسعد عبد الله حداد » عدة معامل للسكر ، ولصنع الورق ، وثلاثين مليون شجرة « ايوكالبتس » يصنع الورق من لبابها ، وأن القطار يسير مسافة عشرات الكيلومترات فى أملاكهما الشاسعة فضلا عن معامل النسيج المختلفة ، وسواها ، وإن ثروة هذا المغترب وقرينته تقدر بحوالى ألفى مليون ليرة برازيلية وقد تزيد .

ومن العسير ، بل قد يكون من المستحيل، إحصاء ثروة « آل يافث » ، و « أسعد عبد الله » ، و « رزق الله جورج طحان » ، وألوف المغتربين الأثرياء الموزعين فى البرازيل ، والأرجنتين ، وتشيلى ، وكولومبيا ، وفنزويلا ، والمكسيك ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وقد اتجه بعض أبناء الجالية وجهة الأعمال الحكومية ، فدخلوا ميدان التوظيف واقتحموه وجلوا فى أكثر مرافقه العامة ، ومنهم من احتل مراكز وزارية فى الحكومات المركزية، والحكومات المحلية ، ومنهم من فاز بعضوية المجالس النيابية . وهؤلاء كثيرون، وبمناصب حكام الولايات ، والمديرين العامين ، وبعض أبناء الجالية قد اتجه نحو التعليم الفنى والمهنى ، فحلقوا ماشاء لهم التحليق ، وأبدعوا ماشاء لهم الإبداع، ومنهم المهندسون المتفوقون ، والأطباء المجلون ، والمحامون اللامعون ، والكتاب الناجحون ، والسياسيون المحترفون .

ويقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى، الشاعر المصرى الرائد، بعد هجرته إلى أمريكا عام ١٩٤٦(١) :

وما زلت تغزونى المآسى كأننا صحاب، وتهوانى شرابا ومطعما
بلا كلفة تحيا على بر مهجتى فآثرت أن أفنى وأن أتبسما

وقد أكثر المهجريون من الحديث عن منزلة الشاعر وأنه فى السماء، وأنه يسير فى الجواء، فهذا نسيب عريضة يقول :

قم نتخذ للمنى جناحا يطير من عالم الحدود
عسى نرى فى السماء دربا نسير فيه ولا نعود

ولأبى ماضى قصيدة عنوانها «الشاعر فى السماء» وفى مطلعها يقول :

رآنى الله ذات يوم فى الأرض أبكى من الشقاء
فرق لى والله ذو حنان على ذوى الضر والعناء
وقال : ليس التراب دارا للشعر، فارجع إلى السماء

ونظم فوزى المعلوف قصيدته المشهورة «على بساط الريح».

كما تحدثوا وأكثروا الحديث عن السعادة حديثا ممزوجا بالشك فى وجودها. يقول أبو ماضى :

قلت : السعادة فى المنى فرددتنى وزعمت أن المرء آفته المنى
ورأيت فى ظل الغنى تمثالها ورأيت أنت البؤس فى ظل الغنى
مالى أقول بأنها قد تقتنى فتقول أنت بأنها لا تقتنى
وأقول إن خلقت فقد خلقت لنا فتقول : إن خلقت فلم تخلق لنا
وأقول : إنى مؤمن بوجودها فتقول : ما أحراك أن لا تؤمنا
وأقول : سر سوف يعلن فى غد فتقول : لا سر هناك ولا هنا

---

(١) ١١٧ ديوان من السماء.

ياصاحبي : هذا حوار باطل لاأنت أدركت الصواب ولاأنا

وكذلك قال أبو ماضي :

ونصلي في سرنا للأماني والأماني في الجهر يضحكن منا

— ١٣ —

ويتحدث عبد اللطيف اليونس في كتابه « المغتربون » عن الشعراء المغتربين واحترافهم للتجارة فيقول(١) :

لم يؤم الأدباء – من كتاب وشعراء – ذلك المغترب النائي السحيق ، لتعاطي الأدب وحده ، والانصراف إليه انصرافاً كلياً ، وإنما أموه كسائر المغتربين ، طلباً للحرية ، وسعياًوراء الحياة الهادئة ، والعيش الكريم الهنيء، ومثلما لقي الآخرون من قسوة الأيام ، وعنت الدهر ، لقيت هذه الفئة الطيبة المختارة الكثير من مصاعب الحياة ومتاعبها ، ومشاقها ونوائبها،وتعرضت للمواقف المحزنة ، والمآسي المؤلمة ، التي تعرض لها أكثر المغتربين .

ولكن رهافة حس الشاعر والأديب – وهل الشاعر إلامن صفوة الأدباء – جعلت هذه المآسي أكثر بروزاً في حياته ، وجعلته أكثر تبرماً بها ، وقلة احتمال لها ، فضلا عما للشعر من سهولة الانتقال والحفظ ، والاستشهاد به وتردده على ألسنة الناس . . وقد أبى حس الشاعرية الصادق ، إلاأن يسجل انفعالات الشاعر وانطباعاته ، كأروع ملحمة من ملاحم النضال والكفاح ،

ومما قاله الشعراء المغتربون في المحن والمآسي التي تعرضوا لها ، قول جورج صيدح في وصف المهاجر :

مل عيش السلم في ظل السلامة فمشى للبحر يستوحي غرامه
ركب الأخطار فاستسهلها مركباً ، واجترف الموت أمامه

---

١) ص ٩٦٣ مجلة العرفان – آذار ١٩٦٤ م .

من جهام السحب يستل الحيا   عاصراً بالكف أثداء الجهامه
من رآه فى المغارات رأى   أسداً يستنجز الغاب طعامه
وله أجنحة النسر .. إذا   نفر الرزق ، وأطراف النعامه
كيف يرتاح وتذكار الحمى   كلما أقعده الجهد أقامه ...
كل نصر حازه دبجه   بسمات عربيات الوسامه
ورواها سيرة عن جده   حفزت نفس المجلى بالكرامه

ويظهر أن الشاعر قد أطمع آله وذويه ، بمروءته وأريحيته ، فتضاعف إلحاحهم عليه ـ حتى اضطروه إلى أن يقول :

يبعث المال سلاماً للحمى   فالحمى يأبى بلا مال سلامه

ويشبه المهجر بالأندلس ، وهو تشبيه فيه من روعة الواقع وغناه ، ما يستأثر بالعاطفة ، ويطوح بها فى مجالات القلق والخوف :

إنها أندلس ثانيــة   كاد يستأثر فيها بالزعامه
قدرته فحبته وطنــاً   وتناسى الوطن الأم مقامه
رب أحجار من الشرق انتفت
أصبحت فى حائط الغرب دعامه

ويقول الشاعر « مسعود سماحة » ، وقد أصبح بعد حمل « الكشة » كولونيلا فى الجيش الأمريكى :

كم طويت القفار مشياً وحملى   فوق ظهرى يكاد يقصم ظهرى
كم قرعت الأبواب غير مبال   بكلال ، وقر فصل ، وحر ؟
كم توغلت فى البرارى وقلبى   سابح مثل زورق فى نهر ؟
كم تعرضت للعواصــف حتى
خلت أن الثلوج فى القفر قبرى ؟

كم توسدت صخرة وذراعى
تحت رأسى وخنجرى فوق صدرى

وفى هذه الأبيات صورة ناطقة للصعوبات التى تعرض لها المغتربون والمتاعب التى قاسوها . وهى وحدها مرآة للحياة المريرة التى عانوها عند بدء اغترابهم ، وتصلح موضوعاً لرواية لن يعرض على الشاشة ماهو أشد إثارة منها

ويصف « الشاعر القروى » حال المغتربين الأول ، كيف كانوا موضع الاستهانة والسخرية :

كن بينهم رجل الزمان تظل « توركو » محتقر !
حتى العبيد السود قد سخروا بنا مــع من سخر

ولكنهم بعد المرحلة الأولى من الاغتراب ، وبعد أن بنوا جدار حياتهم الصامد، بقوة عزيمتهم ، وصلابة إيمانهم ، أصبح أكثرهم من الأعلام وبعضهم من سادة البلاد ، وساستها الموجهين .

ولقد مضى الشاعر « فرحات » وهو من أرباب القريض المعدودين ورجال الفكر الموهوبين ، عشرين عاماً فى التجوال ، إلى أن قيض له القدر مغترباً كريماً من رجال الصناعة ـ هو السيد « يوسف اليازجى » صاحب اليد الطولى فى المشاريع الوطنية والإنسانية ـ فاصطفاه وكيلا متجولا يعرض « مساطر » على التجار فى داخل البلاد ويتقاضى على المبيع نسبة مئوية ترد عنه غائلة الحاجة ، وتضمن له دخلا يكفيه لأن يعيش حياة خيرة كريمة .

وكان « فرحات » قد استهل أيام هجرته الأولى بالتجارة البسيطة على غرار كافة المهاجرين الجدد ، ولما أخفق فى محاولته هذه عمل منضداً للحروف

فى إحدى المطابع ، واشترك فى إدارة تحرير بعض الصحف العربية فى سان باولو . ثم عمد أخيراً إلى تربية المواشى حيث أخفق فيها فلجأ إلى حرفة التجول للبيع .

ويصور الشاعر فرحات فقره بهذين البيتين صورة دامية موجعة :

انى لأحمل ثقل الدهر منتصباً عالى الجبين وألتى الدهر مبتسما
وليس فقرى طفلا عمره سنة لكنه توأمى ، لما نميت نما . .

ومارس « الشاعر القروى » تعليم اللغة العربية والموسيقى عند بدء اغترابه . ثم انتقل إلى التجوال فى المناطق الداخلية ، يحمل مساطر لأحد المحلات التجارية ولكن الحظ لم يكن رحيما به ، ولا مشفقاً عليه ، فقد جفاه وخانه ، وتبخرت أحلامه ، وخابت آماله ، وحاول الاستقرار فى العاصمة ، ولكن الاستقرار لم يتح للشاعر الذى ارتقى فى شعره إلى أعلى مراتب الخلود ، بينما لم يرتق فى دنياه من شاعر متجول ، إلى صاحب متجر مقيم . وفى شعر « القروى » ماينضح بالمرارة والأسى ، والخيبة واليأس :

حنانيك ربى ، حنانيك ربى لقد قصمت ظهرى القاصمه
بعيد المزار ، غريب الديار وحيد ، وها انا فى عاصمه
أيا رب فاتحتى هكذا . . فهل لك أن تحسن الخاتمه

ويقول « إيليا أبوماضى » عن المغتربين إنهم تائهون ، وضعفاء محقرون ، ولايمكن أن يصف شاعر الحكمة والفلسفة نفسه ، وإخوانه ، بهذا الوصف لولا أن تكون قد عصفت بنفسه عواصف من الألم لم يستطع دفعها ، ولا التغلب عليها . . ولولا أن يكون قد لقى من مرارة الحرمان مالا يستطيع تحمله كشاعر ، وإن كان يجدر أن يتحمله كمكافح مناضل . وهل الحياة إلا كفاح ونضال كما قال « بدوى الجبل » :

والعيش معناه الكفاح فهالك من لم يكافح

ويقول « أبو ماضي » عن المغتربين :

نحن فى الأرض تائهون كأنا قوم موسى فى الليلة الليلاء
ضعفاء محقرون ... كأنا من ظلام والناس من لألاء
واغتراب القوى عز ونخر واغتراب الضعيف بدء الفناء

وكان « أبو ماضى » قد شجع الهجرة حينما أقدم عليها . واستحث بقية المواطنين على الاقتداء به،واتهم المتخلفين منهم بالجمود ، ونعتهم بالحشرات وهو مما يؤخذ عليه :

لبنان لاتعذل بنيك فانهم ركبوا إلى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة .. لكنهم خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون
لما ولدتهم نسوراً حلقوا .. لايبتغون من العلا بالدون
والنسر لايرضى السجون وإن تكن
ذهباً فكيف محابس من طين
والأرض للحشرات تزحف فوقها والجو للبازى والشاهين

و « نسيب عريضة » الشاعر الإنسان ، وكبير شعراء حمص فى المهجر ، لايتمالك ـ وهويسمع عن الجوع فى بلاده أيام الحرب العالمية الأولى ـ إلا أن يقول ـ وهو يعبر عن عاطفته ـ على لسان أم لاتجد ماتطعم به ابنها الجائع :

ظلام الليل قد جنا .. وبوق الهم قد رنا
فنم ياطفل لايهنا .. غنى بات شبعانا
ألا يا هم يكفينا لقد جفت مآقينا
لو ان الدمع يغذونا أكلنا بعض بلوانا

هذه العاطفة الإنسانية الصادقة تجدها فى أكثر شعر المغتربين . وماأبيات « نسيب عريضة » هذه إلا برهاناً لما كان يجيش فى نفوسهم من عواطف وأحاسيس ، نحو وطنهم الأم .

والشاعر « ندره حداد » يقول إن الشعراء قد « شبعوا » ـ ولكنهم « شبعوا » جوعاً،وهذا القول أرق معنى ، وأبلغ دلالة من أى قول آخر :

وقفت مطايانا فليس لها حاد ، وليس بنافع زجر
لم يبق إلا الشعر نسكبه خمراً إلى أن ينتهى العمر
ياويل أهل الشعر كم شبعوا جوعاً وكم سكروا ولا خمر

ويعصف الألم بنفس الشاعر القروى ، وهو يشكو قسوة الايام ، مثلما يشكو قسوة الحرمان ، إذ كان ضحية الإثنين معاً ، ويزفر زفرة حرى وهو يقول :

هل بينكم ياقوم من قاتل يزحزح الأيام عن كاهلى
يقذف بى فى درك اللج فلا يلفظنى موج إلى ساحل

واسمع أخاه « قيصراً » ـ الشاعر المدنى ـ يصف ليلة العيد فى بيته ، بهذه الصورة المحزنة المؤثرة .

رأى بنى صغار الحى قد غنموا فى ليلة العيد أشياء وما غنما
فجاء يسأل مالا لست مالكه ولو أتى طالباً روحى لما حرما
وعدته . وجفونى حشوها أرق وعداً تعلق فى أجفانه حلما
لما رأت أمه حالى ، وحالته مالت لناحية تذرى الدموع دما

وهكذا لقى الكثيرون من الشعراء المغتربين ما آذاهم وآلمهم ، وقد سجلوه آهات فى شعرهم ، وزفرات فى قصائدهم . ولا يستطيع أن يعبر عن الألم إلا الذى قاسى مرارته ، واكتوى بها . .

وها هوذا الشاعر «نصر سمعان» الشاعر المحلق فى كل ميدان أدبى،والمجلى فى كل مضمار شعرى ، وصاحب الديباجة الحلوة المشرقة ، والكلمة المشعة المنتقاة ، يحترف التجارة فيتنكر له الحظ ، ويعبس فى وجهه ـ فيقول :

أسعى وراء الرزق مجتهداً والدهر فى الحرمان يجتهد

ما إن ذرفت الدمع فى بلد إلا وحن لمدمعى بلد

وضاق «حسنى غراب» ذرعاً بمنة أحد الأغنياء عليه ، فأقفل متجره ، وآثر الكرامة على الغنى ، والحاجة الملحة على تحمل كلمات المن :

وإن نفسى تأبى أن تمد يدا إلى انتشالى ، وفيها أصبع لغنى

ويصف «جورج صيدح» ، بأسلوبه السهل الممتنع ، ذلك التاجر الخاسر - ويقصد نفسه - فى قصيدة طويلة تنضح بالشكوى المرة ، مثلما تنضح بالعزة والترفع والإباء :

أظلم الناس من ظلم بائساً تاه فى الظلم
عاثر الجد بعدما كان ناراً على علم
زاهراً كان نجمه فهوى النجم وادلهم
نازحاً كل زاده عزة النفس والألم
صابراً ليس يشتكى غير ما فيه من سقم
ما أزالت إباءه عندما زالت النعم
لا تدينوه فهو من هوة اليأس فى حرم
دونكم ماله فلا تذكروا عرضه بذم
واعذروها فريسة هزلت يا ذوى النهم

ويقول نسيب عريضة (١٨٨٧ — ١٩٤٦) من قصيدته «نشيد المهاجر»(١) :

أنا المهاجر ذو نفسين واحدة تسير سيرى، وأخرى رهن أوطانى
ابن العروبة ، لا أسلو الربوع ولو كانت مثيرة أوهامى وأشجانى
بعدت عنها ، أجوب الأرض تقذفنى
منى حثثت لها ركبى وأظعانى

---

(١) الأدواح الحائرة ٢٤٥ - ٢٤٨

ما إن أبالي مقامي في مغاربها — وفي مشارقها حبي وإيماني
أنا المهاجر لاأنسى الوداع وما — جرى من الدمع في أجفان غزلان
ولوعة في حشا الأحباب مابردت — عللتها بلقاء رهن أزمان
مرت ثلاثون لم أنس العهود وهل — تنسى مواثيق أرحام وأيمان
الأهل أهلي وأطلال الحمى وطني — وساكنو الربع أترابي وأقراني
قد كنت أشتاقهم والعين تنظرهم — ياعظم شوقي على بعد وهجران
إن أنكرونا فما والله ننكرهم — وإن جفوا لانقابلهم بنسيان
نحبهم كيفما كانوا وإن ركبوا — مراكب الهجر من آن إلى آن
هيهات نطلب بالزلفى محبتهم — تأبى المحبة أن تشرى بأثمان
والمال أهون مبذول إذا رفضوا — شوقا بشوق ، وتحنانا بتحنان
أنا الذي إن تناسى الناس قومهم — هيهات ينسى، وما الكفران من شاني
لي العروبة أمشي في مخارفها — من العراق إلى مابعد وهران
أزهو بثوب نخار من مناسجها — حتى تقرب أيدي البين أكفاني

ويقول عبد اللطيف اليونس في كتابه «المغتربون» (١) : أحب أن أعرض هنا تلك الصورة الرائعة ، التي حبكها بقوة ومهارة ودقة ، الشاعر المبدع شفيق معلوف . يصور بها حال المغتربين وكفاحهم ، أبلغ تصوير ، ويعبر عنها أجمل تعبير ، ويصفها آنق وصف ، ويعرضها لوحة فنية قد استكملت كل جوانب الفن والروعة والإبداع :

مجاذيف عبر اليم طاب لها صدى — يرجعه صفق على الموج هادىء
متى رحن يشققن العباب تصاعدت
من القعر تجري خلفهن اللآلىء
يدفعن فتيانا تذريهم النوى . . — على كل أفق ، والرياح تناوىء

(١) ٩٤٧ مجلة العرفان اللبنانية ـ آذار ١٩٦٤

فوالله ماأدرى أعند وداعهم تئن الصوارى . أم تئن المرافىء
أطلوا بوجه من كوى السفن واجم كأنى بهم دمع بكته الشواطىء

ومن المؤسف ألا تكون مأساة الهجرة قد أطلقت ألسنة الشعراء المقيمين ، مثلما أطلقت ألسنة الشعراء المغتربين ، لأن جو النكبة كان بعيداً عنهم . ولأن تلك الحياة المريرة القاسية ، التى تعرض لها المغتربون عند بدء هجرتهم ، لم يكتو بلواعجها إخوانهم المقيمون ، ولا يبلغ الحزن مداه فى نفس صديق أو قريب ، مثلما يبلغ مداه فى قلب الحزين نفسه الذى يعيش مصيبته ، ويحيا واقعها ، ويتجرع صاب ألمها ومرارتها . وربما انعكست مآسى الهجرة ومتاعبها على الكتاب والشعراء اللبنانيين أكثر مما انعكست على الشعراء والكتاب السوريين .

ولعل مرد هذا يعود إلى أن بعض اللبنانيين كانوا يعتبرون الهجرة مورداً أساسياً وأوليا لهم ، وما يزالون يعتبرونها - إلى الآن - من الموارد الرئيسية فى بنائهم الاقتصادى والاجتماعى، وقد نظم اللبنانيون مباريات عدة فى الشعر والنثر لتصوير أحوال المغتربين ، وإلقاء الأضواء على حياتهم هناك ، وأثرهم هنا ، ومن هذه المباريات مباراة شعرية نجح فيها الشاعر « حليم دموس » . وكان قد نزح إلى البرازيل ، وأقام فيها مدة ، ذاق خلالها مرارة الغربة وقسوتها ، وتعتبر قصيدة « حليم دموس » هذه من أجمل الصور التى رسمت عن الغربة والاغتراب ، ويقول فى مطلعها :

هجر الروض ، وعاف الثمره وليالى أنسه المزدهره
كان فى موطنه « معرفة » وهو فى الغربة أمسى « نكرة »

وربما كان الشاعر يعنى تلك الأيام الأوالى التى يصل فيها المهاجر إلى ديار الهجرة ، أو الأيام الأوالى التى بدأ فيها المهاجرون بالهجرة إلى ديار نائية عنهم ، وغير معروفة منهم .

وقصيدته هذه من أروع ماقيل فى المغتربين وعنهم ، فهى تصور واقعهم تصويراً صادقا دقيقا وهذه هى :

هجر الروض وعاف الثمره ... وليـالى أنسه المزدهره
ومضى يضرب فى آفاقها ... ولسان الدهر يروى خبره
ركب الأهوال سيراً وسرى ... نادبا تلك الربوع النضره
وهو لايدرى أيقضى لهفـا ... أم من الدرهم يقضى وطره
يلتقيه بين أشداق الردى ... والردى ينشب فيه ظفره
بحياتى هاجر مغترب ... غالب الدهر ولاقى عبره
كان فى موطنه « معرفة » ... وهو فى الغربة أمسى « نكره »
ألف الأسفـار حتى راضها ... واستذل البحر حتى حيره
وهو فى الفجر يناجى شمسه ... وهو فى الليل يناجى قمره
يحطم الكأس جناحيه كما ... تحطم الريح أعـولا نخره
قف على الشاطىء واشهد ساعة ... موقف التوديع وارسم صوره
وارسم البحر فكم سارت به ... سفن فى عرضه منتشره
تحمل القوم جموعا وعلى ... موجها أدمعهم منهمره
هجروا الأوطان فى محنتها ... لينجوا أمـة محتضره
بينما عقـدهم منتظم ... إذ تراه درراً منتثره
ما انتفـاع الأم من أبنائها ... إن تناءوا وهى عند المقبره
يرجـع الليث إلى غابته ... بعد أن يطوى الفيافى المقفره
وتغيب الطير عن أفراخها ... لتوافيهـا بأشهى ثمره
ويصان الدر فى أصدافه ... ثم يجلى كالدرارى النيره
هكذا النازح عن أوطانه ... يذكر الربع ويهوى أثره
رب أرض حسبت حنظلة ... وهى لو تسق لكانت سكره
وركاز تحت أطباق الثرى ... بات فى صدر الغوانى جوهره
وبلاد لو جفاها أهلها .. ... لاستحالت أمـة مقتدره

أدر الدفــــة ياربانها فالحمى حن إلى من هجره
قل لمن أثروا أعينوا وطنا يتعزى ببنيه البرره
أنتم الروح لجسم ناحل أنتم الماء لتلك الشجره

— ١٤ —

وهكذا عمل المغتربون فى كل حرفة ، وشقوا طريقهم المملوءة بالاشواك ببسالة وجرأة ، وعملوا باعة متجولين ، يحملون (الكشة) على ظهورهم ،وساروا بها بين القرى وشق المهاجرون طريقهم فى التجارة والصناعة والزراعة والطب والهندسة وفى الصحافة والإذاعة ، وعلى منابر الخطبة ، وفى الجامعات ؛ وظهروا بين كبار الأدباء والشعراء والمؤلفين وأئمة اللغة وحملة الثقافة ، كما ظهروا بين رجال السياسة وعلى مسرح الأحداث .

« وفى غير عاصمة من عواصم أمريكا الجنوبية كان يقال : كبير أساتذة علم الطب منا ، وعميد أقطاب فن الهندسة منا ، وهذا الموسيقى الموهوب ، وذاك الرسام الذى أثار بفنه إعجــاب النقاد . . وتقدير العلماء ، والأدباء جميعا (١) » .

وأسس المهاجرون الجمعيات والأندية ترافق سير تقدمهم ، وسير النهضة القومية فى وطنهم الأم .

ولقد (٢) لمع بين أبناء الجالية العربية فى أمريكا نوابغ موهوبون ، وعباقرة مجلون . وظهر بينهم مخترعون .

---

(١) ص ٤٢٤ مجلة العرفان ـ عدد ٤ م : ٥٢ ـ جمادى الثانية ١٣٨٤ هـ . من مقال لعبد الله حشيمة بعنوان « اغترابنا الثانى » ـ ويذكر صاحب المقال أن الدكتور جبرائيل طربية كان قريبا من كرسى رياسة جمهورية كولومبيا لولا وفاته .

(٢) ص ١٠ مجلة العرفان ـ كتاب المغتربون ـ عدد آذار ـ ١٩٦٤ م .

وفى طليعة هؤلاء العباقرة المرحوم « حسن كامل الصباح » . ولد فى النبطية بجبل عامل من لبنان . وهاجر إلى أمريكا ، وهو طفل . وتسنم ذرى العلم صغيراً . فأبدع ، وتفوق ، وجلى ، وحلق حتى وصل إلى قمة الشهرة .

وكان يطلق عليه لقب « اديسون الشرق » . أو « اديسون الصغير » . وسجل له أربعون اختراعاً ، وتحسيناً لاختراع . وهو أول من وضع تصميما لخزن أشعة الشمس ، وإضاءتها فى الليل ، واستخدامها فى الوقود .

وقد عرض عليه العمل بالاتحاد السوفياتى لقاء مائة ألف دولار سنوياً فاعتذر . وفضل عليه عرضاً متواضعاً من الملك فيصل للعمل فى العراق ، وتشييد مصنع يختزن أشعة الشمس فى النهار ، لتضىء فى الليل .

ولكنه توفى بحادث سيارة - وكانت حادثة غريبة ومريبة . واتجهت الظنون كلها نحو مؤامرة يهودية أعدت للتخلص منه . . وحينما شيع جثمانه من مرفأ نيويورك توقفت كل مصانع المدينة خمس دقائق حداداً .

وفى (مونتيفيدايو) عاصمة أورغواى لمع اسم مهندس من أصل عربى وسجل عدة براءات اختراع . ومنها اختراع يتعلق بقياس المسافات بواسطة آلة تحمل فى اليد .

وفى سان باولو المدينة الصناعية الكبرى فى البرازيل،والتى يقطنها أكثر من مائة وخمسين ألف عربى ، يقيم المهندس الشهير السيد ألبرتو رزق الله ابن السيد نجيب رزق الله من حلب وقد نجح فى إحدى عشرة مسابقة دولية وكان الناجح الأول فيها جميعاً ، وتقديراً لعبقريته ونبوغه ، وكلت إليه حكومة سان باولو إعداد تصميم لبناء جامعتها الكبرى ، التى أعدت لتستوعب أكثر من مائة ألف طالب .

ومن العباقرة المرموقين ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، الذين سجلوا اختراعات مهمة ومفيدة ، المهندس « جرير حداد » ابن « عبدالمسيح حداد »

الأديب المهجرى الشهير ، والمهندس جرير حداد هو الآن كبير مهندسى « شركة الآلات العالمية الحاسبة الكبرى » بنيويورك، ومرتبه السنوى ثمانون ألف دولار .. والآلات التى تنتجها هذه الشركة تؤجرها كلها للدوائر الرسمية ولا تبيع واحدة منها .

وثمة مخترعون نوابغ كثيرون ، فى مختلف الجمهوريات الأمريكية ، وخاصة الشمالية منها ، وقد كتب عن بعضهم الأستاذ سعيد عقل ، فى مجلة الصياد اللبنانية فصولا طويلة أشاد فيها بذكرهم ، واستعرض أسماءهم ، وتحدث عن اختراعاتهم ، والمجالات التى يعملون فيها .

وناهيك بالنوابغ الذين برزوا فى مختلف الحقول . . من طب ، ومحاماة وأعمال كثيرة لا حد لها . والذين يعجز هذا القلم ، وأى قلم آخر ، عن إحصائهم ، أو إحصاء أعمالهم وكشوفهم .

وصدق بدوى الجبل :

ماقل فينا النابغون وإنما عدد الالى قدروا النبوغ قليل

وممن نجحوا وأثروا من المهجريين بشارة عيسى معلوف اللبنانى ولد فى قرية كفر عقاب بلبنان فى ٢٥ مارس ١٨٨٧ وهاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٩ ، ومات فيها عام ١٩٥٢ ، وهو مخترع الرقاص المعروف الذى ينظف زجاج السيارات وبخاصة فى الأيام الماطرة ، وقد در عليه اختراعه أرباحا هائلة [١] .

— ١٥ —

وللأديب الحمصى المهجرى جميل شوحى الذى أقام فى عاصمة شيلى كتاب بالأسبانية عنوانه « ذكرى مهاجر » .

ومن أبناء المهجريين : جميل المنصور الحداد أحد أمراء الشعر البرازيلى، وديوانه باللغة البرازيلية « صلوات سوداء» مشهور وقد نال عليه جائزة المجمع

(١) ١٨٠ العصبة - نيسان ١٩٥٢ - مجلد ١٢ عدد ٢

العلمى البرازيلى(١)، وسلمون جورج السياسى البرازيلى، وماريو نعمة الكاتب الروائى البرازيلى، ونعيم أبو سمرة الكاتب الموهوب، وفؤاد نمر وله كتاب فى شوارد اللغة البرتغالية وصلتها باللغات الشرقية، وعلى الأخص العربية.

— ١٦ —

وللكاتب المهجرى موسى كريم بالبرازيل مجلة الشرق ، وقد ألف بالبورتغالية كتابا اسمه « شعراء وخلفاء » ، وكتب عنه الكاتب البرازيلى ميز رسلغادو نائب ولاية سان باولو يقول(٢) :

« عندما نتحدث عن المدنية العربية يتبادر إلى أذهاننا شىء أسطورى مدهش ولكنه لبعده يبدو كفردوس الله صعب المنال . ذلك أننا إذا استثنينا « ألف ليلة وليلة » لا نعرف مرجعاً أدبياً نستنطقه حقيقة ذلك العصر الذهبى من تاريخ الإنسانية . وإذا نحن فتشنا مكاتب أدبائنا لم نعثر إلا على نذر يسير من المؤلفات ذات الطابع العلمى أو ما لا يعدو الوصف السطحى « كجدول أسفار » لشاتوبريان و « رحلة فى الشرق » للامرتين أو ما هو أنضر مثل « حضارة العرب » لغوستاف لوبون .

ظهر محمد عليه السلام على مسرح الوجود يقود أتباعه المؤمنين وجنوده المدربين وكان من شأن دعوته أن وسعت آفاق عصره الضيقة، ونصب كارليل فى رواق أبطاله إحدى عشرة شخصية، وخص محمداً بفصل خالد اختتمه بهذه العبارات: « أمامنا شعب مكون من رعاة فقراء خاملى الذكر يهيمون منذ وجدوا فى المجاهل والقفار . ولكن قيض لهم بطل ونبى يأتيهم بشيراً فيؤمنون به ويشتهر أمرهم فى العالم بأسره، ويصبحون شعباً ذا أثر وخطر، حتى إنه فى فسحة مئة سنة قبض باليد الواحدة على غرناطة وبالأخرى على دلهى. وزاده نور العبقرية استشفافاً

---

(١) راجع مجلة العصبة الأندلسية عدد يناير (كانون الثانى) ١٩٤٩ (عدد ٧ من السنة ٩) .

(٢) مجلة المعرفة السورية – ١٩٦٤

وقيمة، وظل نجمه يسطع وينير جانباً كبيراً من المعمورة . ولا بدع فالإيمان يحيي وينمي، والأمة التي يعمر به قلبها تصبح ذات تاريخ، وكلما عبت من ينبوعه الفياض اجترحت العجائب وازدانت بالمكرمات . وكأنما بهؤلاء العرب وهذا الرجل محمد وتلك المئة من السنين صاعقة انقضت على ذلك الصقع فأشعلت رماله الدكناء كما يشتعل البارود وامتد اللهيب من دلهي إلى غرناطة ، وما أصدق القول : إن الرجل العظيم كالصاعقة تنقض من السماء وكأنما الناس حزمة من الحطب تتوقع نزولها لتتحول إلى نار آكلة » .

ذلك الشعب الذى كان حتى الأمس القريب أقرب إلى البربرية يشع من عينيه وهج الصحراء بدأ قلبه يعمر بالإيمان الذى يزحزح الجبال وأصبح على وشك أن يضع أسس إمبراطورية تمتد من الهند إلى أسبانيا وتقوم على أنقاض مجد الأعجام واليونان والرومان الداثر . وحيثما خفقت أعلام النبي ازدهاء بالنصر كانت تبدو أعجب ظواهر الكيان الإسلامى مؤذنة بسيادة المدنية الجديدة بقوة المبادىء القومية أكثر منها بقوة السلاح .

لقد أجمع علماء التاريخ والاجتماع على أن الشرق كان على مدار التاريخ طريق الفتوحات الكبرى الذى سلكه الفرس واليونان والرومان ، وفيه وقف نابليون مطاولا القرون الأربعين التى انقضت على بناء الأهرام ، ولكننا إذا فتشنا عن الآثار التى خلفها أولئك الفاتحون لنستدل منها على معتقداتهم ولغاتهم وفنونهم لم نعثر إلا على بضعة أطلال دارسة لا تعدو أن تكون طللا لا بكاء لماض دفين ، وبعكس ذلك فإن المدنية الإسلامية قد تركت أجل الآثار وأنطقها بكل مظاهر المدنية والتفوق فى العجم وتركية وسورية ومراكش والجزائر وتونس والمغرب حتى الهند ، وفى مصر الفراعنة الثابتة على الدهر التى لم تكتف بمقاومة النفوذ الإغريقى والرومانى بل فرضت على الفاتحين مدنيتها الخالدة ؛ نرى فى كل بقعة منها الآثار الناطقة بتفوق المدنية الإسلامية .

يقول اميل لودفيج : « إن الفتح العربى قد جلب معه إلى حوض المتوسط

مجرى فكرياً يترقرق فيه كل ماهو جميل وخلاب، وقد بلغ من شدة امتزاج الفرع بالأصل أن أصبح المجرى الأصلى فى بعض الأماكن طابع جديد ، ويقول لوبون : « ليس فى التاريخ مثل يحمل على الاعجاب كالمقدرة التى امتاز بها الشعب العربى » ، ويقول ليبرى : « لولا الفتح العربى لتأخر التقدم العلمى فى أوروبة عدة قرون » .

وإن المدنية الإسلامية فى آسيا الصغرى لتستطيع أن تفاخر وتستثير إعجاب المفكرين برمزين للعظمة الأسطورية هما : رجل ومدينة ، وأعنى بالرجل هارون الرشيد ، وبالمدينة بغداد .

ومما يقوله المؤرخ « حتى » : إنه فى مستهل القرن التاسع ساد المسرح العالمى عاهلان خطيران هما شارلمان فى الغرب وهارون فى الشرق ، ومامن شك فى أن هارون كان الأقوى ويسيطر على أمة أعلى كعباً فى مضمار الثقافة، بدليل أنه بينما كان الخلفاء يدرسون الفلسفة كان شارلمان ورجال بلاطه يتمرنون على كتابة أسمائهم ، وفى عهد هارون الرشيد (٧٠٦ — ٨٠٩) لم يكن قد انقضى على تأسيس بغداد أكثر من نحو نصف قرن، ومع ذلك ارتفعت من بقعة جرداء إلى مدينة ذات شأن عالمى وأهمية دولية حتى أصبحت المنافسة الوحيدة لبيزنطة . وكانت أبهتها مساوقة لتقدم الأمبراطورية التى ترأسها .

وإذا نحن أخذنا برأى الأديب الساخر برناردشو وهو أن تفوق الشعوب يقاس بمقدار ماتستنزفه من « الصابون » ، وعلمنا أن بغداد كانت فى ذلك العهد تضم واحداً وعشرين ألفاً من الحمامات ، تبدى لنا سكان تلك العاصمة الزاهرة فى مستوى فذ من الرقى الاجتماعى ، إذهم كانوا بعكس أكثرية الغربيين على صلة دائمة بالماء ، ولا بدع فقد آمنوا منذ حداثتهم بقول الرسول : « النظافة من الإيمان » .

لقد كانت بغداد عنوان الجمال الموشى ، أو حلماً فنياً حققته عبقرية

عنصر خلاق . ومما يروى أن واحدا من خلفائها هدد أحد أباطرة القسطنطينية بشن الحرب إذا هو أبى أن يبعث إليه أحد الرياضيين الذائعى الصيت . إن الهجرة العربية إلى أسبانيا ولت مكتنفة بذير من الذهب بهر لألاؤه الإنسانية ، فما كان أشبهها بنيزك اخترق الفضاء فى أفق غسق . ومن يتأمل لحظة صنيع الإسلام المدهش فى شبه الجزيرة القشتالية لايسعه إلا أن يشاطر تيوفيل غوتيه أسفه لتقلص ظل المغاربة عنها ، وهاك ماقاله ذلك المعلم : « إنى ماخلوت إلى نفسى مرة إلا أسفت لأن العرب لم يظلوا سادة أسبانيا إذ أنها بإجلائهم عن ربوعها منيت بخسارة لاتعوض » وهذا قول لاغلو فيه، بل هو محض اعتراف وجدانى بحقيقة تاريخية .

إن مدنية الفاتحين كانت دون جدال أرقى من مدنية السكان الأصليين ، وما كانت التيجان الخمسة والعشرون التى كان يعتز بها ملوك القوط عندما احتل الفاتحون طليطلة لتساوى مجتمعة فولاذ سيف موسى بن نصير، فحينما فتح أفريقية البربرية كلف المسلمين معارك طاحنة دامت خمسين عاماً فى حين أن إخضاع أسبانية تم لهم فى بضعة أشهر .

على أن موسى كريم قد اقتادنا وسرح أبصارنا فى ذلك « البستان المقفول » الذى كان إلى عهد قريب المدنية العربية التى نسمع بها وتختفى عنا حقيقتها ، وقد استطاع هذا المواطن أن يضطلع بخدمة ممتازة لم يسبق للثقافة البرازيلية أن حظيت بمثلها فكل كتاب أصدره كان فتحاً جديداً ، إنه لايألو جهداً فى إطلاعنا على كل طريف معجب فاتحا لنا آفاقا جديدة نطل منها على الفن والجمال اللذين كانا دفينين فى زوايا النسيان والجهل .

لقد أزاح موسى كريم الستار عن الشرق ، وأظهر لنا عالماً عجيبا ، حتى ليمكن القول أنه قد كشف بشكل فذ عن أولئك الأمراء العظام فى دمشق الذين كان يروقهم أن ينثروا على حشود المؤمنين قبضات من الدنانير .

وفى الصورة التى يرسمها موسى كريم عن المتنبى هذا الشاعر الفذ دليل قاطع على قوة أسلوبه وبراعته فى رسم الخطوط الرئيسية من ملامح الأدباء ، حتى إن شخصية المتنبى كرجل وشاعر لتبدو لنا حية متوثبة، وبالأسلوب عينه يرسم لنا موسى بقية الشخصيات ، ومن بينها المعرى الشاعر الفيلسوف وهارون الرشيد الخليفة العظيم وأبو نواس شاعر الخمريات وابن بطوطة ملك الرحالين وابن خلدون السابق والمجلى فى علم الاجتماع .

فى (شعراء وخلفاء) درس جليل يبدو لنا فيه موسى كريم عالما ومحللا لمشكلة من أكثر المشاكل الأدبية إغراء فى زماننا هذا ، وهى تأثير القرآن فى أسلوب دانتى فى رائعته (الكوميديا الإلهية) ، وإن من يقرأ فصل (محمد ودانتى) لا يسعه إلا أن يجزم بأنه أفضل ما كتب فى هذا الموضوع ، فلنحى إذاً فى شخص موسى كريم أول مستعرب بين كتابنا الوطنيين ، بل أمير الأدب البرازيلى .

ما الذى كان فى لغتنا القومية عن الثقافة العربية حتى طلع علينا هذا الكاتب المجيد بقسطه من الجهاد الأدبى ؟ لا شىء .

— ١٧ —

ويقول عبد اللطيف اليونس فى كتابه « المغتربون »[1] :

لا يوجد مجلس نيابى، فى جمهوريات أمريكا الجنوبية والوسطى، إلا ويوجد فى سجلاته قرار شكر من شعب تلك البلاد ، للجالية العربية التى تقيم فيها ، وقد تقدم اثنان وعشرون نائباً برازيلياً — فى ولاية سان باولو — باقتراح لمجلس النواب فى ٣ كانون الأول سنة ١٩١٧ لاتخاذ قرار بشكر السوريين على موقفهم من البرازيل هذا نصه :

---

(١) ص ٩٨٣ مجلة العرفان — آذار ١٩٦٤

١ — نظراً إلى ما أبدته الجالية السورية من العطف على البرازيل ، دون أن تكون لها مصلحة مباشرة فى الحرب الدائرة إذ ذاك .. وإعرابها عن ذلك العطف الجميل ، بمظاهر التضامن التى وجدت صداها المستجيب فى قلب كل برازيلى يخفق بحب الوطن .. ولم يقف هذا المجموع الأجنبى النشيط عند هذا الحد ، بل تعداه باندفاع ذاتى غير منتظر للتبرع بمبلغ طائل لجمعية الصليب الأحمر البرزايلى .

٢ — إن هذه الجالية العاملة النشيطة من سنين طويلة ، فى سبيل ترقية البرازيل ، قد أبرقت إلى رئيس الجمهورية مبدية تضامنها وشعورها النبيل نحو بلادنا ، واستعدادها لنصرتها ، بكل مالديها من الوسائل . فهى إذن عنصر حيوى يرجى فى الملمات ، ويعول عليه فى مضمار التآخى الإنسانى ، فى زمن نحن أحوج ما نكون فيه إلى تمحيص النيات ، والتمييز بين صحيحها وفاسدها .

٣ — إن أفرادها ، وقد ولدوا فى بلاد قصية ، أتوا الآن يقيمون لنا الدليل ، بالقول والفعل ، على انضمامهم إلى صفوفنا ، وتأييدهم قضيتنا كوطنيين لاغش فيهم . وهم يفاخرون بوطنهم الثانى هذا ، ويبدون على شكل أخاذ تعاونهم مع أبنائه .

٤ — قد سبق لهذا المجموع أن وحد صفوفه للاشتراك فى ذكرى مائة عام على استقلال البرازيل ، فأصدر طوابع تذكارية عم اقتناؤها بين طبقاتهم على اختلافها ، مما يثبت وحدة القصد والإجماع ، وسيؤدى حتما إلى تحقيق الفكرة النبيلة ، وهى جمع مبلغ طائل لإقامة تمثال يشير برموزه إلى هذا الحدث التاريخى العظيم .. لذلك نقترح اتخاذ القرار الآتى :

« إن ندوة النواب السانباولية تسجل بالتأثر العميق ، مظاهر العطف والتضامن التى اندفعت إلى إبدائها الجالية السورية ، بمجموعها المقيم فى جميع أنحاء هذه الولاية نحو البرازيل فى هذا الوقت التاريخى العصيب » ؛ وبعد

مناقشة اشترك فيها أكثر النواب ، مشيدين بمواقف الجالية إشادة كبرى ، وافق المجلس على هذا الاقتراح بالإجماع .

وذكر «توفيق ضعون» في كتابه : «ذكرى الهجرة[١]» ، أنه بمناسبة ماقام به السوريون من مظاهر التضامن مع البرازيل على ماتقدم بيانه ، وعلى الأخص لتبرعهم بمبالغ طائلة لجمعية الصليب الأحمر البرازيلي ، رأى مجلس الكشافة الأعلى ، الذي كان يرأسه إذذاك «الدكتور جوزة كارلوس ي ماسيدوسوارس» وقد شغل فيما بعد مناصب عالية كالسفارة وحاكمية هذه الولاية ، أن يقيم لهم مظاهرة تكريمية تعرب عن امتنان هذه البلاد لجهادهم في سبيل هنائها وإسعادها . نضرب لهم موعدا يزيدها أبهة وجلالا ، ويهيء سبيل الاشتراك فيها لأكبر عدد ممكن من سكان هذه الحاضرة والداخليات . ولا غرو فقد اختار لإقامتها السابع من أيلول ، وهو اليوم المجيد الذي تحتفل فيه الأمة البرازيلية بعيد استقلالها الوطني . ووضع لها مسارا رائعاً أكسبها صفة مهرجان قومي منقطع النظير .

لقد قدمت الجالية العربية في البرازيل ، إبان الحرب العالمية الثانية ، اثنتين وستين طائرة هدية إلى الجيش البرازيلي ، وفي الحفل الذي أقيم في العاصمة «ريو دي جانيرو» بهذه المناسبة خطب وزير خارجية البرازيل الدكتور «ازفالدوا أرانيا» خطبة جامعة عدد فيها مآثر العرب ، وأياديهم على البرازيل . وأشاد بمواقفهم المشرفة لازدهار البرازيل وتقدمها ، ومما قاله الوزير في تلك الخطبة التاريخية الخالدة النفيسة ، ما يعتبر وحده سجلا ذهبياً لحياة المغتربين في أمريكا . . وفصلا مشعاً من تاريخ كفاحهم ونضالهم .

— ١٨ —

ويتحدث عبد اللطيف اليونس عن «مستقبل المغتربين» في كتابه «المغتربون»[٢] فيقول :

---

(١) ص ٩٨ و ٩٩ (٢) ص ١٠٤٦ مجلة العرفان آذار ١٩٦٤ من كتاب «المغتربون» لعبد اللطيف اليونس .

المغتربون يذوبون تدريجياً فى المحيط الأجنبى ، وينصهرون فى بوتقته الجبارة الرهيبة ، وهم لايستطيعون بإمكانياتهم وحدها أن يقاوموا تيار الزمن ، ولا أن يحولوا دون سيره المطرد الحثيث . يتزوج المغترب ، وينجب أطفالا ، يصبحون بحكم القوانين المرعية من أبناء البلاد التى ولدوا فيها ، يحملون جنسيتها ، ويسجلون بين أفراد رعيتها ، وينشأ هؤلاء وهم يجهلون اللغة العربية ، وقد يكونون تواقين لمعرفتها ، وقد يكون آباؤهم أكثر توقاً منهم ، وأكثر اهتماماً ، ولكن لا الآباء يبذلون جهداً لتعليمهم اللغة العربية ، ولا الأبناء يعرفون الطريق السوى .

واللغة العربية من اللغات الصعبة ، العسير تعلمها والنطق بها ، فلايستطيع الطفل أن يتعلم بدون مواظبة وجهد ، وحرص تام ، وبرنامج دقيق وهذا لايتم إلا عن أحد طريقين ، أو عنهما معاً : المدرسة ، والبيت . أما المدرسة فهى غير متوفرة فى المهجر — إلا فى مناطق قليلة كالأرجنتين ، والبرازيل ، والمكسيك .

فى « سان باولو » ، وهى عاصمة المغتربين الأولى ، يوجد مايربى على مائة ألف مغترب عربى ، لهم الوجاهة الأولى ، أدبياً ومادياً فى الأمريكتين: الشمالية والجنوبية ، وكان من البدهى أن تنمو فكرة الدفاع عن مستقبل اللغة العربية فيها . فأنشأ « الياس اليازجى » معهداً لتعليم اللغة العربية إلى جانب اللغات الأخرى ، وكانت جهوده فردية بحتة . لافضل لهيئة رسمية عليها ، ولا دخل لها بها ، وقد توفى هـــذا الأستاذ المربى ، وما يزال أبناؤه من بعده يرعون هذا المعهد ، وينهضون بهذا العبء ، ويؤدون لأمتهم خدمة كبرى ، لاتعادلها خدمة ، ولا يقابلها صنيع ، ويجدون أقوى نصير لهم فى قريبهم « يوسف اليازجى » ، صاحب المواقف الوطنية المشهورة ، والنضال الخير المنتج .

وقد أحدثت مدارس عدة لتعليم اللغة العربية ، ثم اضطر القائمون عليها

لإغلاقها بعدما رأوا من إحجام أبناء الجالية عن الانتساب إليها ، أوالتهافت على التعلم بها .

وفى « الأرجنتين » بضع مدارس مبعثرة هنا وهناك : فى العاصمة ، وفى توكومان ، ومندوسا ، وغيرها ، يقوم على تعليم اللغة العربية فيها بعض المغتربين الذين لاعمل آخر لهم .

ويوجد فى بعض الجمهوريات الأخرى مدارس بهذه القلة ، وهذه الندرة ، ولكنها كلها لاتؤدى مهمتها على الوجه المطلوب ، حتى ولا على جزء ضئيل منه ، إذ ليس فيها مايشوق الطالب ، ولا مايرغب أهله بإرساله إليها — من حيث التهيئة والتنسيق ، ومن حيث طريقة التعليم نفسها ، رغم جهود القائمين عليها ، الذين يجب أن نذكرهم ونشكرهم ، ونثنى أطيب الثناء على دأبهم ، ونضالهم ، وإخلاصهم .

هذه المدارس كلها - ولعل من الجرأة النادرة أن نعترف بأنه يوجد فى أمريكا مدارس عربية - لاتستوعب من أبناء الجالية العربية إلا واحداً فى الألف أو أقل من ذلك . ولا يرتادها عادة إلا بعض فقراء الجالية ، وبعض متوسطى الحال فيها ، وهى لاتعدو تعليم بعض المبادىء الأولية من اللغة . ومنها المدارس الليلية المجانية التى أنشأها الدكتور « عارف سلامة » فى « سان باولو » ؛ وحتى هذه المدارس ، رغم قلتها وندرتها ، فإنها فى طريق الزوال والاندثار ، لأنها تفتقر إلى جهود الحكومات فى الوطن ، أو الجمعيات والأندية فى المهجر ، وليس ثمة مايشجع على الثقة بأن هذا قد حصل ، أو أن الهيئات المسؤولة مهتمة به ! وكم هو مؤلم ومؤسف ، وجارح للكرامة الأدبية ، والعزة القومية ، أن يكون أبناء الشعراء والأدباء العرب ، فى المهجر ، لايفقهون شيئاً من شعر آبائهم ، ولا يحسنون قراءة أدبهم ، وإذا قرىء لهم شىء منه فإنهم لايعرفون معناه إلا إذا ترجم لهم ، ! كم هو مؤلم ومؤسف أن يحمل ابن الشاعر الكبير المعروف « إلياس فرحات » قصيدة لوالده ، ويطلب إلى بعض

المغتربين الذين يجيدون اللغتين العربية والبرتغالية أن يترجموها له حتى يستطيع حفظها ؛ وكم هو مؤسف ومؤلم أن يكون ابن الشاعر النابغة « شفيق معلوف » شاعراً باللغة البرتغالية ، وأبوه من كبار شعراء العربية ! وهو لا يفهم شيئا من شعر والده إلا إذا ترجمته والدته التي تحفظ شعر زوجها العبقري كله ، والتي تجيد اللغتين العربية والبرتغالية إجادة تامة .

إيليا أبو ماضي ، وإلياس فرحات ، وشفيق معلوف وغيرهم كثيرون ، يجهل أبناؤهم اللغة العربية جهلا تاما ! وهم لا يستطيعون قراءة بيت واحد من شعر آبائهم الخالد ، إلا إذا ترجم لهم ! أربعون سنة أو خمسون ، لا أكثر . وينتهي كل شيء ! ويطفو الموج على كنز عامر بالأخلاق والأريحية ، والمروءة والعبقرية ، ويصبح المغتربون في أمريكا « ماضيا » وتصبح حقيقتهم خيالا ! وواقعهم ذكرى ! وتفقد سورية ربع سكانها عدداً ، وما يعادل كل سكانها قيمة وثروة ! وتربح بلدان أجنبية طاقة عربية ضخمة بسبب الإهمال .

إن المغتربين العرب ، المنتشرين في أمريكا وسائر أنحاء الدنيا ، يشكلون ثروة ضخمة للأمة العربية لا تعادلها ثروة ، ولا تحاكيها أو تضاهيها . وعندها كل المؤهلات لأداء الرسالة والنهوض بالأعباء ، وتحمل التبعات والمسؤليات. وليس علينا إلا أن نوجهها ، وأن نعرف كيف نوجهها ، ونوحد صفوفها ، ونفيد من خبرتها وقدرتها ، ومواهبها وإمكانياتها ولا يتطلب منا ذلك كبير جهد ، ولا كبير عناء . وإنما هي خطة ترسم ، وبرنامج يهيأ ، وتصميم يعد ، واقدام بلا حذر ، وعمل بلا توان ، وجد بلا تهاون ، وتأتي بعد ذلك الثمار ، ويحين القطاف .

نشأة الأدب المهجرى

كيف نشأ الأدب المهجرى

— ١ —

نقل المهاجرون من العالم العربى — كما رأينا — الآداب العربية إلى المهاجر الأمريكية فى الشمال والجنوب ، فبانتقالهم من أوطانهم انتقلت معهم لغتهم وثقافاتها وتراثها وآدابها ، والأديب العربى الذى فارق وطنه ، وعاش فى أرض العالم الجديد ، لايمكنه أن يتخلى عن موهبته ، كما لايمكن للنسر أن يترك التحليق فى الأجواء عندما ينتقل من مكان إلى مكان ، إنه لابد له من الشدو والتغريد ، كما يغرد الهزار إذا فارق جوه الذى نشأ فيه وعاش فى جو آخر غيره ، وكما يزأر الأسد إذا انتقل من عرينه إلى عرين آخر ، ومن غابه إلى غاب جديد ... إن الأدب ملكة لاتتخلى عن الأديب ، ولايستطيع الأديب أن يعيش بدونها .

وهكذا كان المهجريون ، فبعد أن استراحوا من أعباء السفر ، ومشقة الهجرة ، واستقروا فى حياتهم الجديدة بعض الاستقرار ، بدأوا يكتبون الأدب ، وينشئون النثر ، وينظمون الشعر ، كما كانوا فى بلادهم ، وأخذت تظهر بوادر الحياة الأدبية العربية فى المهاجر بين المهاجرين ، وساعد على ظهورها حاجة المغترب إلى التنفيس عن نفسه بإطلاق الحرية لموهبته الأدبية ، وإحساسه بالحنين الجارف إلى وطنه ، ومسارح ذكرياته ، ومواطن أهله وأحبابه وأترابه ؛ والحنين إلى الوطن يثير الموهبة ، ويغذى المشاعر ، ويذكى العواطف ، ويثير الشاعرية .

وهذا الأدب العربى الذى كتب فى المهجر هو الذى سمى « الأدب المهجرى » ، والذى صار مدرسة ضخمة من مدارس الآداب العربية المعاصرة ..

ويطلق الدكتور مندور على الأدب المهجرى لقب « الأدب المهموس » لأنه يقع فى النفس موقع الأسرار التى يتهامس بها الناس ، وكلمة الهمس فى رأيه هى إحساس بالأدب المصنوع من الحياة كأنه قطعة منها .

ويقول جورج صيدح : طبعت شمس الغرب ألوانها على أوراقه «الأدب المهجرى»..أما لبه فيحيا على إشعاع الشرق ، وقلبه يختلج بنسمات الصحراء[1] ؛ ويجعل الموهبة الفطرية لا الثقافة هى مفتاح السر فى تفوق أدب المهجر ، مع الجد والاجتهاد والتأمل العميق[2] .

وقد نستطيع أن نقول إن الأدباء المهجريين تأثروا بالمدارس الشعرية الجديدة فى العالم العربى ، ومن بينها :

١ — مدرسة الكلاسيكية الجديدة ممثلة فى شعر شوقى وحافظ ومحرم والرصافى والزهاوى .

٢ — مدرسة مطران التجديدية الإبداعية فى الشعر الحديث ، واتجاهها رومانسى ، وهى مدرسة تتحرر من قيود التقاليد الأدبية واللغوية ، وترى الشعر تعبيراً عن ذات الشاعر ، وموهبة خـــلاقة تشعر بنفسها وبالحياة شعوراً عميقا[3] .

٣ — مدرسة شعراء الديوان : شكرى والمازنى والعقاد واتجاهها أيضا رومانسى ، وإن كانت لها نزعات رمزية وواقعية ، والصلة بين هذه المدرسة وبين مؤلف كتاب الغربال ، وهو ميخائيل نعيمة ، واضحة ، فقد قدم العقاد لهذا الكتاب ، ووافق النعيمى فى دعوته إلى التجديد ، وفى أفكاره التجديدية .

---

(١) ٥١ أدبنا وأدباؤنا طبعة ثالثة ـ بيروت .

(٢) صـ ٩٨ المرجع .

(٣) راجع مذهب مطران الشعرى فى كتابى : رائد الشعر الحديث الجزء الأول ، وكتابى مذاهب الأدب ، وكتابى قصة الأدب المعاصر الجزء الثالث .

٤ — مدرسة شعراء أبولو ، التى قامت عام ١٩٣٢ ، ومن غير ريب وجدت صلات فنية وفكرية بين هذه المدرسة وبين شعراء المهجر ، وحين فكر أبو شادى فى الهجرة من وطنه مصر عام ١٩٤٦ ، فكر فى المهجر الأمريكى الذى يقيم فيه أعلام الشعراء المهجريين ، ويمم وجهه شطر نيويورك، وفيها فحول المهجريين ورواده‍م .

٥ — مدرسة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات ، وقد كان لها كذلك صلاتها بشعراء المهجر ، وتأثيراتها الأدبية فيهم؛ وهى كلاسيكية المذهب ..

هذا إلى جانب تأثرهم بالحركات الفكرية والأدبيـــة ، فى سوريا ولبنان — الوطن الأم — وبالأدب الغربى وبخاصة الإنجليزى والأمريكى والأسبانى الذين عاشوا فى تياراته فى المهاجر الأمريكية ، وتأثروا بأفكاره وأخيلته وموضوعاته ؛ وطعموا أدبهم وشعرهم بموسيقى جديدة ، وبفلسفة ذاتية استمدوها من تجاربهم وحياتهم وروحهم ؛ يقول أبو ماضى فى قصيدته « فى القفر » :

سئمت نفسى الحياة مع النا ... س وملت حتى من الأحباب
وتمشت فيها الملالة حتى ... ضجرت من طعامهم والشراب
ومن الكذب لابساً بردة الصـ ... ـدق وهذا مسربلا بالكذاب
ومن القبح فى نقاب جميل ... ومن الحسن تحت ألف نقاب
ومن العابدين كل إله ... ومن الكافرين بالأرباب
ومن الواقفين كالأنصاب ... ومن الساجدين للأنصاب
ومن الراكبين خيل المعالى ... ومن الراكبين خيل التصابى
والألى يصمتون صمت الأفاعى ... والألى يهزجون هزج الذباب
صغرت حكمة الشيوخ لديها ... واستخفت بكل ما للشباب
قالت : اخرج من المدينة للقفـ ... ـر ففيه النجاة من أوصابى
وليك الليل راهبى ، وشموعى الشـ ... ـهب ، والأرض كلها محرابى

وكتابى الفضاء أقرأ فيه سوراً ماقرأتها فى كتاب
وصلاتى الذى تقول السواقى وغنائى صوت الصبا فى الغاب
وكئوسى الأوراق ألقت عليها الشـ
ـمس ذوب النضار عند الغياب
ورحيقى ماسال من مقلة الفجـ ـر على العشب كاللجين المذاب
ولتكحل يد السماء جفونى ولتعانق أحلامها أهدابى
وليقبل فم الصباح جبينى وليعطر أريجه جلبابى
ولأكن كالغراب رزقى فى الحقـ ـل وفى السفح مجثمى واضطرابى
ساعة فى الخلاء خير من الأعـ ـوام تقضى فى القصر والأحقاب
يالنفسى فإنها فتنتنى بالحديث المنمق الخلاب
فإذا بى أقلى القصور وسكا نها وأهل القصور ذات القباب
فهجرت العمران تنفض كفى عن ردائى غباره وإهابى
وتركت الحمى وسرت وإيا ها وقد ذهب الأصيل الروابى
نهتدى بالضحى فإن عسعس الليـ
ـل جعلنا الدليل ضوء الشهاب
وقضينا فى الغاب وقتاً جميلا فى جوار الغدران والأعشاب
تارة فى ملاءة من شعاع تارة فى ملاءة من ضباب
تارة كالنسيم نمرح فى الو دى وطوراً كالجدول المنساب
فى سفوح الهضاب والظل فيها ومع النور وهو فوق الهضاب
إنما نفسى التى ملت العمـ
ـران ملت فى الغاب صمت الغاب
فأنا فيه مستقل طليق وكأنى أدب فى سرداب !
علمتنى الحياة فى القفر أنى أينما كنت ساكن فى التراب
وسأبقى مادمت فى قفص الصلـ ـصال عبد المنى أسير الرغاب
خلت أنى فى القفر أصبحت وحدى فإذا الناس كلهم فى ثيابى . .

فنجد أصداء كثيرة لفلسفات عدة ، بعضها ينبع من تيار شرقى قديم ، وخاصة من تفكير أبى العلاء ، وبعضها ينبع من تيار غربى جديد ، وبعضها ذاتى محض ؛ وقد يمكننا أن نحلل ذلك كله فى بعض الفصول الآتية .

— ٢ —

ولقد عاش المهاجرون جماعات يكونون جاليات عربية فى كثير من مدن المهاجر الأمريكية ، ومن بينها : مونتريال ونيويورك وبوسطن ، ودترويت ، وفيلادلفيا ، وواشنطون ، وسان باولو ، وريو دى جانيرو ، وبونس آيرس ، وبعض المدن فى فنزويلا وشيلى .

وأدباء الجنوب فى البرازيل والأرجنتين كانوا أكثر محافظة على الديباجة العربية البليغة وأكثر احتراما لقواعد اللغة والعروض من زملائهم فى الشمال(١) .

وفى طليعة المهجريين الشعراء فى الولايات المتحدة من الشيوخ : أمين الريحانى وجبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب وندرة حداد ورزق حداد ، وأسعد رستم ، ونعمة ، الحاج ، وإيليا أبو ماضى ونعيمة أيوب ؛ ومن الشباب : يوسف الخال وسعيد جبرين وصفية أبو شادى . . وعلى رأس كتابها وأدبائها الشيوخ : أديب نعيم ليون وعبد المسيح حداد وجميل بطرس الحلوة . .

ومن مشاهير كتابها وأدبائها المخضرمين : فكتوريا طنوس وجورج ديس ، وعيسى خليل صباغ ، وعبد الله حنا نصر ، وحبيب عيسى ، ونجلا أبو اللمع معلوف ، ، وفيليب العقل ، وفريد غصين . . ومن أدبائها من الجيل الجديد : عبد الله صالح وإبراهيم داغر وعباس نصر الله وليندا كرم .

---

(١) ٣٨٥ أدبنا وأدباؤنا طبعة ثالثة .

وقد انضم الشاعر المصرى الكبير الدكتور أحمد زكى أبو شادى إلى شعراء وأدباء المهجر فى الولايات المتحدة بعد هجرته إلى نيويورك عام ١٩٤٦ م.

ومن أعلام الأدباء والشعراء فى كندا : محمد مسعود (١) .

ومن أدباء المهجر الشمالى عموما : نعمة الحاج ، وأسعد رستم وحبيب إبراهيم كاتبه ، وفيليب حتى ، وقيصر وحيد ، وعيسى خليل الصباع ، ونعوم مكرزل صاحب جريدة الهدى ، وسلوم مكرزل ، ونجيب دياب صاحب « مرآة الغرب » ، وراجى الضاهر مؤسس جريدة البيان .

ومن أعلام الأدباء والشعراء فى المهجر الجنوبى : جورج صيدح ، ورشيد سليم الخورى (الشاعر القروى) ونظير زيتون ، وميشال معلوف ، وشفيق معلوف ، ورياض معلوف ، وفوزى معلوف ، إلياس فرحات ، إلياس قنصل ، زكى قنصل ، نعمة قازان ، شكر الله الجر ، وحبيب مسعود (٢) ، وتوفيق ضعون (٣) ، وقيصر سليم الخورى ، وجورج حسون المعلوف ، ونصر سمعان ، وداود شكور ، وسواهم .

---

(١) راجع ٧١٢ - ٧١٤ - « أدبنا وأدباؤنا » لصيدح طبعة ثالثة .

(٢) تولى عام ١٩١٨ رياسة تحرير جريدة النهضة اللبنانية ، وفى عام ١٩٢١ أصدر هو وصهره شبل مسعود كتاب : « جبران حيا وميتا » ثم تولى رياسة تحرير مجلة العصبة الأندلسية .

(٣) ولد عام ١٨٨٣ م فى لبنان ، ودرس فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وعمل فى السودان فى التجارة فترة ، وهاجر عام ١٩١٥ إلى سان باولو وأقام فيها ، وإن كان قد رحل بين عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٧ إلى شيلى ثم غادرها إلى سان باولو التى اشتغل فيها مدرسا للغة العربية فى المدرسة الانجليزية البرازيلية ، واشترك فى العصبة الأندلسية ، ومن قبل فى إصدار جريدة الجديد ، وأخرج عام ١٩٢٢ ، كتابه « مختارات » ، وكتابه « سيرة حياتى » مشهور وقد طبع عام ١٩٣٢ ، وفى عام ١٩٤٥ أصدر كتابه « ذكرى الهجرة » فى سان باولو بالبرازيل .

ومنهم كذلك : عقل الجر شقيق الشاعر شكر الله الجر ، وإلياس طعيمة، ومحمود شريف(١) ، وهو مصرى وموسى كريم ، وعبد اللطيف الخشن، ومريانا دعبول فاخورى ، وقيصر المعلوف ، وقد كون فى أوائل القرن العشرين ندوة أدبية سماها « رواق المعرى » ، وأنطون شكور، وخليل سعادة صاحب معجم سعادة ، ورشيد عطية ، وفارس دبغى، وموسى الحداد ، وأسد موسى ، وسعيد اليازجى ، وغيرهم .

ومن أدباء الأرجنتين وشعرائها وصحفييها الأحياء منهم والأموات : يوسف الصارمى ، حسنى عبد الملك ، جبران مسوح ، إلياس قنصل ، زكى قنصل ، موسى عزيزة ، أمين قسطنطين ، عبد اللطيف الخشن ، يوسف الغريب، يوسف العيد ، غانم ياسين ، سليم أبو صالح ، عبد اللطيف ياسين ، محمود عبد الهادى ، الدكتور جورج صوايا ، توفيق شماس ، جوان نادر ، يوسف كمال ، ملاتيوس خورى ، محمد ياسين ، جورج سيف ، خالد أديب ، سعيد بدران ، سليم مفرج ، خليل نبوت ، قاسم عبدالله ، على محمد معروف ، محمد محمود رمضان ، جميل رزق سلوم ، يعقوب غطاس ، خليل نادر ، أولغا وزان ، إلياس ريشا ، نديم عبود ، ميخائيل أورفلى ، ميشال حلو ، نعمة النعمة ، روفائيل يافث .

ومن المهاجرين: محبوب الخورى الشرتونى بالمكسيك، والسيدة مارى ينى عطا الله صاحبة مجلة مينرفا الشهيرة والتى يعود لها الفضل الأكبر فى تطور

---

(١) هو أديب مهجرى هاجر من مصر ، وتعرف بنعمة قازان وأعجب به وكتب كتابا عنه سماه (ثورة قازان فى معلقة الأرز) ، دافع فيه عن قازان ، ورفع من منزلته وشاعريته ؛ وهو وأبو شادى من الأدباء المصريين الذى هاجروا إلى أرض العالم الجديد؛ ويذكر عبد اللطيف اليونس فى كتابه المغتربون (ص١١٢٧ مجلة العرفان عام ١٩٦٤) اسم أديب مصرى ثالث كان يعيش فى الأرجنتين وهو سيف الدين رحال .

النهضة الأدبية في بلاد شيلي ، وإرساء القضية العربية على قواعد مكينة وركائز متينة ، وجميل شوحي الذى انتخب رئيساً لجمعية الكتاب التشيلانيين سنة ١٩٥٢ ، وله بضعة عشر مؤلفاً باللغتين : العربية والأسبانية .

ومن المهجريين في المكسيك ، حيث ازدهرت نهضة أدبية رائعة لفترة غير قصيرة : خليل ضاهر ، يوسف صالح الحلو ، فريد سليم ، داود مجاعص ، داود الشرتوني ، خليل نصر ، إليـــاس ملحم زخريا ، سمعان عويس ، ناصيف الفضل .

وفي شيلي : توفيق بالش . جورج حزبون ، نصر الله مسوح ، فهد إبراهيم ، وحيد شاوربه ، جان زلافظ ، جرجس أبو صباح الذى زار الوطن مؤخراً وترك في نفوس من اجتمع بهم أجمل الأثر وأحسن الذكريات .

وفي بوليفيا : جورج كعدى .

وفي أورغواى : ليلى نفاع ، نسيمة نصر ، جبران قطان ، سليمان عقيق ، ميشال نعمة .

وفي كوبا : شكرى بعقليني .

وقد أصدر يوسف الخورى والسيدة قرينته في البرازيل ترجمة كاملة لمقدمة ابن خلدون باللغة البرازيلية في ثلاثة أجزاء ضخمة واستغرق إنجازها أربعين عاما .

* * *

ويقول عبد اللطيف اليونس في كتابه « المغتربون » :

ليس في الأدب العربي ، قديمه وحديثه ، أسمى من الأدب المهجرى ، ولا آنق ، ولا أحلى . وليس في الأدب العربي كالأدب المهجرى : وحدة رسالة ، ووحدة هدف ، ووحدة اتجاه . .

والأدب المهجرى يمتاز بروحانيته الصافية في الشمال ، وبوطنيته الصارخة

فى الجنوب ، وبتصويره الأنيق الدقيق ، وحسه المرهف المترف ، فى كل من الشمال والجنوب .

لقد نحا أدب « الرابطة القلمية » فى الشمال ، منحى إنسانياً صافياً ، تجلبب بجلباب روحانية سامية صافية .

وكما أن أدب الشمال ، على روحانيته وإنسانيته ، لم يهمل الواجب الوطنى ، والنزعة القومية ، فكذلك أدب الجنوب ، على واقعيته وجديته وثوريته ، لم يهمل الناحية الإنسانية والروحانية ، فالدكتور «جورج قدوم» فى اكوادور صنو لميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران ، مع فارق قليل فى الأداء والاتجاه .

وكلا الأدبين فى أمريكا الشمالية والجنوبية كان يصدر عن نبعة واحدة، وعاطفة واحدة ، وواقع اجتماعى شديد الشبه بواقع الآخر .

ويبقى — مع ذلك — لكل من الأدبين طابعه المميز ، ولحمته الخاصة وسداه .

وبالرغم من أن الأدباء المهجريين عاشوا فى بقاع نائية عن وطنهم ، وفى مجتمع تختلف عاداته وتقاليده عن عادات قومهم ، وتقاليد بلادهم ، فانهم بتصورهم وتصويرهم كانوا يتأثرون إلى حد بعيد بالموحيات من شعارات أمتهم وتراث قوميتهم .

وإذا كانت ميزة الأديب على سواه ، أنه ذو إحساس دقيق ، وعاطفة رقيقة ، وأن حساسيته تتأثر بأكثر الأشياء دقة ، وتؤثر فى أكثر الأشياء صلابة ، فإن ميزة الأديب المهجرى أنه حمل فى قلبه لهباً متقداً ، من جذوة متقدة ، وذهب إلى عالم جديد ، ودنيا جديدة ، فجعل من اللهب بركاناً ثائراً ، ونبراساً مشعاً ، وأرسل عبر البحار شعاعاً من نور فكره ،

ونور روحه ، وقبساً من إشعاع قلبه ، وإشعاع وجدانه ، فإذا به ينير أمام إخوانه السبل ، ويزيح من دروبهم العقبات والعثرات ، ويعيش معهم أيام المحن ، وأوقات الشدة ، ويحمل عنهم كثيراً من الأعباء والتبعات ، كما يقول « بدوى الجبل » :

وأحمل عن إخواني العسر هانئاً
ويبعدني عنهم إذا أيسروا اليسر

— ٣ —

ولقد أذكى ظهور الأدب المهجري عوامل كثيرة منها : الجماعات الأدبية، والنوادي ، والندوات ، والصحافة ، والطباعة .

وسنتحدث عن كل ذلك بالتفصيل .

الجماعات الأدبية العربية فى المهجر

يبدأ المهاجرون العرب فى المهجر الأمريكى الشمالى والجنوبى عادة بتأسيس مدرسة عربية لتعليم أولادهم، ثم بتكوين جمعيات دينية [1] وخيرية تتولى المعاونة والرعاية لكل محتاج إليهما وخاصة فى ميدان الخير ..

وقد أنشأوا كذلك جمعيات أدبية ، كان لبعضها من الشهرة والذيوع والأثر الأدبى ماخلد اسمها فى حياتنا الأدبية المعاصرة ، ومن أشهر هذه الجماعات الأدبية التى أنشأها أدباء المهجر ، وأهمها أثرا وتوجيها للحركة الأدبية فى المهجر ، مايلى :

١ ـ الرابطة القلمية

تنسب هذه الجماعات الأدبية إلى القلم ، الذى شرفه الله بالذكر فى القرآن الكريم ، والذى هو أداة الفكر ووسيلته إلى أذهان الناس فى كل زمان ومكان ، والذى حمل لواء الحضارة والتقدم والمدنية ، وأذن فى الناس بدعوة المعرفة والثقافة والأدب منذ أقدم الأجيال .

وقد أنشئت هذه الرابطة فى نيويورك فى ٣٠ من نيسان عام ١٩٢٠ ، وكان الذى حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها هو الأديب المهجرى الكبير عبد المسيح حداد (١٨٩٠ - ١٩٦٣) صاحب جريدة السائح المشهورة ، ومؤلف كتاب « حكايات المهجر » . وشهدت دار « السائح » الاجتماعات التى

---

(١) منها : الجمعية الإسلامية فى سان باولو .. ومن الجمعيات العربية فى هذه المدينة كذلك : جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية .

عقدت من أجل تأسيس الرابطة ، والتى كان من أبرز أنصارها والداعين إليها: جبران خليل جبران ، عميد أدباء المهجر ، وكانت تدور المناقشات حول تكوين الرابطة بين هؤلاء المجتمعين من أعلام أدباء المهجر ، من أمثال : جبران ، وعبد المسيح حداد ، ورشيد أيوب ، وندرة حداد ، وميخائيل نعيمة ، ووليم كاتسفليس .

وقد استجابوا جميعا لفكرة قيام الرابطة القلمية ، وأعلنوا تأسيسها فى نيويورك فى إبريل عام ١٩٢٠ م .

وكان من أعلامها من الشعراء : جبران وميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، ونعيمة الحاج ، وأسعد رستم ، وإيليا أبو ماضى ، ورشيد أيوب ، وندرة حداد ، ونعمة أيوب ، وجميل بطرس الحلوة ؛ ومن كتابها الشيوخ : عبد المسيح حداد ، ونعمة الحاج ، ورزق حداد ؛ ومن كتابها المخضرمين : فيكتوريا طنوس ، ونجلا أبو اللمع معلوف ، وفيليب العقل ، وفريد غصين ، وحبيب عيسى . . ومن أدبائها الشباب : عبد الله صالح ، وعباس نصر الله ، وإبراهيم داغر .

وقد انضم إلى هذا الجو الأدبى فيما بعد الشاعر المصرى الكبير الدكتور أحمد زكى أبو شادى بعد هجرته إلى نيويورك عام ١٩٤٦ م .

ولقد تولى جبران رياسة الرابطة القلمية، وكان ميخائيل نعيمة مستشارها، وسجل نعيمة فى صدر قانون الرابطة أن « هذه الروح الجديدة التى ترى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى حرية فى نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة ، فهى أمل اليوم ، وركن الغد » .

وكانت الرابطة القلمية تصدر مجموعة أدبية دورية باسمها ، وقد أسهم

فى تحريرها رشيد أيوب (١) ، وقد طبعت مجموعة الرابطة القلمية طبعة أولى فى نيويورك ، وطبعه ثانية فى بيروت أخيرا .

ويذكر محمد قرة على فى كتابه « شعر من المهجر (٢) » أن الرابطة القلمية قامت عام ١٩١٤ ، وكتب إلىَّ الشاعر الكبير محمد عبد الغنى حسن مؤلف كتاب « الشعر العربى فى المهجر » يقول تعليقا على ذلك: « ذكرت فى كتابى أن الرابطة قد أنشئت فى ابريل عام ١٩٢٠ ، وذكر الناعورى مثل ذلك(٣) ، وذكر عبد المسيح حداد فى « انطباعاته » التى طبعت أخيرا فى دمشق أن قيامها كان عام ١٩٢٠ ، وذكرت الأديبة السورية عنايت رمزى من كلمة لها فى تكريم عبد المسيح حداد أن مولد الرابطة كان عام ١٩٢٠ فى شهر نيسان « ابريل » ، وذكر ميخائيل نعيمة فى كتابه « سبعون (٤) » أن الرابطة ولدت فى العشرين من نيسان عام ١٩٢٠ » ؛ وكذلك ذكر إلياس قنصل فى كتابه « أدب المغتربين » (٥) .

« وكان قيام الرابطة القلمية بنيويورك ضرورة دعا إليها احتجاب مجلة الفنون الأدبية التى أنشاها الشاعر نسيب عريضة » (٦) ، وهى رابطة رأى فيها أدباء المهجر الشمالى أنها « تضم قواهم ، وتوحد مسعاهم فى سبيل اللغة العربية وآدابها » (٦) ، والأدب عندهم هو الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة

---

(١) ص ٢٤١ ـ محمد قرة على فى كتابه « شعر من المهجر » .
(٢) ص ٩٢ المرجع السابق .
(٣) ص ١٦ ـ ١٩ الأدب المهجرى لعيسى الناعورى .
(٤) ٢ : ١٧٠ سبعون .
(٥) ص ٢٦ ، ٣٧ أدب المغتربون .
(٦) ٤٨ الشعر العربى فى المهجر ـ محمد عبد الغنى حسن .

ونورها وهوائها ، والأديب هو الذى خص برقة الحس ، ودقة الفكر ، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة فى نفسه من التأثير (١) .

وبعد قيام الرابطة القلمية أصبحت جريدة السائح لسانها الناطق، وصوتها المدوى،وصدرت أعداد ممتازة منها تصور الحياة الأدبية فى المهجر،وتتحدث عن نشاط الرابطة القلمية وأعضائها .

وكتاب الغربال لميخائيل نعيمة الذى ظهر عام ١٩٢٣ ، وقدم له العقاد ، يمثل أفكار الرابطة القلمية تمام التمثيل ، ويمثل كذلك روح التجديد التى كانت تدفع أدباء المهجر إلى الميدان الأدبى فى قوة وعزم وإصرار .

وفى مقدمة العقاد لكتاب الغربال يقول : إنه لولم يكتب قلم النعيمى هذه الآراء التى تتمثل للقارىء فى هذه الصفحات ـ لوجب أن أكتبها أنا .. وهو نوع من المشاركة الأدبية بين ميخائيل نعيمة والعقاد ، لعل من بواعثها تأثر نعيمة بمدرسة شعراء الديوان وآرائهم فى التجديد تأثرا كبيرا .

وينادى ميخائيل نعيمة فى الغربال بالتجديد ، ويرسم فيه للدعوة الجديدة سبلها ، ولنقد الشعر وتوجيهه مقاييس يستمدها من حاجاتنا النفسية، الثابتة ، بحيث يقوم الشعر بإشباعه حاجة أو أكثر من هذه الحاجات ، التى أجملها نعيمة فيما يلى :

١ ــ حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ماينتابنا من العوامل النفسية ، من رجاء ويأس ، وفوز وفشل ، وإيمان وشك،وحب وكره ، ولذة وألم،وفرح وحزن ، وطمأنينة وخوف ؛ وكل مايتراوح بين أقصى هذه العوامل وأدناها من الانفعالات والتأثرات .

---

(١) ٤٨ المرجع نفسه عن كتاب « جبران خليل جبران » لميخائيل نعيمة ص ١٧٢

٢ — حاجتنا إلى نور نهتدى به فى الحياة ، وليس من نور نهتدى به غير الحقيقة ، حقيقة مافى أنفسنا ، وحقيقة مافى العالم من حولنا ، ونحن وإن اختلف فهمنا عن الحقيقة لسنا ننكر أن فى الحياة ما كان حقيقة فى عهد آدم ، ولا يزال حقيقة حتى اليوم ، وسيبقى حقيقة إلى آخر الدهر .

٣ — حاجتنا إلى الجميل فى كل شىء ، ففى الروح عطش لاينطفىء إلى الجمال ، وكل مافيه مظهر من مظاهر الجمال ، فاننا وإن تضاربت أذواقنا فيما نحسبه جميلا ، ونحسبه قبيحا ، لايمكننا التعامى عن أن فى الحياة جمالا مطلقا لايختلف فيه ذوقان .

٤ — حاجتنا إلى الموسيقى ، ففى الروح ميل عجيب إلى الأصوات والألحان لاندرك كنهه ، فهى تهتز لقصف الرعد ، ولخرير الماء ، ولحفيف الأوراق ؛ لكنها تنكمش من الأصوات المتنافرة ، وتنبسط بما تآلف منها . .

ويعد كتاب « الغربال » من أمهات كتب النقد والدعوة إلى التجديد ، ويسجل حركة التجديد فى الشعر فى أوائل القرن العشرين .

ووجه جبران الرابطة القلمية وأدب المهجر وشعره توجيها قويا نحو الرومانسية المجنحة ، وامتد تأثيره إلى الشرق العربى كله ، سواء فى الشعر الموزون ، أم الشعر المنثور ؛ وكان تأثيره أوضح مايكون فى خلق شعر المناجاة الذى سماه مندور الشعر المهموس .

وقد ثار جبران على القواعد والتقاليد اللغوية ، وقال ينعى على المحافظين تمسكهم بأقوال سيبويه وأبى الأسود ـ الدؤلى ـ :

« لكم منها ـ اللغة ـ ما قاله سيبويه وأبو الأسود وابن عقيل ، ومن جاء قبلهم وبعدهم من المضجرين المملين ؛ ولى منها ماتقوله الأم لطفلها ، والمحب لرفيقته ، والمتعبد لسكينة ليله » (١) .

---

(١) ص ٥٣ بلاغة العرب فى القرن العشرين .

وكانت دعوات الرابطة إلى الحرية والتسامح والنهضة جريئة [١] .

وتمثل الرابطة القلمية نزعات التجديد الحر فى الأدب العربى المعاصر ، ومن ثم كانت مثارا لحركة نقد شديدة فى كل مكان ، حتى من كثير من المهجريين وخاصة شعراء العصبة الأندلسية فى المهجر الجنوبى .

يقول إلياس فرحات فى ديوانه « الرباعيات » فى الرابطة القلمية :

إنى لأعجب من آداب رابطة
قد أوجدت فى نظام الشعر تشويشا
شنت على الأدب الميمون غارتها فأمعنت فيه تشويها وتخديشا
طارت لخلنا نسورا فوقنا ارتفعت ثم استقرت فكانت كلها ريشا
أشعارها علقم مع أنها شربت من ماء حنين والعاصى وقاديشا

ويقول جورج صيدح فى كتابه :

كانت الرابطة القلمية [٢] ثورة فكرية وبيانية، مذهبها أقرب إلى الرومانسية شكلا ، ولكن التصوف وعمق التجربة وطول التأمل رفع أدبها إلى مستوى عال يطل منه على مستويات العلم والفلسفة العالمية .

وذكر عبد المسيح حداد فى حديث له فى صحف دمشق عام ١٩٦٢ أن المحاولة الأولى لتأليف الرابطة القلمية كانت أثناء الحرب العالمية الأولى وكانت تضم أمين الريحانى ونجيب دياب صاحب جريدة « مرآة الغرب »، ولكنها حلت نفسها بعد اجتماعات قليلة للتخلص من زمالة دياب [٣] .

وعندما مات عميدها جبران ١٩٣١ ، ومات من أعضائها عريضة وندرة

---

(١) ص ٥٨ - ٦٩ « أدب المغتربين » فى الحديث عن أدب الشمال .
(٢) ٢٢٦ أدبنا وأدباؤنا - طبعة ثالثة .
(٣) ٢٢٥ المرجع .

حداد ، ورشيد أيوب ، وعاد نعيمة إلى لبنان انفرط عقد الرابطة ودخلت فى عالم الذكرى (١) .

لم يسهم أمين الريحانى فى نشاط الرابطة لأنه كان مستقلا بآرائه وأفكاره ولأنه كان دائب التنقل ، كثير الأسفار . ولم ينضم إليها : أديب آخر هو حبيب كاتبة ، وشاعر مشهور هو مسعود سماحة ، وصحفى جهير هو نعوم مكرزل .

وكتب ميخائيل نعيمة مقدمة لدستور الرابطة ، ألقى ضوءاً مشعاً على جوهره ، وغايته ، وحقيقة هدفه ورسالته . وعرف بها رسالة الأدب والأديب خير تعريف ، وأجمله ، وأكمله ، قال :

« ليس كل ماسطر بمداد على قرطاس أدباً . ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب . فالأدب الذى نعتبره هو الأدب ، ذاك الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها . والأديب الذى نكرمه هو الذى خص برقة الحس ، ودقة الفكر ، وبعد النظر ، فى تموجات الحياة وتقلباتها ، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة فى نفسه من التأثير » .

وجاء فى دستور الرابطة :

« إن غاية « الرابطة » هو بث روح نشيطة فى جسم الأدب العربى ، وانتشاله من وهدة الخمول والتقاليد » ... ودستور الرابطة ، والمقدمة التى وضعت له ، يعطى صورة كاملة عن غايتها وهدفها . ويصور واقعها وحقيقتها والدافع الأساسى لإنشائها وتكوينها . وهو عمل أدبى بحت ، يرمى إلى رفع مستوى الأدب والسمو به ، وإحلاله فى المكان الذى يليق به ، كأدب عالمى وإنسانى ، وكأدب خالد حى .

---

(١) ٢٢٩ أدبنا وأدباؤنا ـ طبعة ثالثة .

ورسم « جبران » شعاراً لها بريشته النفاذة الناعمة ، وبتصويره الرائع المبدع ، جاء فيه : « لله كنوز تحت العرش ، مفاتيحها ألسنة الشعراء » .

وكان (١) للرابطة القلمية وسائل كثيرة لنشر إنتاجها الضخم وتعميمه على المغتربين .

كان لها صحف عديدة تتولى تحريرها أقلام ثرية شابة . وأفكار عميقة واسعة خيرة .

وكما قلنا .. كان يتلاقى أعضاؤها بالهدف والوسيلة ، بالتصور والتصوير ، والتفكير والتعبير ، بالأسلوب والمعنى ، والفكرة والأداء .

يقول ميخائيل نعيمة :

« إن لم يكفكم عمر واحد ـ ولن يكفيكم عمر واحد ـ فأمامكم أعمار بعدها أعمار » ... ويقول جبران : قريبا تروننى لأن امرأة أخرى ستلدنى ؛ وكان يؤمن بتناسخ الأرواح ... واختلف معهما أبوماضى أول الأمر حيث قال :

غلط القائل إنا خالدون ... كلنا بعد الردى هى بن بى
ليست الروح سوى هذا الجسد ... معه جاءت ، ومعه ترجع
لم تكن موجودة قبل وجد ... ولهـذا حين يمضى تتبع
فمن الزور الموشى والفند ... قولنا الأرواح ليست تصرع
تلبث الأفياء مادامت غصون ... فاذا ماذهبت لم يبق فى

ثم رجع عن رأيه هذا ، وتبنى رأياً آخر يقترب من رأى صاحبيه وزميليه ـ « نعيمة » و « جبران » :

إنا سنبقى بعد أن يمضى الورى ... ويزول هذا العالم المنظور
فإذا طوتنا الأرض عن أزهارها ... وخلا الدجى منا وفيه بدور
فسترجعين خميـلة معطارة ... أنا فى ذراها بلبل مسحور

(١) كتاب المغتربون ص ١١١٨ بمجلة العرفان عام ١٩٦٤ م .

أو ترجعين فراشة خطارة أنا فى جناحيها الضحى المنشور

إلا أن الشاعر أبا ماضى يظل نهب الوساوس والشكوك ، ويظل رأيه متأرجحاً بين الشك والقناعة والظن واليقين :

حامت على روحى الشكوك كأنها وكأنهن فراشة وصقور
ياليل : أين النور ؟ إنى تائه مر ينبثق . أم ليس عندك نور؟

وكتاب « الرابطة القلمية » وشعراؤها ، وإن اختلفت مناهج تعبيرهم ، ووسائل أدائهم وتصويرهم ، فان الجميع ينهلون من نبعة واحدة ، ويصدرون عن فكرة واحدة .

يقول جورج صيدح : « فى أدب الرابطيين على العموم معان حنون ، لم تلد المحبة الإنسانية أرق منها » ، ويستشهد على ذلك بقول ندرة حداد :

أنا أنسى جرح قلبى كلما شاهدت جرحك
وإذا أخطأت نحوى فأنا أطلب صفحك

وقد ورد هذا المعنى فى شعر القروى بأبلغ تعبير وأروع تصوير :

كم صاحب حرصاً على وده طلبت أن يغفر لى ذنبه

وقد سبق الشاعرين المهجريين إلى هذا المعنى شاعر أندلسى قديم :

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتخطئون فنأتيكم ونعتذر

بعد أن توفى جبران ، وتوفى رفاقه من بعده ، وعاد ميخائيل نعيمة إلى لبنان ، سكتت أقلام الرابطة ، وصمت البلبل الغريد . وانطوت بانطوائها صفحة مشرقة رائعة، بعد أن خلفت لنا تراثاً ضخماً . كان منه الجداول لإيليا أبى ماضى ، والغربال لميخائيل نعيمة ، والعواصف لجبران خليل جبران ، وأوراق الخريف لندرة حداد ، وأغانى الدرويش لرشيد أيوب ، وحكايات المهجر لعبد المسيح حداد ، ومقالات نفيسة رائعة ، وقصائد خالدة مبدعة ، من هنا وهناك . .

شعراء الرابطة القلمية

جبران ـ نعيمة ـ أبو ماضى ـ نسيب عريضة ـ رشيد أيوب ـ ندرة حداد ـ محبوب الشرتونى .

كتاب الرابطة القلمية

منهم : عبد المسيح حداد ـ وليم كاتسفليس وله كتاب بالإنكليزية عنوانه « حضارة العرب » ـ جبران ـ نعيمة .

٢ ـ العصبة الأندلسية

قامت هذه الجماعة الأدبية فى المهجر الأمريكى الجنوبى ، فى البرازيل بمدينة سان باولو ، وكان المؤسس لها هو الشاعر المهجرى ميشال معلوف(١)، وتولى رياستها ، ثم خلفه الشاعر القروى .

ثم رأسها من بعده ابن أخته شفيق المعلوف الشاعر ، صاحب ديوان « لكل زهرة عبير » ، وملحمة عبقر ، ونداء المجاذيف، والأحلام وهى قصة خيالية اجتماعية .. وهو شاعر متزن ، وأديب مفكر ، رصين ، مستوعب للفكر الفلسفى ، قرأ الفلسفة الحديثة وعلم النفس ، وتغلغل كل ذلك فى شعره الجميل ، الذى يسانده طبع أصيل . .

ومن أسرته : فوزى المعلوف وهو شاعر مشهور ، وصاحب « ملحمة بساط الريح » التى قدم لها الشاعر الأسبانى الشهير « فيجا سباسا » . . وقد مات فوزى فى عمر الزهور عن سن مبكرة . . ورياض

---

(١) ٢٩ مهمة فى قارة ـ أكرم زعيتر ـ طبعة ١٩٥٠ م .

المعلوف[١] من أسرة المعلوف فى المهجر الجنوبى أيضا .. ومنها أيضا الشاعر جورج حسون المعلوف ، وهو الذى قدم بعض دواوين إلياس فرحات وقد مات عام (١٩٦٥) ، ورثاه إلياس فرحات بمرثية رائعة . .

وقد اتسمت حركة العصبة الأندلسية الأدبية بالهدوء والاتزان،فلم تقابل بموجات النقد ، كما قوبلت بها شقيقتها فى ميدان الحركات الأدبية المهجرية وهى الرابطة القلمية .

وحينما هتفت[٢] الرابطة القلمية فى نيويورك بدعوتها لم يمر زمن طويل حتى أجابتها العصبة الأندلسية فى البرازيل ، فيتجاوب الصوتان ، وتندفع العربية فى زحفها وبنيانها ، فإذا روابط الفكر تقوم هنا وهناك ، وإذا الصحف والمجلات تنادى من ورائهما بالبعث الجديد .

ويشير اسم « العصبة الأندلسية » إلى مدى تأثر المهجريين بالأدب الأندلسى ، وخاصة بالروح الغنائى ، وبالموسيقى ، والعذوبة الفنية، فى الموشحات التى بلغت نهاية الترف والجمال ، كما فى قول ابن هرودس فى مطلع موشحة له :

يا ليلة الوصل والسعود بالله عودى
كم بت فى ليلة التمنى
لا أعرف الهجر والتجنى
ألثم ثغر المنى وأجنى
من فوق رمانتى نهود زهر الخدود

---

(١) راجع ص ٢٢٤ و ٢٣٨ فصول من الثقافة المعاصرة المؤلف .

(٢) راجع ص ١١ شعر من المهجر لمحمد قرة على - بيروت - دار الانصاف ١٩٥٤ ، وراجع كتاب أدب المغتربين ص ٣٨ - ٤٦ فى الحديث عن العصبة ، و ص ٦٧ - ٧٤ فى الحديث عن أدب الجنوب فى الكتاب نفسه .

وكان قيام العصبة الأندلسية عام ١٩٢٢[١] ، ويذكر باحث أن قيامها كان عام ١٩٢٣[٢] ، وآخر أنها قامت عام ١٩٣٥[٣] ، ويذكر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن مؤلف كتاب « الشعر العربى فى المهجر » فى رسالة إلىّ أن « شكر الله الجر ذكر فى مجلة العصبة الأندلسية (كانون الأول ١٩٥٣) أن العصبة أنشئت فى كانون الثانى ١٩٣٢ ، وذكر جورج حسون معلوف فى العدد نفسه أن مجلة العصبة ظهرت عام ١٩٢٥ ، وذكر أكرم زعيتر فى كتابه « مهمة فى قارة »[٤] أن ميشال معلوف أسسها أى العصبة لا المجلة عام ١٩٣٥ ، وذكر صيدح أن العصبة أسست ١٩٣٢[٥] برياسة ميشال معلوف وأن المجلة ظهرت فى العام التالى أى عام ١٩٣٣[٦] ، وذكر عيسى الناعورى أنها أسست فى كانون الثانى عام ١٩٣٣ . وذلك هو رأى توفيق ضعون فى كتابه « ذكرى الهجرة »[٧] ... وذكر الشاعر المهجرى رياض المعلوف فى مجلته التى تصدر بباريس أن قيامها عام ١٩٣٣ . .

وكلام شكر الله الجر أصدق تصويرا للحقيقة ، قال :

فى تلك الليلة التاريخية « ليلة الخامس من شهر كانون الثانى ١٩٣٢ »

---

(١) فصول من الثقافة المعاصرة للمؤلف .

(٢) ١٨٥ شعر من المهجر ـ محمد قرة على ، وص ٣٨ من كتاب أدب المغتربين لإلياس قنصل .

(٣) ٥٠ الشعر العربى فى المهجر ، محمد عبد الغنى حسن .

(٤) ص ٢٩ مهمة فى قارة .

(٥) كتاب : أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية .

(٦) يذكر إلياس قنصل أن العصبة ظهرت عام ١٩٣٣ واتخذت مجلة الأندلس الجديدة لشكر الله الجر لسانا لها ، وفى عام ١٩٣٤ أنشأت مجلتها العصبة الأندلسية (٣٨ - ٤٦ من كتاب أدب المغتربين لإلياس قنصل) التى استمرت عشرين عاما .

(٧) ١٩٣ - ١٩٦ المرجع .

ولدت عصبتنا المباركة ؛ وتعاقب على رياستها : ميشال ، فالقروى ، فشفيق معلوف[١] .

وقد أنشأت «العصبة الأندلسية» مجلة أدبية حملت اسمها أيضا ، فصار هذا الاسم علما على هذه الجماعة الأدبية ، وعلما أيضا على مجلتها الأدبية الذائعة التى حملت رسالتها إلى كل مكان . . والتى كانت تخرج فى ثوب أنيق .

وتولى رياسة تحرير المجـــلة الأديب المهجرى حبيب مسعود ، وكان يلقب بابن مقلة هذا العصر ، وكان أحد أركانها الشاعر القروى[٢] .

وكانت العصبة الأندلسية مكونة من : ميشال المعلوف رئيسا ، وداود شكور نائبا للرئيس ، ونظير زيتون أمينا للسر ، ويوسف البعينى أمينا للصندوق ، وجورج حسون معلوف خطيبا (توفى عام ١٩٦٥) ومن : نصر سمعان ، وحسنى غراب ، ويوسف غانم ، وحبيب مسعود ، واسكندر كرباج ، وشكر الله الجر ، وأنطون سليم سعـــد أعضاء .. ثم انضم إليهم : شفيق المعلوف ، والشاعر القروى ، وأخوه الشاعر المدنى قيصر ، ونعمة قازان ، وإلياس فرحات ، وعقل الجر ، وتوفيق ضعون ، ورياض المعلوف . وكان مركزها فى الدور الثانى عشر من بناية مارتينللى ، وميشال المعلوف هو خال فوزى وشفيق المعلوف ، وقد ولد فى زحلة عام ١٨٨٩ ، وهاجر إلى البرازيل عام ١٩١١ ، وأسس العصبة عام ١٩٣٣[٣] .

---

(١) العصبة الأندلسية (عدد ٧ و ٨ كانون الأول ١٩٥٣) .

(٢) فى عام ١٩٤٢ حظر فى البرازيل إصدار صحف بغير اللغة البرازيلية فتوقفت العصبة ، ثم عادت عام ١٩٤٧ للصدور ، وظلت تصدر إلى عام ١٩٥٦ وبعد توقفها عمل رئيس تحريرها حبيب مسعود رئيس تحرير الجريدة (المراحل) التى أصدرتها السيدة مريانا دعبول فاخورى فى البرازيل بمدينة سان باولو .

(٣) راجع ٤٩٩ ذكرى الهجرة لضعون . وهذا التاريخ صحته : ١٩٣٢

ويقول الشاعر المهجرى الكبير شفيق المعلوف يخاطب إخوانه فى العصبة الأندلسية من قصيدته المسماة «القصيدة الخرساء»[1] :

لك الله فى أصقاع كولمب عصبة تناضل عن حوض البيان المهدد
لنا اللغة المثلى متى انهار سورها بصرح دعمناه بصرح ممرد

وهو يشير فى القصيدة إلى حفاظ العصبة الأندلسية على اللغة العربية ، دون شقيقتها الكبرى «الرابطة القلمية» التى كانت تسير نحو التجديد فى كل شىء .

ويقول شفيق المعلوف من قصيدته «بين شاطئين»[2] التى أهداها إلى إخوانه فى الرابطة القلمية ، يشير فيها إلى تعاون العصبة مع الرابطة القلمية وسعيها معها إلى أهدافها وفى صميم منهجها وغاياتها :

أطل عليكم والمنى تزحم المنى بصدرى وأنتم ملء قلبى ومسمعى
بنى النهضة الكبرى أعيدوا نشيدها على عاشقيها مقطعا بعد مقطع
وردوا على الفصحى أغانى مجدها فنحن سكارى من صداها المرجع
إلا إن ملكا مثل هذا رجاله قيام عليه لهو غير مضعضع
لئن تسألوا : ما فى الجنوب ؟ فإننى حملت إليكم قلبه خافقا معى
وياسائلى عن فتية المجد هذه عيونى ملأى منهم فتطلع
أناشيدنا تلك التى تكبرونها بدأتم بها أنتم بأروع مطلع
وإن لواء نحن قمنا نهزه خفوقا على حصن البيان الممنع
لواء ظفرتم أنتم باكتسابه ونحن ركزناه بأرفع موضع

وكان من أعضاء «العصبة الأندلسية» الذائعى الشهرة : الشاعر المهجرى رشيد سليم خورى المعروف بالشاعر القروى ، وإلياس فرحات ، ونظير زيتون .

---

(١) ٧٠ نداء المجاذيف . (٢) ١٠٣ نداء المجاذيف .

وكان من أعلامها المشهورين كذلك : شكر الله الجر ، وآل معلوف ، ونعمة قازان ، وجورج صوايا ، وتوفيق ضعون (١٨٨٤ - ١٩٦٦) ، وقيصر سليم الخورى ، وتوفيق قربان ، وللشاعر الكبير صيدح صلات وثيقة بالعصبة [١] التى كان من أنصارها كثير من أدباء المهجر ، وشعرائه وكتابه وخطبائه المشهورين الأعلام .

وقد ظهر من مجلة العصبة ثمانون عددا فى سبع سنوات ، وجاء القانون البرازيلى الصادر عام ١٩٤٢ الذى قضى باحتجاب الصحف التى تصدر بلغات أجنبية ، ومنها « العصبة » ، فأغلقت المجلة ولكن العصبة استمرت ، وكان للمجلة دوى كبير [٢] .

وقد فسر حبيب مسعود معنى تسمية العصبة بالاندلسية ، فقال : « إنه التيمن بالتراث الغالى الذى تركه العرب فى الأندلس ، والإشارة إلى الابتعاد عن التطرف الذى اتسمت به « الرابطة القلمية » [٣] .

ويذكر صيدح أن قيام العصبة كان عام ١٩٣٢ ، وأن أعضاءها أصدروا فى العام التالى مجلة « العصبة الأندلسية » [٤] أى عام ١٩٣٣ .

واستمر ميشال معلوف فى رياسة العصبة نحو عشرة أعوام إلى أن أدركته المنية ، وخلفه على الرياسة الشاعر القروى ثم شفيق معلوف الذى دامت رياسة إلى اليوم [٥] .

---

(١) هو وإن كان قد أقام فى فنزويلا ثم فى الأرجنتين إلا أنه كان وثيق الصلة روحيا بالعصبة الأندلسية .

(٢) راجع ٣٥٤ و ٣٥٥ ذكرى الهجرة .

(٣) ٣٨٢ أدبنا وأدباؤنا ـ طبعة ثالثة .

(٤) ذكر عبد اللطيف الخيونس فى كتابه « المغتربون » أن رياسة استمرت ست سنوات .

(٥) ٣٨٤ المرجع .

وقد حدد الأعضاء مبادىء العصبة بتعزيز الأدب العربى ، وتآخى الأدباء ، ورفع مستوى العقلية الغربية ، ومكافحة التعصب ، ونقض التقاليد التى تنافى روح العصر (١) .

« لم يحفظوا لها نهجا مغلوما فى الأدب لأنهم أجمعوا على النضال فى سبيله من حيث هو فن وجمال دون نظر إلى إطار أومصدر ، وقد ترسموا أساليب الفصحى وتقيدوا بأحكامها ما وجدوا إلى ذلك سبيـــلا كما يقول شفيق المعلوف (٢) » .

وكانت مجلة العصبة الأندلسية مفخرة كبيرة للأدب المهجرى ، وتسجيلا رائعا لآثاره ، وكان يكتب فيها أعضاء العصبة وغيرهم من أدباء المهجر ، ومن كتاب مجلة العصبة : نظير زيتون ، ويوسف أسعد غانم ، واسكندر كرباج ، وحبيب مسعود رئيس تحريرها .

ومن الشعراء الذين نشر لهم فيها عدا أعضاءها : سعيد البابا ، وسعيد اليازجى ، وميشال مغربى ، ونسيم نصر(٣) ، وموسى حداد (٤) .

وكانت تنشر لأبى شادى والصيرفى والسحرتى وهدوى ونازك وعبد القادر رشيد الناصرى (٥) .

---

(١) ٣٨٤ المرجع . (٢) ٢٦٥ المرجع .

(٣) راجع قصيدته الرائعة « احتراق فراشة » ، صـ ١٦٤ مجلة العصبة ١٢/ ٢ / ١٩٥٢ م .

(٤) راجع قصيدته الرائعة « فردوس الشاعر » ـ العصبة عـــدد أيار ١٩٥٢ صـ ٢٢٦ .

(٥) راجع قصيدته « هذا أنا » صـ ١٢٣ عدد ٢ مجلد ١٢ العصبة ، وقصيدته « تسابيح » عدد أيار ١٩٥٢ ، وقصيدته « عبادة » ـ عدد تموز ١٩٥٢ صـ ٤١٣ ، وقصيدته « بين بغداد وباريس » ـ عدد آب ١٩٥٢ م .

ولقيصر سليم الخورى شقيق الشاعر القروى ، ويسمى الشاعر المدنى ، قصيدة رائعة فى مجلة العصبة عنوانها « الطلل المأهول » (١) .

وكان الشاعر العراقى عبد القادر رشيد الناصرى قد بدأ فى إعداد أحاديث عن الأدب والشعر العربى وأعلامهما فى المهجر أعلنت عنها مجلة العصبة (٢) .

وظل « شفيق معلوف » ينفق على مجلته « العصبة » ، بعد وفاة « ميشال معلوف » إلى أن توارت سنة ١٩٥٣ وخلفت فراغاً كبيراً لا يملؤه سواها . وكان « نظير زيتون » أمين سر «العصبة» ، و « حبيب مسعود » رئيس تحرير مجلتها ، طيلة تلك المدة بدون انقطاع . . .

وكتب « رئيس العصبة » ، « شفيق معلوف » ، معرفاً بها . وبمهمتها ، وملقياً الأضواء على منهجها ، وغايتها ورسالتها : « لم يحفظوا لها نهجاً معلوماً فى الأدب ، لأن أركانها أجمعوا على النضال فى سبيل الأدب من حيث هو فن وجمال ، دون ما نظر إلى إطار أو مصدر ، فلا اعتراف من معين ينبوع منشود ، ولا تمسك من فروع الشعر محدد ؛ ومن أميز ما اتسم به أدب « العصبة » وشعر شعرائها أنهم ترسموا أساليب الفصحى ، وتقيدوا بأحكامها ماوجدوا إلى ذلك سبيلا ، كما أنهم جلوا فى مضمار التجديد صامدين بأدبهم دون فوضى التجديد » . . .

وقال فى مكان آخر : « لولا أن الأدب معشش فى أعراق الشعراء والكتاب المغتربين ، لما طلعوا على الفن بأثر ، ولا سنحوا على الفكر ببارقة ، حيث لا مجال إلا لجولان الأرقام فى الرؤوس ،

---

(١) العصبة مجلد ١٢

(٢) صـ ١٨٢ مجلة العصبة الأندلسية نيسان ١٩٥٢ المجلد ١٢ ، العدد ٢

ودوران الرغيف أمام الأبصار ، وتدوين الحديد فى المسامع » .

وتطرق (١) الأستاذ « حبيب مسعود » ، رئيس تحرير مجلة العصبة الأندلسية » إلى ذكر السبب فى تسمية العصبة بـ « الأندلسية » ، فقال :

إنه التيمن بالتراث الغالى الذى تركه العرب فى الأندلس ، والإشارة إلى الابتعاد عن التطرف الذى اتسمت به « الرابطة القلمية » فى الشمال .. مع أن الشبه بعيد جداً بين الأندلس القديمة والجديدة ، فالعرب دخلوا الأندلس فاتحين ، ونشروا هيبتهم ، وحموا بسيوفهم مؤسساتهم ولغتهم ، فدرج الأدب والعلم فى ظلال أعلامهم ، وزها الشعر فى خمائل مجدهم ، أما نحن فقد دخلنا أرض « كولمبس » مسترزقين : طالبين عطفاً ، سائلين عدلا ، فلا يبرر تسمية بيئتنا بالأندلس إلا اعتبارنا أن نشر الأدب العربى فى البلد الغريب، وفى الأميين من قومنا ، هو فتح مبين ، وأن الانصراف إلى الأدب هو نوع من الاستشهاد » « فليس الفضل فى أن تصون لغتك ، وأنت قابع فى دارك ، بين عشيرتك ، كالفضل فى أن تصونها وتحضنها ، وتشقى من أجلها فى بلاد غريبة عنك لساناً وعادة وعرفاً ، ومتى اندرس هذا الجيل تندرس معه الجالية المغتربة كهيئة اجتماعية ، ويصبح تفكيرها محصوراً فى سلعة ، ويغدو شعورها منوطاً بآلة ، فتدرك عندئذ مقدار النكبة يوم لاتسمع رنة لقافية عربية ، وتطلب الأدب العربى فلاتجد له معلماً »، وقيام «العصبة الأندلسية» فى البرازيل كان حافزاً قوياً للأدباء والشعراء ، على الكتابة المتواصلة ، والإنتاج المستمر ، وقد ساعدت مجلة « العصبة » فى ذلك مساعدة كبرى إذ كانت تصدر عدداً كل شهر ، وهو طافح بالبحوث الاجتماعية ، والكلمات الأدبية ، والقصائد الرائعة المبدعة ، واستمرت فى صدورها نحو عشرين سنة ، حفظت

---

(١) ١١٢٣ مجلة العرفان عام ١٩٦٤ - من كتاب « المغتربون » لعبد اللطيف اليونس .

فى مجلداتها العشرين ثروة ضخمة أضفيت إلى خزانة الأدب العربى ، فزداته غنى ، وأضافت إليه موسوعة كبيرة خالدة .

ولم تكن صحائف « العصبة » وقفاً على أعضاء « العصبة » ، وحدهم ، فقد كان خارج « العصبة » أدباء كثيرون لم ينتموا إليها ، وأكثرهم كانوا ينشرون إنتاجهم فيها ، ويغذونها بأفكارهم القيمة ، وكتاباتهم النفيسة .

أما الأدباء الذين لم ينضموا إلى « العصبة » فهم :

فارس الدبغى ، سعيد اليازجى ، ميشال مغربى ، الدكتور فضلو حيدر ، جوزيف إبراهيم الخورى ، فايز السمعانى ، موسى كريم ، ناصر شاتيلا ، داود شكور ، سعيد أبو جمرة ، سليم نادر ، رشيد عطية ، جورج مسرة ، راجى باسيل ، فيليب لطف الله ، مريانا فاخورى ، مدحة غراب ، وهيب عوده ، أنجال عون شليطا ، موسى حداد ، سعيد البابا . أسد موسى ، توفيق بربر .

وانسحب من «العصبة» لأسباب شخصية : إلياس فرحات ، ونعمة قازان ، وتوفيق قربان ، وظلت صلاتهم بأعضائها ، وبمجلتها ، قوية متينة .

وأما الأدباء الذين ثابروا على تمسكهم بـ «العصبة» وتشبثهم بعضويتها فهم :

ميشال معلوف ، وفوزى معلوف ، وشفيق معلوف ، ورياض معلوف ، والشاعر القروى ، ونظير زيتون ، وحبيب مسعود ، واسكندر كرباج ، وحسنى غراب ، ويوسف البعينى ، ويوسف أسعد غانم ، وعقل الجر ، وشكر الله الجر ، والشاعر المدنى شقيق الشاعر القروى ، وجورج حسون ، ونصر سمعان ، وميكيل نمر . وتوفيق ضعون ، وجرجس الخورى كرم ، وجبران سعاده ، وجورج اليان ، وسلمى صائغ ، وأنطون سليم سعد ، ونجيب يعقوب ، ونجيب يواكيم الراسى ، وجورج أنطون كفورى .

وفى مجال المقارنة بين أدباء الشمال وأدباء الجنوب ، نجد أدباء الجنوب أكثر تمسكا بالديباجة المصقولة ، والعبارة الجميلة ، والجرس القوى .. أما

أدباء الشمال فانهم لم يظهروا عنايتهم التـــامة باللغة ، وتمسكهم بقواعدها وشواردها ، تمسك زملائهم الجنوبيين بها ، ولم يخل هذا التباين من ملاحظات عابرة وجدية ، يبديها كلا الفريقين ، حول الفريق الآخر ، فى معرض المقارنة والتنافس ، وكان بعض أدباء الشمال، يعيبون على إخوانهم فى الجنوب « محافظتهم » ، وتقيدهم الإلزامى بقواعد اللغة والعروض ، وينعتونهم بالجمود وحب التقليد ، مما حدا بالشاعر « المدنى » إلى أن يزفر زفرة غضب حرى ، تنزت بها نفسه الهادئة ، وخرج بها طبعه السليم ، واتزانه ورصانته :

إنا لمن عصبة إن أشرعت قلماً ... يشتف سر الدجى من شقه ألق
تعيش أقلامنا منا فليس لنا ... بالمدح والهجو باب منه نرتزق
من زارنا زار منا روضة أنفاً ... وعاد ينضح من أثوابه العبق
إن الألى فاتهم نخر اللحاق بنا ... قد فاتهم قبلنا فى الحلبة الخلق
لما سبقنا أعدنا الشوط.فالتفتوا ... إلى الوراء ، فخالوا أنهم سبقوا

ويتصدى للرد أيضاً حبيب مسعود ، رئيس تحرير مجلة العصبة الأندلسية فيقول :

«اتهموا إخوان العصبة الأندلسية بالمحافظة على الأساليب القديمة،أقول: إذا كان المراد من الأساليب القديمة الصيغة اللفظية ، والتقاليد بضوابط اللغة، فليس فى ذلك موضع للغمز واللمز أما إذا كان التفكير الجديد يقتضى أسلوباً جديداً،والأسلوب الجديد يقتضى خروجاً من اللغة،وبلبلة فى التركيب، ورطانة فى التعبير ، فلست مبرئاً إخوانى من التهمة ، بل أعلن على رؤوس الأشهاد أنهم محافظون أكثر من تشرشل وأعوانه .

لقد كان قيام العصبة الأندلسية فى البرازيل فتحاً جديداً ، وباعثاً على الإنتاج الثر ، والإلهام المبدع،وكان وسيلة لتلاقى الأدباء فى ندوات وحفلات، وفى شتى الاجتماعات والمناسبات ، ونشر آثارهم فى مجلة كانت من أرقى المجلات العربية ، فى الوطن والمهجر ، صورة ومضمونا ، شكلا وموضوعا .

ومن أوفى البحوث التى نشرت عن العصبة الأندلسية مقالة نشرت فى مجلة المعرفة السورية (عدد اكتوبر ١٩٦٨) بقلم عمر الدقاق ، وفى هذه المقالة يذكر كاتبها :

١ — أن المهاجرين فى سان باولو أنشأوا عام ١٩٠٠ هيئة أدبية أسموها رواق المعرى ، وكان الفضل فى ذلك راجعا إلى نعوم لبكى ، وانضم إليه: خليل كسيب ، يوسف ناصيف الضاهر ، فارس نجم ، أنيس يواكيم الراسى ، وديع فرح معلوف ، اسطفان غلبونى ، قيصر معلوف ، جورج عساف ، أسعد بشارة ، وانضم إليهم عدد كبير من المتذوقين للأدب ، وقد استمرت إلى قيام الحرب العالمية الأولى ، وكان من ثمارها ظهور صحف عربية فى عدد من مدن البرازيل ، ونشر ديوان تذكار المهاجر لقيصر المعلوف ، وهو أول ديوان من الشعر العربى فى العالم الجديد، كما كان من ثمارها نقل روح الأدب إلى المهجر ، ورواق المعرى أقدم حلقة أدبية عرفتها المهاجر .

٢ — ولم يكن تأسيس العصبة الأندلسية بعد سنوات طوال إلا من وحى تلك الخطوة الرائدة ؛ وفى البرازيل، وفى مدينة سان باولو بوجه خاص لم يجتمع لمهجر آخر من الكتاب والشعراء ما اجتمع لهذا المهجر البرازيلى .

وكان من الحوافز كذلك لقيام العصبة قيام الرابطة القلمية فى المهجر الشمالى فى نيويورك عام ١٩٢٠ م .

وكان هناك إرهاصات لقيام العصبة من مثل قيام مجلة الشرق، والأندلس الجديدة ، والجالية ، وقيام النادى الحمصى ، والنادى الفينيق ، والمنتدى الزحلى ، وسواها .

وفى تلك المحافل كان نشاط الأدباء والشعراء مستمرا ، وكان اسم « العصبة » يتردد على لسان الشعراء والأدباء كثيرا أيضا .. و « الأندلسية » نسبة إلى الأندلس وهى الجنة الماثلة فى ذهن كل عربى ومسلم مابقى الزمان .

ولم تكد شمس الرابطة القلمية فى نيويورك تؤذن بالمغيب ، حتى طلعت بعد حين شمس جديدة فى سان باولو ، وهى « العصبة الأندلسية » .

وكان شكر الله الجر يدعو إلى قيام العصبة منذ عام ١٩٣٢ ، على أن الفضل فى قيامها يرجع إلى ميشال معلوف ، وهو شاعر مقل ، ثرى .

وفى مساء الخميس من شهر يناير ١٩٣٣ تم عقد الاجتماع التأسيسى فى منزل ميشال معلوف ، وقد قصر المؤسسون هذه الجلسة على تسمية الجماعة وعلى انتخاب رئيس لهـــا ونائب للرئيس ، فاختاروا لها اسم « العصبة الأندلسية » ، وجعلوا ميشال رئيسا لها ، وداود شكور نائبا للرئيس،وحضر هذا الاجتماع : ميشال ، نظير زيتون ، حبيب مسعود ، اسكندر كرباج ، نصر سمعان ، داود شكور يوسف البعينى ، حسنى غراب ، يوسف أسعد غانم ، أنطون سليم سعد ، شكر الله الجر ، وأضيف إليهم أربعة تعذر حضورهم هذا الاجتماع ، وهم:الشاعر القروى ، عقل الجر،شفيق معلوف ، جورج حسون المعلوف ، فجعلوا فى عداد المؤسسين .

ثم استبعد الصحفيون عن هذه الجماعة ، فحذف اسم شكر الله الجر من سجل الأعضاء المؤسسين ، ورئى أن تكون مجلته « الأندلس الجديدة » لسان حال العصبة مع أنها تصدر فى ريو دو جانيرو .

وفى مطلع عام ١٩٣٥ أصدرت العصبة مجلتها « العصبة الأندلسية » ، حيث جهزها ميشال بكل ما يلزم لها ، وتعهد حبيب مسعود بإصدارها والإنفاق عليها نظير أن تكون الاشتراكات والإعلانات لحسابه الخاص .

وانضم إلى العصبة : إلياس فرحات ، وسلمى صايغ ، ورياض معلوف .

٣ — وفى عام ١٩٣٧ انتخب القروى رئيسا للعصبة الأندلسية ، وفى عام ١٩٣٨ عاد ميشال لرياستها ، وظل كذلك إلى أن توفى عام ١٩٤٢ فى لبنان .

ثم توقفت العصبة ومجلتها بقيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ بسبب قوانين الحرب التى شرعها حاكم البرازيل « فارغاس » بصدد المؤسسات والصحف غير البرازيلية ، وبانتهاء الحرب عادت العصبة ، واختير شفيق معلوف رئيسا لها ، وبقى كذلك إلى أن انفرط عقد العصبة وغربت شمس مجلتها عام ١٩٥٣ م .

٤ — وقد بقى خارج العصبة أمثال : ميشال مغربى ، توفيق بربر ، فارس الدبغى ، سعيد اليازجى ، سليم نادر ، نجيب صوايا ، وديع الشرتونى ، جورجى قصاص ، محمود شريف ، مدحة غراب .

ومن أعضاء العصبة من القاطنين بريودو جانيرو : عقل الجر ، وشكر الله الجر ، ونعمة قازان ، وكان إلياس فرحات حين انتسابه إليها مقيما فى « بارانا » ، ويوسف أسعد غانم فى « غوياز » ، وجرجس الخورى كرم فى ميناس ، وجبران سعادة فى « باهيا » .

٥ — وكان من أهداف العصبة : رفع شأن الأدب العربى فى البرازيل ، وكان مثل هذا مقصد الرابطة القلمية فى نيويورك .. وكان من أغراض جماعة أبولو فى مصر : « السمو بالشعر العربى » ، وحرية الأديب ، وكان من شعارها أن ماتهدمه السياسة يبنيه الأدب . . وعندما قامت مجلة الرسالة فى مصر جاء فى افتتاحية الزيات لها أن غاية الرسالة أن تقوم طغيان السياسة .

ومن أهداف العصبة كذلك : إحياء التراث العربى فى الأندلس .

شعراء العصبة الأندلسية

الشاعر القروى (١) - إلياس فرحات (٢) - شكر الله الجر (٣) - آل المعلوف - نعمة قازان (٤) - عقل الجر - توفيق ضعون (توفى فى اكتوبر ١٩٦٦ فى سان باولو) (٥) .

كتاب العصبة الأندلسية

نظير زيتون (٦) - حبيب مسعود - سلمى صائغ صاحبة كتاب « ذكريات وصور » - توفيق قربان (٧) ، وتوفيق ضعون وهو صاحب

---

(١) راجع : ٤٥٣ ذكرى الهجرة لتوفيق ضعون .

(٢) راجع ٤٠٢ - ٤٠٨ المرجع نفسه .

(٣) هو من العصبة ، سبقه إلى الهجرة أخوه عقل ، وهاجر هو بعد الحرب العالمية الأولى ، وأصدر مجلة الأندلس الجديدة ، ثم الزنابق ، وديوانه «الروافد» معروف ، وله كتاب نبي أورفليس ، والمنقار الأحمر ، وديوان زنابق الفجر (٤٥٤ - ٤٥٩ ذكرى الهجرة) .

(٤) ولد عام ١٩٠٨ ، وهاجر عام ١٩٢٦ إلى البرازيل (٥٥١ - ٥٥٤ ذكرى الهجرة) .

(٥) راجع مجلة الأديب اللبنانية عدد نوفمبر ١٩٦٦ م .

(٦) هاجر عام ١٩١٤ ، وتولى تحرير جريدة فتى لبنان ، ثم انضم إلى العصبة (٤٢٧ ذكرى الهجرى) ، وعاد أخيرا إلى مسقط رأسه فى حمص ، وتوفى بها عام ١٩٦٧ م .

(٧) من مواليد يوليو ١٨٨١ ، احتفل منذ أعوام بعيد ميلاده الخامس والسبعين فى البرازيل ، وبهذه المناسبة أصدرت مجلة الندوة الشهرية لسان حال الاتحاد الثقافى العربى البرازيلى التى تصدر فى سان باولو عددا خاصا يضم منتخبات من أدبه وبحوثه القيمة ، وهو العدد السابع من السنة الثانية .

كتاب « ذكرى الهجرة » ، وأحد أعضاء العصبة الأندلسية ، هاجر إلى سان باولو ، وأصدرهناك « ذكرىالهجرة » وكتابه الآخر « سيرةحياتى » وله نشاط أدبى كبير فى المهجر الجنوبى . وفى عام ١٩٥٩ احتفل بيوبيله الماسى (مرور ٧٥ سنة على ميلاده) وأعلن بهذه المناسبة أنه سيصدر كتابا له بعنوان « السطوح والأعماق،عن شئون المهجرماظهر منها وما استتر »[1] فهو إذن من مواليد عام ١٨٨٤ م .

وقد دعا الأدباء المهجريون فى البرازيل إلى تعليم اللغة العربية فى جامعة سان باولو ، ومنهم الشاعر القروى ، وتولى توفيق قربان القيام بالتدريس عام ١٩٤٥ إلى فترة قصيرة ، ثم استقال وخلفه آخر فيها .

٣ — رابطة منيرفا

وهى مدرسة أدبية لم تمكث غير مدة قليلة ، وقد أسسها الشاعر المصرى الكبير الدكتور أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٤٨ فى نيويورك ، وكان هو رئيسها ؛ ونائب الرئيس فيها الشاعر المهجرى عبد المسيح حداد ؛ وكانت على غرار جمعية أبولو المصرية ؛ ويبدو أنها قد انتهت بوفاة الشاعر أبى شادى .. وليس لها كبير أثر فى الشعر المهجرى .

وكان من أعضائها كريمة الدكتور أبى شادى ، وهى الأديبة الشاعرة الآنسة صفية أبو شادى صاحبة ديوان « الأغنية الخالدة » الذى طبع فى القاهرة عام ١٩٥٤ على نفقة المؤلف ، وهو من الشعر الحر .

وكانت هذه الرابطة تعقد شهريا فى جامعة كولومبيا بنيويورك ، وتحتفى بالألوان الأصيلة من الأدب والشعر .

---

(١) جريدة الديار اللبنانية عدد ٦ نيسان ١٩٥٩ م .

وقد أسهم فيها بجهد كبير الشاعر نعمة الله الحاج كما يقول صيدح فى كتابه « أدبنا وأدباؤنا » .

٤ — الرابطة الأدبية(١)

أنشئت هذه الرابطة الأدبية فى عاصمة الأرجنتين عام ١٩٤٩ ثم اختفت بعد عامين ، وقد أنشأها صيدح على غرار الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، وقد عجلت عودة صيدح إلى وطنه بنهاية هذه الرابطة ، وقال زكى قنصل يوم أغلقت الرابطة أبوابها :

سألتك أيها القصر المنيف　　أيبق بعدك السمر اللطيف
ستذكر عهدك الزاهى نفوس　　وتبكى ظلك الضافى ضيوف
بروحى أربعاؤك كم أطلت　　علينا من روائعها طيوف
غدا يسعى إليك بنا حنين　　فيوصد دوننا باب عنيف
فمن نأوى إليه وقد تخلى　　عن الأدباء شاعرك الظريف

وكان من أعضائها : صيدح ، يوسف الصارمى صاحب مجلة المواهب الشهرية ، عبداللطيف الخشن صاحب جريدة العلم العربى الأسبوعية وكتاب « المغتربون » ، زكى قنصل ، وسواهم(٢) .

٥ — جامعة القلم بسان باولو

وقد احتفلت بالعيد المئوى لميلاد شوقى منذ قريب(٣) .

---

(١) ٦١٥ - ٦١٧ أدبنا وأدباؤنا طبعة ثالثة .
(٢) ص ٤٩ - ٥٥ أدب المغتربين لإلياس قنصل .
(٣) مجلة الأديب اللبنانية عدد ديسمبر ١٩٦٨ م .

النوادى الأدبية العربية فى المهجر

أنشأ الأدباء المهجريون العديد من النوادى الأدبية فى المهجر الأمريكى الشمالى والجنوبى ؛ وقد أسهمت هذه النوادى فى إشعال الحركة الأدبية هناك ، وفى خلق الكثير من المواهب الأدبية الفنية ، وفى توجيه الأدب المهجرى توجيها فعالا .

وفى كل مدينة كبيرة نزل فيها المهجريون كانوا يشكلون جالية عربية لها جمعياتها وصحافتها ونواديها الأدبية ، وتقيم الحفلات فى شتى المناسبات الاجتماعية والوطنية والدينية والأدبية . . ويصف الشاعر القروى البيئة الأدبية فى سان باولو فيقول : « كانت هناك جالية لها أندية وجمعيات وصحافة ، وكانت تقيم الحفلات بكثرة ، فى سبيل الأغراض الاجتماعية ، والوطنية ، وكانوا يدعوننى لأقول شيئا من الشعر ، فألبى دعوتهم ، وكنت أرقب هذه الأحداث بنفس ثائرة ، وأصورها بشعرى ؛ وكان ذلك هو أول عهدى بالجهاد الأدبى فى «سان باولو» التى كنا نسميها عاصمة اللوائيين أى حاملى اللواء ، هؤلاء الشبان الذين كانوا يوغلون داخل البلاد للاكتشاف والتعمير (١) .

ومن النوادى فى المهجر الجنوبى : نادى الرابطة الوطنية السورية ، ونادى جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية ، وهما فى سان باولو .

ومن الأندية التى قامت كذلك فى المهجر الجنوبى :

١ — « النادى الحمصى » فى سان باولو بالبرازيل ، أنشىء عام ١٩٢٠ (٢)

---

(١) ٢٩٢ و ٢٩٣ فصول من الثقافة المعاصرة للمؤلف .

(٢) ٢١٣ - ٢١٦ ذكرى الهجرة لضعون .

وتتسع قاعته لأكثر من ثلاثة آلاف كرسى! فضلا عن أبهائه الواسعة، وغرفه المتعددة، وصالوناته الفخمة.. وحينما تقيم حكومة الولاية، أو أية دائرة أو مؤسسة كبرى، حفلة ضخمة لعدد كبير من المدعوين، فليس هناك إلا قاعة «النادى الحمصى» يستأجرونها من مجلس إدارته المؤلف من اثنى عشر عضواً، يعاد انتخابهم كل سنة؛ ونظراً لحرص «النادى الحمصى» على أداء رسالته الثقافية والتوجيهية على الوجه الأكمل الأتم، فإنه ينتخب من بين أعضائه، أديباً بارزاً، يطلق عليه اسم «خطيب النادى»، وكان من أشهر خطبائه نظير زيتون صاحب المواقف المشرفة فى خدمة العروبة، والقلم السيال البليغ الذى ما هادن خصوم العروبة مرة، ولا توقف عن أداء رسالته الإنسانية والقومية، والذى كان ثروة كبرى لأمته، وكنزاً لا نفاد له، ولا حد لغناه.. وفى كتابه «الشعلة» مجموعة من خطبه فيه تعد نموذجا أدبيا رفيعا لطلاب البيان الرفيع.

٢ - «النادى الرياضى السورى» بسان باولو - وهو من أكبر الأندية الرياضية فى أمريكا الجنوبية كلها، وأفخمها جميعاً بدون استثناء، وتبلغ مساحته حوالى خمسين هكتاراً - أى حوالى خمسمائة ألف متر مربع - وفيه أبنية رحبة، وساحات واسعة، لمختلف الألعاب الرياضية.

٣ - «النادى الحلبى» بسان باولو الذى دشنه فؤاد الشائب سنة ١٩٥٨ حين زيارته البرازيل مع الوفد الذى كان يرأسه السيد صلاح الدين البيطار.

٤ - «النادى الرياضى» - نادى جبل لبنان، وهو من الأندية المرموقة، التى تفخر الجالية بها فى سان باولو.

٥ - جامع سان باولو.. وقد تضافرت أيدى المخلصين على بنائه من

مقيمين ومغتربين . . . لأن الجالية الإسلامية فى سان باولو ليست من الغنى بحيث تسعفها إمكانياتها وحدها لبناء مسجد فخم . وقد انهالت على الجمعية الإسلامية بعض التبرعات من البلدان العربية ، كما أن الحكومة الإيرانية قد تبرعت بمبلغ من المال ، وفرشت أرض المسجد بالسجاد العجمى .

ومما يجدر التنويه به أن بعض أغنياء الجالية من المسيحيين اشتركوا أيضاً فى بناء هذا الجامع .

٦ — النادى العربى فى بيونس آيرس عاصمة الأرجنتين ، وله نشاط قومى لايبذه أى نشاط فى أية مدينة أخرى . وتشرف عليه نخبة مختارة من الشباب المخلصين ، جلهم من أبناء جبل عامل ، الذى غذى العروبة بأعظم رجالاتها علماً وأدباً ، وجهاداً مرموقاً ، ووجاهة خيرة عريضة .

الندوات الأدبية العربية فى المهجر

كان المهجريون طالما يعقدون الندوات الأدبية فى كل مكان ينشدون فيها روائع الشعر ، ومأثورات الخطب ، وساحر البيان .

وكانت هذه الندوات تعقد فى دور المطابع والصحف العربية ، وفى المحافل العامة ، وفى النوادى الأدبية ، والجمعيات العربية والإسلامية العديدة المنتشرة فى كل مكان ، وفى منازل الأدباء ومواطن سمرهم ولهوهم ، وفى كل مكان .

وكانت هذه الندوات بمثابة أسواق أدبية رفيعة تشارك فى تهذيب لغة المهجريين ، وفى ازدهار أدبهم ، وفى تعدد ألوان هذا الأدب ، وكان شباب المهجريين يتعلمون من شيوخهم فى هذه الندوات حب العربية وتذوقها ومواهب الأدب وملكات الشعر والقدرة على البيان الجيد والقصيد الرائع والخطب البليغة . وتلك الندوات كانت تقام فى مختلف المناسبات

الأدبية والدينية والقومية والاجتماعية . . ففى عام ١٩٣٥ مثلا أقيم مهرجان أدبى كبير للمتنبى فى سان باولو بالبرازيل . كما أقيمت مهرجانات أدبية فى مناسبات أخرى كثيرة .

ومن الندوات الأدبية المشهورة فى المهجر الجنوبى (١) ندوة «رواق المعرى» التى أنشأها فى أوائل القرن العشرين (١٩٠٠) الشاعر قيصر المعلوف ، وكان زملاؤه فى هذه الندوة : جورج عساف ، وخليل كسيب ، ويوسف ناصيف ضاهر ، وفارس نجم ، ونعوم لبكى ، وأنيس يواكيم الراسى ، ووديع فرح ، وأسعد بشارة ، وإسطفان غلبونى ، وغيرهم (٢) .

ولقيصر ترجمة لرباعيات الخيام وهى ترجمة شعرية ، وعدة دواوين مطبوعة

وقد توقف نشاط هذه الندوة فى أوائل الحرب العالمية الأولى .

وهناك ندوة الأدب العربى فى عاصمة الأرجنتين ، وقد احتفلت بعيد ميلاد شوقى المئوى عام ١٩٦٨ (٣) .

وكثيرا ما كانت تقوم المعارك الأدبية بين الأدباء المهجريين . ومن مثل

---

(١) منها : المساعى الأدبية العربية بالبرازيل (راجع ١٩٧ و ١٩٨ ذكرى الهجرة لضعون) ، ومنها : نادى الأرز (٢١٧ و ٢١٨ المرجع نفسه) ، والرابطة الأدبية الفنية (٢٠٥ – ٢٠٨ المرجع) .

(٢) ص ١٠٢ من هذا الكتاب ، ومجلة العصبة الأندلسية عدد ٨و٧ - السنة الثالثة عشرة - نوفمبر وديسمبر ١٩٥٣ - ويذكر صيدح أن مؤسسها هو نعوم لبكى وأنها انتهت بعد الحرب العالمية الأولى (١٦٦ أدبنا وأدباؤنا - طبعة ثالثة)، وذكرها إلياس قنصل فى كتابه (أدب المغتربون ص ٢٨ و ٢٩ وذكر أنها قامت فى سان باولو وصدر عنها ديوان « تذكار المهاجر » لقيصر معلوف وهو أول ديوان صدر فى العالم الجديد . وذكر توفيق ضعون فى كتابه « ذكرى الهجرة » (ص ١٨٦ - ١٨٨) رواق المعرى وأن مؤسسه هو نعوم لبكى عام ١٩٠٠ ، وأنه أنشأ جريدته « المناظر » فى هذا العام نفسه .

(٣) الأديب اللبنانية عدد ديسمبر ١٩٦٨

ذلك ما دار بين الشاعر القروى وإخوانه عام ١٩٢٣ ، مما نشر فى كتاب بعنوان « صوت الحق » آنذاك .

وإليك بعضا مما جاء فى كتاب « صوت الحق » الذى نشره الشاعر القروى آنذاك ، قال القروى :

لعمرك قد حلمنا حلم معن على أهل الرصانة والرشاد . .
تمادوا فى المسبة فاغتفرنا لهم فوق المسبة والتمادى
ولكن يستبد (الحر) فينا ولااستبداد (غورو) فى البلاد

يعلم الله أنى ما ألقيت قط بالا إلى زمرة الشاتمين ، بل كنت أعدهم عيالا على شهرتى . يسبقون فى هذا المضمار أنصار الفضل من معشر صحبى وخلانى ، فقد طالما ناجزونى العداء ، واتخذوا جرائدهم الرصينة سلاحاً على ، وأنا أعزل ، فلم أفتأ ألقى كلمتى وأمشى ، لامتوقياً ولا مستوقياً ، ولكنها الغيرة للحق ، والضن بحرية الفكر ، والغضب لأن نكون فى البلاد التى تعبد الحرية ، وتعبد (لتيرادنتس) ولا نستطيع أن ننشد فى حفلة قصيدة أنشد إلياس صالح أبلغ منها ، على مسمع وال تركى ، فى بيروت ، فى عهد عبد الحميد ، دون أن نتعرض لمثالب الأعضاء الأثرية الباقية من عهد ذلك الطاغية ، ولا أن نطبع أغنية يرد فيها ذكر الوطنية ، إلا بعد أن يمر عليها قلم المراقبة فى إدراة « فتى لبنان » فيحذف منها ما يشاء ويبقى مايشاء ، كل ذلك يحرجنا فيخرجنا عن مألوفنا من الإعراض ، ويستفزنا إلى نشر هذا البيان على الملأ ، والاحتجاج لدى معشر الأحرار فى سائر الأقطار ، فقد والله جاوزت قحة هؤلاء المراقبين على الناس كل حد . وبلغوا من الجرأة على الحق ، والتمادى فى الافتراء ، مبلغاً أصبح معه الحلم « حجة لاجئاً إليها اللئام » .

دعانى النادى الحمصى هنا إلى نظم قصيدة ، وإعداد أغنيتين لحفلة عيده السنوى الثالث الواقع فى ٢٠ أيارسنة ١٩٢٣ ففعلت . وبعث النادى بالأغنيتين

ليطبع منهما فى مطبعة «فتى لبنان» بضع مائة نسخة توزع على الحاضرين أثناء الاحتفال، فلما أتى بعض الزملاء فى المهجر على الدورين الأخيرين منهما أخذته سورة الغضب ، وكال للشاعر القروى كيلا ملبدا مهزوزا من النعوت الجميلة ، وتوعد النادى إذا هو سمح له بإلقاء قصيدته ، وللمغنين بإنشاد الأغنيتين ، ثم تجاسر فأطلق يده فى الدورين المذكورين وأجرى عليهما ما كان يجرى المكتوبجى رحمه الله على مقالات سركيس ، وهكذا طعنت ياسادة حرية الفكر والنشر فى بلاد الحرية طعنة نجلاء فى صدرها ؛ وإنى لمثبت هنا القصيدة والأنشودتين بتمامهما تاركا للمطالع اللبيب تصور أى موقع ينبغى أن تكون قد وقعت من نفوس الأدباء ، ولا بأس من استهدافى لرمى بعضهم إياى بالعجب، فأقول تقريراً للحقيقة إن حالة الحفلة أثناء إلقاء القصيدة كانت حرباً سلمية .. تمثل فيها الاستحسان بضجيج الهتاف والتصفيق والاستعادة .

وإليك تلك القصيدة (١) :

في عيد ناديك لا فى عيد لبنانى ... يحلو الهتاف لرايات وأوطان
عيدان ياظبية الميماس بينهما ... عز العزيز وذل الخانع العانى
عيدان ذا خافق قلبى له طرباً ... وذاك من أجله حطمت عيدانى !
هذا يجدد فى أيار لى فرحى ... وذا يجدد فى أيلول أحزانى
هذا يمثل لى وجه الربيع وذا ... رمز لوجه الخريف الشاحب الفانى
هذا يرينى أبناء الحياة وذا ... أشباح ناس تراءت فوق حيطان
هذا يرينى فى صنبول لى وطناً ... وذا ابن لبنان منفياً بلبنان
هذا يرينى بيوتا تحتوى بشراً ... وذا معابد تحوى كل شيطان
ماغير الثوب من أخلاق لابسه ... كم فى (المساخر) من شيخ ومطران

---

(١) لم تثبت هذه القصيدة والأغنيتان فى دواوين القروى .

الخير منك ومنك الشر لا صنم أوحى الفساد ولا تعليم أوثان
لا أحسب الناس زادوا عفة وتقى من بعد إنزال إنجيل وقرآن
قد كان يخشى عقاب الإثم خاطئهم فصار يخطيء موعوداً بغفران
فى مصحف القلب آيات منزلة تغنيك عن كل تأويل وتبيان
وما الكتاب إذا مات الضمير سوى
عهد يمزقه فى الحرب خصمان
ما أجمل الكفر موسوماً بمغفرة ما أقبح الدين موصوماً بأضغان
إن كنت أنت مسيحياً وتظلمنى فليحى كل رحيم غير نصرانى !
باهى الورى يا ابنة العاصى بكل فتى باهى المحاسن باقى الفضل محسان
بادى المآثر رغما من تكتمه وأشهر الفضل مسبوق بكتمان
إن كان يخجله مدح ليخجلنى صمت ورب سكوت جد بهتان
ما عاب شعرك إطراء لذى أدب
حجب الكمال وكشف النقص سيان
من نام عن حسنات الناس ذم كمن فى السوء راح مجيلا طرف يقظان
لا يقتضى الشر أن تسعى له قدم كم من كسيح له فى السوء رجلان
وكم قتيل شهيد أنت من دمه عف اليدين وأنت المجرم الجانى
قولى لهم يا ابنة العاصى إذا امتلأت
قاعات ناديك من شيب وشبان
يا إخوتى إنما عصر الحجاب مضى
وآن أن ألتقى يوماً بإخوانى
وليس يعزب عنكم أننى بشر وأننى ذات إحساس ووجدان
وأننى مثلكم أصبو إلى سمر وأننى طال حبسى بين جدران
وأن ناديكم صحراء قاحلة بين النوادى بلا ورد وريحان
إن كان للشر فلتنقض حجارته أو كان للخير لم أجزى بحرمان ؟
هذا رجاء لنادى حمص أرفعه على جناحين من حبى وإيمانى

ولست إلا رسولا للإخاء دعا ينوب عن أخوات عند إخوان
فإن رددت وليس الرد شيمتكم فشأنكم وابنة الميماس لا شأني
وإن قبلت فبشرى للرقى بكم وعيدكم بعد هذا العام عيدان

وإليك أغنية النادي الحمصي :

ياليلة أبهى الأعياد قد تهت على الفجر
وغنيت بأقمار النادي عن أنجمك الزهر
أقسمت ببلبلك الشادي وبكوكبك الدري
لك يحلو نقر الأعواد بالشكر مدى العمر
ياحمص وحق الميماس مازلت على الحب
وأحن إلى ذوب الماس من كوثرك العذب
أيرق لي الدهر القاسي وأمتع بالقرب ؟
ومن العاصي أروي كاسي وأبل بها قلبي
عيد الحرية زر وطني فالظلم هناك طما
والحق تحجب في الكفن والعدل قضى ألما
سورية في ليل المحن تزداد شقاً وعمى
فاطلع بمحياك الحسن وأزل عنها الظلما

وإليك نشيد سوريا :

نحن أشبال الأسود خير الجدود حمر البنود
من تساموا بالفعال بين الرجال أهل المعالي
ركبوا متن البحار إلى الفخار قبل البخار
ملأوا الأقطار فضلا يجرون عدلا يعطون سؤلا

العلم عنوان الرشاد العدل عمران البلاد
إنما العلم سراج إنما العدل علاج، وحياة للعباد
ياحبذا العصر الجديد عصر هارون الرشيد فى حمى دار السلام
عصر مجيد عصر فريد عصر سعيد عصر السلام
أمنا أم الجمال أم الجلال أم الكمال
تحت جنحيك اجمعينا والحب فينا اجعليه دينا
سلحينا بالرشاد والاتحاد يوم الجهاد
علمينا بالثبات حتى المهات معنى الحياة
أهل سوريا الكراما حيوا السلاما أحيوا الوئاما
أرضكم أمست خرابا تشكو العذابا تبكى الشبابا
بادروها بالدواء صدق الولاء محض الوفاء
وارفعوها بالعلوم مثل القديم فوق النجوم

وهذه صورة مما كتب عن قصيدة الشاعر القروى هذه من نقد لغوى وبيانى . قال بعض المهجريين فى نقده لهذه القصيدة :

قال القروى :

لا أحسب الناس زادوا عفة وتقى
من بعد إنزال إنجيل وقرآن

فقال الناقد : إن « تنزيل أصح من إنزال » ورد عليه القروى قائلا : عثرت فى القرآن الكريم على آيات عديدة يرد فيها الفعلان بمعنى واحد فأكتفى بالاستشهاد على الأخير لأن عليه اعتراض حضرته ، قال تعالى فى سورة البقرة ٣٨ : يا بنى إسرائيل . . آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم . ولو راجع القصيدة لوجد أنى استعملت الفعلين كلا فى موضع ، والغريب أن حضرته اعترض على (انزل) والسيد اسطفان غلبونى اعترض على (نزل) فأى العلامتين نعتمد ؟ .

وقال القروى :

ما أجمل الكفر موسوماً بمغفرة
ما أقبح الدين موصوماً بأضغان

فقال الناقد « إن موسوما معناه مكوى ولا يفيد غير هذا المعنى » . ورد عليه القروى قائلا : ماقوله بقطر المحيط حيث جاء « وفلان موسوم بالخير أى عليه سمة الخير وعلامته ، ودرع موسومة أى مزينة ، أفيعنى ذلك أنهما مكويان ؟ .

وقال القروى :

بادى المآثر رغما عن تكتمه
وأشهر الفضل مسبوق بكتمان

فقال الناقد « إن تكتم من مبتكرات القروى » ورد عليه القروى قائلا : ليفتح حضرته كتاب لغة الجرائد للشيخ إبرهيم اليازجى الصفحة ٨٣ يجد ماهو بالحرف : « تكتم فلان إذا كتم نفسه أو أمره كما يقال تستر وتحجب ونحو ذلك » .

وقال القروى :

باهى الورى ياابنة العاصى بكل فتى
باهى المحاسن باقى الفضل محسان

فقال الناقد « إن باهى الثانية لاتجىء لهذا المعنى » فيجيبه القروى أن كثيرين من الشعراء الذين تقدمونا استعملوها استعمالنا لها وتقتصر على إيراد بيت للشيخ أبى الحسن مشهود بصحته من الشيخ إبراهيم إذا استشهد به فى لغة الجرائد ولو رأى فيه خطأ لما سلم من نقده وهو :

فالربع بالمجد لا بالصحن متسع والبهو لا بالحلى بل بالعلى باهى

هذه صور أدبية مما كان يدور من مساجلات بين المهجريين فى أرض المهجر البعيدة .

وقد علق بعض المهجريين على هذا النقد ، فكتب توفيق ضعون إلى القروى يقول له :

إن قصيدتك نظمت لحفلة معينة وتليت فيها وأتت النتيجة المطلوبة ، فلا يعيبها على الإطلاق عدم مصادفتها الاستحسان التام ممن طالعوها فى خلوة ، فالحماسة التى يستمدها الفرد من المجموع ومشاركته المجموع فى تحمسه يكسبان كل قول تأثيراً لا يكون له فى حالة الانفراد ، من ذلك اجتماع الشرب لتعاطى بنت الحان واستماع المطرب من الألحان ، أو جلوس عدد من الناس إلى مائدة لتناول الطعام . فان المشاركة فى الحالين تزيد الشراب والغناء طلاوة والطعام لذة ، فيمعن الحضور فى الشرب والأكل على شكل لا يتأتى لهم منفردين ، ومما يشبه قصيدتك أيضاً الصورة الزيتية التى تزداد جمالا كلما ابتعدت عنها ويتشوه شكلها فى نظرك كلما دنوت منها :

لك أسوة بالمنفلوطى الذى انتقده أحد العلماء وأثبت جهله باللغة ، ومع ذلك ظل المنفلوطى ذلك النجم الساطع ، ولم يبرز منتقده من زاوية خموله وحضيض عقمه .

المطابع العربية فى المهجر

أنشأ المهجريون العديد من المطابع العربية فى المهجر الأمريكى الشمالى والجنوبى ، لكى تكون وسيلتهم إلى الحياة ، وإلى الأدب معا .

ومن المطابع التى قامت فى المهجر : مطبعة الاتلانتيك التى أسسها نسيب عريضة عام ١٩١٢ (١) .

ومن هذه المطابع : مطبعة جريدة السائح ، ومطبعة جريدة الهدى ، اللتين كانتا تصدران من نيويورك .

وكذلك مطبعة مرآة الغرب فى نيويورك التى طبع فيها ديوان الجداول لإيليا أبى ماضى عام ١٩٢٧ م .

وكذلك مطبعة:جريدة السمير العربية التى أنشأها أبو ماضى وكانت من أحدث المطابع ، وتعد المطبعة العربية الأولى فى نيويورك ، وقد أقيم لها بناء خاص وسط المدينة .

وغير ذلك من المطابع العربية التى أنشأها المهاجرون فى مدن الشمال والجنوب من أرض العالم الجديد ، والتى كانت ذات أثر كبير فى نهضة العربية

---

(١) محمد عبد الغنى حسن ـ الشعر العربى فى المهجر صـ ١٤٨ . ويذكر محمد قرة على أن عريضة أسس هذه المطبعة عام ١٩٢٥ (٢٢٧ شعر من المهجر) . وقال الشاعر محمد عبد الغنى حسن مؤلف كتاب « الشعر العربى فى المهجر » من رسالة بعث بها إلى معلقا على ذلك ، وكنت قد سألته فى الأمر وأنا فى البيضاء بليبيا ، فأجابنى بأن كتاب نسيب عريضة الصادر عن مجموعة منا هل الأدب العربى (دار صادر ببيروت) ذكر أن إنشاء هذه المطبعة كان عام ١٩١٢ ، وكذلك ذكر مثل ذلك صيدح فى كتابه « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية » .

وازدهار الأدب فى هـــذه الربوع النائية البعيدة عن أرض العروبة ولغتها وآدابها .

الصحافة العربية فى المهجر

— ١ —

أسس بعض المهاجرين الأولين صحفا عربية فى المهجر ، تكتب كلها أو بعضها باللغة العربية .

ومن بينها : جريدة العصر ، والأيام ، والفيحاء .

وأول صحيفة عربية ظهرت فى المهجر الأمريكى هى « كوكب أمريكا » التى أصدرها إبراهيم ونجيب عربيلى عام ١٨٩٢ م (١) .

أما جريدة الهدى فقد أنشأها فى نيويورك نعوم مكرزل عام ١٨٩٨م(٢) وبعد عام أسس نجيب موسى دياب جريدة « مرآة الغرب » (أى عام ١٨٩٩ م) وكان يكتب فيها جبران ووليم كاتسفليس وغيرهما . وفى سان باولو صدرت جريدة الفيحاء عام ١٨٩٤ فهى أول جريدة عربية فى العالم الجديد الجنوبى (٣) .

---

(١) ٥١ الشعر العربى فى المهجر لمحمد عبد الغنى حسن نقلا عن « تاريخ الصحافة العربية » (٤ : ٤٠٦) للفيكونت فيليب طرازى ، وقد ذكر الشاعر محمد عبد الغنى حسن فى كتابه تاريخا آخر لصدور هذه الجريدة وهو عام ١٨٨٨ نقلا عن كتاب « الناطقون بالضاد فى أمريكا » ، ورجح التاريخ الأول .

(٢) لأبى شادى قصيدة فى الهدى عام ١٩٤٨ بمناسبة العيد الذهبى (الخمسينى) لها ، وتجدها فى ديوانه « من السماء » الذى طبع فى مطبعة جريدة الهدى فى نيويورك عام ١٩٤٩ م .

(٣) ص ١٦ أدب المغتربين لإلياس قنصل .

وأسس الأديبان المهجريان : سليمان بدور وعباس أبو شقرا جريدة البيان النيويوركية عام ١٩١١ م ، وكان يحرر فيها الشاعر المهجرى مسعود سماحة . وصدرت فى نيويورك «المجلة العربية»،وكان يصدرها جماعة من أبناء فلسطين وحرر فيها إيليا أبو ماضى فترة من الوقت » .

وأصدر شكرى بخاش فى نيويورك مجلة « الفتاة » .

وأنشأ عبد المسيح حداد الأديب المهجرى (١٨٩٠ - ١٩٦٣) جريدة السائح فى آخر نيسان عام ١٩١٣ (١) ، وكان بعد هجرته من وطنه سوريا قد استقر فى نيويورك . وعاد إليه حنينه للأدب والصحافة ، فأنشأ السائح، وكان يكتب فيها : جبران ، والريحانى ، ورشيد أيوب ، وندرة حداد ، ويعملون بروح الأسرة الواحدة ، وكانت دار جريدة السائح هى التى شهدت الاجتماعات الأدبية العديدة التى كان يدعو إليها صاحبها ، والتى انتهت فيما انتهت إليه فى آخر الأمر إلى تكوين الرابطة القلمية عام ١٩٢٠ ، التى تعد أظهر حدث أدبى فى أرض المهجر ، والتى صارت صرحا عتيدا من صروح الأدب المهجرى ، وقد كان فى جريدة « السائح » ، نصف الأسبوعية بعض العوض عن « مجلة الفنون » التى احتجبت لضيق ذات يد صاحبها الشاعر المهجرى نسيب عريضه (٢) .

---

(١) راجع ٢٢١ فصول من الثقافة المعاصرة المؤلف ، وكذلك يذكر محمد عبد الغنى حسن فى كتابه « الشعر العربى فى المهجر » ص ٥١ أنها أنشئت عام ١٩١٣ .. وكانت أعداد السائح تصدر بهذه العبارة : « السائح جريدة جامعة أنشئت فى آخر نيسان عام ١٩١٣ الجريدة الرسمية للرابطة القلمية فى نيويورك » .

(٢) فى عام ١٩٥٧ باع صاحب السائح حقوقه فى جريدته لراجى الضاهر صاحب جريدة البيان .

وحين قامت فى نيويورك « المجلة العربية » التى أنشأها جماعة من أبناء فلسطين .. أسهم أبو ماضى فى تحريرها منذ عام ١٩١٦ ، وبعد فترة من الزمن انضم إلى تحرير جريدة الفتاة ؛ وكان يصدرها شكرى بخاش صاحب « زحلة الفتاة [١] » .

وأنشأ الشاعر نسيب عريضة فى نيويورك مجلته الأدبية الفنون عام ١٩١٣ ، وكان يكتب فيها ميخائيل نعيمة فصوله فى الأدب والنقد ؛ وقد اشترك فى إنشائها مع عريضة : الأديب المهجرى نظمى نسيم ، وتوقفت عام ١٩٢٠ م عن الصدور .

وكذلك أنشأ الشاعر المهجرى إيليا أبو ماضى مجلته السمير فى نيويورك فى نيسان عام ١٩٢٩ ، وكانت من أكثر الصحف العربية فى المهجر فى أرض العالم الجديد ذيوعا ، وقد حولها جريدة يومية منذ عام ١٩٣٦ ، وكانت أول جريدة عربية يقوم لها بناء خاص فى وسط نيويورك ومطابعها من أحدث المطابع العربية هناك .

وأخرج أنطونيوس بشير مجلة دينية فى نيويورك بعنوان الخالدات .

— ٢ —

وفى المكسيك أصدر محبوب الخورى الشرتونى صحيفة الرفيق باللغة العربية عام ١٩٢٥ فى عاصمة المكسيك ، التى صدر فيها نحو عشرين صحيفة عربية خلال القرن العشرين .

وقام المهجريون فى أمريكا اللاتينية كذلك بإنشاء الصحف والمجلات الأدبية وغيرها . .

---

(١) ص ٩١ شعر من المهجر لمحمد قرة على - بيروت ١٩٥٤ م .

وظهرت مجلة العصبة الأندلسية فى سان باولو ، ناطقة بصوت جمعية العصبة الأندلسية التى كانت من أقوى صروح الأدب فى المهجر الجنوبى .

وظهرت جريدة « فتى لبنان » اليومية فى سان باولو ، وتولى رياسة تحريرها فى فترة من الفترات نظير زيتون .

وكانت مجلة « الشرق » العربية البرازيلية تظهر فى فى ثوب أنيق ، وفيها كان ينشر الشعراء المهجريون فى المهجر الأمريكى الجنوبى شعرهم .. ومن المجلات فى المهجر الجنوبى : الأفكار ـ أبو الهول ـ المقرعة .

وقد أنشأ إلياس فرحات‌هو وتوفيق ضعون عام ١٩١٩ مجلة أدبية اسمها « الجديد » وظلا يصدرانها إلى أن انفرد ضعون بإصدار مجلته « الدليل » فى إبريل عام ١٩٢٨ ، وكانت « الجديد » لسان حال الأحرار والمتحررين من الاستعمارين التركى والفرنسى .

وأنشأ شكر الله الجر فى البرازيل مجلته « الأندلس الجديدة » ثم مجلة « الزنابق » .

وأنشأ جورج صوايا فى‌الأرجنتين عام ١٩١٩ جريدة « يقظة العرب » اليومية، ثم أنشأ كذلك فى‌الأرجنتين فى‌ديسمبر عام ١٩٢٩ جريدة الإصلاح العربية التى كانت تصدر يومية من مدينة بيونس ايرس ، وحولها بعد ذلك إلى مجلة أسبوعية .

وأنشأ لبيب الرياشى عام ١٩١١ فى بيونس إيرس جريدة « القرن العشرون » العربية .

وأنشأ موسى يوسف عزيزة « الجريدة السورية اللبنانية » فى عاصمة الأرجنتين كذلك باللغة العربية وذلك عام ١٩٢٩ .

وكانت جميع هذه الصحف العربية المهجرية حافلة بأدب المهجريين ،

فياضة بألوان من نثرهم وشعرهم عالية الموهبة ، واضحة الأصالة، وتنقلها مجلات وصحف خارج أرض العالم الجديد ، محتفية بها ، مقدرة إياها .

على أن جريدة الهدى التى كان يصدرها نعوم مكرزل أصبحت اليوم فى حوزة إحدى بناته وهى لا تلم بالعربية وتصدر ثلاث مرات فى الأسبوع . أما جريدة البيان لراجى ضاهر فتصدر مرة واحدة فى الأسبوع . والإصلاح لألفونس شوريز تصدر كذلك مرة واحدة فى الأسبوع .

— ٣ —

ويقول الأستاذ عبد اللطيف اليونس فى كتابه « المغتربون »(١) :

« إن الصحف العربية ، فى المهجر ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببقاء اللغة العربية فيه ، فهذه الصحف إنما صدرت، وتصدر ، ليقرأها أبناء الجالية الذين يعرفون اللغة العربية ، وكلما قل عدد القراء ضعفت الركائز التى تقوم عليها هذه الصحف ، وانهارت ، وزالت الأسباب المؤدية لبقائها ، وتلاشت ، وقد احتجبت صحف كثيرة ، وخلفت وراءها آثاراً كثيرة من اللوعة والحنين . وشعوراً عميقاً بأن لغة الضاد، فى أمريكا كلها سائرة إلى الاضمحلال والزوال .

والصحف الباقية إنما تغالب الأحداث ، وتقاومها ، ويبذل أبناؤها جهوداً مضنية للمحافظة عليها ، ويعانون فى سبيل ذلك الأمرين .

وهذه أسماء الصحف المحتجبة ، برهانا قاطعا على مدى الخسارة القومية التى منيت بها القضية العربية فى المهجر ، باحتجاب تلك الصحف :

---

(١) ص ١٠٨٤ مجلة العرفان عام ١٩٦٤ م .

المدينة	البلاد	مؤسسها	اسم الجريدة أو المجلة
نيويورك	الولايات المتحدة	أبناء عربيلي	جريدة كوكب أميركا ١٨٨٨
»	»	نجيب دياب	» مرآة الغرب
»	»	نعوم مكرزل	» العصر ١٨٩٤
»	»	نعوم مكرزل	» الهدى ١٨٩٩
»	»	يوسف نعمان	» الأيام
(١٨٩٧ - ١٩٠٠)	البرازيل	خليل ملوك	» الأصمعي
نيويورك	الولايات المتحدة	أسعد ونجيب بدران	» الدليل
»	»	نسيب كرم	» المهاجر
»	»	أنطون زريق	» الارتقاء
»	»	سليمان بدور	» البيان ١٩١١
»	»	إيليا أبو ماضي	» السمير
»	»	عبد المسيح حداد (١)	» السائح ١٩١٣
»	»	نجيب بدران	» النسر ١٩١٤
»	»	مسعود وافرام البستاني	» دير القمر
»	»	يعقوب روفائيل	» الأخلاق
»	»	يوسف بريدى	» الاصلاح
»	»	يوسف الخورى	» الشعب
»	»	أمين الغريب	» المهاجرون
»	»	نسيب عريضة	مجلة الفنون ١٩١٣
ديترويت	»	سعيد داود فياض	» نهضة العرب

---

(١) يؤرخ كل الكتاب لصدور السائح بعام ١٩١٢ وهذا خطأ ، وفى صدر كل عدد من أعداد السائح أنها صدرت فى آخر نيسان عام ١٩١٣

اسم الجريدة أو المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
مجلة الرواية ١٩١٣	رشيد عطية	الأرجنتين	
» الكرمة ١٩١٤	سلوى سلامة	»	
» الأنيس ١٩١٦	حبيب مسعود وأنطون سعد	»	
» المنتخبات ١٩١٨	إلياس سليمان اليازجى	»	
» الجديد ١٩١٩	توفيق ضعون وإلياس فرحات	»	
» المدرسة	موسى كريم	»	
» الشرق ١٩٢٨	موسى كريم		
» العصبة ١٩٣٣	حبيب مسعود (العصبة الأندلسية)		
» الروايات العصرية	رشيد عطية		
» الحارس	أمين الغريب		
» المراحل ١٩٥٥	مريانا دعبول		
الجريدة ١٨٩٤	سليم باش	الأرجنتين	بونس ايرس
صدى الجنوب ١٨٩٨	الخورى حنا سعيد	»	»
الصبح ١٨٩٨	شكرى الخورى وخليل شاوول	»	»
السلام ١٩٠٢	وديع شمعون	»	»
الزمان ١٩٠٣	ميخائيل سمره	»	»
الحقائق ١٩٠٥	ملحم أبو على كرباج	»	»
الجالية ١٩١٠	جورج مسرة	»	»
القرن العشرون ١٩١١	لبيب الرياشى	»	»
الحاوى ١٩١٢	يوسف ملحم شعيا	»	»
جراب الحاوى ١٩١٢	سمعان منصور الحاماتى	»	»
النسر	سمعان منصور الحاماتى	»	»
المرسل ١٩١٣	للمرسلين اللبنانيين	»	»
العلم العثمانى ١٩١٥	سيف الدين الرحال	»	»

اسم الجريدة أو المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
الاتحاد	سعيد داود فياض	الولايات المتحدة	ديترويت
الدليل	»	»	»
الرسالة	حسين خروب	»	»
لسان العدل والصباح	شكرى نعمان	»	»
هوليود	نزيه مسعد	»	لوس انجلس
الأصمعى ١٨٩٨	خليل ملوك وشكرى الخورى	البرازيل	
المناظر ١٨٩٩	نعوم لبكى وفارس سمعان نجم	»	
خلايا النحل ١٩٠١	نعوم لبكى	»	
المنارة ١٩٠٢	الجمعية الخيرية المارونية	»	
الرموز ١٩٠٢	رشيد الخورى	»	
الأفكار ١٩٠٣	الدكتور سعيد أبو جمرة	»	
البرازيل	قيصر معلوف	»	
أبو الهول ١٩٠٦	شكرى الخورى	»	
بشرى	خليل يوسف سعد	»	
الميزان ١٩٠٩	اسطفان غلبونى	»	
الحديقة	قيس لبكى	»	
هات الكاوى ياسعيد	الدكتور يوسف رزق الله وسعيد كلاجى	»	
الوطن ١٩١٠	إبراهيم وإلياس فرحات	»	
الجديد ١٩١١	نجيب وفارس نجم طراد	»	
الأمازون	فارس الدبغى	»	
الفرائد	إبراهيم شحادة فرح	»	
القلم الحديدى	جورج حداد	»	

اسم الجريدة أو المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
أميركا	اسكندر شاهين	البرازيل	
المقرعة ١٩١٤	سليم لبكى	»	
النهضة اللبنانية ١٩٥٥	جمعية النهضة اللبنانية	»	
البرازيل ١٩١٥	جورج مسره	الأرجنتين	
العثمانى	قيس لبكى	»	
الزهراوى	جورج أطلس	»	
النخلة	داود جرجس الخورى	»	
المؤدب ١٩١٧	نجيب قسطنطين حداد	»	
الصاعقة	ميخائيل دحروج	»	
الرائد ١٩١٩	نجيب قسطنطين حداد	»	
الاتحاد العربى	جورج ميخائيل أطلس	»	
النجمة السورية	نجيب عزيز الصفدى	»	
الجريدة ١٩٢٠	الدكتور خليل سعادة	»	
المهجر	عبد الكريم الخورى	»	
السياسة ١٩٢١	سليم شديد عقل	»	
سان باولو	نبيه الزعنى ويوسف فريحة	»	
سورية	إلياس مسرة	»	
القمر	إلياس قمر	»	
أبجد هوز ١٩٢٣	ناصر شاتيلا	»	
الرعد ١٩٣٦	نخلة الخورى	»	
الجامعة اللبنانية ١٩٢٧	الدكتور إبراهيم الخورى	»	
برازيل لبنان (فتى لبنان)	رشيد عطية	»	
الأرز	ميشيل جبور الخورى	»	

اسم الجريدة أو المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
الأرجنتين ١٩١٥	سليم أبو اسماعيل	الأرجنتين	بونس ايرس
الشمس ١٩١٥	أسير الغريب	»	»
الاتحاد اللبنانى ١٩١٥	رشيد رستم واخوانه	»	»
الصاعقة ١٩١٦	سليمان أبو شر	»	»
الكاوى ١٩١٦	جميل دكدانيان	»	»
صدى الشرق ١٩١٧	نجيب بعقلينى	»	»
التحالف اللبنانى ١٩١٩	جمعية التحالف اللبنانى	»	توكومان
الجامعة السورية	حسنى عبد المالك	»	بونس ايرس
يقظة العرب	الحزب الوطنى العربى	»	»
الشرق ١٩٢١	سيف الدين الرحال	»	»
	وحسن دركل		
الفاكهة	سيف الدين الرحال	»	»
الحياة ١٩٢٢	جورج عساف	»	»
لبنان ١٩٢٦	ميخائيل الخورى	»	»
	وميخائيل أبو زيدان	»	»
الاستقلال ١٩٢٦	الأمير أمين أرسلان	»	»
المنبر ١٩٢٧	رشيد زين	»	»
الإصلاح ١٩٢٨	الدكتور جورج صوايا	»	»
السورية اللبنانية ١٩٢٨	موسى يوسف عزيزة	»	»
الراوى ١٩٢٩	ميخائيل مراد	»	»
الأحوال ١٩٣٢	عزيز سرحان عبيد	»	»
العلم العربى ١٩٣٤	عبد اللطيف الخشن	»	»
الشباب ١٩٣٦	على جابر	»	»

اسم الجريدة أو المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
العقاب ١٩٣٦	إلياس الخورى	الأرجنتين	بونس ايرس
مجلة المناهل ١٩٣٧	إلياس قنصل	»	»
» الجامعة السريانية ١٩٣٧	فريد نزهة	»	»
» النوادر ٩٣٧	خليل نادر	»	»
» الوحدة العربية ١٩٣٩	يوسف العيد	»	»
» أهلا وسهلا ١٩٤٠	جبران طرابلسى	»	»
» الرفيق ١٩٤٤	يوسف كمال	»	»
» المواهب ١٩٤٥	يوسف الصارمى	»	»
» المجلة	الدكتور خليل سعادة	»	»
» الوطن	حسنى عبد المالك	»	»
» التمدن	جبران مسوح	»	»
	وحبيب اسطفان	»	»
» الزوابع	أنطون سعادة	»	»
» الإخاء	جبران مسوح	»	»
» العرب	محمد هواش	»	»
» المختصر	جبران مسوح	»	»
» الفطرة	محمد عيسى	»	»
	ومحمد محمود رمضان	»	»
» السيف	جورج سالم سيف	»	»
» الشرق بالأسبانية	لعيسى نخلة	»	»
» العرب بالأسبانية	لجامعة الدول العربية	»	»
» الفيحاء ١٩٤٨	سليم بالش	تشيلى	سنتياغو
» المرشد ١٩١٢	الخورى بولس	»	»

اسم الجريدة أو المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
مجلة التفاهم ١٩١٧	أنطون الجمل	تشيلي	سنتياغو
« الشبيبة ١٩١٨	جميل شوحي	«	«
« الوطن ١٩٢٠	شركة مساهمة	«	«
« الشرق ١٩٢٨	الخوري سليمان الخوري	«	«
« الإصلاح ١٩٢٩	الخوري سليمان الخوري	«	«
« الهادي ١٩٢٩	أنطون الجمل	«	«
« الإصلاح ١٩٣٠	جرجس أبو صباح	«	«
« النشرة ١٩٣٤	سليمان عويس	«	«
« الاعتدال ١٩٣٤	توفيق ضعون	«	«
« النظام ١٩٤٢	أحمد حسن مطر	«	«
« الوطن ١٩٤٤	جان زلاقط	«	«
« آرابيا باللغة الأسبانية	بعض المغتربين	«	«
« الوطن العربي باللغة الأسبانية	جرجس أبو صباح	«	«
« فلسطين باللغة الأسبانية	بعض المغتربين	«	«
الخواطر ؟	يوسف صالح الحلو وسعيد عقل الداموري	المكسيك	العاصمة
الرفيق ١٩٢١	حبيب الخوري الشرتوني	«	«
القضاء وجوفر	فيليب بدران	«	«
سورية المتحدة ١٩١٩	حنا بشارة الناصري	«	«
	ويوسف الشوطي	«	«
الجريدة	حليم نصار	«	«
« الغربال	عبد الله مسلم وحنا بشارة	«	«

المدينة	البلاد	مؤسسها	اسم الجريدة أو المجلة
العاصمة	المكسيك	عبد الله مسلم وحنا بشارة	مجلة الفرائد
»	»	؟	» القسطاس
»	»		» الأمير وتصدر باللغة الأسبانية

ولم تحضرنا إلا أسماء هذه الصحف ، من ثلاثين مجلة وجريدة كانت تصدر فى المكسيك ، أما الصحف التى ماتزال توالى صدورها ، رغم العقبات والصعوبات ، فهى :

الولايات المتحدة الأمريكية : البيان ، السمير ، مرآة الغرب ، الرسالة، نهضة العرب ، لسان العدل ، الصلاح .

البرازيل : الشرق ، المراحل ، الكرمة ، برازيل لبنان ، الحارس . الأرز ، الحقيقة ، العروبة ، النفير .

الأرجنتين : المواهب ، الرفيق ، السورية اللبنانية ، العلم العربى ، الاتحاد اللبنانى ، السلام ، الاستقلال ، المرسل ، صوت الحق ، أهلا وسهلا ، وباللغة الأسبانية : الشرق ، الغرب .

المكسيك : الغربال ، القسطاس ، الفرائد ، وباللغة الأسبانية : الأمير.

تشيلى باللغة الأسبانية : آرابيا ، الوطن العربى ، فلسطين .

صحافة البرازيل العربية (١)

عام الصدور	الصحيفة	أصحابها
١٨٩٥	الفيحاء	سليم بالش ـ كمبيناس
٦	الرقيب	أسعد خالد ونعوم لبكى
٦	البرازيل	أنطون نجار وسليم بالش
٧	الكاوى	المحامى جورج رزق الله
٧	المناظر	نعوم لبكى
٨	الأصمعى	خليل ملوك وشكرى الخورى
٩	المناظر	نعوم لبكى وفارس نجم
١٩٠٠	الصواب	حبيب الخورى ومخايل مراد
١	خلايا النحل	نعوم لبكى
١	العدل	شكرى أنطون
١	المنارة	الجمعية الخيرية المارونية
٢	الرموز	رشيد الخورى
٣	الشبيبة السورية	جمعية الشبان السوريين
٣	الأفكار	الدكتور سعيد أبو جمرة
٣	البرازيل	قيصر معلوف
٤	الزمان	
٦	أبو الهول	شكرى الخورى
٦	بشرى	خليل يوسف سعد
٨	الحرية	بطرس جعارة ويوسف بدوى
٨	أبو نواس	جرجس عبد الله المعلوف

---

(١) راجع مجلة حمص التى تصدر بسان باولو ـ بالبرازيل ـ عدد آذار ١٩٦٤

عام الصدور	الصحيفة	أصحابها
٩	البريد	يوسف ناصيف ضاهر
٩	الميزان	اسطفان غلبونى
٩	الحديقة	قيس لبكى
٩	الفوائد	بطرس زغبى - بورتو الاغرى
١٩١٠	الفرائد (مجلة)	إبرهيم شحادة فرح
١٠	الشدياق	جورج شدياق
١٠	الوطن	إبراهيم وإلياس شحادة فرح
١١	الاستقلال	الجمعية العربية - بلو أوريزونتى
١١	الفجر	جرجى حداد وناصر شاتيلا
١١	الغربال	جورج شدياق
١١	الجديد	نجيب طراد وفارس نجم
١٢	الفجر	ناصر شاتيلا (ر و)
١٢	المنطاد	زوين زوين
١٢	الأمازون	فارس دبغى
١٢	السهام	جورج إسحق يارد - متاوس
١٢	الذكرى السورية	موسى كريم
١٣	الحمراء	إلياس طعمه
١٣	الفرائد	إبرهيم شحادة فرح
١٣	القلم الحديدى	جرجى حداد
١٣	أميركا	اسكندر شاهين
١٣	الصياد	يوسف الخورى محفوظ
١٣	المساس	بارا كانت تطبع على الجلاتين
١٣	الروايات العصرية	رشيد عطية
١٤	الكرمة	سلوى سلامة أطلس

عام الصدور	الصحيفة	أصحابها
١٤	فتى الشرق	عبده بى راشد
١٤	المقرعة	سليم لبكى
١٤	فتى لبنان	سليم يوسف سعد ورشيد عطية
١٤	النهضة اللبنانية	جمعية النهضة اللبنانية
١٥	البرازيل	جورج مسره
١٥	العثمانى	قيس لبكى
١٥	أبو نواس	جورج إسحق يارد
١٦	أرزة لبنان	يوسف الحتى
١٦	سوق عكاظ	جورج شدياق
١٦	الزهراوى	جورج أطلس
١٦	النحلة	داود جرجس الخورى
١٦	الجديد	توفيق ضعون
١٦	الأنيس	حبيب مسعود وأنطون سعد
١٧	الأمازون	أمين ضومط مناوس
١٧	المؤدب	نجيب قسطنطين الحداد
١٧	الرقيب	إلياس طربه ويوسف نحاس
١٧	الصاعقة	مخايل دحروج
١٨	سوريا الجديدة	حبيب حنون
١٨	النهضة اللبنانية	جمعية النهضة اللبنانية
١٨	الإكرام	لجنة إكرام السوريين للبرازيل
١٨	النحلة	القس مبارك مارون
١٨	المنتخبات	إلياس سليمان اليازجى
١٩	حمارة بلدنا	يوسف ناصيف ضاهر
١٩	التساهل	جورج شدياق

عام الصدور	الصحيفة	أصحابها
١٩	الماشطة	جورج شدياق
١٩	سائق الحمارة	« «
١٩	الجديد (مجلة)	توفيق ضعون
١٩	المدرسة	موسى كريم
١٩	الكلمة الحرة	حبيب بنبينو
١٩	الإخلاص	جورج قصاص وجبرائل شامى
١٩	العاصمة	منير لبابيدى
١٩	الهراوة الصفراء	جورج صيداوى
١٩	الرائد	نجيب قسطنطين حداد
١٩	الاتحاد العربى	جورج أطلس
١٩	النجمة السورية	نجيب عزيز صفدى
٢٠	المبرد	جورج صيداوى
٢٠	الميماس	أنطون شكور
٢٠	المهجر	عبد الكريم خورى وعيسى شكور
٢٠	الجريدة	خليل سعادة
٢٠	المراقب	هنرى ضو مناوس
٢١	الاستقلال	محمد زينو
٢١	السياسة	سليم شديد عقل
٢١	سان باولو	نبيه زعنى ويوسف فريحة
٢١	لبنان الكبير	نعمان العندرافيلى
٢١	الإصلاح	سعيد مطر ونجيب العسراوى
٢١	الخربر	عباس طربيه
٢١	المجلة	خليل سعادة
٢٢	أرزة لبنان	جمعية أرزة لبنان

عام الصدور	الصحيفة	أصحابها
٢٢	النهضة	حبيب حنون
٢٢	سوريا	إلياس مسره
٢٢	مسامرات المهاجر	نجيب موسى ويعقوب طيسون
٢٢	الجالية	سامى بوكيم الرامى
٢٣	الوطن الحر	الحزب الوطنى السورى
٢٤	النجوم	إلياس أبو ناضر
٢٦	الأرزة	جمعية أرزة لبنان
٢٧	الرابطة	الرابطة الوطنية السورية
٢٨	الشرق	موسى كريم
٢٨	الدليل	توفيق ضعون
٢٨	الطبيعة	أنطون حنا سعادة
٣٠	الرعد	نخلة عبد الله الخورى
٣٠	الأندلس الجديدة	شكر الله الجر
٣١	الفانوس	يوسف ناصيف ضاهر
٣٣	الكابوس	توفيق ضعون
١٩٣٤	الحقيقة	إلياس عبد الله الخورى
٣٤	الحرية	رشاد خزندار
٣٤	الجامعة العربية	طاهر الهاشمى
٣٤	أبجد هوز	ناصر شاتيلا
٣٤	الأحرار	حبيب بشعلانى
١٩٣٥	الروضة	ميشال جرجس الخورى
٣٥	العصبة	مؤسسة العصبة الأندلسية
٣٥	البرازيل المصورة	جورج مسرة
١٩٣٦	بريد الشرق	نخلة عبد الله الخورى

عام الصدور	الصحيفة	أصحابها
١٩٢٧	المنار	جورج أنطون الكفورى
٢٧	الذكرى	الجمعية الخيرية الإسلامية
١٩٢٩	سوريا الجديدة	جورج بندق
١٩٤٦	برازيل لبنان	رشيد عطية
١٩٤٩	الأخبار	جوون جبور
١٩٥٠	سورية الجديدة	الحزب السورى القومى الاجتماعى
٥١	الحارس	أمين الغريب
٥٢	الروضة	عصبة الزجل
٥٣	البركان	إبراهيم عطية
٥٧	الأرز	ميشال جبور الخورى
١٩٦٠	مجلة « حمص »	النادى الحمصى بإدارة جورج بندق

العرب فى البرازيل[١]

لم يكن العرب المهاجرون إلى البرازيل منذ نحو قرن هم أول المهاجرين العرب إلى هذه الديار ، بل سبقهم مهاجرون عديدون ، فى أزمنة متباعدة .

ومن حيث يظن أن الفنيقيين القدماء وصلوا إلى البرازيل قبل الميلاد بقرون كثيرة ، حتى إن مجلس الشيوخ القرطاجى قرر عام ٨٥٠ ق م تحريم الهجرة إلى هذه الجزيرة الكبيرة الواقعة فى المحيط حتى لا تقفر قرطاجة .

فإن بعضَ عرب الأندلس قد أسهم فى رحلة كولومبس إلى العالم الجديد

---

(١) راجع بحثا قيما نشره الدكتور شاكر مصطفى فى مجلة العرفان اللبنانية منذ سنوات فى هذا الموضوع ، وإليه رجعنا .

وقد أذيع منذ سنوات أن مخطوطة عربية وجدت فى جذع شجرة فى إحدى جزر ترينيداد لواحد من بحارة كولومبوس يذكر فيه مغامرته فى البحث عن أندلس جديدة تعوض أندلسهم التى ضاعت من أيديهم .

وقد قاد ابن ماجد رحلة فاسكودى جاما البحرية إلى الهند ، وقاد ابن القصار الأندلسى كذلك رحلة كورتيز فاتح المكسيك .

وفى الجزر الخالدات — وهى فى المحيط فى الطريق البحرى إلى البرازيل — يوجد من التراث العربى الأندلسى إلى اليوم ذلك القصص الشعبى المأخوذ من ألف ليلة ، وكذلك أقام العرب فى جزر ماديرا ، واستثمروا للبرتغاليين جزر الأرخبيلات .

وقد كان المهاجرون إلى أمريكا ما بين عامى ١٥٥٠ و ١٦٠٠ من جنوب أسبانيا ، أى من الأندلس ، كما تؤكد ذلك وثائق أشبيلية ولشبونة ، وهاجر إلى البرازيل أعداد كبيرة من العرب بعد سقوط الأندلس ، وأصبحوا أبرز العناصر فيما بين البرازيل والأرجنتين ، وهاجر جماعات كثيرون إلى البرازيل كذلك من عرب أسبانيا والبرتغال وسوريا فى القرنين ١٦ و ١٧ ، ثم لحق بهم عرب الأرخبيلات وماديرا ، وفى البرازيل قبائل تعيش على نمط حياة البدوى العربى من الرعى والنقلة والفروسية والشهامة والكرم والنظافة والمغامرة وتحدى الأهوال وتقاليد الزواج وحب الشعر والخيل ، وتعشق الشرف والموسيقى والرقص ، وتكوين القوافل ، مما يدل على أصلهم العربى وفى شمال البرازيل من المكاييل إلى اليوم : الرطل والمد والربع ، والعرب هم الذين زرعوا البن فى البرازيل ، إذ حملوه معهم من اليمن .

وفى عام ١٨٣٥ قامت ثورة فى البرازيل من العرب الأفريقيين الزنوج الذين كان أسيادهم يضطهدونهم هناك .

وبعد ذلك بقليل كانت الهجرات العربية المعروفة إلى هذه البلاد النائية من بلاد العالم الجديد .

دراسة نقدية شاملة

للأدب المهجرى فى الشمال والجنوب

المؤثرات العامة

التى تأثر بها الأدب المهجرى

— ١ —

تأثر الأدب المهجرى — ككل أدب — بمؤثرات كثيرة ، أكسبته طابعه الخاص ، وصبغته المستقلة ، وشخصيته المتميزة عن غيره ، وبهذه المؤثرات ظهر كنبع أصيل من ينابيع ثرة ، أمدت الأدب العربى طوال عصوره بالرى والنماء ؛ وكتيار دافق من تياراته التى تؤثر حركاتها فى تطوره ونهضته وحيويته .

— ٢ —

وأولى المؤثرات التى أثرت فى الأدب المهجرى هى حركة التجديد فى الأدب العربى المعاصر ، التى تمثلت فى الطابع الرومانسى عند المنفلوطى وطه حسين والزيات ، وفى الكلاسيكية الجديدة عند البارودى وأحمد شوقى وحافظ وأضرابهم ، ثم فى مدرسة مطران التجديدية الرومانسية فى الشعر العربى المعاصر ، وماتلاه من المدارس الرومانسية وهى : مدرسة شعراء الديوان ، ومدرسة أبولو الشعرية التى أنشأها الدكتور الشاعر المصرى أحمد زكى أبو شادى ، وهى مدارس عربية تجديدية كبيرة ظهرت بعد أوائل القرن العشرين .

ولعل رومانسية الشعر المهجرى مستوحاة فى بدايتها من هذه المدارس الشعرية فى الشرق العربى ، وخاصة مدرسة مطران وأبولو وشعراء الديوان ، ولكن المهجريين سرعان مااستوحوا بيئتهم ، وصبغتهم حياتهم وروحهم وثقافتهم بصبغة جديدة ، واستقل شعراء الطليعة المهجريون بكل شىء تحت تأثير البيئة الأمريكية ، وأظهر مثل لذلك أبوماضى ، فشعره الأول فى مصر وشعره المهجرى الأول غير شعره المهجرى الأخير الذى نظمه بعد استيعابه لتيارات الفكر الأمريكى التى تلائم ذوقه وثقافته ، ومع ذلك

لايزال يؤثر الموسيقى على عمق المعانى ، خلافا لنسيب عريضة وميخائيل نعيمة مثلا .. إن الأديب الثائر المهجرى قد أمعن النظر فى الثقافة الغربية ، وعرف كيف يستفيد منها بعد هضمها فى لغاتها الأصلية ، وذلك واضح كل الوضوح فى آثار بعض المهجريين .

ويجعل الأستاذ جورج صيدح الموهبة الفطرية هى مفتاح السر فى تفوق أدب المهجر ، مع الجد والاجتهاد والتأمل العميق ، ويعد قلة من المهاجرين ممن كانوا يعرفون لغات أجنبية ، أما الكثرة من أدباء المهجر فكانت ثقافتهم سطحية عادية . ويقول صيدح : إن الأدب المهجرى طبعت شمس الغرب ألوانها على أوراقه ، أما لبه فيحيا على إشعاع الشرق ، وقلبه يختلج بنسمات الصحراء (١) ، ويفيض فى إرجاع الأدب المهجرى إلى موهبة الأديب المهجرى وإشعاع الشرق فى قلبه وإلى عنصر الألم الذى حمله فى جوانحه ، لا إلى عنصر الثقافة ، فضلا عن أن يكون الأديب المهجرى فى الجملة قد تأثر بالآداب الغربية وبالثقافات الأوربية والأمريكية لأن الكثرة من المهجريين لم تكن تعرف لغات أجنبية .

— ٣ —

وثانية هذه المؤثرات هى حركة البعث الأدبى الأمريكى المتجاوبة مع حركة الآداب الأوربية فى نموها وازدهارها وكثرة مدارسها ومذاهبها المختلفة .

ولقد عرف أدباء المهجر كيف يستوعبون الروح الأمريكى بجميع خصائصه البديعة ، فمذ صحب الأدب المهجرى المهجريين من الشرق الأوسط إلى أمريكا فى أواخر القرن الماضى وهو أدب حياة وقوة بحكم البيئة الجديدة التى غرس فيها ، وماجاء العقد الثانى من هذا القرن وتوطد استقلال

(١) ٥١ أدبنا وأدباؤنا .

الأدب الأمريكى إلا أخذ الأدب العربى المهجرى يظهر استقلاله أيضا ، وإذا كان هـذا الأدب فى روحه يعد بمثابة أدب أمريكى معبر عنه باللغة العربية ، فإن موضوعاته شرقية غربية معا ، وروحانيته كذلك .

فالأدب العربى فى المهجر يصوغ لنا تجارب اتصال العقل العربى بالحضارة الأمريكية هذا الاتصال القوى ، ويضع أيدينا على أثر هذا الاتصال مباشرة، وينقل إلينا الكثير من التأثرات المختلفة بأدب الغرب وحضارته .

لقد تأثر الأدب المهجرى إلى درجة محسوسة بالبيئة الأمريكية الحرة ، فهو مزيج من الواقعية والرومانسية والرمزية والسريالية وغيرها ، وإن كان للواقعية فيه نصيب موفور ، والواقعية لاتزال محدودة بين الأدباء العرب بتأثير الرومانسية الفرنسية المتغلغلة فى الشرق الأوسط وعلى الأخص : لبنان ومصر .

— ٤ —

وتأثر الأدب المهجرى كذلك بكل ماحوله ، وتناول الحياة بكل ماتعنيه ، تناولها فى القصص ، وفى المقالة ، وفى النقد ، وفى الفن وفى المسرح ، وفى الشعر ، وفى كل جوانب الأدب وفنونه .

— ٥ —

ولم يقطع الأدب المهجرى صلته بالشرق أو بالعروبة أو بالإسلام ، فجميعها مؤثرة فيه من النواحى الفكرية والعاطفية غالبا ، وهذه تشمل الوطن والسياسة والدين ، وتتجلى فى الموضوعات المعالجة .

فتفكير الأديب المهجرى عامة تفكير مزدوج ، شطر منه يخص مهجره، والشطر الآخر يخص وطنه الأصلى ، وهو يوحد بينهما ، فمن جهة نراه يستوعب مسائل محيطه الراقى ويتفاعل معها تفاعلا واقعياً وعاطفياً معا، غانما بذلك أى غنم ، ومغنيا أدبنا المعاصر الذى يتلقى تفكيره من جهة ، ومن جهة

أخرى نراه على البعد لايكتفي بحنينه الجياش إلى وطنه الأصلي ، بل يسهم في معالجة شتى مشكلات ذلك الوطن ، وقد يكون - وهو على البعد - المكافح الرائد وحامل علم الثورة ؛ وقصائد شعراء المهجر عامة في الحنين إلى أوطانهم الأولى ، أو في التوجع لما أصابها من ضيم ، أو في الدعوة للكفاح من أجلها ، تستحق الدراسة الواسعة ، وإلى جانب هذا نجد شعراء المهجر الأمريكي عامة أحفل بقضايا العروبة والذود عنها ، وعلى رأسهم في ذلك الشاعر القروي ، لأن هذه القضايا تبدو في جلاء لهم في وسطهم الحر الذي يساعدهم بتجاريبه على الحكم الدقيق ، فضلا عن مساعدة ثقافتهم إياهم ، فاعتزاز شعراء المهجر بالعروبة كبير وعلى رأسهم في ذلك الشاعر القروي وإلياس فرحات .

— ٦ —

ومن أشهر أدباء المهجر جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١ م) ، وأمين الريحاني (١٨٧٦ — ١٩٤٠) ، وله مؤلفات عدة في التاريخ والأدب ، ومن كتبه : الريحانيات . ملوك العرب ، تاريخ الثورة الفرنسية ، الشعر المنثور .

ومنهم عبد المسيح حداد (— ١٩٦٣) وهو مقل في نظمه ، ونثره غير قليل ، وأدبه خلاق واسع الأفق ، يتجلى فيه روح التقدم الإنساني المتصل ، وقد أصدر جريدة السائح في نيويورك عام ١٩١٢ ، وكان لها فضل كبير على الأدب المهجري ، وهو من الداعين الأولين إلى تأسيس الرابطة القلمية عام ١٩٢٠ وله كتاب « حكايات المهجر » .

ومنهم نظير زيتون الأديب المتمكن ، وهو صورة لعبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والبديع الهمذاني في أدبنا العربي الحديث ؛ وكانت هجرته إلى المهجر الجنوبي عام ١٩١٤ ، وتولى تحرير جريدة « فتى لبنان » ، وانضم إلى العصبة الأندلسية ؛ وفي الأعوام الأخيرة عاد إلى حمص وطنه ، وأقام فيها ، واختير عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق . . وظل مثابراً على القراءة والكتابة حتى وافاه أجله المحتوم عام ١٩٦٧ م .

سمات الأدب المهجرى

— ١ —

يظهر الأدب المهجرى اليوم فى طابعه الإنسانى ذى الشخصية القوية الحرة ، وقد ظهر فى أوائل القرن العشرين، ووضحت سماته منذ الحرب العالمية الأولى، وأسهمت فى تكوينه مدرسة الأدب المهجرى الشمالى ومدرسة الأدب المهجرى الجنوبى ، والأولى كان موطنها الولايات المتحدة ، وكانت أبرز نشاطا وأضخم أثرا وأوسع أفقا وأشد اتصالا بالثقافة والحضارة الإنسانية، وأكثر تحررا وانطلاقا من قيود القديم ؛ والثانية توزعت بين البرازيل والأرجنتين ، وإن كان لأدباء المهجر البرازيلى من النفوذ والسلطان وعمق الأثر مايكاد يضارع مالأدباء المهجر الشمالى .

— ٢ —

والأدب المهجرى أدب واقعى فى أكثره، يتجاوب مع الحياة والحضارة، إذا استثنيا كتابات جبران وأشعاره الصوفية .

فهو أدب ثقافى ناضج تقدمى كامل التفاعل مع الحضارة الأمريكية، وهو أدب مشغول بالحياة وجميع مقوماتها ، متفاعل معها غاية التفاعل : وجدانيا وفكريا بصورة إيجابية .

ومع ذلك فللرومانسية والرمزية والسريالية والكلاسيكية نصيب فيه ، والرومانسية واضحة فيه بتأثير الرومانسية الفرنسية ، ورومانسية الأدب الأمريكى نفسه المستوعب للحياة بكل مذاهبها وألوانها وفنونها ، لأنه أدب الحياة الشاملة .

وفى الأدب المهجرى نزعات كلاسيكية ورومانسية وواقعية ورمزية وسريالية واضحة .

ومن الشعر الرمزى عند المهجريين قصيـــدة أبو ماضى « الضفادع والنجوم (١) » وهى رمز للثرثار الكذاب الجاهل المتطاول على أقدار الأعلياء (٢) ، وقصيدته « التينة الحمقاء » وهى رمز للبخيل الشحيح الذى لايعطى مما تعطيه الحياة ، فيكون جزاؤه الموت محروما ، وكذلك قصيدته « الغدير الطموح » ، وهى رمز للطامع الذى يطلب من الأيام ماليس فى طبعها ، ولا فى طبيعته أن يقف ، إلا عند ماتصدمه قوة أكبر من قوته .

ومن الشعر الرمزى كذلك قصيدة الشاعر القروى « الشتاء » ، التى رمز بها إلى جمود القريحة (٣) .

ولقد انتهت من الأدب المهجرى تلك الصوفية التى اشتهر بها أدب جبران ، ويمثلها أدب ميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ، ونلمسها كذلك فى كتابات أمين الريحانى .. ولم يمت من الأدب المهجرى إلا الأدب الوجدانى الذى ألفناه عند جبران .

— ٣ —

ويبدو فى أكثر آثار الأدب المهجرى صفة التركيز ، فقد عرف هذا الأدب قيمة الوقت ، فتجنب الثرثرة والبهرج الكاذب والقشور ، وتعلق باللباب الصريح ، وهو فى كل هذا يجارى الوسط الذى أنشأه التفكير الأمريكى ، والأسلوب الأمريكى خاصة .

---

(١) صـ ١٢ الجداول .
(٢) صـ ٩٣ الشعر العربى فى المهجر .
(٣) راجع صـ ٩٤ المرجع السابق .

والشعر المهجرى دون النثر من ناحية التركيز فى كثير من النماذج الشعرية ، وهذا التركيز البليغ يجانب إضاعة الوقت فى التكرار والثرثرة ، مما يجعل الأدب المهجرى أدبا حيا دائم التجدد، يعنى بالإنسان أولا وأخيرا، وليس عبدا للشكليات .

— ٤ —

وهناك خصائص أخرى للأدب المهجرى ، منها ما اشتمل عليه هذا الأدب من التحرر فى الصياغة والتنوع فى الموضوع، ومن الانطلاق الفكرى؛ وترى طابع هذا الأدب فى كتابات أعضاء الرابطة القلمية ؛ وهو ـ من حيث ثراء الخيال والتحرر والتنويع فى الأساليب والموضوعات ـ أكثر طلاقة من الشعر العربى فى الشرق .

وإن كان الكثير من شعراء العرب فى الشرق قد اختطفوا هذا القبس الغربى ، ونافس بعضهم شعراء المهجر فى التحليق ، وكأنهم من صميمهم .

والتحرر التعبيرى فى الشعر المهجرى أظهر ما يكون فى شعر نسيب عريضة ، وميخائيل نعيمة ، ومن شعر نسيب قصيدته « النهاية » التى يرثى بها وطنه الأول ومواطنيه فى عهد مضى إبان الاحتلال الأجنبى ، كما يقرع المهاجرين لتهاونهم وأنانيتهم ، وفى الواقع أن أدباء المهجر لا يقل اطلاعهم اللغوى عن اطلاع أقرانهم فى الأقطار العربية ؛ فاذا عمدوا إلى تعابير أو ألفاظ أو أوزان مستحدثة ، فإنما يقع ذلك منهم فى تصرف الواعى البصير ، وقد يشتق بعضهم كلمات جديدة لاعتبارهم إياها أبلغ أثرا أو أجمل موسيقية، أو لغير ذلك من الاعتبارات .. وينقدهم فى ذلك الأدباء فى الشرق الذين يرون أن قيمة الأثر الأدبى تعتمد أولا وأخيرا على رسالته الرفيعة وبلاغة بيانه وجمال سماته .

ويقول عزيز أباظة فى تقديمه لكتاب « الشعر العربى فى المهجر » :

« لشعراء المهجر صناعة بيانية ربما بعدت قليلا عن الذوق العربى السليم ، فأسلوبهم فى الشعر ـ إلا نفرا قليلا ـ لاشية فيه من البلاغة وحسن السبك، ويعللون ذلك بأن لغة الشعر يجب أن تنسلخ عن لغة الخطابة (١) » ، « ولنا أن نأمل ألا ينسلخ أدباء المهجر عن اللغة شيئا فشيئا ، تمشيا مع مايسمى الآن بالتجديد والتطور » (١) .

وقد ردد جبران قوله : « لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ، ولى من لغتى نظرة فى عين المغلوب ، ودمعة فى جفن المشتاق ، وابتسامة على ثغر المؤمن » .

وكان شعراء الرابطة القلمية أكثر حرية فى اللغة ، وتجديدا فى الألفاظ والأساليب ؛ من حيث كان شعراء المهجر الجنوبى يقفون عند حدود المحافظة على اللغة والأسلوب .. والتسمح اللغوى فى الشعر المهجرى .. وارتكابهم للضرورة الشعرية ، وخروجهم على الوزن الشعرى ، كثير فى دواوين هؤلاء المهجريين ، وخاصة الشماليين .

وكان تجديد المهجريين فى الأوزان الشعرية كبيرا ، فقد ألفوا النظم على طريقة الشعر المنثور ، والنثر الشعرى ، واوضح مثل لذلك شعر جبران ، وديوان « الأغنية الخالدة » لصفية أبو شادى ، وكتاب « الريحانيات » لأمين الريحانى .

وقد استهوتهم الموشحات الأندلسية فأعجبوا بها ، ونظموا على منوالها الكثير من قصائدهم ، ولعل كثرة أوزانها والحرية الكبيرة فى قوافيها ، هى سبب ذلك ، وكان جبران يقول : إن تعدد الأصوات يزيد فى وقع القصيدة

---

(١) ١٨ الشعر العربى فى المهجر لمحمد عبد الغنى حسن .

ومداها ، ويسترعى انتباه القارىء أكثر من صوت واحد (١) .

وقد أكثر المهجريون من الأوزان القصيرة ، والبحور المجزوءة .

يقول نسيب عريضة من قصيدته « ترنيمة السرير » :

ظلام الليل قد أطفا نجوما تجذب الطرفا
فما للطفل لايغفى أيبغى اليوم ألحانا

وهنا نجد فى كلمة « يغفى » بفتح الياء والفاء خطأ صرفيا معروفا ، فالصحة اللغوية « يغفى » ، بضم الياء وكسر الفاء من أغفى (٢) ، ومع ذلك فان هذا الأداء الرائع للعواطف النفسية التى أراد الشاعر تصويرها قد أكسب هذا الشعر جمالا ما بعده من جمال ، يقول مندور : إنى أرفض القول بأن أدب المهجر ضعيف منهوك ، أين إذا نجد قوة النفس ، أين نجد القدرة على الانفعال ، أين نجد توثب القلب ، ووميض العقول ، أين نجد نبض الحياة ؟ .

ويقول أبو ماضى :

فان لبنان ليس طودا ولا بلادا لكن سماء

وهو خطأ فى الوزن الشعرى فان وزن البيت من مخلع البسيط (٣) ، والشطر الأول صحيح الوزن والثانى مكسور الوزن .

ويرى مندور أن الشاعر المهجرى قد يخطىء فى النحو أو الصرف ، وهذه عند هذا الناقد أشياء نادرة ، لها نظائرها عند أكبر الكتاب ، وإنما يعيب الأسلوب عدم التحديد أو العجز عن الإيحاء ، ويدافع مندور عن

---

(١) ١٦٠ جبران لميخائيل .
(٢) تقول « أغفى » ولا تقول « غفا » .
(٣) وزنه : مستفعلن فاعلن فعولن ، مرتين .

استخدامهم للألفاظ المألوفة (المبتذلة) ولا يرى فيه عيباً لأن ذلك مما يساعد الشاعر عنده على أداء المشاعر الخفية ، وأما الإسراف فى الصور ، والقلق ، وقوة النغم التى تخرجه عن الهمس أحياناً ، والمبالغة التى تخرجنا إلى الألفة ، والإغراب وتلمس المعانى البعيدة والصور المقتسرة، فقد يكون مرد ذلك إلى صدق الشاعر المهجرى فى التعبير عن نفسه وإحساسه الباطنى .

ويرى مندور أن ألفاظ المهجريين وتراكيبهم ليس لها مثيل فى الشعر الحديث(١) ، وأن تأبى الشعر المهجرى على لغة الشعر التقليدية ، وركونه إلى التعبير المباشر القوى ، هما من حسناته لأن ذلك هو الطريق الوحيد الذى كان لابد على الأدب المهجرى أن يسلكه لكى يفلت من الصنعة إلى الصدق ، ولكى يعود إلى الحياة (٢) .

إن هذا التحرر البيانى الذى يتسم به الأدب المهجرى اتجه ومايزال يتجه إلى التحرر فى التعابير وفى استعارة الألفاظ ووضعها ؛ وهو أثر من آثار الأدب الأميركى فى الأدب المهجرى، فحب الابتكار والتحرر اللغوى والبيانى من الصفات التى يتسم بها الأدب الأمريكى المعاصر وكذلك الأدب العربى المهجرى على السواء .

فأداء الأديب المهجرى أداء حر عادة أى أنه بعيد عن الصنعة، حتى ولو اتخذ الأسلوب الكلاسيكى (الاتباعى) كما كان يصنع معظم شعراء الرابطة القلمية، ويعد ميخائيل نعيمة فى كتابه النقدى « الغربال » بين أدباء الطليعة الماهدين لحركة النقد الأدبى الجديدة فى المهجر ، ونقده فنى معنوى غالباً أبعد مايكون عن النقد اللفظى .

---

(١) راجع ص ٥٧ و ٥٨ فى الميزان الجديد ـ مندور ـ طبعة ثانية .
(٢) ص ٦٩ المرجع .

وأدباء المهجر مبتدعون وهم من صفوة شعراء المعانى،فإذا ماشغل شاعر منهم باللعب بالألفاظ وبالرنين صار غريباً عنهم وصار شعره عجيباً بين شعرهم ، فتراه هشا براقا منمنما كبير الحجم قليل المادة ، وهذا الضرب من الشعر يفرح به فى المهجر ذوو الثقافة المحدودة ، أو عامة الجوالى العربية هناك ؛ ويفرح به فى الشرق تلامذة المدارس .

والموسيقى عند الشاعر المهجرى قريبة من موسيقى الموشحات الأندلسية، وهى توائم بين موسيقى الشعر وموسيقى الإحساس غالبا .

على أن الحركة التجديدية الكبرى التى أحدثها الأدب المهجرى فى الآداب العربية الحديثة كانت شبيهة بثورة التجديد الضخمة التى أعلنها الأدباء الأندلسيون وأثروا بها تأثيراً واضحا معروفا فى تطور الأدب العربى القديم، والتى استمر صداها فى آدابنا الحديثة .

والموشح الأندلسى وموسيقاه وأوزانه وتحرره الفنى واختيار ألفاظه وأساليبه اختياراً شديداً لكى يصلح للغناء ، كان أهم نموذج تجديدى أمام الأدباء المهجريين ، الذين شاركوا الأدباء الأندلسيين فيه وفى الرومانتيكية الحالمة التى تحب الطبيعة ، وتغنى على أوتار الألم والحب والحنين ، وتصور ذات الشاعر وأعماق نفسه .

فالشعر المهجرى فى موسيقاه وأوزانه وتنقل القصيدة فيه بين القوافى المتعددة ، قريب من الموشحات الأندلسية ، التى أحياها المهجريون فى شعرهم فى صور أخاذة ، ورنين موسيقى مؤثر ، فعندما نقرأ لنسيب عريضة مثلا :

يانفس مالك والانين   تتألمين   وتؤلمين
عذبت قلبى بالحنين   وكتمته ، ماتقصدين؟
قد نام أرباب الغرام   وتدثروا لحف السلام
وأبيت يانفسى المنام   أفأنت وحدك تشعرين

والليل مر على سواك
أفما دهاهم ما دهـــاك
فلم التمـرد والعراك
ما سور جسمي بالمتين

نجد أنفسنا أمام نظام الموشحة الأندلسية وروحها وتأثيرها وموسيقاها الفنيـة .

وقد أكثر الشعراء المهجريون من نظم الموشحات،ومن الموشحات المهجرية قصيدة « يانفس » لجبران .

وفي شعر المهجر ملامح ومشابه أندلسية عديدة ، فقد أخذ المهجريون عن الأدب الأندلسي تجديداته وأوزانه الراقصة ، وموشحاته الجميلة ، وموسيقاه الحلوة ، وذكروا الأندلس كثيراً في شعرهم ، وتحدثوا عن مجدها الخالد وتاريخها الآفل ، وترنموا بأشعار الأندلسيين وأزجالهم .

ويجعل عيسى الناعوري حركة التجديد في الشعر المهجري امتـداداً للانطلاقة الأندلسية الشعرية التي ظهرت في موشحات أهل الأندلس(١) . . وتمثل هذه الحركة في رأيه (١) مرحلة العمق والبساطة في الشعر العربي،وجعل الشعر فناً جميـلا يعبر عن خلجات النفس ، ونوازع الحياة ، بغير افتعال أوزخرفة لفظية .. وقد ساعد على خلق هذه الحركة الجو الجديد الذي عاش فيه شعراء المهجر،والآداب الغربية التي اتصلوا بها وبأهلها ، والحرية الواسعة التي امتلأت بها نفوسهم .

وكان منهم(١) المطلعون على الآداب الإنجليزية والفرنسية والروسية ، وعلى كثير من المترجم عن الألمانية والإيطالية،وكذلك الأسبانية والبرتغالية،

---

(١) ٢٣٧ أدب المهجر ـ عيسى الناعوري ـ دار المعارف ١٩٥٩

فاستطاعوا أن يجمعوا بين قوة المعانى ، وصدق التعبير ، وبراعة الصور ، وبساطة الصياغة وموسيقيتها ، وجاءوا إلى جانب الشعر الكلاسيكى التقليدى الذى أغنوه بجمال المعانى الجديدة ، بشعر آخر جميل ، غنى بالموسيقى والألوان والصور الحية البديعة . وأشار[1] الناعورى إلى صنيع المهجريين فى أوزان الشعر وموسيقاه ، وإلى تلاعبهم بالتفعيلات ، وإيثار بعضهم بناء القصيدة على تفعيلة واحدة ، وإلى تنوع القافية فى قصائدهم ، وإلى أثر هذا فى موسيقى الشعر ؛ ويرى أن صنيعهم هذا حفظ للشعر العربى روحه وموسيقيته الفنية .

وكما جرفت موجة التجديد فى الاندلس الادباء والشعراء فى تيارها . نخلعوا رداء اللغة عن طواعية ، فأحسنوا وأساءوا ، فكذلك نرى فى المهجر هذه النزعة ، إذ ثار جبران وطائفة معه على موسيقى الشعر ، ووجهوا طاقتهم الفنية إلى الابتداع فى النثر ، وأتوا فيه بما يقارب الشعر فى إشراقة الديباجة ، وسمو الخيال ، وتجويد الصور ، ومع ذلك فلم يساير هذا النثر مواكب الشعر ، على الرغم من أنه يزخر بالمعانى اللماحة ، والألفاظ المونقة ، والتعبير الخلاب أما الرنة الصوفية التى تنبعث من ثنايا شعر المهجر فانها من رواسب الماضى الحافل بأمتع الذكريات عن لبنان ، حيث تتألق فى أوديته سكينة الحياة ، وتعبق أجواؤه بأنفاس الجمال ، والسكينة والجمال يوحيان للنفس الشاعرة أرفع أسباب تصلها بالسماء[2] .

أما الانطلاق الفكرى فى الادب المهجرى فهو ممتد الجوانب ، والتفكير مجاله فيه فسيح بفضل الحرية الشاملة ، وهو تفكير حضارى تمتد جذوره إلى صميم المدنية الامريكية وتمتد فروعه إلى جميع جوانب الحياة ، وتشمل الشعر ، كما تشمل القصة والمسرحية والمقالة والخطبة والبحث الاجتماعى

---

(١) ٢٤٢ المرجع نفسه .

(٢) عزيز أباظة فى مقدمة « الشعر العربى فى المهجر » لمحمد عبد الغنى حسن .

وغيرها ، وربما تلون هذا التفكير بالنزعة الدينية التصوفية ، كما نجده فى قصيدة « سرمعى » لندرة حداد(١) .

والشعور المتجلى فى الأدب المهجرى هو أولاشعور الإنسان الحر ، ثم شعور الغيور المصلح ، ثم شعور الإنسان المتمدن الذى عب من أرقى الحضارات والثقافات ، ثم شعور العربى الرائد على الرغم من بعده ، أوعلى الأرجح بفضل بعده عن بلاد العروبة .

— ٥ —

وخاصية واضحة للأدب فى المهجر ، بل تعد من أهم خصائصه ، هى أن هذا الأدب المهجرى من الأدب المهموس ، أى أدب المناجاة والحديث القريب إلى أذنك وقلبك ، وليس من الأدب الخطابى الرنان المجلجل ، وقد سماه بذلك مندور ، الذى يقول(٢) : إن الهمس فى الشعر ليس معناه الضعف ، ولكنه غير الخطابة التى تغلب على الشعر فتفسده ، إذ تبعد به عن النفس ، عن الصدق ، عن الدنو من القلوب ، ويقول(٢) : إن الهمس ليس معناه الارتجال حيث يتغنى الطبع فى غير جهد ولا إحكام صنعة ، وإنما هو إحساس بتأثير عناصر اللغة ، واستخدام تلك العناصر فى تحريك النفوس ، وشفائها مما تجد ، الهمس ليس معناه قصر الأدب أو الشعر على المشاعر الشخصية ، فالأديب يحدثك عن أى شىء يهمس به ، فيثير فؤادك ، ولو كان موضوع حديثه ملابسات لا تمت إليك بسبب .

والأدباء الذين يهمسون يضعوننا أمام الحياة ، ويسرون فى همس صادق عميق .

---

(١) ديوان أوراق الخريف ص ١٧

(٢) ٥٠ فى الميزان الجديد لمندور ـ طبعة ثانية .

فالنثر المهموس هو أيضا نثر صادق كالأسرار ، يتهامس بها الناس، وحين تسمع هذا النثر ، يخيل إليك أنه آت من أعماق الحياة ، ومنه القطعة النثرية التي عنوانها « أمي » للأديب المهجري أمين مشرق الذي قتل فى أمريكا فى حادثة سيارة ، والتي هى قطعة حية من الحياة ، ومن التجربة الحية الصادقة، ومن المشاعر الدقيقة المصورة أبرع تصوير[1] .

والشعر المهموس كذلك مناجاة للحياة، وتصوير صادق هادىء عميق قوى مؤثر للتجربة ، ومنه قصيدة « أخى » لميخائيل نعيمة ، التى قيلت فى أواخر الحرب العالمية الأولى والتى مطلعها :

أخى إن ضج بعد الحرب غربى بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أعماله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلى بقلب خاشع دام
لنبكى حظ موتانا

فى هذه القصيدة[2] الثراء الفنى الذى يؤدى أصدق الإحساسات ، وأعمقها فى النفس الإنسانية ، مع بساطة التصوير والقرب من واقع الحياة .

ومن الشعر المهموس كذلك قصيدة « يانفس » لنسيب عريضة[3] ، والتى مطلعها :

يانفس مالك والأنين تتألمين وتؤلمين
عذبت قلبي بالحنين وكتمته ، ماتقصدين ؟

---

(١) ستأتى هذه القطعة النثرية .
(٢) راجع تحليل القصيدة فى ص ٥٠ - ٥٥ فى الميزان الجديد لمندور .
(٣) راجع ٥٥ وما بعدها فى الميزان الجديد لمندور .

إن الأدب المهجرى فى جملته أدب مهموس لأنه سليم من الخطابية التى غلبت على الشعر التقليدى فأفسدته ، ولأنه أدب صيغ من الحياة. وكأنه قطع منها ، ففيه ما فى الحياة من تفاهة ونبل ، وعظمة وحقارة ، وضوء وظلام ، وفيه المناجاة والمسارة والصدق (١) .

ويرى مندور كذلك فى قصيدة « ترنيمة السرير » لنسيب عريضة التى يقول منها :

من الألحان لا أدرى سوى أنشودة الصبر
أغنيها من القهر لطفل بات جوعانا
ملاك الرب فى الحلم يناجى الطفل كالأم
يناديه من النجم ألا نم ، وقتنا حانا
يناجيه بأيام سيأتى خيرها طامى
سيروى ماؤها الظامى ويشفى النور عميانا
ظلام الليل قد أطبق فنم ياطفل لاتقلق
يعود النور والرونق إذا ما الله أبقانا

يرى فيها هذا الهمس ، الذى يحس فيه قوة لايجدها عند معظم شعرائنا ، وليس الهمس ضعفا فنيا . . وقد آثر ناقدنا الشعر المهجرى لهذه الخاصية فيه (٢) ، التى تبعده عن الضجيج الفنى وعن ضعف الرؤية الشعرية وعن الخطابية المرذولة (٣) .

وقد أحب الأدباء المهجريون هذا الهمس ، وسموا دواوين كاملة به ، فجورج صوايا يسمى ديوانا له باسم « همس الشاعر » ، وميخائيل نعيمة يسمى ديوانا له باسم « همس الجفون » .

---

(١) ص ٦٨ المرجع نفسه .
(٢) راجع ٧٠ - ٧٣ فى الميزان الجديد لمندور .
(٣) راجع ٧٤ - ٧٨ المرجع نفسه .

- ٦ -

ويجعل عيسى الناعورى من العناصر البارزة فى الأدب المهجرى : التحرر التام من قيود القديم ، والأسلوب الفنى والطابع الشخصى المتميز ، وعمق الشعور بالطبيعة ، والحنين إلى الوطن ، والتأمل ، والنزعة الإنسانية، وبراعة الوصف والتصوير والحرية الدينية ، والغنائية الرقيقة فى الشعر .

- ٧ -

والنثر المهجرى تطور فنى كبير فى النثر العربى المعاصر ، وقد يكون المنفلوطى أسبق تأثيراً فى هذا النثر منهم ، وقد يكون هو النواة التى خرج منها النثر المهجرى بروحه وشكله ، فإذا قرأنا ما كتبه مصطفى لطفى المنفلوطى (المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ : ١٩٢٤ م) فى السعادة مثلا حيث يقول :

« اطلب السعادة فى الحقول والغابات ، والسهول والجبال ، والأغراس والأشجار والأوراق والأثمار ، والبحيرات والأنهار ، وفى منظر الشمس طالعة وغاربة ، والسحب مجتمعة ومتفرقة ، والطير غادية ورائحة ، والنجوم ثابتة وسارية ، واطلبها فى تعهد حديقتك ، وتخطيط جداولها ، وغرس أغراسها ،وتشذيب أشجارها وتنسيق أزهارها ،وفى وقوفك على ضفاف الأنهار ، وصعودك إلى قمم الجبال ،وانحدارك إلى بطون الأودية والوهاد ، وفى إصغائك فى سكون الليل وهدوئه إلى خرير المياه ، وصفير الرياح ، وحفيف الأوراق وصرير الجنادب ونقيق الضفادع ، واطلبها فى مودة الإخوان ، وصداقة الأصدقاء ، وإسداء المعروف ، وتفريج كربة المكروب ، والأخذ بيد البائس المنكوب ، ففى كل منظر من هذه المناظر ، أو موقف من هذه المواقف ، جمال شريف طاهر يستوقف النظر ، ويستلهى الفكر ،ويستغرق الشعور ، ويحيى ميت النفس والوجدان ، ويملأ فضاء الحياة هناء ورغداً .

فإننا نجد شبها كبيرا بين كتابته وكتابات الريحانى وجبران .. بل إن بعض الكتاب ليجعلون هذا التشابه تأثيرا من جبران ونعيمة فى المنفلوطى[1] . لا العكس الذى نذهب إليه ونقوله . .

— ٨ —

وقد تأثر بالأدب المهجرى الشعراء فى العالم العربى فى كل مكان ، فى العراق وسوريا ولبنان ومصر والأردن وشمال أفريقيا والسودان وفى الجزيرة العربية السعودية أيضا[2] .

فطاهر زمخشرى الشاعر الحجازى فيه تأثرات عدة بشعر المهجر ، تجدها فى دواوينه : أغاريد الصحراء ، على الضفاف ، وأصداء الرابية ، وأحلام الربيع ، وهمسات ، وأنفاس الربيع .

والشاعر المدنى ماجد الحسينى نجد فى ديوانه « حيرة » ظلالا كثيرة من

---

(١) راجع « قصة الأدب فى مصر للمؤلف ، ويرون أن هذا التأثر دخل فى فن المنفلوطى دخول الإيحاء ، لادخول التفكير والاحتذاء ، فله منهما جدة الموضوع وطرافة الفكرة ، ولكنك لاتذكر وأنت تقرؤه أنه تأثر بواحد منهما .

(٢) لشكر الله الجر قصيدة عنوانها سمراء ، وهى طويلة ومطلعها :

سمراء ياحلم الشبى ويا أمانى الطروبة

(ص ٣٠٥ عدد حزيران ١٩٥٢ - مجلة العصبة الأندلسية) وهى التى أوحت بديوان سمراء للأمير عبدالله الفيصل السعودى وشكرالله الجر من أول الداعين إلى جمعية « العصبة الأندلسية » ، وصاحب مجلة « الأندلس الجديدة » (ص ٤٠ و ٤٢ و ٤٣ أدب المغتربين لإلياس قنصل ، وراجع عنه ٤٥٤ — ٤٥٦ ذكرى الهجرة لضمون ، وديواناه : الروافد ، وزنابق الفجر مشهوران ، ومن كتبه : نبي أورفليس ، والمنقار الأحمر ، ومن كتبه المخطوطة : الليالى الأندلسية .

التأثر بالشعر المهجرى ، وخاصة فى حيرته وتساؤله وقلقه فى كثير من قصائد الديوان ...

وفى كتاب التيارات الأدبية فى قلب الجزيرة العربية يدرس مؤلفه الناقد الكبير عبد الله عبد الجبار أثر المدرسة المهجرية فى الشعر الحجازى الحديث .

وفى الشابى وعلى محمود طه وإبراهيم ناجى وحسن كامل الصيرفى والتيجانى بشير وغيرهم من أعلام الشعراء العرب عدة تأثرات بالشعر المهجرى .

ويقول الأستاذ حسن جاد فى كتابه « الأدب العربى فى المهجر »(١) : إن الأدب المهجرى كان له صدى كبير فى الشرق ، وما كاد الجيل الناشىء يظفر به حتى هام بما فيه من طرافة وجدة ، على أن بعض شيوخ الأدب قد استقبلوه بتحفظ وأناة ، وربما رأى فيه بعضهم أول الأول خطراً يتهدد سلامة اللغة وأصول الثقافة الإسلامية ، وكانت ألحان المهجر الشمالى هى أول ما وصل إلى الشرق فى أوائل هذا القرن ، ثم جاء أدب المهجر الجنوبى بعد ذلك بأعوام ، فصادف قبولا يكاد يكون إجماعياً فى البلاد العربية ، نظراً لاعتداله ، ومحافظته على أصول اللغة ، واعتماده على جودة الصياغة ومتانة الأسلوب ، ثم لما يشيع فيه من نزعة قومية وطنية .

وكانت لبنان أسبق البلاد العربية إلى الترحيب بأدب المهجر والتأثر به .

وأما سوريا فقد راجت لدى المحافظين منهم آداب الجنوبيين ، كما راجت لدى المجددين آداب الشماليين .

وفى العراق وفلسطين لقى أبو ماضى ذيوعا ، وقالت فيه فدوى طوقان : إنى

---

(١) ص ١٠٨ وما بعدها ـ ط ٩٠٣، القاهرة

أرفعه إلى القمـة ولا أفضل عليه شاعراً عربيا آخر قديما أوحديثاً . ويعد أبو شادى فدوى طوقان مهجرية النزعة ؛ وقصيدة فدوى « الصخرة » مثل لتشاؤم الرومانسية وضجرها ورمزيتها لمأساة البشر . . وفى حوران وجبل الدروز وأطراف الجزيرة كان للشاعر القروى المجال الفسيح .

وفى مصر رأى بعض الأدباء أخطاء لغوية فى شعر جبران ، وتجوزا فى شعرا أبى ماضى لم تعهده العربية ، وتوجس آخرون من أن أدب المهجر غريب عن الثقافة الإسلامية ، وبجده مندور ، ودافع عنه العقاد .

وفى الجزائر كان له صدى وتأثير ، فنشأ الأدب الجزائرى على غرار الأدب المهجرى بأغراضه الإنسانية الواسعة ومقاصده الاجتماعية الشاملة ، وفى الحجاز ونجد أقبل الشباب على الدواوين المهجرية بنهم .

وقد تأثر الادب العربى الحديث بأدب جبران .

وهكذا نرى النثر المهجرى قد طرق آفاقا متعددة ، ومسالك مختلفة ، وألوانا شتى ، فى فلسفة الحياة والحب والجمال ، فى المضمون الاجتماعى والوطنى والإنسانى، ونجده قدأثرى بفنون النثرالمتعددة ، منمقالة ومسرحية وقصص وأمثال ونقد وبحث أدبى ، كما ظهر فيه الشعر المنثور الذى لايعتمد على وزن ولا قافية ، وكان الريحانى أشهر من كتب هذا النثر أو أولهم ، متأثرا فيه بالشاعر الامريكى وولت ويتمان ، كما تفوق فيه جبران(١) .

---

(١) راجع الأدب المهجرى ـ حسن جاد صـ ١٢١ - ١٤٥

النثر المهجرى

النثر المهجرى (١)

نماذج وصور

١ - مناجاة للأم :

يقول أمين مشرق لأمه وقدعصفت به أحداث الغربة (١) : ياعلة كيانى ، ويا رفيقة أحزانى ، يا رجائى فى شدتى ، وعزائى فى شقوتى ، يالذتى فى حياتى ، وراحتى فى مماتى ، ياحافظة عهدى ، ومطيبة سهدى ، وهادية رشدى ؛ يا ضاحكة فوق مهدى ، وباكية فوق لحدى .. أمى وما أحلاك ياأمى .. إذا تركنى أهلى فأنت لاتتركين ، وإن ابتعد عنى أحبابى فأنت لاتبتعدين ، وإن نقمت على الحياة جميعها فأنت تصفحين وترحمين ، أنت يامسكنة وجعى وألمى ، ومبيدة بؤسى وهمى ، أنت وما أصفاك ياأمى .. على بساط الأوجاع ولدتنى ، وبأيدى الآلام ربيتنى ، وبعيون الإتعاب رعيتنى ، وبصدر المشقات حميتنى ؛ ثم كبرت ، فقلوت آلامك ، وسلوت أيامك . وهكذا نسيت رحمى ، واحتقرت دمى ، فما أعقنى وما أوفاك ياأمى .. قد غبت عنك ياأمى ، فغاب عن عينى وجهك الباسم بملامحه الرقيقة الرزينة ، ومعانيه الدقيقة الحنونة ، وتراكمت على رأسى هموم الحياة بضجيجها الهائل ، فضعضعت فكرى ، وزلزلت قلبى ، وتقاذفتنى أمواج المتاعب والشقاء ، فغرت فى لجج طامية ، وظلمات داجية ؛ وبعينين غشى عليهما الرعب ، نظرت من أعماق قنوطى ، فرأيت وجهك اللطيف الثابت ، يبتسم إلى من الأقاصى البعيدة ، فبكيت وصرخت : ياأمى .. آه ماأقسى الغربة ، وماأمر الوحشة ، قد كرهت البقاء ياأمى ، واشتاقت نفسى إلى ماضيها الأمين ، قد كرهت التمشى بين القصور الفخمة والمبانى الشاهقة ، واشتاق قلبى إلى بيتنا الصغير المنفرد ، قد كرهت روائح العطور الفائحة ، والتماثيل المتخطرة فى « برودواى » ، واشتاقت حواسى

---

(١) راجع كتاب النثر المهجرى لعبد الكريم الأشتر .

إلى رائحة الأمومة المنتشرة من فستانك العتيق، فقد كرهت نيويورك، وكرهت أمريكا، وكرهت العالم؛ ولم يبق فى الحياة إلاك، إلاك ياأمى .. فى المساء عندما أنطرح على فراشى الخشن القاسى، أذكر يديك اللطيفتين الناعمتين؛ وفى الليل لما تمتزج أفكارى بأبخرة الأحلام، أشعر بقدميك الصغيرتين ينقران الأرض حول سريرى، وفى الصباح أفتح عينى لأراك، فلا أرى غير جدران غرفتى السوداء، ولأسمعك، فلا أسمع غير أصوات الغرباء؛ وفى النهار أمشى بين النساء مفتشا متسائلا: أيتها النساء هل رأيتن أمى.

جراء الكلاب تجلس فى أحضان أمهاتها، وفراخ الدجاج تحتمى تحت أجنحة أمهاتها، وغصون الأشجار تبقى معانقة أمهاتها، وأنا، أنا وحدى، بعيد عنك، مشوق إليك ياأمى.

إذا مت ياأمى، إذا قتلنى وجدى، ودفنت آمالى فى هذه الأرض القاسية الغريبة، فاجلسى عند الغروب، قرب غابة اكسنديان وأصغى، هناك روحى امتزجت بنسمات الغابة وأشجارها يرتلن بهدوء متمايلات مرددات: ياأمى، ياأمى، ياأمى...

هذه القطعة فيها حرارة ونبل، فيها مشاعر صادقة، وأحاسيس قوية، فيها عمق التجربة ودفؤها وصدقها وحرارتها، فيها الهمس الذى يؤدى لك هذه المناجاة هادئة كأحلام الفجر، أو كأرج الزهر، فيها الحياة بحقيقتها، فيها الأمل بروعته، فيها الألم بفورته. فيها النور والظلام، والخوف والأمان، والقسوة والحنان.

وأمين مشرق شاعر رقيق العبارة، جميل الخيال، وله قصائد غنائية ومقالات نثرية كثيرة فى الصحف المهجرية، وقصيدته «القيثارة» وقصائده الأخرى مشهورة، وقد مات بعد أن صدمته سيارة فى نيويورك.

٢ — مناجاة الريحانى للأرز :

أرز لبنان : رفعت حجرا من حجارة الطريق إلى فمى ، فقبلته ورعا حامدا ، آملا ؛ قبل أن دخلت الظلال القدسية ، واستغفرت الأرز لامتهانى حرمة عزلته ؛ هذه العزلة الفريدة فى أعالى الجبال ، فوق وكر النسور ، وراء حجب الآفاق .

استغفرت الأرز ، لأنى جئت، أشق ستار كعبته ، جئت أستكشف مكنون سره .. إيه ربة الأشجار ، وسيدة الجبل الجبار، أنت الرافعة أعلامك الخضراء بين هذه الصخور الدكناء ، بنت الجديدين ، وأخت القمرين ، حدثينى ، حدثينى ، وعلمينى ، وارفعى بى إلى علياء إيمانك ؛ فقد جئت مستمدا من ينبوعك العالى القوة والحكمة .

٣ — من وصية الريحانى :

لم تكن حياتى حياة القديسين والأولياء ، والحمد لله ، ولا حياة أولى الثروة والسيادة، والحمد ثم الحمد لله ؛ إن مافاتنى من الحياة اللامعة عرفته خلال الحياة الدامعة ، تأبطت كتاب الآلام ثلاثين سنة ، حملت فى جيبى كتاب الوحشة على الدوام ، وحاولت أن أحرق كتاب الإثم ، وأمزق كتاب الحاجة فأخفقت ، وما استسلمت .

أوصى إليكم إخوانى فى الإنسانية : البيض والصفر والسود على السواء شرقا وغربا :

إن حق الشعب فى تقرير مصيره لحق مقدس ، فأوصيكم بالجهاد فى سبيله ، أينما كان .

إن الأمة الصغيرة وهى على حق لأعظم من الأمة الكبيرة وهى على باطل .

إن الأمة القوية الحرة لاتستحق حريتها وقوتها مازال فى العالم أمم مستضعفة مقيدة .

٤ — لكم فكرتكم ولى فكرتى — لجبران :

لكم فكرتكم ولى فكرتى .

لكم فكرتكم شجرة صلبة تتمسك عروقها بتربة التقاليد ، وتنمو فروعها بقوة الاستمرار ، ولى فكرتى سحابة تتهادى فى الفضاء ثم تهبط قطراً ثم تسير جدولا إلى البحر ثم تتصاعد ضباباً نحو الأعالى .

لكم فكرتكم برجاً متيناً راسخاً لاتهزه الأنواء ولاتحركه العواصف ، ولى فكرتى أعشاباً لينة تميل إلى كل ناحية وتجد بميلها بهجة وسروراً .

لكم فكرتكم مذهباً قديماً لايغيركم ولا يتغير ، ولى فكرتى بدعة جديدة أغربلها وتغربلنى كل صباح وكل مساء .

لكم فكرتكم ولى فكرتى .

لكم من فكرتكم أن يصرع قويكم ضعيفكم ، ويحتال داهيتكم على ساذجكم ، ولى من فكرتى أن أحرث الأرض بمعولى وأستثمرها بمنجلى ، وأن أبنى بيتاً من الحجارة والطين ، وأحوك ثوباً من الصوف أوالكتان .

لكم من فكرتكم مصاهرة الجاه والثروة ، ولى من فكرتى الاتكال على النفس .

لكم من فكرتكم الجد وراء السمعة ، والركض خلف الشهرة ، ولى من فكرتى أن أطرح السمعة والشهرة حبتين من الرمل على شاطىء الأبدية .

لكم من فكرتكم المجاهدة فى سبيل الرفعة والسؤدد ، ولى من فكرتى الرغبة فى السلامة والشوق إلى الاستقلال .

لكم من فكرتكم أن تحلوا بصروح،أثاثها من الصندل المرصع،ورياشها من الحرير المفتل ، ولى من فكرتى أن أكون نظيف الروح والجسد حتى ولو كنت بدون مكان أسند إليه رأسى .

لكم من فكرتكم أن تكونوا موظفين ملقبين ، ولى من فكرتى أن أكون خادماً نافعاً .

لكم فكرتكم ولى فكرتى :

لكم من فكرتكم قواميسها الاجتماعية والدينية ومطولاتها الفنية والسياسية ، ولى من فكرتى أوليات قليلة بسيطة .

تقول فكرتكم « امرأة حسناء ، قبيحة ، فاضلة ، عاهرة ، حاذقة ، بليدة » . أما فكرتى فتقول : « كل امرأة والدة كل رجل ، كل امرأة أخت كل رجل ، كل امرأة ابنة كل رجل » .

وتقول فكرتكم « لص ، مجرم ، قاتل ، خبيث ، عقوق » أما فكرتى فتقول : « إنما اللص صنيعة المحتكر ، والمجرم خليفة الظالم ، والقاتل حليف القتيل ، والخبيث ثمرة العربيد ، والعقوق نتيجة الصارم » .

وتقول فكرتكم «شرائع ، محاكم ، قضاة ، عقوبات» . أما فكرتى فتقول: « إذا كان هناك من شريعة وضعية فكلنا يخالفها أو كلنا يخضع لها ، وإن كان هناك من ناموس أساسى فكلنا واحد أمام ذلك الناموس ، فمن يتأفف من الساقطين كان منهم، ومن يلم أذياله كيلا تلامس المنطرحين على الأوحال كان مغموراً بالاوحال، أما الذى يفاخر بترفعه عن العثور والزلل فإنما يفاخر بترفع الإنسانية جمعاء ، والذى يتبجح بعصمته إنما يتبجح بعصمة الحياة نفسها » .

وتقول فكرتكم : « الماهر ، المتفنن ، الأستاذ ، النابغة ، العبقرى ، الفيلسوف ، الإمام » . أما فكرتى فتقول : « الودود ، المحب ، المخلص ، الصادق ، المستقيم ، المضحى ، المستشهد » .

وتقول فكرتكم: « الموسوية، البرهمية ، البوذية ، المسيحية ، الإسلام » . أما فكرتى فتقول: « ليس هناك سوى دين واحد مجرد مطلق تعددت مظاهره وظل مجرداً مطلقاً ، وتشعبت سبله ولكن مثلما تتفرع الأصابع من الكف الواحدة »[1] .

---

(١) هذه فكرة جبران ورأيه ، ونحن لسنا معه فيهما .

وتقول فكرتكم: «الكافر، المشرك، الدهرى، الخارجى، الزنديق». أما فكرتى فتقول: «الحائر، التائه، الضعيف، الضرير، اليتيم بعقله وروحه».

وتقول فكرتكم: «الغنى، الفقير، العاطى، المستعطى». أما فكرتى فتقول: «كلنا فقير ولا غنى سوى الحياة، كلنا مستعط ولا واهب إلا الحياة».

لكم فكرتكم ولى فكرتى :

تدعى فكرتكم أن الأمم بالسياسة والأحزاب والمؤتمرات والتقارير والمعاهدات، أما فكرتى فتحتم أن الأمم بالعمل ثم بالعمل ثم بالعمل، العمل فى الحقل وفى الكرم، العمل أمام النول وفى المصبغة، العمل فى المقلع وفى الغاب، العمل فى المكتب وفى المطبعة.

وتحسب فكرتكم أن أمجاد الشعوب بأبطالها الفاتحين فتترنم بذكر نمرود ونبوخذ نصر ورعمسيس والاسكندر وقيصر وهنيبال ونابليون. أما فكرتى فتقرر أن الأبطال هم كنفوشيوس وليوتسى وسقراط وأفلاطون وعلى بن أبى طالب والغزالى وجلال الدين الرومى وكوبرنيكوس وپاستر.

وترى فكرتكم القوة الغالبة بالفيالق والمدافع والمدرعات والغواصات والطيارات والغازات السامة، أما فكرتى فتجزم أن لا قوة إلا بالحق ولا عزم إلا للحقيقة، ومهما طال عهد المنتصرين بالقوة العضلية والآلية فهم المغلوبون فى النهاية.

وتفصل فكرتكم بين العملى والخيالى، وبين الإجرائى والكمالى، وبين الصوفى والمادى، أما فكرتى فتعلم أن للحياة وحدانية ذات أوزان وقياسات وجداول لا تنطبق على أوزانكم وقياساتكم وجداولكم. فرب من تعدونه خيالياً كان من العمليين، ورب من تحسبونه مادياً اجرائياً كان من الواهمين الموهمين.

لكم فكرتكم ولى فكرتى :

لكم فكرتكم فاتبعوها متنقلة بين الخرائب ومتاحف المحنطات والمحجرات، ولى فكرتى وأنا أرقبها مرفرفة بين الضباب والسديم .

لكم فكرتكم فمجدوها جالسة على عرش من الجماجم ، ولى فكرتى وأنا أتأملها هائمة فى الأودية البعيدة المجهولة .

لكم فكرتكم فاثنوا عليها مزمرة وافرحوا بنفوسكم راقصين ، ولى فكرتى،وفكرتى تؤثر حشرجة النزع على تزميركم،والسجون على مراقصكم .

لكم فكرتكم وهى فكرة جميع المستأنسين المتآلفين المرتاحين ، ولى فكرتى وهى فكرة كل ضائع فى مسقط رأسه ، وكل غريب فى أمته ، وكل مستوحش بين أهله وخلانه .

لكم فكرتكم ولى فكرتى ..

٥ — نهاية أدب لصيدح[١] :

نظرة إلى دور الطباعة العربية فى أميركا الشمالية والمكسيك وكوبا والبرازيل والأورغواى والأرجنتين وشيلى : كانت مزدهرة فى الربع الأول من هذا القرن ، نمت بنمو الصحافة العربية ثم تضاءلت بتضاؤلها،وأشرفت على البوار معها الآن ، الكتب التى أصدرتها تعد بالألوف،ولكنها لم تسلك الطريق إلى مكتباتنا وأسواقنا ، أين هم الآن ؟ وأين الصحف التى بلغ عددها مئتين وثمانى عشرة جريدة (احتجب منها مئة وثمانون) لقد نسينا أسماءها وأسماء محرريها وأصحابها ، لأننا لم نهتم يوماً بصدورها ولا باحتجابها ، فلو طلبنا مجموعة جريدة واحدة منها لما وجدناها فى طول الشرق وعرضه ، ثم

(١) مجلة العرفان اللبنانية ـ حزيران ١٩٦٤

الآلات الطابعة ، ماذا حدث لها ؟ هل تفككت أوصالها واستسلمت إلى مصاهر الأقبية تنتظر يداً تنفض عنها غبار السنين وحبال العنكبوت ؟ إن أصحابها افتقروا فطلقوها ، أو ارتحلوا فيتموها .

كانت دور الطباعة فى المهجر متاحف تصون التراث العربى من عبث الأجنبى . وكانت كل صحيفة دورية سفارة عربية لاتتقاضى مرتبات من الحكومة التى تمثلها ومدرسة أبقت على الجذور القومية حية فى الأكباد، وعلى الكلمة العربية محكية بالأفواه ، وهى التى دمجت شعور المهاجرين بشعور المقيمين إزاء المآسى والنكبات ، وفتحت جيوبهم لطلاب النجدة وسعاة المبرات .. ألاتستحق اليوم لفتة من ولاة الأمر، ونجدة تمسك الرمق وتنقذها من الغرق ؟

أميركا ، ياديار الغربة، لقد استودعناك أرواح أحبابنا، وزرعنا أجسامهم فى تربتك ، وطرحنا أولادهم فى لجتك . فلن نبخل عليك بجدائد مطابعنا وأقلام كتابنا . . خذيها ، حطمى هذى ، وذوبى تلك ، ثم بشرى حكوماتنا السخية بالفرح العظيم : لن يطالبها بعد ذلك صحافى مهجرى ببدل اشتراك فى جريدته .

٦ — بذور للزارعين — للريحانى :

إن حسنة واحدة تأتيها ، لخير من ليال بالصلاة تحييها ، إن الأمين وإن كان كنوداً ، لخير من المدغل وإن كان هجوداً . إن التعبد لفى الصالحات ، لافى تمتمة الصلوات . ورب صغار يلعبون، أصدق إيماناً من شيوخ يتورعون . ورب محسنة فى موبقات الوجود ، أصح ديناً من راهبات السجود ، ورب كافر مال للخير ، أحب إلى الله من راهب فى الدير .

السالكون عملاً وفكراً ، خير من السالكين ذكراً ؛ أنت السالك . يامن تطابق بين أقوالك وأعمالك . الندامة حباً بالغفران، كالإحسان حباً بالشكران .

وقد قال بلزاك — الندامة الشهرية ، إنما هى خباثة أبدية . المواساة ، خير العبادات ، وممرضة تضمد جرح الشرير خير ممن يصلون من أجله . إن روائح الأدوية عند من أحبت أن تخدم الله لأذكى من رائحة البخور ، والنور الضئيل المنبعث من عين المريض الذابلة لأجمل من نور الشموع فى الهيكل . بالأعمال لنخدم الله ، ولنسبحه بالأعمال .

إذا تخاصم من أصدقائك اثنان ، لاتسبق فى الاصلاح بينهما الزمان ، فهو للعداء ، خير دواء ؛ وإن عاقبة الاسراع فى وصل حبل الوداد ، هى غالباً كعاقبة الجرح المندمل على فساد .

شر الأصدقاء صديق لايعتبرك من أكفائه ، فإن ظن نفسه أكبر منك يهينك فى حبه وتقلبه ، وإن كان أصغر منك يغيظك فى تودده وتحببه .

من نهج لحاجاته المادية وغاياته الدنيوية منهج التدين والورع الكاذب والرياء والتنطع كان بعيداً عن الدين وعن الله بعد هذه الأرض عن أبعد السيارات من الشمس ؛ الدين الحقيقى ما أنار القلب من الإنسان والضمير فيهديه فى الحياة الدنيا خير طريق إلى خير الأبواب فى الآخرة ، ومتى كان ضمير جارى كنور الشمس حياً نقياً وقلبه كوة تفتح فى الفجر لتستقبل ندى السماء لافرق إذ ذاك عندى إن ذكر مع الدراويش أو سجد مع اليسوعيين أو اغتسل فى نهر القنج مع البوذيين ، فهو المؤمن الحقيقى ، هو الصادق فى دينه ، هو رجل الله الأمين .

من أجل ما قرأته فى الكتب المقدسة فاتحة القرآن فهى صلاة جديرة بأن يرددها بقلب حى كل إنسان كل يوم فى السنة « إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم » .

قل تبارك السر الذى فى ولا تحفل بضجيج الناس وضوضاء الأمم ، عش قنوعا هادئاً ساكناً معتزلا وواظب على نظافة العقل والقلب كما تواظب على نظافة الجسد فلا تكن من الخاسرين ، تلاه فى العمل والنمو عن عقبات

الحياة وهمومها ، وبكلمة وجيزة كن مثمراً ولو بين القتاد ، فلا تحزن يوم يجيئك ملك الحصاد .

خير الكتب وأنفسها كتاب لايتركنى بعد أن أطالعه فى الحال التى ألفتها ، كتاب يحرك فى عاطفة شريفة جديدة ، أوقصداً كبيراً جديداً . أوفكراً سامياً جديداً ، كتاب يزحزحنى من مكانى أو يدفعنى لأزحزح من هم حولى ، كتاب يفيقنى من ثباتى العميق ، أوينهض بى من حمأة الخمول ، أويهدينى إلى طريقة أحل بها عقدة من عقد الحياة،ولكن مثل هذا الكتاب على كثرة ماتصدره المطابع الحرة اليوم من القصص والروايات أصبح كالمرأة الفاضلة التى ينشدها سيدنا سليمان .

الحكيم لايخشى الموت لعلمه بأن الموت بعيد عن الإنسان مازال حياً ، ومتى مات الإنسان يصبح بعيداً عن الموت .. خير الإحسان وأجمله ماجاد به القلب والعقل معاً ، وما بقى ففيه الكذب والادعاء ، جد على بشىء من القوت فآكله وبعد قليل أصبح كما كنت قبل إحسانك ، ففتاتك لاتغير فى نفسى شيئاً ، ولكن هات منك فكراً سامياً جميلا فيتحلل فى القلب والدماغ ويخالط النفس منى فترثه عنى الأجيال . فى كل قوة أدبية — أى عقلية روحية — شىء من الخير الخالص النقى ، وإذاكان فيك يا أخى شىء من هذه القوة الأدبية فهذا الخير يصدر عنك إن شئت أو لم تشأ وينفعنى أنا إن شئت أو لم أشأ .

من الناس من يعجب ببعض أبطال التاريخ ليحذوا حذوهم فى السيئات لا فى الحسنات ، فينتحل لحماقته من شذوذهم الأعذار ، ويتخذ من عيوبهم مثالا لعيوبه .

٧ — داوينى ربة الوادى — للريحانى :

داوينى ربة الوادى داوينى

ربة الغاب اذكريني ، ربة المروج اشفيني

ربة الانشاد انصريني

ألا تذكرين يوم رددت وحيك بين قوم لايشركون مع البعل إلهاً ، ويوم قدمت ذبيحة للزهرة من يد من لايعرف من الآلهة سواها ؟ ويوم ناديت باسمك فى هيكل إيزيس فطردنى من الهيكل الكهان . ويوم تصاعد دخان بخورك على الأولمب فاكفهر منه جبين رب الأوثان . أنا من وضع بخورك فى مجامر خدام هياكل الرومان . أنا من عقد أوتارك فى قيثارة راقصات بابل وقيان اليونان .

أو نسيت مازرعته يدى حول هيكل تموز من الأشجار ، وما حاكته يدى لربة الفينيقيين من أكاليل الغار والأزهار ؟ وماخطته يدى فى كتاب عبدة الشمس والنار ، وما حطمته يدى من تماثيل الطغاة ودمى كبار ... ار ؛ داوينى ربة الوادى داوينى ؛ ربة المروج اشفينى ، ربة الانشاد انصرينى ، انشدينى على قيثارك من الألحان التى تردد صداها اليوم طيور الغاب وشحارير البستان ؛ انشدينى من الانغام ، التى يطرف بها الرعاة الانعام ؛ صوت نايك فى الدجى ، وصوت أرغنك فى الضحى ، اسمعينى ، إلى صوت عبادك على ضفاف الانهار ، وصوت أولادك فى القفار ، اهدينى . انشرى الآن حول سريرى ، ماكمن فى الحقول من عبيرى .

اسكبى الآن فوق رأسى ، ماتركته الأحقاب فى كاسى

الحفينى بحبك ، ضمخينى بطيبك ، انعشينى بهمس شفتيك ، وبلمس أناملك .

رددى على مسامعى الآن ، مانسيته مما علمتنى من الألحان .

اسمعينى الآن ، مارددته عنك فى مجالس قيان بابل واليونان .

داوينى ربة الوادى داوينى

ربة الإنشاد اصلحيني

أنا ناى الرعاة من عبادك أنا عود العشاق من عبادك

أنا أرغن المتشرد من عبيدك أنا كنارة الرقصات ليلة عيدك

أنا النفس التى يتجلى فيها جمالك ، وينبعث منها نورك

وتنطبع عليها أسفار حكمتك ، وترف فوقها بلابل سحرك

أنا صوتك جسدته الدهور ، أنا روحك أنزلت فى الفيدا وفى الزبور ، أنا رسولك إلى صفوة العباد ، إلى خير من زين الأحلام فى المعاد ، بل إلى كل من هام فى كل واد ، أنا وحيك فى نشيد الأنشاد ، أنا نورك فى نفس من سر بل التوبة بالانشاد ، أنا فى قيثارك نغمة جسها الجهل ضمن جدران الأهرام ، بل أنا أغنية رددتها الليالى على الأعوام ، أنا فى قيثارك روح الفقنس تحت رماد المنون ، بل روح أرفيوس فوق أمواج الفنون ، أجل أنا قيثارك ، وأنا صوتك ، وأنا نشيدك ولكن يداً آثمة خنقت البلابل فى القيثار ، وقطعت منه الأوتار ، فجاءت اليوم بنات الهديل تداوى بسجعها سجعى العليل . داوينى ربة الوادى داوينى ، ربة المروج اشفينى ، ربة الانشاد انصرينى .

ألمسينى بأناملك تعيدى إلى بهاء ملكى

عودينى فى الأسحار ، تشتد من نسماتك الأوتار

اغسلى جراحى بموجات من فيوضاتك الإلهية ، ضمدى أوتارى برقية من رقياتك الموسيقية ، أعيدى إلى ماسلبتنى الآلام من مجد الحياة الشعرية ، ضمينى إلى صدرك بنت الأزل والخلود ، فتزول عن جفنى كآبة الأجيال ، ويثمر فى عقم الجدود . من يوم هجرت وإياك الجفان فى قديم الزمان ، مارأيت أجمل من الحب فيك إلا الحنان ، فختام اليوم هذا الصد والجفاء ، وهذا الهجر والنسيان ؟

أذكريني ولو مرة فى ظلامى ، عوديني ولو مرة فى منامى ، انصريني قبل أن تذبل أيامى .

٨ — فى الذكرى الأولى لأبى شادى :

كتب ديب نعوم ليون[١] ، فى الذكرى السنوية الأولى لوفاة أبى شادى يقول[٢] :

أذكر جمال أحاديثك التى هى فوق كل كلام ، بل هى بمثابة أحاديث أتتك عن وحى من عمل ، مع برهان ثابت ، وعقيدة متينة .

التهب فؤادك بحب الله ، واستنار قلبك بقبس من جلاله ، فأبدعت فيما نطقت ، ووقفت موقف الخاضع لهذا القبس ، العامل على ضوء السنة ، وقد سلكت فى الطريق القويم مسلكا لم يسبقك إليه أحد ، فصح فيك قول الشريف الرضى :

ولقد وقفت على ديارهمو وطلولها بيد البلى نهب
وبكيت حتى ضج من لغب نضوى ولج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فمذ خفيت عنى الطلول تلفت القلب

لقد قدر لنا معشر الذين ساروا فى ركابك أن ننعم برقائق ما جادت به قريحتك الوقادة ، التى رافقتك فى حياتك ، وفى ما نشرته كله مصدق لصفاء نيتك وسمو وجدانك .

حجبك الخلود عن العيان ولم يحرمنا من شهود الحال ، فوفقنا بين نجوى الروح نطالبها بالمدد القائم ، وبين نجوى الوجود فنغرف من معينه مالذ

---

(١) توفى فى ابريل ١٩٥٨ ، وتوفى أبو شادى فى ١٢ ابريل ١٩٥٥

(٢) جريدة السائح عدد ٢٣ نيسان ١٩٥٦

وطاب ونحافظ على هذا التراث إلى يوم الحساب .

إذا طلبنا الدقة فى تقدير مابنيته فى حياتك، وتوخينا أن نضع لهذا البناء قيمة لأعجزنا التقدير ، فالبناء الأدبى لا يقاس بحجمه ومساحته ، بل بقيمته الأدبية وأسلوبه الطلى ، وعلى مقدار مافيه من إحساس وشعور .

كم من الرفاق الذين ساندوك فى مباحثك وحدفك إلى ما وراء مظاهر الدين ، وقد عدها البعض تهورا أو خروجا على الدين ، وقد سبق لهم أن رجموا سواك من أئمة الدين الذين كانت دعوتهم على اتفاق مع دعوتك ، الساعية إلى التعاون مع باقى الديانات ، ولكنك صمدت لهم ، وأوضحت أن حقائق الدين ليست إلا وسيلة لكمال النفس البشرية ، وإسعاد النوع الإنسانى .

وتركت هذه الحياة وأنصارك أقوى شكيمة فى مايعتقدون وأكثر عددا من أنصار من سبق وجاهر بمعتقده لتعزيز وسائل الدين ووضعها فى المحل اللائق بها، تمشيا مع العصر ومجاراة للإخاء الإنسانى. يقولون : إن الحياة أعز شىء ، وأعز مافى حياتك هو العمل المجدى ، هو الهداية إلى الخير العام . هو التساهل فى كل شىء ، هو السعى لإيجاد إنسانية عالمية أساسها الحب الشامل .

إذا اقتسمنا حياتك نجدها عبرة لمن يأتى بعدك ، وعظة لمن وعى كلماتك العسجدية ، فكان لنا العبرة من ثراك والعظة من آثارك .

عناصر حياتك الطبيعية بادت وانحلت، أما عناصر روحك العالية فلا تزال حية فى قلوب مريديك ، الذين يرددون ذكراك ، ويترحمون على تلك النفس الكبيرة التى كانت تملأ هيكلك .

الشعر المنثور

هو لون من النثر أو من الشعر كما يحلو لك أن تقول ، لا وزن ولا قافية ، ولكن خيال وتصوير وقدرة فنيـــة بارعة . ويسميه بعض الأدباء شعرا حراً .

وقد أبدع فيه طائفة من شعراء المهجر بوجه خاص ، وفى مقدمتهم : الريحانى وجبران .

وقد ذكر أمين الريحانى أنه تأثر فيه بطريقة والت ويتمان الشاعر الأمريكى المشهور (١٨١٩ — ١٨٩٢) ونسج على منواله .. ولكن الحقيقة أن الشعر المنثور أقدم من الشعر المنظوم فى مختلف اللغات ، وأمثاله كثيرة فى الآداب السومرية والبابلية والمصرية القديمة وغيرها ، ولئن كان الشعر المنثور خاليا فى أغلب الأمر من القافية والوزن ، فإن موسيقاه تقوم على التوازن بين الجمل المتناظرة المترادفة ، فيثير الترديد فى ذهن السامع أو القارىء شعور التأثر والانفعال ، ويهدهد نفسه على إيقاع العبارات المنسجمة المتدفقة بالعاطفة المشبوبة . لذلك كان الإبداع فى الشعر المنثور أكثر صعوبة ، وأشد عسرا منه فى الشعر المنظوم ، لأن الوزن والروى يعينان على خلق الجو الشعرى والتمهيد له ، بينما لا يستعين الشعر المنثور إلا بموسيقى التناظر والانسجام ، فلا بد أن يكون شعرا خالصاً مجردا من الشوائب لينفذ إلى قلب القارىء ، ويمس منه وترا حساساً .

ويقول صيدح : إن الريحانى جاء بأسلوب الشعر المنثور ، وبرز جبران فيه بأسلوب باهر ، لما فيه من أخيلة وكنايات وألوان وألحان تعتلج بالنبض والحرارة والجمال ، فهو فى المهجر رائد التجديد الأول .

وهذا اللون من الشعر الجديد ، وهو الشعر المنثور ، من الشعر الحر ،

أو المطلق ، وهو آخر ما وصل إليه التجديد الشعرى عند الغرب ، وبالأخص عند الأميركيين والإنكليز ، فملتن وشكسبير أطلقا الشعر الإنكليزى من قيود القافية ، وجاء وولت وتمان الأمريكي ، فأطلقه من قيود العروض كالأوزان الاصطلاحية والأبحر العرفية،على أن لهذا الشعر المطلق وزناً جديداً مخصوصاً ، وقد تجىء القصيدة فيه من أبحر عديدة متنوعة. وولت وتمان هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها ، وقد انضم تحت اللواء بعد موته كثير من شعراء أوروبا العصريين . وفى الولايات المتحدة اليوم جمعيات « وتمنية » ينضم إليها فريق كبير من الأدباء المغالين بمحاسن شعره المتشيعين لفلسفته الأميركية ، إذ أن شعره لاتنحصر مزاياه بقالبه الغريب فقط ، بل فيه من الفلسفة والتصور ما هو أغرب وأجد .

ومن الشعر المنثور للريحانى فى رثاء فتاة ماتت غرقا :

أيتها الساكنة قعر النهــر الفضى
أيتها الراقدة تحت الأمواج الغريبــة
أنت أمــيرة اللؤلؤ واللؤلؤ يلاقيك مرحبا
أنت ملكة المرجان والمرجان يمجدك منشدا
أنت لاتزالين عندى أعجوبة الزمان
كلما رأيت لؤلؤة أسألها عن سحرك
وكلما رأيت مرجانة صــبوت إلى ثغرك(١)

---

(١) ١٨٠ أدبنا وأدباؤنا ـ طبعة ثالثة .

فنون الأدب المهجرى

كتب المهجريون القصيدة ، والملحمة ، كما كتبوا : المقالة ، والقصة ، والرواية ، والترجمة الذاتية ، والنقد .

وفى الشعر المنثور برز جبران والريحانى ويوسف أسعد غانم .

وعنى المهجريون بالترجمة من العربية وإليها ، وظهر لديهم أدب التحليل النفسى فى مثل كتب : النبى ، ويسوع ابن الإنسان لجبران ، وزاد المعاد ، لنعيمة .

وشعراء المهجر كثيرون ، وممن كتب الملحمة منهم : شفيق المعلوف صاحب « ملحمة عبقر » ، وفوزى المعلوف صاحب ملحمة « على بساط الريح » .

وظهر فى النقد الغربال لنعيمة ، والمنقار الأحمر لشكر الله الجر (فى ريو دى جانيرو) .

وكتاب « الغربال » فى النقد ذو أثر كبير فى حركة التجديد فى الأدب المهجرى ، وهو لميخائيل نعيمة صاحب كتاب « جبران خليل جبران » الذى يعد من روائع الترجمات الأدبية .

ولتوفيق ضعون كتاب « سيرة حياتى » .

وكتاب المقالة منهم كثيرون ، وحسبك : جبران ، ونعيمة ، وعبد المسيح حداد ، وأحمد زكى أبو شادى ، وغيرهم .

أما القصة والرواية فسوف نتحدث عنهما بشىء من التفصيل :

القصة فى الأدب المهجرى :

كتب المهجريون قصصا كثيرة ، إذ عنوا بفن القصة عناية كبيرة، لأهميته فى الآداب العالمية ، ولأنه مجال خصب لمواهب الأدباء ولنقد الحياة ووصفها معا . . . والآثار القصصية فى أدب المهجريين عديدة :

فلعبد المسيح حداد كتاب قصصى عنوانه « حكايات من المهجر » .

ولنسيب عريضة قصتان مشهورتان هما: قصة ديك الجن الحمصى ، وقصة الصمصامة .

وقد عنى جبران بالقصة والأقصوصة فى أدبه عناية بالغة ، فصدرت له عام ١٩١٢ فى نيويورك قصة « الأجنحة المتكسرة » ، وقصة « العاصفة » التى نشرت عام ١٩٢١ فى المجموعة السنوية الرابطة القلمية ، وكتاباه « الأرواح المتمردة » الذى ظهر عام ١٩٠٨ . و« عرائس المروج » الذى ظهر عام ١٩٠٦ فى نيويورك يشتملان على الكثير من الأقاصيص الفنية المتميزة .

ولجبران أقاصيص أخرى كثيرة منها : البنفسجة الطموح ، ماوراء الرداء ، الشاعر البعلبكى ، الشيطان ، السم فى الدسم .

وكتب أمين الريحانى قبل الحرب العالمية الأولى باللغة العربية قصتين رائدتين هما : زنبقة الغور ، وخارج الحريم ، وله قصة أخرى عنوانها « سجل التوبة » نشرت فى سلسلة « اقرأ » بالقاهرة .

ولميخائيل نعيمة أقاصيص قصار كثيرة ضمنها كتابه « كان ياما كان » ، ومن أقاصيصه : « صوت العالم » ، و « النور والديجور » .

ولجورج حسون المعلوف كتابه « أقاصيص » يحتوى على مجموعة من الأقاصيص المنوعة .

وقد كثرت القصة الشعرية أو الحوار فى شعر أبى ماضى ، والقروى ، وفرحات ، ونسيب عريضة ، وندرة حداد . وكثيرون نظموا المطولات كجبران فى قصيدته « المواكب » وأبى ماضى فى قصيدته « الطلاسم » التى تبلغ ٢٨٤ بيتا .

أما الملاحم فبرز فيها شعراء الجنوب ، ومنها ملحمة « على بساط الريح » لفوزى المعلوف ، وملحمة « عبقر » لشفيق المعلوف ، وملحمة « سعاد » لزكى قنصل (١) .

ومن أشهر القصص المهجرية : الأرواح المتمردة ، والأجنحة المتكسرة ، لجبران . والعاقر ومذكرات أرقس لنعيمة . أما الريحانى فكتب معظم قصصه ورواياته بعد أن ترك المهجر (١) .

وكانت قصة « الأجنحة المتكسرة » (طبع نيويورك ١٩١٢) لجبران (٢) ، وقصة العاصفة (٢) له أيضا ، من النماذج الممتازة للقصة المهجرية فى طورها الأول . وظهر كذلك « عرائس المروج » ، والأرواح المتمردة له كذلك عام ١٩٠٦ و ١٩٠٨ ، وهما بذرة حيوية من بذور الأقصوصة العربية الفنية .

وقصص نعيمة مرحلة جديدة من النضج الفنى للقصة المهجرية ، ومجموعته القصصية « كان ياما كان » معروفة .. وفى كتاب عرائس المروج — وهو من أوائل كتب جبران — أقاصيص منها : « رماد الأجيال ، والنار الخالدة » ، وتدور حول عقيدة تناسخ الأرواح التى كان جبران يؤمن بها كل الإيمان ، واستطاع أن ينقل إيمانه بها إلى بعض زملائه ، وجاء ميخائيل نعيمة فحملها من بعده ، واتخذها موضوعا

---

(١) ١٢٠ أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية صيدح ـ طبعة ثالثة ـ بيروت

(٢) نشرت فى المجموعة السنوية للرابطة القلمية عام ١٩٢١

لروايته الفنية الجميلة « لقاء » ، فالحب الذى ولد بين ناثان ابن الكاهن حيرام فى مدينة بعلبك فى خريف سنة ١١٦ قبل الميلاد ، عاد إلى الحياة فى ربيع سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد فى المكان نفسه بين الراعى على الحسينى وصبية من بعلبك ، فقد أعادتهما عشتروت إلى الحياة ليتمتعا بحبهما الذى لم يتم فى المرة الأولى .

و « حكايات المهجر » لعبد المسيح ثرى بأدب القصة ، وقد صدر عام ١٩٢١ م .

الروايه فى الأدب المهجرى :

للأدباء المهجريين وخاصة فى الشمال عناية كبيرة بفن الرواية ، وآثار كثيرة فيه :

فلجبران مسرحيته « الصلبان » وهى فى كتابه « العواصف » ومسرحية أخرى هى « ملك البلاد وراعى الغنم » ، ومسرحية ثالثة سجلها فى كتاب « البدائع والطرائف » وعنوانها « إرم ذات العماد » .

ولميخائيل نعيمة مسرحية مشهورة هى « الآباء والبنون » ، وقد كتب بعض حوارها باللغة اللبنانية العامية ، وطبعت هذه المسرحية عام ١٩١٧ ؛ وله روايات أخرى عديدة .

ولأنطون شكور روايته « من المهد إلى اللحد » ، وكان شكور يقيم فى البرازيل .

ولنظير زيتون رواية « ذنوب الآباء » ، وبعض الروايات المترجمة عن الأسبانية والروسية والبرتغالية .

ولإلياس قنصل بالأرجنتين روايات منوعة ، منها « فى سبيل الحرية » وهى ملخصة عن الفرنسية من رواية لفرنسوا كوبيه الكاتب الفرنسى .

ومن أشهر الآثار فى الأدب المسرحى المهجرى الثرى بهذا اللون مسرحية « الآباء والبنون » لنعيمة ، ومسرحية « ابن حامد » لفوزى المعلوف ، و « ذنوب الآباء » وهيرودس الكبير ويسوع المصلوب لنظير زيتون ، و « من المهد إلى اللحد » لأنيس شكور ، وقيصر وكليوباترا لخليل سعادة ، وجهاد المستعبدين ، ووثبة العرب لخليـــل نبوت فى الأرجنتين [1] .

ويقول إسماعيل أدهم فى كتابه عن توفيق الحكيم : مدرسة المهجر كانت أول مدرسة قوية فى الأدب العربى نجحت فى تقـــديم أروع ما فى الأدب الحديث من القصص والأقاصيص والمسرحيات .

---

(١) ١٢٠ أدبنا وأدباؤنا لصيدح ـ طبعة ثالثة .

أمين الريحانى

٢٤ تشرين الثانى ١٨٧٦ — ١٤ أيلول ١٩٤٠

— ١ —

فيلسوف الفريكة ، أبوه فارس بن أنطون ، وكان كما يقول أمين الابن : تاجر حرير ميسور الحال ، حار الطباع ، كريم الخلق .. وأمه كان اسمها أنيسة ، وكانت تصرف أوقاتها فى العبادة والصلاة .

ولد الريحانى فى قريته الفريكة ، وفيها تلقى تعليمه الأولى ، حيث تتلمذ على الخورى مرقس فى كنيسة مار مارون . ثم انتقل إلى مدرسة المعلم نعوم مكرزل (١) .

وفى عام ١٨٨٨ م وهو فى سن الثانية عشرة هاجر مع عمه عبده ومعلمه نعوم مكرزل إلى أمريكا ، وفيها دخل مدرسة راهبات المحبة فمكث فيها عاما ، ولحق به أبوه ، فعمل معهما أمين الابن فى التجارة ، ثم انصرف عنها عام ١٨٩٣ إلى التمثيل المسرحى ، وعمل مع فرقة تمثيلية نحو ثلاثة أشهر رحل فيها إلى بلاد كثيرة فى الولايات المتحدة، ثم عاد للتجارة مع عمه وأبيه من جديد، والتحق بمدرسة ليلية ، وعكف على شتى المؤلفات العربية والإنجليزية والفرنسية ، وأخذ يكتب إلى الهدى . ثم مرض وعاد عام ١٨٩٨ إلى لبنان حيث عمل مدرسا للغة الإنجليزية (٢) فى مدرسة قريبة من الفريكة فى « قرنة شهوان » ، وأخذ نفسه بإجادة العربية وإتقانها .

وطالع لزوميات أبى العلاء معجبا ، وعاد إلى المهجر من جديد وعكف على ترجمات لأفكار المعرى وآرائه،وقرأ التاريخ العربى فى كتب المفكرين

---

(١) هاجر إلى أمريكا وأسس جريدة الهدى المشهورة .

(٢) راجع كتاب أمين الريحانى لميخائيل سابا ـ دار المعارف بالقاهرة .

والمؤرخين الإنجليز ، وحببه ذلك فى الهجرة إلى العالم العربى ، وألف فى رحلاته كتبا مشهورة ، منها : تاريخ نجد الحديث - بيروت ١٩٢٧ - المغرب الأقصى .

وألف كذلك باللغة الإنجليزية كتبا فى تاريخ العالم العربى منها : بلاد اليمن - ابن سعود ونجد - حول الشواطىء العربية .

— ٢ —

والريحانى أديب بارع وشاعر فذ ألبس الشعر والنثر جلبابا جديداً نحا منحاه شعراء وأدباء كثيرون . وهو عالم بأسرار الحياة ومكتنفاتها متغلغل فى أعماق أعماقها وأغوار أغوارها ، وهو كاتب من الكتاب النوابغ ، ورحالة مشهور فاق ابن جبير وابن بطوطة فى وصفه البلدان والممالك والأمصار بأسلوب سحار جذاب أخاذ .

والريحانى هو القصاص الذى يسحرك بيانه ويجذبك إلى نهاية القصة التى امتلكتك دون شعور بالوقت الذى يمضى بك فى قراءتها ، وهو الممثل الذى يغريك فنه وتستهويك تعابيره ومظاهره ، وهو الوطنى الذى ينادى بحرية الشعوب واستقلالها مهما صغرت أو كبرت ، وهو الموسيقار الذى يرقصك على أنغامه مهما امتلكت من ثبات ووقار وإباء ورزانة، وهو الخطيب الذى يلعب بالعواطف ، فيهز المشاعر ويثير الشجن، ويسوق السامع إلى ماتصبو إليه نفسه من كسر للقيود والتحرر فى الحياة ، والتمتع فى مباهجها والأخذ من أطايبها والعيش فيها برغد وسعادة .

— ٣ —

لقب بالرحالة لملء حياته بالأسفار ، يجوب الممالك والأمصار قاصيها ودانيها، وقد خص البلاد العربية دون غيرها، لحبه لها وشغفه بالقومية العربية التى وقف حياته فى سبيلها ورفع شأنها وعلو كلمتها لدى الغرب بما كان يلقيه بلسانه الذرب الذى يتفنن فى الافصاح عما فى قلبه باللغتين الشهيرتين

فى الشرق والغرب ، وهما العربية الممتازة والإنكليزية المنتشرة ، فكان لسانه ترجمان قلبه ، ومفصاحا لعواطفه الجياشة بتمجيد القومية والعروبة .

تبدأ الرحلة الأولى للريحانى إلى العراق فى أوائل أيلول من سنة ١٩٢٢ م . وهى التى نال فيها النابغة الريحانى احتفاء يوازى احتفاء الشعوب بالملوك والأمراء أو مايزيد على ذلك ، وقد تكررت زيارته للعراق فبلغت خمس رحلات كانت أخيرتها قبيل وفاته حيث توفى سنة ١٩٤٠ م بحادث الاصطدام الذى حصل له فى موطنه جبل لبنان .

والرحلتان الأولى والثانية إلى العراق تمتازان عن الرحلات الأخرى بكونهما رمزاً لتقدير النوابغ من العاملين فى إبان تشكيل الحكم الوطنى فى العراق ، الذى كان ثمرة من ثمرات جهود النهضة العربية التى تغلغلت فى البلاد العربية جمعاء ، إذ أن الرحلة الأولى صادفت العام الثانى من انتخاب فيصل الأول ملكا على العراق فى بدء نهضته واستقلاله ، والثانية سنة ١٩٣٢ وهى السنة التى دخل فيها العراق عصبة الأمم حيث اعترفت جميع الدول فى العالم باستقلاله كدولة مستقلة ذات سيادة ، فأقيمت المهرجانات فى بغداد وأنحاء القطر بهذه المناسبة السعيدة ، وأقيم أول معرض صناعى زراعى فى بغداد لم يشاهد مثله العراق منذ انقراض الحكم العباسى فيه عقب غارات المغول عليه .

ولايتسع المقام لوصف الحفاوة التى لاقاها الريحانى فى العراق فى رحلته الأولى ، إذ أن ذلك تضمن كتابا قائما بذاته جمعه بتلك المناسبة فقيد الأدب والصحافة الأستاذ روفائيل بطى بعنوان « أمين الريحانى فى العراق » وقد أهداه إلى كل عربى يعمل على بث الحرية الفكرية فى قومه ويسعى لتعزيز مبدأ الجامعة العربية (١) .

---

(١) يوسف يعقوب مسكونى ـ من مقال بعنوان « الريحانى فى سياحاته فى العراق » نشر فى صوت العروبة القاهرية عام ١٩٦٠ م .

وقد أصبح الريحانى رحالة العرب الأول فى القرن العشرين .

- ٤ -

كتب كثيرا ، وذاعت شهرته العالمية ، وترجمت مؤلفاته إلى أكثر من عشرين لغة .

ونثر الريحانى مشرق الديباجة ، حلو الأسلوب ، وهو من باب الشعر المنثور ، وقد كتب فى كل الأعراض .

وكان الريحانى مخاصما لجبران ، فلم يشترك معه فى الرابطة القلمية ، وإن كان قد رثى جبران بعد وفاته .

ومات الريحانى فى الفريكة ودفن فيها ، وأقيم لها بها متحف يضم آثاره ومخلفاته ومؤلفاته .

وألفت عنه كتب منها : كتاب أمين الريحانى لمارون عبود ، وكتاب أمين الريحانى لشقيقه ألبرت الريحانى وقد طبع ببيروت ١٩٤١ م .

وصدر الكتاب بكلمة الرصافى عن الريحانى : « الريحانى فى تاريخ الأمة العربية ، دائرة معارفها ، وديوان آدابها ، وسجل نهضتها ، وقائدها الفكرى ، وحسبنا منه (الوصايا العشرون) .. فيه حكمة الفيلسوف ، ورقة الشاعر ، وبيده عصا المعلم ، ومصباح الرائد ، وسيف القائد » .

وكتبه : - خارج الحريم - التطرف والإصلاح - النكبات - مشهورة ، وكذلك كتبه : أنتم الشعراء - وفاء الزمان - سجل التوبة - رسائل أمين الريحانى - وجوه عربية وغربية - ثلاث خطب - المكارى والكاهن - المحالفة الثلاثية . . . وكذلك ألف بالإنجليزية كتابين هما : الملك فيصل - العراق .. وكتبا أخرى منها : رباعيات المعرى - لزوميات أبى العلاء - دروس فى ألف ليـــلة وليلة - أنشودة الصوفيين - كتاب خالد - جادة الرؤيا ، وغيرها .

ومن تأليف الريحانى :

بالعربية : موجز تاريخ الثورة الفرنسية (نيويورك ١٩٠٢) ـ المحالفة الثلاثية نيويورك ١٩٠٣ ـ المكارى والكاهن (نيويورك ١٩٠٤) ـ الريحانيات ١ و ٢ (بيروت ١٩١٠ و ١٩١١) ـ زنبقة الغور (نيويورك ١٩١٥) ـ الريحانيات ٣ و ٤ (بيروت ١٩٢٣ و ١٩٢٤)[١] ـ ملوك العرب جزآن (بيروت ١٩٢٤) ـ النكبات (بيروت ١٩٢٨) ـ أنتم الشعراء (بيروت ١٩٢٣) ـ فيصل الأول (بيروت ١٩٣٤) ـ قلب العراق (بيروت ١٩٣٥) ـ قلب لبنان .

بالإنجليزية : اللزوميات ـ أنشودة الصوفيين ـ ابن سعود ونجد ـ كتاب خالد ـ رباعيات أبى العلاء المعرى ـ بلاد اليمن ـ حول الشواطىء العربية .

ومن كلماته : أريد أن أرتفع دون أن أدوس من هم دونى أو أحسد من هم فوقى ـ القوة للحق والحق لا يموت .

وما ذكر[٢] اسم أمين إلا وتمثل شخصه لكل من طالع مؤلفات ذاك الفيلسوف الشرقى الذى نبتت أفكاره فى لبنان ونمت فى ظلال الحرية فى بلاد الغرب ونشرت فى المجلات والمؤلفات الإنكليزية والعربية .

وأمين الريحانى أديب وكاتب رشيق العبارة متين التركيب يطرب بأسلوبه كما يسكر بآرائه الفلسفية . تعرب أشعاره عن عقلية سامية وروح رفيعة ورجحان قوة الاستقراء ودقة شرح أسرار الحياة وماوراء الحياة ،

---

(١) طبع الكتاب كله طبع جديدة فى بيروت فى جزءين .

(٢) ص ١١ أمين الريحانى ـ لتوفيق الرافعى ط ١٩٢٢ ـ القاهرة ـ عن مجلة الهلال المصرية .

أفرنجى الأسلوب عصرى الأفكار راقى الخيال والوصف والابتكار ، يبتكر بكتاباته وبلاغة تعبيره آراء وفلسفة اجتماعية ، خالعاً ثوب التلقيد القديم ؛ ينظم الشعر الخيـــالى البليغ المؤثر باللغة الإنكليزية والعربية ؛ ومن اطلع على أفكاره ونفثات يراعه وبديع أسلوبه وجميل مقالاته وغزارة مادته وماعنده من بعدالتصور وسمو الخيال وتقرير الحقائق الفلسفية وإيراد الآراء فى روح الاجتماع بأسلوبه الشعرى المنثور ، ومن سمع رنة صوته الموسيقى أثناء الخطابة وإشاراته التى تأخذ بمجامع القلوب، يعجب لهذا العقل ويفتخر به ، لأنه شرقى راق عاش بين الطبقة الراقية من الأمريكيين ونال شهرة ومكاناً رفيعاً ، وله مكاتبات كثيرة مع كبرائهم وعلمائهم .

وإن كاتباً كبيراً وشاعراً متفنناً فى البحث عن أمراض الشرق وسر تأخره الأدبى والاجتماعى . وفى فلسفة الحياة وأسرارالوجود ، بخيال يسبح فى عالم التصورات الراقية خليق بأن تسطر سيرة حياته ليطلع عليها الناس وخصوصاً فى الشرق العربى ويدرس نبوغه أبناء وطنه فى بلاد الغرب .

— ٥ —

وقد كتب شفيق معلوف بعض ذكرياته عن أمين الريحانى فى مجلة العصبة (١) .

ويقول كراتشوفسكى فى كتابه عن أمين الريحانى الذى سماه « فيلسوف وادى الفريكة » ما نصه (٢) :

لقد حدث أن التقيت مع الريحانى فى بيروت ،كان ذلك فى ربيع سنة ١٩١٠ قبل عودتى إلى روسيا بوقت قليل ، وكان هذا اللقاء صدفة ، ففى إدارة تحرير إحدى الجرائد الصغيرة رأيت أمين الريحانى بعد عودته من

---

(١) مجلة العصبة المجلد ١٢ ، العدد الثانى ، نيسان ١٩٥٢ ص ٩٨ - ١٠٠

(٢) مجلة الثقافة المصرية عدد ٧ / ٣ / ١٩٦٤ - ترجمة محمد منير موسى .

أمريكا بفترة قليلة ، وما استرعى انتباهه هو شكلى الخارجى وتفكيره العميق الذى يتضح حتى فى أصغر المناقشات ، وكثيرا ما توجهت بالأسئلة إلى هذا الرجل غير العادى بالنسبة للعرب .. إنه قائد المستقبل لمدرسة المهجر فى الأدب الحديث ، ولقد شعرت للتو بأن لديه قوة كبيرة ترتفع فوق كل الصحفيين والخطباء المشهورين فى سوريا ولبنان فى تلك الفترة ، ومع أن إحساسى الأول هو بالطبع إحساس غريزى وذاتى إلا أنه لم يخدعنى ، ففى تلك الفترة ظهرت مجموعة من مجلدين تحتوى على مقالاته وأشعاره المرسلة ، وكان ظهور هذه الأشعار حدثا كبيرا فى الأدب العربى ، وأردت أن أعرف القراء الروس بهـــذا المؤلف ، وفعلا ظهر كتابى الذى يحوى آراء عن أمين الريحانى .

لقد كتب الريحانى بخط يده ناظما كلماته التى يقول فيها : « أكتب لـكم من وادى الفريكة الذى يحتل فى قلبكم مكانة مماثلة لما فى قلبى ، وأحيانا يكون الصدى أجمل وأوقع من الصوت نفسه، إنه الصدى البعيد لحب عميق أصيل، والعجيب أن من بين أبناء وطنى من ينتقدون الكتب والكتاب بأدق المشاعر وأعمق الأفكار ، لكنهم لم يفهموا ما فهمتموه من جوهر الطبيعة وأسرارها التى حاولت أن أكشف عن بعضها لقرائى فى كل ما كتبت . لقد أوضحتم هذا فى كتابتكم عنى ، وكشفتم عن الود والمحبة، بل وعن لباب هذه المحبة الروحية .. وإننى أشعر بأنكم قد وصلتم إلى القلب، بل فى القلب نفسه، حيث تقرأون على لوحاته الخفية أشياء لم يستطع أن يقرأها حتى أقرب الناس إلى نفسى ، وعلى هذا يصدق إيمانى ويقوى اعتقادى بأن القرابة الروحية هى أقرب الأشياء وأصدقها .. تحية أكثر عطرا من زنبق وادى الفريكة فى هذه الأيام وأملح من أزهار « بخور مريم » ، وإليكم زهرة تحمل لكم حبى وتحياتى » . ووضع فى الخطاب زهرة جافة مازالت حتى الآن تذكرنى بوادى الفريكة وفيلسوفها .

صور من أدب الريحانى

١ — أنا الشرق(١) : أنا حجر الزاوية لأول هيكل من هياكل الله ولأول عرش من عروش الإنسان ، لذلك ترانى محنى الظهر ، ولكننى قويم الرأى ، ثابت الجنان .

أنا جسر الشمس ، من أعماق ظلمات الأكوان إلى الأفلاك الدائمة الأنوار تصعد كل يوم على كتفى وتكافئنى مكافأة جميلة ، أجل إن فى جيوبى، وفى يدى ، وفى نفسى من ذهب الفجر مالا نظير له فى معادن الأرض كلها ، تزودنى الشمس للترحال ، وتزود منى البصر أيضاً والجنان ، وأنا على ثباتى فى رحلة دائمة ، كالكواكب لاتبصر حركاتها . إن أول القافلة ، قافلة نفسى ، ليتصل بالجوزاء ، وإن آخرها ـ لست أدرى اليوم أين آخرها ؟ قد يكون واقفاً مستكشفاً فى أبواب ليفربول ، أو نائماً تحت عرائش الياسمين فى سمرقند ، أوجاداً على ضفاف النيل ، أو ضائعاً فى الجادة البيضاء فى نيويورك ، ولكننى قنوع رضى ، مطمئن ، لأنى وإن كنت لا أرى ساقة القافلة، فإنى مبصر قادتها . وإنى لأسمع طنطنة الأجراس عند المساء ، وصوت الرسول يجيئنى كل صباح مسلما ، وفى يده ثوب جديد ألبسه ليومى ، نسج من لاينسج إلا لصاحب الجلال رب الليل والنهار .

٢ — مصر(٢) هى أكبر الشرقيـــات الباسمات للدهر ، وهى أحدث الشرقيات الناهضات .

---

(١) هذه الكلمة ألقاها الريحانى فى حفل تكريمه بالقاهرة بالجامعة الأمريكية فى ١٤ فبراير ١٩٢٢ ـ راجع ص ١٠٠ كتاب « أمين الريحانى تأليف الرافعى » .

(٢) ألقى هذه الكلمة فى حفل تكريمه عند الأهرام فى ١٩٢٢/٢/٢٠

هى أول من بنى كنناً للعلم ، وبيتاً للحضارة ، وأول من شيد للحياة هيكلا ، وللموت قصوراً .

هى أول من نطق فى قلب العالم كلمة العبادة والابتهال .

هى أول من أضرم فى ليل الحياة نار الإيمان .

هى أول من نحت تمثالا جميلا ، ورسم ذكراً وأملا للإنسان ، لها فى الموت حياة ، ولها فى الحياة المآثر الخالدات .

هى مصر :

آية الزمان ، ابنة فرعون .

معجزة الدهر ، فتاة النيل .

عبد المسيح حداد

١٨٩٠ — ١٩٦٣

— ١ —

صاحب جريدة السائح المشهورة ، ومن أبناء حمص العربية الخالدة .

تلقى تعليمه الابتدائى فى حمص ، وأكمل دراسته فى مدرسة الناصرة الروسية .

وكان أخوه ندرة حداد قد سبقه بالهجرة إلى الولايات المتحدة ، وبعد عشر سنوات من هجرة أخيه ، هاجر عبد المسيح إلى أمريكا عام ١٩٠٧ وهو فى السابعة عشرة من عمره ، وعمل فى التجارة ، ثم مال إلى الصحافة ، وأنشأ عام ١٩١٣ وهو فى سن الثالثة والعشرين من عمره جريدته العربية المشهورة « السائح » التى كانت تصدر فى نيويورك . وحملت السائح لواء الأدب المهجرى ، وكتب فيها أعلامه ، وعلى صفحاتها دعا عبد المسيح إلى تكوين الرابطة القلمية ، وفى أروقتها رأت الربطة النور والحياة عام ١٩٢٠ بفضل عبد المسيح حداد وجهاده ، وقد سجل فى السائح الممتاز الذى صدر عام ١٩٢٧ نضال الرابطة القلمية وكفاحها الأدبى .

وألف عبد المسيح حداد كتابه المشهور « حكايات المهجر » ، وله فى مجموعة الرابطة القلمية التى صدرت عام ١٩٢١ حكايتين ، ضمهما إلى كتابه هذا الذى طبع عام ١٩٢١ فى ٢٥٠ صفحة ، مشتملا على ٣١ حكاية .

وظل عبد المسيح حداد يكافح فى حياته كفاحاً طويلا مريراً شاقاً ، وأنجب ابناً هو من أشهر المهندسين المخترعين فى أمريكا ، وهو مخترع العقل الحاسب .

وفى عام ١٩٥٧ باع حقوقه فى جريدة السائح لراجى الضاهر صاحب جريدة البيان ، وظل يحرر فيها حتى وافاه الأجل .

— ٢ —

وأى خسارة منى بها الأدب العربى كافة ، والأدب المهجرى خاصة ، بوفاة عميده وشيخه وقطب رحاه ، عبد المسيح حداد فى نحو التاسع عشر من يناير عام ١٩٦٣ ، عن ثلاثة وسبعين عاما ، قضاها فى الكفاح من أجل رسالته وأمته وفكرته ، من أجل رفع منارة العربية فى المهجر الأمريكى ، ونشر الأدب العربى فى ربوعه ، وإذاعة مفاخر العرب فى العالم الجديد .

مات عبد المسيح حداد كما مات رفاقه فى الجهاد ، ولداته فى الكفاح ، وزملاؤه فى المعركة ، بعد أن بلغ الناس رسالة ، صغيرة فى مبناها ، كبيرة فى معناها ، هى رسالة الحب والتسامح ، والإيثار والوفاء ، رسالة الإنسانية والإخاء .

وكما يغرب النجم الشامخ ، وكما يغيب النور الباذخ ، وكما تنتهى الحياة ، غاب أبو جرير عبد المسيح حداد ، معلما الناس بعده حب العرب والعروبة والعربية ، حباً يصل إلى حد الإيمان والتقديس .

ولقد كان لخبر وفاته ، وقد تناقله أصدقاؤه ومحبوه فى القاهرة ، وقع الصاعقة المدوية . وأثر الفاجعة الدامية ، ولكن لاملاذ إلا الصبر ، ولاشىء إلا التسليم والتفويض فى مثل هذا الحدث الجلل ، والمصاب الخطير .

كان عبد المسيح حداد فى قلوبنا وإحساسنا جميعا رمزاً طيباً لكل معنى نبيل ، وخلق كريم ، وشيمة عربية أصيلة .

هاجر أبو شادى إلى نيويورك عام ١٩٤٦ ، فاحتضنه عبد المسيح حداد وأكرمه ، وخفف عنه لوعة الغربة ، واستكتبه فى جريدته السائح ، فظل يكتب فيها حتى توفاه الله إلى رحمته فى الثانى عشر من أبريل عام ١٩٥٥ ، وكان أبو شادى يكتب لنا فى رسائله عن خلق عبد المسيح حداد ماحببنا فيه ، وقربنا منه ، ولما مات أبو شادى نعاه فى السائح ، فكان نعيه أصدق وأروع

ماقيل فى أبى شادى وشخصيته ، وكتب عبدالمسيح حداد فصولا لمجلة الصداقة التى تظهر فى القاهرة عن أدباء المهاجر الأمريكية ، فكتب عن أبى شادى فصلا رائعاً ، يعد قطعة حية من أدب التراجم الرفيعة . . وكان أبو شادى فى حياته يكتب إلينا عن الدسائس والخصومات التى تقع بين أدباء المهجر ، وعما أحاطه به بعضهم من جفوة وحسد وحرب خفية ، ولكنه حين كان يكتب عن عبدالمسيح حداد أوعن جورج صيدح ، أوعن إلياس فرحات ، أوعن نظير زيتون ، وأشباه هذه الطبقة ، كان يكتب مثنيا منوها بالخلق العربى الأصيل ، والشيم الإنسانية النبيلة .

وفى صيف عام ١٩٦٠ زارنا عبد المسيح حداد فى القاهرة زيارة قصيرة كانت يوما أو أياما قلالا ، وقابلته مع الأديبين الصديقين وديع فلسطين ومحمد عبد الغنى حسن ، فبهرنا بعظمة الرجل وشخصيته ووقاره وتواضعه وإنسانيته ، وحدثنا عن كثير من ذكرياته ، وعن ابنه جرير ونبوغه فى عالم الابتكار العلمى فى أمريكا ، وعن أدباء المهجر ، وعن أبى شادى ، وعن زيارته لسوريا وطنه الحبيب ، ولمسقط رأسه حمص ، حديثا رفاف المنى ، عذب اللهجة ، لا تزال حروفه ونبراته كأنها مرسومة فى أذهاننا وقلوبنا .

ومضت الأيام وعبد المسيح حداد يكتب إلينا ونكتب إليه ، ويبلغ أخانا (وديعاً) تحاياه إلينا ، فنتقبلها بالفرح وبالحب لهذا الأديب الجهير ، والعربى الشهير ، والصحفى الجليل ، الذى قضى حياته كفاحاً من أجل عروبته وأمته .

— ٣ —

ولد عبد المسيح حداد عام ١٨٩٠ ، وهاجر إلى أمريكا عام ١٩٠٧ بعد هجرة أخيه ندرة حداد بعشر سنوات ، وفى عام ١٩١٢ أصدر جريدة السائح منبراً عربياً حراً رفيعاً ، للعرب ولغة الضاد فى أرض كولومبس الجديدة ، وفى عام ١٩٢١ أصدر الجزء الأول من كتابه « حكايات المهجر » ، ومن قبل فى عام

١٩٢٠ أسهم مع إخوانه أدباء المهجر فى تأسيس الرابطة القلمية بنيويورك ، وفى مكتب جريدته عقد الاجتماع الأول لتأسيسها ، وظلت السائح لسان صدق لأدباء العرب عامة ولأدباء المهجر خاصة ، وفى عام ١٩٤٩ زار عبد المسيح حداد دول أمريكا الجنوبية زيارة سياحية ، فتلاقى بإخوانه فى العروبة فى سان باولو وفى الأرجنتين وشيلى وسواها من العواصم ، وقد لمس فى هذه الزيارة مدى تقدير المهجريين لكفاحه وأدبه ولشخصيته الرائدة النبيلة ، وفى عام ١٩٥٧ باع السائح لصاحب جريدة البيان ، وظل يكتب فى البيان فصوله الرائعة الممتعة . وفى صيف عام ١٩٦٠ زار الجمهورية العربية المتحدة ، ونزل ضيفا عليها ، وكرمه الأدباء فى دمشق وحمص تكريماً يليق بمكانته . وقد طبع له فى دمشق بعد ذلك كتاب عن هذه الرحلة ، بعنوان « انطباعات مغترب » .

— ٤ —

وكتب عنه وديع فلسطين يقول(١) :

ولد عبد المسيح حداد فى حمص . . . والتحق ببعض معاهدها ومعاهد الناصرة ، فلما صار ابن سبعة عشر ربيعاً هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليلحق بشقيقه الشاعر ندره حداد الذى سبقه إلى هناك بعشرة أعوام ، وحاول التجارة ، شأن أغلب المغتربين الماهرين ، فلم يفلح ، ثم انصرف إلى الكتابة فى صحف أمريكا ، ولاسيما فى مجلة « الفنون » التى كان يصدرها نسيب عريضة ولم يطل بها الأجل ، فلما توقفت تلك المجلة الراقية عن الصدور ، أزمع أن يصدر جريدة « السائح » ، وكان يومها فى الثالثة

---

(١) مجلة الأديب اللبنانية عدد أبريل عام ١٩٦٣ : وهى الكلمة التى ألقاها فى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة بمناسبة ذكرى الأربعين لعبد المسيح حداد ، والتى تحدث فيها : مؤلف هذا الكتاب ، ومحمد عبد الغنى حسن ، ومحمود الشرقاوى ، وكثيرون .

والعشرين من عمره ، وتوالى منذ عام ١٩١٣ صدورها مرتين أسبوعياً ، وكان محررها وناشرها ومنضد حروفها ومدير إدارتها وكل شيء فيها .

ولما تألفت « الرابطة القلمية » فى أبريل ١٩٢٠ ائتلف أعضاؤها ـ وكانوا يسمون أنفسهم « عمالها » ـ على التحرير فى جريدة « السائح » وفى أعدادها السنوية الأدبية الممتازة ، وظلت تلك الجريدة ملتقى لقرائح أبناء المهجر الشمالى إلى أن حجبها صاحبها فى عام ١٩٥٧ بعدما تبين له أن دولة المهجر تؤذن بزوال ، وأن اللسان العربى فى بلاد المسيسبى قد استعجم واستبهم وانعقد ، على أسف منه وأسى .

وصفه أحمد زكى أبوشادى « بأنه أعرق أساطين الأدب المهجرى »(١) ووصفه فى مناسبة أخرى بقوله : « وعبد المسيح حداد ناقد نزيه وأديب أصيل مبدع »(٢) ، وقال عنه فى مرة تالية : « كان عبد المسيح مؤسس تلك الرابطة الفذة أصغر أعضائها سناً ولكنه كان أنشطهم ومن ألمعهم تفكيراً وأقواهم أصالة ، وكان ولا يزال يدعى مارك توين العرب فى أمريكا لذكائه الخارق .

ومجموعات « السائح » ثروة قومية أجزلها عبد المسيح حداد لمواطنيه وبنى عشيرته سنوات أشرفت على نصف قرن . فلما احتجبت « السائح » حول مكتبها إلى منتدى عربى يخدم جميع قصاده من أبناء العروبة ويقوم بالترجمة من العربية وإليها ، كما نقل قلمه إلى جريدة « البيان » لصاحبها الأستاذ راجى ظاهر وهى الجريدة التى آلت إليها مطبعة « السائح » وإلى جريدة « الإصلاح » لصاحبها صديقنا الدكتور الفونس جميل شوريز المعروف بأبى فيليب ليؤدى الرسالة التى تطاوع لحملها وهو فى غض الإهاب ومات فى الذياد

---

(١) ٥٣ أبو شادى فى المهجر لأبى شادى .

(٢) ٢٩٣ شعراء العرب المعاصرون لأبى شادى .

عنها والمنافحة عن مثلها العليا ولم يرم حداد قلمه إلا بعدما رماه الموت بسهامه فأصاب .

وقد ورد فى بعض المباحث التى اطلعنا عليها نقد لعبد المسيح حداد ، فقال الدكتور عبد الكريم الأشتر فى كتابه « النثر المهجرى » إنه « غرق فى عمله الصحفى فلم يلتفت إلى صياغة الصورة على الإطلاق ، ولم يعاود النظر فيها ، فوقعت بذلك عنده فى ضعف مازها من صور التعبير لدى كتاب الرابطة الآخرين » . وفى ظننا أن هذا النقد غير حصيف ولا فيه نصفة ، لأن بلاغة عبد المسيح حداد فى ارتجاله ، فلم يكن يكتب بالقلم بل كان ينضد مقالاته من الذهن مباشرة على حروف الطابعة ، كما أنه كان أدبى المنهج والأسلوب مشرق الديباجة سليمها حتى فى فصوله السياسية الدارجة .

وإذا كان عبدالمسيح حداد فى حاجة إلى شهادة فوق ماأسلفنا من شهادات ، فلنتدبر مقالة جورج صيدح عنه فى كتابه « أدبنا وأدباؤنا » : « يكفى أن تتصفح العدد السنوى الممتاز للسائح وتقرأ أسماء المشتركين فى تحريره لتعلم إلى أى مستوى رفيع نهضت الصحافة العربية فى نيويورك بفضل صاحب « السائح » . ولنصغ إلى شهادة جديدة من أبى شادى فى كتابه « شعراء العرب المعاصرون » جاء فيها : « ولكن ثمة كتابا اشتهروا فى عالم الصحافة وهم جد متمكنين من الأدب الخلاق ، نذكر منهم على سبيل المثال فى المهجر عبد المسيح حداد » فاشتغال عبد المسيح حداد بالصحافة رفع مستواها إلى سدة الأدب ولم ينحط بمستوى الأدب إلى مادون الصحافة .

— ٥ —

ومن كتابات عبد المسيح حداد ما كتبه عن الشاعر الشعبى ملحم الحاوى(١) ، قال :

---

(١) راجع مجلة ـ الصداقة عدد ٢٧ / ٨ / ١٩٥٣ م .

« اللغة نسيج من كلام ، والكلمة بنت الحياة البكر ، وهذه البنت ولدت بالتمام كما يولد الأحياء ، فكل مولود هو ثالث لزوجين ، وكذلك الكلمة قد جاءت ثالث زوجين هما الدافع والحاجة .

والكلمة البشرية واحدة فى عنصرها ، أولية فى نظام الحياة الإنسانية ، وهى لم توضع وضعاً ، ولا تشكلت تشكلا فرضته إرادة أحد ، بل جاءت على لسان الإنسان فطرية غريزية ، ولهذا عجز الناس منذ القدم عن أن ينسجوا لغة عالمية واحدة نسجاً على منوال الغرض ، وأبوا من ذلك مرارا بالعجز والحياء . وليس من يجهل أن كل أولى يأتى بصورة المباشرة لا يمكن إتيانه على تمامه كمالا ، ولذا كان التنظيم والزيادة والإنقاص ، والقاعدة والأسلوب والاشتقاقات والجوازات — كل هذه تتعاقب على اللغات شيئا فشيئا ، وجيلا فجيلا ، وعصرا فعصرا ، ودرجة فدرجة ، ولم يكن فى مستطاع فرد أو شعب أو أمة أو طائفة ، القول بأن ما ينطقون به لا يزاد عليه ولا ينقص منه إلى الأبد ، وذلك لأن اللغة ، شاء الناس أم أبوا ، تنمو بنموهم مدنياً واجتماعياً ، فإذا ما قعدت عن تقدمها وسدت الأبواب فى سيرها ، اتخذت طريق الفناء ، كما هى حالة اللغات التى اندثرت ، والتى لا تعد فى عصرنا هذا من اللغات الحية .

مما تقدم ، على إيجازه ، نفهم أن اللغة حيكت على نول الدافع والحاجة ، كلمة فأخرى ، وأن تجمع عائلتها كان فى البدء فطريا تعهدته الغريزة بعنايتها حتى تناولتها يد المدنية لحاجتها إلى التعاون الاجتماعى والتفاهم الإنسانى ، فرسمت لها القواعد وأقامت المقاييس والأوزان ، كما هو الحال فى اللغات المعروفة .

والألسنة البشرية ، منذ الكلمة الأولى حتى الآن ، تندفع للهزج فى مختلف الحالات النفسية فيتغنى أصحابها بكلامهم لدى الفرح ، ويندبون لدى الترح ، ويئنون فى حالة الألم والكسر ، ويهللون فى حالة الشفاء والنصر ، كما رنموا فى الصلاة تخشعاً ، ورتلوا فى الوحدة والمناجاة تفجعاً . وهزجهم هذا هداهم

إلى ضبط الوزن وتوحيد القافية ، لجعل النغم منسجما . . هذا كان شأن اللغة فى بدء تطورها وعليه بنى شعرها وتنظيمها فى مستهل الرقى . والدليل على ذلك هو أن الشعراء القدماء كانوا ينظمون ويضبطون نظمهم بالتغنى ، وعن ذلك قال أحدهم ، قبل أن نخل الخليل بن أحمد أوزان الشعر العربى وضبطها :

تغن فى كل شعر أنت قائله　　　إن الغناء لهـذا الفن مضمار

إذن فالشعر الفطرى الموزون بالغناء هو البدء لفن الشعر ، وهو ما يقال له اليوم « الشعر الشعبى » أو « الشعر القومى » أو « الشعر الزجلى » أو « الشعر العامى » وهو حر من قواعد الإعراب وقوانين الصرف والنحو ، وطليق من قيود المعاجم ، مع حرصه على سلامة التعبير وانسجام الحركة والتلحين ، وإذن ، فهو مترجم حالات النفس من فطرتها على أدق مايشعر به الشاعر ، حتى ذلك الذى يضع إحساسه بالكلام الفصيح المقيد بحالات الإعراب وموازين القواعد الشعرية .

ولهذا نرى أن النوع من الشعر أعم من الفصيح فى مجال الغناء عند العامة وأسهل منالا منه ، وأقرب إلى النفس الراغبة فى التنزه لدى الصعوبات والمشقات ، ولدى التصول والافتخار ، ولدى التعبير البسيط عن خلجات النفس فى مجال الاجتماع على مختلف ضروبه ؛ وميل كل من الناس إلى أحدها المطابق هوى فى داخله .

لولا أن اللغات العامية شتى من جراء تعدد الأقاليم المتفرد كل منها بلهجات واصطلاحات خاصة ، لصارعت اللغة الفصحى وغلبتها ، إلا أننا فى هذا العصر نراها تتقارب من جراء الاحتكاك ثم تتصاعد نحو الفصحى من جراء شيوع الثقافة ، فى حين أن الفصحى نفسها تتسهل وتتبسط رويدا رويدا وادانيه من العامية ، ولا بد من أن يتعانق الفريقان معاً فيسيران على الطريق متقابلين ومتقاربين بدوافع العلم والتعاون والتنقل والاحتكاك الضرورى فى كل ناحيـة من نواحى العمران .

كتبت عن ثلاثة شعراء مهجريين نبغوا فى النهضة الأدبية العصرية وهم : رشيد أيوب وندرة حداد ونسيب عريضة ، وأرى الآن لزاما على أن آتى بشاعر آخر امتاز بشعره الشعبي وكان لا يزال له القدح المعلى فى وضع القصائد الزجلية المعبرة عن شاعرية حساسة كشاعرية الثلاثة الذين قدمتهم ، وعن نفس ولوع بالحكاية المطرزة بالفكاهة أحيانا وبألوان البلاغة الفطرية ذات الذكاء أحيانا أخرى .

وهو الأستاذ ملحم الحاوى ... شاعر ملهم حاضر الخاطر ، قوى العارضة ، بارع اليراع ، ينظم بلغتنا العامية المهجرية أى اللغة التى تجمعت من عديد لهجات المغتربين العرب ، بل عديد الاصطلاحات البلدية المنوعة ذات اللون القروى أو المدنى الخاص فى كل قرية ومدينة فى الأقطار العربية .

وذلك لأن اجتماع العرب فى هـذا المهجر من سوريين ولبنانيين ومصريين وفلسطينين ويمنيين وعراقيين حملهم على اقتباس الواحد من الآخر والانصراف عن النهج الأصلى فتألفت من ذلك لغة عامية امتازت بتجمعها من لهجات كثيرة واصطلاحات عديدة ، واستعارت كذلك الكثير من التعابير الأمريكية التى خلت منها لغتنا العربية ، كما اختارت عديد الكلام الأجنبى لقدم وجود مثله فى اللغة العربية .

فهذا الشاعر ابن الشوير فى لبنان ينظم اليوم قصائده بلغة المهجر لا بلغة لبنان والشوير تماما وبلهجة مجتمعة من جميع اللهجات العربية المهجرية .

ما رأيت شاعراً تهتاج خواطر الجماعة من قبل أن ينطلق لسانه بالالقاء على منبر كالشاعر ملحم الحاوى ، فكأن الناس خبروه ينشر على مسامعهم من ذكائه الفطرى ما يثـير فى داخلهم الحركة على أوتار قلوبهم بألطف الألحان وأعذب المعانى وأطرب النكات ، فأصبحوا لا يرونه قادما

إلى منبر حتى تتفتح نفوسهم إلى ما سيجلوه عنها من عبوسة الترسم فتتسارع ثنايا جباههم إلى انبساطها لرغبة أربابها فى الفكاهة ذات المرح والمغزى البديع فى آن واحد .

وللشاعر الشعبى ملحم الحاوى وقفات مدويات على المنابر ، كم هزبها المشاعر ، وكم أثارت النفوس الثوائر ، وهو يعد من صف الماهدين فى بناء صرح المهجر الذى انضم إليه منذ زهاء نصف قرن فازدان بعبقريته ، وسد فراغه الأدبى من ناحية هذا النظم الطلى على السمع . . » .

نظير زيتون[١]

١٩٠٠ — ١٩٦٧

— ١ —

إذا كان هناك من يجلس على قمة البيان، ويتولى إمارة النثر ، ويعد صاحب مذهب فى الأسلوب ، ورئيس طريقة من طرق التعبير ، وحامل لواء الوشى الفنى بزخارفه وبريقه ووشيه .

وإذا كان هناك خليفة لعبد الحميد الكاتب وابن العميد والصاحب والبديع فلن يكون ذلك إلا نظير زيتون .

هذا الأديب الألمعى ، والذهن المتوقد، وصاحب الرسالة القومية فى الأدب المهجرى ، وأحد رواد الحركة الفكرية فيه ، والذى أسهم بأسلوبه البليغ ونثره البديع فى أداء الرسالة الوطنية التى شاركه فى حمـــل رايتها القروى وفرحات ، وآخرون من أدباء المهجر الأمريكى الجنوبى .

— ٢ —

كان « زيتون » من أركان « العصبة الأندلسية » وأدبائها الأعلام ، تولى أمانتها فترة طويلة ، وشارك إخوانه أدباء العصبة ، وشعراءها فى حمل رسالة الأدب ، وخدمة قضايا العرب .

وتولى رياسة تحرير جريدة « فتى لبنان » اليومية التى كانت تصدر من « سان باولو » .

وكان خطيب « النادى الحمصى » فى « سان باولو » كذلك ، عشرين عاما ، يجمع القلوب حول راية القومية العربية ، ويثير الأذهان وينبهها إلى وحدة شعوب العرب .

---

(١) راجع عنه كتاب « نظير زيتون الإنسان » صدر عن وزارة الثقافة السورية جمع عدنان داعوق .

ومؤلفاته القيمة شاهد صدق له بعلو المنزلة فى صناعة النثر ، وبالتفوق والتفرد فى بلاغة الأسلوب ، إلى ماحتوت عليه من جدة البحث ، وحسن المنهج ... ومن بين هذه المؤلفات رسالته فى استقلال البرازيل ، وكتابه « روسيا فى مواكب التاريخ » ، وكتابه الأخير : « ولادة أمة » . ورواياته « ذنوب الآباء » و « هيرودس الكبير » و « يسوع المصلوب » و « النبي الأبيض » . . . وسواها .

هذا إلى مقالاته وفصوله الرنانة الذائعة التى كانت تنشرها له شتى صحف المهجر ومجلاته ، والصحف المختلفة فى البلاد العربية ، والتى جمعت حولها طائفة كبيرة من الأدباء والمعجبين والتلاميذ وشداة الأدب . ويعد « كتاب الشعلة » الذى يحتوى على مجموعة من خطب « زيتون » منارة رفيعة لطلاب البيان الرفيع،والنثر المترسل المصنوع ، مع تمكن الطبع ، واكتمال الموهبة، وشدة مراس الملكة .

ولانجد شيئا نصف به أدب « زيتون » أبلغ من وصفه هو لأدب المهجر حيث يقول : أدبنا شق الصخور ، ثم نما وسمق ، ونضجت ثماره ، فى حرارة الشمس ، وزئير العاصفة ، وتناغم النسيم ، وتساوق فصول الحياة .

— ٣ —

وعندما هاجر « زيتون » إلى « سان باولو » عام ١٩١٤ كان فى الرابعة عشرة من عمره ، فتى ذكيا تبدو عليه مخايل النبوغ ، وملامح الطموح ، ودلائل الشخصية القوية ، التى كانت تبشر بأن صاحبها سوف يكون من حملة الرسالة . وكان ماكان ، عالج أبواب الرزق بالعمل فى التجارة فأخفق ، فاتجه للأدب ، يقرأ روائعه القديمة والحديثة ، ويتتبع مذاهبه ومدارسه فى بلاد العروبة والمهجر ، ويدرس ويكتب ويشترك فى ندوات الأدب وحلقاته ومواسمه فى المهجر الجنوبى ، حتى استقام له منهج مستقل ، ومذهب

خاص ، وصار علما من أعلام الأدب العربى الحديث ، ورائدا من أكبر الرواد والمجددين فيه .

— ٤ —

هذا هو « نظير زيتون » الذى عاد من المهجر عام ١٩٤٩ بعد خمس وثلاثين سنة قضاها فى الغربة، ليقيم فى وطنه العربى فى عهد حريته واستقلاله، وليشهد بعض ثمرات كفاحه من أجله ، وليرى الآمال وقد استحالت إلى حقائق وأعمال ، وليمتع عقله وبصره بمواكب الحرية الصاخبة ، التى تسير فى كل قطر من أقطار العروبة منادية للعرب بالعزة والمجد والسيادة فى ظل حريتهم الكاملة ، ووحدتهم الشاملة .

ونظير زيتون ثالث ثلاثة نذروا أنفسهم للقومية العربية ، وزميلاه الشاعران القروى وإلياس فرحات، وهو عضو العصبة الأندلسية منذ نشأتها، وخطيب النادى الحمصى فى البرازيل ، ومحرر جريدة فتى لبنان ، وصاحب المؤلفات والمترجمات العديدة .

ولد فى مدينة حمص سنة ١٩٠٠ ، وفى مدارسها نهل ثقافته الأولى ، وفى سنة ١٩١٤ هاجر للبرازيل ، وفى سان باولو ألقى عصا الترحال ، وحاول أن يحصل على لقمة العيش عن طريق مزاولة التجارة ففشل ، وقد كان فشله خيرا إذ دفعه للبحث عن العمل الصحفى ، والاتجاه للميدان الأدبى ، ونجح فيهما .

وإذا علمتم أن ثقافته الأولى فى مدارس حمص لم تكن كافية ، وأنه أرهق نفسه ، وأضنى ناظريه وهو يدرس قواعد اللغة من صرف ونحو وبلاغة ، وأساليب أدبها ، أدركتم مدى نضاله فى سبيل العلم والأدب والبحث ، ذلك النضال الذى أورث عينه الكلال .

وقد لمع نظير فى ميـــدان الصحافة ، وميدان الخطابة ، وتشهد محافل الجالية العربية فى سان باولو كيف كان يستحوذ على قلوب سامعيه ، ويبهرهم بقوة حجته ، وسحر عبارته . وله مؤلفات عديدة ، ومترجمات يضيق المجال عن التعريف بها ، ولكن على سبيل المثال أذكر منها :

١ — ذنوب الآباء : رواية اجتماعية .

٢ — النبى الأبيض رواية قومية استوحى حوادثها من مصر فى عهد الاحتلال وانتفاضة المصريين .

٣ — مركيزة سنطورس ، وهى رواية تاريخية غرامية تتناول الحوادث التى أدت إلى استقلال البرازيل ، وانفصالها عن البرتغال مترجمة عن اللغة البرتغالية .

٤ — سقوط الأمبراطورية الروسية ، وهى رواية تاريخية تتناول الحوادث التى أدت إلى الثورة البلشفية فى عهد القيصر نقولا الثانى .

٥ — هيرودس الكبير ـ رواية تاريخية تتناول حالة فلسطين فى عهد السيد المسيح .

٦ — من وراء القبر أو انهيار أمبراطورية وولادة أمة .

— ٥ —

ومن أسلوب نظير زيتون ما كتبه عن الشاعر جورج صيدح فى صحيفة لبنانية ، نسيت اسمها ، وذلك فى تشرين الثانى ١٩٥٩ ، قال :

« جورج صيدح جرى الشعر زكيا فى دمه وشريانه ، وتهادى الجمال عبقريا فى فنه وبيانه ، وهدهد القريض عصيا فانقاد بقوافيه وأوزانه ، وتأرج عبهريا فى ورده وريحانه وتبلج سنيا فى تسابيحه وألحانه وغاص عليا فى أعماق النفس ، فاذا خلجاتها درر على شطآنه ، وإذا خمرتها وقف على دنانه ،

ولهيبها زفرة من نيرانه ، وبسمتها شمخة في وجدانه ، وانطاد في الآفاق فاذا الدرارى فيض بنانه ، وآهة وجده وتحنانه ، وخفقة حبه وإحسانه .

إن للابداع ربيعا في زهوه وريعانه ، وللوحي ندى يتألق في جنانه ، وإذا جورج صيدح سبد على ديوانه ، وأمير في إيوانه ، وجنح إلى النثر على طائر عبقرى مرصود ، مقتحما الحدود والسدود ، لينسج لأدباء المهجر أزهى البرود ، ويصوغ لهم أنفس العقود ، فجلا كنوزهم في معرض التكبير والتمجيد ، وزفها تراثا فريدا طريفا إلى التراث العربي التليد ، بيراع بارع مجيد ، ولسان سرى غريد ، وكف ندية تعبق بالشذا والجود .

فشيد لهم أهراما من نجوم السعود ، وأجلسهم في كتابه على عرش من اللؤلؤ المنضود ، ونحت لهم تماثيل المجد والخلود بعد أن كان أدبهم شبه موؤود .

فاذا استوى صيدح على عرش المثالية والشاعرية ، فآيته أن أريحيته تنافس فيه العبقرية ، والعبقرية الأريحية ،وهى منافسة زهراء لاتؤتى لسوى أصحاب الكمالات الإنسانية » .

وكتب نظير زيتون إلى الدكتور زكى المحاسني يقول (١) :

« انتهيت الساعة من قراءة نشيدك السادس « عمر بن الخطاب » الذى سبقته خمسة أناشيد في الملحمة العربية ، وهى الرائعة التى فتحت بها أوسع الفتوحات ، وحسبك أنك نفحت الضاد بأذكى النفحات ، وكشفت للمجد العربي عن كنوز مبعثرات ، نائمات فى أحضان الظلمات ، وغيابة المنسيات ، فصقلتها ، ولك في الإبداع آيات ، ونظمتها ولك في العبقرية ومضات ، وجلوتها فتاكة اللحظات ،فتانة البسمات ، شماء القسمات ، فاذا الملحمة العربية

---

(١) مجلة الأديب اللبنانية عدد مارس ١٩٦٥ م .

قيثارة مكرمات ومروءات ، ومصحف عظات باهرات،ومفاخر خالدات ، وتاج يزرى بالتيجان المتألقات ، وإذا القول قولها حين تتنافس الأمهات ، في ميادين البطولات ، وجلال الحضارات ، وهتاف الرايات ، وشرف المطالب والغايات .

قرأت أناشيدك العربيةالملحمية ، وأعدتقراءتها ، واستعذبت تلاوتها وجزالتها،وتذوقت شهد حلاوتها و بلاغتها،وتمززت خمر طرافتها وبذاختها، وتشممت عطر أصالتها وفصاحتها ، وتلمست متهللا كياستها ونفاستها ، أترى كان السحر قافيتها ، أم كان الإلهام روايتها ، أم كنت أنت لملحمتنا صاحبها ورسالتها ؟

ومن الشعر ما هو ضر ونكر ، وما هو شر وهذر ، وماهو جعجعة وصخر ، وما هو وعر وقفر ، ورحم الله القريض عندما يقع فريسة الأدعياء ، طلاب الشهرة الجوفاء،ويالغرورهم من داء ، ويالشعرهم من بلاء. ولكن من الشعر ، ما هو ندى وزهر ، وطرب وخمر ، وماهو نشر وفجر ، وخيال وسحر ، وماهو دمع وجمر ، ورؤى وسر ، وماهو بحر ودر . وروح وفكر ، وقلب وذكر ، فى هذا الشعر نفس من أنفاس الأنبياء ، يتجلى فى الحرف القدسى الوضاء ، فى هذا الشعر نفحة من نفحات السماء ، ونبضة من نبضات القبة الزرقاء ، تنطلق موجة زهراء ، فى القلب الخافق المعطاء ، فاذا هى قافية غراء ، وقصيدة عصماء ، وفى ملحمتك العربية نفس من هذه الأنفاس النبوية ، ونفحة من هذه النفحات السماوية ، وما أجدرك بعد هذا أن تتابع عملك الأدبى ، وتسد ثغرة واسعة فى خزانتنا العربية ، بما أوتيت من براعة وألمعية ، وعزم وأريحية » .

حبيب اسطفان خطيب الجنوبيين[1]

شخصية كبيرة من شخصيات المهجريين الجنوبيين ، رفعه ناقدوه إلى مكانة عالية في الفكر والأدب .

كتب عنه إلياس قنصل[2] يصفه بأنه كان نابغة من نوابغ الإنسانية في عصرنا الحالي ، ما اعتلى في حياته منبراً إلا سحر السامعين .

كان الدكتور اسطفان من الخطباء الكاملين ، وما أقلهم ، والناحية الأدبية من خطبه ومحاضراته ، لاتقل عن طريقة أدائها روعة وفخامة ، فهو يلبس عباراته حللا براقة تدخل إلى القلوب بلا استئذان ، فلو فتشت خطبه جملة جملة لوجدتها تمور بالبلاغة .

بقيت الناحية الفكرية ، وهي التي كانت من المآخذ التي يلوح بها أعداؤه ، وطالما انتقدوه قائلين إن محاضراته فارغة ، ومافي انتقادهم كل الصواب ، فالخطيب الذي يقف ستين دقيقة — وكانت محاضرات اسطفان تدوم ساعة كاملة — لايستطيع أن يجعل كلامه كله آيات .

ولم يكن اسطفان يعد خطبه قبل إلقائها ، بل كان يعد عناصرها ويلقيها مرتجلا ، وكتابه عن « الشعوب الأميركية الأسبانية » له شهرة في كل مكان .

وكان اسطفان إلى ذلك ، محدثاً من الطبقة الأولى ، إن تناول قضية أشبعها تحليلا ، وإن سرد حادثة شاهدتها من خلال عباراته بكل تفاصيلها

---

(١) راجع ٤٣٣ ذكرى الهجرة ، وأدبنا وأدباؤنا لصيدح .

(٢) مجلة المعرفة السورية - يونيو ١٩٦٥ م .

كأنها تمر أمامك مصورة ، وهو فى حديثه كخطبه ، يختار الـكلمات اللطيفة الجميلة دون أن يدعك تشعر أنه يختارها . ولا يـكاد يشبهه فى ذلك إلا توفيق قربان فى البرازيل .

وكان اسطفان وطنيا يغار على سمعة بلاده كل الغيرة ، كان عربيا ينشر أمجاد الأمة العربية على منابر البلدان التى يزورها .

وله كتاب « وجدان لاسياسة » .

ولم يـكن اسطفان عاشقا للمال فلو كانه ، لـكان ، بلا مبالغة ، من أصحاب الملايين ، لقد وصلت إلى يده مبالغ طائلة — كلها بدل محاضراته — أعدله أصدقاؤه ، والمتظاهرون بصداقته ، اكتتابات جمة ثم سافر . . . سافر سفرته الأخيرة .

وكانت حياته ، فى معظم أحايينها أشبه بحيـــاة الأمراء ، فهو يقيم فى أفخم نزل ، ويرتدى أفضل الثياب ، ويدخن أغلى نوع من اللفائف ، وفى أصابعه خواتم من الذهب والماس ، وعصاه — ومقبضها من العاج — يغيرها كل مدة ليظل رونقها متجدداً .

كان اسطفان يعتبر المـال وسيلة إلى التنعم بالحياة ، فما وصل منه إلى كفه شىء إلا بذله ، دون أن يهتم بما ينطوى عليه الغد .

توفيق قربان

شخصية لامعة من الشخصيات المهجرية،التى أدت رسالتها فى العالم الجديد من أجل العرب والعروبة والعربية ، ولتوفيق قربان فلسفة لغوية ترفع من منزلته فى الفكر اللغوى الحديث ، وتجعلنا نعتز به مفكرا وعالما وأديبا وصاحب مذهب فى اللغة .

إن توفيق قربان جدير بأن ينال العضوية الشرفية لجميع مجامعنا اللغوية فى أنحاء العالم العربى ، وياحبذا لو كان مجمع اللغة العربية فى القاهرة يختاره عضوا مراسلا له ، ويتكفل بطبع معجمه اللغوى وبحوثه اللغوية الفريدة .

وقربان أديب (١) مهجرى ... وعالم لغوى — قد يكون من أعلم فقهاء اللغة العربية — عاش فى أوائل عهد نهضتنا الحديثة ، واكتحلت عيناه فى هجرته برؤية أعلام الدول العربية تخفق على السفارات والقنصليات فى البرازيل . . نبغ فى اللغة العربية ، وله فيها روائع البحوث درس التركية منذ المدرسة الابتدائية . ودرس ، فى سن الشيخوخة ، حروف اليونانية والعبرية للاستعانة بها على درس الأصول العربية . وكان قد تملك من الانكليزية والبرتغالية كلاماً وكتابة وخطابة . وتعلم الفرنسية والإسبانية للدراسة والبحث ، والألمانية للمصلحة التجارية كبائع متجول فى مناطق الجنوب الآهلة بالألمان،واستهواه دانتى فتعلم الإيطالية لدراسة شعره ، وقد ألقى مرة محاضرة طويلة فى موضوع الكوميديا الإلهية ، فذكر سبعة وأربعين مشهداً من القرآن وردت كلها فى الكوميديا الإلهية لدانتى . وقد أثبت فى دراسته،معتمداً على دراساته السابقة فى الموضوع — المبنية على مارآه فى تفسير محيي الدين العربى الأندلسي ا : « ا ل م » فى أول سورة البقرة — وبحوث

---

(١) مجلة المعرفة السورية ـ عدد نيسان ١٩٦٦

كبار المستشرقين ، وفى مقدمتهم الأب : « ميكيل آسين بالاثيوس الأسبانى و « بلوشى » الفرنسى ، أن الشاعر الإيطالى قد اقتبس الرواية من حديث المعراج النبوى ورسالة الغفران لأبى العلاء .

وآثاره فى حقلى الأدب واللغة منشورة فى كتب بالبرتغالية ، ومنها : السوريون واللبنانيون فى البرازيل ، ومقالات وترجمات ، ومجموعة خطب لنعمة يافث ، وله محاضرات كثيرة ألقيت فى قاعة بلدية سان باولو وفى المدن الداخلية ، ومنها : الأمة العربية من قبل التاريخ إلى ظهور الرسول .

وله بالعربية : مقالات متنوعة نشر أكثرها فى مجلة «الشرق» ، وأبحاث واكتشافات فى فقه اللغة ، منها الطريف العبقرى ، كبحث موضوعه فساد القول فى نون الوقاية . وبحث نبرة الصوت على المقطع العربى، نورد منه هذه الفقرة ، على سبيل الدلالة : « أما العربية فلنبرة الصوت فيها قاعدة ، لأن مقاطعها خلايا جسم حية لاتحتاج إلى علاقات ، وذلك لأن حياة المقطع إنما هى فى بنائه . وهذا ماجعل محرر « لاروس الكبير » يقول : « وبتلاعبهم - يقصد العرب - بالمقاطع تلاعباً عجيباً اخترعوا أوزاناً شعرية لامثيل لها » .

ومن أجل ما ألفه قربان أثراً كتاب « تعليم اللغة العربية لأبناء أميركا الجنوبية » . وقد أهدى حقوقه إلى النادى الحمصى ، ويتألف من حلقات عشر ، ظهر منها حتى الآن ثلاث — ويرى فيه مؤلفه أكمل كتاب لتعليم العربية بلغة أجنبية .

كما حداه ما شاهد من أخطاء فى معاجم العربية ، قديمها والحديث ، ويقول إنها بلغت ٢٠٠٠ فى « لسان العرب » ، ومثلها فى «الفيروزبادى» ، و ٦٠٠٠ فى محيط المحيط و ١٠٠٠٠ فى « أقرب الموارد » و « البستان » الذى حافظ على أخطاء سابقيه وأضاف عليها الكثير ، ومن أخطاء وانحرافات فى الشواهد ، التى لاتصح كشواهد . كل هذا حدا قربان إلى تأليف معجم

ضخم جامع أراد له أن يضم زهاء المئة ألف كلمة من ألفاظ اللغة العربية ، مع شواهد من الأدب العربي منذ الجاهلية إلى اليوم ، نثراً وشعراً . وقد تصور لمصنفه العظيم طبعة فنية أنيقـــة تزين صفحاتها وتتكرر ، على الهوامش ، أهم قواعد اللغة مرسومة أو مصورة .

على أن العمل على تصنيف هذا المعجم توقف .

ويرى قربان فى نشأة العربية من بحث نشره من زمن طويل تحت عنوان « حكاية كيف كانت البداية » ما سجله فى هذا البحث ، فيقول :

نشأ الشعب العربى فى بر الشام : من الساحل إلى سهول دمشق وحمص إلى الفرات ، وكانت لغته الشامية أى الآرامية القديمة (تمييزاً لها عن لغة مملكة آرام الدمشقية فى الألف الأول قبل الميلاد) لغة « قحطان » أى السامية « الحرشاء » ، وكانت هـذه اللغة خالية من الحروف الآتية : ثاء ، ذال ، ض ، ظ ، غ ، جيم شجرية ، همزة (أى علامة أو حرف مستقل للصوت المهموز فى أول الكلمة وفى وسطها وفى طرفها ؛ لحرف العلة الذى تهمزه كل اللغات فى بداية الكلمة ولكن من غير صورة مخصوصة بالهمز) .

فالذين تألفوا جماعات مستقرة على شاطىء المتوسط الشرقى أوجدوا المدنية « الفينيقة » (وهو لقب أطلق عليهم بعد قرون) ، واللغة الفينيقية — بنت الأم الشامية — والذين ارتحلوا شرقاً فوجدوا بقعة فى شنعار أوجدوا المدنية البابلية ؛ وعلى لسانهم نشأت اللغة البابلية ، بنت الشامية الأم أيضاً ، غير أن الحروف المذكورة آنفاً ظلت البـــابلية والفينيقية وفروعهما خالية منها .

أما الذين رحلوا إلى الجنوب فظلت القفار تدفعهم إلى الأمام حتى وصلوا إلى أرض التيمن (الجنوب — حذفت التاء بمرور الزمن فصارت

اليمن)،وفيها سهول وجبال عذبة تنتهى عند بحر عظيم تهب منه الرياح المنعشة التى أطلقوا عليها اسم « النعامى » (ريح الجنوب لأنها أبل الرياح)، (والمقيم فى أواسط شبه الجزيرة لايستطيع أن يقول إن ريح الجنوب أبل الرياح بعد هبوبها على مئات الأميال من الرمال المحرقة) .

والنعامى اسم مخرج من المركب الثنائى « ن م » ومعناه فى الأم الشامية « حياة ، نفس ، هواء » ، من هذا المركب الثنائى أخرجوا فى طور النشوء : نأم ونأمة ، نجم ، نحم ، نغم ، نادم ونديم ، نسم ، نعم وأنعام . والنعامة (النفس الروح) والنعم الخ .

وما تقدم واحد من الأدلة على عملية النشوء التى كان لها دوران : الأول دور ظهور لغة عامية بجانب الشامية التى كانوا يستعملونها فى الهياكل وفى المجالس العالية أى الآرامية القديمة ـ ورد فى الأدب القديم : « وكانت لغة قحطان الآرامية » ـ غير أن انحصار « الفصحى » بعد قرون فى فئة قليلة وانتشار العامية التى نشأت هناك حملا يعرب ـ قبل الألف الأول قبل المسيح ـ على الأمر بإلغاء الفصحى وباستعمال العامية فى المجاس التبعى وفى الهياكل وأهمها هيكل عشتار (قصر غمدان) وهو نفسه تكلم بالعامية وهو مستو على عرشه فجعلها لغة الدولة التبعية ـ وهذا يفسر قول القدماء « وكان يعرب أول من نطق بالعربية » ـ . (تحريف يعربية) (راجع أبيات حسان بن ثابت فى « الشيخ يعرب ») .

عندئذ ابتدأ دور النشوء الثانى أى اجتهاد الكتبة والكهنة فى إدخال الألفاظ العامية إلى « الحمام » وإبرازها مطراة مطيبة « صقيلات العراقيب » ، وفى هذا الدور الثانى شرع الكتبة والكهنة فى أخذ ألفاظ بسيطة من اللغة الأم ، ذات مقطع واحد أو مقطعين ، وإخراج أفعال جديدة احتاجوا إليها ، لكل فعل معنى خاص ، ولها جميعاً معنى شامل ينظمها كما رأيت فى ن م . كمثال على ما ذكرنا .

كانت قوافل « الجزيرة العربية » تتجر مع اليمن وكانت قوافل اليمن تذهب إلى جميع أنحاء شبه الجزيرة . ولكن هذا الاتصال لم يكن كافيا لنشر اللغة التى نشأت فى اليمن — على أن الحال تغيرت بعد انتقال خزاعة من اليمن إلى مكة وصيرورتهم سدنة الكعبة ـ وكانت الكعبة مجتمع أديان جميع القبائل ، والجملة التى ينطق بها عامى ليست مثل جملة تخرج من فم كاهن فى المحراب فى موقف صلاة أو إعلان فتوى : هذا هو الاشعاع الأدبى ـ ثم صارت الكعبة ملتقى الشعراء ، فما مرت أجيال قليلة إلا وانتشار اللغة المنظمة قد تم .

ومرت الأيام والوفود إلى الكعبة يتناشدون الأشعار ويتناقلون الأخبار فاستمرت عملية النشوء فى مكة بالحذف والتبديل والإضافة حتى بلغت الذروة الأولى من العلياء التى سمقت إليها ، فى النصف الثانى من القرن السادس للميلاد،فصارت أداة صالحة لتأدية أدق المعانى ورسم أبهى الصور الذهنية ، وآلة موسيقية صوتها أوقع فى النفس من « ترنم الدرارى »لأنها تسمع أدق منابض الفؤاد وأسمى منازع النفس . وأى شاهد أصدق من شعر زهير وطرفة ، وامرىء القيس ، وبلغ كمالها أنها كانت خير مؤد لأبلغ العظات ومنتهى البيان الرائع : آيات القرآن الكريم . .

وبعد ثلاثة قرون بلغت ذروة ثانية من العلياء ، ذروة أبى تمام والبحترى وأبى الطيب — والتطور لاحد له ولكنه قد يكون إلى الأسفل — ولولا أفراد أجلهم وأعلق عليهم الآمال لأشفقت على هذه اللغة من مانعى هذا الزمان ومن الذين أصابهم فى شعرهم ونثرهم داء « الهدلان » .

ويضع قربان العربية فى الطبقة الأولى ، وذلك لما وجده فيها من أن كل ضوابطها ترجع إلى مبادىء فلسفية أو أصول منطقية ، وأعنى بهذا العربية المخلصة من أباطيل الذين طمروها بجوازات لافلسفة فيهاولا أصول،

تساهلا مع شاعر أخطأ ، جهلا أو اضطراراً ، بدلا من أن يرفضوا بيت الشاعر ويحافظوا على نقاء اللغة .

ويرى أن الأدب المهجرى خرافة . فأى أديب من أدباء المهجر ولد ونشأ فى المهجر ؟ وكل ماهناك أدب سورى أوأدب لبنانى كتب فى المهجر ، وقد انقطع « وارد » الأدباء ، فضعف الأدب العربى فى المهجر ، وإذا أردنا أن ننعشه بمجىء ثلل وثبات جديدة ، فكأننا ندعو عليهم بالاخفاق والاملاق فى الوطن لكى يلجأوا إلى أمريكا . ويقول : إننى أدعو من أعماق قلبى أن يوفق الأدباء فى وطنهم فيظلوا فيه خادمين له نافعين ، ولو أدى ذلك إلى إذلال الأدب العربى فى المهاجر واضمحلاله .

الشعر المهجـــري

صور من الشعر المهجرى

— ١ —

قال إيليا أبو ماضى من قصيدته « الطلاسم » :

جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت
ولقد أبصرت أمامى طريقا فمشيت
وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟ لست أدرى
إننى جئت وأمضى وأنا لا أعلم
أنا لغز ، وذهابى كمجيئى طلسم
والذى أوجد هذا اللغز لغز أعظم
لا تجادل ، ذو الحجى من قال : إنى لست أدرى
أنا لا أذكر شيئا من حياتى الماضيه
أنا لا أعرف شيئا عن حياتى الآتيه
لى ذات غير أنى لست أدرى ماهيه
فمتى تعرف ذاتى كنه ذاتى ؟ لست أدرى

ويقول الشابى متأثرا بإيليا فى هذه القصيدة وذلك من قصيدة الشابى « فى ظل وادى الموت » :

نحن نمشى وحولنا هذه الأكوان تمشى ، لكن لأية غاية ؟
نحن نمشى مع العصافير للشمس ، وهذا الربيع ينفخ ناية
نحن نتلو رواية الكون للموت ولكن ماذا ختام الرواية

— ٢ —

وهذه الحيرة تبدو واضحة فى قصيدة فوزى المعلوف[١] «لغز الوجود»:

كيف جئنا الدنيا؟ ومن أين جئنا؟
وإلى أى عالم سوف نمضى
هل حيينا قبل الوجود؟ وهل نبعث
بعد الردى ؟ وفى أى أرض؟
هو كنه الحياة مازال سرا
كل حكم فيه يؤول لنقض
كيف أجلو غدى وأدرك أمسى
وأنا حرت كيف يومى سيمضى
قد حيينا قبل الولادة لكن
بحدود قضوا كما سوف نقضى
وسنحيا بعد الردى ببنينا
فى كيان نعطيه بعضا لبعض

— ٣ —

ويقول فوزى المعلوف من ديوانه «على بساط الريح»[٢]:

---

(١) لفوزى المعلوف: سقوط غرناطة، وأربعة دواوين: شعلة العذاب — تأوهات الريح — من قلب السماء — أغانى الأندلس، وله كذلك ملحمته: على بساط الريح.

(٢) قدم لهذه الملحمة شاعر الاسبان الاكبر فيجاسباسا. وقد ولد فوزى فى زحلة فى ٢١ أيار ١٨٩٩ وهاجر عام ١٩٢١ إلى البرازيل، وتوفى فى ٧ كانون الثانى ١٩٣٠ (٥٣٥ - ٥٣٨ ذكرى الهجرة).

في عباب الفضاء ، فوق غيومه
فوق نسره ونجمته
حيث بث الهوى بثغر نسيمه
كل عطره ورقته
موطن الشاعر المحلق منذ البدء
لكن بروحه لا بجسمه
أنزلته فيه عروس قوافيه
بعيداً عن الوجود وظلمه
ملك قبة السماء له قصر
وقلب الأثير مسرح حكمه
ضارب في الفضاء موكبه النور
وأتباعه عرائس حلمه

— ٤ —

ويقول الشاعر إلياس فرحات من قصيدته « حياة مشقات » :

أراقب في الظلماء ما الليل يحجب وأقرأ في الأسحار ما الله يكتب
وأستعرض الأيام يومي الذي مضى
دليل على يومي الذي أترقب
فلا تسألوا عني وحظي فاننا لأمثال ما في الشرق والغرب مضرب
طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة طويت بها الأصقاع أسعى وأدأب
أغرب خلف الرزق وهو مشرق وأقسم لو شرقت كان يغرب
لئن غردت للشاعرين بلابل فان غراب الشؤم حولي ينعب
وإن كان علما ثابتاً قول بعضهم لكل امرىء نجم ، فنجمي « المذنب »

ومركبة للنقل راحت يجرها حصانان : محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو إلى الهزء ، شدها غرابيل أدعى للوقار وأنسب !
جلست إلى حوذيها ووراءنا صناديق فيها مايسر ويعجب
حوت سلعا من كل نوع يبيعها فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده وأغواره أمواجه ، وهى مركب
تبين وتخفى فى الربى وحيالها فيحسبها الراؤون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر فتحسب أن الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى فتوشك من تلك الخلاعة تقلب !
نبيت بأكواخ خلت من أناسها وقام عليها البوم يبكى وينذب
مفككة جدرانها وسقوفها يطل علينا النجم منها ويغرب
عليها نقوش لم تخطط بريشة تظن صباغا لونها ، وهو طحلب !
يغنى لنا فيها الهواء كأنه ينومنا ، والبرد للنوم مذهب
نمسى وفى أجفاننا الشوق للكرى ونضحى وجمر السهد فيهن يلهب
ومأكلنا مما نصيد ، وطالما طوينا لأن الصيد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة وطورا تعاف الخيل مانحن نشرب
حياة مشقات ! . ولكن لبعدها عن الذل تصفو للأبى وتعذب . .
وقد تلتقى بعض الجميلات صدفة فيطربننا والمبدع الغيد مطرب
وكل مكان فيه للحسن مرتع وللطارف ملهى فيه للحب ملعب
وما تلتقى عينا فتاة حيية وعينا فتى إلا لكوبيد مأرب !
وهل أنا إلا شاعر لان قلبه فليس له من صولة الحسن مهرب ؟
نفتنى من المدن العواصم عزتى فرحت بأطراف الولايات أضرب
أعاشر من لو عاشر القرد بعضهم لما رد عن « داروين » قبر مقبب
وأنصت مضطراً إلى كل أبله كأنى بأسرار البلاهة معجب !
وأكره أشياء رفيقى يحبها وأرغب فى أشياء عنهن يرغب

وأرهب قطاع الطريق . . وربما تعمدت إظهار السلاح ليرهبوا . .

فعز الفتى الطاوى الفيافى « مسدس »
كما أن عز الليث ناب ومخلب

وما صين حق لا سلاح لربه وأضعف أنواع السلاح التأدب

ولولا نيوب الأسد كانت ذليلة تساط ، وتعنو للشكيم وتركب

وكم ظالم يستبعد الناس عنوة وحجته الكبرى الحسام المشطب

أقول لنفسى كلما عضها الأسى فآلمها : صبرا ففى الصبر مكسب

لئن كان صعبا حملك الهم والأذى فحملى من الناس لاشك أصعب

فلولا إباء مازج الطبع لم يكن لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب

ولولا رجائى أن تظل بعيدة عن الضيم لم يوطأ برجلى سبسب

فلا تعذلى صحبا دروا بى وما عنوا بأمرى فهم منى إلى الفقر أقرب

ولا تأملى من غير صحبى معونة فما تخصب الكفان والقلب مجدب

ولا ترتجى الإخلاص من كل باسم ففى الياسمين المغضب المتحبب

ولو كان كل المظهرين لى الوفا وفيين لم يعجزك يانفس مطلب

عتبت على ناس أضاعوا مودتى وكل كريم خانه الصحب يعتب

فقد زعموا أنى هجوت حبيبهم وأنى سأهجو غيره حين أخطب

ولست بهجاء ولكنه الهوى إذا قاد نفس المرء فالنور غيهب

أنا من يرى أن الرياء معرة وأن خبيث القول فى الصدق طيب

وما أنا إلا كالزمان وأهله أعاف وأستحلى وأرضى وأغضب

فأى هجاء فى مقالى لعقرب له ولع بالشر : إنك عقرب ؟ !

تعبت إذا استنظرت خيرا من الورى
ومستقطر السلوى من الصاب يتعب

— ٥ —

وهذه هي قصيدة «ياسلم» للدكتور أحمد زكي أبو شادي من ديوانه المخطوط «إيزيس» الذي أتم الشاعر أبو شادي عام ١٩٥٤ نظمه في أمريكا، أي قبل وفاته بعام واحد :

ياسلم ! خير أن نراك مزعزعا من أن نرى للحرب سوقا بيننا
ياجاعل النيران جنات لنا ومطهر الإنسان حتى آمنا
لاتلقنا يأساً . وصبراً ، ربما علمتنـــا وصقلتنا لخلقتنا
إن كنت ترجونا الفداء فكن لنا
بعض الفدى ، فنرى السعادة والغنى
يانفحة الأرباب حين تجاوبوا والفن ، فابتدعوا سناك ، فهيمنا
إن تبق حارسنا رفعت نفوسنا وإلى الحضيض نزل إما فتنا
ولئن تمادى الأشقياء بغبننا فكن الملاذ ولا تسوغ غبننا
إن نحن ضعنا ضعت أنت وإن تصن آمالنا صانتك كنزاً يقتنى
ويجيء يوم للحياة مقـــدس فتكون معبود الحياة المعلنا
لولاك كانت مثل أشباح الردى بجهنم ، لامثل أطياف المنى
فأجب دعاء البرية ، شاملا من قد أساء لنا ومن قد أحسنا

— ٦ —

ولشفيق معلوف صاحب كتاب «الأحلام» ، وصاحب ديوان «لكل زهرة عبير» :

أنا إن سقطت فخذ مكاني يارفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي ، لايخفك دمي يسيل من السلاح
وانظر إلى شفتي أطبقتا على هوج الرياح

وانظر إلى عينى أغمضتا على نور الصباح
أنا لم أمت ! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح

و (الأحلام) قصة خيالية اجتماعية شريفة ، وديوانه (لكل زهرة عبير) إسهام رفيع فى الشعر .. وشفيق معلوف شاعر متزن وأديب مفكر رصين مستوعب للفكر الفلسفى وقد قرأ الفلسفة الحديثة وعلم النفس ، فتغلغل كل هذا فى شعره الجميل ، الذى يسانده طبع أصيل اشتهر به وراثة وثقافة أدباء أسرة المعلوف .

ويجمع شفيق معلوف بين خيال أخيه فوزى الذى مات فى سن مبكرة وبين النضوج الفنى الشخصى الذى صهرته تجاريبه هو وسوته ثقافته الخاصة، وكانت طاقة فوزى الشعرية طاقة ممتازة وكانت موسيقاه حلوة جذابة للجماهير، أما شفيق معلوف فطاقته الشعرية ممتازة كذلك ، ولكن موسيقيته ليست من ذلك السهل السلسال الذى تولع به الجماهير ، كما يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، فوزى يمثل النبوغ فى باكورته ، وأما شفيق فقد جمع بين ذلك النبوغ المشترك وبين نضوجه هو ، وقد اتسم إلى جانب ذلك بطابعه الخاص فى التأمل والموسيقى والاستيعاب الفلسفى والنظرات النفسية العميقة. وفنه الشعرى يتجلى فى ذروته فى ملحمته الخالدة (عبقر) .

— ٧ —

ولشفيق معلوف قصيدتان فى « الشاعر » مختلفتا المعانى والموسيقى ، وبينهما زهاء ثلاثين عاما . ففى القصيدة الأولى يقول شفيق معلوف الشاب:

أمر نسيم العشية كفا على جبهة الشاعر الشاحبه
دعوه يزحزح عن قلبه منتهى مناه الذائبه
ولا تزعجوه لئلا توقف فى صدره روحه الواثبه
ليستخلص الشعر من نسمات تهيم فى اللجة الصاخبه
ويستنزل الوحى من شعلات النجوم وأنوارها الناكبه

وتستنزف الدمع من طبقات الأثير فأجفانه ناضبه
هو الشاعر ابن إله الخلود ، وإن تك آماله ذاهبه !

وفى القصيدة الثانية يقول شفيق معلوف الشيخ :

لو كان ما فى السماء يلتهم لما ارتوى منه قلبه النهم
يود والنيرات فائضة لو أن جفنيه تحتهن فم
ويشتهى والرجوم هاوية لو كان منها لروحه لقم
لا يأتلى يرمق السماء فهل ضاع له فى طباقها حلم
أم شام فوق النجوم آلهة فمضه أن يعيش تحتهمو
يطاول النجم فوق قبته وكل مافى الثرى له غنم
فالغاب والنهر والفراشة والزهر وعشب المروج والنسم
وكل مايكشف الصباح وما تلقى عليه رداءها الظلم
ما هو إلا الأوتار تنقرها الليالى والشاعر النغم
تالله كم شاعر أخو حرق يغص بالدمع وهو يبتسم
إذا رأى الشمس وهى غاربة أدرك كيف الآمال تختتم
شم على الزهرة الأسى ووعى ماقالت الكأس وهى تنحطم !

فى القصيدة الأولى تجد شعرا سهلا مأنوس الديباجة تحبه الجماهير بينما تجد فى القصيدة الثانية ديباجة جزلة هى أشبه ماتكون بديباجة المتنبى الرصينة القوية التى تستهوى الخاصة بأسلوبها ومعانيها معا .

وقد جمع شفيق معلوف (١) مابين تجارب الحياة الواسعة المنوعة وبين عواطف الشاعر الحارة وأخيلته الرائعة ، وصب كل هذا فى قالب من شعره التأملى الفريد .

---

(١) ولد عام ١٩٠٥ وهاجر إلى البرازيل وأقام فيها (راجع ٥٢١ - ٥٢٦ ذكرى الهجرة) .

— ٨ —

ويقول الشاعر القروى من قصيـــدته « أجعل الأرض حيث كنت جناناً » :

صغرت نفس حاضر النفس فى أشبار أرض يعدها أوطانا
أنت حر فاستوطن البلد الحر وصاحب من أهله إخوانا
مثلك الكون والزمان فلا تلح مكانا ولا تـــذم زمانا
ليس فى قضمك الحديد هوان إن فى بثك الشكاة هوانا
بسمة تظهر الفقير غنيا دمعة تمسح الشجاع جبانا
فتلق الحياة بالبشر فالعيش نعيم إن لم تكن شيطانا
كن إله النضار ، إنك عندى لست شيئا مالم تكن إنسانا
أشبع العقل حكمة واختباراً واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الأرض والسماء وهل يدعى فقيرا من يملك الأكوانا ؟

ويقول القروى من قصيدته « أين وجدت الله » :

هو الحب حتى ليس فى الأرض مجرم ولا مدمع يجرى عليها ولا دم
وحتى كأن القلب فى خفقانه يود به نطقا كما نطق الفم
فقل الذى لم يعرف الحب قلبه ولم يلف إلا شاكيا يتألم
أيا صاحبى إن العداء جهنم ومافيه من عز لتحلو جهنم
ويا صاحبى إن التجهم يقتضى من الجهد مالا يقتضيه التبسم
ألا كل دين ماخلا الحب بدعة ألا كل علم ماعداه توهم
ولا عجب أن ينكر الله كافر فماذا ترى من يجهل الحب يعلم ؟

ويقول كذلك من قصيدته « الغفران » :

قمت قبل الطيور أشدو حبورا لا أرى علة لفرط حبورى

مؤنسا وحشة الفضاء كأنى نبأ طيب سرى فى الأثير
وعلى وجنتى للورد ظل عائم فوق موجة من نور
أتهادي بين الغصون كغصن وأناغى العصفور كالعصفور
قلت : ربى ! أزال عهد شقائى أم أرانى فى عالم مسحور ؟
وإذا زهرة كوجنة طفل جنبها شوكة كناب هصور
فتذكرت ليلة الأمس حلما منذ أدركت سر هذا السرور
إن كف الرحمن تحت سكون الليل بالعفو غلغلت فى سريرى
فرمت نفحة من العطر فى قلبى وعادت بشوكة من ضميرى !

والشاعر القروى - كما يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى - هو العلم الشامخ للشعر القومى فى دنيا العروبة. وله منزلة رفيعة فى الشعر المهجرى ، وله الديباجة المتمكنة من اللغة والبيان أى تمكن، وشعره كلاسيكى فى أبهى حلله العصرية .

وقد ولد الشاعر فى ليلة عيد الفصح سنة ١٨٨٧ ، كما يقول فى مقدمة ديوانه ، ومسقط رأسه قرية « البرباره » على هضبة مشرفة على البحر الأبيض بين مدينتى جبيل والبترون من جبل لبنان ، وقد عرف أهلها بالقوة البدنية ، ورخامة الصوت لا يكاد يشذ منهم فى الميزة الأخيرة أحد ذكورا وإناثا ، وكان الشاعر من أسرة يجرى فى دمها حب الأدب والفن ، ونبغ فيها أكثر من شاعر ، وأديب وفنان . وكان والده شاعرا أديبا فورث هو وأخوه (١) عنه حب الشعر ، وتعلم فى قريته ، ثم فى مدرسة الفنون الأمريكية بصيدا ، فالكلية السورية الإنجيلية ببيروت، وعمل معلما فى مدرسة طرابلس الأمريكية ثم فى الكلية الشرقية فى زحلة ، فمدرسة الأمريكان فى سوق الغرب .

---

(١) هو قيصر سليم الخورى (الشاعر المدنى) ، ولد عام ١٨٩١ فى البربارة وهاجر هو وشقيقه الشاعر القروى عام ١٩١٣ إلى البرازيل (٥٣٩ - ٥٤٢ ذكرى الهجرة) .

ويمتاز الشاعر بولوعه بالأدب ، وافتنانه بالطبيعة وبروحه الإنسانية العالية وتضحيته بكل نفيس فى سبيل مبادئه الشريفة التى تدور حول إنصاف العروبة ، لتسهم الإسهام الواجب فى خدمة الإنسانية ، وقد شغف بالطبيعة ، وهام بها ، يقول الشاعر القروى من قصيدته « بين الحقول » :

هل تذكرين لقاءنا فى روضة ... سحرية والطير تهتف باسمك
والشمس تلقى فى المروج ظلالنا ... عمداً لتحتفظ المروج برسمك
والنحل يطعمنى برشف لماك ... والأغصان تغرى ساعدى بضمك
لما شغلتك بالزهور هنيهة ... وشغلت عن شم الزهور بشمك
ثم ارتمينا بين أحضان الربى ... تملين فى الغصن الندى لجسمك
وغدوت كالعقد النثير على الثرى ... أعجزت ألبق شاعر عن نظمك!

— ٩ —

ويقول جورج صيدح فى قصيدته « الغربة الثانية » :

كللى بالزهر هامات الصبايا ... وانشرى الرايات يادار صبايا
راقبى فى الأفق ركبا طائرا ... حاملا للوطن الغالى هدايا
المنارات اشرأبت نحوه ... والطيور انطلقت تهدى التحايا
حج لبنان ، وكم من نازح ... روحه حجت إذا الجسم تعايى
إنما الغياب أفلاذ الحمى ... سلخت عنه وعادت للحنايا
رجعوا كالجند من معركة ... باد فيها جيشهم إلا بقايا
تركوا الجرحى الأسارى خلفهم ... والضحايا ـ رحم الله الضحايا !
ماسمات النصر فى جبهتهم ... غير آثار حراب وشظايا
احص مانالوه من غاراتهم ... هل يوازى ما أضاعوا من مزايا
رب كهل عاد منهوك القوى ... كان قبل البين طلاع الثنايا
لم يجد من عهده فى قومه ... باقيا غير المخازى والشكايا
أكل الدهر على أترابه ... فاذا عف فعن بعض النفايا

اللذاذات التى يشتاقها أصبحت فى أرذل العمر رزايا
والغوانى إن ترفقن به قلن ياشيخ اجتنب برد العشايا
ولقد ينكره الأهل إذا لم تعرفه بأهليه العطايا . . .
يالها من غربة « ثانية » فى صميم الدار ، مابين الولايا !
نحن فيها سلع معروضة بين جدران النوادى والسرايا
غربة « ثانيــــة » ننشدها إن تكن بلوى ، فماأحلى البلايا

ويقول جورج صيدح حين استضافته لبنان :

حسدونى وضيف لبنان يحسد أنا منه فى واحة بعد فدفد
أتملى ، وما ارتويت بماء وأسارى ، وما اهتديت بفرقد
ياسماء تغفو الكواكب فيها بينما عاشق الكواكب يسهد
إن برجا أطلت فيه اعتكافى كان أسنى لو أننى كنت أبعد
كان ذنبي ـ وليس ذنب بلادى ـ أن تخيلت غير ما الآن أشهد
غيرها تجرح القيود يديه وهى تعتد بالقيود وتشتد
غيرها يصلح الفساد وفيها لايعيش الصلاح إن لم يفند
غيرها اعتز بالنظام وفيها تاه واعتز من عليــــه تمرد
غيرها حطم العروش وفيها ألف عرش لألف ملك مسود
برلمان فى كل حى ، وشعب مستقل فى كل ناد ومعهد
وحدود مابين فرد وفرد كظلال من القطيعة تمتد
تتحدى مشيئة الله فينا وتنافى حكم اللسان الموحد
إن أرضا غصت بكل دخيل لاتبالى إذا الأصيل تشرد
إن أكن ضيفها فمن صاحب الدار ؟ وفى ذكر أينا تتمجد
أطلقونى ياأهل لبنان ، إنى بالأيادى التى اصطنعتم مقيد
أرجعونى إلى غياهب أمسى رب ليل صفا وفجر تلبد
لست أدرى مناركم غاب عنى أم تداعى ، أم أننى صرت أرمد

سامح الله من حدانى إليكم فأرانى من ناركم ماتوقد
نار فحم ، فى سطحه ومضات من شعاع الآداب والقلب أسود

ويقول من قصيدته « الكوكتيل على الشاطىء » .

خطر الساقى فقلنا هاتها نحن نرضاها على علاتها
رب كأس زاد فى لذاتها أثر الأفواه فى حافاتها
هاتها !

طف ولا تمسح عن الكاس الخضاب طبعته شفة الخود الكعاب
إن مزرناه سكرنا بالرضاب قبل أن نسكر من مزاتها
هاتها !

هاتها ذوب لجين وذهب سلطوا الثلج عليه فالتهب ..
خضخضوه فتلوى وانسكب كسموط دردرت حباتها
هاتها !

جمعوا الأضداد من شتى الخمور وأداروا الحرب فى طاس تدور
فاذا فى النقع أرواح تفور فورة القهوة فى مغلاتها
هاتها !

هاتها تعكس أشباح الغروب فى خليط من عصارات تروب
كلما غص بها حلق الطروب طلب التكرار من غصاتها
هاتها !

مالنا يحلو لدينا مرها ؟ تلك دنيانا وهذا سرها
خيرة اللذات طعما شرها ؟ ويل من ينفر من ويلاتها
هاتها !

لاتقل ولى زمان الطيبات دونك البحر وهاك الغانيات
لم يزل فى الرأس « كوكتيل الحياة » طافح الكاس بتذكاراتها
هاتها !

هاتها وارفع بها عبء السنين عن كهول مرحوا كاليافعين
إنما الساعة عند العارفين ساعة الكوكتيل فى ميقاتها
هاتها !

ولصيدح فى الشاعر القروى حين دعى إلى تكريمه وكان على موعد سفر ، فكتب إليه هذه الأبيات :

أطل من ليل النوى رائعاً كالشمس غابت وهى لم تخمد
شعت قوافيه شعاع اللظى ورفرفت رف النسيم الندى
أرثى لقوم مسهم لفحها ولم يحسوا نفحها السرمدى

ولصيدح كتابه المشهور « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية » ، الذى لقى صدى كبيرا من القراء فى كل مكان .. وله ديوانه الأول « النوافل » وقد طبع فى بوينس إيرس عام ١٩٤٧ ، وقد وقف نسخه فى سبيل فلسطين وقضيتها ، كمافعل أبو شادى بعده بنسخ ديوانه « من السماء » .. أماديوانه الثانى « النبضات » فقد طبع فى باريس . . وله ديوان آخر قدمه للمطبعة وعنوانه « مختارات من شعر جورج صيدح » ، وأعجب بشعره كل النقاد المعاصرين ، وأعلام الأدب المهجرى إعجابا شديدا .

ويقول جورج صيدح ، وقد سئل عن مذهبه الشعرى :

مذهبي هو أن لا يكون لى مذهب معين ولا أسلوب مفروض . على أننى مولع بالشعر الواقعى الذى ينبع من صميم الحياة اليومية ويعرض تجاربها فى صدق ويسر ، موشى بتهاويل الفن ، فلا هو من الألغاز المعماة ، ولا هو من الكلام العادى المقفى الموزون ، إن الواقعية الشعرية ترسم الحقيقة الموضوعية صورا موشاة بأحاسيس الشاعر الباطنية وبألوان الواقع الخارجية . فيرتفع الواقع إلى مقام الفن دون أن يخرج من إطار الحقيقة . . هذا وقصيدته « ساعة التحريج » شاهد على مذهبه هذا .

ويرى أيضا جورج صيدح أن الأديب المعاصر حائر بين القديم والجديد، ولكن الأديب الشرقى قد بدأ يعترف بأن زميله الغربى راح يتحول مع الأدب الواقعى، أدب الجماهير، ويدور فى دوامته، ليخرج على الناس بأفكار جديدة تخاطب القلب، وتتغلغل فى أعماق النفس.. ومن هنا بدأ يتوارى، على مر الزمن أدب كان يعتمد فى الماضى على اللفظ المنمق، والجملة المترفة التى تغرق فى التصنع والافتعال!.

وأحب الأدباء الشرقيين إلى قلبه هو توفيق الحكيم.. هذا الأديب الذى استطاع أن يلبس فكرته ثوبا بسيطاً، ولكنه - على بساطته - يضج بكل مظاهر الفتنة والإغراء.. والفكرة بعد هذا كله، تمشى - على الطبيعة - بثوبها البسيط دون أن تتزين، وتتبرج، وتعرض ثوبها المصطنع على الناس!.

وقد قرأ صيدح محاولات كثيرة لكتاب القصة فى الشرق، ولكن هذه المحاولات لم تصل بعد إلى مرتبة العمل القصصى الناجح.. إنها محاولات كثيرة تتأرجح، وتتعثر، لتنتهى إلى لاشىء.. بعضها ينقصه الحكمة، وبعضها ينقصه الخيال، وبعضها ينقصه الموضوع.. ولعل محمود تيمور هو القصصى الوحيد، فى الشرق، الذى استطاع أن يستكمل جميع عناصر القصة القصيرة، التى راجت سوقها هذه الأيام!.

وقد ولد جورج صيدح فى دمشق عام ١٨٩٣، وتلقى علومه الابتدائية فى دمشق، وفى عام ١٩٠٨ انتقل إلى مدرسة عينطورة، وفى عام ١٩١١ سافر إلى القاهرة للتجارة. وفى سنة ١٩٢٥ ترك القاهرة إلى باريس، فمكث فيها حتى سنة ١٩٢٧، وتزوج هناك بباريسية، وفى أواخر عام ١٩٢٧ غادر باريس مع زوجته إلى فنزويلا، وفى عام ١٩٤٧ غادر فنزويلا إلى الأرجنتين حيث ألقى عصى الترحال، ليريح نفسه من عبء العمل التجارى، وليفرغ للأدب والشعر.

وفى فنزويلا أصدر مجلة شهرية باللغة الأسبانية كان ينقل فيها إلى قراء الأسبانية صورا عن أدبنا العربى فى ماضيه وحاضره ، وفى عام ١٩٥١ زار الشاعر صيدح سوريا ولبنان ، وكرمته الهيئات الأدبية فى الدولتين ، ففى دمشق كرمه النادى العربى ، ونوه به وبأدبه وشعره الأدباء : فؤاد الشايب، أمجد الطرابلسى ، نزار قبانى ، أبوسلمى ، أنور العطار ، وفى مناسبة تقديم الوسام المهدى من الجنرال بيرون رئيس جمهورية الأرجنتين إلى هاشم الأتاسى رئيس الجمهورية السورية ، قال صيدح هذه القصيدة :

هشت سماء الشرق للمغرب ولوحت بالشمس للموكب
بين الدرارى مركب طائر يشق باب الفجر فى الغيهب
ما أليق القادم بالمحتفى ما أعلق (الفضى) بالمذهب
جلالة تسعى إلى أختها من أفق رحب إلى أرحب
حتى إذا الغوطة ضمتهما صفقت الأركان فى يثرب
من مبلغ (بيرون) عن جلق تحية الأطياب للطيب
وانها قصر له أخضر عن (قصره الوردى) لايختبى ؟
عيدت الشام لوفد أتى من أبعد الأقطار عن يعرب
لكنه الأقرب من قلبها والقلب حنان إلى الأقرب
فتح بلا حرب سبيل الهدى ترسمه للفاتح الأجنبى
بشر به أيقظ ضمير الورى ياحامل الكوكب للكوكب
وسام « سانمرتين » أودعته صدر الرئيس الألمعى الأبى
حل يبارى سابقيه سنا كالبدر بين الأنجم الثقب
لم يعطه أترابه فسحة فزاحم الأمجاد بالمنكب
قل للأدب الزاهد فى حمله حملت أوطانك عز الأب
حسب الرعايا أنه (هاشم) وحوله صحب كصحب النبى !
يفيض من (فيضى) سنا همة قعساء لم تتعب ولم يتعب

ويطلب (الجابى) على قومه   فتذعن الأقدار للمطلب
ما أهنأ الشام بمن أنجبت   وأهنأ الأبناء بالمنجب
لولا رجال شرفوا قومهم   بسيرة أسمى من المنصب
ومثلوا للنازحين الحمى   فى شكله المستحدث المعجب
ما بادر النائى إلى واجب   فدله (الجابى) على الأوجب
ولم يجذف نحوكم بينما   يدفعه التيار للمغرب
سفيركم غذى معين الوفا   فى المهجر القاصى فلم ينضب
مثولنا اليوم دليل على   أنا له أطوع من مركب
جئنا كما شاء وشاء الهوى   حمائم تزجى إلى أعقب
مولاى ، هل للشعر من سامع   لايحسب الشاعر ذا مأرب
أنا لسان ناب عن ألسن   ضاع صداها وهى لم تعتب
صادقة إن شكرت أوشكت   أنطقها الحب فلم تكذب
عدنا إلى فردوس أحلامنا   بذكريات الدار والملعب
نرى بأم العين أوضاعه   وننقل الأخبار للغيب
هذا عقيق الروض ، ذى فضة الأنهار ، هذا ذهب السبسب
هنا المراعى كم سرحنا بها   أضحت بلا راع ولا ربرب
الدرب قد الغاب فى المنحنى   والقصر هد الكوخ فى المضرب
والخصب فى الوادى على غير ما   تعهده فى الزمن المجدب
معاقل الأجناد منبثة   تقوم المعوج بالأحدب
وللصناعات رجالاتها   إن غولبت فى الفن لم تغلب
أما السياسات فألوانها   لما تزل تركية المشرب
كل له من نفسه دولة   توطيدها أول مايجتبى
فى سلمه حرب على أهله   فى حربه بكر على تغلب
ياليته استأصل من نفسه   أثرتها يوم جلا الأجنبى

إذا لما بحث فلسطيننا تستغضب العرب فلم تغضب
أنت لها ياقطب أقطابها حى على إصلاحها هذب
الشعب من حولك ذو أهبة والجيش قوام على المرقب
يكفيك أن تطلقها صرخة ما أسرع النجدة فى يعرب

وفى حفلة النادى العربى بدمشق أنشد صيدح قصيدته «أم النسور» :

أم النسور ، تفرسى وتأملى أعرفت وجه القادم المتهلل ؟
هذا فتاك . إلى متى نكرانه أوليس فى لبد سمات الأجدل ؟
ما عابه الجسم المهيض تبدلت قسماته ، والقلب لم يتبدل
هو من بزاة العرب ، جشمه السرى
وأحاله صرف الزمان الحول
شرع القوادم للجهاد أسنة عشراً ، فإن يجهل عليه يجهل
ولوى الجناح على الخوافى ، عله يخفى ضآلة ريشه المتهدل
لله ياعهد الصبا ، أين الصدى يحكى متى أعيت لهاة البلبل ؟
غيرى ذكرت وقوفه وبكاءه يا ليتنى بين الدخول وحومل
أغشى الحدائق أستميل غصونها فتميل عنى كالرعيل المجفل
وأخالس الأزهار بعض طيوبها فتصدنى وثباتها فى الشمأل
ذهلت عن الصب الذى وضع الهوى
من ثديها ، والصب لما يذهل .
أفدى معذبتى التى عذبتها أفدى تدللها على المتدلل !
هبنى جرحتك ، ها أنامستغفر حاشاك ياوطنى ترد السهم لى !
وأنا الذى قربت روحى للحمى وسجدت فى محرابه والهيكل
بدم الشباب خضبت ورد رياضه ورجعت أغسلها بدمعى المسبل
ما زلت أستجديه حتى رق لى بردى ومد ذراعه فى الجدول ...
غنى وثنى شاديا ومرحبا أيكون من خطباء هذا المحفل ؟

لولاك يانادى العروبة لم أقم ... من عثرة الآمال جد مؤمل
حييت فيك أحبتى فأجازنى ... نثر المقفع بعد شعر الأخطل
فكأننى أبصرت وجه أمية ... وسمعت معبد منشداً والموصلى
لامست فى الأدب المخدر يقظة ... فتحت نواظره على المستقبل
بشرى لعشاق البيان أزفها ... نفض الغبار عن التراث المهمل
وتحفزت لغة الكتاب لوثبة ... هدفت إلى النهج الجديد الأفضل.
قد يصلح (العطار) من شعرائكم ... ماأفسدته سياسة المستعمل . . .
ويقوم من علمائكم من يلتقى ... وهو الأخير زمانه بالأول .
إنى دخلت على عكاظ تطفلا ... لولا قيام العذر لم أتطفل
طبع التغرب فى اللسان غرابة ... فإذا رطنت فعادة فى المقول
بقيت وقد زال الفراق فوارق ... بينى وبين الناطقين المثل
فإذا أردت الشعر يجمع بيننا ... أرسلته عيا ولم أسترسل

ويقول أبو ماضى فى صيدح من قصيدة نظمها عندما زار صيدح نيويورك ودعى لتكريمه :

ياشاعرا غنى فرد لى الصبا ... فإذا مواكبه تسير أمامى
إنا التقينا فى الشباب وفى الهوى ... فى حومتين : الشعر والإلهام
وسنلتقى وإن افترقنا فى غد ... فى حب لبنان وحب الشام
أهلا بذى الأدب الصراح المصطفى
بالفاتح الروحى ، بالمقدام
بالشاعر الغريد فى ألحانه ... عبق الربيع ونضرة الأكمام
هو إن ذكرت الشعر من أمرائه
وإذا ذكرت المجد فهو عصامى(١)

(١) الخمائل ص ١١٩ وما بعدها .

ومنذ عام ١٩٥٤ استقر صيدح فى بيروت ، ثم سافر إلى فرنسا مستشفياً، وأقام فيها للعلاج والاستجمام حتى اليوم .

ولصيدح فى نكبة فلسطين :

وطنى ، طيفك ضيفى فى الكرى
كلما أطبقت جفنى وفد
يتجنى ، فإذا ملت إلى ضمه أعرض عنى وابتعد
أترى طيف بلادى مثلها كلما رق له القلب استبد
عبثا ياطيف تبلو جلدى ليس لى بعد فلسطين جلد
وطنى ، ماذا على النازح إن ذكر القدس فصلى وسجد
لطم الأعداء خديك ولم يسمعوا منك سوى شكوى الوتد
لاتخفهم ، ساعة الباطل لا تقهر الحق ، فللحق الأبد
رب أرض دنسوها ظمئت لدم يصلح فيها مافسد
سما بالمسجدين ارتفعا حيثما أسرى النبى المعتمد
بوليد الطهر فى مذوده بدم المصلوب ، بالله الأحد
ردهم لاثبتت أقدامهم قبل أن يقضى قضاء لايرد

ولصيدح أيضا :

أتحسب البعد عن دنياك أسلانا ؟
ياأعرف الناس ، لم تعرف طوايانا
نحن الألى حملوا أحبابهم فكرا يكاد يغشى علينا حين تغشانا
فى كل كاس خطبناها نخاطبهم ولا نبدلهم بالغيد ندمانا
يقطر الليل نجوى من سرائرنا ويشرب الفجر معنى من تحايانا
إن طالعتنا وجوه الحسن فى بلد توسم القلب فيها وجه لبنانا
وكم شخصنا إلى الآفاق نسبرها لعل فيها عيون الصحب تلقانا

وكم عطفنا على الأطيار فى لهف ... نملى عليها حديث الشوق ألحانا

حتى أتانا نداء من أخى ذمم ... يفضى بشكواه ، لا يعنى بشكوانا

يلومنا كيف نمضى لانودعه ... وقد نودع أجلافا وعبدانا

تراه يضمن أن نقوى على سفر ... بعد العناق ، ولا تصطك رجلانا؟

يا « شاعر اليوم » دعنا فى هزيمتنا ... نلقى على عثرات الحظ نسيانا

فى مأمن من زنابير متى شبعت ... من كفنا طنطنت تبغى محيانا

فى نجوة عن مزارات وأندية ... كأنها بابل ، برجاً وسكانا

على منابرها الغربان ناعبة ... تطارد الطائر المحكى إن بانا

رطانة ، كفرت بالشرق واعتنقت ... مذاهب الغرب تفكيرا وتبيانا

كنا ، أتذكر كم كنا نصانعها ... ونسأل الواحد الغفار غفرانا

نخدش السمع بالأصوات ناشزة ... ونلهب الراح بالتصفيق بهتانا

والحفل فى هرج . والشعر فى مرج ... مستفهما ، لا يرى فى الحفل فهمانا

حال تزهدنا فى أن نعود إلى ... عهد القوافى ، فعنه الله أغنانا

إذا أصرت بنات من خواطرنا ... على السفور ، وأدناها بأحشانا

وإن سئلنا عن الفرقان يخلفنا ... ياشاعر اليوم كن فى القوم فرقانا

ورحب الشاعر رشاد دارغوث بصيدح عند وصوله إلى بيروت فقال:

يامرحبا بأخى الوفاء ... وبقربه بعد الجفاء

لبنان يابلد الولاء ... ويامحط الأولياء

تهنيك عودة شاعر ... بر بإخوان الشقاء

عادت لنادينا به ... نفحات أيام الصفاء

فالأهل فى عرس ولبنا ن المفدى فى هناء

فكتب صيدح هذه الأبيات :

من دل بلبلنا الشادى على وكرى إنى طرقت الربى فى غفوة الفجر
ترى تغامزت الأزهار فى غصن فارتاب صاحبنا فى غمزة الزهر
أم شم فى الريح أنفاسا تعرفها وكيف تخفى عليه نكهة الشعر ؟
لاشك أنا تراسلنا بلا كتب وأبرق الفكر أخبارا إلى الفكر
سرى بثرثرة الأنسام مفتضح شأن البنفسج فى أوراقه الخضر
إن ضل عن عطره الهفاف محتطب
فما يضل « رشاد » شاعر العطر
مرحى لشعرك ، ما أطريت أكذبه
لكن أعذبه فى صدقه أطرى
من كل قافية ، تجرى بعاطفة دفاقة ، جريان الماء فى النهر
حبل من الحسن والإحسان طوقنى
هيهات يحبو إلى أطرافه شكرى

— ١٠ —

ويقول إيليا أبو ماضى من قصيدته « الطين »(١) :

نسى الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى ، وحوى المال كيسه فتمرد
يا أخى . لاتمل بوجهك عنى ، ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت لاتصنع الحرير الذى تلبس واللؤلؤ الذى تتقلد

---

(١) ص ٢٣ الجداول .

أنت لا تأكل النضار إذا جعت ولا تشرب الجمان المنضد
أنت فى البردة الموشاة مثلى فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
لك فى عالم النهار أمانى ، ورؤى والظلام فوقك ممتد
ولقلبى كما لقلبك أحلا م حسان فإنه غير جلمد
أأمانى كلها من تراب وأمانيك كلها من عسجد ؟
وأمانى كلها للتلاشى وأمانيك للخلود المؤكد ! ؟
لا . فهذى وتلك تأتى وتمضى كذويها . وأى شىء يؤبد ؟
أيها المزدهى . إذا مسك السقم ألا تشتكى ؟ ألا تتنهد ؟
وإذا راعك الحبيب بهجر ودعتك الذكرى ألا تتوجد ؟
أنت مثلى يبش وجهك للنعمى وفى حالة المصيبة يكمد
أدموعى خل ودمعك شهد ؟ وبكائى ذل ونوحك سؤدد
وابتسامى السراب لا رى فيه ؟ وابتساماتك اللآلى الخرد ؟
فلك واحد يظل كلينا حار طرفى به وطرفك أرمد
قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطد
إن يكن مشرقاً لعينيك إنى لا أراه من كوة الكوخ أسود
النجوم التى تراها أراها حين تخفى وعندما تتوقد
لست أدنى على غناك إليها وأنا مع خاصتى لست أبعد
أنت مثلى من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبى التيه والصد
كنت طفلا إذ كنت طفلا وتغدو
حين أغدو شيخاً كبيراً أدرد
لست أدرى من أين جئت ولا ما
كنت ، أو ما أكون ياصاح فى غد
أفتدرى ؟ إذن فخبر وإلا فلماذا تظن أنك أوحد ؟
ألك القصر دونه الحرس الشا كى ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل أن يمد رواقاً فوقه ، والضباب أن يتلبد

وانظر النور كيف يدخل لايطلب
إذناً فما له ليس يطرد ؟
مرقد واحد نصيبك منه أفتدرى كم فيك للذر مرقد ؟
ذدتنى عنه والعواصف تعدو فى طلابى والجو أقتم أربد
بينما الكلب واجد فيه مأوى وطعاماً والهر كالكلب يرفد
فسمعت الحياة تضحك منى أترجى ، ومنك تأبى وتجحد
ألك الروضة الجميلة فيها الماء والطير والأزاهر والند ؟
فازجر الريح أن تهز وتلوى شجر الروض — انه يتأود
والجم الماء فى الغدير ومره لايصفق إلا وأنت بمشهد
إن طير الأراك ليس يبالى أنت أصغيت أم أنا ان غرد
والأزاهير ليس تسخر من فقرى ولا فيك للغنى تتورد
ألك النهر ؟ انه للنسيم الرطب درب وللعصافير مورد
وهو للشهب تستحم به فى الصيف ليلا كأنها تتبرد
تدعيه فهل بأمرك يجرى فى عروق الأشجار أو يتجعد
كان من قبل أن تجيء ، وتمضى وهو باق فى الأرض للجزر والمد
ألك الحقل ؟ هذه النحل تجنى الشهد من زهره ولا تتردد
وأرى للنمال ملكا كبيراً قد بنته بالكدح فيه وبالكد
أنت فى شرعها دخيل على الحقل ولص جنى عليها فأفسد
لو ملكت الحقول فى الأرض طرا
لم تكن من فراشة الحقل أسعد
أجميل ؟ ما أنت أبهى من الور دة ذات الشذى ولا أنت أجود
أم عزيز ؟ وللبعوضة من خديك قوت وفى يديك المهند
أم غنى ؟ هيهات تختال لو لا دودة القز بالحباء المبجد
أم قوى ؟ إذن مر النوم إذ يغشاك والليل عن جفونك يرتد
وامنع الشيب إن يلم بفوديك ومر تلبث النضارة فى الخد

أعلم ؟ فما الخيال الذى يولد ليلا ؟ فى أى دنيا يولد ؟
ما الحياة التى تبين وتخفى ؟ ما الزمان الذى يذم ويحمد ؟
أيها الطين لست أنقى وأسمى من تراب تدوس أو تتوسد
سدت أو لم تسد فما أنت إلا حيوان مسير مستعبد
إن قصراً سمكته سوف يندك وثوباً حبكته سوف ينقد
لا يكن للخصام قبلك مأوى إن قلبى للحب أصبح معبد
أنا أولى بالحب منك وأحرى من كساء يبلى ومال ينفد

وقد أثارت قصيدة الطين ضجة عالية ، وكان ظهورها مبعث إعجاب شديد فى كل مكان . . ومنذ سنوات ، وقبل وفاة أبى ماضى كشف الأديب العربى الأردنى العلامة روكس العزيزى كشفا جديدا حول قصيدة الطين ، وأيد أن معانيها كلها مأخوذة من قصيدة لشاعر بدوى أردنى شعبى ، قال روكس العزيزى (١) :

من نحو مائة وعشرين سنة كان يعيش فى البادية الأردنية شاعر بدوى اسمه (على الرميثى) عصر الألم قلبه وألح عليه الفقر على الرغم مما وهب له الله من جمال النفس وروعة المظهر والشهامة والنجدة ، وكان لهذا الشاعر ابن عم يدعى (سالما) ؛ وكأن القدر الإلهى قد اقتطع ما وهب لعلى من الشعور الفياض وجمال الجسم والنفس من رزقه ، فعاش على معدما إلا من فضائله .

أما ابن عمه سالم فكان من أغنياء العشيرة ومن وجهائها . وفى أحد الأيام غزا سالم الرميثى عقيداً لعصبة فى عدادها ابن عمه على ، وفى أثناء

---

(١) ص ٤٩ ـ وما بعدها من كتاب « فريسة أبى ماضى » للأستاذ روكس العزيزى ـ ط ١٩٥٦ م .

الغارة قتلت فرس سالم وجرح وفر عنه رفاقه الا ابن عمه على ، فانه أردفه على فرسه ، وهرب به إلى أن أوصله إلى منجاته . وعولج سالم إلى أن شفى من جراحه ، فكان يعد نفسه مديناً لابن عمه بحياته ، ولم يكن يرد لابن عمه طلباً ، إلى أن جرى اتفاقاً أن أحب الرجلان كلاهما فتاة معروفة فى الحى بجمالها ، فتنازعا بسببها ، ولما خيرت الفتاة اختارت علياً ـ على خصاصته ـ فحقد سالم على الفتاة وعلى ابن عمه على وتنكر له .

ولما توفيت الفتاة أملق على إملاقاً شنيعاً ، فرأى أن أفضل وسيلة هى اللجوء إلى ابن عمه سالم ، ولا سيما أن سبب الخصام بينهما قد زال ، لأن الفتاة واجهت ربها ، وفى ليلة كثر ثلجها لم ينتبه سالم إلا وابن عمه (على) فى الشق ـ القسم المخصص بالضيوف من بيت الشعر ـ فلم يلتفت إليه على خلاف ماتوجبه تقاليد البادية ، ولم يقدم له طعاماً ، فأثر ذلك فى نفس على أعمق تأثير ، وعاتب ابن عمه عتاباً تطرق منه إلى الهجاء المر ، وذكره بخاتمته ، فكانت قصيدته من أروع مارأينا فى شعر البادية ، على طول مدارستنا له ، وقد التزم الشاعر البدوى فى قصيدته هذه قافيتين : واحدة فى الصدر ، وواحدة فى العجز . . . وكم كانت دهشتنا يوم رأينا هذه القصيدة على إيجازها تحوى أكثر معانى قصيدة الطين للشاعر المهاجر إيليا أبى ماضى ، لذا آثرنا أن نروى قصيدة الرميثى ونفسر أبياتها ، ونذكر بعد كل بيت مايناسبه من قصيدة الطين ، ضاربين صفحاً عن اختلاف الروايات التى ذكرها الرواة ، لأنها لاتتعدى الاختلاف فى كلمات معينة ، أما المعنى والجوهر فواحد :

١ — قال الرميثى :

يا أخوى ما احنا لحمة مابها سنى   ولاأنت شمساً تلهب الدو بضياه

الشرح : يا أخى ما نحن لحمة لاجمال فيها ولا أنت شمس تلهب الصحراء بضيائها .

ويقول أبو ماضى :

يا أخى لا تمل بوجهك عنى　　ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

٢ — وقال الرميثى :

لصار ما تأكل ذهب يوم تبلى　　يا أخوى وش نفع الذهب يوم تقناه

الشرح : أى ما دمت لا تأكل ذهباً يوم تموت فما فائدة الذهب الذى تقتنيه إذاً ؟

ويقول أبو ماضى :

أنت لا تأكل النضار إذا جعت　　ولا تشرب الجمان المنضد

٣ — وقال الرميثى :

ملبوسك امن البز تبلاه بلوى　　مثل الأكفان لميت طال مشحاه

الشرح : ملبوسك من ناعم القماش وثمينه يبلى كأنه أكفان ، وتصيبه النكبات كأنه أكفان لميت انقضى على موته زمن طويل .

ويقول أبو ماضى :

أنت فى البردة الموشاة مثلى　　فى كسائى الرديم تشقى وتسعد

٤ — وقال الرميثى :

المنوه اللى بضميرك تلوى　　لى مثلها ياشين بالقلب نهواه

الشرح : أمنيتك وحبك الحائر فى ضميرك لى مثله أيها الردىء النذل أهواها بكل مافى قلبى من إحساس فأى فرق بيننا ؟

٥ — وقال الرميثى أيضاً :

نحلم حلوما حلوة يوم نرضى　　وتمر يوم السعد مابان ماطاه

الشرح : إن لنا أحلاماً لذيذة متفائلة عندما نرضى عن الحياة ، لكن هذه الأحلام تتحول مرارة وعلقماً إذا فارقنا الحظ وتلمسناه فلم نجد آثار أقدامه .

أما إيليا أبو ماضى فقد عبر عن هذين البيتين بأربعة أبيات هى :

لك فى عالم النهار أمانى ورؤى والظلام فوقك ممتد
وبقلبى كما بقلبك أحلام حسان فانه غير جلمد
أأمانى كلها للتلاشى ؟ وأمانيك للخلود المؤكد ؟
لا فهذى وتلك تأتى وتمضى كذويها وأى شىء يؤبد ؟

٦ — ويقول الرميثى معرضاً بجبن ابن عمه ونقص رجولته :

يوم الرماح تناوشك ليه تلوى والترف يوم يفارقك ليه تشهاه

الشرح : إذا كنت رجلا تام الرجولة أيها المتغطرس إياك وأن تظهر الضعف متلويا فى الحرب يوم تصيبك أطراف الرماح ، إذا كنت رجلا فيه شىء من الإباء لماذا تظهر الشهوة العارمة التى تعمى بصيرتك يوم تفارقك حبيبتك اللطيفة ؟

ونرى أبا ماضى يعقد بيتاً فى المعنى الذى عبر عنه الشاعر البدوى بنصف بيت قال :

وإذا راعك الحبيب بهجر ودعتك الذكرى ألا تتوجد ؟

٧ — ونرى الرميثى يقول :

ودموعنا وأياالضحك فيه سلوى متماثلة (١) ياشين لصار تبلاه

الشرح:إن دموعنا تشبه دموعك،وضحكنا يشبه ضحكك،لأن فيهماسلوى وتعزية كما يسليك ضحكك ، أيها الردىء النذل،أجل إنها تماثله يوم تختبرها .

وأبو ماضى يقول :

أدموعى خل ودمعك شهد وبكائى ذل ونوحك سؤدد
وابتسامى السراب لارى فيه وابتساماتك اللآلى الخرد ؟

---

(١) مثيله .

ونلاحظ أن الشاعر المهاجر قد عقد بيتين كاملين لما عبر عنه الشاعر البدوى فى بيت واحد .

٨ — وقال الرميثى :

كايتنـا للترب نمشى ونحيا لاتوهمك يا الضبع نفسك بمشهاه

الشرح : كلنا عائدون إلى التراب فإياك وأن تخدعك نفسك كما تخدع الضبع عن نفسها يوم يدخل عليها الصائد فى وجارها ويوهمها أنه لايريد بها سوءاً إلى أن يجرها من كراعها وهى ساكنة لاتبدى حراكاً . . أما أبو ماضى فيقول :

أنت مثلى من الثرى وإليه فلماذا ياصاحبى التيه والصد ؟

٩ — وترى الشاعر الرميثى يقول بيتاً فى منتهى الروعة :

هذا القمر والشمس والنجم تعلى ومخومسك مثل الخرابيش تنصاه

الشرح : هاهو ذا القمر ، وهاهى ذه الشمس وهاهى ذه النجوم ترتفع متعالية فى قبة السماء تزور بيوت الشعر الحقيرة - الخرابيش - كما تزور بيتك الفخم ذا الأعمدة الخمسة .

أما أبو ماضى فيعبر عن ذلك بثلاثة أبيات ، وهى :

النجوم التى تراها أراها حين تخفى وعندما تتوقد
قمر واحـد يطـل علينـا وعلى الـكوخ والبناء الموطد
ألك القصر دونه الحرس الشا كى ومن حوله الجدار المشيد

١٠ — ويقول الرميثى :

حيانك اللى سيوفهم نور يلظى مايمنعون الموت إن جاك معداه

الشرح : إن جماهير أعوانك وأقاربك الذين سيوفهم تومض كأنها النور لايستطيعون أن يصدوا الموت عنك إذا جاء الوقت الذى يعدو عليك فيه كالذئب .

ويعبر أبو ماضى عن هذا البيت بثلاثة أبيات هى :

ألك القصر دونه الحرس الشا   كى ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل أن يمد رواقاً   فوقه والضباب أن يتلبد
مرقد واحد نصيبك منه   أفتدرى كم فيه للذر مرقد ؟

١١ — ويقول الرميثى :

الله يخونك كنت للناس منصى   حتى العشا فى مخومسك مالقيناه
والثلج يذرى والسواعير تضوى   هبيت ننصى العبد والله ننساه

الشرح : قاتلك الله لقد كنت فى مامضى ملجأ للناس فصغرت نفسك وتحولت نذلا ينسى كل تقاليد العرب النبيلة .

إلى حد أنك بخلت علينا بالعشاء فى بيتك ذى الأعمدة الخمسة الذى يدل على الزعامة والكرم !

أجل لم نجد عندك عشاء فى أتعس الأوقات يوم كانت الثلوج تتساقط والصواعق تشق الظلام ، فقاتلك الله وقبح الله تفكيرنا ما أسخفه ، إذ نلجأ إلى عبد حقير مثلك ، وقد نسينا أن نلجأ إلى الله مصدر كل خير الذى فى يده ناصيتك وفى يده رزقك .

وهذان البيتان نجد شاعرنا المهاجرى يعبر عنهما بثلاثة أبيات، يقول أبو ماضى:

ذدتنى عنه والعواصف تعدو   فى طلابى والجو أقتم أربد
بينما الكلب واجد فيه مأوى   وطعاماً والهر كالكلب يرقد
فسمعت الحياة تضحك منى   أترجى ومنك تأبى وتجحد

١٢ — ويختم الرميثى قصيدته بقوله :

وهو البيت الرابع عشر من القصيدة ، أما الثالث عشر فلا علاقة له بقصيدة الطين :

أنت وما ثمرت تسقط وتبلى   وتراب قبرك سافى الريح يسفاه

الشرح : أنت وكل ما كنزت فى حياتك سوف يبلى وأنت سوف تسقط وقبرك تذروه الرياح تنثر ترابه فى الفضاء ، فانظر إلى هذه الخاتمة المروعة التى انتهى إليها الشاعر البدوى السليم فى فطرته .

أما أبو ماضى فيقول فى المعنى نفسه :

إن قصراً سمكته سوف يندك   وثوبا حبكته سوف ينقد

وليس بخاف أن الشطر الأول من بيت أبى ماضى مأخوذ من قول حكيم المعرة ، وأعماها القائل :

كل بيت للهدم ماتبتنى الور   قاء والسيد الرفيع العماد

ويقول العلامة روكس بعد ذلك: فنحن لا ندرى كيف يمكن أن يقع هذا التوارد فى الخواطر ، أو وقوع الحوافر - بين الشاعرين ، إن لم يكن شاعرنا المهاجر قد اطلع على هذه القصيدة من أبناء لبنان الذين كانوا يتاجرون بين البدو ، ويرددون أشعارهم ، ويتشبهون بهم فى ملابسهم وإطلاق شعر رؤوسهم، وقد تملك بعضهم قرى عند البدو فى الديار الأردنية ، وكان البدو يدعون هؤلاء اللبنانيين (الحزارمة) لأن أول من جاء إلى الديار الأردنية كانوا جماعة من أهل قرية (حزرم) فدعى كل من جاء من سورية ولبنان فيما بعد (حزرمى) كما دعا أهل مصر كل من طرأ على ديارهم شامياً للسبب نفسه ، وإن لم يكن الأمر كذلك ، فلسنا ندرى كيف نعلل أثر البادية هذا فى شعرنا المعاصر ، ولا سيما أن الشاعر (على الرميثى) مات من نحو نصف قرن ، وعمر كما قال لنا الرواة الذين شاهدوه أكثر من ثمانين عاماً . لكننا أدخلنا تعديلات على السنين وخفضنا عمره إلى نحو سبعين سنة .

وقد علق على هذه السرقة الناقد مارون عبود بقوله :

قصيدة الطين هى من روائع الشاعر المهجرى إيليا أبوماضى ، ولعلها من الزوايا الضخام التى رست عليها أساس شهرته الذائعة ، لكن (روكس

ابن زائد العزيزى) فى حديثه عن أثر البادية فى شعرنا المعاصر قد عارض هذه القصيدة الشهيرة بقصيدة قالها الشاعر البدوى . فإذا بمعانيها مأخوذة من ذلك الشاعر الأمى . الذى قال قصيدته منذ سبعين عاما وأكثر . وتكاد تكون قصيدة أبى ماضى طبق الأصل ، ولافرق بينها وبين قصيدة (الرميثى) ، إلاأن الرميثى يخاطب شخصا بعينه ، بينما شاعرنا أبوماضى يخاطب البشر أجمع فى شخص إنسان ما ، إذ يقول :

نسى الطين ساعة انه طين   حقير فصال تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى   وحوى المال كيسه فتمرد
ياأخى لاتمل بوجهك عنى   ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

ويقول عبد المسيح حداد فى جريدته « السائح » عدد ٧ آذار ١٩٥٥ م :

إن قصيدة الرميثى التى كشف الأستاذ العزيزى أن إيليا أباماضى أغار على معانيها وسرق منها الكثيرفصاغ منه قصيدة الطين ليست كما ظن السارق غير متداولة ، فلقد سمعناها مرارا عديدة فى إدارة هذه الجريدة منذ زهاء ثلاثة عقود من السنين ، وكان الذى رواها لنا ، وهو من أشد الناس تعلقاً وإعجاباً بها المرحوم (ظاهر) أبوماضى والد إيليا أبوماضى نفسه . وقد كان رحمه الله شاعراً قومياً ومن الذكاء بمكان ، وقد أسمعنا الكثير من قصائد بدوية لشعراء آخرين حفظتها ذاكرته ، وكنا نترقب أحيانا كثيرة وفوده علينا لنصغى إلى مايرويه مستأنسين به ومستغربين كيف أن ذلك الشيخ ولع كل ذلك الولوع بشعر البدو .

وكلام عبد المسيح حداد له أكثر من دلالة .

وقد عزز (العزيزى) روايته لقصيدة الرميثى بصور شمسية بشهادات من معاصرين موثوق بهم وهذه الوثائق تحت يدى وهى خمس :

١ — الشهادة رقم (١) للسيد سلامة الغيشان ، الوجيه المعروف ، وهو

شاعر شعبي مشهور ، وراوية للشعر البدوى ، وقد كان رئيساً لمجلس مأدبا البلدى حيناً ، وكان مختاراً لعشيرته مدة طويلة وهو اليوم يعيش حياة كريمة من أملاكه ، وهو يعرف القصة وأشعار الرميثى .

٢ — الشهادة رقم (٢) للسيد يوسف سليمان الصوالحه ، وهو راوية لأشعار البادية ، يروى قصة الرميثى وأشعاره . وفيها القصيدة التى هى أصل قصيدة الطين .

٣ — الشهادة رقم (٣) للسيد شحاده عواد المصاروه ، وهو شاعر شعبي وراوية لأشعار البادية اشتغل مدة طويلة كاتماً لأسرار مجلس مأدبا البلدى وأمينا لصندوقه ، وهو اليوم يزاول أعماله الحرة ، يروى قصائد الرميثى ويعرف سيرته .

٤ — الشهادة رقم (٤) للسيد محمد بن حمادين غرير العقيلى من رجال الملك عبد الله ، وهو شاعر شعبي له ديوان ، وراوية للشعر البدوى .

٥ — الشهادة رقم (٥) للسيد عيسى عودة الله الزعمط وهو مختار فى عمان ، يعيش من أملاكه .

وهذه الشهادات والوثائق موجودة لدىَّ ، وربما أمكن نشرها فى هذا الكتاب .

وهذه قصيدة الرميثى كاملة نقلا عن كتاب العلامة روكس العزيزى السابق ذكره(١) :

١ ـ ياأخوى ماأحنا لخمة مابهاسنى ولا أنت شمساً تلهب الدو بضياه

الشرح : ياأخى لسنا لخمة مافيها دخان ولا نار ولا أنت شمس تجعل الفضاء ملتهباً بضيائها وحرارتها .

---

(١) صـ ٤١ وما بعدها ـ فريسة أبي ماضى للعزيزى .

٢ ـ لصار ما تأكل ذهب يوم تبلى ياأخوى وش نفع الذهب يوم تقناه

الشرح : مادمت لا تأكل ذهباً يوم تموت وتبلى فى قبرك فقل لى ياأخى إذاً ما الفائدة من اقتنائك الذهب ؟

٣ ـ ملبوسك من البز تبلاه بلوى مثل الأكفان لميت طال مشحاه

الشرح : ملبوسك من ناعم القماش وثمينه سوف تصيبه النكبات فيبلى كأنه أكفان ميت انقضى على موته زمن طويل :

٤ ـ المنوة اللى بضميرك تلوى لى مثلها ياشين بالقلب نهواه

الشرح : أمنيتك التى تضطرب متلوية حائرة فى ضميرك . لى مثلها أيها الردىء فى قلبك فأى فرق بيننا ؟

٥ ـ نحلم حلوماً حلوة يوم نرضى وتمر يوم السعد مابان ماطاه

وفى رواية :

نحلم حلوما حلوة يوم تحلى وتجفل توالى الليل إن سعدنا تاه

الشرح : إن لنا أحلاماً حلوة متفائلة عندما نرضى ، وتتحول هذه الأحلام مرارة وعلقما إن فارقنا الحظ وتلمسناه فلم نجد آثار أقدامه .

٦ ـ يوم الرماح تناوشك ليه تلوى ؟
والخل يوم يفارقك ليـــه تنعاه

الشرح : إذا كنت رجلا تام الرجولة أيها المتغطرس لماذا تظهر الجزع والضعف فى الحرب متلوياً من أثر الجراح ؛ وهو يشير هنا إلى أن ابن عمه جرح فى المعركة وأن علياً خلصه ثم يعيره نقص رجولته قائلا : لقد أخذ يبدو عليك الجبن يوم فارقك حبيبك اللطيف ، وهو هنا يعرض به لأن الفتاة التى أحبها آثرت عليا عليه .

٧ ـ ودموعنا وأياالضحك فيه سلوى متماثلة ياشين لصار تبلاه

الشرح : دموعنا وضحكنا يشبه ضحكك ودموعك لأن فيها سلوى لنا كما يسليك ضحكك أيها الرىء ، أجل إنها متشابهة . يوم تختبرها .

٨ ـ هذا القمر والشمس والنجم تعلى
وبخومسك مثل الخرابيش تنصاه

الشرح : هاهو ذا القمر ، وهاهى ذه الشمس وهاهى ذه النجوم ترتفع كلها فى قبة السماء تزور بيتك ذا الأعمدة الخمسة ، كما تزور الخرابيش ـ أى بيوت الشعر الحقيرة ـ واحدها خربوش . وهذه الكلمة بدوية صميمة .

٩ ـ كليتنا للترب نسعى ونحيا لاتوهمك يا الضبع نفسك بمشهاه

الشرح : كلنا عائدون إلى التراب فإياك وأن تخدعك نفسك أيها الضبع عن حقيقة وجودك !

١٠ ـ حيانك اللى سيوفهم نورتلظى مايمنعون الموت إن جاك منحاه
مايمنعون الموت إن صاد مرماه

الشرح : جماهير أعوانك من أقاربك الذين سيوفهم ترمض كأنها النور لايستطيعون أن يصدوا عنك الموت أن توجه نحوك .

١١ ـ الله يخونك ما أنت للناس منصى حتى العشاء فى بخومسك مالقيناه

الشرح : قاتلك الله لقد كنت ملجأ للناس فصغرت نفسك وتحولت نذلا خسيساً إلى حد أنك بخلت علينا بالعشاء فى بيتك ذى الأعمدة الخمسة ـ البيت الذى يدل على الزعامة والكرم .

١٢ ـ الثلج يرمى والسواعير تسفى هبيت ننصى العبد والله ننساه !

الشرح : بخلت علينا بالعشاء بينما الثلج يهطل والصواعق تنقض ، كل هذه الخسة ظهرت منك فما أشد حقارتك ، لكن مالى ألومك وأنا أحق منك باللوم ! فقبح الله تفكيرنا ما أسخفه ، إذ لجأنا إلى عبد حقير ، ونسينا أن نلجأ إلى الله مصدر كل رزق !

١٣ - نسيت سيفى مخضب الحد يدمى　　بعداك لاحياك ربى بمحياه

الشرح : لقد نسيت سيفى غارقاً فى دماء أعدائك ، أسأل الله أن يمنع عنك كل كرامة فلا يحييك بتحية ، ولا يعلى لك قدراً :

١٤ - أنت وماثمرت يسقط وتبلى　　وتراب قبرك سافى الريح يسفاه

الشرح : أنت وكل ما كنزت فى حياتك سوف يبلى وأنت سوف تسقط ، وقبرك تمر به الرياح تنثر ترابه فى الفضاء .

ومن شعر الرميثى قصيدته الشعبية الأخرى التى يعاتب بها ابن عمه سالما ، وهى :

ياأخوى عندى لك وصاة مصيبة　　ترى وصاتى تلمس القلب وتصيب
قضبة وصاة أخوك ماهى معيبة　　ليصار أخوك مكمل المعقل ومنيب
قضبة وصاة أخوك ماهى معيبة
وتنفعك عن بعض الأمور الحراديب
هذى الليالى ماتعلم بغيبه　　وما يعلم إلا صاحب العلم والغيب
وإلا المقدر كايناً ما أحكى به　　ماينمحى هذا من الله مكاتيب
أول وصاتى بالفروض اليدية　　صوم وصلاة بوقتها بالمواجيب
وثانى وصاتى للأمور الصعيبة　　احزب لها من قبل هول وتصعيب
وجرح عي له ما يكلف طبيبه　　وما شى إلا ماضين له تجاريب
وثالث وصاتى تلعة ينعدى به　　تلقى عليها بينات المساريب
اللى لفاها ذيب من بطن ذيبه　　ولا واحد عدا بها غير هو ذيب
رابع وصاتى خفة الرجل عيبه
ومن راكض الفرقان يركض له العيب
لصار ماله لازم له يجيبه　　يروح لشغله كان(١) ماجاه ويجيب

(١) يلفظون الكاف جيما تركية .

خامس وصاتى كثرة الهرج خيبه   ترى كثير الهرج مسموج ويخيب

سادس وصاتى شرها ينحرى به   ترى دروب الفاسدة مابها طيب

درب الزنا والعايبه والقريبه   ترى هذولن من كبار العذاريب

سابع وصاتى كان(١) صابتك سيبه   وتقدر على كثر الثمن والمطاليب

بنت الحمولة والأصيلة الغريبه   شرايهن يصبح بكيف وترغيب

اللى شرى بنت الردى والهليبه   يصبح بهم يخيب الربح تخييب

ثامن وصاتى به معزة وهيبه   عليك بسفن البر حرش العقاريب

الزبد لايرميك هو والرويبه   ترغب لحوش الضان وتخلى النيب

راعى الغنم يشيب من قبل شيبه   والبل معزه بتبعد الهم والشيب

لن أشلهب الوقت لوهو حليبه   يوصلك لأيام الفضا والتعاجيب

تاسع وصاتى عن مناقر شريبه   ليصار ماهو من وساع المشاريب

أخاف أنه يبلاك أو تنبلى به   ينهج حديكم لديار الأجانيب

ميرخله يلقى بالموارد لعيبه   ويوم الموارد يكثرون اللواعيب

وعاشر وصاتى كان صابك مصيبه   وبلاك ربك وابتلوك المغاضيب

بالك تمضى من تسمى على به   امض وتبين عن لحاق المشاعيب

وازبن على حصن الرجال الصليبة   كنك بعيطا(٢) عن سموم اللواهيب

ترى هذا يسلم من بلاوى طلبيه   وش جاب حشوان الزلق للمصاليب

ومعى وصايا غير هذى عجيبة   إليافكر الفاهم تنوش المتاريب

الكل منهن يوم تفطن مصيبه   والكل منهن يلحقنك مشاعيب

دع بالك السيبه ترى العجز خيبة   وأردى الرجال اللى يذمونه السيب

عليك بالسقمة ولو هى تعيبه   ماطول بك حيلا تنط المراقيب

ترى كثير المال كلا حبيبه   ينقال له فت جاى لوما فعل طيب

---

(١) سيبه الرجل موت زوجه .

(٢) عيطا مرتفع قلعة .

وترى قليل المال شناً رمى به   لازم تلق عند العرب به عذاريب
ومتعوذ الشيطان حقه غدى به   ومن هاب دشاب الملاعيب ماهيب
ومن دور العيلات عزى لنصيبه   واحسب حسابه من حساب المذاهيب
وراعى القدى درب الردى مايصيبه
ومن ماعرض جنبه على الطعن مايصيب
وخويك اللى بالخلا تبتلى به   خيال وإلا فوق عوج المصاليب
أو زاد هذلوف ماله نجيبه   أو عورة يبلى بها عالم الغيب
الضيف ضيف الله أوصى به حبيبه   صر له عشيراً بالتهلى وترحيب
وقلط من الماجود ماهان جيبه   واحلف ورا الماجود دين المعازيب
قصيرك الزم كل مابه مصيبه   وصى به الله لاتحسف به الطيب
حقا عليك نزود القدر هيبه   لما بروح بزود حشمه وترحيب
شيوخ والحكام زملا منيبه   بهم قضى لازم عماراً وتخريب
أهل خفى غيهم مادرى به
يتحدرجرن[1] بغير صوج[2] وتذنيب
ماينومن من شان[3] منهم حليبه   يصير من عقب الصداقة تقل شيب
شعرانهم أهل العلوم العجيبه   وعشرانهم يروون ريش المغاليب
وخويهم مايشتهى نفض جيبه   حكاى بالوجهين يقص العراقيب
اليصار ماحدا الثلاثة تجيبه   وش لك بهم والدرب شرق وتغريب
راعى النقيلى لاتوارد قليبه   موارده ماتبهج القلب وتثيب
هذى يوديها وهذى يجيبه   وهذى يسويها بين صدق وتكذيب
حكاى بالوجهين قضاب غيبه   مايستحى من حكية الكذب والعيب
حكاى مابين الصحيب وصحيبه   مخبث ومربث مابين ناس أصاحيب
هذاك لاتنزل جوانب شعيبه   بالك يابو زعزوع تدعيه بالجيب

---

(١) يتهجمون .   (٢) خطأ ذنب .
(٣) شأن حليبه . كناية عن خبث الفطرة .

— ١١ —

ومن شعر إيليا أبي ماضي :

جعت والخبز وفير في وطابي ... والسنا حولي وروحي في ضباب
وشربت الماء عذباً سائغاً ... وكأني لم أذق غير سراب
حيرة ليس لها مثل سوى ... حيرة الزورق في طاغي العباب
ليس بي داء ولكني امرؤ ... لست في أرضي ولا بين صحابي
مرت الأيام تتلو بعضهم
للورى ضحكي .. ولي وحدي اكتئابي
كلما استولدت نفسي أملا ... مدت الدنيا له كف اغتصاب
أفلتت مني حلاوات الرؤى ... عندما أفلت من كفي شبابي !
بت لا الإلهام باب مشرع ... لي ولا الأحلام تمشي في ركابي
جف ضرع الشعر عندي وذوى ... ولكم عاش لري واحتلاب
أيها السائل عني من أنا ... أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي
لغة الفولاذ هاضت لغتي ... لا يعيش الشعر في دنيا اصطخاب
لست أشكو إن شكا غيري النوى
غربة الأجسام ليست باغتراب !
أنا كالسوسن لو لم ينتقل ... لم يتوج زهره راس كعاب
أنا في « نيويورك » بالجسم وبا
لروح في الشرق على تلك الهضاب
أنا في « الغوطة » زهر وندى ... أنا في « لبنان » نجوى وتصابي
أيها الآتون من ذاك الحمى ... يادعاة الخير يارمز الشباب !
كم هششنا وهششتم للمنى ... وبكيتم وبكينا في مصاب !
واشتركنا في جهاد أو عذاب ... والتقينا في حديث أو كتاب
وعرفتم وعرفنا مثلكم ... « إنما الحق لذي ظفر وناب »

«كل أرض نام عنها أهلهـــا
فهى أرض لاغتصاب وانتهاب» !
أننى ألمح فى أوجهكم دفقة النور على تلك الروابى
وأرى أشباح أعوام مضت فى كفاح ونضال ووثاب
وأرى أطيـــاف عصر زاهر
طالع كالشمس من خلف الحجاب
ليته يسرع كى أبصره قبل أن أغدو تراباً فى التراب !

ولأبى ماضى فى وطنه لبنان وقد زاره بعد غياب طال نحو نصف قرن ، من قصيدته «وطن النجوم» :

وطن النجوم أنا هنـا حدق ، أتذكر من أنا
أنا ذلك الولد الذى دنيـاه كانت ههنـا
أنا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنا
أنا من ترابك ذرة ماجت كواكب من منى
أنا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
لليـــل فيك مصليا للصبح فيك مؤذنا
للبحر ينشره بنـو ك حضارة وتمدنا

وله فى رثاء ندرة حداد :

لاتسل أين الهوى والـكوثر سكت الشادى وبح الوتر
فجأة وانقلب العرس إلى مأتم ، ماذا جرى ، ماالخبر
شاعر أعجب معنى صـاغه للبرايا مـــوته المبتـكر
أنه كان ملاكا بشرا فمضى عنا المـلاك البشر

ويقول إيليا أبى ماضى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية :

إن يـكن علم الورى يشقيهمو يا إلهى ! رد للناس الغباء !

وليجىء طوفان نوح قبلما تغرق الأرض بطوفان الدماء
زحزحت عن صدرها الغيم السماء وأطل النور من كهف الشتاء
فالروابى حلل من سندس والسواقى ثرثرات وغناء
رجع الصيف ابتساماً وشذى فمتى يرجع للدنيا الصفاء ؟
فأرى الفردوس فى كل حمى وأرى الناس جميعاً سعداء !
زالت الحرب وولت إنما ليس للذعر من الحرب انقضاء
إن صحونا فأحاديث الوغى فى الحمى الآهل والأرض العراء
وإذا نمنا تراءت فى الكرى صور الهول وأشباح الفناء
فهى فى الأوراق حبر هائج وعلى « الراديو » فحيح الكهرباء
نتقى فى يومنا شر غد وإذا الصبح انطوى خفنا المساء
عجباً ! والحرب باب المردى وطريق لدمار وعفاء
كيف يهواها بنو الناس فهل كرهوا فى هذه الدنيا البقاء ؟
إن يكن علم الورى يشقيهمو يا إلهى ! رد للناس الغباء !
وليجىء طوفان نوح قبلما تغرق الأرض بطوفان الدماء
واعصم الأسرار واحجب كنهها عن ذوى العلم وأرباب الذكاء
كم وجدنا آفة مهلكة كلما زحزحت عن سر غطاء
قد ترقى الخلق لكن لم تزل شرعة الغابة شرع الأقوياء
حرم القتل ولكن عندهم أهون الأشياء قتل الضعفاء
لاتقل لى هكذا الله قضى أنت لاتعرف أسرار القضاء
جاءنى بالماء أروى ظمأى صاحب لى من صحابى الأوفياء
ياصديقى ! جنب الماء فمى عطش الأرواح لايروى بماء
أنا لا أشتاق كاسات الطلا لا ولا أطلب مجداً أو ثراء
إنما شوقى إلى دنيا رضى وإلى عصر سلام وإخاء

ويقول أبو ماضى فى قصيدته « الشباب والحب »[1] :

بكيت الصبا من قبل أن يذهب الصبا فياليت شعرى ماتقول إذا ولى ؟
توهمته يبقى إذا أنت صنته عن الشفة الحمراء والمقلة الكحلا
وخلت الهوى جهلا فلم يكن الهدى أخير آسوى الأمر الذى خلته جهلا
خشيت عليه أن يطوحه الهوى فألقاك هذا الخوف فى الهوة السفلى
أتلجم ماء النهر عن جريانه مخافة أن يفنى ؟ إذن فاشرب الوحلا
سيبلى الصبا مهما حرصت على الصبا فدعه يذوق الحب من قبل أن يبلى
فما ديمة صبت على الصخر ماءها فما أنبتت زهراً ولا أطلعت بقلا
بأضيع من برد الشباب على امرىء إذا استطعمته النفس أطعمها العذلا
فلا تك مثل الأقحوانة راعها من الحقل إن تجنى فلم تسكن الحقلا
وأعجبها الوادى فلاذت بقاعه فجاء عليها السيل فى الليل واستتلى
فما عانقت نور الكواكب فى الدجى
ولا لثمت فجراً ولا رشفت طلا
وزالت فلم يستشعر النور والندى على فقدها غماً كأن لم تكن قبلا
ولاتك كالصداح إذ خال أنه إذا اذخر الألحان أكسبها نبلا
فضن بها والشمس تنثر تبرها وفضتها والأرض ضاحكة جذلى
فلما مضى نور الربيع عن الربى ودب إلى أزهارها الموت منسلا
تحفز كى يشدو فلم يلق حوله سوى الورق الهاوى كأحلامه القتلى

وهذه قصيدة « أيهذا الشاكى » لإيليا أبى ماضى أيضا :

أيهذا الشاكى وما بك داء كيف تغدو إذا غدوت عليلا ؟
إن شر الجناة فى الأرض نفس تتوخى ، قبل الرحيل ، الرحيلا
وترى الشوك فى الورود ، وتعمى أن ترى فوقها الندى اكليلا

---

(١) الخمائل ص ٨٦

هو عبء على الحيــاة ثقيل ... من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغــير جمال ... لايرى فى الوجود شيئا جميلا
ليس أشقى ممن يرى العيش مرا ... ويظن اللذات فيـه فضولا
أحكم النـاس فى الحياة أناس ... عللوها فأحسنوا التعليـلا
فتمتع بالصبح مادمت فيه ... لاتخف أن يزول حتى يزولا
وإذا ما أظل رأسـك هم ... قصر البحث فيه كيلا يطولا
أدركت كنهها طيور الروابى ... فمن العار أن تظل جهولا
ماتراها ـــ والحقل ملك سواها ... تخـذت فيه مسرحا ومقيلا
تتغنى ، والصقر قد ملك الجو ... عليها ، والصائدون ، السبيلا
تتغنى ، وقد رأت بعضها يؤ ... خذ حيا والبعض يقضى قتيلا
تتغنى ، وعمرها بعــض عام ... أفتبكى وقد تعيش طويلا ؟
كلمـا أمسك الغصون سـكون ... صفقت للغصون حتى تميـلا
كن هزازا فى عشه يتغنى ... ومع الكبل لايبـالى الكبولا
لاغرابا يطارد الدود فى الأر ... ض وبوما فى الليل يبكى الطلولا
كن غديرا يسير فى الأرض رقرا ... قا فيسقى من جانبيه الحقولا
تستحم النجـــوم فيه ويلقى ... كل شخص وكل شىء مثيلا
لاوعاء يقيـد الماء حتى ... تستحيل المياه فيـه وحولا
كن مع الفجر نسمة توسع الأز ... هـار شمـا وتارة تقبيـلا
لاسموما مع السوافى اللواتى ... تملأ الأرض فى الظلام عويلا
ومع الليل كوكبـا يؤنس الغـا ... بات والنهر والربى والسهولا
لادجى يـكره العوالم والنـا ... س فيلقى على الجميـع سدولا
أيهـذا الشاكى وما بك داء ... كن جميـلا تر الوجود جميلا

وهذه قصيدة الطلاسم لأبى ماضى أيضا :

أنت يابحر أسـير آه ما أعظم أسرك !
أنت مثلى أيهـا الجبار لاتملك أمرك

أشبهت حالك حالى وحكى عذرى عذرك

فمتى أنجو من الأسر وتنجو ؟

لست أدرى

ترسل السحب فتسقى أرضنا والشجرا

قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثمرا

وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا

أصواب مازعمنا أم ضلال ؟

لست أدرى

قد سألت السحب فى الآفاق هل تذكر رملك

وسألت الشجر المورق هل يعرف فضلك

وسألت الدر فى الأعناق هل تذكر أصلك ؟

وكأنى خلتها قالت جميعا :

لست أدرى

يرقص الموج وفى قاعك حرب لن تزولا

تخلق الأسماك لكن تخلق الحوت الأكولا

قد جمعت الموت فى صدرك والعيش الجميلا

ليت شعرى أنت مهد أم ضريح ؟

لست أدرى

كم فتاة مثل ليلى وفتى كابن الملوح

أنفقا الساعات فى الشاطىء تشكو وهو يشرح

كلما حدث أصغت وإذا قالت ترنح ..

أحفيف الموج سر ضيعاه

لست أدرى

كم ملوك ضربوا حولك فى الليل القبابا

طلع الصبح ولكن لم يجد إلا ضبابا
ألهم يابحر يوماً رجعة أم لامآبا ؟
أهم فى الرمل؟ قال الرمل إنى

لست أدرى

فيك مثلى أيها الجبار أصداف ورمل
إنما أنت بلا ظل ولى فى الأرض ظل
إنما أنت بلا عقل ولى يابحر عقل
فلماذا يا ترى أمضى وتبقى ؟

لست أدرى

ياكتاب الدهر قل لى : أله قبل وبعد ؟
أنا كالزورق فيه وهو بحر لايحد
ليس لى قصد ، فهل للدهر فى سيرى قصد ؟
حبذا العلم ! ولكن كيف أدرى ؟

لست أدرى

إن فى صدرى يابحر لأسراراً عجابا
نزل الستر عليها وأنا كنت الحجابا
ولذا أزداد بعداً كلما ازددت اقترابا
وأرانى كلما أوشكت أدرى

لست أدرى

إننى يا بحر بحر شاطئاه شاطئاكا
الغد المجهول والأمس اللذان اكتنفاكا
وكلانا قطرة يابحر فى هذا وذاكا
لاتسلنى : ماغد؟ ما أمس؟ إنى

لست أدرى

قيل لى : فى الدير قوم أدركوا سر الحياة
غير أنى لم أجد غير عقول آسنات
وقلوب بليت فيها المنى فهى رفات
ما أنا أعمى ، فهل غيرى أعمى ؟
لست أدرى

قيل : أدرى الناس بالأسرار سكان الصوامع
قلت : إن صح الذى قالوا فإن السر شائع
عجباً كيف ترى الشمس عيون فى براقع ؟
والتى لم تتبرقع لا تراها ؟
لست أدرى

إن تك العزلة نسكا وتقى فالذئب راهب
وعرين الليث دير حبه فرض وواجب
ليت شعرى أيميت النسك أم يحيي المواهب ؟
كيف يمحو النسك إثماً وهو إثم ؟
لست أدرى

إننى أبصرت فى الدير وروداً فى سياج
قنعت بعد الندى الطاهر بالماء الأجاج
حولها النور الذى يحيي وترضى بالدياجى
أمن الحكمة قتل القلب صبرا ؟
لست أدرى

قد دخلت الدير عند الفجر كالفجر الطروب
وتركت الدير عند الليل كالليل الغضوب
كان فى نفسى كرب صار فى نفسى كروب
أمن الدير أم الليل اكتئابى ؟
لست أدرى

قد دخلت الدير أستنطق فيه الناسكينا
فإذا القوم من الحيرة مثلى باهتونا
غلب اليأس عليهم فهم مستسلمونا
وإذا بالباب مكتوب عليه :
لست أدرى

عجباً للناسك القانت وهو اللوذعى
هجر الناس وفيهم كل حسن المبدع
ومضى يبحث عنه فى المكان البلقع
أرأى فى القفر ماء أم سرابا ؟
لست أدرى

كم تمارى أيها الناسك فى الحق الصريح
لو أراد الله أن لاتعشق الشىء المليح
كان إذ سواك سواك بلا قلب وروح
فالذى تفعل إثم . . قال إنى
لست أدرى

أيها الهارب إن العار فى هذا الفرار
لاصلاح فى الذى تصنع حتى للقفار
أنت جان أى جان ، قاتل فى غير ثار
أفيرضى الله عن هذا ويعفو ؟
لست أدرى

— ١٢ —

النبي العربي الكريم ، للشاعر المهجرى إلياس قنصل (١) :

ماذا تهم طوارق الحدثان ... خلق الجهاد لكل ذى وجدان
الحق شرعك فامض فيه مؤملا ... ما آب غير البطل بالخذلان
عميت نفوس الناس من أهوائها ... فأعد جمال النور للعميان
لا فرق بين ملفف بضلاله ... وملفف بنواصع الأكفان
كم صرخة خنقت أضاليل النهى ... وقضت على الأوهام والطغيان
ظن الذين توعدتهم ، أنها ... ضرب من الوسواس والهذيان
فتجمعوا لنزالها ، وقلوبهم ... بالشر نابضة ، وبالأضغان
فاذا بهم وبما أعدوا من أذى ... ورق يواجه ثورة البركان
إن كنت بين المعجبين بصفحة ... وشى زخارفها بنو اليونان
فبأى تقدير تقابل نهضة
محقت رسيس الشرك والكفران ؟
من عبسة البيداء سال غمامها ... فروى بعذب العدل كل مكان
يحبو الحياة لمن أباها ، عنوة ... ولمن أراد ، برأفة وحنان
هى نهضة فتحت وجودا لم تكن ... حسناته فى لوحة الحسبان !
إنى ذكرتك يا محمد ! مصغيا ... لحديث عم ناصح حيران
يغريك بالذهب الوفير ، وكم عنت
« للفلس » من مهج ومن أذهان

---

(١) هاجر من سوريا إلى البرازيل عام ١٩٢٤ وهو فى العاشرة ، وأنشأ مجلة المناهل فى الأرجنتين عام ١٩٣٧ ، وله دواوين عدة منها : السهام ، وعلى مذبح الوطنية ، ومقالات كثيرة ، وهو رشيق الأسلوب ، أنيق الصورة ، حار الحوار ، طريف الخيال فى نثره وشعره .

إن كنت تبغى أن تكون مسودا ... جاءت إليك سيادة الأقران
ومحا جوابك ، والوقار غلافه ... ريباً أثارت عاصف النكران
ما المال حين تقيسه برسالة ... علوية ؟ ما المجد ؟ ما القمران ؟
مثل من الخلق الجليل تركته ... درسا لكل مناضل متفان !
إنى ذكرتك يا محمد ، والعدى ... يتألبون تألب الذؤبان
ضربت على أبصارهم وقلوبهم ... ليل الفساد أصابع الشيطان
ويقض تالد جهلهم وغرورهم ... صوت يفتح مغلق الآذان
فيلاحقونك بالتراب وبالحصى ... وبكل وغد حانق شنآن
وتظل تدعو لا تنى لك همة ... حتى يتم النصر للديان
فرأيت معجزة العزيمة والرجا ... دنيا . . . تذل لقوة الإيمان
إنى ذكرتك يا محمد مسديا ... نعم الخطاب إلى ذوى السلطان
تملى على التيجان وحيك ناصحا ... بالرشد ، والإصغاء والإذعان
لم يسمعوا قبل انتبارك لهجة ... إلا وفيها حطة العبدان
أين السلاح ؟ وأين أين جيوشه ؟
خوض الوغى وقف على الفرسان
واستكبروا مستهزئين بدعوة ... لا تحتمى بمهند وسنان
ويدور دولاب الزمان مهيئا ... عبر الدهور ! فيلتقى الجيشان
جيش يحارب للسماء ، وآخر ... كثرت ذخائره لشىء فان
فتهل من أفق الكفاح خوارق ... ليست خوارق غارة وطعان
كسرى يمرغ بالمذلة رأسه ... وأذل منه عاهل الرومان
والحاكمون المعجبون بظلمهم ... فى كل ناحية بلا أعوان
والنصر فى كف العروبة راية ... بالعدل خافقة وبالعرفان
إنى ذكرتك يا محمد ناشرا ... روح الأخوة فى بنى الإنسان
يعلو « بلال » العبد أشرف قبة ... ليذيع منها أشرف الألحان
حق المواهب أن يقدر أهلها ... لا فرق فى الأجناس والألوان

والحكم للأعمال ، فاسع بغيرة ترجح بفضلك كفة الميزان
إنى ذكرتك يارسول مقابلا أسراك: أسرى الشك والعصيان
لم يظفروا بك مثلما رغبوا ، ولو ظفروا لجد الحقد بالغليان
وظفرت أنت ، فلم تشأ تجريمهم أوريتهم بمعرة وهوان
ما كان صفحك صفح واه خائف
بل كان صفح القادر المحسان
بعث الرميم عجيبة مامثلها إلا نبالة ذلك الغفران
ماذا أعدد من مناقب ، كلها شرف ـ أعد النجم فى إمكانى ؟
من ذا يضم بكفه بحراً له أفق تزيغ لبعده العينان
كانت حياتك كل ثانية لها تاريخ مجد طائل نورانى
عالجت بالحسنى ومذ شمخ العدى بمحالهم ، عالجت بالمران
ما كل نفس بالحقيقة تهتدى بعض النفوس تقاد بالارسان
يجنى الطبيب إذا رثى لمريضه كم جر زور العطف من خسران
وإذا بنيت على أساس عاطل ظهر البناء مزعزع الأركان
كانت قلوب المشركين مخابئا للجهل والشهوات والعدوان
فهدمتها ، وأمنت من عثراتها ضاع الرجاء لعابد الأوثان
وبنيت أعظم دولة نشرت على قاصى الوجود صلاحها والدانى
إن غاب بعض رواتها ، فلأننا نحن المصادر ـ لا الزمان الجانى
لم نمتثل لك بالفعال ، ولم نلذ بهداك يوم تحامل القرصان
فتخاذلت أخلاقنا ، وأصابنا مالا يقاس بمعضل السرطان
ياللعروبة ! هل تفوز بقائد يدعو فتسمع نخبة الفتيان
فيقد أوصال القيود حسامه ويسل روح العابث الخوان
ويعيد للوطن العزيز كرامة كادت تكون قسيمة النسيان؟
هى نهضة لولا كريم وجودها ظل الخلود يعاب بالنقصان
فى ظلها ظلم لكل عقيدة بالصدق سامية وبالإحسان

إن كان منا غامطون فكلهم ... من غمرة الأغراض فى بحران
عاداتهم هذى وليس بنافع ... أن تستعين بحجة وبيان
جفت محابرهم بنفى جهادنا ... وعلى جوانبه النجيع القانى
من حماة الأوهام فكرتهم ، فلا ... تعجب لما فيها من الريغان
من كان فى حجر الأفاعى ناشئا ... غلبت عليه طبائع الثعبان
نظروا إلى الإسلام أعمق نظرة ... وتدارسوه تدارس الإمعان
فرأوه يدعو للإباء ، مهددا ... بالنار كل مذبذب وجبان
ويشل أسباب الخنوع ، مزلزلا ... مافيه من أس ومن جدران
فتخوفوا إصغاءنا لملامه ... وملامه تحريك شعب وان
مايهدمون وليس فى لهواتهم ... إلا لهيب الإفك والبهتان
مايهدمون بغيهم وبحمقهم ... أتؤثر الهمسات فى الصوان ؟
مايهدمون وقد كسا آراءهم ... داء السياسة أخبث الأردان ؟
مايهدمون ، وللجحيم جهودهم ؟ ... مايهدمون ولطف ربك بان ؟
يامن يشير حماستى بكماله ... عذرا إذا شاهدت ضعف لسانى
هى باقة تهدى إليك ، زهورها ... من خير مايزهو به بستانى
فاذا أعد الحاسدون أظافرا ... عانيت كامن حقدها وأعانى
فليغنموا صبرى ، فإنى مغمض ... عن شرهم وصغارهم أجفانى
وليسمعوا فصل الخطاب فليس فى ... سرى سوى ماجال فى إعلانى
ما أبعد الإيذاء والتلفيق عن ... حر كريم من بنى غسان
تأبى عداء الأقربين عروبتى ... ويعف عن لغو الكلام بيانى

وللشاعر : إلياس قنصل بعنوان « أنشودة باسمة » [1] :

إن كبر الخطب ، وأجت ناره فاهزأ بجمره ، وكن أكبرا
أيستطيع النهر مهما طغى إذا احتواه البحر أن يهدرا ؟
وما المصاب إن تقصيته وغصت فى النفس إلى لجها ؟
إن الحياة لاتبالى به ولا تحيد منه عن نهجها
هل خيم الموت على صاحب كان لك السمع وكان البصر
أليست الأحداث أهدافنا طال علينا سيرنا أو قصر ؟
وهل فقدت ثروة ضخمة جمعتها مجتهدا ساعيا
قل لى : أما رأيت وجه الثرى من كل ماتزهو به عاريا ؟
أم أنت فى سجن تعانى به نأيا مبرحاً عن العالم ؟
إن لك الخيال فاسرح به وطر ، كما شئت ، بلا راغم
وهل جفاك صاحب بعدما عاهد أن يصدق فى وعده ؟
فابق على وداده ، وليكن حبك تعنيفا على صده
وهل عرتك علة تنطوى أعراضها على ضروب الألم ؟
لو لم يكن جسمك يقوى على جور العذاب ماحملت السقم
زد الوجود نغمة إن تكن تحسبه أنشودة باسمه
أو كان فى عرفك أفجوعة فلا تزده صفحة قاتمه !

(1) عدد شوال ١٣٨٥ من مجلة قافلة الزيت ـ الظهران .

— ١٣ —

وهذه قصيدة « النهر المتجمد » لميخائل نعيمة :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالأمس كنت مرنما بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق
بالأمس كنت إذا أتيتك باكيا سليتنى
واليوم صرت إذا أتيتك ضاحكا أبكيتنى
بالأمس كنت إذا سمعت تنهدى وتوجعى
تبكى ، وها أبكى أنا وحدى ، ولا تبكى معى !
ما هذه الأكفان ؟ أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيبا كلما مرت به ريح الشمال
والحور يندب فوق رأسك ناثرا أغصانه
لا يسرح الحسون فيه مرددا ألحانه
تأتيه أسراب من الغربان تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شبابا من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عند الصباح وفى المساء
جوق يشيع جسمك الصافى إلى دار البقاء

لكن سينصرف الشتا ، وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكر موجتك النقية حرة نحو البحار
حبلى بأسرار الدجى ، تملى بأنوار النهار
وتعود تبسم إذ يلاطف وجهك الصافى النسيم
وتعود تسبح فى مياهك أنجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك سترا من لجين
والشمس تستر بالأزاهر منكبيك العاريين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ أنفه ويميس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب
قد كان لى يا نهر قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه أهواء وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمسى ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الأمل
فتساوت الأيام فيه : صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة : نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء
سيان نوح البائسين ، وضحك أبناء الصفاء
نبذته ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جماداً لايحن ولا يميل إلى أحد
وغدا غريبا بين قوم كان قبـــلا منهم
وغدوت بين الناس لغزا فيه لغز مبهم
يا نهر ! ذا قلبى أراه كما أراك مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك ، وهو .. لا

— ١٤ —

بين شاعرين :

ارتحل « على بن زريق » البغدادى إلى المغرب يمدح أميرها . وأحب الأمير أن يداعبه فقال له : لقد مدحنا بقصيدتك هذه قبل أن نسمعها منك . فاغتم الشاعر . وكان قد غادر بغداد ليظفر من أمير المغرب . بمهر خطيبته التى أبى أهلها أن يبنوا عليها إلا بعد أن يقدم المهر الذى طلبوه ، وكان مبلغاً جسيما . وفى اليوم الثانى ، بعد أن استنفذت النكتة غايتها ، أرسل الأمير من يتفقد الشاعر ليجزيه ، فوجدوه ميتاً .. وتحت وسادته قصيدة طارت شهرتها فى كل مكان ، وهى(١) :

لاتعذليه فإن العذل يولعه	قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حداً أضر به	من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا	من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله	فضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من روعة التفنيد أن له	من النوى كل يوم مايروعه
ما آب من سفر إلا وأزعجه	عزم على سفر بالرغم يزمعه
تأبى المطالب إلا أن تكلفه	للرزق سعياً ولكن ليس يجمعه
كأنما هو فى حل ومرتحل	موكل بفضاء الله يذرعه
إذا الزمان أراه فى الرحيل غنى	ولو إلى السند أضحى وهو يقطعه

(١) يروى عن أحد الظرفاء أنه قال : من لم يحفظ سيرة الخلفاء الراشدين ويتأدب بأدب الحسن البصرى ، ويقرأ كتب الجاحظ ، ويتطيب بالطيب بعد خروجه من الحمام ، ويحفظ قصيدة على بن زريق الشاعر البغدادى ، فهو خال من الذوق .

وما مجاهدة الإنسان واصلة رزقاً ولا دعة الإنسان تقطعه
قد قسم الله بين الناس رزقهم لا يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا حرصاً فلست ترى مسترزقاً وسوى الغايات يقنعه
والحرص فى الرزق والأرزاق قد قسمت
بغياً ألا أن بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى من حيث يمنعه عفواً ، ويمنعه من حيث يطمعه
أستودع الله فى بغداد لى قمراً بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته ، وبودى لو يودعنى صفو الحياة ، وأنى لا أودعه
وكم تشفع بى أن لاأفارقه وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى وأدمعى مستهلات وأدمعه
لاأكذب الله ثوب العذر منخرق عنى بفرقته لكن أرقعه
إنى أوسع عذرى فى جنايته بالبين عنه ، وقلبى لايوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر عليه فعنه الله ينزعه
اعتضت من وجه خلى بعد فرقته كأساً يجرع منها ما أجرعه
كم قائل لى ذقت البين قلت له الذنب والله ذنبى لست أدفعه
هلا أقمت فكان الرشد أجمعه لو أننى حين بان الرشد أتبعه
لو أننى لم تقع عينى على بلد فى سفرتى هذه إلا وأقطعه
يامن أقطع أيامى وأنفدها حزناً عليه وليلى لست أهجعه
لايطمئن بجنبى مضجع وكذا لا يطمئن به مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب أن الدهر يفجعنى به ولا أن بى الأيام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد غبراء تمنعنى حقى وتمنعه
وكنت من ريب دهرى جازعاً فرقاً
فلم أوق الذى قد كنت أجزعه
بالله يامنزل القصر الذى درست آثاره ، وعفت مذ بنت أربعه

هل الزمان معيد فيك لذتنا ... أم الليالى التى أمضته ترجعه
فى ذمة الله من أصبحت منزله ... وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لى عهد لايضيع كما ... عندى له عهد صدق لاأضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره وإذا ... جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعنى ... به ولا بى فى حال يمتعه
علماً بأن اصطبارى معقب فرجاً ... فأضيق الأمر إن فكرت أوسعه
على الليالى التى أضنت بفرقتنا ... جسمين تجمعنى يوماً وتجمعه
وإن تغل أحداً منا منيته ... لابد فى غده الثانى سيتبعه
وإن يدم أبداً هذا الفراق لنا ... فما الذى بقضاء الله نصنعه

وقد أعجب الشاعر وديع عقل بهذه القصيدة إعجاباً شديداً ، فنظم قصيدة يصور فيها هذه القصة الدامية المؤثرة ، وهى :

طار عن أيكته مغترباً ... مذ رأى الأيكة صارت حطبا
بلبل ، بغداد كانت روضه ... وله دجلة كانت مشربا
عربى وهو أعلى نسب ... لمن استعلى بأن ينتسبا
قطع الدهر عليه سبباً ... فطوى الآفاق يبغى سببا
غادر الزوراء صباً معوزاً ... وهو أغنى الناس فيها أدبا
ذا «على» راحلا مرتزقاً ... راكباً فى كل هول مركبا
تاركاً هنداً على جمر الغضا ... وفؤاداً عندها ملتهبا
ينتحى الأندلس العظمى وما ... حسب الخيبة فيما حسبا
رحلة من مشرق الأرض على ... قدميه بلغته المغربا
ما شجاه حينما غادر بغداد ... أن يترك أماً أو أبا
بل شجاه البعد عمن لم يجد ... لهواه فى سواها مطلبا
فتنة فى مقلتيها للمهى ... بهجة فى الجيد منها للظبا

وعلى شاعر غصن الصبا صارم ، إن سمته الخسف نبا
وهواها كهواه دونه شادت العفة حصناً أشبا
أمسكوها عنه لما عجزت يده عن مهرها فاضطربا
فنوى رحلته ملتمساً أن يلاقى فى نواه النشبا
فبكت هند وقد ودعها باكياً منقبضاً مكتئبا
ناشدته بالهوى أن لا يروعها بالبعد عنها فأبى
ويل هند عندما فارقها زلزل العيش بها فانقلبا
وأقامت عمرها باكية مهجة ولت وقلباً ذهبا
ومضى الشاعر فى سفرته ضارباً فى كل صقع مضرباً
قطع الأشهر يطوى تارة بلداً حيناً ، وحيناً سبسبا
فأتى مرماه محمولا على أمل فى فلك حاكى سبا
ملك كان إذا ما جاءه مادح أجرى عليه الذهبا
ومشى شاعر بغداد إلى بابه نضو رحيل متعبا
وغدا ينشده قافيه تمرع القفر ، وتجرى السحبا
آية فى الضاد لو أنشدها أعجمياً لانبرى مستعربا
هزت العاهل فى سدته فقضى فى النفس منها العجبا
ملكت مهجته لكنه ملك عن له أن يلعبا
لم يجز منشدها بل رده فمضى والنفس جاشت حربا
وأتى «خاناً» فأحيى ليله كاتباً فى رقعة ما كتبا
ثم ألقى رأسه مستغرقاً فى كراه شأن نضو تعبا
نام نوماً ليس يبقى بعده لشجى أن يعانى نصبا
وأراد الملك الممدوح فى الغد جداً بالفتى لا لعبا
طلب الشاعر كى يكرمه ويحه لم يدر من ذا طلبا

ذهب الساعى إليه صارخاً … يا «على» اذهب بلغت الأربا
و «على» كان غصناً فذوى … وسراجاً عربياً نخبا
أطبق اليأس عليه فغدا … فى صباه وهو فى شرخ الصبا
وجدوا فى ثوبه منظومة … صاغها فى الليل ثم انقضبا
شاكياً فيها إلى «هند» النوى … ناعياً طالعه منتحبا
مؤثراً لو ودعته روحه … قبل أن ودع ذاك الكوكبا
ذلك الشاعر قد مات ولا … شاعر يألف عيشاً طيبا
إنما المال لمن هان ، وما … خلق الشاعر إلا ذا إبا

— ١٥ —

ومن قصيدة عنوانها «تحية الوطن» للشاعر ميشال مغربى[١] نزيل سان باولو بالبرازيل ، وقد ألقاها فى حمص مسقط رأسه يوم زارها بعد غياب عقود من السنين :

هذى تحية مدمعى الهطال … يا أيها الوطن الحبيب الغالى
فى يقظة ألقاك أم فى غفوة … من بعد أعوام مررن طوال
إنى لأمحو للزمان ذنوبه … وأكاد أحسبها من الأفضال
من أجل يوم واحد لا أرتضى … بدلا به جيلا من الأجيال
ياحمص ، ياحمص الحبيبة مرحبا … بنسيمك المتعطر الأذيال
برياضك الغناء ، بالأزهار ، … بالأثمار ، بالأشجار ، بالأظلال
بديار أحبابى ، بأربع صبوتى ، … بسرير أحلامى ، بأفق خيالى

---

(١) ولد فى الإسكندرية من أبوين حمصيين ، وهاجر عام ١٩٢٤ إلى البرازيل (٥٤٥ - ٥٤٧ ذكرى الهجرة) ، وقد هاجر من أبناء حمص كذلك إلى البرازيل نصر سمعان عام ١٩٢٠ (٥٤٨ - ٥٥٠ المرجع) .

أحجارك السوداء فتنة ناظرى لاتلكم الأبهاء فى « فرسال »
ياموطن الجندى يافردوس ديك الجن يانجواى فى أغزالى
ان تنجب الشعراء لست بعاقر من خالد الشهداء والأبطال
السيف « سيف الله » أنت قرابه فبدرة الأمجاد جيدك حالى
عاصى ، ياعاصى ، ها أنا عائد خل الأنين ، وخف لاستقبالى
أواه ، واحر الفؤاد لجرعة من مائك المترقرق السلسال
وبضجعة فوق الضفاف طويلة ذكرا بضجعات الزمان الخالى
مستعرضا أشباح أمسى ناظرا فى الشمس غاربة مثال زوالى
تمسى وتصبح باكيا متضاحكا أتظل ياعاصى حالك حالى؟
طوباك إنك فى إهابك لم تزل أما أنا فانظر إلى سربالى
الشيب فى فودى شاع بياضه إلا بقايا من رسيب بالى
هذا حطام سفينة الآمال قته رياح اليأس فوق رمالى
حسراً على أيام حلو طفولتى ومواكب الذكرى تمر حيالى
مترفق الخطوات لاأطأ الثرى إلا وقلبى سابق لنعالى
ولقد أكب على الرمال مقبلا وأعفر الأهداب بالصلصال
وأرى ديار أحبة ، حبى لهم مازال فى الأعراق والأوصال
فيمضنى ألا أرى جدرانها تهتز من طرب بعود وسالى
تلك المنازل بدلت نزالها فاليوم ماشوقى إلى النزال
شوقى لمن غدت القبور ديارهم فكانهم فى الحى منهم خالى
ولقد هرعت جوى إلى أرماسهم دامى المحاجر خائب الآمال
وغرقت فى بحر الذهول تطوف بى أشباحهم عن يمنى وشمالى
وأنا الذى باع الشبيبة خاسراً بجلاده وجهاده المتوالى
أثر النضال على الجبين ترونه ما الاغتراب سوى حياة نضال
أو هل ترانى كنت يوما نازحا إنى نزحت وما قطعت حبالى
من كان يصحبه هوى أوطانه ولئن جلا عنها فليس بجال

هذى ، بنى وطنى ، تحية طالب لبلاده خيراً وذخر معالى
شطر المهاجر لاتولوا أوجها كالخاسرين ربوعهم أمثالى
أوطانكم أولى بكم وبسعيكم وبما ملكتم من كريم خصال
ولأنتم أولى بطيب هوائها وجمالها المزرى بكل جمال
كن فى الذرى ياموطنى أوفى السما أهواك فى حلى وفى ترحالى
الأم تجمل فى عيون وليدها حتى ولو فى أخلق الأسمال
حيى الحيا دون المواطن موطنا فيه أرى دارى وأنظر آلى
ويظلنى على الذى فى قلبه يثوى صليبى فى جوار هلالى
لايعشق الأحرار غير بلادهم ولو انها طلل من الأطلال

ولميشال مغربى قصيدة « الصياد » نشرها فى مجلة العصبة (١) .

— ١٦ —

ويقول أبو شادى فى قصيدته « نيويورك » :

نسيت الجنان وسكانها ومن ألهموا الشعر إيمانها
وآثرت عاصمة للكفاح وقد زانها منه مازانها
كفاح التنافس فى الخالدات تخذن الشوامخ عنوانها
وقدسن مسترسلا فى الطموح أجاد ، وأعلين إنسانها
تلألأ فيها ضمير الوجود وإن سود الدهر جدرانها
فللدين فيها مكان الخشوع وإن زعموا المال ديانها
وللعلم فيها حياة الجموع وإن حسبوا اللهو ميزانها
وللطب آياته فى سطوع تضاعف بالشيب شبانها
وللفن منزلة فى الذيوع كأن الهواء الذى صانها

---

(١) ص ١١٠ — ١١٢ مجلة العصبة ، المجلد ١٢ العدد ٢ نيسان ١٩٥٢ م .

وللهو غايته فى الشيوع ولـكن ليسعد سكانها
سمت بمتاحفها الغاليات قروناً تكرر أقرانها
وشتى معابدها الحاليات ترتل للسلم ألحانها
وأبقى معاهدها المعجزات جعلن الحقيقة أوطانها
وأقوى معاملها الخالقات غرائب جاوزن حسبانها
وأزهى مسارحها الفاتنات بهرن الفنون وفنانها
سعدت بها رغم هذا الكفاح ولولاه كنت كمن خانها
فأصبحت عاشقها المستعز بها والمرتل فرقانها
أغنى لها صلوات الشكور رأى فى المصاعب إحسانها
وأمشى على الطرق الصاخبات فخوراً أنافس سلطانها
وأهوى حدائقها الحالمات قصائد زين ديوانها
كأن السناجيب أطفالها جعلن الأراجيح أغصانها
كأن الغرانيت فى أرضها صوامع حجبن رهبانها
معابد لامعبد للجمال يمس المطوف أركانها
ومن حولها العشب جم الرفيف يجاوب بالعطف تحنانها
كأن الأزاهر يقظانة ملائك تحرس كثبانها
كأن الجنادب فى شدوها ندامى تسامر ندمانها
كأن الطيور بتغريدها تلقن للشعر أوزانها
كأن الأشعة رسل الطبيعة تحمل للنبت ألوانها
وتضفى على الصخر تحنانها وتلقى على الماء نشوانها
أطوف بها لاهياً ضاحكاً كأنى منتهب حانها
وإن كان صفوى الذى لايمل عبادة من عز أوثانها
ومن للوحوش بأقفاصها رأى إخوة أسعدوا شانها
فما زأرت مرة فى شجى ولا عرف الهم خرسانها
وماشمخت ناطحات السحاب على السفن تمخر خلجانها

وإن سكنت فوق قطر تسير شيـــاطين نافسن شيطانهـا
تسير بجوف الثرى كالبروق وقـــد تتجاوز إمكانهـا
حياة تـكرر فيها الحيـاة وهيهات نقـــدر أثمانهـا
وعمر تجاوز عمر السنين ودين تشرب أديانهـا

— ١٧ —

وتقول صفية أبو شادى الأديبة المهجرية المعروفة من قصيدتها « لحظة هاربة » ، وهى من الشعر المنثور التى احتذت فيه حذو جبران :

أكان اقاؤنا لحظة هاربة
وقفة على عتبة الحياة واستراحة لطيفة
جاءت عفواً وبدون قصد ولا تدبير
وكان كل منا فى طريقه يسير
أفقنا ذا يوم فاذا بنا قد التقيا
ولم تعد الفيافى والبحار تعنى شيئًا لدينا
وإن كان قلبانا قد تناجيا قبل اللقاء
فقد تعانقنا على ود ونقاء وصفاء :
رشفنا من كأس السعادة قطرات معدودات
وذقنا طعم الهوى ولـكن كسرات وفتات
وأقبلنا على الحياة بقلوب مترعة بالآمال
وطرقنا أبواب الأبدية فأبت أن تفتح
وعلى شاطىء الحياة وقفنا فى حيرة وذهول

ومن قصيدتها « متى تعود ؟ » تقول :

متى تعود ياصديقى متى ؟
طال الفراق وفاض دمعى
وما زلت أنتظر . . .
بجوار نافذتى اتخذت مجلسا

وبرداء الليل الأغبر اتشحت
وجلت ببصرى فى الفضاء الواسع
عبر السهول والوديان
إلى حيث ترنو الأنوار المتلألئة
فوق أعالى الجبال . . .
إلى حيث تترنح أشجار الصنوبر العتيدة
نشوانة والنسيم المتلهف يداعبها
إلى الأفق البعيد حيث الأرض
تعانق السماء فى قبلة أبدية .
فى الوادى ترقد المدينة الناعسة
مستسلمة فى اطمئنان الطفل الوليد .
فاخالها حقلا من الأزهار المتناثرة الألوان
أو دبوسا من الماس يزين ثوبا من المخمل الأسود
طال انتظارى وأخذ الليل يرفع نقابه عن وجه السماء
ألم أسمع وقع قدميك تخطوان مسرعة فى الطريق المقفر
ولم أر وجهك الوديع يتطلع فى شغف ولهفة نحو النافذة الصغيرة
حيث جلست أنتظر . . .
أنتظر عودتك ياصديق
ولقياك بعد الغياب .
ومن قصيدتها « هيهات » تقول :
إليك أقدم باقات الزهر
وإليك أهدى نغمات شعرى
يذوب قلبي نشوة كلما سمع صوتك الجميل
يداعب أوتاره .
ويرقص فؤادى طربا كلما همست باسمى

بعطف وحنان
إليك تتجه أفكارى فى يقظتى ومنامى
وإليك أرفع بصرى فى خشوع وابتهال
هيهات أن تخفف الأحلام لوعة الفراق .

وصفية أبو شادى هى كريمة الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ولدت فى وطنها مصر من أب عبقرى وأم إنجليزية مثقفة ، وتلقت تعليمها فى مصر ، ثم هاجرت مع والدها إلى نيويورك عام ١٩٤٦ ، وأكملت دراستها هناك فى الجامعات الأمريكية ، وعملت فى عدة وظائف ، منها الإذاعة العربية فى صوت أمريكا ، وهى الآن تقيم فى واشنطون ، وطبع لها فى القاهرة ديوانها « الأغنية الخالدة » عام ١٩٥٣ ، وقد قمت بطبعه على نفقتى الخاصة .

وللشاعرة صفية أبو شادى أيضا قصيدتها « وداع » وهى :

أودعك والدمع يترقرق فى مقلتى
فيطغو منهمرا كالوابل على خدى
أودعك وكلمة الوداع تأبى أن ترسمها شفتاى
والفؤاد كسير والعقل حائر ينفى الواقع العسير
أيها الراحل عنى ، والحنين إلى الوطن يجذبك
ترفق بقلب حزين لم يتعود الصبر على فراقك
تذكر وقد أحاط بك الأهل والأحباء
فتاة فى الغربة ، يغمرها الشوق إلى الوطن
وتهفو أن تكون بقربك فتنهل حديثك العذب
وتأنس إلى وداعة صوتك الساحر ، وتجتلى نور وجهك الباهر . . .
لاتدع يد النسيان تمحو ذكريات
نقشناها على صفحات الزمان هنية

ولا تقل تلك أيام ولت ولن تعود
وسوف يعفوها الدهر وشيكا .
فاذا كانت الفيافى والبحار تفصل بينى وبينك
فسأظل على وفائى مراعية لذكراك .
وأشعر بقربك منى وأنت بعيد ، وأخاطب طيفك علّه يجيب .
وإذا مادعوت ربى ابتهلت إليه فى خشوع وإيمان
أن يجمع شملنا ، ويصون ودنا ، ويرعاك بعنايته حتى نلتقى .

— ١٨ —

من قصيدة « تناثرى » للشاعر وهيب عودة (١) :

تناثرى ، تناثرى ياقطعة من عمرى
نشائدا فى أذنى وومضة فى بصرى
تناثرى ، فها أنا أصبحت طيف أثر
تنتفت رغائبى على دروب القدر
ولم يعد من حاضرى إلا بقايا صور
فصرت من أنشودتى عودا بغير وتر
ومات فجر من غدى فى عتمة من سحرى

— ١٩ —

وللشاعر وديع ديب قصيدته « ثلوج » وهى :

الغيوم
وهى فى الجو تحوم
نزعت عنهـا الخوافى
ورمتها للفيافى

---

(١) مجلة العصبة الأندلسية العدد الأول ، السنة ١٢ آذار ١٩٥٢ ص ٢٩

علها يوما تطير
فى جناح من عبير
والرياح
جمعت زهر الأقاح
من بساتين القمر
نشرتها بدرا بعد بدر
فى جنون المسرف
لربوع تعتفى
والتلال
شربت خمر الجمال
فهى سكرى لاتعى
فى ذهول المبدع
غب خلق مبتكر
يتراءى فى صور
الثلوج
آه ما أحلى الثلوج
هى أحلام المروج
ورؤى خود غنوج
يالحلم أبيض
قال للأرض انهضى
ياسماء
حسبنا هذا الثراء
مخزن الشمع على رأس الجبل
كلما أضرمه الشوق اشتعل
فى شموع من أقاح
وشذا ملء البطاح

— ٢٠ —

وللشاعر القروى قصيدته « عند الرحيل » :

نصحتك يانفس لاتطمعى وقلت حذار فلم تسمعى
وإن كنت تستسهلين الوداع كما تدعين إذاً ودعى
رزمت النيات فلم تحجمين ولم ذا ارتعاشك فى أضلعى
ألا تسمعين صياح الرفاق وتجديف خودينا ؟ أسرعى
رأيت السعادة أخت القنوع وخلت السعادة فى المطمع
ولما بدا لك عزمى قنعت وهيهات يجديك أن تقنعى
خرجت أجرك جر الكسيح تئنين فى صدرى الموجع
ولما غدونا بنصف الطريق رجعت وليتك لم ترجعى
لئن كنت يانفس مع من أحب فلم ذا اشتياقى ولم أدمعى؟
أظنك تائهة فى البحار فلا أنت معهم ولست معى
كفاك اضطراباً كصدر المحيط قفى حيث أنت ولا تجزعى
سأقضى بنفسى حقوق العلى وأرجع فانتظرى مرجعى

بين شوقى والقروى :

أنشد أحد الأدباء بيت شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

فقال الشاعر القروى مرتجلا :

وطنى لبنان يانجوا ى فى قربى وبعدى
أى خلد شاغلى عنـ ـك وأنت الخلد عندى (١)

---

(١) ١٣١ و١٣٢ مجلة العصبة مجلد ١٢ عدد ٢ نيسان ١٩٥٢ .

— ٢١ —

وللشاعر رياض معلوف قصيدته « بين عامين » (١) :

بين عام مضى وعام جديد بسمة فوق دمعة فى الخدود
بسمة للنجاة من قدر الموت ودمـــع على الليالى السود
كل يوم يمر تزحم خطوى خطوة تقتفى طريق اللحود
ذاك عام مضى بهم قديم ثم يأتى عام بهم جديد
ولو أن الزمان يسمع صوتى لشكوت الزمان جور الوجود
كلما سرنا خلفه يتوارى ثم يبدو لعيننا من بعيد
وشجون منوطة بشجون وقيود موصولة بقيود
حسرة ثم لهفة وشقاء وهموم مابعدها من مزيد
ورياء وخدعـــة ونفاق وجحود مامثله من جحود
وحيـــاة مليئة بالمآسى لا أرى فى الأنام شبه سعيد
هات لى العـــود والكمنجة والكاس
لأحسو عـــلى تناسى وجودى
فضجيج ونشوة وجنون فارقصى ياسماء ، ياأرض ميدى
بين كاس ومتعة ونديم وخصور « ممشوقة » وقدود
ترهات هـذى ووهم ظنون تتراءى فى مقـــلة العربيد
فغنى قد زاد لهواً وسكراً وفقير يرجو فتات الثريد
رب ليل لمحت فيه صباحى ونحوس لمحت فيها سعودى
رب عيد فيه التناقض باد فاضحكى ياشفاه ياعين جودى
رب عيد فيه المناحة قامت أى عيد بالله ؟ قل أى عيد ؟

(١) مجلة الأديب اللبنانية عدد إبريل ١٩٦٥

وللشاعر رياض معلوف قصيدته « التسامح » :

سألتك ياقلب لاتحقد
لأنك لست الحقود الردى
عرفتك ياقلب سمحا رقيقا
كبرعم ورد طرى ندى !
وكل السماحة فيك تبدت
كبحر إذا ماانتهى يبتدى .
مليئك حب ورفق وعطف
بك الناس ياخافقى تقتدى !
ولولا المحبة لاشىء يغرى
بعيش كثير الضنى أنكد ..
وإن المحبة نور مضىء
دجى ليل أحقادنا الأسود
هو الصفح خير دواء وبرء
لكل حقود مسىء ردى !
ومهما تجنى الأنام فصفحا
عن الذنب يا صاح لاتحقد
إذا ماصفحت فذلك كبر
وذلك من شيمة السيد
وليس التسامح ضعفا ولكن
هو النبل بل كرم المحتد ..

---

(١) مجلة قافلة الزيت ـ الظهران ـ محرم ١٣٨٥ هـ .

— ٢٢ —

والشاعر موسى الحداد قصيدته « حديث مع البحر »(١) :

يابحر ياأعجوبة الكائنات ياحجة الآباد مهد الحياة
يا شاعراً يصغى إلى شاعر فى صدره مافيك من أغنيات
ففى المد شعر وفى الجزر لحن وفى الموج عزم يفت الحجر
تكر الدهور وتفنى العصور وأنت فتى فما من كبر
وتهزأ من عاديات الزمان وتسخر من جبروت البشر
فيالك من كائن سرمدى تحدى القضاء وبز القدر
ياأيها الجبار حدث وقل عما جرى فى الأعصر الخاليات
صاحبت منذ البدء سيارنا لاتعرف التدجيل والترهات
تسير على سطحك الماخرات وتطفو عليه ضروب الجيف
وتحضن فى جوفك الساطعات وغالى اللآلى ودون الصدف
جمعت النقيضين من نافع ومؤذ بحر الأسى والأسف
فأنت الصديق وأنت العدو ومنك النجاة وفيك التلف
كم شاعر ناجاك فى شعره يأبحر جياشة القافيات
ولى وظلت خالدات على تعاقب الأدهار كالنيرات
تخذتك جاراً وأوفى صديق فعشت حليف الوفا والولا
هديرك ليلا نهاراً أخف على مسمعى من حديث الملا
ملوحة مائك أمست لدى زلالا وعشرتهم حنظلا
فنعم الجوار ونعم القرار لهذا جعلتك لى موئلا
يحيا الفتى التسعين لكنه لايجتنى تسعاً من الطيبات
يجابه الأقدار فى عسفها سعياً وراء الرزق والمغريات

---

(١) مجلة حمص — عدد ابريل ١٩٦٤ — سان باولو

لبيت المعرى على شكه   وفى زهــده بنعيم السما
سراج البصيرة قاد خطاه   فما عاقبه شكه والعمى
لقد كان بحراً نظيرك لكن   بما فاض علما وما علما
فآمنت بالعقل إيمانه   وأسلمت فيه كما أسلما
وعفت مافى الكون من ثروة   فعدت منه قانعاً بالفتات
لا عن قصور فى ميادينها   لكن بما شاهدته من عظات
ورحت أقدس أبطالنا   كواكب يعرب منذ القدم
أظلوا الشعوب بأعلامهم   وكانوا لعهد منار الأمم
وإنك يابحر شاهد عدل   بما سطروه بحبر ودم
ولولا التنابذ فينا لكننا   ظللنا حماة العلى والعلم
يا شاعر الدنيا وأمواجه   قصائد تتلى على الكائنات
يخط فوق الصخر أشعاره   مردداً آياته البينات
فهل يبسم الحظ ياشاعر   فأبصر بالعين مجد الجدود
يعود إلى أهله ناطقاً   بحد المواضى وخفق البنود
فلسطين مدت يديها وصاحت   أغيثوا فلسطين طال الهجود
بمن تستغيثون إن دهمتكم   وأنتم نيام جموع اليهود؟
أجابنى البحر بمقطوعة   من شعره الزاخر بالرائعات :
« حياتكم شعر وأيامها   بحوره المزبدة الصاخبات
صحبت الخلائق منذ الأزل   فسادت شعوب ودالت دول
يهدمها معول التفرقات   ويدعمها الرأى عند العمل
فلا مجد يبنى بغير اتحاد   وحب وإلا فعار الفشل
تغور البحار وتهوى النجوم   وآخر شىء يزول . . الأمل »
يابحر أيا عجوبة الكائنات   ياحجة الآباد مهد الحياة
ياشاعراً أصغى إلى شاعر   يعيش بالآمال والذكريات

— ٢٢ —

وقد كتب المهجريون قصائد كثيرة وملاحم من وحى الأندلس[1] ، ومن بينها ملحمة سقوط غرناطة المشهورة .

وللشاعر أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى المشهور باسم الدقون فى رثاء غرناطة بعد سقوطها قصيدة طويلة منها :

وا حتل غرناطة الغراء قد عدمت ... حب الحصيد ، ونصر الله والآل
كأنها الشمس فى أفق العلا كسفت ... فهل على طلل ترمى بأبطال ؟
وهل تعود ليال قد سلفن بها ... ونحن لانشتكى تنكيد ضلال
فأصبحوا لاترى إلا مساكنهم ... كمثل عاد ، وماعاد بأشكال
فلا المساجد بالتوحيد عامرة ... إذ عمروها بناقوس وتمثال
ولا المنابر للوعاظ بارزة ... للأمر والنهى أو تذكير آجال[2]

وقد رثى الشاعرا لأسبانى المعاصر « فرنشيسكو فيلا سباسا » أيام

---

(١) فى الأدب العربى قصائد مشهورة قيلت فى الأندلس ، منها قصيدة أبى البقاء صالح الرندى :

لكل شىء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

وقصيدة أبى جعفر بن خاتمة فى رثاء الأندلس :

ألا فلتقف ركب الأسى بمعالم ... قد ارتج باديها وضج حضورها

وقد ذكرها شكيب أرسلان فى الحلل السندسية (٢ : ٥٤٨) ، وقد ذكرتها فى كتابى قصة الأدب فى الأندلس ، وذكرها محمد عبد الله عنان فى كتابه « نهاية الأندلس » .

وقد رجعنا فى ذلك إلى مقالة للشاعر محمد عبد الغنى حسن نشرت فى مجلة الوعى الإسلامى بالكويت عدد ذى الحجة ١٣٨٨ هـ بعنوان « غرناطة » .

(٢) أزهار الرياض للمقرى جـ١ صـ ١٠٤

العرب فى الأندلس بقصائد جميلة ، منها قصيدته « غرناطة » التى ترجمها من الأسبانية إلى العربية الشاعر المهجرى المرحوم فوزى المعلوف صاحب ملحمة « على بساط الريح » المشهورة ، ويناجى الشاعر غرناطة فى حديث مؤثر فيقول :

غرناطة ! أواه غرناطة ... لم يبق شىء لك من صولتك ! !
هل نهرك الجارى سوى أدمع ... تجرى على مادال من دولتك ؟
والنسمة الغادية الرائحة ... هل هى إلا زفرة نائحة !
ماعدت فى النهر كسلطانة ... جبهتها من مائه ساطعة
للقبة الحمراء فى تاجها ... وهج ، وللمئذنة اللامعة
آه على أمجادك الضائعة ! ... شيعتها بالنظرة الدامعة !
مرت مرور النهر من جسره ... وأورثتك النوح فى عزلتك
غرناطة ! أواه غرناطة ... لم يبق شىء لك من صولتك !

وكتب الشاعر « أبو الفضل الوليد طعمة » الذى وقف شطرا من شعره الرصين على البكاء على حضارة العرب والمسلمين بالأندلس ، نونيته التى نشرت بجريدة الصفاء سنة ١٩٣٩ وقال فيها :

أهكذا كانت الحمراء موحشة ... إذ كنت ترقب أفواج المغنينا ؟
وللبرود حفيف فوق مرمرها ... وقد تضوع منها مسك دارينا

ثم لا يكتفى بهذا بل ينتقل فى قصيدة أخرى عنوانها « فى حمراء غرناطة » إلى ماضى البلاد قائلا :

أمعاهد الحمراء هل تدرينا ... ماذا لقيت من العدا ولقينا ؟
نزعوك منا بعد تكسير الظبا ... فبتعس من فقدوك تفتخرينا
هذا جلالك عن جمالك مخبر ... فلأنت رسم المجد من ماضينا

وللشاعر شفيق معلوف قصيدة بعنوان « غرناطة » قال فيها :

أراك غرناطــة مروعة تنعى إليك المدائن الأخر
لآلىء ينفرطن واحـدة من بعد أخرى ، والعقد ينتثر
حتى إذا ماوقفت خائرة وحدك لانبلة ولا وتر
هويت ، والمجـد قبل مصرعه ودع قوما من حولك اندحروا
ذلك مجـد حضنته زمنـا واغتاله فوق حضنك القدر . .
فكنت - غرناطة - على فمـه آخر ماقال وهو يحتضر . .

ومنها :

تالله قصر الحمراء لابرحت ترويك منـا المدامع الحمر
أنت على الشرق عبرة بقيت فى مقـلة الغرب كلها عبر
كل فخـار لديك مدخر صنع الألى خلدوك واندثروا
أبوابك الزهر من فتوحهم خطت عليها الآيات والسور . . .
حروف مجد فى روقك اعتنقت كأنهـــن الرماح تشتجر
من فنهم رفهوك فى برد بها تتيـه السقوف والجدر
فسيفساء بالوشى حاليـة يـكاد يشتف لونها البصر
لم يخلعوها عليك من خزف كلا ، ولا شاب أصلها مدر
لـكنها من قلوبهم قطع ومن بقايا سيوفهم كسر

وللشاعر عدنان مردم قصيدة عنوانها «غرناطة» يقول فيها :

أسترفد الذكرى فتعرض لى صـور تشيب لهولها اللمم
وتغص أجفان بحرقتها من ذكـريات حشوها السقم
من ذا ألوم ، وما أقول إذا قسط البنون وعقت الرحم ؟
إن العداة بنوك حين مشوا فى عاصف الأهواء وانقسموا . . .
أحقادهم ما بينهم عصفت بغوارب وكأنها حمم . .
يتقاتلون على الهوى شططا وديارهم بيـد الردى زمم
إن الخيانة ليس يغسلها من خاطىء دمع ولا ندم
هل رد دمع ســـال صيبه ما ضيع الخذلان والهرم
دمع الهوان العار ليس له من راحم ، ويمجه الكرم

التجديد والتقليد فى الشعر المهجرى

— ١ —

تأثر الشعراء المهجريون بالآداب العربية القديمة والحديثة ، خاصة بمدرسة شعراء الديوان التى تأثر بها ميخائيل نعيمة من بين أدباء المهجر ، وقد كتب العقاد مقدمة كتابه « الغربال » فى طبعته الأولى عام ١٩٢٣ ، وقد ظهر بعد ظهور « الديوان» للعقادوالمازنى بعامين ، ويعد « الغربال » من أهم كتب النقد المعاصر ذات الأثر فى توجيه الشعر المهجرى خاصة والعربى عامة ، وفى تقديم العقاد لهذا الكتاب ثناء على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد .

كما تأثر المهجريون بشعراء مدرسة أبولو ، وأثروا فيهم أيضا،وبالأدباء العرب الكبار من مدرسة الكلاسيكية الجديدة ومن بينهم شوقى وحافظ ومحرم والزهاوى والرصافى ، والمنفلوطى وطه حسين وغيرهم .

وكان للخيام والمعرى تأثير كبير فى شاعريتهم وشعرهم .

وقد عارض الكثير من شعراء المهجر قصائد عربية قديمة وحديثة ، ونزعوا نحو المعارضة والاحتذاء والتقليد فى كثير من شعرهم ، كما فعل رشيد أيوب (١) فى معارضته لقصيدة الحصرى الدالية المشهورة :

يا ليل الصب متى غده　　أقيام الساعة موعده

التى عارضها كذلك مسعود سماحة (٢) ، وكما فعل محبوب الشرتونى فى قصيدته

---

(١) ص ١٩ ديوان الأيوبيات نيويورك ١٩١٦ م .

(٢) ص ١٨٣ ديوان مسعود سماحة طبعة نيويوك ١٩٣٨ م .

فى وصف الحمى التى عارض بها قصيدة المتنبى المشهورة فى وصف الحمى :

ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

ويتحسر إلياس فرحات لضعف اللغة فى لسان أبناء المهاجرين فيقول [١] :

وصلتنا بذوينا لغـــة لم تصلنا ببنينا الظرفاء

— ٢ —

واستظهر المهجريون الثقافات الأجنبية ، وأحاطوا بدقائقها وخاصة الثقافة الأمريكية ؛ وألموا باللغتين الإنكليزية والأسبانية فوق لغتهم العربية ، ولقد كان حظ شعراء المهجر من الانتفاع بالشعر الأمريكى غير قليل ؛ إلا أن شعرهم فى هذه الناحية يكاد يكون إلى الترجمة الخالصة أقرب منه إلى التوليد والتجديد .. وإذا كان لهم فكر ذاتى مستقل فى بعض الأحيان ، إلا أنهم غلب عليهم ـ كما يقول عزيز أباظة فى مقدمة كتاب « الشعر العربى فى المهجر » ـ تصوير الأفكار الشائعة ، والمعانى العامة ، والآراء التى لايصعب على شاعر الاهتداء إليها [٢] ويكاد يكون كلام محمد عبد الغنى حسن ردا على ذلك ، حيث يؤكد اهتمام المهجريين بالتجديد فى المعانى [٣] ، ويقول إن « المعانى » استهوت شعراء المهجر [٤] .

وكانت فلسفة شعراء المهجر أمشاجا من فلسفة الشرق والغرب [٥] ، حتى ليقول أبو ماضى :

---

(١) ص ١٩٩ ديوان فرحات

(٢) راجع ص ١٤ الشعر العربى فى المهجر ـ من مقدمة عزيز أباظة .

(٣) ص ٨٧ المرجع نفسه .

(٤) ص ٨٦ المرجع .

(٥) ص ٦٢ الشعر العربى فى المهجر .

أنا في نيــويورك بالجسم وبا
لروح في الشرق على تلك الهضاب
أنا في الغوطة زهر وندى أنا في لبنان نجوى وتصابي

هنا وقف الشعراء المهجريون بين روح الشرق والغرب موقف المؤمن بتراثه ، المعتز أيضا بما يعتز به الغرب من قيم ومثل ، وكانوا مظهرا واضحا لالتقاء الشرق بالغرب ، وجسرا عبرت عليه روح الغرب إلى الشرق .

وقد أخذ المهجريون من الشعوب الجديدة الذين هاجروا إليهم،وأقاموا بينهم ، الكثير من معانى الحرية والدعوة إلى الإخاء والمساواة ، وقصيدة « الطين » لأبى ماضى رمز جليل لهذه المعانى الإنسانية ، كما تأثروا بهم فى الدعوة إلى الأخوة الإنسانيــة فى الدين ، وتأثروا بشعراء الغرب فى الهيام بالطبيعة .

— ٣ —

ولقد وقف بعض المهجريين من القديم والجديد موقفا وسطا ، أخذوا من القديم ، وأخذوا من الجديد ، وتوسطوا فى الأمر بين التجديدوالتقليد، فلهم كلاسيكية جديدة تشبه كلاسيكية حافظ وشوقى ومحرم والزهاوى وبشارة الخورى ؛ ولهم رومانسية حالمة مجددة ، ورمزية ، وسريالية ، تنزع نحو شعراء الرومانسية والرمزية والسريالية فى الآداب الأوربية والأدب العربى المعاصر ، والمذهب الأدبى الغالب عليهم هو الرومانسة .

ولقد لقيت الثورة على القديم البالى إجماعا أو مايشبهه بين العرب فى أمريكا الشمالية ، وتوزعت آراء الشعراء المهجريين فى الجنوب بين التجديد والتقليد ، وكان قيام الرابطة القلمية مظهرا من مظاهر الاستجابة للدعوة التجديدية الجديدة . بينما وقفت العصبة الأندلسية موقف المحافظ المعتدل المتطلع ببصره تارة نحو القديم ، وأخرى نحو الجديد ، ويمثل الرأى المحافظ

فى العصبة الأندلسية أمثال جورج صيدح وإلياس فرحات والشاعر القروى، بينما يمثل رأى المؤمنين بالجديد المتمردين على القديم أمثال فوزى المعلوف فى البرازيل وجورج صوايا فى بوينس ايرس بالأرجنتين ، الذى دعا إلى ترك التقليد ، وإلى مجاراة الآداب الغربية حيث يقول :

جار الافرنج بما بلغـــو ه من الدرجات الوصفية
وأهمـــل عادات قد رثت لعراقتهـا فى القدميـــة [1]

ويقول نعمة قازان فى الدعوة إلى مذهبه فى التحرر اللغوى والبيانى ، وفى اتخاذه جبران رائدا له وإماما ، ينهج نهجه فى نظم القريض :

فقلتم : يقول النحاة ، فقلت لقد كان ذلك فى البصرة
أقاس النحاة حدود الزمان ومرمى خيـالى وعقليتى
لقـد حددوها لأفـــكارهم فضاقت وزمت على فكرتى
فقلتم : يقول الكسائى ، فقلت وجبران قال على صحة

ويتحدث العقاد عن مدرسة العصبة الأندلسية الممثلة فى شعراء المهجر الجنوبى ، وعن خصائصها اللغوية فيقول [2] :

أطلق أدباء المهجر الجنوبى على ألفتهم «العصبة الأندلسية» بحق ودراية، لأن «الأندلسية» القديمة هى النسخة الوحيدة التى سبقت نسخة العصبة الأندلسية الجديدة فى تاريخ اللغة العربية على هذا الطراز ؛ ففى الأندلس وحدها عرفنا الأفذاذ من كبار الشعراء كابن هانى وابن زيدون وابن خفاجة وابن حمديس ،

---

(١) ٢٥ ديوان همس الشاعر لجورج صوايا ـ الأرجنتين بوينس ايرس .
(٢) مجلة قافلة الزيت ١٩٦٤ ، ومجلة حمص البرازيلية التى تصدر بالعربية عدد مارس ١٩٦٤ م .

كما عرفنا غيرهم عشرات من هذه الطبقة ، ولكننا لم نعرف منهم على فحولتهم فارقاً فى أسلوب التعبير ولا فى جرس اللغة يتيسر للقارىء أن يلمحه من النظرة الأولى، فليس بينهم ذلك الفارق الذى نلمحه فى عصر واحد بين أساليب أبى تمام والبحترى وابن الرومى ، أو بين أساليب بشار وأبى العتاهية وأبى نواس ، أو بين البارودى وصبرى وشوقى وحافظ ومطران فى العصر الحديث .

كلا ! ليس هناك ألسنة أفراد يختلفون ، بل ليس هناك غير لسان القومية الواحدة ينطق ببديهة واحدة ولا يسمح « للشخصية » على قوتها أن تتغلب عليه بسمة من سماتها المستقلة ، وإن كانت « الشخصية الفذة » تنصف نفسها كما تشاء فى ماعدا اللغة والأسلوب ، تنصف نفسها فى ما تتميز به الشخصيات القوية من مزايا الأخلاق والضمائر وأسرار البداءة والعبقريات؛ ولقد تميز ابن زيدون وابن حمديس وابن خفاجة بالشىء الكثير من خصائص الفكر والذوق والإلهام .

وهكذا يتميز شعراء المهجر الجنوبيون بجملة من مزايا الفن والذوق والبصيرة تحيط بآفاق من الشعر الجيد الأصيل ، لا تقل عن تلك الآفاق التى سبح فيها أسلافهم الأندلسيون الأولون؛ يكاد أسلوب النظم أن يكون أسلوب شاعر واحد فى فترة واحدة من الزمن ، ولكنك تترجمهم إلى لغة أخرى ، أو تقرؤهم بلسان المعنى دون لسان اللفظ ، فلا تخطىء بينهم تلك الفوارق التى تفصل بين عشرات من الشعراء بملامح الفكر والسليقة .

ففى ديوان الشاعر القروى ملامح من صور الطبيعة تغلب على صور البيت والمجتمع ، ولا يبدو فيها البيت والمجتمع إلا كما تبدو فصيلة من الأحياء يسمعون بالآدميين ، ثم لا تعرف لهم قانوناً ولا شريعة غير قانون الفردوس على المحبة ، أو قانون الغاب على البغضاء والعدوان ، وكلاهما قانون زرع وماء حياة .

وفى دواوين إلياس فرحات يظهر آدم من وراء ذلك الفردوس ولكنه آدم الذى عرف إبليس فى لعبة بعد لعبة ، فتعلم منه السخرية الضاحكة ، ثم جرد تلك السخرية من أشواك الكيد والخبث ، ومن عواقب الندم والحسرة ؛ وفى « عبقر » لشفيق معلوف تمتد الهجرة من عالم الإنس إلى وادى الجن ، ومن جوف الواقع إلى أطراف الخيال ، وتقترب العدوة بين هذه البحور المتباعدة ، حتى لينسى نزيل «عبقر» أين هو من رحلات البر والبحر ، ويخيل إليه فى لحظة بعد لحظة أنه لم يبرح زحلة لبنان أوسان باولو البرازيل ، ويوشك المعلوفيون أن يكونوا جميعاً أخوة فى لحمة الأدب كأخوتهم فى لحمة النسب ، بين يدى سليمان وهو يحبس الجن فى القماقم ، أو ينطلق على بساط الريح .

وتقرأ « جورج صيدح » فلا تفوتك فيه أشواق الطبيعة التى تعهدها فى دواوين زملائه ، ولكنك لاتتمثله فى صورة من الصور إلا رأيت فى ظهارة الصورة أبراج المدينة ومداخن المصنع ومعالم الأسوار ؛ ومعظم الشعراء من المهاجرين أزواج وآباء ، ولكنك لاتتمثل القنصلين ـ إلياس وزكى ـ إلا تمثلت زوجاً يمشى مع زوجة ، ووالداً يحنو على طفل فى يمينه أو بين ذراعيه .

وتتراءى ألوان من هذه الملامح فى كثير من شعراء العصبة الأندلسية لانحصيهم هنا ولا تتيسر لنا مراجعتهم فى هذا المقام ، ولكنهم جميعاً يتلاقون فى تمثال واحد شامخ الهامة مكين القدمين ؛ نسميه تمثال « العصبية اللغوية » أو القومية ، التى تلخصت فى كلمة واحدة هى كلمة « العربية » ، ونهضت برسالة فى تاريخ الأدب العربى لاتشبهها رسالة فى جميع أدوار هذا التاريخ .

وتحسب أن مدرسة العصبة الأندلسية تنفرد بهذه الخاصة التى تعد للوهلة الأولى من النقائض ، ثم يزول عنها كل وصف من أوصاف التناقض

متى رجعنا إلى القوة الخارقة التى اجتمعت فى حنين المهاجرين إلى اللغة ، فصنعت ماتصنعه القوة الخارقة من المعجزات : تلك الخاصة التى انفردت بها العصبة الأندلسية هى فرط المحافظة وفرط التجديد فى وقت واحد .

فالمهجريون الجنوبيون لم يقبلوا قط دعوة من دعوات الهدم باسم التجديد فى قواعد اللغة أو قواعد العروض أو قواعد الآداب السلفية فى جملتها ، وقد أعرضوا عن كل دعوة من هذا القبيل وساعدهم على الإعراض عنها أنها جاءت من مبدئها ضعيفة هزيلة لاتقنع أحداً بالاصغاء إليها ، فكان الداعون إلى إهمال قواعد العروض أو قواعد النحو أصحاب مذهب قديم ليس أقدم منه ولا أسهل على الجاهل والعاجز ومن لايحسن الأداء بالكلام الموزون أو الكلام المنثور ولا التعبير باللهجة الفصحى أو اللهجة العامية ، وذلك المذهب القديم العتيق هو العجز عن الفصاحة والقدرة على الركاكة ، أو العجز عن الصواب والقدرة على الخطأ ، وليس هذا مذهباً يقنع أحداً بالتجديد أو يترك القديم ، لأنه هو بذاته أقدم من أقدم الأقدمين .

وعلى هذه المحافظة فى وجه كل دعوة من دعوات الهدم أثبت المهجريون الجنوبيون أنهم أقدر من المجددين المزعومين على استخدام أوزان الموشحة وأوزان الرباعية والمقطوعة فى ضروب النظم الغنائى وضروب النظم الملحمى على اختلاف الموضوعات .

وقد ذهب المهجريون المحافظون أشواطاً وراء أشواط المجددين المزعومين ، فليس من هؤلاء المحافظين من لم يكن له مذهب مستقل فى العقيدة الإلهية أو السماحة الدينية ، وليس منهم من أحجم عن رأى حديث من آراء العلم الاجتماعى جموداً على القديم ، إشفاقاً من تكاليف الحرية الفكرية ، بل كان منهم أناس تطرفوا فى اتباع هذه الآراء عند ظهورها وذهبوا معها إلى غاية مداها ، ولم يعدلوا عنها متقيدين بقيود المحافظة العمياء ، بل عدلوا عنها لأنهم

عرفوها وحققوها خيراً من معرفة الجامدين عليها والمتعصبين لها ، جرياً على سنن التقليد والمحاكاة ، وإذا وقف الفريقان معاً موقف المناجزة بالحرية والقدرة ، فلن يستطيع المجددون المزعومون أن يتهموا أشد المحافظين حفاظاً على عقيدته بالتخلف فى ميدان الحرية والإقدام على سلطة مرهوبة فى وطنه الأصيل أو وطنه الحديث ، ولكن المحافظ « المزعوم » يستطيع بغير مشقة أن ينكر عليه حرية السماحة الفكرية كما يستطيع أن ينكر عليه قدرته على تصحيح الأسلوب ويسجل عليه خلو الجديد الذى يدعو إليه من كل قدرة يحاولها من يريد .

وبهذه الخاصة « المنفردة » فى تاريخ الآداب العربيـــة يتميز الأدب المهجرى فى الجنوب ، ويتفرد المحافظون من شعرائهم بهذه « الشخصية » الشاملة التى انطوت فيها جميع « الشخصيات » بين أطواء العبقرية العربية ، والتى برزت من ورائها ألوان من ملامح الروح والسليقة يعتز بها وطاب الثروة الأدبية فى كل عهد من العهود .

والعقاد يعنى هنا بالمجددين فيما أظن مدرسة الرابطة القلمية وأدباء وشعراء المهجر الشمالى ، فهم قد نحوا فى الأغلب الأعم من الأمر نحو التجديد ، إيماناً منهم به ، ومسايرة لعصرهم وبيئتهم الجديدة ، وأعلنوا فى قانون الرابطة القلمية ، أنهم مع حركات التجديد فى الأدب والشعر العربى ، فقد جهروا بأن هذه الروح الجديدة التى ترمى إلى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى لحرية فى نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة » .

وكان نعيمة يندد فى مقالاته بجمود اللغة العربية وانصراف كتابها وشعرائها إلى التقليد ، وكان ينفر من جمود أدباء العربية وتقليدهم للآداب القديمة .

بينما انقسم أدباء وشعراء المهجر الجنوبى طائفتين : طائفة تدعو إلى التجديد، وقطع صلتها بالقديم ، وطائفة تقف موقف الاعتدال بين التجديد والتقليد ؛ ومن الطائفة الأولى فوزى المعلوف الذى يقول :

خل البداوة رمحها وحسامها والجاهلية نوقها وخيامها

فيعارضه إلياس فرحات[1] بقصيدة يقول منها :

حى البداوة نوقها وخيامها والجاهلية رمحها وحسامها
حيتك أشباح القديم وسلمت فمن العدالة أن ترد سلامها

ويقول إلياس فرحات كذلك فى النعى على المتمردين على قديمهم الموروث:

أصحابنا المتمردون خيالهم تقضى[2] قريش به ، وتحيا حمير
لغة مشوهة ومعنى حائر خلف المجاز ومنطق متعثر
وزعيمهم فى زعمهم متفنن عجباً أكان الفن فيما يضمر
لا الأرض تفهم مايصوره لها ذاك الزعيم[3] ولا السماء تفسر

وكان جبران وزملاؤه فى الرابطة القلمية يمتلىء وفاضهم بالأفكار الغنية والمعانى الحافلة ، ويستندون إلى ثقافة فكرية واسعة الرحاب[4] .

وهكذا كان أكثر أدباء المهجر الشمالى فى الولايات المتحدة ، ولهم من بعد الأثر ، وسعة الأفق ، وضخامة النشاط ، والانطلاق نحو التجديد والتحرر ، مالم يعرف لسواهم من المهجريين . أما أدباء المهجر الجنوبى

---

(١) ص ٢٥٥ ديوان فرحات - سان باولو ١٩٣٢ م .
(٢) تقضى من القضاء ، وهو الموت والفناء فى أحد معانيه .
(٣) يريد من قوله «أصحابنا» شعراء الرابطة القلمية ، ومن قوله « زعيمهم : جبران رئيس هذه الرابطة .
(٤) راجع ص ٩٠ الشعر العربى فى المهجر .

فأكثرهم يميلون إلى المحافظة على عمود الشعر والبلاغة العربية ، وأكثرهم موزعون بين البرازيل والأرجنتين .

وضرب أدباء المهجر الشمالى فى أكثر الفنون الأدبية شعرا ونثرا ، قصة ورواية وفلسفة وتأملات ونقدا ، أما أدباء المهجر الجنوبى ، فقد كان تفوقهم الأكبر فى مجال الشعر ، وإن كان لهم فى مجال النثر آثار فى مقدمتها : « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية » لصيدح ، وثورة قازان لمحمود الشريف ، « ونبى أورفليس » و « والمنقار الأحمر » لشكر الله الجر ، و « ذكرى الهجرة » لتوفيق ضعون ، و « من المهد إلى اللحد » لأنطون شكور[1] .

ومع مابين الشعراء المهجريين فى الشمال والجنوب من فوارق ، فقد جمعت بينهم الغربة والبيئة الجديدة وقرابة الفكر ، فالتقوا جميعاً على صعيد الإنسانية الفسيحة ، ومثلها العالية ، إخوانا متحابين .

— ٤ —

ويقول عزيز أباظة[2] : « إن الأدب المهجرى لم يتبلور بعد ، ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم ، بحيث يفرد له أثر بعيد المدى فى تطور الأدب العربى المعاصر ، وشعراء المهجر لم يفتحوا آفاقا جديدة فى الفن عجز عن الصعود إليها إخوانهم فى لبنان ، وموقف الشعر المهجرى من الشعر العربى فى هذه الفترة كموقف أدباء أمريكا من اللغة الإنجليزية » .

ويكاد يرد عليه محمد عبد الغنى حسن فى قولك : إن أجمل مزايا العرب المهاجرين فى العالم الجديد أنهم استطاعوا أن يحتفظوا بشخصيتهم العربية

---

(١) راجع ص ١٧ الأدب المهجرى للناعورى .
(٢) ص ١٨ الشعر العربى فى المهجر .

التى تعبر عنها لغتهم العربية أصدق تعبير ، وأنهم استطاعوا أن يبقوا للغة عدنان كيانا قائماً واضح المعالم ، على الرغم مما أدخلوه عليها ، ونقلوه إليها ، من غرائب العرب ، فى الاستعارات والمجازات والتشبيهات وغريب الخيال .

— ٥ —

هاجرت إلى أرض العالم الجديد كوكبة من الشعراء والأدباء والكتاب ، فحلقت فى أجواء لم يخفق فيها جناح عربى ، ولم تلهها انفعالات الحياة الجديدة عن الحنين إلى الوطن والتغنى بمهد الأحلام ومرتع الصبا ، وملعب الشباب ، ومسرح الذكريات ، ففاض شعر المهجريين بالحنان والحنين ، واللوعة والذكرى والأنين ، يتذكر إيليا أبو ماضى وطنه لبنان ، فيذكره على أنه السماء :

فإن لبنان ليس طودا ولا بلادا لكن سماء[1]

ويقول :

الأرض ، سوريا أحب ربوعها عندى ، ولبنان أحب جبالها

ويقول نسيب عريضة فى الحنين إلى « حمص » مسقط رأسه :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عدبى إلى حمص ولو حشو الكفن واهتف أتيت بعاثر مردود

ويقول محبوب الخورى الشرتونى :

قالوا الشآم فقلت رؤية وجهها كنز ولثم ترابها أنغام
وطن لنا ذكراه نفحة عنبر وحديث عودتنا إليه مدام

---

(١) راجع ص ١١١ الشعر العربى فى المهجر ـ من مقدمة عزيز أباظة ـ ويلاحظ أن البيت مكسور الوزن لأنه من مخلع البسيط : مستفعلن مستفعلن فعولن مرتين ، فالشطر الأول صحيح ، والثانى غير مستقيم الوزن .

ويقول رياض المعلوف[1] :

هل ياترى نعود إليك يالبنان
فتصدق الوعود ويسمح الزمان

ويقول الشاعر القروى من قصيدته « أنشودة الغريب » :

حتام أحيا غريب مالى وطن
ياديوم وصل الحبيب أنت الزمن
هيهات غير الحمى مالى دوا
لبنان نعم الطبيب للممتحن
إن كنت منه قريب زال الحزن[2]

وأكثر شعراء المهجر من التأملات والتساؤل عن سر الحياة وكثير فى شعرهم الأنين والحنين ، والحيرة والشك ، والألم والأمل ، حتى ليكاد يكون ذلك من أهم خصائصه .

ومع اقتباس المهجريين من معانى القدماء ، مثل أبى ماضى فى بعض معانيه.. حيث يقول الشاعر العربى المعروف أبو العتاهية :

وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فيقول أبو ماضى :

يعظ النابغ الخلائق حيا إنما موته أجل عظاته

فقد افتن المهجريون فى توليد المعانى الطريفة وإلباسها ثوباً من الفن البيانى ، المتجسم فى المجازات والاستعارات والتشبيهات ، وقد ابتكروا

---

(١) ديوان خيالات لرياض المعلوف ـ سان باولو ـ البرازيل ١٩٤٥م .
(٢) راجع مجلة الأديب اللبنانية عدد نوفمبر ١٩٦٤ من مقال لوديع ديب عن «الوطن الام عند شعرائه المغتربين» .

الكثير من هذه المعانى التى كان لبيئاتهم ولثقافاتهم الجديدة أثر فى اهتدائهم إليها .. فيقول فرحات :

كل من راقب الظلام ظن عينيه كوكبين تائهين

ويقول شفيق معلوف فى وصف عين الشيطان :

كأنما محجرها كوة يطل منها الزمن الغابر

ويقول أبو ماضى :

فإذا رآنى ذو الغباوة دونه فكما يرى فى الماء ظل الكوكب[1]

— ٦ —

وقد نظم المهجريون القصة الشعرية ، وأوضح مثل لذلك شاعرنا إيليا أبو ماضى ، ومن مثل القصص الشعرى فى شعره قصيدته « الشاعر والسلطان الجائر » ، ولفرحات قصة شعرية بعنوان « كل حر فى دولة الظلم جان » ، وله قصة شعرية أخرى عنوانها « الشهيدان » ؛ ولرشيد أيوب قصة شعرية بعنوان « الشيخ والفتاة » ، وأخرى بعنوان « ابنة الكوخ » ؛ وله قصيدة بعنوان « حلم فى المريخ » ... وغير ذلك من القصص الشعرى فى أدب المهجر .

ونظم الشعراء المهجريون كذلك كثيرا من الأساطير والخرافات والحكايات التى احتذوا فيها حذو « لافونتين » و « إيسوب » .

وكثر فى شعرهم الرحلات الخيالية إلى السماء أو إلى السماء أو إلى العالم الآخر ، كما نجد فى ملحمة « على بساط الريح » لفوزى المعلوف ، وفى « ملحمة عبقر » لشفيق المعلوف التى صور فيها الشاعر نفسه فى رحلة ركب فيها شيطاناً ميمما وجهه شطر وادى عبقر المسحور .

(١) راجع ص ٦١ الشعر العربى فى المهجر .

وهم فى ذلك متأثرون برسالة الغفران للمعرى والكوميديا الإلهية لدانتى، و« شاطىء الأعراف » للهمشرى ، و «ترجمة شيطان » للعقاد ، و« وثورة فى الجحيم » للزهاوى ، وبالقصص الشعرى الذى أكثر من النظم فيه شوقى وحافظ إبراهيم والرصافى وأبو شبكة وخليل مطران وشبلى الملاط وخليل شيبوب ، وبشارة الخورى ، وخير الدين الزركلى ، وسواهم .

وأخيرا فإن الشعر المهجرى ، يمتاز بأنه شعر الفطرة والموهبة والحياة ، وشعر التجديد فى الصياغة والفكرة والموضوع والخيال ، وهو يتسم بالأصالة والتجديد وبراعة التوليد فى الصياغة والموضوعات .

ولكل شاعر من شعراء المهجر مايميزه عن غيره لجبران خليل جبران مفكر فنان. .وميخائيل نعيمة فيلسوف روحى وأديب اجتماعى ، وإيليا أبو ماضى متفائل محب للحياة ، ورشيد أيوب هو الدرويش الشاكى الحزين ، ونسيب عريضة يمثل الصوفية الحائرة ، وندرة حداد يتميز بطابع الإنسان المطمئن الراضى بما قسمته له الحياة .

القِسمُ الثاني

موضوعات الشعر المهجرى

– ١ –

ظهرت عدة نزعات فى الشعر المهجرى ترجع فيما ترجع إلى فنونه وأغراضه من ناحية، وإلى خصائصه الموضوعية من ناحية أخرى، ويمكننا أن نعد من خصائص الأدب المهجرى وطوابعه هذه مايلى :

١ ــ الطابع العاطفى الذى يتجلى فى رقة فى العاطفة مابعدها من رقة، حيث الشوق والحنين إلى الوطن البعيد فى نغمات مؤثرة حزينة، يقول أبو ماضى :

الأرض، سوريا أحب ربوعها عهدى، ولبنان أعز جبالها
تشتاق عينى قبل يغمضها الردى لو انها اكتحلت ولو برمالها

٢ ــ الطابع الصوفى، ويتجلى فى حبهم للطبيعة واندماجهم فيها، وفى وصف جمالها، يقول الشاعر القروى :

من لنفس تود لو تغمر الكون، هياما بحسنه المعبود
مثلوا لى هذا الوجود بشىء أنا لاأستطيع ضم الوجود

٣ ــ الطابع التأملى الفكرى ومن مثل هذا مافى قصيدة إيليا أبى ماضى «الطلاسم» من شعر تأملى عميق كقوله :

لى ذات غـــير أنى لست أدرى ماهيه
فمتى تعرف ذاتى كنه ذاتى ـ لست أدرى
إننى جئت وأمضى وأنا لا أعـــلم
أنا لغز وذهـابى كمجيئى طلسم
والذى أوجد هـذا اللغز سر مبهم
لاتجادل، ذو الحجى من قال إنى لست أدرى

٤ — الطابع القومى ، ويبدو فى وطنيات أبى شادى والشاعر القروى .

٥ — الطابع الإنسانى ، ويبدو فى مثل قول إلياس فرحات :

ربة الحكمة إنى شاعر　　يعشق الحكمة مذكان صبيا
لاتخالينى لصيقاً بالثرى　　لاتمس الأرض إلا قدميا
إن فى الإنسان من فطرته　　للثرى شيئا وشيئا للثريا

ومن شعر القروى فى هذا الجانب :

أنت حر فاستوطن البلد الحر　　وصاحب من أهله إخوانا
مثلك الكون والزمان فلا تلح　　مكانا ولا تذم زمانا
ليس فى قضمك الحديد هوان　　إن فى بثك الشكاة هوانا
بسمة تظهر الفقير غنيا　　دمعة تمسح الشجاع جبانا
فتلقَّ الحياة بالبشر فالعيش　　نعيم إن لم تكن شيطانا
كن إله النضار إنك عندى　　لست شيئا مالم تكن إنسانا
أشبع العقل حكمة واختبارا　　واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الأرض والسماء وهل يد　　عى فقيرا من يملك الأكوانا ؟!

ومن مثل هذا الجانب الإنسانى فى شعر المهجريين قصيدة ميخائيل نعيمة التى يقول فى مطلعها :

كحل اللهم عينى　　بشعاع من ضياك ، كى تراك

ويقول فيها :

واجعل اللهم قلبى　　واحة تسقى القريب ، والغريب

— ٢ —

أما فنون الشعر المهجرى ، فلقد نظم المهجريون الشعر فى كل غرض ، وجالوا فيه فى كل واد :

١ — نظموه فى الحرية التى شعروا بحقيقتها فى العالم الجديد .. يقول

الدكتور أحمد زكى أبو شادى وهو يستقبل العالم الجديد عندما هاجر إليه من مصر عام ١٩٤٦ م :

أمانا أيها الوطن السعيد   لقد دفن الردى ومضى الوعيد
فأمسى مـأتم لفراق أهلى   ويومى الحر فى نجواك عيد
عرفتك ملجأ الأحرار دوما   إذا ماحورب الحر الشريد

٢ — ونظموه فى الحنين إلى الوطن الذى فارقوه[1] ، يقول رياض المعلوف :

هل ياترى نعود   إليك يا لبنان
فتصدق الوعود   ويسمح الزمان
فبـلدى المهجور   وكوخى الأخضر
أحلى من القصور   والذهب الأصفر
هل ياترى نعود   إليك يالبنان

ويقول القروى :

نسيان أمى يالبنان أهون من   نسيان حبك عندى أو تناسيه

ويقول رشيد أيوب :

أعلل نفسى إن سئمت بعودة   ولـكنها الأيام تبا لها تبا
فلله هاتيـك الربا وربوعها   فانى قد ضيعت فى تربها القلبا
وياحبذا ذاك النسيم فإننى   لينعشنى ذاك النسيم الذى هبا

٣ — ونظموه فى الافتخار بالشرق والعرب ، يقول إلياس فرحات :

(١) راجع مقال « الوطن الأم عند شعرائه المغتربين - وديع ديب » الأديب عدد نوفمبر ١٩٦٥ م .

موطنى منبت الرماح وقومى　　　موردوها الأضلاع والأصلابا
وهم الضاربون فى كل صقع　　　للمعالى وللمعانى قبابا

٤ — ونظموه فى الابتهال إلى الله وفى تقديس أنبيائه ، يقول نسيب عريضة من قصيدته « صلاة » :

أيامن سناه اختفى　　　وراء حدود البشر
نسيتك يوم الصفا　　　فلا تنسنى فى الكدر
أيا غافراً راحما　　　يرى ذل أمسى وغداً
معاذك أن تنقما　　　وحلمك ملء الأبد
مراعيك خضر المنى　　　هى المشتهى سيدى
وجسمى دهاه العنا　　　حنانيك خذ بيدى

٥ — ونظموه فى الكفاح فى سبيل الحياة . . يقول نسيب عريضة :

يا أخى يارفيق عزمى وضعفى　　　سر نكابد ، إن الشجاع المكابد
فإذا ما عييت تسند ضعفى　　　وأنا بعـــد ذا لضعفك ساند
سر تقدم لكى نخط طريقاً　　　لأباة الهوان عند الشدائد
فلنسر فى الظلام فى القفر فى الوحشة فى الويل فى طريق المجاهد

٦ — ونظموه فى وصف الطبيعة يقول إيليا أبوماضى عندما وقف بفلوريدا يصفها قائلا :

سئلت ماراق نفسى من محاسنها　　　فقلت للناس : باديها وخافيها
وماحببت من الأشجار؟ قلت لهم　　　إنى افتتنت بكاسيها وعاريها
وماهويت من الأزهار ؟ قلت لهم　　　الحب عندى منميها وذاويها
قالوا : وما تتمنى ؟ قلت مبتدرا　　　ياليتنى طائر أو زهرة فيها

ويقول ميخائيل نعيمة يصف الغاب وأشجاره وأطياره :

أشجار الغاب تحيينا　　　وطيور الغاب تناجينا

وزهور الغاب تصافحنا ونصافحها وتهنينا

٧ — الحيرة والتساؤل والتأمل ، وهو فن ضخم من فنون الشعر المهجرى ، يقول إيليا أبو ماضى من قصيدته « الطلاسم » يتساءل عن نشأة الحياة وسر الوجود ولغز الموت ومعجزة الفناء :

جئت لا أعلم من أين ، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قدامى طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى - لست أدرى

ويقول رشيد أيوب :

وجئت إلى البحر عند المسا وللموج عندى غرام شديد
فقلت بربك : ماذا عسى تقول ففسر معانى النشيد
فقال : أأنت عديم البصر فإنى أحيى مرور الزمان

ويقول أبو ماضى أيضا :

يريد الحب أن نضحك فلنضحك مع الفجر
وأن نركض فلنركض مع الجدول والنهر
وأن نهتف فلنهتف مع البلبل والقمرى
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجرى

٨ — ونظموه كذلك فى البكاء والألم ، يقول أبو شادى :

بكى الربيع طروبا فى مباهجه وقد بكيت أنا حبى وأوطانى
أنا الغريب وروحى شاركت بدنى
هذا العذاب بأشواقى وأحزانى
فيم العزاء ، ولا قلب ألوذ به ولا حنان يناجينى كتحنانى ؟

لى فى ثرى «مصر» دمع نائح ودم
أذيب من مهجتى اللهفى ونيرانى
تركته مثل غرس الحب ماذبلت أزهاره أو أغاثت روح لهفان
أشمها فى اغترابى حين تلذعنى
ذكرى الشباب وذكرى عمرى الفانى

ويقول إلياس فرحات :

ياعيد عدت وأدمعى منهلة والقلب بين صوارم ورماح
والصدر فارقه الرجاء فقد غدا وكأنه بيت بلا مصباح
يمشى الأسى فى داخلى متغلغلا بين العروق كمبضع الجراح

٩ — والقصة فى شعر الشعراء المهجريين فن من أهم فنون شعرهم ، القصة التى تتناول كل أحداث الحياة ، القصة الشعرية التى تصور كل مادق وجل من أمور الوجود .. والقصة الشعرية التى نظم فيها من شعراء المشرق : مطران والرصافى وحافظ إبراهيم وشوقى وإلياس أبو شبكه وخليل شيبوب وبشارة الخورى . . نظمها شعراء المهجر وصوروا فيها حيرتهم وتساؤلهم ، وألمهم وأملهم وبكاءهم وفرحهم . نظمها إلياس فرحات ورشيد أيوب وأبو شادى وإيليا أبو ماضى ، والشاعر القروى رشيد الخورى وفوزى المعلوف وشفيق المعلوف ، وقصيدة إيليا أبو ماضى «الشاعر والسلطان الجائر» مشهورة ، ويقول أبو ماضى فى قصيدته «الشاعر فى السماء» :

رآنى الله ذات يوم فى الأرض أبكى من الشقاء
فرق والله ذو حنان على ذوى الضر والعناء
وقال : ليس التراب داراً للشعر ، فارجع إلى السماء
وشاد فوق السماك بيتى ومد ملكى على الفضاء
فالتفت الشهب حول عرشى وسار فى طاعتى الضياء

وسرت لاينطوى صباح إلا بأمرى ولا مساء
لكننى لم أزل حزينا مكتئب الروح فى العلاء
فاستغرب الله كيف أشقى فى عالم الوحى والسناء
وقال : ما زال آدميا يصبو إلى الغيد والطلاء

إلى آخر هذه القصيدة الشعرية الطويلة :

والقصة الشعرية كثيرة فى دواوين الشعراء المهجريين، منهم إيليا أبو ماضى، وله قصص شعرية : كثيرة مثل الشاعر فى السماء ، والشاعر والأمة .

ولإلياس فرحات قصة شعرية بعنوان « أحلام الراعى » ، وقصة « الاحتجاج على مذهب داروين » مشهورة ، وكذلك قصته الراهبة .

ولصيدح قصة شعرية فى ديوانه « النوافل » عنوانها « العاصفة فى غابة بولون » نظمها فى باريس عام ١٩٢٦ م .

ومن القصص الشعرى : قصيدة الصياد ، وقصيدة « ليون وغرناطة » لميشال مغربى .

ولفوزى المعلوف قصته المشهورة : آدم وحواء .

ولنسيب عريضة مسرحية شعرية عنوانها : « احتضار أبى فراس » .

خصائص الشعر المهجرى

ميزة الشعر المهجرى فى تحرره التحرر الذى يشمل الموضـــوع والصياغة والروح :

فأما الموضوع : فجد منوع لأن الشعر الغربى فى العالم الجديد ، كان ولا يزال مشكاة وضاءة هادية لنقاد العرب ، وشعرائهم المغتربين . فألهم الأولين مقاييس جديدة فى النقد ، وألهم الآخرين الابتعاد عن التضييق والحصر ، ما دامت موضوعات الحياة - وهى لب الأدب ومنه الشعر - لاحصر لها ، ولو أن مبلغ تجاوب النقاد والشعراء مع الأدب الغربى فى المهجر متفاوت ، كما هو الحال فى الأقطار المختلفة .

وأما الصياغة فهى كذلك منوعة . وربما كان حظها من التنوع أكثر من حظ الموضوع .

وأما الروح فهى غالبا تقدمية .

ونعود إلى النظار فى هذه الأسس الثلاثة للشعر المهجرى :

فنجد عند البحث أن تنوع الموضوع قلما يخص شاعراً بالذات . . فنظم جبران فى جملته محصور فى الرمزيات التصوفية التى تفادت مجابهة مشكلات الحياة ، وقد يمثل أحيانا رأيا فلسفيا شائعا .

فاذا انتقلنا إلى الصياغة الشعرية فاننا نجد تحررا فى التعابير ، حتى ولو كان الأسلوب كلاسيكيا أو أندلسيا أو بين بين ، وهو فى الوقت ذاته متين اللغة وترى شعراء المهجر جريئين فى استعاراتهم ، حسنى التصرف فى أدواتهم البيانية من استعارة وتشبيه ومجاز الخ ، يعرفون قدر لغتهم ويحبونها ، ويرون من البر بها أن لايقفوا معها جامدين ، والشواهد على ذلك عديدة ،

لا فى الدواوين المطبوعة فحسب ، بل فى سواها من نشرات ومطبوعات ، وفى حلقات الأدب ، وفى الصحف المهجرية ، حتى لأدباء مجهولين . . ونذكر على سبيل المثال للشعر المهجرى المتحرر قصيدة « أنا ابن عقيدتى » وهى من نظم أبى شادى من الشعر المرسل الحر ، أى أنها تجمع بين الضربين فى صياغتها :

أنا ابن عقيدتى وسليل فكرى ولست بنبت أرض أو سماء (١)

وأما عن التحرر فى الروح فأظهر مايكون فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لأن الحرية فيها شاملة ، ولكل إنسان أن يعبر عن خوالجه كما يشاء ، وعلى هذا النحو أبدع المهجريون فى تصوير خوالجهم دون أى تحفظ وكانوا ألسنة للحرية وللكرامة الإنسانية ، ومن مثل ذلك قصيدة « أنا إن مت » للشاعر المهجرى الإنسانى ندرة حداد ، فهى دفاع حار عن النزاهة والحرية وكرامة الإنسان ، أى عن طابع الحياة الأمريكية الذى أعجب به ندرة حداد .

فالتحرر فى الشعر المهجرى يفوق فى جملته التحرر فى الشعر العربى فى أقطار كثيرة ، ومن ثمة كان جديرا بالدرس ، ليستفاد من قيمه الفكرية والروحية والبلاغية ، ومن نزعته الإنسانية الحسنة التوجيه ، والتى لاريب أنها تسهم فى صقل النفوس وفى تحرير الأذهان من قيود التقاليد البالية ، والدعايات الفاسدة .

وإذا تأملت مثلا فى ديوان الأيوبيات الصادر سنة ١٩١٦ وجدت رشيد أيوب على الرغم من رومانسيته الجديدة ، ومن الثقافة الفرنسية التى تغلغلت

---

(١) راجعها فى الجزء الثانى من رائد الشعر الحديث للمؤلف .

فيه حينئذ ، يعشق الواقعية ويبرزها فى أجمل رة وصفية ، استمع مثلا إلى هذه الأبيات من قصيدته الجامعة « نيويورك »[1] :

بنوها بروجاً خافقات بنودها ... على قمم باتت تعز على النسر
تضيء بها الأنوار ليلا ، كأنها ... تلوح لنا بين الكواكب والزهر
إذا لمحتها الشمس تبدو لناظر ... عرائس تجلى فى ثياب من التبر
وإن ضحك البرق الهتون مداعباً ... ذراها انثنى بين المخافة والذعر
تمر الرياح الهوج غضبى عواصفاً ... على كل برج شامخ باسم الثغر
كأن يد الأيام عنه قصيرة ... وطرف الليالى تاه فى المهمه القفر
كأنى بالصبواى[2] يوم تجمهرت
بها الناس خلت الناس فى موقف الحشر
تروح بها الكارات[3] ملأى خلائقا
وترجع فيها مثقلات إلى الجسر
وما ضرها والكهرباء تجرها ... وكم مثلها من فوقها قد غدت تجرى
عجبت لأرض كيف غصت بشعبها ... وما برحت تلقى التهافت بالبشر
فيحسد من فى الظهر من سار بطنها
ويحسد من فى البطن من سار فى الظهر
ونهر تمر القاطرات بجوفه ... يبيت خلى البال منشرح الصدر
حكى القبة الزرقاء تسرى بواخر ... عليه بأنوار كأفلاكها تسرى
إذا لعلع الرعد الهتون بجوها ... غضوبا أجابته البواخر فى النهر[4]
تخاف اصطداما فى دجاه ، كأنها ... تقول له: يارعد، لاتعتمد ضرى !

---

(١) ديوان « الأيوبيات » ص ٩
(٢) الصبواى : نفق للقطارات الكهربائية الجوفية .
(٣) الكارات : جمع الكار ، أى المركبات .
(٤) يريد نهر الهدسن غربى نيويورك حيث وقف الشاعر ينظم قصيدته .

فى هذا الشعر نجد حرية التركيب وحرية استعمال الألفاظ فى معان جديدة وهذا ما كان يصنعه جبران خليل جبران ذاته على الرغم من ولوعه بالشعر الجاهلى وحفظه الكثير منه ، لحب الابتكار والتحرر اللفظى والبيانى من الصفات التى يتسم بها الأدب الأمريكى المعاصر وكذلك الأدب العربى المهجرى ، وشعراء المهجر هم شعراء مبتدعون ، ومن صفوة شعراء المعانى ، فإذا ماشغل بعضهم باللعب بالألفاظ وبالرنين صار غريبا عنهم وصار شعره عجيبا بين شعرهم ؛ فهو هش براق ، منمنم ، كبير الحجم ، ولكنه قليل المادة ، وهذا الضرب من الشعر يفرح به فى المهجر ذوو التعليم السطحى أو عامة الجوالى العربية ، ويفرح به فى الشرق طلبة المدارس .

ولم يقطع الشعر المهجرى صلته بالشرق أو بالعروبة أو بالإسلام ، فجميعها مؤثرة عليه من النواحى العاطفية غالباً ، وهذه تشمل الوطن والسياسة والدين ، وتتجلى فى الموضوعات المعالجة ، ولعل رومانسية الشعر المهجرى مستوحاة فى بدايتها من الشرق ، من خليل مطران ، وكذلك الأساليب الكلاسيكية المجددة اتباعا لمدرسة البارودى ، ثم سرعان ما استقل شعراء الطليعة المهجريون بكل شىء تحت تأثير البيئة الأمريكية ، وأظهر مثل لذلك إيليا أبو ماضى فشعره الأول فى مصر وشعره المهجرى الأول غير شعره المهجرى الأخير ، بعد أن طال استيعابه لتيارات الفكر الأمريكى التى تلائم ذوقه وتعليمه ، ومع ذلك لايزال يؤثر الموسيقى على عمق المعانى ، خلافا لنسيب عريضة وميخائيل نعيمة مثلا ، استمع إلى هذه الأبيات من قصيدته التى نظمها على لسان (لبنان) يخاطب بها المهاجرين(١) .

يا شاعرى ! قل للألى هجرونى   أنا مانسيتكمو فلا تنسونى !

---

(١) ديوان الأرواح الحائرة ص ٨١

مابالكم طولتمو حبل النوى ياليت هذا الحبل غير متين
هل أنبتت (كالأرز) غيرى بقعة في مجده وجلاله الميمون
أرأيتمو فى ما رأيتم فتنة كالبدر حين يطل من (صنين) ؟
أو كالغزالة وهى تنفض تبرها
عند المغيب على ذرى (حرمون) ؟
أنتم ديون لى على (آميركا) ومن المروءة أن نرد ديونى
(لبنان) فيكم ماثل إن كنتمو
فى (مصر) أو فى (الهند) أو فى (الصين)

من حيث تجد نسيب عريضة لايرضى إلا التعمق ، فينشد بلسان (سورية) هذه الأمزوجة بموسيقاه الخاصة :

ياشاعر الأوطار خل الهيام !
قم حطم القيثار وانض الحسام !
واصنع من الأوتار
قوسا لأخذ الثار
واخلع قميص العار
والبس ردا الجبار !
ثاراتنا شتى عند الزمان
لا تمحى حتى تأبى الهوان
فما نزل عن الأقمار
لاترقب الأقدار
أشعل لدينا النار
واضرم بها الأفكار !

وتجد الشاعر نعمة الحاج تدفعه وطنيته إلى أن يقول فى قصيدته « بلادى » [1] :

أنبكى ؟ وما يجدى البكاء ، وإنه ... لشر سلاح يحمل المرء مرغما
سلاح ضعيف العزم ليس بنافع ... ليدفع غرما أو ليجلب مغنما
فلا قول إلا للحسام مجرداً ... ولا حق إلا للسنان مقوما
ويا حبذا يوم الجهاد . فانه ... ليطربنى فيه الرصاص مدمدما
أأبناء (سوريا) وهذا أوانكم ... لكى تظهروا للناس فى مظهر سما
أخاطبكم فى ذا المصاب ، وإننى ... لأكبر فيكم أن أخاطب نوما
كفانا اختلافا فى النوى ونكاية ... ألم تكفنا الأرزاء أن نتعلما ؟

فهذه القصيدة هى من القصائد الواقعية الكلاسيكية الأسلوب العصرية الروح ويتمثل فى الشعر المهجرى الاطلاع والتفكير والشعور والأداء والنقد ، فأما الاطلاع فقد بلغ شأواً كبيراً عند أمثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأمين الريحانى ونسيب عريضة ، ولذلك تجد تعمقا فى إنتاجهم نظما كان أم نثراً ، رغما عن اختلاف مناحيهم ، ولكنهم إجمالا أحفل من سواهم بالحياة ورسالتها ، وكان كلا منهم يبشر بها . وهذا التعليق بالمثالية نادر بين المشارقة العرب ، فماأقل أمثال حافظ إبراهيم وجميل صدقى الزهاوى وأبى القاسم الشابى وأحمد محرم . وقد نجد بين الشعراء المهجريين الذين لايعنون بالاطلاع ، أى المحدودى الثقافة والمعروفين بالسطحية فى الآراء ، وكل بضاعتهم الخيال والرنين وما إليهما مما يرضى الجمهور المحدود الثقافة وأصحاب الأقلام الهزيلة من النقاد المتطفلين . . وأما التفكير فمجاله فى الأدب المهجرى فسيح بفضل الحرية الشاملة . وهو تفكير حضارى تمتد جذوره إلى صميم المدنية الأمريكية وتمتد فروعه إلى جميع نواحى

---

(١) ديوان نعمة الحاج ، ج ١ ص ١٠٠

الحياة ، وتشمل الشعر كما تشمل القصة والمسرحية والمقالة والخطبة والبحث الاجتماعي وغيرها . وقد يتلون هذا التفكير بالنزعة الدينية التصوفية كما نقرأ في قصيدة « سر معي » لندرة حداد (١) :

يا أخي الساعي لنيل المجد خفف عنك جمحك
أنت لا ترضى سوى نفسك إن أحرزت فتحك
سر معي في الأرض تنس المال والجاه وطمحك
أنا راض بالعصا ، يا أيها الحامل رمحك
وسأرضى خبزك الأسود في الحب وملحك
وسأنسى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك
وأرى ليلك ليلي ، وأرى صبحي صبحك
وإذا أخطأت نحوي فأنا الطالب صفحك !

ويلاحظ أن تفكير الشاعر المهاجر بل الأديب المهاجر عامة تفكير مزدوج - فشطر منه يخص مهجره ، والشطر الآخر يخص وطنه الأصلي ، وهو يوحد بينهما . فمن جهة نراه يستوعب مسائل محيطه الراقي ويتفاعل معها تفاعلا واقعيا وعاطفيا معا ، غانما بذلك أي غنم ، ومغنيا أدبنا المعاصر الذي يتلقى تفكيره ، ومن جهة أخرى نراه على البعد لا يكتفي بحنينه الجياش إلى وطنه الأصلي بل يسهم في معالجة مشاكل ذلك الوطن ، وقد يكون على البعد المكافح الرائد وحامل علم الثورة . استمع إلى هذه الأبيات من قصيدة « حكاية مهاجر سوري » (٢) لنسيب عريضة :

غريبا من بلاد الشرق جئت ... بعيدا عن حمى الأحباب عشت
تخذت (أميركا) وطنا عزيزا ... فكانت لي كأحسن ما اتخذت

(١) ديوان أوراق الخريف ص ١٧
(٢) ديوان الأرواح الحائرة لنسيب عريضة ، ص ٢٦٧

أتاها للغنى غيرى ، وإنى   كما جاؤوا مع الإقدام جئت
ولكنى طلبت بها حياة   مع الحرية المثلى فنلت !

وتجدون كما يقول أبو شادى أن قصائد شعراء المهجر الأمريكى فى الحنين إلى أوطانهم الأولى ، أو فى التحرق لما أصابها من ضيم ، أو فى الدعوة للكفاح من أجلها ، تستحق الدراسة الواسعة . وإلى جانب هذا نجد شعر المهجر الأمريكى عامة ، وفى طليعته شعر رشيد سليم خورى (الشاعر القروى) — أحفل بقضايا العروبة والذود عنها لأنها تبدو فى جلاء فى وسطهم الحر الذى يساعدهم بتجاريبه على الحكم فضلا عن مساعدة ثقافتهم إياهم ، فاعتزاز شعراء المهجر بالعروبة اعتزاز كبير عميق، والمثل الأعلى لذلك هو الشاعر القروى .

وأما عن الشعور المتجلى فى الشعر المهجرى فهو أولا شعور الإنسان الحر ، ثم شعور الغيور المصلح ، ثم شعور الإنسان المتمدن الذى عب من أرقى الحضارات ، ثم شعور العربى الرائد ، على الرغم من بعده ، وربما بفضل بعده، عن بلاد العروبة ، ثم شعور الشاعر المثقف الذى أخذ من جميع عناصر الشعر المتعددة من حوله بنصيب ، وأما عن الأداء فهو أداء حر عادة ، أى أنه بعيد عن التصنع ، حتى ولو اتخذ الأسلوب الكلاسيكى أو الاتباعى كما كان يصنع معظم شعراء (الرابطة القلمية) ، وفى العهد الأخير تجلى الشعر المرسل والشعر الحر وأمثالهما من ضروب النظم الطليق فى القصص والمسرحيات المهجرية فى أمريكا الشمالية ، وأما النقد فهو غالبا نقد فنى معنوى ، أى أنه أبعد ما يكون عن نقد اللفظ . ويعد ميخائيل نعيمة فى كتابه (الغربال) بين أدباء الطليعة المجاهدين للنقد الأدبى المستقيم النزيه فى العالم الجديد . ويقول الشاعر القروى فى مناسبة عيد الأضحى منذ سنين منوها ببطل موقعة ميسلون :

إن (بالعظمة) أعلى مثل   للفدى تنشده النفس الأبية

ودع (الغوطة) يبغى جنة غيرها تحت ظلال المشرفية
والتقى النار طروبا للردى طرب اللاقى على العدم لقية
نكس الجانى عليه سيفه مكبرا .. فى مصرع الحر الرزية
يامعيدا مجدنا الضائع نم مستريحاً فى ظلال الأبدية
رحمة الله على كل فتى عربى راح للعرب ضحية
وليعد فينا وفى أعقابنا عيد إيمان بدين الوطنية

وهى من الشعر الكلاسيكى المجدد ، ذى الصبغة القومية العالية ، والقروى مثل لهذه النزعة السامية الشريفة فى الشعر العربى المعاصر عامة ، وفى الشعر المهجرى بصفة خاصة .

قيمة الأدب المهجرى ورأى النقاد فيه

— ١ —

لاشك أن الأدب المهجرى قد أفاد الأدب العربى وضوح أثر ، وقوة تجديد ، وقد عرف هذا الأدب فى جملته بالاتجاه العاطفى والوجدانى وبالتحرر من القيود ، وقد تأثر المهجريون بطاغور والخيام ، فجاء أدبهم مزيجا من الصوفية والرواقية ، فيه الشرق والغرب ، أمريكا ولبنان وسوريا ، والنزعة الرومانسية واضحة فيه .

— ٢ —

وقد نقد هذا الأدب عزيز أباظة بأنه لم يجدد شيئاً ولم يضف للأدب العربى جديداً ، ولم يتبلور بعد ، ولم يتخذ صورة واضحة المعالم ، وثار جبران وطائفة معه على موسيقى الشعر ، ولم يتعاط شعراء المهجر الشعر التمثيلى ، وبيانهم ربما ازور قليلا عن الذوق العربى وقد وجهوا طاقتهم الفنية إلى الابتداع فى النثر .

وينوه الدكتور محمد مندور بالأدب المهجرى[١] ذاهباً إلى أن فيه خير مافى الشرق ، فيه تلك اللهفة الروحية التى وجهت أجدادنا . . فيه تطلع إلى المجهول وإحساس بالواقع . . فيه تلك الموسيقى الرتيبة التى تميز إحساسنا الشرقى .

ويذكر الشـــاعر المهجرى جورج صيدح التجديد الذى قام به المهجريون ، وأنه كان فى الموضوعات والفكرة ، وقد انعكس هذا التجديد فى الأساليب ، وهم لم يخرجوا على البحور ، بل واصلوا رسالة الأندلسيين ،

(١) مجلة الثقافة ـ أبريل ١٩٤٣ م

فنوعوا الموشحات ، وحملوها الفكر العميق ، وقد خلقوا الحوار فى الشعر ، فكتب إيليا أبوماضى المسرحيات والملاحم والمطولات ، كما كتب فوزى المعلوف ملحمة «على بساط الريح» ، وكتب شفيق معلوف ملحمة « عبقر » ، وميزتهم أنهم بعثوا الحياة فى الكلمة ، وأنهم واقعيون لم ينفصلوا عن حياة المجتمع .

ودافع العقاد عن الأدب المهجرى وقال : إنه ثمرة أربعين سنة ، وإنه ثروة وربح للغة العربية .

ويرى الدكتور أبوشادى أن الأدب المهجرى لم يقطع صلته بالشرق وبالعروبة والإسلام ، فجميعها مؤثر عليه من النواحى العاطفية غالباً ، وهذه تشمل الوطن والدين والسياسة ، وأبرز ملامح الأدب المهجرى عنده هو حريته وثقافته وإنسانيته ، وهو مزيج من الواقعية والرومانسية والرمزية والسريالية .

وينوه الدكتور أبو شادى بروائع الأدب المهجرى وملامحه فيرى أنه مذ صحب المهجريين من الشرق الأوسط إلى أمريكا فى أواخر القرن الماضى كان أدب حياة وقوة بحكم البيئة الجديدة التى غرس فيها ، وما جاء العقد الثانى من هذا القرن وتوطد استقلال الأدب الأمريكى إلا وأخذ الأدب العربى المهجرى يظهر استقلاله أيضاً . صحيح أنه فى روحه بمثابة أدب أمريكى معبر عنه باللغة العربية ، ولكن موضوعاته شرقية غربية معا وروحانية الشرق ظاهرة فيه .

ويقول أنور الجندى عن الأدب المهجرى : إنه ثورة على الحياة وعلى التقاليد واللغة والفن جميعاً ، وهو الأدب الذى يقول : إن الدودة أخت لنا والغراب ابن عمنا ، الأدب الذى تغلب الصورة المرسومة فيه على العاطفة ، واللوحات المؤلفة على الخاطر ، ويعتمد على الظلال والأضواء وأشعة النور

والضباب والثلج وقوس قزح ، وهذه مدرسة الترف الذهنى ، ولكنها لن تكون بأية حال مدرسة للنضال والكفاح فى سبيل تحرير الأوطان .

ويأخذ صلاح لبكى الأديب اللبنانى على شعراء المهجر -كما ذكره فى كتابه « لبنان الشاعر » - العيوب الآتية :

١ — جمال المرأة ظل غائبا عن الشعراء المهجريين باستثناء جبران .

٢ — عنوا بالصورة الشعرية ، أى باللفظة التى تتجسد صورة ملموسة ، وأهملوا طاقة اللفظة الإيحائية التى قام عليها مجد المدرسة الرمزية .

٣ — الشاعر المهجرى يهمس ، ويفسر ، ويوضح ، ولكنه لا يومىء ولا يوحى .

٤ — الشاعر المهجرى يضحى بالمبنى من أجل سلامة المعنى ، وينحط أحياناً إلى مستوى النثر الردىء .

٥ — الضعف اللغوى الملحوظ عند الشاعر المهجرى . . ويؤيد هذا ميخائيل نعيمة .

ويدافع عن الشعر المهجرى صيدح فيرى كما سبق أن ذكرنا أن التجديد الأهم الذى قام به المهجريون كان فى الموضوعات والفكرة ، وقد انعكس هذا التجديد فى الأساليب ، وهم لم يقصدوا إشاعة الفوضى فى اللغة كما يزعم البعض ، بل إنهم فى حدود التزامهم للإطار العام للغة اتخذوا القوالب الأنسب لأفكارهم الجديدة وتفننوا فى تقطيع الشعر ، تقطيع البحور العربية التقليدية ، تقطيعا يناسب أنغام شعرهم ، ولغتنا كانت تحتمل هذا التقطيع ، هم لم يخرجوا على العروض بل واصلوا رسالة الأندلسيين ونوعوا الموشحات وحملوا رسالة الفكر العميق ، وهم خلقوا الحوار فى الشعر ، فقد كتب إيليا أبو ماضى المسرحيات والملاحم والمطولات ، كما كتب فوزى المعلوف ملحمة « بساط

الريح » وكتب شفيق معلوف « ملحمة عبقر » وهم بعثوا الحياة فى الكلمة العربية . وميزتهم أنهم واقعيون لم ينفصلوا عن حياة المجتمع ، وإنما لونوا الواقع بألوان الفن ليصبح جذابا . لأنهم أصحاب رسالة إنسانية ورسالة للمجتمع ، وهم لهذا السبب أيضاً كان عليهم اختيار أسلوب واضح بسيط لأن شرط الرسالة الشيوع .

ويأخذ الدكتور طه على إيليا أبى ماضى لغته التى تقارب الرداءة أحيانا حتى توشك أن توغل فيها إيغالا ، وإيليا زعيم من زعماء شعراء المهجر ، فما بالك بغيره من الشعراء .

الشعر فى رأى المهجريين

المهجريون يؤمنون بالتجديد فى الشعر ، ويرون الشعر صوراً شعرية حية متحركة نابضة بالحياة ، وموسيقى متوثبة رفافة تحرك كل شىء فى عقل الإنسان وفكره ، ومعانى جميلة بديعة لايطغى عليها الأسلوب ، يقول أبو ماضى فى مطلع ديوانه « الجداول » :

لست منى إن حسبت الشعر ألفاظا ووزنا
خالفت دربك دربى ، وانقضى ماكان منا
فانطلق عنى لئـــلا تقتنى هما وحزنا
واتخذ غيرى رفيقا وسوى دنياى مغنى

ويمثل رأى المهجريين فى التجديد فى الشعراء قول شعراء الرابطة القلمية: « إن هذه الروح الجديدة التى ترمى إلى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار ، فى جميل الأساليب والمعانى ، لحرية فى نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة ، فهى أمل اليوم ، وركن الغد » .

وعناية المهجريين بالصياغة والأسلوب واضحة فى شعرهم تمام الوضوح ، وحرصهم على اللغة إلى حد ما باد ظاهر .

ولقد افتن شعراء المهجر فى الأوزان الشعرية ، فمال أكثرهم إلى الموشحات ، واختاروا قصار البحور ذوات الموسيقى الجميلة والنغمات الحلوة ، وخاصة البحور المجزوءة . . يقول رياض المعلوف من قصيدته (ليلة الأحد) :

يا مرهقاً كبدى خفف ولا تزد
أتظل مبتعـداً عنى وعن بلدى
يا حسن موعدنا فى ليـلة الأحد
من بعد فرقتنا شهرين بالعدد
ولنـا المنى ضحكت بسعودها الجـدد
شفتاك طوع فمى ويداك طوع يدى

وقد نظم بعض المهجريين من الشعر (١) الحر ، وزعيمهم فى ذلك هو جبران ، وأدى نظمهم منه إلى محاولتهم الانفلات من القيود الشعرية ، وساق ذلك بعضهم فى تيار من ارتكاب الضرورات التى لا يلجأ إليها الشعراء المحافظون إلا كارهين ؛ ومن عدم المبالاة ، ومن التوسع العروضى، مثل توسعهم اللغوى .

وقد نظم أبو ماضى قصيدته « الشاعر والسلطان الجائر » من عدة بحور ، وسمى المجددون هذا « مجمع البحور »(٢) ، ونظم منه كثير من الشعراء ، حتى بعض المحافظين مثل الشاعر محمود غنيم فى ديوانه « فى ظلال الثورة » .

ويقول إلياس فرحات ينقد المقلدين للقديم من الأساليب(٣) :

---

(١) راجع كتابى « البناء الفنى للقصيدة العربية » فى موضوع الشعر الحر .
(٢) راجع الكلام على « مجمع البحور » فى المرجع السابق .
(٣) ١٠ ديوان فرحات .

أصحابنا المتمردون : خيالهم تقضى قريش به وتحيا حمير
لغـة مشوهة ، ومعنى حائر خلف المجاز ، ومنطق متعثر
وزعيمهم[١] فى زعمهم متفنن عجباً : أكان الفن فيما يضمر
لا الأرض تفهم مايصوره لها ذاك الزعيم ، ولا السماء تفسر

ويقول صيدح فى حفل تـكريمه :

إنى دخلت على عكاظ تطفلا لولا قيام العذر لم أتطفل
طبع التغرب فى اللسان غرابة فإذا رطنت فعادة فى المقول
بقيت — وقد زال الفراق — فوارق
بينى وبين الناطقـــين المثل
فإذا أردت الشعر يجمع بيننا أرسلته عيا ولم أسترسل

وتردد شعر المهجر بين نزعة كلاسيكية مجددة ، ونزعة رومانسية سائدة، ونزعةرمزية ظاهرة ، ونزعة واقعية غالبة ، وبعض مظاهر للنزعة السريالية .

وتتضح النزعة الرمزية فى شعر بعض الشعراء المهجريين ، وخاصة جبران .

(١) يريد بالمتمردين المتحررين من شعراء الرابطة القلمية ، ويريد بزعيمهم جبران خليل جبران .

الحنين إلى الوطن فى شعر المهجريين

ماأشق[1] النازح المغترب وصدره تشتعل فيه نار الحنين ، ويمتلىء الشعر المهجرى بعاطفة المغتربين نحو وطنهم ، وحنينهم الدائم للعودة إليه ، ففى نفس كل شاعر مهجرى حنين ، لاينقطع وشوق لاينفد ، وتطلع دائم نحو أرض الطفولة ومهد الذكريات .

وحتى أولئك الذين أقصتهم عن الوطن سياط الألم ، وقسوة الزمان ، ودفعت بهم ظلمة اليأس والبؤس ، إلى أرض ، سخية العطاء . حتى أولئك الذين استبدلوا عبودية بحرية ، وفقراً بغنى ، وشقاء بسعادة ، وضيقاً بسعة ، عمرت الذكريات قلوبهم ، وأفئدتهم ، وماأصدق مايقول شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وهاهو « يوسف برى » يكتب إلى صديق له ، يصور حنينه إلى بلدته « تبنين » فى جبل عامل ، وإلى أماكن أخرى فيه ، ويسكب من قلبه عصارة شوق لاهب ، وعاطفة حرى :

إليك الشعر أبعثه كتابا فهات مع البريد لى الجوابا
وعن دترويت لاتسأل فانى على رغمى أطلت بها الغيابا
غريب الدار لايرضى سواها ويهواها وإن كانت خرابا
هنالك خيمة التينات عندى تعادل كل « ناطحة سحابا »
سألتك كيف أنت وكيف أهلى وأطلال طويت بها الشبابا
وسهل الخان كيف السهل أمسى وهل طابت أزاهره وطابا

---

(١) راجع صـ ١٠٦٨ وما بعدها من مجلة العرفان عدد آذار ١٩٦٤ – من كتاب « المغتربون » لعبد اللطيف اليونس .

بروحى غادة كانت تغنى — على هضباته لحن « العتابا »

ويتمنى الشاعر أن يكون راعياً للمعزى فى وطنه ، ولا يلقى قسوة الاغتراب عنه :

حياة أسير السجن فى موطنى مثلى
وشغل العبيد السود فى مصنع شغلى
تمنيت أن أحيا مع المعز راعياً وأبقى قريباً من ربوعى ومن أهلى
أحن إلى « تبنين » شوقاً ، وإننى
سأذكرها ماطال عن أرضها رحلى
وإن كان جسمى فى مصانع مشغن فقلبى بسهل الخان أو « قلعة التل »

وهاهوذا الشاعر القروى يفخر بنسبه على الدنيا ، ويعتز به ، ويباهى ، ويتحدى أولئك المريدين ، الذين يحاولون النيل من كرامة العربى ، والحط من قيمته ، كما يتحدى أولئك الذين يخجلون من الانتماء إلى أطهر أرومة ، وأقدس منبت ، وأعرق أصالة :

نسب على نسب أتيه به عجباً على عجب على عجب
أو يستحى بأبيه من دمه دم شاعر ، وخليفة ، ونبى ؟ !

وها هو ذا شقيقه الشاعر المدنى . يخاطب صيدا ذات التاريخ العريق فى الحضارة ، والتى نشأ المجد فى مهدها ، وترعرع على ساحلها ، واندفع على هام الموج ، يصل الدنيا ببعضها ، وينشر رسالة المدنية ، والعلم ، من على شاطئها :

بين الضلوع مقيم طاب منزله أهملت قلبى ، وقلبى ليس يهمله
صيداء رفقاً بناء ماله سبب غير التعلل لو يجدى تعلله
قد كان ينفض رمل الشط أخمصه واليوم كم يتمناه مقبله
لو أن بحرك ياصيداء أغرقه لكان أرحم من دمع يبلله

ورب جلمود صخر كان يحملنى أمسيت من لاعج التذكار أحمله

وهاهوذا « فوزى المعلوف » الشاعر فى طيارة ، أو صاحب « شاعر فى طيارة » ، يقسم بأهله . . أنه لم يفارق عن رضى أهله . . ولكنه أنف العبودية ، وفر إلى الحرية ، ومثله كثيرون وإن يكن أمثاله ـ كشاعر ـ نادرين :

قسماً بأهلى ، لم أفارق عن رضى أهلى ، وهم ذخرى وركن عمادى
لكن أنفت من الحياة بموطنى عبداً . . وكنت به من الأسياد

ياللرجولة تفر من الضيم ، وهى تتلفع الألم والأسى !

ويا للنفس الأبية . . ترفض العبودية ، ومن واجبها أن ترفض ، وهى من ذوات السيادة . !

ياللإباء العربى ، والعزة العربية .

وهاهو ذا « شفيق معلوف » شاعر « عبقر » ، يتأوه على وطنه ، وينشد الأعذار للمغتربين الذين هجروه :

وطنى مارشفت وردك الا عاد عنه فى بحرقة صاد
فى قلوب المغتربين جراح حملوها على الجباه الجعاد
لاتلمهم فيوم هجرك كانوا وعذارى العلى على ميعاد
يوم دقوا سواحل الشرق بالغرب ، ولم يهدهم سوى العزم هاد

ثم يتساءل . . هل سيتمكن من العودة إلى مهبط إلهامه . . لينبش من الضفة أحلامه . . أم أن أقـــدام سواه ، قد طمست آثار أقدامه ، فوق تلك الدروب ؟

واهاً له . . مهبط إلهـــامى هل ياترى يوماً إليه أعود
أنبش فى الضفة أحلامى ؟

أم أن ياقلبي عنـــد الغروب
أقدام غيرى فوق تلك الدروب
ـــد طمست آثار أقدامي ؟

ويصف الشاعر شفيق معلوف الوداع واللقاء . . أجمل وصف ، وأرقه وأعذبه . ويعطي صورة عن الاغتراب ، فيقول :

ذراع مـــلاق خلف كف مودع
تلوحان لى كلتـــاهما ، خلف أدمعى
مناديل من ودعت يخفقن فوقهم فلا ترهقيهم ياسفينة . اقلعى
بعـدن فغشاهن دمعى . كأننى
أراهن من خلف الزجاج المصدع
وما كان يبـكينى اللقاء . . وإنما وراء الملاقى راح ظل المودع
أساى على قلب كثير حنينه
على كل أطراف البلاد موزع

ورياض معلوف يحن إلى وطنه لبنان فيقول :

ما أحسن الذكر في مقلة الغريب
فهو إذا ذكر موطنـه الحبيب
يرتعش النظر وعينـه تغيب
هل ياترى نعود إليك يالبنـان ؟
كم سحت فى المعمور ماغرنى منظر
فبـلدى المهجور وأرزى الأخضر
أحلى من القصور والذهب الأصفر
هل ياترى نعود إليك يالبنـان ؟

و « إلياس فرحات[1] » يتحدث عن النازح الذى أقعده الوجد . . والذى يعضه الحزن بأنياب حادة ، كلما افتر له البدر الوسيم . . فيذكر ربعه القديم ، ويتساءل عن جنات النعيم فى بلاده ـ أين هى ؟ فيقول :

نازح أقعده وجد مقيم — فى الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم — عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر الربع القديم — فينادى :
أين جنات النعيم — من بلادى ؟ !

ويقول كذلك :

إنى لألمح من خلال دموعى — صوراً طواها البين بين ضلوعى
صوراً يجسمها الخيال مضاعفاً — عطشى لرؤية من أحب وجوعى
أربوع أحبابى ، لأنت وإن نأت — بى عنك مركبة الزمان ، ربوعى
أنانى الخريف وماذكرتك مرة — إلا شعرت برجعة لربيعى

ويقول أيضاً :

ومن الحوادث حافز طبعت — كلماته بالنار فى كبدى
أفكان يمكننى السكوت ولى — وطن أعز على من ولدى
وأنا ابنه . . ألفيه منطرحاً — بين الذئاب مضعضع الجلد

وشكر الله الجر يتحدث عن لبنان جبل الإلهام فيقول :

---

(١) لإلياس فرحات : ديوان الربيع وقد صدر عام ١٩٥٤ ، كتب مقدمته جورج حسون معلوف ، وديوان الصيف وقد صدر عام ١٩٥٤ ، كتب مقدمته جورج حسون معلوف ، وديوان الخريف ، وقد صدر عام ١٩٥٤ ، كتب مقدمته فارس دبغى ، وديوان أحلام الراعى ، صدر ١٩٥٣ ، وديوان الرباعيات الطبعة الأولى ١٩٢٥ ـ والثانية ١٩٥٤ ، وديوان فرحات صدر عام ١٩٣٢ ، ومطلع الشتاء ١٩٦٧ ، وقد نشره المؤلف فى القاهرة .

إن لبنان عندنا جبل الإلهام   والشعر حيث كنا وكانا
حلم سابح على شفق النفس   وفجر يشع خلف دنانا
نحن فى البعد مقلة ترشف الغيم   على أفقه جوى وحنانا
وقليل أن نبذل العمر ياساقى   على قطرة تبل ظمانا

وحسنى غراب يجعل وطنه مهوى للحسن . . ولو خير الحسن لما اختار سواه ، فيقول :

وطنى لو خير الحسن .. لما   اختار إلاه من الدنيا مقر
يشتهى كل غريب قربه   وقضاء الله يأبى ، والقدر
عفوك اللهم .. إن همنا به   وعبدناه ترابا وحجر

ويقول الشاعر « القروى » :

أنت ياابن الله سورى صميم   أفناس ياترى أم تتناسى ؟
أنت . . إنسان ! جعلناك إلهاً   أفلا تجعلنا فى الناس ناسا ؟
الا أنزلت إنجيلا جديداً   يعلمنا إباء لا خنوعا
أحبوا بعضكم بعضاً . وعظنا   بها ذئباً .. فما نجت قطيعاً
إذا حاولت دفع الضيم فاضرب   بسيف محمد واهجر يسوعا

والقروى يعجب لسورى يعفر وجهه أمام الطغاة ، والدنيا تنحنى أمام التراب السورى فى المسجد الأقصى ، وفى بيت لحم ، تلثمه ، وتتبرك به :

عجباً لسورى يعفر وجهه   والأرض تسجد للتراب السورى

وحسنى غراب ، شاعر حمص المبدع ، يلتهب عاطفة وجوى ، وهو يصور حنينه إلى بلده ، فيقول :

أبعد حمص .. لنا دمع يراق على   منازل ، أم بنا من حادث هلع ؟
دار نحن إليها . . كلما ذكرت   كأنما هى من أكبادنا قطع

وملعب للصبا نأسى لفرقته كأنه من سواد العين منتزع

ويزور ميشال مغربي بلدته حمص، بعد غياب طويل .. ويحييها بقصيدة رائعة، كأنها معلقة، أوكأنه يعارض بها معلقة :

حسراً أمر على ربوع طفولتى ومواكب الذكرى تمر حيالى
مترفق الخطوات . . لا أطأ الثرى إلا وقلبي سابق لنعالى
أنعلتها كبدى يوم النوى . . فأنا أخشى على رجلها من نعلها البالى
ولقد أكب على الحجار مقبلا وأعفر الأهداب بالصلصال
لا يعشق الأحرار غير بلادهم ولو أنها طلل من الأطلال

ويخاطب الشاعر مدينته حمص فيقول :

بصلاتى الخرساء عدت إليك لا بتغزلى
فنشائدى وجمت على شفتى بعد ترحلى
هلا تقبلت المتاب فقلت : ياابنى . . ادخل
ياهيكل الأحلام يادار الحبيب الأول

باكرت أقرئك السلام فلذت بالصمت العميق
ردى السلام وهللى لإياب شاعرك المشوق
طارت جوانحه إليك ولم يضل عن الطريق
والطير ليس يضل حين يحن للعش العتيق
يادار ما أنا بالغريب علام لى تتنكرين
أنسيت وجه فتى شهدت هواه فى ماضى السنين
يغشاك ملتقياً بهند فتضحكين وترقصين
وتهيئين له مكاناً للهوى حلواً أمين
يادار ماذا تخبرين وأين هاتيك الصغيره
هل ذلك الحب القديم له بقايا فى السريره ؟

مضت الثلاثون الطوال وبدل الساقى خموره
وكأن أول نشوة هى نشوة الكأس الأخيره

هل تذكرين ليالى الشعر العذاب الساهرات
إذ فيك تنتظم العقود من الحسان الآنسات
فأظل أسقيهن من صهبائه ، ويقلن : هات
حتى أذان الفجر يدعو المؤمنين إلى الصلاة
حتى أتاها أننى أنوى الرحيل وأستعد
فإذا بطود الكبرياء يدكه جزع ووجد
وتشبثت بى أن أقيم فقلت : عزم لا يرد
ياهند يدعونى النضال ، وبالإياب على عهد
ودنا النوى فعلى الرصيف دموعهم تهمى وحشد
وأنا وهند نغض من نظر لأن السر يبدو
حتى إذا صفر القطار وروع البين المجد
حمى العناق ، وكان من فضح العناق ، أنا وهند

قولى لها يادار ان سألتك عنى باكتئاب
العهد قام به الحبيب فإنه ياهند آب
لكنه أذرى مدامعه على بابى وغاب
قد كان لا آمال له واليوم ليس له شباب

ويأسى « إلياس عبدالله طعمة » على ولد - مغترب - يقضى حياته بدون أمه ، وعلى أم تقضى حياتها بدون ولدها :

لهفى على ولد يقضى الحياة بلا أم ، ولهفى على أم بلا ولد

و« توفيق بربر » يتساءل عن لبنان الذى أنساه السماء ، والذى عانق فيه الأنجم ، فيقول :

أين من عينى لبنان الذى حسنه الفتان أنسانى السما

أشتهى جر الخطى فى أرضه ولكم عانقت فيه الأنجما
ليت عينى لم تفارق نورها فالنوى كانت لعينى كالعمى

وهذا جورج سالم سيف يقول :

سنرجع لن تعيرنا غداً أنا هنا ضعنا
ولاوطن لنا حلو توشى جبهة الجوزاء نجمانه
وفى ثغر المدى أبداً رؤى العلياء بسماته
سنرجع لن تعيرنا غداً أنا هجرناه
ولوتدرى بأنا ماهجرناه وأنا ما تركناه
ولكنا عبدناه
وفى أعماقنا الحرى حملناه
سنرجع ليتها عزمت
بأن الأرض لولاه
صحارى عافها الله
وملت منها دنياه
سنرجع لن تعيرنا
بأنا مانسيناه

ويتساءل إلياس قنصل :

أبعد ربوع رضع المجد أرضها نرى لذة للعيش فى وطن ثان
وهل بعد سوريا تروق لشاعر بلاد ، ولو كانت كجنة رضوان

وهاهو ذا نسيب عريضة يتحدث عن بلدته حمص ، ويخاطبها بمنتهى اللوعة والحنين فيقول :

أعرفتها تلك الربوع النائيه مابين لبنان ، وبين الباديه ؟
الذكريات . . وقد بدين علانيه نادين عنك بحسرة المطرود
ياحمص ، يابلدى وأرض جدودى

ياجارة العاصى إليك قد انتهى أملى ، وأنت المبتغى والمشتهى
قلبى يرى فيك المحاسن كلها وعلى هواك أدين بالتوحيد
ياحمص ياأم الحجار السود

ويقول رشيد أيوب :

ياثلج قد هيجت أشجانى ذكرتنى أهلى بلبنان
بالله قل عنى لإخوانى مازال يرعى حرمة العهد

أما إيليا أبو ماضى فيعود إلى لبنان ، بعد غياب طويل وفيه :

وطن النجوم أنا هنا حدق أتذكر من أنا ؟
أنا ذلك الولد الذى دنياه كانت ها هنا
أنا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنا
أنا من ترابك ذرة ماجت كواكب من منى
أنا من طيورك بلبل غنى بمجدك . . فاغتنى
كم عانقت روحى رباك وصفقت فى المنحنى
لليل فيك مصلياً للصبح فيك مؤذنا
للبحر ينشره بنوك حضارة وتمدنا

ويقول « جورج صيدح » صاحب « النوافل » و« حكاية مغترب » يقول :

أم النسور تفرسى وتهللى أعرفت وجه القادم المتهلل
هذا فتاك . . إلى متى نكرانه أوليس فى لبد سمات الأجدل .
ماعابه الجسم المهيض تبدلت قسماته والقلب لم يتبدل

ويتعجل الشاعر القروى عودة المغتربين إلى الوطن الأم . ويخاطبهم أبلغ خطاب ، وأرقه وأعمقه مغزى ومعنى :

ردوا إلى الوطن القديم ترابه هذا أقل البر يا غيابه

ذاك الإهاب الغض تحت ثيابكم ... بالأمس كان ثيابه وإهابه
تتعجبون لضعفه ولو انكم ... فيه لكنتم جنده وحرابه
ليت الأحبة عند إزماع النوى ... للغرب أغلق دونكم أبوابه

الوطنية فى الشعر المهجرى

شعراء[1] المهجر كم تأججت فى صدورهم نار الحب لأوطانهم ، ولعروبتهم، وكم نظموا الشعر فى الوطنية والوطن ، ولعل من أبرز ميزات الشعر المهجرى أن الشاعر يعبر عن إحساس قومه ومشاعرهم ، مثلما يعبر عن إحساس نفسه ومشاعرها . وأن الأحداث التى تمر فى وطنه الأم تترك صداها العميق فى قلبه وشعره معا .

وما سقطت دمعة من مواطن عربى ، فى الوطن الأم — إلا وسالت أغنية حزينة ، فى مقطوعة شعرية لشاعر مهجرى ، وما زفر حزين ، وتأوه مصدور ، فى المشرق العربى ، إلا وكان لآهته وزفرته صدى عميق مؤثر فى الشعر المهجرى .

فهذا إيليا أبا ماضى يخاطب إخوانه العرب فى العهد التركى فيقول :

قد جعلتم منكم عسكره ... وحلفتم أن تطيعوا عسكره
كيف لا يبغى ويطغى حاكم ... يتقى أشجعكم أن ينظره
ما استحال الهر ليثاً إنما ... أسد الآجام صارت هرره
وإذا الليث وهت أظفاره ... أنشب السنور فيه ظفره

وهذا جورج عساف يندد بأبناء أمته ، ويصب فى آذانهم جام عتبه وغضبه، ويتهمهم بالتخاذل الذى أفقدهم عزمهم ، وضيع سلطانهم ، فيقول :

جف المداد ، فكم أنادى أمة ... معصوبة العينين كالعميان

---

(١) راجع ص ١٠٦٠ وما بعدها من مجلة العرفان عدد آذار ١٩٦٤ - من كتاب « المغتربون » لعبد اللطيف اليونس .

كتب القضاء على صحيفة قبرها ... الميت لايرجى من الأكفان
من لى بها قوماً إذا استنفرتهم ... طاروا إلى الأهوال كالعقبان
يتزاحمون على المفاخر لا على ... لقب من الأتراك أو نيشان
هبوا فقد طالت ليالى بؤسكم ... والشمس مشرقة على الأكوان
لولا تخاذلكم لما بتم بلا ... عز ولا ملك ولا سلطان
فانهار ملككم ، فلا فى جلق ... منكم خليفتكم ولا بغدان

وهذا هو الشاعر القروى يقول :

بلادك قدمها على كل ملة ... ومن أجلها افطر ومن أجلها صم
لقد صام هندى فروع دولة ... فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم
هبونى عيداً يجعل العرب أمة ... وسيروا بجثمانى على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا ... وأهلا وسهلا بعده بجهنم

وللشعراء المهجريين فى جميع قضايا العروبة ، وفى ثورات الحرية ، وفى نضال الوطن العربى للاستعمار ، وفى الشهداء العرب ملاحم خالدة ، وقل إن خلا شعر واحد منهم من قصيدة ساحرة . يرثى القروى الشهداء العرب الذين أعدمهم السفاح التركى جمال باشا بقصيدته التى يقول فيها :

خير المطالع تسليم على الشهدا ... أزكى السلام على أرواحهم أبدا
فلتنحن الهـــام إجلالا وتكرمة
لكل حر عن الأوطان مات فدا
يا أنجم الوطن الزهر التى سطعت
فى جو لبنان للشعب الضليل هدى
قد علقتكم يد الجانى ملطخة ... فقدمت بكم الأعواد والمسدا
حتى غدا كل حر لو نصبت له
حبل المنون على هدابه سجدا

أكرم بحبل غدا للعرب رابطة　　وعقدة وحدت للعرب معتقدا

ويقول إلياس فرحات فى شهداء ميسلون :

بقعة فى الأرض نالت شرفاً　　رفع السهل على أرفع قمه
لو أخذنا المجـــد من تربتها　　ونثرناه على الكون لعمه

ثم يقف فى سان باولو مخاطباً فرنسا فيقول :

حاربى الحق واقتلى الآدابا　　إن فى ذمة الزمان الحسابا
ياابنة الغرب لن ترى بعد هذا اليوم فى المشرقين إلا ضبابا
يادمشق الثكلى دعى الحزن للمستسلمين المقبلين الترابا
قدست أرضك الدماء التى سالت عليها وأودعتها ملابا
فغدا الشعب فيك أسمى من الارز الذى شق فى السماء السحابا

ويتغنى صيدح بعزيمة قومه وتصميمهم ، وسخريتهم بالمنية ، فيقول :

نحن قوم على الكريهة طبنا　　ولعبنا ما شاءت الألمعيه
ماترانا كفحمة الحجر مست　　شرر النار فاستحالت شظيه
كم حبسنا دموعنا وسفحنا　　دمعة الكرم سخرة بالمنيه
وانتشينا بصبوة ومدام　　وانتشينا بغضبة مضريه
لو تراءت ثاراتنا فى جحيم　　لركبنا إلى الجحيم المطيه
كتبت آية الجهاد علينا　　وعلى الله والسيوف البقيه

ويسخر فرحات بالمغيرين ، ويهددهم بالثأر :

أشباب يعرب قم فنحن هنا　　نلقى بملء صدورنا المحنا
قل للمغير على منازلنا　　كالسيل ينفذ من هنا وهنا
حملت نفسك فوق طاقتها　　وركبت ويحك مركباً خشنا
إن لم يكن زمن يوافقنا　　للثأر منك . . سنخلق الزمنا

فاجعل ضريحك جاهزاً أبداً　　وأعد نفسك، واحمل الكفنا

ويقول « صيدح » حين ترتفع دعوة المستعمرين وأذنابهم لتحقيق « الهلال الخصيب » ، وتنفيذ مشروعه :

فيا أولياء الأمور الحيارى　　أبالفخ يستعصم الطائر
بأمثالكم لانجارى زماناً　　يدوس به الواقف السائر
تعيشون خلف غبار العصور ، كأنكم زمن غابر
خدعتم فلسطين يوم استجارت بكم ، والخداع له آخر
فلن تلدغوا مؤمناً مرتين　　بجحر ، لقد أرشد القاصر
دعوا سوريا جانباً فهي كبرى بدونكم ، خيرها وافر
وإن كان بعث الحمى عن يديكم دعونا نمت فالردى سائر

وحينما وثب الشعب المصرى لزحزحة كابوس الملكية الظالمة ، عن كاهله ، وإزالة معالمها القاسية من تاريخه ، وتحرير الشعب العربى الأبى فى مصر ، من ربقتها وعبوديتها وطغيانها ، قال فرحات :

ألا حدثونا عن القاهره　　وعن وثبة الأمة الباهره
أمصر استفاقت نواطيرها　　وخرت ثعالبها الكاسره ؟
أفاروق زال وكابوسه　　وسائر آلاته العاهره ؟
هنيئاً لمصر بهذا النضال　　ومرحى لأسيافها الباتره

وحينما هب المغرب العربى ، « مراكش » لاستخلاص حريته من بين أشداق الفرنسيين الغاصبين ، وأشعلوها ناراً ملتهبة بقيادة مليكهم المرحوم « محمد الخامس » خاطبه الشاعر القروى من وراء البحار بقوله :

بشرتنا عنك الأحاديث فالأقطار نشوى　　بذلك السلسبيل
حملك اسم الرسول فأل جميل　　مؤذن بانبعاث عهد الرسول

ويحي الشاعر أسد موسى ليوث المغرب وهم يقفون أروع وقفة ، فيقول :

مرحى ليوث المغرب الأقصى لقد أديتم حق العروبة بالدم
خطت صوارمكم على راياتها آى البطولة كالطراز المعلم
كم وثبة لكم بساح فخارها أدنت من الراحات هام الأنجم
واخيبة الطاغى بفرنس أمة تأبى لغير أصولها أن تنتمى
زعم الدعى بأنها رضيت لها بدلا من النسب الصريح بمبهم
حاشا الوفاء فتلك دعوى كاذب وغد ، فما العربى كالمستعجم
لم يبق للأمجاد فى أعناقكم إلا بقية طعنة من لهذم
تقضى على الأفعى فتأمن شرها وتقلد الأجيال منة منعم
شلت مفاصلها وأزمن نزعها فارموا مقاتلها بسهم محكم
إن تفعلوا فزتم بأجر مجاهد وبأجر مختصر عذاب المجرم

وكم نظم المهجريون فى قضية فلسطين القصائد الرائعة (١) .

يقول « الشاعر القروى » مخاطباً « بلفور » :

الحق منك ، ومن وعودك أكبر فاحسب حساب الحق يامتجبر
تعد الوعود ، وتقتضى إنجازها مهج العباد ، خسئت يامستعمر
لوكنت من أهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسناً « يا بلفر »

ويقول « إيليا أبو ماضى » :

ديار السلام ، وأرض الهنا يشق على الكل أن تحزنا

---

(١) راجع ص ١٠٢٢ مجلة العرفان ـ من كتاب « المغتربون » لعبد اللطيف اليونس ـ عدد آذار ١٩٦٤ م .

فخطب فلسطين خطب العلا وما كان رزء العلا هينا
سهرنا له فكان السيوف تحز بأكبادنا ، هاهنا
أأرض الخيال ، وآياته وذات الجلال ، وذات السنا
تصير لغوغائهم مسرحاً وتغدو لشذاذهم مكمنا
فقل لليهود وأتباعهم لقد خدعتكم بروق المنى

وقال الشاعر المدنى ، شقيق الشاعر القروى :

سقيناك ياغرب ماء الحياة فكان وفاؤك نفث الحمم
تعلمت رعى النجوم - وفاتك أن تتعلم رعي الذمم
سننت النيوب كأن فلسطين مرعى تسمن فيها الغنم
وان فلسطين للعرب روح وجلد ، ولحم ، وعظم ، ودم

وقال « نصر سمعان » :

يافلسطين قدستك الضحايا وكساك الخلود أسنى بروده
أنت فى معزف الحياة نشيد لاتمل الحياة من ترديده
أنت من قمة العلى فى مكان عين صهيون أخت عين حسوده
يدعى الحق فى ترابك شعب
تأنف الأرض من تراب جدوده
شعب « يوضاس » لم تزل فى يديه
بعد « يوضاس » حفنة من نقوده

وقال « حسنى غراب » متحدياً وما أجمل التحدى ، والحقد ، والاعداد للثأر :

صبراً فلسطين ، صبراً وارقبى فرجاً لابد من عجب يأتى به رجب
والحرب آتية ، والسيف منتدب لحل ماعجزت عن حله الكتب
فلينفقوا فى سبيل النصر ماكنزوا من السبائك حتى ينفد الذهب

وليعلموا أن ماشبوه من ضرم   هيهات يصلح إلاهم له حطب
فما فلسطين بالحوض المباح ولا   سكانها غنم ، ترعى وتحتلب
دون العرين أباة كالليوث لهم   بالسمر والبيض فى جدالوغى لعب
لايركبون لغير النصر إن ركبوا   أو يغضبون لغير الحق إن غضبوا
قوم إذا سئلوا أعراضهم . بخلوا   بها وإن سئلوا أرواحهم وهبوا

ويقول جورج صيدح :

وطنى طيفك ضيفى فى الكرى   كلما أطبقت جفنى رقد
يتجنى ، فإذا ملت إلى   ضمه أعرض عنى وابتعد
أترى طيف بلادى مثلها   كلما رق له القلب استبد
عبثا ياطيف تبلو جلدى   ليس لى بعد فلسطين جلد
وطنى ماذا على النازح إن   ذكر القدس ، وصلى وسجد؟
لطم الأعداء خديك ولم   يسمعوا منك سوى شكوى الوتد
لا تخفهم . ساعة الباطل لا   تقهر الحق فللحق الأبد
رب أرض دنسوها ظمئت   لدم يصلح فيها ما فسد
قسما بالمسجدين ارتفعا   حيثما أسرى النبى المعتمد
بوليد الطهر فى مذوده   بدم المصلوب ، بالله الأحد
ردهم .. لاثبتت أقدامهم   قبل أن يقضى قضاء لايرد

ويقول « فرحات » :

أيها الراغبون فى الذود   عنا ، دعوا المنى
كل هذا الهوى .. لما   فى ثرانا من الغنى
ليس تصديق مجرم   ضارج الكيف ، هينا
دافعوا عن بيوتكم   واتركوا بيتنا لنا
فإذا انهار فوقنا   فاضحكوا واشمتوا بنا

كل خطب يهون إن فرق الدهـــر بيننا

ويقول صيدح :

بنو فلسطين قطعان مشردة عن الحياة ملاك الموت راعيها
وكف صهيون بالأقداس عابثة كأنما الله أمر ليس يعنيها
خطيئة العرب لاالأردن يغسلها ولاصبا بردى بالنشر يطويها
يحمر فى النيل وجه الماء إن ذكرت
وينحنى رأس صنـــين لراويها
أقدارنا صنع أيدينا فما جرحت إلا بسهم وضعناه بأيديها
منا الفداة ، ومن بالظهر يطعنهم منا الضحايا ، ومنا من يضحيها
منا الخفير ، ومنا من يغافله يبيع أثواب موتانا ويشريها

وقال « إلياس قنصل » :

طال إشفاقنا وأصبح عابا من ترى جرأ اليهود الذئابا ؟
عبث منك أن تجير الأفاعى همها أن تغرز الأنيابا
فاترك اللين ، فالسياسة بطل والذى فى القراب مل القرابا
إن سفك الدماء جرم ولـكن إن ذبحت اليهود نلت الثوابا
ومن الإثم زجهم فى قبور إن أشلاءهم تشين الترابا

ويقول صيدح فى دير ياسين :

تحت ستر الليل ستر المجرمين طرق الفجار بيت المقدس
يافلسطين على من تعتبين ؟ إن تـكن نامت عيون الحرس
رفرف الشر على مهد الصلاح ورمى فيه الجنـاة السفله
ليس إسرائيل مشكوك السلاح غير عزرائيل ينضو منجله
ندبت فى دير ياسين الرياح أهـله لم يبق غير القتـله

ذبحوا ولدانه والوالدين ... مانجا طفل ، ولا شيخ نسى
والصبايا فى ذمار الفاتحين ... كالمها فى مخلب المفترس
ياذئاباً لبسوا جلد الأسود ... ثم ولوا وجههم شطر الغنم
وجنوداً يتحامون الجنود ... ويثيرون على الخدر الحرم
مدينة الجزار ميراث الجدود ... مالكم لم ترسموها فى العلم
انها رمز لشعب يستكين ... رابضاً للفتك تحت الغلس
كلما عفر فى الترب الجبين ... رمق النصل بطرف شرس
ديرياسين على الدنيا العفاء ... إن تكن دنياه الزنيم الأجنبى
ثأرك الصاروخ فى سمع السماء ... جمرة تكوى قلوب العرب
قسماً ماهدرت تلك الدماء ... وهى فى ذمة عيسى والنبى
قد هززنا عرش رب العالمين ... بدعاء من قرار الأنفس
رب هب أبطالنا النصر المبين ... وقنا ثانية الأندلس

ويهيب الشاعر « موسى حداد » بأمته أن تهب لنجدة فلسطين ويعرض بأولئك الذين تلهيهم اجتماعاتهم عن المطالبة بالثأر :

يا ابنة المجد والعروبة هبى ... واذكرى خيبراً واسد الملاحم
واذكرى القدس يوم أن صلاح الدين فيها فل الجيوش الضراغم
سرحى الطرف وانظرى فى البوادى تجدى اللاجئين شبه السوائم

إلى غير ذلك من روائع الشعر المهجرى الذى قيل فى فلسطين .

الأسرة فى شعر المهجر

أحدث شعراء المهجر آثارا جليلة فى أدبنا الحديث ، فقد ترنموا فى شعرهم بمختلف الأغراض الإنسانية ، ودعوا إلى المثل الرفيعة ، وعبروا عن مجتمعهم أصدق التعبير .

ومما تناولوه فى شعرهم الأسرة ، فقد تحدثوا عنها حديثا إنسانيا نبيلا ، فوصفوا الأب وكدحه ، والأم وحنانها ، والبيت ونظامه ، والأطفال وبراءتهم ، والفتاة ومشكلاتها ، والشباب وتربيتهم ، إلى غير ذلك من مختلف ضروب الشعر الذى يدور حول الأسرة .

فشفيق معلوف تحت وطأة الهجرة الموحشة يقول عن نفسه إنه ترك بوطنه أمه :

وغادر عند صخر الشط أما ... تذوب إليه تحنانا وشوقا
فما نضبت لمقلتها دموع ... كأن لعينها فى البحر عرقا

وشاعر مهجرى آخر مكفوف لاعزاء له عن ظلام دنياه ، إلا عين أمه الحنون ، التى اعتبر موتها شرا من ظلام العمى ، يقول :

خلقت أعمى وكان عندى ... فى عين أمى ضوء لعينى
فقدت أمى فحين ماتت ... عميت يارب مرتين

وإلياس قنصل يجمع فى لوعته بين أمه ووطنه ، قائلا :

واستصغر الدهر ما ألقى فلوعنى ... بحرقة البعد عن أمى وعن وطنى

ثم يناجى أمه هاتفا من صميم الوجدان فى حنين وحنان :

أماه لاشىء فى الفؤاد يبهجنى ... فلا وألام إذا مابت أسوانا

أماه مر شبابى بالعذاب فهل   بعد الشباب يعود العمر ريانا ؟

وفى أرض الغربة والوحشة ، ناجى « أمين مشرق » أمه الحبيبة ، بكلمات من الشعر المنثور هامسا :

ياعلة كيانى ، ورفيقة أحزانى . يارجائى فى شدتى ، وعزائى فى شقوتى يالذتى فى حياتى ، وراحتى فى مماتى . أمى ، وماأحلاك ياأمى . أنت يامسكنة وجعى وألمى ، ومبددة بؤسى وهمى .. أنت وما أصفاك ياأمى .

جراء الكلاب تجلس فى أحضان أمهاتها،وفراخ الدجاج تحتمى بأجنحة أمهاتها ، وغصون الأشجار تبقى معانقة أمهاتها . . وأنا وحدى بعيد عنك ، ومشوق إليك ياأمى .

إذا مت ياأمى ، وإذا قتلنى وجدى ، ودفنت آمالى فى هذه الأرض الغريبة ، فاجلسى عند الغروب ، قرب غابة السنديان وأصغى . . هناك نداءاتى امتزجت بنسمات الغابة وأشجارها ، يرتلن بهدوء متمايلات مرددات: ياأمى . . ياأمى . . ياأمى ..

وفى التعقيب على هذه المناجاة البارة الحارة ، يقول الدكتور محمدمندور، مؤلف « فى الميزان الجديد » : هذه أنفاس أمين مشرق ، أعد قراءتها ، ثم استشعر مافيها من حرارة ونبل ، أو ماتحس بجمال يحزنك أن صاحبها مات بعيداً عن « غابة السنديان » . .

وناجى الشاعر القروى رشيد سليم الخورى أمه بقصيدته ، التى يقول فيها :

سلام إلى حيث روحى   بلبنان سابحة هائمه
إلى إخوة كفراخ القطا   وأم على أمرهم قائمه
إذا عبس الدهر فى وجهها   تظل لهم أبدا باسمه

فيارب رفقا بتلك الفراخ   وأبق لهم أمهم ســالمه

وناجاها كذلك ، وهو يناجى القمر السارى فى بلاد المهجر بقصيدته « إلى القمر » التى يقول فيها :

وإن شمت أمى عند المغيب   توجه للبحر عنى سؤالا
فقف خاشعاً وقفة الولد البر   بالوالدين وخذنى مثالا
وقبل بنورك ذاك الجبين   ليزداد نورك منه جلالا
وقل أيها الأم صبراً جميلا   إذا زمن البعد ياأم طالا

وقال يصف حب الأم الذى هو فوق كل حب :

ولو كان يغنى الحب أو يدفع الردى
لما نام تحت الترب حى له أم

وذكر القروى أمه مستروحا العزاء والصبر الجميل بصدرها الحنون . فقال فى قصيدة له :

ولو أنى رزئت بفقد مالى   وأصحابى وأشعارى الغوالى
فلى كنز — وقاه الله — أغلى   من التاج المرصع بالآلى
ألا وهو الحنان بصدر أمى

إن قلب الأم ينبوع فياض بالسعادة الحقيقية التى يستحقها البار لا العاق :

وتلك هى النعمى التى مااستحقها   عقوق بإحسان الأمومة يكفر

و « صلاح الأسير » يقول بلسان الأم من قصيدة له :

أنا الآلام أبنى الدهر   من روحى ومن جسمى
أحس الهم فى قلبى   ربيعاً أخضر الحلم

وما أصدق أدباء المهجر وشعراءه فى مراثيهم الرائعة لأمهاتهم ، ولا سيما

إلياس قنصل ، وجورج صيدح ، ومزيد أبو فاضل ، وشبلي الملاط ، وإلياس فرحات ، وميخائيل نعيمة ؛ يقول جورج صيدح :

كسرت قلبي فمن يجبره إن تكن أمي التي تكسره ؟
لست أشكوها فشكواى جحود ولها في عنقي دين الوجود
إن قلبي ليس بالقلب الحقود يلثم الكف التي تنحره
كسرت قلبي فمن يجبره
أتراها حملتني للحياة كي أقضيها على شوق الممات
نعمة الدنيا حنو الأمهات خاسر الآمال من يخسره
كسرت قلبي فمن يجبره
رحمة يارب في اليوم الأخير واعف عنها قد عفا قلبي الكسير
إن ذنب الأم في عيني صغير وخلال الدمع لا أبصره
كسرت قلبي فمن يجبره ؟

ويقول ميخائيل نعيمة في مرثيته النثرية الشعرية البليغة « ماتت التي ولدتني » :

ماتت التي ولدتني ، والموت يطوى الكل حتى الوالدات . . ماتت وفي لحمي وعظمي ودمي ، بقايا من لحمها وعظمها ودمها ، وفي القلب من أنباضها أنباض ، وفي الصدر من أنفاسها أنفاس . أما كونت جسما حياً في جسمها ، ومن جسمها الحي ؟ فكأن بعضي مات بموتها ، وكأن بعضها ما يزال حياً في حياتي ، فكلانا ميت ، وكلانا حي . .

وشأن القلوب عجيب ورائع وغريب ، أعجبها وأروعها وأغربها — من غير شك — قلوب الوالدات ، فما إن يرحل ولد عن قلب والدة ، حتى تصبح الوالدة لها قلبان ، وجسدان ، وحياتان . وتتعدد المواليد فإذا الوالدة ذات قلوب ، وأجساد وحيوات عدة . . أما تسمعون الوالدات يتحببن إلى أولادهن بمثل هذه الكلمات : ياقلبي . . ويا روحي . . وياعيني . . وماشا كلها؟ ! وماذاك من المجاز في شيء . إن هو إلا الحقيقة العارية عن أى زخرف ومبالغة.

فما مس ولدا ضر إلامس والدته أضعافه ، ولا سالت من عروقه قطرة دم إلاتفجرت لها من قلبها قطرات ، ولا اربد فى عينه نهار إلاأظلمت فى عينها شموس ، ولاغاب عن أبصارها إلاوزعت نفسها حراساً يسهرون على سلامته، ودعوات تدرأ عنه السوء ، وتسدد خطاه إلى الفلاح ، وإلى العش الذى منه طار ، وعنه اغترب ، وأما إذا اختاره الموت ولفته ظلمة الرمس ، فما من خطيب ، ولاشاعر ، ولاأمير بيان يستطيع أن يصف لكم ميتة واحدة من الموتات التى تموتها والدة فجعت بقلب من قلوبها »[1] .

وقصيدة (الشلال) للشاعر (توفيق بربر) أهدها إلى الأم فى كل زمان ومكان ، وهى رائعة فى معانيها ليقول :

ألا أيها الشلال ينصب من عل ‌ ‌ ‌ فينساب فى عزم الشباب تمهل
فلست على هذى الغزارة كلها ‌ ‌ ‌ وأنت الذى يزجى الجزيل بأجزل
كأم إذا انكبت على نحر طفلها ‌ ‌ ‌ ترويه من ثغر الحنان بسلسل
هنالك شلال من الحب ناطق ‌ ‌ ‌ بأروع آيات الوجود وأكمل
على وجهها تطفو البشاشة والرضا ‌ ‌ ‌ كأن الضحى فى وجهها المتهلل
ولله منها وهو يمتص ثديها ‌ ‌ ‌ كما يحتسى العصفور من ماء منهل
تهش له عن غبطة فى كيانها ‌ ‌ ‌ تدب دبيب الخمر فى كل مفصل
إذا وسدته صدرها ياروى اخشعى ‌ ‌ ‌ وغضى وقارا يافرائح واخجلى
ويازهر خرى من سمائك واسجدى
وذوبى التياعا ياعواطف واشعلى
ألا إن قلب الأم ينبوع رحمة ‌ ‌ ‌ يلين له الجلمود والليل ينجلى
وهل غير قلب الأم يعطيك شاكراً ‌ ‌ ‌ ويزجى عطاياه بروح التوسل
فلو زينوا الجدران طرا برسمها ‌ ‌ ‌ وأحيوا لها الأعياد فى كل محفل

---

(١) عن مجلة قافلة الزيت ١٩٦٦ - من مقال للأستاذ الغزالى حرب بعنوان «الأمومة فى أدب المهجر » .

وشادوا لها الأنصاب فى كل ساحة وعلوا لها كالله فى كل هيكل
يميناً لما وفى الأمومة حقها عليهم ومن يبذل لها النفس ينجل
فإن لها ديناً على الناس كلهم وليس الذى يرعى الجميل كمهمل
فلا حب إلا حبها فهو ثابت فلم ينحرف يوما ولم يتحول

أما حديث الشعر المهجرى عن الأولاد فطويل ، ومتصل ، وهو ميراث من مواريث الإنسانية ، وقديما قال الشاعر العربى :

وإنما أولادنا بيننـــا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى عن الغمض

ومن القصائد التى تصور هذه العاطفة الإنسانية تصويرا رومانسيا تلك التى نظمها الشاعر (توفيق برير) فى صغيرته (زيزا) وهو اسم تصغير (جيزالا) تلطفا وتحببا ، يقول فيها :

صغيرة بيتى وحبة قلبى وزهرة عيشى وواحة حبى
وغرة وجهى ، وقرة عينى وخمرة روحى وسكرة لبى
ومعنى وجودى وكنه خلودى وبيت قصيدى وآية ربى
كأن النسيم الحنون حباها أدق المعانى لتسبى وتصبى
تزقزق حولى فتشرق شمسى ويزهر قفرى ويورق دربى
وتغدو الحياة سلاما وبردا وإن الحياة لحرب بحرب
أشد عليها لصدرى كأنى أعانق فيها بلادى وشعبى
تنام بحضنى فأحلم أنى نشرت لوائى بشرق وغرب
وأنى أمير وتحتى سرير وحولى إماء تنفذ رغبى
وأنى استعدت شبابى وأنى اجتمعت بشملى وأهلى وصحبى
فياطيب أنفاس ريحانة ترف بقلبى وعينى وهدبى

وللشاعر (عقل الجر) قصيدة مشابهة لهذه فى بعض معانيها ، يصور فيها عاطفة الأم المفتونة بابنها ، المطلة من خلاله على الغد الباسم ، ويقول فيها :

أعطيته كالصبح غرته ملكا تقمص صورة الولد
أزهو بطلعته وأحسبه الكون جمع كله بيدى
وأطل منه على غد لمعت آماله فى مفرق الأبد
تهتاجنى من فيه زقزقة تزرى بصوت البلبل الغرد
ويهف نحوى منشبا يده فى العين أو فى النحر والعضد
فأزقه قبلى وأرهقه وأكاد أرجعه إلى كبدى

وهذه القصيدة صدرت عن خيال الشاعر إذ لم يجرب الابوة ، فقد عاش عزبا طوال حياته .

وللشاعر (جورج صيدح) عدة قصائد تصور عواطف الأبوة الصادقة ، نجدها فى قسم خاص من ديوانه ، أطلق عليه اسم (أكبادنا) ليدل بذلك على مشاعره نحو وحيدته وأبنائها . ومنها قصيدة نظمها فى عيد ميلاد (جاكلين) التى ولدت فى (فنزويلا) من أم فرنسية ، وأب عربى دمشقى ، يقول فيها :

نشأت بين جفون الياسمين زهرة فى الروض تسبى الناظرين
عبقت باريز فى أكمامها
ودمشق الشام فى العرق الوتين
فلذة للشرق والغرب سرت (للفنزويلا) بها الروح الأمين
أتراها خيرت فى خلقها فأتت كاملة الحسن المبين
أم براها الله من ذوب السنا وبنات الناس من ماء وطين

قد عبدت الله فى صورتها وارتضيت الكفر كفر المؤمنين

وتمرض ويعمل الجراح الطبيب فى جسدها مبضعه الشافى فيقول :

رفقا بها يامبضع الجراح شرحت قلب الوالد الملتاح
والله لو أطلقت روحى لارتمت تحت النصال تصدها بجراحى
ماذا جنت وهى الفطيمة فى الربى حتى تسام خثارة الأقداح
بالأمس مدت عنقها من وكنها واليوم تشهد مدية الذباح
الياسمين الغض فى أكمامه غبن النضارة أخذه بالراح
أنا لا أخدشه بغير نواظرى وبغير شم عبيره الفواح
ما لى أراه على الخوان ممددا وأكاد ألثم أنمل الجراح
ويحى دفعت إلى المشارط فلذة كنت الضنين بها على الارياح

وللشاعر (إلياس فرحات) قصيدة تدور حول قصة حب لإحدى الفتيات الراهبات ، وفيها يقول :

رأت زهرة فى أعالى الجدار تداعبها نسمات الصبا
فأعجبها شكلها المستطيل ولون كقوس السحاب زها
وقد زاد فى حسنها أنها تعز على من يريد الجنى
فحرك منظرها نفسها وقالت بملء حنان لها :
أخية يهنيك هذا السمو وهذا البهاء وهذا الرضا
ولكن أما كان أشهى لديك جوار الأزاهر بين الربى
تحوم عليك بنات القفير وتسعى إليك صبايا القرى
وتسمعك الطير أنشادها ومنه الحجاز ومنه الصبا
لأنت تعيشين فى عزلة فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ومن يتنشق هذا الشذا ؟

ولما نضت ثوبها لتنام تبين من حسنها ما اختفى
فمدت إلى صدرها كفها وقد فتح الورد تحت الندى
وقال لها قائل صامت وكان الذى قيل رجع الصدى
وأنت تعيشين فى عزلة فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ومن يتنشق هذا الشذا ؟ (١)

(١) راجع الأقلام العراقية (عدد يوليو ١٩٦٥) من بحث عن « جوانب إنسانية فى شعر المهجر الجنوبى لعزيزة مريدن » .

أشهر أعلام شعراء المهجر

١ ـــ الدكتور أحمد زكى أبو شادي :

ولد في القاهرة عام ١٨٩٢ ، وتعلم الطب فى انجلترا ، وعاد منها عام ١٩٢٢ . . تلقى ثقافته الأدبية عن أعلام الأدب فى عصره ، وأخذ الشعر عن مطران ، وتأثر بالمدرسة الإنجليزية فى الشعر والنقد ، وأخرج دواوين كثيرة منها : الشفق الباكى ، وأطياف الربيع ، والينبوع . . وكون مدرسة شعرية جديدة سماها « مدرسة أبولو » وأخرج مجلة أبولو للشعر ونقده ، وأثر في الشعراء المعاصرين تأثيرا كبيراً .

هاجر إلى أمريكا عام ١٩٤٦ ، وتوفى فى واشنطون فى ١٢ أبريل عام ١٩٥٥ . . وله أثر كبير فى حركات التجديد فى الأدب والنقد والشعر المعاصر (١) ، ومن شعره قصيدته « أين الربيع ؟ » التى يقول فيها :

« أين الربيع ؟ » سألت عنه فلم أجد   من رد غـــير تدفق الأمطار
ولى ولم يحضر ، فغاب كأنه   قد عاش فى الأوهام والأفكار
قالوا : هى الذرات حين تفجرت   نثرت نظام الجو أى نثار
فغدا الربيع هو الخريف ، كأنما   قد جن من مطر ومن إعصار
ومن الرعود تكلمت كمدافع   ذرية ، وتراشقت بالنار
فتحجبت أطياره ، وتبرقعت   أزهاره ، ويبكى الغدير الجارى
وبكيت فى نفسى كأنى فاقد   أهلى وكل مجالس السمار
وإذا أناخ بنا السكون حسبته   ضوضاء من قلق ومن إنذار

---

(١) راجع كتاب رائد الشعر الحديث « جزآن » للمؤلف .

أين السماحة والهدوء تآلفا والأمن فاحتكمت على الإبصار؟
أين الجمال برقصه وبلهوه في النور أبدع فاتن الأنوار؟
أين الأزاهير التي كم سابقت شغفي فما احتجبت عن الأنظار؟
أين المروج الحاليات عرائسا كعرائس الأحلام في (آذار)؟
أين العصافير التي لم تكتمل أعشاشها بالحب والأسرار؟
ضاعت جميعاً كالطيوف إذا هوت
واللحن فوق مقطع الأوتار
احلم بها ياقلب ، أولا فانسها فجميع ماوهب الربيع عوارى

ويقول من قصيدة له :

ذهبوا وعاشوا عصرهم وتمخضت
نوب الحوادث عن أذى الفردية
حق الشعوب أجل من إرضاخه لمشيئة فردية علوية
الشعب أعلى من إرادة حاكم ولو أنه في بزة نبوية
لم تترك الأحداث عندي مأملا بمملك ما دام رب رعية
حسبي حوادث نصف قرن كامل لتزيدني كرها لها كبلية
وكفي وثوب الخلق نحو خلاصهم جيلا فجيلا من رؤى الرجعية
فعلام نخذل عصرنا فيفوتنا في شبه أحلام لنا أبدية؟
بعض الركود هو النكوص بعينه ومن الجمود غذاء كل دنية!

٢ — إيليا أبو ماضي :

ولد في لبنان عام ١٨٩١ ، وهاجر إلى الإسكندرية عام ١٩٠٢ ، وأخرج فيها ديوانه « ديوان (أبو ماضي) » قبل أن يبلغ العشرين . . وفي عام ١٩١٦ هاجر إلى نيويورك ، وتعرف إلى جبران ، وأصدر فيها الجزء الثاني من ديوانه،

وقد قدم له جبران .. وصار من شعراء « الرابطة القلمية » .. وفى عام ١٩٢٧ أصدر ديوانه « الجداول » ، وفى عام ١٩٢٩ أنشأ مجلته « السمير » ، وفي عام ١٩٤٦ أصدر ديوانه « الخمائل » .

ومات أبو ماضى فى نيويورك فى الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٧ ، وقد بلغ أبو ماضى غاية نضوجه الشعرى فى « الجداول » ، ولاسيما فى قصيدته « فلسفة الحياة » . . والنزعة الإنسانية سائدة فى شعره ، وتتردد فيه النزعة الواقعية أحياناً والنزعة التأملية ، وهو من شعراء الطبيعة ، وله العديد من المطولات الشعرية التى من بينها : الحكاية الأزلية ، والطلاسم . .

ويقول أبو ماضى من هذه القصيدة « الطلاسم » :

جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت
ولقد أبصرت أمامى طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقى؟ لست أدرى
إننى جئت وأمضى وأنا لا أعلم
أنا لغز ، وذهابى كمجيئى طلسم
والذى أوجد هذا اللغز لغز أعظم
لاتجادل ، ذو الحجى من قال : إنى لست أدرى
أنا لاأذكر شيئا من حياتى الماضيه
أنا لا أعرف شيئا عن حياتى الآتيه
لى ذات غير أنى لست أدرى ماهيه
فمتى تعرف ذاتى كنه ذاتى ؟ لست أدرى

ويقول الشابى، متأثراً بإيليا في هذه القصيدة ، وذلك من قصيدة الشاعر « في ظل وادى الموت » :

نحن نمشى وحولنا هذه الأكوان تمشى ، لكن لأية غاية
نحن نمشى مع العصافير للشمس ، وهذا الربيع ينفخ نايه
نحن نتلو رواية الكون للموت ولكن ماذا ختام الرواية

وقصيدته (الطين) تعد من أشهر قصائد أبي ماضى ، ويقول فى مطلعها :

نسى الطين ساعة أنه طين   حقير فصال تيها وعربد

ويقول أبو ماضى من قصيدته « اليتيم » :

خبرونى ماذا رأيتم أأطفالا   يتامى أم موكبا علويا ؟
كزهور الربيع عرفا زكيا   ونجوم الربيع نورا سنيا
إننى كلما تأملت طفلا   خلت أنى أرى ملاكا سويا
قل لمن يبصر الضباب كثيفا   إن تحت الضباب فجرا نقيا
اليتيم الذى يلوح زريا   ليس شيئا لو تعلمون زريا
ربما كان أودع الله فيه   فيلسوفا أو شاعرا أو نبيا (١)

٣ — نسيب عريضة ١٨٨٧ - ١٩٤٦ م :

من أبناء سوريا ، هاجر إلى أمريكا عام ١٩٠٥ ، وأصدر فى نيويورك عام ١٩١٣ مجلة الفنون .. طفح أدبه وشعره بالشكوى ، من تعاسته وشقائه فى الحياة ، إلى شقائه بالهجرة . . وأصدر عام ١٩٣٩ ديوانه « هى الدنيا » وآخر دواوينه هو : « الأرواح الحائرة » . وكان يحرر فى جريدة السائح والهدى ومرآة الغرب .. وله ملحمتان : أبو فراس ، وإرم ذات العماد .

ومن شعره قوله عن نفسه :

وقفنا عند مرآه   حيارى ما عرفناه

---

(١) راجع : من تاريخنا المعاصر تأليف محمد عبد المنعم خفاجى .

عجيب في معانيه غريب في مزاياه
له سربال جواب غبار الدهر غشاه
ووجه لوحته الشمس غارت فيه عيناه
سألنا الناس : من هذا ؟ فقالوا : يعلم الله

ومن شعره لابنته يغني لها كي تنام :

ظلام الليل قد جنا وبوق الهم قد رنا
فنم ياطفل لايهنا غنى بات شبعانا
بكى طفل وما ناما وقضى العمر صواما
جنى الآباء آثاما عليها الله جازانا
من الألحان لا أدري سوى أنشودة الصبر
أغنيها من القهر لطفل بات جوعانا

٤ — جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١) :

هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٨٩٥ ، كان باكورة إنتاجه الأدبي كتابه « الموسيقى » الذي أصدره عام ١٩٠٥ ، ثم أخرج كتبه : عرائس المروج ، الأرواح المتمردة، والأجنحة المنكسرة ، وأصدر ديوانه الشعري الوحيد « المواكب » ، وظهر له عام ١٩١٠ كتاب : العواصف ، وكان آخر كتاب ألفه بالعربية . . وأشهر كتب جبران هو كتابه « النبي » .

ولجبران فضل تأسيس « الرابطة القلمية » عام ١٩٢٠ بنيويورك ، ويعد من الفلاسفة المفكرين ، ومن الشعراء الملهمين ، ومن الأدباء العبقريين . .

ومن شعره قوله :

هو ذا الفجر فقومي ننصرف عن ديار مالنا فيها صديق
ما عسى يرجو نبات يختلف زهره عن كل ورد وشقيق

قد كفانا من مساء يدعى أن نور الصبح من آياته

٥ - ميخائيل نعيمة :

ولد فى لبنان ، وهاجر عام ١٩٠٢ إلى فلسطين ، ثم سافر إلى روسيا ، فأمريكا عام ١٩١١ ، وانضم إلى الرابطة القلمية ، ومن أشهر كتبه : الغربال، وكتابه عن جبران خليل جبران ، ودروب ، وزاد المعاد . . وهو الآن يعيش فى لبنان .

ومن شعره قوله :

هل من الأمواج جئت
هل من البرق انفصلت
أم مع الرعد انحدرت
هل من الفجر انبثقت
أم من الشمس هبطت
هل من الألحان أنت
أنت فيض من إله

٦ - شكر الله الجر ، وهو أكثر تنويعاً لموضوعاته وله ديوانان : الروافد وزنابق الفجر ، وقد ترجم بعض القصائد من الشعر البرازيلى .

٧ - ندرة حداد هو عميد شعراء العربية فى أمريكا وشعره يمتاز بنزعة إنسانية ، وقد تعددت موضوعاته فنظم فى الاجتماعيات والإخوانيات والطبيعة والوجدانيات والتأملات ؛ وله شعر قصصى ، ومن أجمل شعره التأملى قصيدته « الله » ، ومن شعره فى المناسبات قصيدة « طابع البريد » ومن روائع شعره الإنسانى قصيدته « سر معى » وقصيدته « أنا إن مت » وهى دفاع عن النزاهة والحرية وكرامة الإنسان .

وندرة حداد من أوائل الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا إذ وصل إلى نيويورك عام ١٨٩٧ ، وتبعه نسيب عريضة ، ورشيد أيوب ، ومن شعره قوله لابنه :

جئت يا ابنى مثلما والدك المسكين جاء
جئت دنيا كلما محصتها زدت ازدراء
أغبياء قد أتيناها ونمضى أغبياء
ما طلبناها ولكن هكذا الخالق شاء

وله ديوان « أوراق الخريف » .

٨ — رشيد أيوب شاعر الدموع ، وهو شاعر روحى عاطفى ، أكثر فى شعره من شكوى الزمان ، ولقب شاعر الدموع ، والشاعر الباكى ، والشاعر الشاكى ، وكانت هجرته عام ١٨٩٨ ، حيث استقر فى نيويورك ، وديوانه « أغانى الدراويش » مشهور ، « وله ديوان الأيوبيات » أيضا ، ودواوينه من أوائل الدواوين المهجرية ، ومن أوائلها أيضا :

١ — ديوان الغريب فى الغرب لميخائيل رستم-طبع نيويورك ١٨٩٥ م

٢ — ديوان نفحات الرياض لرزق حداد .

٣ — ديوان نسمات الغصون لسليمان داود - ١٩٠٥ م .

٩ — شفيق معلوف ، شاعر متزن ، وأديب مفكر ، رصين ، مستوعب للفكر الفلسفى ، قرأ الفلسفة الحديثة وعلم النفس ، وتغلغل كل ذلك فى شعره الجميل الذى يسانده طبع أصيل ، وذاع اسم : فوزى ورياض وميشال المعلوف من أسرته ، وكان شفيق رئيس « العصبة الأندلسية » فى البرازيل بعد ميشال ؛ وله : « الأحلام » وهى قصة خيالية اجتماعية ، وديوان « لكل زهرة عبير » ، « وملحمة عبقر » .

١٠ — ومن أعلام شعراء المهجر جورج صيدح .. وسوف نترجم لحياته وشعره بالتفصيل .

١١ — فوزى المعلوف ، وله : سقوط غرناطة ، وأربعة دواوين هى : شعلة العذاب ، تأوهات الريح ، من قلب السماء ، أغانى الأندلس .

وملحمته « على بساط الريح » مشهورة ، ويقول فيها طه حسين فى جريدة الوادى المصرية عدد ١٨/٧/١٩٣٣ : « لا أعرف أنى تأثرت بشاعر كما تأثرت بهذا الشاعر الشاب حين قرأت قصيدته « على بساط الريح » ، فاهتزت لها نفسى اهتزازاً ، وانشق لها قلبى انشقاقا ، كنت أقرأ هذا الغناء الحزين اللاذع فأجد لنغمته لذة حزينة لاذعة ، فأى روح عذب ، وأى نفس حلوة ، وأى سحر خلاب ، وأى فن رائع ؟ .

١٢ — الشاعر القروى :

ولد فى سوريا عام ١٨٨٧م .. وهاجر إلى البرازيل عام ١٩١٣ ، وأصدر عام ١٩٣٦ ديوانه « الأعاصير » .. وفى عام ١٩٤٧ طبع كراسا يحتوى على ثلاث قصائد « اللاميات الثلاث » ، وفى عام ١٩٥٣ طبع ديوانه الضخم « ديوان الشاعر القروى » .

وعاد عام ١٩٥٩ إلى سوريا ، حيث أقام فيها حينا بعد غربته الطويلة .. وأهدته حكومة الجمهورية العربية المتحدة أرفع أوسمتها ، وقررت طبع ديوانه . ثم استقر فى لبنان حيث أقام فى قريته « بربارة » ، ويعد القروى العلم الشامخ للشعر القومى العربى ، ويمتاز بشعره فى الوطنيات ، وشاعريته محلقة وديباجته متمكنة من اللغة والبيان أى تمكن ، وشعره كلاسيكى فى أبهى حلله العصرية .

ومن شعره قوله :

مررت بأترابى العابسين فلم ألق إلا العبوس الوقورا

فملت إلى الحقل حيث الصغار تناغى الطيورا وتجنى الزهورا
فهل صار كل رفاقى كهولا وهل أنا وحدى ظللت صغيرا
فأسمعنى الطـير عند الصباح جواب الطبيعة لى تنشد
بنى ولدتك طفـلا جـديدا فقل للرفاق الألى تعهـد
لقـد ملأ الأرض أولادكم وأنتم إلى الآن لم تولدوا

١٣ ـــ إلياس فرحات :

ولد عام ١٨٩٣ فى لبنان ، وهاجر عام ١٩١٠ إلى البرازيل ، وظهر ديوانه عام ١٩٣٢ فى مدينة سان باولو بالبرازيل . . ثم طبع شعره كله فى أربعة دواوين هى: الربيع ـــ الصيف ـــ الخريف ـــ رباعيات فرحات . . وأشهر قصائده « خصلة الشعر » التى يقول فيها :

خصـلة الشعر التى أعطيتنيها عندما البـين دعانى بالنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها وسأتلوها إلى اليوم الأخـير

ومن شعره :

فر عصفور شبـابى من يديا تاركا فى مهجتى جمرا زكيـا
طالمـا أوحى فغنيت على مسمع الليل نشيدا عبقريا
كان إن أطلقته فى جنة يلثم الزهر ويرتد إليـا

١٤ ـــ ومن شعراء المهجر كذلك: رياض المعلوف ، ونعمة الله الحاج ، وزكى إلياس قنصل ، وسواهم .

ويقول محمد قرة على فى كتابه « شعر من المهجر » يتحدث فيه عن الشعر المهجرى وأعلامه :

« لقد تجاوبت(١) أحاسيس الشعر العربى فى المهاجر تجاوبا طالما أفاء على

---

(١) ص ١٢ - ١٤ شعر من المهجر - محمد قرة على - بيروت ١٩٥٤

أحياء العرب فى أرض الوطن آيات بينات من إنسانية شاملة ، إلى قومية صادقة إلى رقة وجزالة وسلاسة ، إلى رهافة حس وجمال فن ، ثم إلى استيعاب لنواحى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية . ولطالما شغل إنتاجهم هذا أذهان المتطلعين إلى أندلسهم الجديدة ، من غربيين وشرقيين ، ولطالما أهاب بالأدباء والمتأدبين فى الوطن والمهاجر أن يدرجوا على بساطهم ، وأن يقبسوا أنوارهم ، وأن يناقشوهم ويجادلوهم ، وأن يخطبوا باسمهم وأن يحاضروا .

فكم من ديوان لشاعر مهجرى جدد طبعه المرة تلو المرة ومازالت آراء صاحبه تثير ألوان الجدل وتزرع علامات الاستفهام فى صفوف ذوى اليقين وذوى الشك والتردد على السواء . وكم من قصيدة ترجمت إلى أكثر من لغة أجنبية حتى كتب عن بعضها وأذيع مالا يكاد يحصى من المقالات والأحاديث وكيف لا يكون ذلك وبين يديك : « الطلاسم » و « الدمعة الخرساء » و « الطين » وغيرها لإيليا أبو ماضى ، و « حضن الأم » و « حبة القمح » و « أين وجدت الله » للشاعر القروى ، وبعض الرباعيات لفرحات ، وقسم من ديوانه الأخير « أحلام الراعى » و « عبقر » و « الشاعر » و « الفلاح » و « قلعة بعلبك » لشفيق معلوف ، و « الدرويش » لرشيد أيوب ، وغيرها من القصائد والمقطوعات مما تقرؤه لجورج صيدح ونسيب عريضة وشكر الله الجر .

وتستطيع أن تقول عن الشاعر إلياس فرحات ـ وقد فرغت من قراءته ـ إنه حكيم وإنسانى من الطراز الأول ، وإنه ـ إلى ذلك ـ العربى القومى المجاهد ، وإنه الثائر على التقاليد والأوهام والممزق لحجب الجهل والضلال ، والقائم حربا على التخاذل ، وإن إكباره وإجلاله لنبى العرب والإسلام لا يقل عن إجلاله وتعظيمه لكلمة الله ابن مريم ، عليهما السلام .

وتستطيع أن تقول ، وقد جلت مع شفيق معلوف فى عالمه السحرى

المعجز ، بأنك سرت مع ثالث اثنين . الفردوسى فى شاهنامته . ودانتى فى جحيمه ، ومعلوف فى عبقره ، أماسائر شعره ، فالجمال الفنى والفكرة البكر ، والديباجة البحترية ، وأما الروح الوطنية والفكرة الاجتماعية فهذا ماستحكم عليه لنفسك بنفسك ؛ وتستطيع أن تعد جورج صيدح مصلحاً اجتماعياً من الطراز الأول . أماوطنيته وعروبته فأشبه بالسور الفولاذى تتحطم عليه كل فرية ، وتكاد صلابتها أن تفضح عيوب المتشدقين .

وأما خلقه المصفى، وأدب نفسه المعلى ، وما تفيض به شاعريته وأريحيته وخلقه من معانى سامية رفيعة فهذا ماأشعر بعجزى عن تفصيله ، ورشيد أيوب وماأدراك مارشيد أيوب ؟ تلك العذوبة الصافية . والتجدد المتدفق إلى رهافة حس وحنين دائب ، ولفظةموحيةصافية . إنكتسير معه ، وكأنك فىروضة غنية بزهرها وأريجها ونمير مائها ، وزقزقة أطيارها ، تلكهى نفس الشاعر الدرويش رشيد أيوب .

أمانسيب عريضة : فهناك الصوفية تذكرك بالتفتازانى وأصحابهمنإخوان الصفاء ، أول مايطالعكفى شعره وجدان صاف ، وإنسانية متسامية ، ترفع أقدار الإنسان عن الصغائر والدنايا .

وأماعقيدته القومية فستجدها بارزة فى شعره بروز إبداعه والهامه . وأما شكر الله الجر فأول مايطالعكفى شعره تلك المتانة المتمكنة من لغته ، والشاعرية الموهوبة القادرة ، تحكم التركيب ، وتولد المعانى والأخيلة ، وتبتكر الصور ابتكارا ، ولكن من قلب الحياة ، حتى لتحس وأنت تسير معه أنك تسير مع جحفل من فرسان الشعر والأدب » .

تراجم وشخصيات :

جبران خليل جبران(١)

١٣٨٣ — ١٩٣١

يقول جبران خليل جبران من قصيدته « البلاد المحجوبة » .

هو ذا الفجر فقومى ننصرف	عن ديار مالنا فيها صديق
ماعسى يرجو نبات يختلف	زهره عن كل ورد وشقيق
وجديد القلب أنى يأتلف	مع قلوب كل مافيها عتيق
هو ذا الصبح ينادى فاسمعى	وهلمى نقتفى خطواته
قد كفانا من مساء يدعى	أن نور الصبح من آياته
قد أقمنا العمر فى واد تسير	بين ضلعيه خيالات الهموم
وشهدنا اليأس أسراباً تطير	فوق متنيه كعقبان وبوم
وشربنا السقم من ماء الغدير	وأكلنا السم من فج الكروم
ولبسنا الصبر ثوباً فالتهب	فغدونا نتردى بالرماد
وافترشناه وسادا فانقلب	عندما نمنا هشيما وقتاد
يا بلاداً حجبت منذ الأزل	كيف نرجوك ومن أى سبيل ؟
أى قفر دونها أى جبل	سورها العالى ومن منا الدليل ؟
أسراب أنت أم أنت الأمل	فى نفوس تتمنى المستحيل
أمنام يتهادى فى القلوب	فاذا ما استيقظت ولى المنام
أم غيوم طفن فى شمس الغروب	قبل أن يغرقن فى بحر الظلام
يا بلاد الفكر يامهد الألى	عبدوا الحق وصلوا للجمال

(١) ارجع : كتاب نبي أورفليس اشكر الله الجر الذى كتبه عن جبران وفلسفته وفنه وأدبه ، وكتاب هذا الرجل من لبنان للكاتبة الأمريكية بربارا يونغ وقد ، ترجمة سعيد بابا .

ما طلبناك بركب أو على متن سفن أو بخيل ورحال
لست فى الشرق ولا الغرب ولا فى جنوب الأرض أو نحو الشمال
لست فى الجو ولا تحت البحار لست فى السهل ولا الوعر الحرج
أنت فى الأرواح أنوار ونار أنت فى صدرى فؤاد يختلج

وهذه القصيدة تمثل حياة جبران وجانباً من فلسفته ، ويصور شخصيته وعبقريته ؛ وقد ولد جبران فى ديسمبر ١٨٨٣ فى مدينة « بشرى » بلبنان ، وتعلم فى مدرسة الحكمة ببيروت ، ثم رحل إلى باريس فأقام فيها شهراً ، ومنها سافر إلى مدينة بوسطن بالولايات المتحدة ، فأقام فيها يشتغل بالكتابة والتصوير ، ثم عاد عام ١٩٠٨ إلى باريس لإكمال دراسته فى التصوير فى معهد الفنون الجميلة ، وفى باريس فتن بشعر الشاعر الإنجليزى الفنان «وليام بليك» وصار جبران شاعرا يلتقى فيه الفن الجميل والشعر ، الشعر المتحرر من قيود الوزن والقافية فى كثير من الأحايين .. ومن قصائده العمودية « المواكب » . وقد ذاعت مؤلفاته ونالت شهرة كبيرة ، مثل «النبى» ، و«التائه»، «والمجنون» ، و « رمل وزبد » ، والأمواج والعواصف ، والأرواح المتمردة ، والبدائع ، وحديقة النبى، وعرائس المروج، ودمعة وابتسامة ، والأجنحة المتكسرة[1] .

وفى عام ١٩٢٠ أسس جبران وعبد المسيح حداد وإخوانهما الرابطة القلمية فى نيويورك ، وصار جبران رئيسا لها، وبعد كفاح طويل مات جبران فى إبريل سنة ١٩٣١ فى نيويورك ، ونقل جثمانه إلى لبنان فدفن فى بلدته « بشرى » ، وترك وراءه ذكرا مدويا ، وشهرة ذائعة ، وتلامذه معجبين ، متأثرين بأدبه ودعوته التحررية فى الشعر والفن والأدب جميعاً .

---

(١) لجبران قصيدة (يسوع يقرع باب السماء) بالإنجليزية وقد ترجمها سعيد بابا ، ونشرت لأول مرة فى مجلة العصبة الأندلسية (ص ٣٠٠ العصبة عدد حزيران ١٩٥٢)

ترجمت مؤلفات جبران إلى ٥٦ لغـة ، وأهدى الرئيس أيزنهاور بعض المحـاربين القدماء العائدين من كوريا ، بعد فوزه بالرياسة ، نسخا بالإنجليزية من مؤلفات الشاعر الراحل ، مما يدل على أن جبران مازال يحتل مكانة كبيرة فى صدور كل من يحب الأدب .

وقد رحل جبران مع أمه وإخوته إلى أمريكا وأقاموا فى بوسطن عام ١٨٩٥ ،وكان جبران ، رغم حداثة سنه . يرهق نفسه بالقراءة والاطلاع والرسم فكانت أمه تنهره عن ذلك فلا يستمع لها ، حتى التقى يوما فى معرض صوره بفنان أمريكى سهل له سبيل الاتصال بالأثرياء الذين يشغفون بالفن، حتى تعرف إلى سيدة حسناء لعبت دورا هاما فى حياته ، لأنها نقلته إلى عالم جميل تعرف فيه إلى المرأة لأول مرة وكشف فيها أسرار القـــلوب التى يداعبها الحب .

ولـكن الحنين إلى الوطن أصابه فعاد إلى لبنان وأقام به أربع سنوات ، على أن يد المنون امتـدت إلى أخته فمـاتت فى بوسطن وهو فى لبنان فعاد إلى أمريكا مسرعا ليخفف عن والدته وإخوته ؛ ولـكن أمه مالبثت أن ماتت بعدها وتوفى أخوه بطرس ، فتولاه اليأس وغلب عليه الأسى .

وعرض جبران بعد ذلك صوراً ورسوما فى بوسطن ولـكن مصير معرضه كان أليما حتى تعرف إلى سيدة أمريكية تطوعت بإرساله إلى باريس لدراسة الفن على نفقتها ، وكانت ترسل إليه ٧٥ دولارا كل شهر ، حتى سئم عاصمة فرنسا فعاد بعد ذلك إلى أمريـكا ، ليـكتب شعره المنثور الخالد بالعربية والإنجليزية ، ولا سيما كتاب « النبى » .

وراسلته الـكاتبة الراحلة مى وراسلها ، ونشأت بينهما صلة قوية رغم أنها لم تره ولم يرها قبل ذلك ، حتى سمى بعض الأدباء هذه الصلة بأنها « حب بدون تلاق » .

ولكن المرض ما لبث أن عاجله فنقل إلى المستشفى ومات بسرطان الكبد فى مستشفى أمريكى وقد نقل الجثمان إلى بيروت ثم نقل إلى (قديشا) مسقط رأسه ودفن فى المغارة التى كان يحب التردد عليها وهو فى أول عهده بالفن والأدب والخيال تنفيذاً لوصيته .

ومن كلمات جبران :

أنا غريب فى هذا العالم

أنا غريب وفى الغربة وحدة قاسية ، ووحشة موجعة ، وأنا غريب عن نفسى .

فإذا ما سمعت لسانى متكلما تستغرب أذنى صوتى .

أنا غريب وقد جبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد مسقط رأسى ولا لقيت من يعرفنى ، ولا من يسمع بى .

أنا غريب عن العالم .

أنا شاعر أنظم ماتنثره الحياة ، وأنثر ماتنظمه ، ولهذا أنا غريب وسأبقى غريباً حتى تخطفنى المنايا ، وتحملنى إلى وطنى .

اسكت يا قلب ، فالفضاء لا يسمعك .

اسكت . . فالأثير المثقل بالنواح والعويل لن يحمل أغانيك وأناشيدك .

اسكت فأشباح الليل لاتحفل بهمس أسرارك ، ومواكب الظلام لاتقف أمام أحلامك .

اسكت يا قلب حتى الصباح ، فمن يترقب الصباح صابراً يلق الصباح قويا ، وأما من يهوى النور . . فالنور يهواه .

اسكت يا قلب ، واسمعنى متكلما . .

وكان أنطونيوس بشير (المولود فى دوما بلبنان عام ١٨٩٨م) - والذى قدم

الولايات المتحدة عام ١٩٢٢ - صديقا حميما لجبران ، وهو الذى ترجم كتب جبران السبعة من الإنجليزية إلى العربية [١] .

وأنطونيوس بشير أحد أعلام الأدب المهجرى ، وذكره مرتبط بذكر جبران خليل جبران ، فهو أول من ترجم كتب نابغة لبنان إلى العربية ، وهو العمل الذى استحق عليه ثناء المفكرين العرب واطراءهم ، وهذه الكتب هى: « النبى ، المجنون ، السابق ، رمل وزبد ، يسوع ابن الإنسان ، حديقة النبى، آلهة الأرض » ..

ثم توالت الترجمات بعده . فكان أحسنها وأدقها وأقربها من الأصل ترجمة الدكتور ثروت عكاشة التى صدرت عن دار المعارف بمصر ، أثبت فيها النص الإنكليزى ومقابله النص العربى . وإن كانت ترجمة المطران بشير تبقى فى الطليعة ، وسبب ذلك يعود إلى أن المطران بشير كان صديقاً وفياً لجبران ، عايشه فترة من الزمن ، وكان يطلعه على كل أعماله الأدبية قبل أن يخرجها إلى النور ، بالإضافة إلى أنه استطاع أن يفهمه حق الفهم ، وإن اختلف معه فى الرأى .

ويقول أنطونيوس : « ترجماتى لكتب جبران كانت بطلب منه .. كان عندما ينتهى من تأليف الكتاب يوكل إلىَّ أمر نقله ، ثم يقدم المخطوطتين الإنكليزية والعربية إلى المطبعة ، لتصدرا معاً فى وقت واحد .. وجميع كتب جبران التى ترجمتها إلى العربية وافق عليها قبل أن تطبع وقرأها كلمة كلمة وهى مسودات » .

وعندما صدرت ترجمة النبى كتب إلىَّ يقول : « لقد ألبست النبى حلة

(١) راجع مجلة المعرفة السورية عـــدد آب ١٩٦٤ ، وأنطيوس أنشأ فى الولايات المتحدة مجلة « الخالدات » بالعربية ، وله كتب بالعربية منها : اقرأ وفكر ، وثلاثة مفكرين فى الدين ، ومراقى النجاح . إلى مؤلفات له بالإنجليزية .

عربية لم أكن قادراً أن ألبسه أفضل منها » ؛ ويقول عنه وعن جبران : لم أكن على وفاق معه دائماً ، كثيراً ما كنا نختلف فى الرأى ، وأحاول إقناعه بوجهة نظرى ، فأفشل حينا وأنجح حينا آخر . كنت وأنا أترجم كتب جبران ألمس فيها التطرف والثورة، ومع ذلك لم أرفض ترجمتها .. ولو خيرت فى نقلها الآن لكان لى شأن آخر ، فقد كبرت وتغيرت نظرتى إليها . . إنى مازلت أذكر قصة خلافى الكبير معه حول فصل « الله والمجنون » .

ولا شك فى أن جبران كان أكثر المفكرين فهما للدين ، نظر إليه نظرة واسعة، فيها منتهى التسامح والمرونة .. لم يحارب من رجال الدين إلا المتعصبين والدجالين والمتاجرين ، أما الذين يقدسون الحق ويعملون به فقد أحبهم واحترمهم وفضح فى الوقت نفسه المرائين والمتظاهرين بالغيرة على الدين ، والدين منهم براء .

إن أعمال العنف التى كان يرتكبها بعض رجال الاكليروس فى لبنان حركت فى نفسه الثورة عليهم .. كانت سلطتهم واسعة . وحكمهم قاطعا ، ونفوذهم لا يقوى على احتماله أحد .

وكتاب نعيمة عن جبران بالرغم مما وجه إليه من انتقادات ، هو أفضل ما كتب عن حياة جبران ذلك لأن نعيمة كان أكثر أصدقاء جبران فهما له.. إنه يمثل جبران كحقيقة واقعة ، وذنب نعيمة أنه جرد جبران من تلك الهالة السحرية التى أحاطها به المزيفون والمعجبون ، وقشع عنه ضباب الوهم والأسطورة .. كل ماقال أن جبران كباقى الناس أحب وغامر وتمرد ، وكانت له مباذله وعلاقاته الخاصة .. وأنه ليس إلهاً ليكون معصوماً عن الخطأ .

وقد طبعت جميع آثار جبران المخطوطة . ولم يبق إلا بعض رسائله التى كان يبعث بها للسيدة مارى خورى وهى من أجمل ما كتب .

وجمع الدكتور جميل جبر رسائل جبران وطبعها تحت عنوان « رسائل جبران » .

أما رسائل ماري خوري فإن هذه السيدة اللبنانية كانت وثيقة الصلة بجبران ، ساعدته وأنفقت عليه .. وقد سلمت هذه الرسائل إلى المرحوم عبد المسيح حداد لنشرها ، إلا أن المنية عاجلته ، ولا يعرف مصيرها الآن .

والواقع أن نعيمة ، وإيليا أبي ماضي ، وعبد المسيح وندره حداد ، ورشيد أيوب ، ونسيب عريضة ، وباقي أعضاء «الرابطة القلمية» كانوا أكثر ملازمة لجبران .

ونظرة الأميركيين لجبران كبيرة ، لم تتغير أبدا ، وسيظل عندهم الأفضل ؛ وقد نقلت جميع مخلفات جبران إلى بشرى ، ولم يبق إلا بعض لوحاته التي كان قد أهداها إلى أصدقائه[1] .

ومن دواعي الفخر أن نذكر الرئيس الأمريكي الأسبق تيودور روزفلت قال لجبران :

« أنت أول عاصفة انطلقت من الشرق واكتسحت الغرب ، ولكنها لم تحمل إلى شواطئنا غير الزهور » .

وقد ميز جبران خليل جبران قلقه العميق المتواصل بين الشك والمحبة ، هذا القلق الذي أجج ناره فيه اصطدامه بالفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه ، هذا الاصطدام الذي أخرج جبران خليل جبران من وحدته ليعيش من جديد في صراع عنيف بين الإيمان بالله وبين الكفر بكل عقل أو نظام في الوجود من جهة ، وبين النزعة الإنسانية المحبة للإنسان ، وبين إهدار كل قيمة إنسانية .

---

(١) راجع مجلة المعرفة السورية — عدد آب ١٩٦٤

وظل جبران يتأرجح بين تيارات مختلفة من الثقافات : أبرزها فلسفة نيتشه الوجودية الاجتماعية الملحدة ، وبهذا كان للرمزية عند جبران خليل جبران إلى جانب ما أوتى من قوة الخيال هذا النوع من النزوع الصوفى الإنسانى إلى الله سبحانه وتعالى .

والرمزية فى أسلوبه تظهر فى شكلين : رمزية جزئيات الجملة عنده بين تشبيه واستعارة رمزية ، شأنه فى هذا شأن عامة الأدباء وخاصة العرب القدامى ، ورمزية أسلوبه الذى كان الحوار والقصص الرمزيان مظهرين من مظاهره التعبيرية الفنية جسدتها أبرز كتب جبران خليل جبران ، وهى : المواكب ، والنبى ، وآلهة الأرض ، وحديقة النبى .

وقد بدأ جبران حياته الأدبية والفنية والفكرية قاصا روائيا تراوحت كتاباته بين الغنائية الذاتية وبين الواقعية القريبة من الغنائية الذاتية ، يتناول فيها أمور المجتمع ومشكلاته أو مشكلات حياته الخاصة ومناسباتها ناقدا فاحصاً كما تنطق بهذا كتبه الأولى : الأرواح المتمردة ، عرائس المروج ، الأجنحة المتكسرة ، إذا نحن لم نغفل ما فى « العواصف » و « دمعة وابتسامة » من قصص أيضاً ، ولكنه عندما ازداد أوار انطوائيته المضطربة القلقة المتأملة جنح إلى الحوار والقصص الرمزيين متخذا الأشخاص والموضوعات والحركة الحوارية والقصصية رموزاً لأفكاره ومشاعره ، وكلها من صميم معاناته للوجود ومشكلاته وجانبه الفلسفى : الدينى أو الاجتماعى أو الأخلاقى .

وكان للرمزية عند جبران خليل جبران ، إلى جانب تلك التصوفية المسيحية القلقة هذه الأنماط من الأسلوب الرمزى الحوارى القصصى التى دعمها خياله المصور الخلاق فى تعبيرها عما هضمته هذه التصوفية من معان ووجدانات إنسانية .

صور من شعر جبران

- ١ -

المواكب :

الخير فى الناس مصنوع إذا جبروا والشر فى الناس لايفنى وإن قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هـذا عالم علم ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر
ليس فى الغابات راع لا ، ولا فيها القطيع
فالشتا يمشى ولكن لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيداً للذى يأبى الخضوع
فإذا ما هب يوما سائرا سار الجميع
أعطنى النـاى وغن فالغنا يرعى العقول
وأنين النـاى أبقى من مجيد وذليل
وما الحيـاة سوى نوم تراوده أحلام من بمراد النفس يأتمر
والسر فى النفس حزن النفس يستره
فإن تولى فبالأفراح يستتر
والسر فى العيش رغد العيش يحجبه فإن أزيل تولى حجبه الكدر
فإن ترفعت عن رغد وعن كدر
جاورت ظل الذى حارت به الفكر
ليس فى الغابات حزن لا ، ولا فيها الهموم
فإذا هب نسيم لم تجىء معه السموم
ليس حزن النفس إلا ظل وهم لايدوم
وغيوم النفس تبدو من ثناياها النجوم

أعطنى النـاى وغن		فالغنا يمحو المحن
وأنين النـاى يبقى		بعد أن يفنى الزمن

والحب فى الناس أشكال وأكثرها		كالعشب فى الحقل لازهر ولاثمر
وأكثر الحب مثل الراح أيسره		يرضى ، وأكثره للمدمن الخطر
والحب إن قادت الأجسام موكبه		إلى فراش من الأغراض ينتحر
كأنه ملك فى الأسر معتقل		يأبى الحياة وأعوان له غدروا

ليس فى الغاب خليع		يدعى نبل الغرام
فاذا الثيران خارت		لم تقل هذا الهيام
إن حب الناس داء		بين لحم وعظام
فاذا ولى شبـاب		يختفى ذاك السقام
أعطنى النـاى وغن		فالغنا حب صحيح
وأنين النـاى أبقى		من جميـل ومليح

وما السعادة فى الدنيا سوى شبح		يرجى ، فان صار جسما مله البشر
كالنهر يركض نحو السهل مكتدحا		حتى إذا جاءه يبطى ويعتكر
لم يسعد الناس إلا فى تشوقهم		إلى المنيع ، فان صاروا به فتروا
فان لقيت سعيداً وهو منصرف		عن المنيع فقل فى خُلقه العبر

ليس فى الغاب رجاء		لا ، ولا فيه الملل
كيف يرجو الغاب جزءا		وعلى الكل حصل ؟
إنمـا العيش رجاء		إحدى هاتيك العلل
أعطنى النـاى وغن		فالغنـا نار ونور
وأنين النـاى شوق		لا يدانيـه الفتور

والموت فى الأرض لابن الارض خاتمة
وللأثيرىّ فهو البدء والظفر
فمن يعانق فى أحلامه سحرا		يبقى ، ومن نام كل الليل يندثر

ومن يلازم تربا حال يقظته يعانق الترب حتى تخمد الزهر
فالموت كالبحر، من خفت عناصره يجتازه وأخو الأثقال ينحدر
ليس فى الغابات موت لا ، ولا فيها القبور
فإذا نيسان ولى لم يمت معه السرور
إن هول الموت وهم ينثنى طى الصدور
فالذى عاش ربيعا كالذى عاش الدهور
أعطنى الناى وغن فالغنا سر الخلود
وأنين الناى يبقى بعد أن يفنى الوجود
العيش فى الغاب ! والأيام لو نظامت فى قبضتى لغدت فى الغاب تنتثر
لكن هو الدهر فى نفسى له أرب فكلما رمت غابا قام يعتذر !
وللمقادير سبل لا تغـيرها والناس فى عجزهم عن قصدهم قصروا

— ٢ —

ماذا تقول الساقية ؟ :

سرت فى الوادى وقد جاء الصباح معلناً سر وجود لا يزول
فإذا ســاقية بين البطاح تتغنى وتنــادى وتقول :
ما الحياة بالهنـاء إنمـا العيش نزوع ومرام
ما الممات بالغنـاء إنمـا الموت قنوط وسقام
ما الحكيم بالكلام بل بسر ينطوى تحت الكلام
ما العظيم بالمقـام إنمـا المجد لمن يأبى المقام
ما النبيل بالجـدود كم نبيل كان من قتلى الجدود
ما الذليـل بالقيود قد يكون القيد أسنى من عقود
ما النعيم بالثواب إنمـا الجنة بالقلب السليم
ما الجحيم بالعذاب إنمـا القلب الخلى كل الجحيم
ما العقار بالنضار كم شريد كان أغنى الأغنياء

ما الفقير بالحقير ثروة الدنيا رغيف ورداء
ما الجمال بالوجوه إنما الحسن شعاع للقلوب
ما الكمال للنزيه رب فضل كان فى بعض الذنوب
هذا ما قالته تلك الساقية لصخور عن يمين ويسار
رب ما قالته تلك الساقية كان من أسرار هاتيك البحار

— ٣ —

بالأمس :

كان لى بالأمس قلب فقضى وأراح الناس منه واستراح
ذاك عهد من حياتى قد مضى بين تشبيب وشكوى ونواح
إنما الحب كنجم فى القضا نوره يمحى بأنوار الصباح
وسرور الحب وهم لايطول وجمال الحب ظل لايقيم
وعهود الحب أحلام تزول عندما يستيقظ العقل السليم
كم سهرت الليل والشوق معى ساهر أرقبه كى لا أنام
وخيال الوجد يحمى مضجعى قائلا : لاتدن فالنوم حرام
وسقامى هامس فى مسمعى : من يريد الوصل لايشكو السقام
تلك أيام تقضت فابشرى ياعيونى بلقا طيف الكرى
واحذرى يانفس أن لاتذكرى ذلك العهد وما فيه جرى
كنت إن هبت نسيمات السحر أتلوى راقصاً من مرحى
وإذا ما سكب الغيم المطر خلته الراح فأملا قدحى
وإذا البدر على الأفق ظهر وهى قربى صحت : هلا يستحى ؟
كل هذا كان بالأمس ، وما كان بالأمس تولى كالضباب
ومحا السلوان ماضىً كما تفرط الأنفاس عقدا من حباب
يابنى أمى إذا جاءت سعاد تسأل الفتيان عن صب كئيب
فاخبروها أن أيام البعاد أخمدت من مهجتى ذلك اللهيب

ومكان الجمر قد حل الرماد ... ومحا السلوان آثار النحيب
فإذا ما غضبت لا تغضبوا ... وإذا ناحت فكونوا مشفقين
وإذا ما ضحكت لاتعجبوا ... إن هذا شأن كل العاشقين . !
ليت شعرى هل لما مر رجوع ... أو معاد لحبيب وأليف ؟
هل لنفسى يقظة بعد الهجوع ... لتريني وجه ماضي المخيف
هل يعى « أيلول » أنغام الربيع ... وعلى أذنيه أوراق الخريف ؟
لا ! فلا بعث لقلبي أو نشور ... لا ! ولا يخضر عود المحمل
ويد الحصّاد لا تحيي الزهور ... بعد أن تبرى بحد المنجل . .
شاخت الروح بجسمى وغدت ... لاترى غير خيالات السنين
فإذا الأميال فى صدرى مشت ... فبعكاز اصطبارى تستعين
والتوت منى الأمانى وانحنت ... قبل أن أبلغ حد الأربعين
تلك حالى فإذا قالت رحيل ... ما عسى حل به قولوا : الجنون
وإذا قالت أيشفى ويزول ... مابه ؟ قولوا : ستشفيه المنون[1]

---

(١) راجع أثر جبران فى الشعر المعاصر فى كتابى (١٩١ البناء الفنى للقصيدة العربية) .

ميخائيل نعيمة

- ١ -

يقول ميخائيل نعيمة من قصيدته « الطريق » المملوءة بالحيرة :

نحن يا ابني عسكر قد تاه في قفر سحيق
نرغب العود ولا نذكر من أين الطريق ؟
فانتشرنا في جهات القفر نستجلي الأثر
نسأل الشمس عن الدرب ونستفتي الحجر
وسنبقى نفحص الآثار من هذا وذاك
ريثما ندرك أن الدرب فينا لا هناك
وسنبقى في انتقال وشقاء وعذاب
وصعود وهبوط وذهاب وإياب
وسنبقى نهجع الليل وفي الصبح نفيق
ريثما نلقى حنانا ، ريثما نلقى الطريق

ويقول من قصيدة أخرى له :

ذمك الأيام لاينفعك — فهي لا أذن لها تسمعك
لا ولا عين ترى عقربا — في دياجير الأسى تلسعك
لا ولا قلب يرق وإن — جف من طول البكا مدمعك
عندها سيان يا صاحبي — أزهرت أم أقفرت أربعك
ذمك الأيام لا ينفعك — إنما الأيام لاتسمعك
فهي منك الظل يا صاحبي — عجباً ظلك كم يخدعك

ويقول ميخائيل نعيمة من قصيدته «أخى» وهى قصيدة ثرية بالمعانى الإنسانية :

أخى إن ضج بعد الحرب غربى بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا ؛ وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا . ولا تشمت لمن دانا
بل اركع صامتا مثلى بقلب خاشع دام
لنبكى حظ موتانا

وهذه الألوان من شعره صورة لحياة نعيمة وشاعريته وفلسفته ؛ ونعيمة أحد شعراء المهجر المبدعين المجددين ، وقد أودع كتابه «الغربال» الذى أصدره عام ١٩٢٣ آراء فى النقد والأدب ومشكلات الشعر . . ومسرحيته «الآباء والبنون» كان لها أكبر الأثر فى المسرحية العربية ، وقد نشرها عام ١٩١٧ ، ويتلاقى «الغربال» مع «الديوان» الذى أصدره العقاد والمازنى عام ١٩٢١ فى نقد المدرسة القديمة ووضع مناهج جديدة للشعر والنقد ، ويقول نعيمة : إن هدف الأدب هو الإفصاح عن عوامل الحياة ، ويطلق الدكتور مندور على شعر المهجر لقب «الشعر المهموس» لأنه يقع فى النفس موقع الأسرار التى يتهامس بها الناس ، وكلمة الهمس فى رأى مندور هى إحساس بالأدب المصنوع من الحياة كأنه قطعة منها .

ولد نعيمة [1] فى لبنان عام ١٨٨٩ م ، والتحق بمدرسة روسية كانت قد أنشئت حديثاً فى بلدته ، ثم اختير لإكمال تعليمه فى دار المعلمين الروسية

---

(١) ظهر عن نعيمة كتاب «ميخائيل نعيمة الأديب الصوفى» لثريا ملحس - طبع بيروت ١٩٦٥ ، ويعد المستشرق الهولندى نايلاند رسالة للدكتوراه عن أدبه .

فى مدينة الناصرة بفلسطين ، ثم اختير فى بعثة دراسية إلى روسيا على نفقة الجمعية الإمبراطورية الروسية الفلسطينية ، وطالع الأدب الروسى باهتمام وتأثر به .. وعاد إلى لبنان ، ومنها إلى ولاية واشنطون ، حيث والى دراسته فى إحدى مدنها وحصل على إجازة فى الحقوق وإجازة أخرى فى الأدب عام ١٩١٦ ، وخدم فى الجيش الأمريكى حيث عمل فى صفوف القتال فى فرنسا ، وقد كره الحرب ، وندد بها طول حياته .

ثم عاد إلى الولايات المتحدة ، واشتغل بالتجارة ، وبالأدب ، وكتب فى مجلة « الفنون » — التى كانت تصدر فى نيورك بالعربية — فصولا فى الأدب والنقد ، وانتقل إلى نيويورك ، واتصل بجبران ، ولما كونت الرابطة القلمية عام ١٩٢٠ كان جبران رئيسها ، ونعيمة مستشاراً لها ، ومن أعضائها : إيليا أبو ماضى ، ونسيب عريضة ، ورشيد أيوب ، وعبد المسيح حداد . . وسجل نعيمة فى صدر قانون الرابطة : « إن هذه الروح الجديدة التى ترمى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى، لحرية فى نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة ، فهى أمل اليوم ، وركن الغد » .

وفى عام ١٩٣٢ عاد ميخائيل نعيمة إلى وطنه لبنان ، حيث عكف على الاطلاع والكتابة ، ونظم القصائد ، ولا يزال حتى اليوم يعيش فى قريته « بسكنتا » الوادعة النـــائمة فى حضن جبل لبنان الأشم . . ويعد كتابه « الغربال » من أمهات كتب النقد والدعوة إلى التجديد ، وقد كتب العقاد مقدمة طبعته الأولى عام ١٩٢٣ ، ولنعيمة ديوان « همس الجفون » ، ومن كتبه : « زاد المعاد » ، « والبيادر » وجبران خليل جبران ، وكرم على درب، ودروب ، وفى مهب الريح ، وصوت العالم ، والمراحل ، وسواها من مؤلفاته وروائع إنتاجه الذى عد به قمة فى الأدب المهجرى ، وعلما شامخا فى حركة التجديد فى الشعر العربى الحديث .

وكتاب زاد المعاد لنعيمة صدى عميق لفلسفة جبران وروحه وفكره

فى كتابه « النبى » . . . كما نجد مثل ذلك التأثر بكتاب « النبى » لجبران عند شكر الله الجر فى كتابه « نبى أورفليس » .

— ٢ —

ويقول عنه فوزى سليمان من مقال نشره فى جريدة المساء :

« نعيمة هو أحد رواد ثورة التجديد فى الأدب العربى الحديث زعيم الحركة المهجرية فى تحرير اللغة ونقلها من الجمود إلى حياة نشطة ، ينبض فيها الأدب بالأفكار والمعانى ، ولا يئن تحت ثقل ما يرتديه من الأزياء اللغوية. مذهبه النقدى الجديد فى كتابه « الغربال » الذى صدر عام ١٩٢٣ ، لازالت له جدته ، ولا يزال يؤثر فى النقاد والمفكرين .

ثورته على الشعر التقليدى وابتداعه للقوافى المتنوعة ذات الوقع الموسيقى كان دفعاً للشعر العربى الحديث .. أسهم فى مولد المسرحية العربية فى مسرحيته « الآباء والبنون » التى نشرت أول مرة عام ١٩١٧ فى نيويورك، وأسهم فيها فى حل مشكلة العامية والفصحى فى الكتابة المسرحية .

قصصه الأولى كانت من أوائل القصص القصيرة التى تتسم بالواقعية والتكامل الفنى وتتجه إلى مشكلات المجتمع ومحاربة التقاليد البالية .

وكانت ثورة ميخائيل نعيمة فى المهجر — فى أمريكا — معاصرة لثورة أخرى فى مصر .. كان هدف ثورة العقاد والمازنى فى « الديوان » (١٩٢١) وهدف ثورة نعيمه فى «الغربال» (١٩٢٣) هدفا واحداً ، هو محاولة ابتعاث مدرسة جديدة فى الأدب على أنقاض المدرسة التقليدية .. حتى يكتب العقاد فى مقدمة الغربال .

ثار نعيمة على قيود اللغة والمتحذلقين فيها . . قال عن القصد من الأدب إنه « الإفصاح عن عوامل الحياة كما تنتابنا من أفكار وعواطف وإن اللغة ليست سوى وسيلة من وسائل كثيرة اهتدت إليها البشرية للإفصاح عن

أفكارها وعواطفها ، وإن للأفكار والعواطف كيانا مستقلا ليس للغة ، فهى أولا واللغة ثانياً . إن كل القواميس وكتب الصرف والنحو فى العالم لم تحدث ثورة ولا أو جدت يوما أمة ، لكن الفكر والعاطفة يجددان العالم فى كل يوم .

وكان نعيمة مجددا كشاعر .. خرج على الأوزان التقليدية فى الشعر .. أحياناً يتقيد بالقافية فى كل بيتين وليس فى القصيدة كلها .. وأدخل كلمات جديدة فى قصائده .. واتخذ موضوعاته مما لها صلة بالحياة مع مراعاة وحدة القصيدة .. لعل من أروع ماقرأته له .. وللشعراء المحدثين عامة ، قصيدته «أخى» الغنية بالمعانى الإنسانية التى يبدؤها :

أخى إن ضج بعد الحرب غربى بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت لمن دانا
بل اركع صامتا مثلى بقلب خاشع دام
لنبكى حظ موتانا ..

وقد أطلق محمد مندور على شعره هذا «الشعر المهموس» لأنه يقع فى النفس موقع الاسرار التى يتهامس بها الناس ، يؤنس النفس . ويشعرها بالواجب الوطنى همساً دون خطابة ، وكلمة الهمس ـ فى رأى الدكتور مندور هى «إحساس بالأدب المصنوع من الحياة كأنه قطعة منها» .

كان مولد ميخائيل نعيمة فى بسكنتا فى أكتوبر من عام ١٨٨٩ ، من أبوين أرثوذكسيين يجهلان القراءة والكتابة ، ويعيشان مع الأرض وفيها ، وكان أقصى أمانى والدته الأمية أن ترى فى بيتها كتباو أقلاما ودفاتر ، ولكن القرية لم يكن فيها غير مدرسة طائفية قوامها معلم واحد .

وفى هذا العهــد كانت روسيا القيصرية قد بدأت تهتم بمنطقة الشرق الأوسط ، وكان من مظاهر اهتمامها العمل على إنعاش الأرثوذكسية فى الأراضى المقدسة عن طريق التعليم ، وتألفت فى عاصمة القياصرة « الجمعية الإمبراطورية الروسية الفلسطينية » التى راحت تفتح المدارس المجانية فى الشام ، فما درينا إلا فى وبسكنتا مدرسة روسية ابتدائية منظمة أحسن التنظيم ، ولا يتكلف الطالب فيها شيئاً ، فالكتب والأقلام كذا الصابون والمناشف والامشاط كانت تقدم بغير حساب .

وبعد خمس سنوات من التحاقه بالمدرسة ، يقع عليه الاختيار — لتفوقه لمتابعة دروسه فى دار المعلمين الروسية فى مدينة الناصرة بفلسطين .

ومرة أخرى قبل أن يستكمل دراسته فى الناصرة يختار بين عدد قليل من الطلبة المتفوقين فى بعثة إلى روسيا على نفقة الجمعية الإمبراطورية بما فى ذلك سفره ذهاباً وإياباً ومصروف جيبه طوال مدة إقامته فى روسيا .

كان مجىء ميخائيل نعيمه إلى أكاديمية بولتافا فى أكرانيا وهو على مشرف عامه السابع عشر .. وقضى هناك سنوات شبابه الأول .

ماذا كان تأثير معيشته فى هذه البلاد الغريبة وهو فى مرحلة التفتح والتكوين ..؟

تحدث ميخائيل نعيمة باختصار عن تأثير الحياة الروسية والأدب الروسى فى تكوينه .. فى فصل من كتابه « أبعد من موسكو ومن وشنطن » ، يفيض فيه نعيمة فى الحديث عن تأثير الأدب الروسى عليه . ويتحدث عن شعر بوشكين وليرمنتوف ونكراسوف فيقول :

« أطللت على الكآبة العميقة فى النفس الروسية نتيجة للقلق المستبد بها من حياة مقنعة العينين ، مكبلة اليدين والرجلين ، وللشوق المتأجج فيها إلى حياة تبصر طريقها وتسير فيه سليقة ، نشطة آمنة ومؤملة » .

أما بيلنسكى الناقد الروسى فقد كشف له عن مواطن الصدق والقوة والخير والجمال فى العمل الأدبى وعن سمو وظيفة الأديب إذا هو أحسن تأديتها ، بالنسبة إلى نفسه ، وإلى الحياة حواليه ، وإلى الذين يقرأونه .

و « جوركى » سلط أمام ذهنه أنوارا كشافة على زوايا مظلمة من الحياة الروسية — حياة المشردين والمحرومين والناقمين على نظام يعيشون فى ظله حياة المنسيين الساكنين فى « القاع » .

ويعجب بتشيكوف فى تصويره الدقيق لجميع نواحى الحياة بما فيها من تشاؤم وتفاؤل ، وانبساط وانقباض ، وثروات وثورات .

وقر قراره أن يعود إلى لبنان ومنها إلى باريس حيث يلتحق بالسوربون ويدرس المحاماة ، مع أنه كان يكره المحاماة ، ولكنها كانت من بين جميع المهن الحرة تمت إلى الكتابة والخطابة بصلة ، ولانها مورد رزق .

ولكنه وجد نفسه قبل نهاية سنة ١٩١١ فى إحدى مدن ولاية وشنطن بدلا من العاصمة الفرنسية ، ويدرس الحقوق فى جامعة الولاية لا فى السوربون فقد جاء أخوه إلى لبنان وهو يستعد للسفر إلى باريس وأقنعه بالعودة معه إلى الولايات المتحدة .. وكان نعيمه يروم بعد تخرجه أن يعود إلى بلده حيث المحامون الحاصلون على شهادات جامعية يعدون على الأصابع فى تلك الأيام فيكون له شأن وله مقام .. ولكن طريق عودته إلى لبنان بعد حصوله على شهادة فى الحقوق وأخرى فى الأدب — عام ١٩١٦ كان مسدودا ، كانت الحرب العالمية الأولى قائمة آنذاك .

ووجد الشاب المسالم الذى يكره الحرب كل الكراهية ويبارك الحياة ويقدسها .. وجد نفسه مسوقاً إلى الجندية — جند فى الجيش الأمريكى على كتفه بندقية « أنا مدعو لخدمة الحرب وقهر السلم ، وإتلاف الحياة فى مخاليق مثلى لا أعرفهم ولا يعرفونى ، ولا آذيتهم فى حياتى ولا آذونى » ، ولكن

القدر كان رفيقا به .. فخلال السنة التى خدمها جنديا بسيطا فى فرنسا لم يمض منها فى خطوط النار إلا تسعة أيام .. ولم يكره أثناءها على إطلاق رصاصة واحدة من بندقيته على « الأعداء » ولا أكره جنديا من « الأعداء » على إطلاق رصاصة واحدة عليه ، رغم أنه كان محاطا بالأخطار من كل جانب. لاشك أن معاناته لتجربة الحرب ولو على هذا النطاق الضيق أتاحت له أن يرى الجانب المظلم من المدنية الحديثة التى تعبد العقل والمادة ، ولذلك ظل يكره الحرب . ولكنه يرتفع أو يتعمق بمستوى كراهيته .. فى قصته « مذكرات الارقش » (١٩٤٩) يقول على لسان البطل الذى يترجم عن أفكاره هو :

« لعل أكره مايكرهه الناس الحرب ، فهى فى نظارهم شر عظيم . ولكنه شر لامناص منه ، لكثرة مايراق من الدماء وما يتلف من الخيرات ، ثم لكثرة ماتسببه من آلام للمحاربين وغير المحاربين بالسواء » .

لكنه يعود فيقول معبرا عن فلسفته : « لكن شر الحرب الأكبر هو فى قتلها الروح قبل الجسد ، بتحويلها قوى الإنسان من عدو فى نفسه إلى عدو خارج نفسه ، وما من عدو للإنسان غير نفسه .

فى أمريكا اضطر نعيمة أن يعمل فى التجارة ليكسب رزقه . . وكانت روحه تكره العمل التجارى ، وتهرب إلى مجال الأدب .. وذات يوم جاءه صديق بكتاب « الأجنحة المتكسرة » لجبران خليل جبران .. فكتب عن الكتاب نقدا أرسله إلى مجلة « الفنون » التى تصدر فى نيويورك بالعربية . . كان أول مقال نقدى كتبه فى حياته الأدبية . . بين مافى الرواية من نقص فنى ولكنه لمس فى جمال أسلوبها فجر عصر أدبى جديد . . وتأكد أصحاب « الفنون » أنهم وقعوا على أديب عربى مجــــدد ، فألحوا عليه أن يأتى إلى نيويورك . .

وكان أول لقاء بين نعيمه وجبران .. يحكى نعيمه قصة اللقاء الأول فى كتابه عن جبران:

«بعد ظهر النهار الذى وصلت فيه كنت فى إدارة «الفنون» وإذا بشاب يدخل لطيف، الملامح .. ماأن وقع نظرى عليه حتى قلت: هذا جبران! ولم أكن، أبصرت له صورة من قبل. وماأن رآنى حتى تقدم منى وهتف هذا ميخائيل نعيمة؛ وتصافحنا، كما لو كنا أخوين شتتهما البين، ثم عادت الأقدار فجمعتهما».

وكان بدء صداقة خالدة من أشهر الصداقات الأدبية.

وفى نيويورك تألفت «الرابطة القلمية» أحد معالم الحركة الأدبية العربية التجديدية الحديثة .. جبران رئيسا .. ومن الأعضاء إيليا أبوماضى ونسيب عريضة، وعبد المسيح حداد، ورشيد أيوب .. وكتب نعيمه فى مقدمة قانون الرابطة:

«إن هذه الروح الجديدة التى ترمى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى، لحرية فى نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهى أمل اليوم وركن الغد».

ولم ترق له حياة السعى وراء الدولار والتنافس والتعارك والإثراء بأى ثمن، أوكما يقول فى كتابه «زادالمعاد»: «ريال نيويورك نقاب كثيف يحجب وجه الله». وفى كتاب «صوت العالم» يقول: «لست أنكر على المدنية الحديثة أعمالا جبارة قامت بها، فما وفرت وقتا ولا مالا ولاعناء ولا أرواحا فى سبيل الترفيه عن البشرية المكدودة، وقد كان فى مستطاع البشرية أن تحيا حياة رفاهية وهناءة لوأن المدنية علمتها كيف تنعم بما أخرجته لها من كنوز الأرض، وما ذللته لخدمتها من العناصر.

والحلم الذى تمناه معه صديقه ورفيقه جبران خليل جبران .. أن يعودا

إلى الوطن .. إلى جبل لبنان . . وينطلقا بروحهما هناك .. بعيدا عن صخب نيويورك .. لم تتح الأقدار أن يحققاه سويا .. يعود « ميشا » وحده إلى لبنان عام ١٩٣٢ .. إلى قريته بسكنتا عند جبل حنين . . وما كان أسعده أن يعود إلى الطبيعة التى أحبها والتى يعيش اليوم بين أحضانها .

عاد وفى أذنيه ضجيج مدنيات لا تحصى ، وفى رأسه براكين من الأفكار ، وفى قلبه حنين إلى عزلة يستطيع أن يغرق فى صمتها وسكونها وجمالها ، وهناك فى أعلى الجبل — فى مزرعته المسماة بالشخروب — يمضى وقته بين ساعات للتأمل ، وغربلة للماضى ، وتعرية للنفس « وفتح كوى الروح لنور الله » . وساعات للتأليف . وهو بين أحضان الطبيعة قرير ، يؤمن بالإنسان .

صور من شعر ميخائيل نعيمة

— ١ —

لست أخشى :

سقف بيتي حديد   ركن بيتي حجر
فاعصفي يارياح   وانتحب يا شجر
واسبحي يا غيوم   واهطلي بالمطر
واقصفي يا رعود   لست أخشى خطر
سقف بيتي حديد   ركن بيتي حجر
من سراجي الضئيل   أستمد البصر
كلما الليل طال   والظلام انتشر
وإذا ما الفجر مات   والنهار انتحر
فاختفي يا نجوم   وانطفيء يا قمر
من سراجي الضئيل   أستمد البصر
باب قلبي حصين   من صنوف الكدر
فاهجمي يا هموم   في المسا والسحر
وازحفي يا نحوس   بالشقا والضجر
وانزلي بالألوف   يا خطوب البشر
باب قلبي حصين   من صنوف الكدر
وحليفي القضاء   ورفيق القدر
فاقدحي يا شرور   حول قلبي الشرر
واحفري يا منون   حول بيتي الحفر
لست أخشى العذاب   لست أخشى الضرر
وحليفي القضاء   ورفيق القدر . .

— ٢ —

يا بحـــر :

أما تعبت ؟ عجيج كر ، ففر ، فكر
ماذا تروم وأنى تسير لا تستقر ؟
كأنما فيك مثـــلى قلبان : عبد وحر
هـذا يروم فراراً من ذا وليس مفر
يابحر . يابحر قل لى هل فيك خير وشر؟
هل فى سكونك أمن وفى هياجك ذعر ؟
أم فى امتدادك يسر وفى انقباضك عسر؟
وفى انخفاضك ذل وفى ارتفاعك فخر
وفى سكوتك حزن وفى هديرك بشر ؟
يابحر ! يابحر قل لى هل فيك خير وشر؟
وقفت والليل داج والبحر كر ، وفر
فـــلم يجبنى بحر ولم يجبنى بر
وعند ما شاب ليلى وكحل الأفق فجر
سمعت نهرا يغنى : « الكون طى ونشر
فى الناس خير وشر فى البحر مدوجزر »

— ٣ —

إلى دودة :

تدبين دب الوهن فى جسمى الفانى وأجرى حثيثاً خلف نعشى وأكفانى
فأجتاز عمرى راكضاً متعثرا بأنقاض آمالى وأشباح أشجانى
وأبنى قصوراً من هباء وأشتكى إذا عبثت كف الزمان ببنيانى

ففى كل يوم لى حيـــاة جديدة وفى كل يوم سكرة الموت تغشانى
ولولا ضباب الشك يادودة الثرى لـكنت ألاقى فى دبيبك إيمانى
فأترك أفكارى تذيع غـرورها وأترك أحزانى تـكفن أحزانى
وأزحف فى عيشى نظيرك جاهلا دواعى وجدى ، أو بواعث وجدانى
ومستسلماً فى كل أمر وحالة لحـكمة ربى ، لا لأحكام إنسان
فما أنت عميـاء يقودك مبصر وأمشى بصيراً فى مسالك عميان
لك الأرض مهـد والسماء مظلة ولى فيهما من ضيق فـكرى سجنان
لئن ضاقتا بى لم تضيقا بحاجتى ولـكن بجهلى وادعائى بعرفانى
ففى داخلى ضـــدان : قلب مسلم وفـكر عنيد بالتساؤل أضنانى
توهم أن الـكون سر ، وأنه ينال ببحث أو يباح ببرهان
فراح يجوب الأرض والجو والسما يسائل عن قاص ويبحث عن دان
وكنت قصيداً قبل ذلك كاملا فضعضع ما بى من معان وأوزان ..
وأنت التى يستصغر الـكل قدرها ويحسبها بعض زيادة نقصان
تدبين فى حضن الحيـــاة طليقة ولا هم يضنيك بأسرار أكوان
فلا تسألين الأرض : من مدطولها؟ ولا الشمس: من لظى حشاها بنيران؟
ولا الريح عن قصد لها من هبوبها ولا الوردة الحمراء عن لونها القانى
وما أنت فى عين الحيـــاة ذميمة وأصغر قدراً من نسور وعقبان
فلا التبر أغلى عندها من ترابهـا ولا المـاس أسنى من حجارة صوان
هل استبدلت يوماً غراباً ببلبل وهل أهملت دوداً لتلهو بغزلان ؟
وهل أطلعت شمساً لتحرق عوسجا وتملأ سطح الأرض بالآس والبان ؟
لعمرك يا أختـاه ما فى حياتنا مراتب قدر أو تفاوت أثمان
مظاهرها فى الـكون تبدو لنـاظر كثيرة أشكال ، عديدة ألوان
وأقنومها باق من البدء واحداً تجلت بشهب أم تجلت بديدان
وما ناشد أسرارها ـ وهو كشفها ـ سوى مشتر بالمـاء حرقة عطشان

— ٤ —

هل من الأمواج جئت :

إن رأيت البحر يطغى الموج فيه ويثور
أو سمعت البحر يبكى عند أقدام الصخور
ترقبى الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتناجى البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليه
هل من الأمواج جئت ؟
إن سمعت الرعد يدوى بين طيات الغمام
أو رأيت البرق يفرى سيفه جيش الظلام
ترصدى البرق إلى أن تخطفى منه لظاه
ويكف الرعد لكن تاركاً فيك صداه
هل من البرق انفصلت ؟
أم مع الرعد انحدرت ؟
إن رأيت الريح تذرى الثلج عن رأس الجبال
أو سمعت الريح تعوى فى الدجى بين التلال
تسكن الريح وتبقى باشتياق صاغيه
وأناديك ولكن أنت عنى قاصيه
فى محيط لا أراه
هل من الريح ولدت ؟
إن رأيت الفجر يمشى خلسة بين النجوم
ويوشى جبة الليل المولىّ بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالا صاعداً منك إليه
وتخرى كنبي هبط الوحى عليه

بخشوع جاثية
هل من الفجر انبثقت ؟
إن رأيت الشمس فى حضن المياه الزاخرة
ترمق الأرض وما فيها بعين ساحرة
تهجع الشمس ، وقلبى يشتهى لو تهجعين
وتنام الأرض لكن أنت يقظى ترقبين
مضجع الشمس البعيد
هل من الشمس هبطت؟
إن سمعت البلبل الصداح بين الياسمين
يسكب الألحان ناراً فى قلوب العاشقين
تلتظى حزناً وشوقاً والهوى عنك بعيد
فاخبرينى ! هل غنا البلبل فى الليل يعيد
ذكر ماضيك إليك ؟
هل من الألحان أنت ؟
إيه نفسى ! أنت لحن فىَّ قد رن صداه
وقعتك يد فنان خفى لا أراه
أنت ريح ، ونسيم ، أنت موج ، أنت بحر
أنت برق ، أنت رعد ، أنت ليل ، أنت فجر
أنت فيض من إله

الدكتور أحمد زكى أبو شادى

٩ فبراير سنة ١٨٩٢ — ١٢ أبريل سنة ١٩٥٥

— ١ —

أحمد زكى أبو شادى ناقد كبير ، وأديب موهوب ، وعالم أصيل النزعة العلمية ، وشاعر خصب الخيال مشبوب الشعور قوى الشاعرية ، وهو إلى ذلك كاتب حر ، ومفكر رائد ، وطبيب خلف آثاراً عديدة فى الطب ، وموسيقى ورسام له لوحات عديدة خلفها لأسرته فيما خلف من تراث جليل .

وقد كان صورة زاهية للعقل المصرى المتحرر المتوثب ، وجيلا كاملا من العظمة والمجد والموهبة التى لا تفتأ تبتكر وتجدد ، وتنير للإنسانية طريقها بين الظلام والصخور والأشواك .

عاش أبو شادى طول حياته ، يناضل نضال الأبطال الأحرار ، من أجل مصر والعرب ، مصر التى أخلص لها حياته وفكره ، والعروبة التى دافع عن حقوقها وأمجادها :

إن الكنانة والعروبة ملتى　　دين يوحده الوفى العابد
فلموطنى روحى وكل جوارحى　　ولكم حنينى والشعور الماجد
يكفى لنا النسب العتيد مجمعا　　لجميعنا صيد رماه الصائد

وقصائده فى الدفاع عن العالم العربى وحريته ، وفى تأييد حقوق شعوبه ، تسجل لنا أحاسيسه الوطنية والقومية الرفيعة .

ومع سيادة هذه النزعة فى تفكير أبى شادى وأدبه ، تبدو فيهما كذلك مظاهر النزعة الإنسانية ، التى لونت حياته وأدبه وشعره بألوان مشرقة من الحب والإخاء الإنسانى ، وما أجمل ما يقول عن نفسه :

إن كان للوطن العزيز رعايتى فلدولة الإنسان عهد ولائى

ولم يكن لأبى شادى هدف واحد بل أهداف ، ولم يحي فى الأغلال والقيود، وإنما عاش حرا طليقا ، يؤمن بحرية الوطن والعروبة ، وبحرية الفكر والنقد والأدب والفن ، ويكافح من أجل التحرر العقلى والثقافى ، ويذيع آراءه فى مجلاته وكتبه العلمية والأدبية ، التى تبلغ الثلاثين ، وفى قصصه ومسرحياته الشعرية ودواوينه ، مما يبلغ الثلاثة والثلاثين ، ودعواته للتجديد فى الأدب والشعر تراث خالد فى أدبنا الحديث .

وكان أبو شادى يرى الرجعية والجمود والتقليد ألد أعداء الحرية ، ومن ثم حاربها وأعلن الثورة عليها ، وكان يؤمن بالإنسانية فى الثقافة ، ومن ثم درس روائع الأدب العربى قديمه وحديثه ، وأدب المهجر وأعلامه ،وتناول أصول الأدب الإغريقى ومذاهب البلاغة عند الأوربيين ، واطلع على آثار العلوم والفكر فى كل لغة وثقافة، وعاش يدعو فى الثقافة والسياسة والاجتماع إلى التحرر والثورة على خصوم التقدم مردداً قوله :

وإنى على ضعفى - لرائد بيئتى جريئا أوافيها بحبى وإيثارى

ويدعو فى الأدب إلى الإخاء الإنسانى ، وإلى الإخلاص والديمقراطية والوحدة وخدمة الفكر والإيمان بالمثالية ، ويدعو فى الشعر إلى الأصالة والفطرة والموهبة وإلى الوحدة التعبيرية ، والتناول الفنى السليم للفكرة والمعانى والموضوع .

وقد عمل طول حياته على إنصاف الشعراء ، وبخاصة المغمورون منهم ، وأنشأ مجلة أبولو ومدرستها الشعرية من أجل خدمة الشعراء ، وخدمة البحث الحر النزيه ..وهو فوق ذلك كله— شاعر بارز بين الشعراء المعاصرين ، بل رائد من رواد المدرسة الحديثة فى الشعر ، التى حملت لواء الشعر بعد شوقى وحافظ ، وتابعت خطا المجددين فى الشعر العربى من أمثال : شكرى ومحرم

ومطران ، وكانت تدعو إلى التجديد فى أوسع نطاق ، وإلى الأصالة فى أبعد حدودها ، وإلى تمثل روح الفن والموهبة فى إنتاج الشاعر .

ودواوين أبى شادى الثلاثة والعشرون ، وقصصه ومسرحياته الشعرية العشر ، درة متألقة فى جبين الشعر المعاصر ، ففيها روائع من القصيد لم تجد بها قريحة شاعر معاصر .

— ٢ —

وقد توفى أبو شادى فى منزله فى ضاحية من ضواحى واشنطون فى الثانى عشر من إبريل عام ١٩٥٥ عن ثلاثة وستين عاما قضاها فى الكفاح والنضال، وكان ميلاده فى القاهرة فى ٩ فبراير عام ١٨٩٢م ، ووالده هو محمد بك أبو شادى الزعيم الوطنى المصرى المعروف ، ونقيب المحامين فى عصره ، والخطيب المشهور ،وزميل سعد زغلول ومصطفى كامل ومحمد فريد فى الجهاد الوطنى ، وتوفى عام ١٩٢٥ ، ووالدته من أسرة عريقة ، منها الشاعر مصطفى بك نجيب المتوفى عام ١٩٠٢ ، ومنها الممثل المشهور المرحوم سليمان بك نجيب وشقيقه حسنى نجيب ، وقد توفيت والدته عام ١٩١٧ ، وتلقى أبو شادى ثقافته الابتدائية والثانوية فى مصر ، وبدأ يكتب فى الأدب منذ عام ١٩٠٥ فى مجلة الظاهر التى كان يصدرها والده وأصدر كتابه « قطرة من يراع » فى جزءين عام ١٩٠٨ ، وديوانه أنداء الفجر عام ١٩١٢ وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وفى صدر الديوان تحية من حافظ للشاعر .

والتحق بكلية الطب ثم تركها لإكمال دراسته فى جامعة لندن سنة ١٩١٢، وعاد من لندن عام ١٩٢٢ ، وقد نال شهادة عالية فى الطب ، وشغل مناصب طبية رفيعة فى مصر ، ثم أصدر ديوانه الثانى « الشفق الباكى » عام ١٩٢٥ .

ومن عجب أن يهاجر الشاعر من مصر إلى انجلترا فى طلب العلم فى الرابع عشر من أبريل عام ١٩١٢ ، حيث قضى فى لندن عشر سنوات عاد بعدها

إلى وطنه يخدمه ويضحى فى سبيله بكل شىء ، وأن يهاجر فى الرابع عشر من أبريل عام ١٩٤٦ حيث عاش هناك تسعة أعوام بعيدا عن وطنه وأهله، وفى الرابع عشر من أبريل عام ١٩٥٥ أذيع نعى الشاعر فى مصر ، وطويت صفحة مشرقة بالكفاح والعبقرية والمجد ، وانتهت حياة رجل كان فخراً لمصر وللعروبة والعرب فى كل مكان .

والقارىء العربى يعرف أن أباشادى أخرج مجلة أبولو الأدبية الشعرية المشهورة عام ١٩٣٢ ، وكون مدرسة أدبية جديدة سماها مدرسة « أبولو » ، وكانت ولازالت تدعو إلى التجديد فى الشعر والأدب على أوسع نطاق ، ومن دواوينه المشهورة : مصريات ، ورنين وأنين ، وعودة الراعى ، وظلال وأشعة ، والينبوع .

وكانت هجرته من مصر عام ١٩٤٦ بعد وفاة زوجته الإنجليزية بقليل ، وكان حينئذ يشغل منصب وكيل كلية الطب بجامعة الإسكندرية ، وكان سببها شعوره بالاضطهاد بسبب آرائه الوطنية الحرة ، وكراهيته للفساد السياسى ، ومحاربته للحكم الملكى الديكتاتورى ، والإقطاع الجشع المتنمر الذى يتنكر لحقوق الشعب ، ويمتص دماء الفلاح .

— ٣ —

وصل أبو شادى هو وأولاده إلى نيويورك وأقام فيها ، ثم عمل مستشاراً للوفد السعودى والوفد الأرتيرى فى هيئة الأمم المتحدة . واختير عضواً فى لجنة حقوق الإنسان الدولية ، وأسس فى نيويورك جماعة أدبية أسماها « رابطة منيرفا » ، وعمل فى إذاعة « صوت أمريكا » وأذاع منها بحوثه ودراساته وآراءه ، وكان يدرس الأدب العربى فى معهد آسيا فى نيويورك وقد احتفت بالشاعر أكاديمية الشعراء وجمعية للشعراء ، وصدر ديوانه « من السماء » عام ١٩٤٩ ، ونظم فى المهجر أربعة دواوين ما تزال مخطوطة ، وهى : الإنسان الجديد ، وإيزيس ، النيروز الحر ،

أناشيد الحياة .. ونشر له في مصر كتاب : من نافذة التاريخ ، عظمة الإسلام ، الإسلام الحى ، شعراء العرب المعاصرون قضايا الشعر الجديد ونشر له فى بيروت : رباعيات الخيام ، وثورة الإسلام ؛ ولا تزال مؤلفاته وبحوثه وكثير من دواوينه مخطوطة لم تنشر بعد .

وقد تزوج أبو شادى عام ١٩٥٣ من سيدة أمريكية وانتقل إلى واشنطون فى سبتمبر عام ١٩٥٤ بعد انتقال إذاعة « صوت أمريكا » التى كان يعمل بها إلى العاصمة الأمريكية ، وقضى فى واشنطون سبعة أشهر لاقى بعدها ربه بعد أن عصره الكفاح ، وجاب الأرض من أقصاها إلى أقصاها ، وترك دويا لا يزول صداه ، وخلف للوطن مجداً لا تمحى آثاره ، وبعد أن حمل على كتفيه أعباء الكفاح من أجل مستقبل الفكر والثقافة والأدب خمسين عاما طوالا .

— ٤ —

وفى الرابع عشر من نيسان ١٩٥٥ نشرت الصحف فى مصر نبأ وفاة الدكتور أحمد زكى أبو شادى فى واشنطن ، وكان هذا النبأ فاجعة كبرى لكل أديب ومفكر فى مصر . فى جميع الأوساط الفكرية والأدبية فى العالم كله .. وقد كنت مع لفيف من إخوانى وأصدقائى نكذب هذا النبأ الدامى ، بل كنا فى الحقيقة نفزع من شدة وقعه على نفوسنا بتكذيبه ، ولكن سطوة الحقيقة وإن أذهلتنا أخيرا ، كان لابد لنا من التسليم بها ، والسكون إليها . . . وفقدت مصر ، وفقد العالم كله مفكراً حراً أصيلا ، مفكراً ذا رسالة عاش من أجلها ، وضحى فى سبيلها بكل مايستطيع . ولم يبال بمستقبل حياته ، ولا بمستقبل أسرته وأبنائه ، مادام يرضى ضميره ونزعته الحرة المتأصلة فى دمه وروحه .

ومضت سنوات على موت الدكتور أبى شادى ، ولكنه لم يمت حقا ، لم تمت رسالته ، ولم يمت كفاحه وجهاده وفكره ، وترك له أصدقاء وتلامذة فى فى جميع أنحاء العالم . وترك تراثا أصيلا أفادت منه الثقافة والإنسانية واللغة

العربية فوائد جليلة ، وتتلمذ على أدبه طبقات كثيرة من الأدباء فى كل مكان تحيا فيه اللغة العربية وآدابها . .

— ٥ —

ولقد جمعتنى بأبى شادى صلات روحية وثيقة ، من أجلها كتبت عن أبى شادى كتابى « رائد الشعر الحديث » الذى ظهرت طبعته الأولى فى جزء واحد عام ١٩٥٣ ، وطبع مرة أخرى عام ١٩٥٥ بعد وفاة الدكتور بقليل عام ١٩٥٥ = فى جزئين . . وكنت أراسل الدكتور أبا شادى وهو فى نيويورك ، ثم وهو فى واشنطن باستمرار ، وكانت رسائله إلى تغنينى فى التعرف على نفسه وشخصيته .

وكان أهم طابع فى حياة أبى شادى هو الطابع الإنسانى ثم طابع الأستاذ الرائد ذى الرسالة ، ثم الطابع التحررى الذى يصحبه نزعة حرة بانية متفائلة مكافحة . . ومن أجل رسالته كافح أبو شادى كفاح الأبطال ، وضحى تضحيات جساما ذات قيمة . . ولم يبال بأعباء الشيخوخة والغربة والنضال طول حياته فى المهجر الأمريكى ، بل طول حياته عامة .

— ٦ —

والانتهازيون وطلاب المنفعة فى الحياة كثيرون ، وفى حياة أبى شادى وصداقاته ظهر مئات من المنتفعين الذين عاشوا على أدبه ، بل على جاهه وماله ، ثم تنكروا له . تنكر له بعضهم فى حياته وتنكر له البعض الآخرون بعد وفاته ، بل إن كثيرين فى مصر ظهروا بمظهر التلميذ الوفى لأبى شادى حيا وميتا ، ومع ذلك فقد كانوا نكبة على أبى شادى وعلى أدبه معا ، شوهوا بحمقهم أو جهلهم حقائق نضال أبى شادى الفكرى والأدبى الذى استمر خمسين عاما حتى توفى فى المهجر ، والذى سوف يستمر أجيالا طوالا ذكرى خالدة لمفكر خالد عظيم . . . وكان أبو شادى طول حياته ، وبتأثير نزعته الإنسانية يثق فى كل الناس ، ويمنحهم عطفه وآثار أستاذيته ،

ومع ذلك فقد كانت الأمور تنكشف له عن حقائقها بعد حين فيألم ويزداد ألمه ، ويعجب كيف تعيش فى أوساط الأدباء جراثيم الانتهازية والنفعية ، وقد صور كل ذلك فى شعره ، وخاصة وهو فى المهجر ، تصويراً بارعا عجيبا .

— ٧ —

ولقد كان أبو شادى مدرسة كاملة فى الشعر المصرى المعاصر وفى الشعر المهجرى كذلك، مدرسة لها خصائصها ونزعتها وأهدافها ، بل يكاد يعد بدءا جديدا للمدارس الحديثة فى الشعر العربى ، وقد أنشأ فعلا مدرسة شعرية سميت باسم « مدرسة أبولو » ، ولا تزال البحوث تكتب حولها كل يوم [1]، وطلاب الجامعات فى مصر اليوم كثيرا ما أصبحت (مدرسة أبولو) أو (أحمد زكى أبو شادى) [2] موضوع رسائلهم الجامعية ، وتتمثل فى دواوين أبى شادى نزعته الحرة الطليقة فى فهم الشعر وبنائه الفنى وفى تقديره لرسالته أيضا ، وإذا كان أبو شادى يعترف بأثر مطران عليه فى حياته الأدبية ، فانه كان أثرا صاحبه وهو فى مطلع حياته الأدبية ، ثم وقف أبو شادى يمثل ظلالا عديدة ، هى من جانب جديدة ، وهى من جانب آخر امتداد لروح مطران فى الشعر وفهمه أيضا .

— ٨ —

وآثار أبى شادى المطبوعة وغير المطبوعة تمثل مدرسة فكرية جديدة فى تاريخ العقل العربى ، كما مثلت مدرسة أدبية جديدة فى تاريخ الآداب العربية المعاصرة ، وسوف تقترن ذكرى أبى شادى دائما بتراثه وبكفاحه وبروحه الحرة الرائدة ، وقد يكون أبو شادى لم تفهمه العقلية المحافظة

---

(١) للأستاذ الأديب المعروف عبد العزيز الدسوقى كتاب بعنوان « جماعة أبولو » ، وهى رسالته .

(٢) للدكتور كمال نشأت كتابه أحمد زكى أبو شادى ، وهو رسالته .

فى حياة الفكر العربى المعاصر ، ولكن يكفى أن يكون له قيمة ضخمة فى حياة هذا الفكر ، ويكفى اهتمام النقاد به وبشخصيته ووزنهم له ولأدبه بميزان التقدير والإعجاب والحمد . . وسوف تمر ذكريات عديدة ، يحتفل فيها العالم بذكرى أبى شادى ، كما تحتفل به وبذكراه وبأدبه رابطة الأدب الحديث فى القاهرة . . لكن القيمة الفكرية فى أدب أبى شادى أضخم بكثير من اهتمامات الأدباء والنقاد والباحثين .

وكان مذهب أبو شادى الحب والإخاء والفهم العميق للمثل والقيم وللروح الإنسانية العاليـــة ، حتى فى النقد (١) ، وهو مذهب عبر عنه مطران بقوله :

كن أنت شخصى واقترن بعواطفى   تجد المعيب لدىَّ غير معيب

وعبر عنه كذلك العقاد فى مقال كتبه ، وقال فيه :

إن الناقد الذى يدرس شاعرا أو كاتبا أو رجلا من رجال التاريخ لا يراد منه أن يتعقبه تعقب الغريم ، أو يدينه إدانة القاضى . إنما يراد منه أن يشعر بشعوره ، وأن يخلص إلى بواطن نفسه ، ولا سبيل إلى ذلك بغير عطف وصداقة نفسية ، تعينه على الفهم الصحيح (٢) .

ومنذ وفاة أبى شادى إلى اليوم كتب عنه آلاف المقالات فى مختلف أنحاء العالم ، وظهر عنه كتب كثيرة ، من بينها : شاعر الإنسانية لروكس العزيزى ، والطبعة الثانية من كتابى « رائد الشعر الحديث » التى ظهرت بعد وفاته عام ١٩٥٥ فى جزءين كبيرين ، وكتاب جماعة أبولو لعبد العزيز الدسوقى ،

---

(١) راجع كتابى (رائد الشعر الحديث) فى طبعتيه : الأولى فى جزء عام ١٩٥٣ والثانية فى جزءين عام ١٩٥٥ وهو ترجمة لأبى شادى .

(٢) مجلة الكتاب — دار المعارف — من مقال للعقاد .

وهو رسالة ماجستير ، وكتاب أبو شادى لكمال نشأت وهو رسالة دكتوراه ، وكتاب ابو شادى لعبد الفتاح إبراهيم .

ومن المقالات التى كتبت عنه مقالة بعنوان « شاعر مصرى فقدناه فى المهجر » لجمال الدين الرمادى (١) ، ومقالة بعنوان « أبو شادى راعى مدرسة التجديد » لفوزى سليمان (٢) ، ومقال لمندور بعنوان « أوبرات أبو شادى بين التمثيل والتلحين » (٣) .

ودراسات عديدة للسحرتى ، ومن بينها : دراسة له فى كتابه « شعراء مجددون » ، ولوديع فلسطين ، ولحسن كامل الصيرفى .

ونشرت لأبى شادى كتابه : ثورة الإسلام فى لبنان ، وكتابه « قضايا الشعر » فى القاهرة ، وكتابه « أبو شادى فى المهجر » فى القاهرة أيضا .

ونشر روكس العزيزى « مذكرات أبى شادى » فى مجلة العرفان من عام ١٩٦٧ حتى ١٩٦٩ م .

وفى جريدة السائح عدد الخميس ١٤ نيسان ١٩٥٥ نعى عبد المسيح حداد أبا شادى بعنوان « فى ذمة الله والتاريخ النابغة الدكتور أبو شادى قال :

لله من صباح أمس الأربعاء - كان صباحا أشد ظلمة على النفس من ظلام الليل — إذ دخلت إلى الإدارة فسمعت جرس التليفون يرن فيها فأسرعت بعد فتح الباب نحوه فرفعت سماعته إلى أذنى فاذا بالسيد عبد الله جبران أحد أدباء القسم العربى فى « صوت أميركا » فى واشنطن العاصمة ينعى من كان عندى من أقرب الأصدقاء إلى قلبى ومن أحبهم وأكرمهم نفسا وخلقا

---

(١) مجلة صوت الشرق عدد إبريل ١٩٥٨ م .
(٢) جريدة المساء - عدد ٤ /١٠ / ١٩٦٠ م .
(٣) جريدة الشعب ٢١ /٧ / ١٩٥٧ م .

وأشدهم حرصا على الوفاء بعهده ولا سيما مع جريدة السائح وصاحبها وجميع أفراد أسرتها الأدبية .

قال الناعى والأسف يهزه كل مهز : أنعى إليك صديقك النابغة الدكتور أحمد زكى ابو شادى !

قال هذا فشعرت عنده بتخدير يتوزع مسرعا فى أعصابى حتى لقد خلتنى لا أزال نائما أعالج كابوسا ثقيلا ، وظل الناعى سائرا بحديثه متلجلجا واجف النفس وأنا لا أعى عليه حتى كانت قد مضت دقيقة أو أكثر تفجر أثرها الدمع فاستجمعت الأعصاب فى عناء وقهر شديدين مؤلمين لأسمع الخبر وقد أحسست به ولكن دون وعى .

ماذا تقول ياعبد الله — أتقول إن الدكتور أبو شادى قد مات ؟

قال : نعم واأسفاه — نعم لقد أغمض عينيه عند الساعة الخامسة والدقيقة الحادية والثلاثين من مساء أمس الثلاثاء . واليوم عند الساعة الأولى بعد الظهر ستحمل تموجات الأثير من لدن « صوت أميركا » نعيه إلى جميع الأقطار العربية ومهاجرها . وغدا الخميس عند الساعة الأولى بعد الظهر تقام حفلة جنازته فى الجامع الإسلامى ثم يوارى فى مقره الأخير فى مدفن لنكان فى واشنطن العاصمة .

ثم وجم المخبر الكريم دقيقة وعاد بعدها يطلب منى إسماعه كلمة فى الفقيد لتذاع على الموجات القصيرة مع النعى أثبت فيها شعورى بالخسارة الأدبية والاجتماعية التى أصيب بها العالم العربى بفقده عليما ونابغة زمانه المرحوم الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

فقلت : وهل تخالنى ياعبد الله فى حال أستطيع معها إلقاء كلمة ؟ ألا خذها إذن كلمة من نار أرسلها من بين ضلوعي لا من اللسان .

« إن وفاة صديقى الدكتور أبو شادى لإحدى الضربات القاسية التى نزلت بشدتها على رأسى ونفسى فى السنوات الأخيرة فقد كان لى صديقا صدوقا عطوفا وكان لأمته أديبا ألمعيا وفيلسوفا خطيرا وعليما شهيرا فى شتى العلوم والفنون وفوق كل هذا كان نفحة زكية من نفحات الأخلاق الكريمة التى عطرت تاريخ الأدب العربى ومثالا رائعا للإخلاص فى خدمة الإنسانية الشاملة وفضائلها » .

هذا ما أبعثه إليكم الآن أيها القراء الأعزاء فى مجال هذا النعى الذى سد على مذاهب الافتكار ، وفى العدد القادم سيأتى السائح صحيفة الفقيد وحبيبته على نشر بعض مآثره وتفاصيل ما كان وما جرى فى العاصمة ، ولله ما كان ومما جرى ! ورحمة الله تعالى على نفس فقيدنا الحبيب الكبير .. ومن الله نسأل التعزية والصبر الجميل لقلوب زوجته وبنيه ولقلوبنا جميعا وإنا لله وإنا إليه راجعون !

— ٩ —

كان أبو شادى شاعرا رائدا ، فلم يكن شاعرا ، تتألق فى شعره الصناعة الفنية ، أو تزخر قصائده بموهبة الشاعر وطبعه فحسب . . إنما كان شاعرا رائدا يحمل شعره مع القيمة الجمالية قيما فكرية وإنسانية كبيرة :

أنا ابن هواى ، ثم أنا ابن فكرى ولست أعيش فى هذا الزمان
أعيش بكل عصر عبقرى تألق فى الشعور وفى البيان (١)

عاش مؤمنا بمثالياته داعيا فى شعره إلى الإنسانية الرحيمة ، يمتزج فنه بإنسانيته ، ويستمد أدبه من ينابيع شاعريته الملهمة وقلبه الكبير . . عاش يوزع الحب والسلام بين الناس : خصومه وأصدقائه على السواء ، كما يقول

---

(١) ص ٩٩ أطياف الربيع .

فى قصيدته « محال » من ديوانه « أطياف الربيع » :

محال أن تحاول هدم حبى ... وإن لم ألق بين الناس حبا
صفحت عن الخصوم وإن أساءوا ... وكادوا . واعتبرت الكل صحبا
لهم أسفى وإشفاقى وقلبى ... وإن لم يعرفوا أسفا وقلبا
ومهما خلتنى أشكو بيأسى ... ذنوب الناس خلت اليأس ذنبا
سيطوينا الزمان وكل ذنب ... سيمحوه الزمان لمن تأبى

وآثار النزعة الإنسانية الرفيعة التى لونت حياته وأدبه بألوان مشرقة من الحب والإخاء الإنسانى ، واضحة كل الوضوح فى شعره ويفسرها قوله :

إن كان للوطن العزيز رعايتى ... فلدولة الإنسان عهد ولائى

— ١٠ —

وقد خلف أبو شادى ثروة شعرية ضخمة سواء فى أغراضه وأفكاره . ومعانيه أم فى أسلوبه وألفاظه ومبانيه . وترك وراءه ثلاثة وعشرين ديواناً ، عدا قصصه ومسرحياته الشعرية العشرة ؛ وعدا مؤلفاته الأخرى فى الأدب والنقد وشتى جوانب العلم والثقافة . . وظل طول حياته مؤمنا بالتجديد يدعو إليه ويستلهمه روائع شعره ، ويصف روحه التجديدية فيقول :

من كان يشعر دائما بشعورى ... فى الليل أوفى الفجر أوفى النور
وجد التجدد دائما إلفا له ... فى النفس أوفى العالم المسحور
ورأى الحياة بما تجدد دائماً ... أسمى من الإفصاح والتعبير

وعلى الرغم من أن أباشادى كان طبيباً متفوقاً ، فقدعاش متأثرا بنزعات أدبية عميقة ، غرسها فى نفسه حبه للشعر و ذوقه له ومواهبه فيه ، ونماها فى عقله وقلبه نشأته الأدبية الأولى بين أب أديب وأم شاعرة ، ثم أستاذية خليل مطران له ، وتوجيهه إياه وتخرجه على يديه فى الشعر ، ثم سعة ثقافته ورحابة آفاق تفكيره ، واطلاعه على الآداب العربية ، فضلا عن أثر المجتمعات الادبية والتى كان يرتادها فى أوائل القرن العشرين وكانت جدحانية بالادب

الشعر وكانت آذان الشباب المرهفة أكثر إصغاء لنشيد الشاعر وأكبر إقبالا على آثار الشعراء ، مما لفت عقل الشاعر الناشىء ، ووجهه نحو الشعر منذ طفولته .

وفى دواوين أبى شادى آثار من الشعر الوجدانى والغزلى ، وأوصاف للطبيعة، وجوانب من التصوف والفلسفة والنزعة الإجتماعية والإنسانية .. ولأبى شادى شعر رمزى - وقد برع فى الشعر الوصفى ، وهو من أوائل من نظموا الشعر التمثيلى والشعر الحر والمرسل .. وقصائده حافلة بجدة المعانى وابتكارها وطرافتها وتعدد أخيلتها ، مع عنايته بالجو الفنى للالفاظ وبتركيز الأسلوب وكثرة الصور . ومع عنايته بالوحدة الفنية وبالانسجام الموسيقى وبالتجربة الشعورية .

— ١١ —

وترجع مدرسة أبولو إلى الأدبين العربى والغربى معا ، تأخذ منهما أخيلتها ومعانيها وصورها المتعددة . . مع التناول الفنى السليم للفكر والموضوع والمعانى، والدعوة إلى تمثيل الشعر لخلجات النفوس وتأملات الفكر وهزات العواطف والمشاعر ، وإلى الطلاقة وظهور الشخصية الفنية ووضوح الطاقة الشعرية الخلاقة التى هى الجوهر الأول لأية شاعرية متفوقة ، وتوكيد الحفاوة بالاصالة والاهتمام بالفكرة وتوسيع آفاق التفكير والتأمل ، والذوق، وكسر قيود التقليد ، مع ترك التكلف والتصنع ونبذ المذهب الفردى فى الأدب، واحترام النقد والمذاهب الأدبية المختلفة . . ومع إيثار الطبع ، والإيمان برسالة الشعر بالشعر للشعر، وتجاوب الشاعر مع الطبيعة ،وتناول الموضوعات الإنسانية والعالمية ، والاعتماد على القوة الشعرية فى ذاتها ، حتى يؤدى الشعر رسالته من إعزاز الخير والجمال ، وتحرر الشخصية الفنية والطلاقة فى التعبير والأصالة والفطرة الشعرية وصدق العاطفة والوحدة التعبيرية والاعتقاد

بتطور لغة الشاعر وأخيلته وتعابيره ، بالإضافة إلى تطور نفسيته وأفكاره ومثله العليا .

واستمر أبوشادى يحارب روح الفردية والذاتية والأنانية فى الأدب ، ويؤمن بضرورة خدمة الفكرة ، ويحرص على الدقة فى المعنى ، ويميل إلى العناية بالناحية القصصية وبالشعر التمثيلى ، وبالجانب الصوفى من الشعر ، مع تميزه بالروح الإنسانى العالمى فى شعره وبالرومانسية التى اتسم بها غالب شعره وقصائده .

ولا تزال مبادىء مدرسة أبولوحية فى صدور الشعراء والأدباء والنقاد ممن آمنوا بدعوتها وأخلصوا العمل فى سبيل تحقيق أهدافها . . وقد جذبت هذه المدرسة مواهب ممتازة متباينة،وألفتها،وأوجدت انسجاما وأى انسجام عن التباين الظاهرى بين من آمنوا برسالتها الفكرية والأدبية والفنية .

وقد عمل أبوشادى طول حياته على إنصاف الشعراء وخاصة المغمورين منهم ، ونوه بالأدب العربى الحديث فى شتى البيئات الأدبية العالمية عامة وبيئات الاستشراق خاصة . . وعاش أبوشادى تلميذاً على الطبيعة وعلى الثقافة الإنسانية كما يقول فى ديوانه « أنداء الفجر » . ولم يسأم أبوشادى من الدعوة إلى العاطفة الصادقة وإلى الوحدة التعبيرية وإطلاق النفس على سجيتها والتناول الفنى السليم للفكرة والموضوع والمعانى .

وكان أكثر الشعراء فهما لأصول الشعر والأدب والنقد ، وأعظمهم دعوة إلى التجديد.. وقد نوه المستشرق اليونانى سقراط اسبيرو بشاعريته فقال : إن أباشادى أعظم شخصية شاعرة عرفتها اللغة العربية ، وإذا استثنينا مطران فأبو شادى بلا نزاع أسمى شاعر رومانسى فى العالم العربى .

ويقول أحد تلاميذه وهو الدكتور عبد العزيز عتيق : لاأعتقد أن شاعرا معاصرا غير أبى شـــادى قد أثر فى الشعر العربى الحديث تأثيره، أونهض به نهضته أووجهه توجيهه أوخدمه بقلمه وبمجلة أبولو خدمته ، وهو

بحق أحد كبار رواد الشعر العربى المعاصر وزعيم مدرسة فيه لها خصائصها واتجاهاتها ، وحسبه أنه أظهر نحو مائة شاعرهم الذين تزدان بهم نهضتنا الأدبية المعاصرة .

وخلاصة ما نقوله عن أبى شادى الشاعر الرائد أنه كان قوة بناءة دفاعة إلى التقدم ، وكانت المذاهب الفنية التى دعا إليها النقاد والأدباء والشعراء قبله غير واضحة المعالم والأهداف .. أما أبو شادى فكان أكثر منهم تجديداً للغاية، ورسما للهدف، وتوضيحاً للمنهج .. كان يدعو على بصيرة إلى التجديد الكامل فى بناء القصيدة العربية .

— ١٢ —

وقبيل وفاة الشاعر نشرت مجلة البعثة الكويتية التى كانت تصدر فى القاهرة حديثا أدبياً له ، حيث كانت قد وجهت إليه عن طريق عدة أسئلة فأجاب عنها بما يلى :

ما الوظائف الطبية التى تقلدتها فى أول حياتك العلمية ؟ .

وظيفية رئيس المعمل البكتريولوجى فى معمل الحكومة بالسويس ، ثم فى بورسعيد ، ثم فى الإسكندرية ، ثم شغلت مثل هذه الوظيفة ، فى المعمل البكتريولوجى لمستشفى الحميات بالعباسية ، ثم عملت أستاذاً فى كلية الطب بجامعة الإسكندرية ثم وكيلا لها .

ما أهم الجمعيات التى توليت أعمالها قبيل إقامتك فى الإسكندرية عام ١٩٣٦ ؟

توليت سكرتارية جمعيات «أپولو» ورابطة «مملكة النحل» ، «والاتحاد المصرى لتربية الدجاج» ، «وجمعية الصناعات الزراعية» التى كنت رئيس تحرير مجلاتها ، وسوى ذلك من شتى الجمعيات العلمية والأدبية .

ماأهم الأدوار العلمية والأدبية التى اجتزتها قبيل هجرتك إلى نيويورك ؟

١ — الإنتفاع فى صباى بالمجامع الأدبية الحاشدة فى دار والدى وفى إدارة جريدة « الظاهر » وقد كانت تضم أشهر رجال العلم والأدب فى مصر .

٢ — الاستفادة من دراستى العلمية الطبية التى تزاوجت مع نزعتى الأدبية الفطرية التى نشأت عليها .

٣ — إقامتى فى انجلترا عشر سنين زاخرة انتفعت خلالها بالبيئة الإنجليزية الراقية وبالدراسات الثقافية المتنوعة من مذاكرات ومحاضرات جامعية وغيرها .

٤ — حبى للريف وافتتانى به مما جعلنى أتعلق بهواية النحالة والدجانة بصفة خاصة ، وقد كان لذلك أثر ملحوظ فى شعرى الوصفى والتصوفى .

٥ — اشتغالى فى انجلترا إلى جانب عملى الطبى بإنشاء أكبر معهد دولى للنحالة ، مع تحرير مجلة علمية خاصة بذلك ، ماتزال تصدر حتى الآن ، وقد كانت أكبر مجلة دولية من طرازها .

٦ — اشتغالى فى مصر — بعد عودتى من انجلترا — بالأعمال الأدبية والعلمية المختلفة التى أحن إليها ، وسبب نجاحى فيها أمران : أولهما تركيز مجهودى وذهنى لكل عمل على حدة وثانيهما الروح التعاونية التى أبنى عليها كل عمل عام أقوم به أو أشرف عليه .

كيف كان اتجاهك وميلك إلى الأدب ؟

نشأت على هذا الميل بتأثير البيئة الأولى سواء ، أكان ذلك من ناحية والدى ، أم من ناحية خالى ، ثم بتأثير المجتمع الصحفى الذى ترعرعت فيه، ونبع منى الشعر فطرة على أثر غرامى فى صباى ، وقوى على أثر نكبتى فى حبى .

إلى من تدين بثقافتك ؟

أدين فى الروح الأدبية العامة إلى « مدرسة الظاهر » الصحفية منذ سنة ١٩٠٥ ، وقد شملت من أعلام الأدب : أحمد شوقى ، ومحمد كرد على ، وعبدالقادر المغربى ، وخليل مطران ، ومحمدلطفى جمعة ، وعبد الفتاح بيهم ، وتوفيق رفعت « باشا » ، وكثيرين غيرهم .

وأدين فى الروح الشعرية بصفة خاصة إلى خليل مطران ثم إلى أحمد شوقى بين شعراءالعربية ، وفى الأدب الغربى تأثرت كثيراً بودزورث وبشيلى وكيتس وهينى من الشعراء ، وبولز وديكنز وارنولد بنيت من الأدباء وإلى ولز ومطران أهديت روايتى الشعرية « أخناتون » نظراً لنزعتهما الإنسانية التى أتعشقها — الأول فى فلسفته الاجتماعية ، والثانى فى شعره . وهذا دليل على نوع الثقافة التى كنت أحبها ولا سيما فى الأدبين الإنجليزى والروسى ، وهى بعبارة وجيزة : الثقافة الإنسانية الصميمة ، وأما اطلاعى الأدبى والفلسفى العام — فضلا عن اطلاعى العلمى — فوفير ومتنوع .

ما رأيك فى النهضة الأدبية الحالية فى العالم العربى بصفة عامة ومصر خاصة ؟

النهضة الأدبية فى العالم العربى نهضة أساسها التيقظ ثم التأثر بالأدب الغربى ، وهى نهضة صحيحة قوامها الشباب المثقف ، ولابدمن استمرار التفاعل والتطاحن بين القدامى والمجددين إلى أن يصطبغ الأدب فى كل قطر بصفة قومية تلائم أحواله دون أن تفقد صلتها بالأدب العالمى .

وألحظ أن النهضة الأدبية غير ممتازة فى الجزائر فى حين أنها ليست كذلك فى تونس ، كما ألحظ أن بعض الأقطار لها وثبات خاصة فى الشعر وفى مقدمتها : لبنان ، ومصر وتونس ، وأما عن مصر ، فأرى أن مايشوب النهضة الأدبية فيها تفشى روح الفردية بين الأدباء حتى كاد يشبه كثيرون منهم ملوك الطوائف فى تخاذلهم ، واتجاه المصلحين يرمى إلى التعاون الأدبى الشامل

تأليفاً وتفكيراً ونشراً ، وهذه إحدى أمانى التى أكد لها .

ما رأيك فى الشعر الحديث ؟

أعتبر أن الشعر الحديث قد بلغ غاية من التفنن والإبداع لم تكن تخطر على البال فى عصر من العصور السابقة ، وقد أبديت رأيى عن ذلك فى مجلة « أبولو » .. وأما عن نهضة الغناء ، فمازلت أرى أن الغناء التعبيرى والتلحين التعبيرى بعيدان عن التحقق بفضل قصور الملحنين ، وأنا ضد الأغانى العامية المبتذلة وأدعو بحرارة إلى تطويع اللغة العربية السهلة للأغانى ، ولى نحو تحقيق هذه الغاية كتاب « أغانى أبى شادى » كما أرى أن تبث الموسيقى الأوربية فى الأغانى العربية ، فأقترح أن تترجم الأوبرات المشهورة وتطبق الترجمة النثرية أو النظمية بدون أى تصرف على الألحان الأصلية ، ويرجع إلى اقتراحى هذا منذ سنوات ترجمة الأغنية العالمية المشهورة « ماما » وتطبيقها على موسيقاها الأصلية . وغرضى من ذلك الاستمتاع أولا بتلك الروائع الفنية ، وثانياً تهيئة مواهب الفنانين المصريين للتأثر بتلك الروائع تمهيداً لإنجابهم الفنى المستقل المجارى للفن الأوربى السامى . وقد قامت لجنة النشر والتأليف الموسيقية بتلحين بعض أوبراتى ، ووقف عجز المسرح المصرى دون القيام بتمثيلها .

وإنى أعلق أهمية كبرى على تكوين المسرح الغنائى الذى تعوزه غيرة الأغنياء الغيورين وسند الحكومة .

ما أهم أعمالك الأدبية فى شبابك ؟

حررت فى مجلات وصحف عديدة منذ نشأتى ، ومن مؤلفاتى :

رباعيات عمر الخيام « عن الفارسية » .

عمريات فتزجرالد ، عن « الإنجليزية » .

رباعيات حافظ الشيرازى « عن الإنجليزية » .

ترجمة العاصفة عن شكسبير « نثراً » .

ولى جملة دواوين وكتب شعرية إما مستقلا أو متعاوناً مع زملائى ومريدى وأشهرها : زينب — نكبة نافارين — مصريات — أنين ورنين — مفخرة رشيد — ذكرى شكسبير — الشفق الباكى — أشعة وظلال — الشعلة — أغانى أبى شادى — وطن الفراعنة .

كما أن لى اوبرات مثل : الآلهة — أخناتون — الزباء ملكة تدمر — بنت الصحراء — إحسان — أردشير .

وقد توليت زمناً تحرير القسم الإنجليزى بالمجلة الطبية المصرية ، ولى تصانيف فى تربية النحل وفى طب المعمل وغير ذلك مما وسعته جهودى علمياً وأدبياً .

هل تعتقد أنك مجدد فى الشعر ، وفى أي دائرة ؟ وما هو الأثر الذى تركته فى ذلك ؟ .

ربما كان الناقد الأدبى المتتبع لشاعر أولى بالرد على هذا السؤال من الشاعر نفسه . ولذلك يحسن الرجوع إلى الدراسات النقدية المستفيضة المسطورة فى ديوان « الشفق الباكى » (وهو فى الواقع كتاب نقد وأدب عام ،كما أنه ديوان شعر ، اشترك فى كتابة دراساته النقدية معى أربعة من رجال الأدب فى مصر ، هم الأساتذة : حسن الجداوى ، ومحمد سعيد إبراهيم ، وأحمد الشايب ، وسلامة موسى) فإن هذا الكتاب إلى جانب ماجمعه من نماذج شعرى المتنوعة يعد مرجعاً من أحفل المراجع فى الدفاع عن التجديد فى الشعر ضد حملات المحافظين والرجعيين التى كانت على أشدها فى سنة ١٩٢٩ . ولعل الدرس والتحليل الذى أدلى به الأستاذ الشايب من أوفى ماكتب ترجمة وتحليلا واستعراضاً لآثارى . (انظر ص ١١٣٣ — ١١٦٠ من ديوان الشفق الباكى) . . ومهما يكن من شيء فالتجديد يشمل مايأتى :

(ا) الدعوة إلى الشعر الحر وقد وضعت أولى نماذج منه فى اللغة العربية . وكان لذلك أثر مشهود فى التحرر بتأليف الروايات الشعرية (راجع ما كتبته عن الشعر الحر فى عدد إبريل من مجلة أبولو وفى ضروب جديدة من النظم) .

(ب) نظم أولى أوبرات فى اللغة العربية (وقد وضع ٦ أوبرات حتى سنة ١٩٣٦) .. وكان لذلك رد فعل فى تنشيط حركة التأليف الشعرى المسرحى ؛

(حـ) الاشتراك مع عبد الرحمن شكرى فى تشجيع الشعر المرسل ،

(ء) الدعوة إلى التعبير الفطرى الطليق كضمين للابتكار ولحرية الخيال الفنى ، بدل تسخير الشعر لاعتبارات ثانوية من لغة ونحوها مما قضى على الروح الفنية فى الماضى قضاء بليغاً . ودواوينى ومجهودات مريدى فى مجلة « أبولو » وفى غيرها تمثل نتائج هذه الدعوة وآثار هذا المذهب الفطرى الذى يعادى التهيب والتصنع وتسخير الروح الفنية لما عداها .

(هـ) خدمة الشعر القصصى والشعر الرمزى خاصة ، والتجوال فى شتى الميادين الشعرية الفنية التى تعد بالنسبة للشعر العربى أشبه بقفار مجهولة ؛ فإن الشعر العربى جملة يكاد ينحصر فى الشعر العاطفى الغنائى ، وما عدا ذلك فنظم صناعى . فمن الخير للشعر العربى توسيع آفاقه بجهود من تنزع نفوسهم بفطرتها إلى هذا التوسيع كما فعل خليل مطران وعبد الرحمن شكرى (وفى الاستعراض السابق لآثار الشاعر مواضع الاستشهاد على هذه النقطة وسواها) .

من تفضل من شعراء الإفرنج ؟ ومن شعراء العرب ؟ ومن الشعراء الحديثين وما سبب هذا ؟ .

لقد قرأت للكثيرين من شعراء الفرنجة إما أصلا بالإنجليزية أو نقلا إلى الإنجليزية وأنا أطلع باستمرار على الجديد من الشعر ونقده ما بين تصانيف ومجلات وقد اختططت لنفسى مذهب البحث عن الجمال الفنى فى كل ضرب من ضروب

الشعر ، وأميل إلى الاندماج فى شخصية الشاعر والاطلاع على ترجمته قبل الإقبال على دراسته ، ولذلك لم يكن بالمستغرب أن أتذوق الشعر من شخصيات متناقضة ، لأنى أتطلع إلى الجوهر الفنى وحده فى كل هـــذه النماذج المتباينة . وأنا بطبيعتى أميل إلى الشعر العاطفى الحار فى أوقات لهفتى وعطشى الروحى ، وفيما عدا ذلك أستوحى إيمانى النفسى من الشعر الفلسفى وشعر الطبيعة والوصف العميق ، فلا غرابة إذ أستمتع مثلا ببيرون وشلى وهينى وكيتس فى أوقات ، وبشكسبير وملتون فى غيرها . وقس على ذلك استمتاعى بالبهاء زهير والبحترى وابن حمديس آونة ، ثم المتنبى والمعرى فى أوقات أخرى ، وقياساً على ذلك كان إعجابى بإبراهيم ناجى شاعر العاطفة المشبوبة الحرة التعبير ، وكان إعجابى بكل من مطران وشكرى الشاعرين العظيمين الجامعين . وفى شعرى تتجلى هذه النماذج المعبرة عن روحى المتعددة الجوانب ، فتجد شعر العاطفة الحارة (كما فى كتاب أغانى أبى شادى) وتجد الشعر الوصفى وشعر الطبيعة التصوفى والشعر القومى والشعر الفلسفى والشعر الإنسانى العام وغير ذلك موزعاً على دواوينى ومؤلفاتى الشعرية . وأجمل مايجذبنى فى الشعر تحرره وأصالته وموسيقيته وعمق الإحساس فيه .

ما أهم دواوينك المهجرية ، وكذلك أحدث إنتاجك الأدبى المهجرى ؟

ظهر لى ديوان مطبوع هو ديوان « من السماء » عام ١٩٥٠ ، أما دواوين شعرى المهجرى التى لم تطبع حتى الآن فثلاثة وهى « الإنسان الجديد » و « النيروز الحر » و « من أناشيد الحياة » ولعلها تمثل أحسن شعرى هنا ، وأما آثارى الأدبية الأخرى ومن بينها « من نافذة التاريخ » فإن الإذن بطبعها مرتبط بسلامة إخراجها والحفاظ على عناوينها وصياغتها الأصلية .

— ١٣ —

رأى لعبد المسيح حداد فى أبى شادى (١) :

وهكذا كان أبو شادى . سبقت هجرته إلينا شهرته فعرفناه بهباته العلوية قبل عشرات السنين من انخراطه فى صف المهاجرين ، وأحللنا روحه بين أرواحنا على الرحب والسعة ، فلما غادر وطنه مصر إلينا وجد له بيننا وطنا يعرفه تمام المعرفة ويقدر منزلته الأدبية بكل صفة .

جاءنا منذ سبع سنوات فقرأنا فى وجهه بيت أبى العلاء المعرى القائل منذ ألف سنة :

إنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

كانت، لدى قدومه إلينا ، النهضة الأدبية العربية فى مهجرنا هذا، قد بدأت تتبخر روحا بعد جسد ، وتتفكك وتدا بعد وتد ، وتتنصل من عين إلى معنى على عصف الموت بقوامها واحدا إثر واحد . أما هو فلم يشأ أن يحسب موت الأجسام عاملا على زوال نهضة أصحابها ، بل هب منذ وضعه قدمه على أرض هذه البلاد ، يجاهد فى جذب النهضة وردها من قبضة الزوال حينا ، وفى معالجة ضعفها لاستبقاء حياتها بشتى ضروب عنايته ودرايته على عجب من الناظرين ودهشة الذين ثبت عندهم أن مافات فات ، وان من العبث استمهال دور قاربت طيه الحياة .

جهد أبو شادى وجاهد وقد أحسن جهدا وجهادا، حتى قيل إنه أبلى البلاء الحسن ، فهذه النهضة الأدبية فى نيويورك قد فتحت به عينها بعد ماخيل إغماضها إلى الأبد . وها هو ذا يتعهدها بطبه النفسى فيوسع أملا بعودها

(١) عن مجلة الصداقة الامريكية

إلى الحياة ويزيدها علاجا وغذاء وأمنا وحركة ويمنيها تعللا وبركة . وهانحن نختاره قائدا حاذقا وحكيما فى مضمار العمل على إحياء الأمل بحياة أدب هذا المهجر .

وان نذكر لأبى شادى وجها أطل به علينا منذ سبع سنوات بعد أن هجر وطنه فى مصر ساخطا نستغرب فيه كيف أنه على الرغم من سخطه لم يكن على محياه أثر من آثار اليأس فشعرنا عند ذاك بأن النفس فى هيكله نفس كبيرة لاتعترف بالقعود بعد تعب ولا تقر بالعجز بعد وصب ، فما كاد يدخل إلينا حتى شهدناه يحيي ميت الأمل فينا ، ويعزز هذا الوطن الذى ظهرت فيه نهضة العرب حينا ، قائلا : إن الأوطان تزول ، وتحول وتتغير ، أما وطن الأدب فلا ينتابه زوال ولا تحول ولا تغير ، لأن الأدب الصحيح ابن الخلود ولأنه أحب مافى الوجود إلى قلب الخلود . ولا غرو إذن أن قال هذا فهو السابق فى قول مايلى :

توالت جراحاتى وأوذيت دائما	وهيهات ألقى من سلاحى ومن دأبى
فليس خصيمى غير قلبى إذا ونى	وهيهات يرضى أن يقربه جنبى

أجل إن قلب أبى شادى لا ينى ، وهو إن أن فلا يتعدى أنينه أن يكون فضولا من فم الألم ، وإن مابين فم ألمه وفم قلبه لشقة واسعة أدركناها فيما خلع عنه فى بدء هجرته إلينا ثوب الوطنى الساخط على وطنية الرجعيين والنفعيين والانتهازيين ، وارتدى بزة المحارب المجاهد فى أداء رسالته الأدبية والفنية والثقافية . ولا عجب إذن أن نسمع زميله العبقرى المصرى الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى يقول فى خطابه الذى أعده للحفلة التكريمية التى أقيمت برعاية جمعية الشعراء الأمريكية للدكتور أبى شادى فى الثلاثين من أبريل سنة ١٩٥٠ بنيويورك :

« . . . ومن حسن الحظ ، أيها السادة ، ان يلقى الرجل فى المدة القصيرة

التى أقامها فى نيويورك تقديرا فرديا من صفوة كتاب المهجر وشعرائه وعلمائه وفنانيه ، وأن يكلل هذا التقدير بهذا الحفل العظيم يزينه ممثلو جمعية الشعر الأمريكية وأكاديمية الشعراء الأمريكيين ، وصفوة مختارة من رجال الفكر والأدب والصحافة والفن والجامعات والمستشرقين ومندوبى الدول العربية ، وفى هذا التكريم ترضية للنبوغ المغموط ، وغنم أيما غنم للإخاء أو التفاعل الفكرى بين الشرق والغرب ، هذا الإخاء الذى نادى به المحتفى به من سنين وسنين ، فى كتابه « مسرح الأدب » وفى سواه من آثاره المتنوعة ، والذى يتمثل عمليا فى تكوينه وفى ثقافته الواسعة الجامعة بين الأدب العربى والأدب الغربى » .

والحق أن لشخصية الأستاذ الدكتور أحمد زكى أبو شادى كتاب أدوار عديدة وسجل جهادات عديدة ، بل هى خزانة ذات كنوز وفيرة ثمينة ، وكلها من جمع فرد موهوب ورث العبقرية إرثا ، فهو سليل أسرة أدبية عريقة ، إذ كانت والدته شاعرة رقيقة وكان والده من أشهر المحامين والخطباء والصحفيين فى زمنه ولكن صاحبنا لم يقنع بالميراث الوفير الذى كان قسطه الثلاثى بل شاء باجتهاده المستمر إيراثه الأجيال بعده ضعفين أو أكثر .

ولحياته أيضاً أدوار غنية أخاذة تقسم هكذا : الدور الأول ، حياته الأولى فى مصر حتى إبريل سنة ١٩١٢ ، الدور الثانى — حياته فى انجلترا عشر سنوات . الدور الثالث — حياته فى مصر حتى هجرته فى سنة ١٩٤٦ ، الدور الرابع — حياته فى أمريكا :

تضيع مجدها الأسمى رياء ... ومجدك دائماً حال وطيد
أردنا أن نقومها فآبت ... وعوقبنا ، وصال المستفيد
وضحينا لعزتها فآذت ... كرامتنا ، وبش لها الحسود
وعاش بها الدخيل فبجلته ... وفداها ابنها ، وهو الطريد
يحال العلم جهلا فى رباها ... وللظلام قد زف القصيد

وللتهريج سلطان يرجى ... وللطاغوت يستبق السجون
وأيسر من وداعتها اتهام ... يخص بشره البطل المجيد
إذا استشرى الفساد فكل خير ... يذم ، وكل مذموم حميد
لجأت إليك ياوطنا تغنى ... به الأحرار واعتز النشيد
فإنك منبرى الحر المرجى ... وبدء نهارى ، بل عمر جديد

ولقد وافى إلينا الدكتور أبو شادى فى حين لم تزل عيوننا مغرورقة بالدموع على منية الشاعر العبقرى نسيب عريضه وحضر معنا حفلة تأبينه بل حفل صدور ديوان «الأرواح الحائرة» وألقى فيها قصيدة رائعة بعنوان «هكذا حدث» وهما الكلمتان اللتان كانتا آخر مالفظه النسيب الفقيد فى حياته ، وهكذا مطلع القصيدة :

ماكان عمرك موهوباً لإنسان ... ولا لإحساس هذا العالم الفانى
ولا لأرض وأوطان حننت لها ... فالعبقرية لم تخلق لأوطان
والشاعرية لم يقصر منازلها ... على الحياة ، ولو من رسم فنان
بل كان عمرك آيات هتفت بها ... ولم تفسر بإنجيل وقرآن
ولم تكيف بأوصاف ننمقها ... ولم تقدر بمقياس وميزان
ولم تخصص ، فحتى أنت كنت بها ... فى نشوة بين مشدوه وحيران
ملء الزمان تناجينا وتسعدنا ... وتحمل النور ميراثا لأزمان
وتبعث الوحى فينا وهو ينقلنا ... إلى عوالم من حسن وإحسان
تشام بالروح أطيافا وأخيلة ... علوية ، وجنانا دون جنان
أكن من صنعك الفتان أم نشأت
عن معجزات سمت عن خلق إنسان
لعل فى مقبل الأجيال عارفها
إن فات تعريفها روحى ووجدانى !

وخلاصة المقال ههنا هى أن العالم العامل الدكتور أحمد زكى أبو شادى الطبيب والعالم الطبيعى ، والشاعر والناثر ، والوطنى المخلص ، والرسام الفنى بالريشة والألوان ،تنطوى نفسه على كنوز جمة تتوافر كلما وزع منها على عالمه . ونحن أدباء المغترب الأمريكى قد وجدنا به الأخ الحبيب بل العليم اللبيب الذى أحسن ردنا عن سبيل الفناء الأدبى إلى سبيل إعادة الحياة لأدب العرب فى هذا المغترب .

ولد فى القاهرة فى التاسع من فبراير سنة ١٨٩٢ ووالده أندلسى الأصل ، ووالدته شركسية الأرومة ، وقد ورث فيما ورثه عنهما ، الحزن : لانفصال والديه من جراء عدم توافق مزاجيهما ، ولكنه ألم به فى حبه الأول ثم لخيبة فى رجالات وطنه ، ثم لمغادرته الأهل والوطن إلى العالم الجديد . وإنك لترى الأثر تلو الأثر لهذا الحزن فى تلابيب قصائده والألوان التى تصطبغ بها أفكاره فى النظم والنثر ،

وهو ذو قريحة مخصاب حتى لقد قال فيه الدكتور عبد العزيز عتيق فى إذاعته من محطة لندن : « لا أعتقد أن أحدا من شعرائنا المعاصرين قد غذى المكتبة العربية من إنتاجه الشعرى بمقدار ماغذاها الشاعر أبو شادى » . ولاغرو أن يطلع هذا النبع السخى فهو جار من خزان الجيل الماضى جريا وراثياً وعن هذه الوراثة نوه عدد من علماء مصر ومنهم الدكتور يعقوب صروف فى مجلته المقتطف إذ ذكر أن أباشادى قرض الشعر وهو فى الثانية عشرة من عمره وصدر أول دواوينه وهو فى الثامنة عشرة باسم « أنداء الفجر » . وقد لا أبالغ إذا قلت إن آثاره القلمية يربو عددها على جميع ما أبقاه المعاصرون وهو فيها يفوقهم بتنوعها إذ تتناول علم تربية النحل وتربية الدواجن وعلم الجراثيم وعلم الصناعات الزراعية والأقصوصة والشعر والمقال . وإن أنس لا أنسى أنه أتى بترجمة جديدة لكل من رباعيات الخيام وحافظ الشيرازى ثم لرواية

« العاصفة » لشكسبير وديوان الدكتور فؤاد العقل . وله الكثير من الملاحم الشعرية والأبرات والقصص نثرا ونظما .

وهنا فى نيويورك ماكاد يستقر مقامه حتى أصدر ديوانه « من السماء » وطفق يكتب وينظم ويحرر فى الصحف العربية ثم أنشأ جمعية « رابطة منيرفا الأدبية » التى تجتمع مرة كل شهر وقد انضم إليها علماء أعلام مستشرقون وسواهم يلقون فى اجتماعاتها المحاورات وشتى الدروس العالمية والأبحاث الأدبية ومعظمها يدور حول آداب اللغة العربية وفلسفتها ونظم ديوانين ضخمين حتى نهاية سنة ١٩٥٢ لايزلان مخطوطين .

هكذا يرى قارئى فيما تقدم ، صورة لرجل عليم كبير ووطنى مخلص خطير وأديب غيور على أدب لغته مع عطفه الكثير على أدب العالم الأكبر وبره برسالته العلوية الخالصة من تأثيرات المادة وأوهام كل محيط ، والمملوءة على الدوام بالإخاء والوفاء والمحبة والوئام .

ولقد حرت فيما عسانى أختار من شعره ونثره فى مجال الاستشهاد على عبقريته ، وذلك لأن آثاره الأدبية خضم واسع وكلها روائع ، فإذن اكتفى بالإشارة إلى دواوينه ومجموعاته سواء منها المصرية والمهجرية ، وسواء منها العربية والإنكليزية ، واقتصر استشهادى على عبقريته بأبيات أولى قصائده فى العالم الجديد « استقبال أمريكا » فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٦ :

أمانا أيها الوطن السعيد ... لقد دفن الردى ومضى الوعيد
فأمسى مأتم لفراق أهلى ... ويومى الحر من نجواك عيد
عرفتك ملجأ الأحرار دوما ... إذا ماحورب الحر الشريد
أقبل تربك المعبود برا ... والثم راية لك لاتبيد
ولو أنى المخلف فى بلادى ... معالم حبها باق أكيد
ولو أن الرجال بها استرقوا ... وفيك تحرر السود العبيد

— ١٤ —

تأبين أبى شادى فى نيويورك[1] :

تقول جريدة السائح :

ذكرى فقيدنا الدكتور أحمد زكى أبو شادى تبدأ منا ولن تنتهى بعدنا فقد كان للعروبة رسول فن وعلم وأدب ورسول أخلاق ومروءات واخلاص وعمل ودأب .

وعلى هذا الجرى فى ذكراه الدائمة هبت عاطفة قومنا المغتربين لتكريمه علانية لمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته فأقيمت حفلة تأبينه فى نيويورك عند الساعة الثامنة من مساء الخميس الماضى فى قاعة « بيت الحرية » المخصص لذكرى وندل ويلكى فى غربى الشارع الأربعين .

دخل الجمهور إلى القاعة بعد أن تناول كل منهم منهاج الحفلة الموضوعة نسخة منه عند الباب وهو مطبوع طبعاً جميلافنياً وما استقر مقامهم حتى نهض رئيس الحفلة روجر بولدوين عميد الجامعة الدولية لحقوق الإنسان فافتتح الحفلة بكلمات مؤثرة وقدم الأستاذ عبد المنعم شاكر ليقرأ سورة الفاتحة على روح الفقيد فقرأها بنغم خشوعى انفتحت له نفوس السامعين .

وعاد الدكتور بولدوين إلى الكلام فحدث الحاضرين عما خبره فى الفقيد من نبالة الأخلاق والمسالك عدا ماخبره فيه من التضلع فى شتى العلوم. ثم قدم صاحب السائح فألقى مرثية باللغة العربية وهى التى أرسلت إلى القاهرة لتتلى فى حفلة ذكرى الفقيد هنالك بدعوة من رابطة الأدب الحديث .

---

(١) السائح النيويوركية عدد الإثنين ٦ حزيران ١٩٥٥

وقدم المدير علامتنا الدكتور فيليب حتى أستاذا للغات الشرقية وآدابها فى جامعة برنستن نيوجرزى فتكلم مستفيضا عن حياة الفقيد الذى عرف به جسرا إنسانياً تغلب على انفصالية النهر فجمع بين شاطىء الحياة بأدبه ووفائه وإخلاصه .

ودعى على الأثر فضيلة القاضى رالف روبر نائب رئيس برلمان الأديان الدولية فألقى خطبة نفيسة فى تعريف الطبيعة التى هى قاعدة كل تقدم ومدنية وتطرق من ذلك إلى مآثر الفقيد الذى عرفه رسولا من رسل الحياة الإنسانية المضحين بكل شىء فى سبيل رسالاتهم العلوية .

وعقبه الأستاذ محمد لبيب مستشار القنصلية المصرية العامة فى نيويورك فألقى خطبة جليلة أتى بها على شرح صفات الفقيد الكبير وإنسانيته وأدبه الوفير ، وقد غلب التأثر على الخطيب فوجم دقيقتين حتى تمكن من حصر دموعه فأنهى كلامه باكياً مستبكياً .

واستدعى المدير رسول صوت أميركا الأستاذ عبد الله جبران القادم من واشنطن العاصمة لينوب عن المكتب العربى هنالك الذى كان الفقيد رئيس تحريره فألقى كلمته المؤثرة ، ثم أتبعها بكلمة جاء بها من رئيس إذاعة صوت أميركا المستر جيرارد دوهر .

وعلى أثر ذلك طلب المدير أولاد الفقيد الأدباء الآنسة صفية وأمين رمزى والآنسة هدى للوقوف فوقفوا جميعاً متجهين نحو الحضور محني الرؤوس نخشع الجمهور لذلك الموقف المؤثر .

وانتهت الحفلة بعد قراءة البرقيات الواردة من أماكن مختلفة فشكر مدير الحفلة الحاضرين مترحماً على الفقيد ومثنياً على عاطفة الدكتور فؤاد العقل صديق الفقيد الأحب فى ندائه لتأليف حفلة الذكرى وترتيب نظامها وجعلها معبرة عن العاطفة الإنسانية الكبرى التى كان نصيرها فقيدنا الكبير فى سائر أعماله وآثاره الخالدة .

وهذه نصوص الكلمات [1] :

كلمة صاحب السائح :

مات الدكتور أحمد زكى أبو شادى : مات رجل عرفته وماعرفته ، فلقد خبرت فيه نبوغاً لم يقف عند حد بل كان نبوغه يرفل فى كل اجتماع بثوب جديد لماع .

ويخطىء من يقول إنه عرف أباشادى معرفة تشمل كل نواحى أدبه ، فلقد كان فى حياته مخزن أدب هو نفسه لم يكن ملما بكل محتوياته ، ومخزن أخلاق تتضوع كلما احتك صاحبها بتقلبات الزمان .

تبارك أدبه وتباركت روحه،أدب وروح يحملان كل متأمل على تمجيد الخالق سبحانه فى أعماله الظاهرة فى رسالاته المتعددة على عدد أمثال فقيدنا الكريم الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

عرفته بل خلت أنى أعرفه قبل اجتماعنا ، قبل أن جاءنا مهاجراً ناقما على مخالفات لقلبه وضميره ونفسه اعترك معها حينا طويلا فى بلده،فى ذلك الزمان عرفته بقصائده التى كانت تظهر باسمه فى صحف مصر — قصائد طويلة تختلج أبياتها بروح غفور وبعطف إنسانى وفير ، فشهدت عندها بشاعر بارع اليراع ، حاضر الخاطر ، متقد القريحة ، وثابة جسورا حيناً وحيناً سمحة بعيدة الخيال تستنزل الدرارى من الملأ الأعلى فيصوغها آيات محكمة بأجمل المعانى وأمتن المبانى .

ولما اجتمعنا فى نيويورك رأيتنى فى ختام اجتماعنا أنى كنت فى حضرة رجل ملهم إلاأنه أحيط بغلائل الحيرة والاضطراب والهم . وقد أدركت بعد أيام مضت على إقامته فى نيويورك أنه فى حالة صراع نفسى لأنه أصبح فى بلد غريب يتوجب عليه أن يجعله وطناً له ولعائلته وأن يحبه كما أحب مصر

---

(١) عن جريدة السائح عدد ٩ حزيران ١٩٥٥

وأن يؤلف فيه وطناً عربياً يغذيه بأدبه العربى مااستطاع إلى ذلك سبيلا .

وعرفت فيه ، منذ ذلك الحين ، رجلا جمع إلى الأدب والفنون أخلاق إنسان ، وقلب إنسان وضمير إنسان ، نفخ الله فيه نسمة من روحه ، مودته صافية ، محبته نقية ، يميل إلى الأدب دون أى ماعداه من ميل إلى حطام الدنيا فيشجع الضعيف ليتقوى ، ويستزيد القوى فرحاً بنتاج غيره فرحه بخير ماهو قد أنتج ويشيد بآثار النابغين ويحض على مطالعتها فى كل حين .

ولزمته ولزمنى صديقين يسعد كل منا بلقاء الثانى ، وفى كل يوم كنت أشعر بازدياد توثيق عرى العلاقة الروحية الأدبية بيننا ، وفى كل يوم كنت أرى « أبا شادى » جديدا آخر يتبدى لى بعلم جديد أو بفن جديد ، حتى أعجزنى بالتفكر بانتهاء أنواع مخزنه الأدبى الروحى .

هذا عبقرى حقيقى ، ولا كمن يقال عنهم عباقرة تلقيبا فى المجاملة ، أو يشار إليهم بهذا اللقب مغالاة فى المسايرة !

وإن ذهلت مرة لوفرة فى علوم أحد وفنونه ، فقد ذهلت مرات عديدة بما خبرته من أبى شادى ، وكنت كل مرة أحار فى أمرى فأسائل النفس : ترى أهو من جماعة الجن جاء إلى عالمنا ليذهلنا بوفرة محتويات مخزن نفسه ؟

أحمد زكى أبو شادى : عالم فى العلوم . فى النثر والشعر . فى الأقصوصة . فى التاريخ . فى الطب ، فى البكترية . فى التنحيل . فى اللغة . فى آداب الشعوب . فى الإسلام وغيره من الأديان . شاعر فى الإنكليزية كما هو شاعر فى العربية .

وسمعته بالتليفون ذات يوم ملحا على بقضاء السهرة معه ، ولم يكن سهلا على نفسى مخالفة طلب له منى ، وهو فى المطالب ، أقل من عرفتهم من الناس ، فإن أراد شيئا سعى إليه بنفسه مهما صعب عليه وكم أخذ عن سواه عناء تحقيق مطلب فيما وقته على اقله حيال مراد ذاته !

وقصدت المكان فى أعلى مدينة نيويورك ، ، فدخلته فإذا فيه دكتورنا وقرينته الفاضلة . وإذا أنا فى محترف فنى مزدحم بالرسوم الفنية الملونة ذات الأشباح المتوثبة للنطق والافصاح عن منازلها فى عالم التفكير والتخيل الواسع المدى البعيد الأفق ولكنه متوهج الألوان والأرواح .

ماهذا ؟ أمحترف لأحد مشاهير الرسامين الفنيين ؟ ولمن ؟

طرحت سؤالى فيما شغلت عن طلب الجواب عن تسآلى بالتطلع إلى الرسوم لاستجلائها وتعليل بعضها ودرس أخيلتها ومواضعها من المعانى والمبادىء الكامنة وراء الخطوط والأشباح . وأنا ، وإن لم أكن رساما فنانا فإنى من عشاق فن الرسم الذى أولعنى به منذ الشباب ، جبران خليل جبران ، ولكم استدعانى جبراننا ليوقفنى أمام رسم عويص يسألنى رأيى فيه حتى برعت النظر إلى الرسوم وتحليل ما اختبأ وراء صناعتها من الفكر والخيال .

جميل كل رسم وقفت أمامه فى المكان الذى استدعانى إليه فقيدنا أبو شادى . كلها أخاذ جذاب وكلها بارع الفن والوضع ، وعميق السر حسن الصنع .

وبعد دقائق أملت بصرى عن الرسوم إلى ناحية مضيفى العزيزين فأعدت عليهما سؤالى : لمن هذه الرسوم ؟ ومن الراسم العبقرى ؟

عند هذا لمحت محيا أبا شادى قد رسم الحياء عليه رسما طبيعيا لا أثر للريشة أو الدهن فيه . وقد حاولت شفتاه تأدية الجواب فترددتا فأعيي ، فتقدمت زوجه به ، وهى تقول : ألا تعلم أن صاحبك أحمد رسام فنى ؟ هذه طائفة من رسومه الأخيرة جمعها فى هذا المكان لعرضها لعالم الفن ورجال المتاحف فى هذه البلاد .

أبو شادى رسام فنى أيضا ؟ لله ما اعجزنى عن أن ألم تمام الإلمام بمحتويات مخزن هذا الإنسان النابغة ! لله ذلك المخزن الروحى ما أوسعه ، وما أعظمه ، وما أجله !

ورحت من ليلتى تلك أقول فى نفسى : لماذا نطلب العجائب لنؤمن عليها بأعمال الألوهة؟ هى حاضرة معنا ، لو احسنا التبصر فيها . هى فى هيا كلنا البشرية ، لو شئنا استنطاقها لنطقت محدثة عن جليل أعماله ، تعالى فى خلقه . هذا ابو شادى بذاته ، بآثاره ، بأخلاقه ، مظهر جليل وواضح لعجائب الله فيما خلق . ولقد مات أبو شادى فاستعادت الذاكرة قصيدة شاعر مثله فقدناه منذ عقد ونصف عقد من السنين المغفور له رشيد أيوب قال فى ختامها وكأن قوله كان مسبقا عن أبى شادى :

سألناه بـــلا جدوى　　وولى　　ما عرفناه

قصيدة سليمان داود :

ألا ودعيه حان يوم المودع　　حمامة وادى النيل وابكى الفتى معى
فكم حمحمت صوت الكنانة روحه　　وزعزعه هجران بيت مزعزع
وكم بات ملتاعا إلى مربع الحمى　　وقيت عوادى الدهر ياخير مربع
شدا لك يابنت الهديل عرائسا　　بها وحى فنان وإلهام مصقع
وغناك ألحان الصبابة والهوى　　فرحت على لحن الغرام لتسجعى
على فنن فى روضة النيل راقص　　على نغم بالحب والأنس ممرع
بربك أين العود والكأس والهوى　　ورنات أوتار العميد الموقع
أغانى هزار فى بلاد غريبة　　تحن إلى ظعن بكثبان أجرع
فيالك خنذيذا إذا طلب النهى　　ترسل نثرا خلته ابن المقفع
أتى هذه الدنيا رسولا من السما　　نذيرا لقوم فى العماوة هجع
تغرب مضطرا وسار مسيرا　　إلى بلد بالأصفر اللون مولع
وما كان ممن يطمع المال نفسه　　ففى نفسه السمحاء زجر لمطمع
وفى روحه روح النبى وآله　　تجلت بلاهوت النبى وأروع
أحبك يامصر العزيزة إنما　　أحب قذى فى طرفه المتوجع
أيسقى فتى الأهرام كاسات علقم　　ويجرى قراح النيل فى شدق أضبع
وينعم كافور بمصر ونيــــلها　　وأحرار وادى النيل فى كل بلقع

على رغم أحداث الزمان وغدره … وما انتابه من جوره المتفرع
فما زال حنانا يئن يراعه … إلى ذلك الوادى أنين مروع
كأن ـ به شوق الرضيع لأمه … على أنها رهن الشقا غير مرضع
فقد أفسد الراعى الكروم وشتتت … نواطيرها واستأسد الهر والدعى
وشالت موازين العدالة والحجى … وخرت لدى كافور هام السميذع
ومن هزوه الدنيا يشرد حرها … وكانت على الأزمان محراب مفزع
قرأت زكى الشعر والنثر شاديا … روائع أخلاق وآيات مبدع
فبادرنى حبا صفيا شربته … بكأس من الحب القديم مشعشع
وما كان خمر البابلى وإنما … سرى فعله كالبابلى بأضلعى
أيخطب ودى شاعر الغيب والرؤى … إذن كيف يسلوه يراعى ومقطعى
أبر بإخوانى وأنهل سرهم … إذا فجعوا يوما فذاك تفجعى
أدر عينك الشكرى لأمسح دمعها … بمنديل عطفى والوفاء المرعرع
لئن حرمت عينى تلاقى أحمد … فقد هام فى حبيه قلبى ومسمعى
أحب أديب القوم شهما معززا … كأحمد ذى قلب وديع مشيع
جرى فى فروع العلم والفن شوطه … وأبلى فجلى فى ختام ومطلع
وهبت على الدنيا أغاريد ريحه … من الأدب الضافى الحلى المتضلع
وأفضل من هذا وذاك وداعة … على رفعة من أوجه المترفع
رجاحة عقل فى بلاغة منشىء … وصدر كموسوعات نلد ومجمع
كأن عذارى الوحى زرن خيامه … وأغدقنه بالأطيب المتضوع
هناك بواشنطون رمس مجلل … يضم بقايا عبقرى ولوذعى
أقول وقد حامت عليه حمامة … من النيل يا ورقاء حومى ورجعى
ضعى نعشه الذاكى على كتف السهى … فموطنه فوق الفضاء المضعضع
ومرى على أرض الكنانة واهتفى … خليق به يامصر أرفع موضع
وسيرى أيا ورقاء بالنعش والعلى … إلى وطن بالرقمتين مصدع
عسى ينفخ الميت الحياة بأمة … تلاشت فباتت والفنا قيد أذرع

فيا من أراح الجسم من ظلم القنا ... وسار إلى مثوى السنا سير مسرع
لتسق ثراك الدهر أدمع أمة ... رفعت لها شأن الحياة — وأدمعى

قصيدة نعمه حاج :

مصابك فى القلب وقع سهام ... ألا كل وصف قاصر بكلام
صعقت لدن خبرت أحمد قد قضى ... وأصبح ذاك البحر تحت رغام
وبالأمس منه قد أسعدتنى رسالة ... توسمت فيها فيه عزم همام
أتنقلب البشرى أسى لفجيعة ... به ويحول البرء كأس حمام
فيا لك من خطب بأحمد غادر ... العيون هوامى والقلوب دوامى
بكيت أبا شادى ولو ينفع البكا ... بكيت بعينى عروة بن حزام
على نابغ فى كل فن وقلما ... نلاقى ثقيفا مثله بأنام
على الصادق الود الوفى على الذى ... تحلى بأخلاق كنفح خزام
فذا خطبه خطب العروبة كلها ... ومهما بكته لاتفى بمرام
ويامصر وفيته حق خدمة ... وكان لك الأوفى بحفظ ذمام
فما هجر الأوطان إلا لأنه ... أبى أن يداجى تحت حكم طغام
وللحر نفس لاتلين لظالم ... ولا ترتضى عن نورها بظلام
خذوا من (أپولو) شاهدا عن جهاده ... ومن سعيه فى المهجر المترامى
أكان لغير الخير والحب داعيا ... وإيقاظ شعب من طويل منام
يحمل فوق الطاقة النفس جاهدا ... على رغم آلام به وسقام
ويشعلها حتى تذوب كشمعة ... لتنوير أذهان ورفع مقام
فيا جامعا شتى العلوم برأسه ... وفى صدره قلب صفا لمدام
ويامن تسامى فى الأنام بفضله ... وما زال خلقا وادعا كحمام
هنيئا لك الفردوس فى عالم البقا ... ففى الأرض لايرجى امرؤ لدوام
وإن عنت ماغابت روائعك التى ... ملأت بها للدنيا فنم بسلام

كلمة آمين رمزى أبو شادى :

يولد الإنسان فيحيا حياته على هذه الأرض — طويلة كانت أم قصيرة —

ثم يموت . فترحل روحه إلى دار أخرى لتلقى ربها ويبقى الجسم فى الثرى ليفنى . هذه سنة الحياة .

ويقضى الإنسان حياته على الأرض إما فى اللهو واللعب والسعى وراء الملذات والمسرات فيعيش لنفسه ولساعته لايخشى ربه ولا يهمه سوى أمره ويرحل عن الدنيا غير مأسوف عليه ويصبح بعد حين نسيا منسيا وقشرة جوفاء ، وإما أن يعيش فى كد وكفاح لإسعاد أفراد أسرته وتوفير أسباب الراحة لهم .

وهناك أفراد يتسامون بتفكيرهم فيرون واجبهم فى هذه الدنيا التفانى فى خدمة الإنسانية جمعاء ويكرسون جهودهم وأوقاتهم فى سبيل أداء ما أخذوا على أنفسهم بالقيام به ويضحون بكل غال ونفيس من أجل تحقيق أمانيهم ليس لإعلاء شأن بنى وطنهم فحسب بل لرفع مستوى الجنس البشرى وتوجيهه نحو الإحساس بالأخوة المتبادلة والسلام العالمى .

وقد كان والدى — رحمه الله — أحد هؤلاء الأفراد القلائل فكان قلبه أكبر من أن تقتصر محبته على زوجته وأولاده وأصدقائه فامتد عطفه ليشمل هذه الإنسانية البائسة .

وإنى لا أريد أن أتكلم عن حياة والدى العامة فهذه الناحية قد أسهب فيها الليلة الخطباء والشعراء وقد سجل له التاريخ على صفحات مجلداته مآثره المستفيضة وستظل مخلدة لاتمحوها عاديات الزمن ولا تقلب الأهواء ، وإنما أود أن أسجل أيضاً الناحية الأخرى من حياة والدى ، حياته الخاصة بين زوجته وأبنائه ، فإن كنت قد فقدت بموت أبى أستاذا ومرشدا وصديقاً ومربياً فانى أقاسم هذا الشعور جميع من رثوه هذه الليلة الذين يبكون فقدان أخ كبير لهم أو صديق مخلص أو رائد حكيم فلا أستطيع أن أقول إنى أشد حزنا عليه منهم ولكنى بوصفى أحد الأبناء تربطنى بوالدى روابط اللحم والدم أشعر مع شقيقى أن حزننا مضاعف وأن مصابنا أجل وخسارتنا أفدح .

لقد كان والدى أبر الوالدين بأولادهم وأكثرهم تضحية من أجل توفير السعادة لهم وتأمين مستقبلهم فكان يؤثر راحتنا على راحته ويتكبد فى سبيل ذلك مشقات لم يكن قد تعودها قبلا فإذا مرض أحد منا لم يذق طعم الكرى وسهر ليله يداويه إلى أن تعود إليه عافيته وإذا واجه أحدنا مصاعب فى حياته كرس وقته للعمل على تذليلها وشد على عزيمته ونفخ فيه روح الشجاعة والصبر ، وإذا تألم واحد منا لمحنة حلت به تألم معه وبكى معه . فلا يسعنى إلا أن أردد قول الشاعر :

أين فى الناس أب مثل أبى

لقد امتد عطف أبى إلى الحيوانات المنزلية والطيور وحتى إلى الحشرات الصغيرة فما كان ينسى أن يترك للطيور قوتها اليومى فى أشهر الشتاء الشحيحة ولا أن يهيء لنحله العزيز أسباب التدفئة فى الليالى الزمهريرة ، وكم من أمسية حالكة الظلام قارسة البرد ترك عشه الدافىء وخرج ليبحث عن قطته الحبيبة التى غابت عن الدار وتأخرت فى العودة نخشى عليها أن تصاب بمكروه وكم مرة تكبد مشقة سفر استغرق ساعات ليعطى كلبه العليل دواءه فى الوقت المعين ، وكثيرا ما عانى من جراء هذه التضحية اعتلال صحته وملازمته للفراش .

كان بيته صومعته وحديقته جنته وأولاده ثروته وزوجته ملاكا تجسمت على الأرض وسعادته أن يقضى وقته بينهم وأن يسمع ضحكات الفرح ترن فى أذنيه ويرى ابتسامة الرضى ترقص على شفاههم وآثار الطمأنينة تشع من أعينهم وما كان يطلب أكثر من ذلك والقناعة من شيمته والإيثار يسرى فى عروقه ، والتضحية عهد قطعه على نفسه . ومهما عددت من مناقب أبى، فإن ماذكرته لايتعدى قطرات من بحر زاخر أو حبات رمل فى صحراء شاسعة .

باسم عائلة الفقيد أشكر فضل جميع من اشترك فى هذه الحفلة التأبينية من جميع الأقطار سواء بالحضور أو بإرسال مراثيهم وقصائدهم، سائلا المولى

عزوجل أن يجزيهم جزيل الثواب وأن يجنبهم كل سوء وإنى أدعو إلى الله سبحانه وتعالى أن يتغمد والدى بواسع رحمته ورضوانه وأن يجمعه مع أحبائه فى الدار الآخرة ويغفر له هفواته ويسكنه فسيح جناته، وأسأل الله لنا العزاء والصبر الجميل فى رزئنا الجسيم إنه سميع مجيب الدعاء.

— ١٥ —

التجديد فى الشعر فى رأيه :

يقول أبوشادى : إن التجديد فى الشعر هو إحياؤه لا بما يوحى به زمنه فقط ، بل بما قد يعيش به فى أجيال ، فكأن الافتراض فى الشعر المألوف هو أنه فى حكم الميت ، وأن التجديد هو بعث له . ولكن كيف كان الموت ؟ وكيف يكون البعث ؟

أما الموت فهو مرادف الحياة الهامدة المكرورة ، التى لا تنتج ولا تثمر ما يؤذن بأى عنفوان . وأظهر سماته فى الشعر أنه صور منهوبة من الماضى لا شىء فيها من الأصالة والشخصية التى تنضج عنها تلك الأصالة ، فوجوده وعدمه سيان ، ولذلك عد الموت طابعه .

وأما البعث فمعناه الأصالة الفنية المبتدعة ، وهذا هو التجديد الذى نفهمه ونقدره . وعلى هذا الاعتبار قد يوجد بين ما يحسب جديداً مستحدثا ماهو قديم رث ، وبين القديم البعيد ماهو حى متجدد على كر الأجيال .

وإذا كان التجديد هو الإحياء ، وإذا كان من الشعر ماهو حى دائماً ، فمرادف ذلك أن من الشعر ماهو جديد دائماً ، أى ماهو صالح لكل زمان ومكان . ولكن ليس حتما أن يكون جميع ما ينظمه أى شاعر مجدد خلاق ، هو من ذلك النسق العالى فحسب ، فقد يسف أحيانا الشاعر المحلق ولو أنه لا علاقة للإبداع والتحليق بمبلغ الإنتاج ، وإنما يتعلق كل ذلك بالمواهب الفطرية وبدرجة التأثر والتفاعل فقط ..

وكيف يكون الشعر صالحا لكل زمان ومكان ؟ إنما يكون باستيعابه للحقائق الأزلية والروائع المثالية التى كيفت الإنسانية وألهمتها ، استيعاباً موقوفاً على ريشة الشاعر التى تعرف وحدها التناول العاطفى الموسيقى لهبات الفكر والوجدان فى وحدة غير منفصمة .

نقول «وحدة غير منفصمة» ، لأننا لا نعرف غيرها فى الحكم على الشعر ، وإن تجوزنا فى تحليله ، إذ أن الأجزاء المتفرقة للشعر مهما تكن رشيقة لا يكون الجمال الأكمل إلا باجتماعها أكثر من اجتماع الألحان التى تؤلف النغم ، إذ لابد لنا عند تذوق الشعر من أن نتذوق فى آن واحد موسيقاه وخياله ومعناه وعاطفته ، وأن نحس بالمواءمة بينها جميعاً إحساساً يثير إعجابنا ، كما نحس بالعاطفة المستحوذة عليه إحساساً يهز صميم مشاعرنا .

ولقد جاء شعراء العربية من قديم العصور بروائع جديدة فيها عناصر شتى من عناصر الشعر الإنسانى الخالد ، كما جاءوا بنماذج جديدة خلابة ترويها الأجيال لطلاوتها وبراعتها ، ولكنها لا تقارن فى الاعزاز بتلك النماذج الإنسانية المحتفظة على القرون بجدتها والصالحة فى سموها الفكرى والعاطفى والخيالى ، بله براعتها فى الأسلوب الفنى ، لكل زمان ومكان .

وفى شعرنا الحديث نفائس باقية خلابة منذ تألق نجم خليل مطران فى أواخر القرن الماضى ، روائع صالحة لكل زمان ومكان كيفما كانت مناسباتها ، لأنها لم تنبثق إلا من عاطفة وحكمة ونغمات أزلية يحملها الخيال السامى . وكل شعر وليد مناسبة ، ولكن ليست كل مناسبة تنجب شعرا . فالحياة مجموعة أحداث ومناسبات وأحاسيس منوعة توحى بعواطف داخلية وألحان مختلفة . ولكن ليس من المحتم أن تتنوع الصياغة لمجرد الرغبة فى التنويع إذا لم توح به موحيات القصيد ذاته . فهذا هو الشعر الأندلسى مثلا فيه الرائع الجميل من الموشحات مثل موشحة الأعمى الطليطلى :

ضاحك عن جمان ، سافر عن در — ضاق عنه الزمان ، واحتواه صدرى

وفيه الساقط الغث على الرغم من التفنن فى التجزىء والتنويع والبديع.
والأصل أن تحب الحرية فى الفنون، لأن القيود تحد من الابداع، ومن ثمة يطيب للشاعر تشجيع الشعر المرسل والشعر الحر، بل ومزج البحور والاقتباس من الأوزان الشعبية كالزجل والمواليا فى مناسبات معينة ملائمة، ولكن لايطيب له بأى حال افتعال ذلك التنويع بأشكاله لمجرد التنويع، وإلا أصبح تضييقا مفتعلا وجمودا بل موتا، وإن توهم فيه غير ذلك. فالتجديد إحياء، ولا يكون الإحياء بغير روح، ولن تنعم الروح وتترعرع فى القيد والأسر.

وفى كل زمان يوجد ناظمون كثيرون، كما توجد قلة من الشعراء تتفاوت درجات أصالتهم وتحليقهم، وكثيراً مايسمع اللغط حول التجديد والمحافظة، وكثيرا مايكون التخبط حول مصطلحات وتعابير، ولكن الحقيقة هى أن الشعر الجديد قائم فى كل عصر متيقظ، لأن التجديد مرادف الإحياء، وحيثما وجد شعر حى صادق سام، كان التجديد وإن اختلف الزى، كما أن الشعر الرفيع فى كل اللغات له نبع واحد عظيم، هو نبع الخلود.

— ١٦ —

فن الشاعر الأدبى:

وهذه قصيدة جديدة للشاعر أحمد زكى أبى شادى عنوانها «تونس الثائرة»، نظمها بمناسبة ثورة تونس على الاستعمار الفرنسى، وهتافها بالحرية والاستقلال، وتطلعها إلى مكانة كريمة بين الشعوب الحرة، وهى إحدى قصائد الدواوين الجديدة التى نظمها أبو شادى، والتى لاتزال مخطوطة حتى اليوم، ويبدو أن الشاعر نظمها فى أوائل ديسمبر عام ١٩٥٢، ونحن ندرسها فى هذا البحث، لنتبين منها فن الشاعر الأدبى، ونهجه فى نظم القصيد، ومدى المطابقة بينها وبين شاعريته، ودلالتها على نفسيته وشخصيته.

وأبو شادى ينظم شعره وفق منهج فنى يعرفه ويؤمن به ، ومن ثم فالأخطاء الفنية فى شعره نوعان : نوع من الأخطاء يقع فيه ويصر عليه لأنه لايخالف مذهبه الفنى فى الشعر ونظم القصيد ، وإن خالفه فى ذلك النقاد والأدباء جميعا ، ونوع آخر يقع فيه هفوة ولا يصر عليه ، ولا يرى له مذهبا يحتج به له ، أو يرى له مذهبا ضعيفا لا نوافقه نحن فيه ... والمتشددون من النقاد لايفرقون بين النوعين ، ولا يخالفون بين مثل هذين القسمين ، وإن كان الأحرى بالعدالة الأدبية أن لايؤخذ الشاعر على جميع أخطائه بدرجة سواء ... ومع هذا فنحن لن نفرق بين نوع ونوع وخطأ وخطأ ، حتى لايظن أننا نحابى الشاعر على حساب أحكام النقد وموازينه ، وإن كنا نقف من المعانى الجديدة عند الشعراء المجددين موقفا عادلا ، فنقبل منهم الصور الشعرية الجديدة التى تكون الحضارة وعوامل الزمن وتطور الحياة قد ألهمتهم إياها وكشفتها لعقولهم ، ونرفض الصورة الميتة التى لاجديد فيها ، والتى تنقصها روعة الحياة وقوتها وجمالها .

وبعد : فالقصيدة من بحر شعرى مألوف ، هو الكامل ، ورويها على حرف الراء . . . ومطلعها :

ثوروا على الظلم العتى جهارا   لاترهبوه وإن يكن جبارا

وموضوع القصيدة ـ من غير شك ـ موضوع جليل ، هو موضوع الحرية فى كل مكان وزمان ، حرية الشعوب والأمم ، وحقها فى العزة والكرامة الإنسانية ، وفى حكم نفسها بنفسها ، وفى مقاومة الاستعمار والظلم والاضطهاد أينما كان وحيثما كان وممن يكون . . ولا شك أن العواطف الإنسانية السامية العامة وعاطفة العروبة المتدفقة الجياشة الخاصة ، لها أثر فى إلهام الشاعر بمعانيه وأخيلته وصوره ؛ وسنتبين أثر ذلك جميعا فى القصيدة . .

والقصيدة ـ على الرغم من المناسبة الطارئة التى أوجبتها ـ من الشعر الإنسانى

الرفيع ، الذى يعد ذخيرة أدبية فى تاريخنا الشعرى المعاصر ، فهى صورة واضحة للإنسانية فى طموحها وتوثبها إلى المجد والحرية ، ومحاولتها الفكاك من الأغلال والقيود والاستعمار ، وليس فيها نزعة من التعصب ، أو أثر من العنجهية والكلام الخلاب المعسول ، إنما هى تأييد منطقى لحق الشعوب - ومن بينها تونس - فى الاستقلال والحرية ، ودفاع حار عن مستقبل البشرية التى أرهقها الظلم والظلام والاستعباد والاضطهاد ، وحالت بينها وبين التحرر والبناء والأمن والسلام والرفاهية .

وإذا ماتلونا القصيدة من أولها إلى آخرها نجدها من حيث أغراضها الشعرية أقساما أربعة : فالأول فى استنهاض همم الأحرار فى تونس وفى كل مكان للثورة على الاستعمار ومحاربته والقضاء عليه ، والرد على المستعمرين فى منطقهم الأجوف الذى يسوغون به لأنفسهم أمام الناس استعباد الأمم والتهامها ، والقسم الثانى تصوير رائع لتاريخ تونس ، ومكانتها فى تاريخ الإنسانية والحضارة والنور والعلم ، وأنها لماضيها وحاضرها لاتستطيع أن تغضى على قذى ، أو تسكت على ذل وهوان ؛ والقسم الثالث دعوة حارة لمصر لتنقذ جارتها العربية من ظلم الاستعمار ، وتنديد بسياسة فرنسا ودعايتها التى تخالف مبادئها فى الحفاظ على حقوق الإنسان والأمم ، أما القسم الأخير فيبرىء فيه الشاعر نفسه والأمم العربية جمعاء من تهمة التعصب الأعمى ، ومن ثم فهو يفرق بين فرنسا المستعمرة التى كرهها العالم المتمدين كافة ، وفرنسا الرائدة إلى الحرية والمدافعة عن حقوق الشعوب ، فيعلن الشاعر سخطه وغضبه على الأولى وحدها ، على فرنسا التى قتلت مبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، والتى مزقت بيديها وثيقة حقوق الإنسان ، والتى أخذت تتبارى فى ميدان الاستعمار وسلب حقوق الشعوب الضعيفة المستعبدة ، وكأنها تعتقد أن العالم لايزال يقبل أسطورة الاستعمار ، ويعيش فى ظلال مبادىء العصور القديمة المتأخرة المتخلفة عن ركب المدنية والتقدم الإنسانى .

ومع اختلاف هذه الأقسام وتباين الفكرة فيها ، إلا أن وحدة القصيدة قوية ، غالبة عليها ، شائعة فيها ، آخذة بأطرافها من كل مكان .. فلا التواء فى الفكرة ، ولا تباين فى الأقسام ، ولا اختلاف فى الروح الفنية للقصيدة عامة ، ولا اضطراب أو تشويه فى الصورة التى رسمها الشاعر جملة . . والتجربة الشعرية العميقة ملاحظة فى أقسام القصيدة ومختلف أبياتها ومتعدد أفكارها ، تجربة تلهم الشاعر بالعميق من الأغراض والأفكار ، وتوائم بين عاطفته وفكره فيها ، وتنطقه بمعانيه وأساليبه وصوره ، متدفقة جياشة تنبض بدم الحياة . .

وأول مايطالعنا فى مطلع القصيدة ثورة الشاعر على الظلم والاضطهاد والعبودية ، وهذه الثورة مشتعلة قوية فى نفس أبى شادى ، لأنه قضى حياته وهو يحارب الاستعباد والاستبداد والاستعمار حيثما كان ، ولأنه من ناحية ثانية شاعر الحرية التى أحبها ودافع عنها وأيد حق الناس والشعوب فيها ، ولأنه من ناحية ثالثة ذاق آلام التشريد والنفى من أثر ما نزل به من اضطهاد فهو أحرى أن يثور عليه ، وهو أيضا متدفق العاطفة حين يثور عليه ، بل هو مع ذلك ثائر فى ثورته على الظلم والظلام ، وفى دفاعه عن حريات الناس والأمم . . ومن ثم وجدنا الشاعر يستخدم فى مطلعه جملا قوية من مثل « ثوروا على الظلم العتى » ، و « لاترهبوه إن يكن جبارا » ، ويستخدم موسيقى ثائرة ، ويؤكد معانيه تأكيدا قويا ، فيقول : « ثوروا على الظلم العتى جهارا » ، فيضيف بذلك إلى الثورة معنى الإيمان بالحرية ، والاعتقاد بأنها حق طبعى للأمم ، وعدم مبالاة الأحرار بما يتعرضون له فى سبيلها .. ويأخذ الشاعر فى التدفق ، وتزداد ثورته ، ويمضى قدما فيها ، فيردف مطلعه بقوله :

النار لم تخلق لغير مجاهد   طلب العظائم حين خاض النارا
لابد من صهر اليقين بشعلة   حتى يخلص رائعاً قهارا
خلوا الرصاص مدوياً من حولكم   لابد أن يهوى وأن يتوارى

فهو لا يحب أن يرهب الشعب النار والحديد ، ولا يجب أن يسكت الحديد والنار صوت الشعب . فنار الحـــديد والمدفع لم تخلق لغير المدافعين عن حرياتهم ، والمجاهدين فى سبيل المثل الشريفة فى الحياة .. وفى البيت الأول آثار من الصنعة اللطيفة فى ذكر « النار » فى أول البيت ثم ترديدها فى آخره مما يسميه علماء البديع « رد العجز على الصدر » وإن كنا لا نحب نحن أن نصطلح على اسم له ، وهذه الصنعة أدنى إلى الطبع ، لأنها لا تنطق عن تكلف وتعمل ، ثم يؤكد الشاعر فى البيت الثانى ما أراده فى سابقه ، فيذكر أن المجاهدين فى حاجة إلى هذه النار ، نار الحديد والمدفع ، لأنه لابد من صهر الإيمان بوهج النار ليخلص اليقين مما يشوبه من أسباب التردد والضعف والخور ، وليصبح الإيمان رائعاً فى جلاله ، قهاراً للطغاة والظالمين ؛ وفى البيت الأخير يطالب الشاعر الشعب التونسى أن يمشوا فى ميدان الجهاد ، مرحبين بالرصاص المدوى ، فسيرهب الرصاص قوتهم ، وسيهوى ويتوارى فرارا وجبنا من نار العقيدة. صور متلاحمة ، ومعان متتابعة ، وأفكار متلاحقة . كل صورة تزيد سابقتها وضوحا وبياناً وقوة . . ثم يتفاءل الشاعر بانتصار الحرية والأحرار المدافعين عنها فيقول :

هـذى البداية للنهاية ، لم يدم حـكم أسف به الدخيل فبارا

وهنا تجد المعنى متصلا بما قبله ، يزيد فى تأكيد وتوضيح ما سبقه ، ولـكن الأسلوب تضعف موسيقاه وقوته ، يضعف لأن لغة المنطق تقوى ولغة العاطفة يقل تأثيرها ، وكلمة « أسف » ضعيفة فى الشعر ، وإن كانت هنا مرتبطة بالمعنى متصلة به ، وكلمة « بار » بمعـــنى هلك كذلك ضعيفة لأنها شبه مبتذلة ، وإن كانت تزيد المعنى وضوحاً وقوة ، وهنا يختلف نهج المجددين عن نهج سواهم من الشعراء ، فالمجددون يلاحظون الصورة فى نطاق الحرية الفنية التى تنطلق بها مواهبهم إلى الآفاق الواسعة ، وهم يومئون عن المعنى بالصورة ، وعن الصورة بالرمز ، ويلاحظون الفكرة ويهتمون بها ،

وينطقون الألفاظ والأساليب ، فيبعثون فيهما الروح والحياة ، دون اكتراث كبير بالفصاحة ومذاهب البلاغة المحافظة القديمة .

وننتقل مع الشاعر إلى البيت السادس فى القصيدة حيث يقول :

ليبارك المستعمرون وباله   تبا لهم ، وليعبدوه جهارا

وهنا نقف باحثين عن المعنى الذى يريده الشاعر ، لأن الصورة الأدبية غير واضحة البيان والتعبير عن الصورة الفكرية التى أرادها ، أفهم أن الضمير فى « وباله » يعود على الظلم ، والوبال الهلاك والخسار ، والمستعمرون — بكسر الميم — يباركون الظلم ووباله لأنه لولاه لما استعبدوا الأمم ولما نعم غاصب بخيراتها ، والمستعمرون — بفتح الميم — يباركون وبال الظلم لأن عاقبته النصر للأحرار ودعاة الحرية ، ولكن قوله « تبا لهم » يلوح بأنه أراد المستعمرين بكسر الميم لا بفتحها ، وأن هؤلاء المستعمرين نعموا بخيرات الأمم الضعيفة بسبب هذا الظلم فهم أحق بأن يباركوه ويعبدوه جهراً من دون الله .. ومع ذلك كله فالصورة غامضة ، والفكرة ضعيفة ، والمعنى لا يستحق هذا التعب والإجهاد الفكرى ، وهذا وما ماثله جانب من الجوانب التى آخذ النقاد الشاعر بها ، أى غموض الصور ، وظهور الإجهاد العقلى والفكرى فيها ، وعدم استبانة المراد منها ، وهو قريب مما يسميه علماء البلاغة القديمة بالتعقيد المعنوى . . ولا شك أن منشأ ذلك فى شعر الشاعر هو ثقافته الواسعة وفكره المحلق فى آفاق بعيدة أكثر مما يحلق سواه ، ولكننا نحكم الذوق الأدبى العامة لا ذوق الفلاسفة والمفكرين المغرقين فى التأمل والنظرات البعيدة ، ولهذا نحاسب الشاعر ونأخذ عليه ما أخذناه .

وينتقل الشاعر إلى تصوير ثورة أمم العروبة على الظلم والاستعمار فيقول :

مراكش ثارت عليه ، وفى غد   سترى الجزائر تصفع الجبارا

أمم العروبة نخوة وأرومة ... وثقافة ، أتقدس استعمارا ؟

فنجد الصورة قوية واضحة ناطقة ثائرة . . ثم يؤنب الشاعر المستعمرين الذين ظنوا أن الأمم العربية ستمسكت على بطش الاستعمار وذله ، فيقول :

خسئوا وضلوا ، والخسيس بطبعه ... يلقى الكرامة والمكارم عارا

فنجد المعنى جميلا ، والصورة قوية ، والألفاظ رنانة ، ولكن كلمة « يلقى » هنا ضعيفة ، لأن المعنى أنه يجد الكرامة والمكارم عارا ، أو يعتقد أنهما عار ، وقد تكون كلمة « يلقى » محرفة من « يلفى » مضارع ألفى « بمعنى وجد » فتكون الصورة مقبولة ، والألفاظ معبرة عنها تعبيراً واضحا لاخفاء فيه ؛ وقد يكون الشاعر أراد أن اللئيم يلقى الكرامة والمكارم فيما يعامله به الناس ، وهو يعتقد أنهما عار ، لأنه يقلب حقائق الأشياء بطبعه المقلوب ، فتكون كلمة « عارا » ، حالا كما يقول النحاة . . ثم يستمر الشاعر فى الحديث عن المستعمرين ودعاياتهم الخبيثة المضللة الكاذبة فيقول :

وتفننوا فى نشر ماقد زوروا ... حتى أحبوا الزور والأوزارا

فتجد تعبيرا حلوا جميلا مقبولا ، ويقول فيهم :

هل يحسبون الناس مثل سوائم ... ترعى ، فتدفع يمنة ويسارا ؟

فنجد كذلك بلاغة فى التعبير وجمالا وظرفا وذوقا تطيعه الألفاظ والأساليب طاعة انقياد . . ويستمر فى حديثه عنهم فيقول :

أوينكرون لنا العقول ، فلفقوا ... مالفقوا ، واستحدثوا الأخبارا

فنجد الصورة كذلك لاعيب فيها ، ولا مؤاخذة عليها ، بل نجد فيها مرحا فى الأداء ، وانطلاقا فى التعبير ، ومقدرة بيانية خلابة ، ولكننا - بنظر فقهى نحكمه فى نقد هـــذه القصيدة - نجد كلمة « لنا » ليست فى قوة « علينا » هنا . ونجدها نابية ضعيفة قلقة فى الصورة الأدبية ... ثم يقول الشاعر :

ياويلهم ، ومن الضحايا حولهم   لسن تحدث فى الصموت مرارا
«فرحات»[1] ليس بأول أو آخر   لجرائم روعننا تكرارا

فنجد الصورة فى البيت الأول من هذين البيتين قوية ناطقة ، وكذلك فى الثانى ، بيد أن كلمة « تكرار » وإن أكملت المعنى إلا أنها ليست كلمة شعرية مقبولة يستسيغها الذوق المرهف العارف بالفروق بين الكلمات والأساليب . . ولكننا مع ذلك نجل ذوق أبى شادى الذى لا يتكلف ولا يتعمل ولا يصنع أو ينقح ، ولا يبحث إلا عن الرسوم والألوان والظلال التى تكمل صوره الشعرية وتوضحها دون إجهاد أو إعياء . . ثم يستمر الشاعر فى حديثه عن « فرحات » فيقول :

غالته أيد فى الجرائم أوغلت   هيا اقطعوها ، طالبين الثارا

فنجد تدفقا وثورة نفسية وقوة تجربة وعمق شعور حى ملتهب .. ويقول محذرا الشعب من الإغضاء على الهوان :

إن تهدأوا عبثت بكم أضعاف ما   عبثت ، وتجمع حولها الفجارا
وأبت لكم إلا الفناء نهاية   وكأنما كان الوجود معارا

فنجد الشاعر يجمع الشعور ، ويقوى الحماس ، ويؤكد دعوته إلى الثورة على الاستعمار ، فى تسلسل معنى ، وقوة جرس ، وموسيقية لفظ .. ثم يهاجم الاستعمار فى عنف وشدة :

ما كان الاستعمار إلا سبة   ولو أنها لبست حلى ووقارا
يلهو به المستعمرون كأن نسوا   عقبى الذين يلاعبون النارا
قالوا : « هو النعم الجزيلة فيضه »   واستنطقوا الأدهار والآثارا
فتضاحكت منهم ، وفاضت عبرة   ودما ، وآلاما حوت ، وشرارا
وترنمت بعوائها مجنونة   سكرى المذابح فى العصور حيارى

---

(١) هو الزعيم العمالى التونسى فرحات حاشد الذى اغتاله الفرنسيون .

فنجد شاعر الحرية يهاجم الاستعمار هجوما عنيفا قويا مدويا ، فى جلبة وثورة وحنق ، وإن كان الضمير فى « لو أنها لبست حلى ووقارا » يعود على سبة مما يضعف المعنى ، وكان الأرجح أن يقول : « ولو أنه لبس حلى ووقارا » أى الاستعمار ، إذ لا معنى لأن تكون السبة هى التى لبست الحلى والوقار ، وقد يكون الضمير يعود على الأمم المستعبدة ، وإن كان ليس لها فى الكلام ذكر ، لأن المقام يدل عليها ، أى ولو أن هذه الأمم تكلفت الوقار والهدوء ؛ ولكن ذلك يضعف من الصورة التى رسمها ، والتى يذكر فيها أن هذه الأمم ثائرة على الاستعمار وظلمه العتى ، ومن أجل ذلك كله نرى الصورة غامضة ، ونرى الشاعر حريا بأن نؤاخذه على أنه لم يجهد نفسه فى توضيحها . ثم نحن لانفهم معنى قوله « وآلاما حوت » لأنه كان يكفيه الاقتصار على ذكر الآلام ، دون كلمة « حوت » التى لافائدة لها ولا داعى إليها فى الأسلوب . . والبيت الأخير جميل للغاية . . ويقول الشاعر إثر ذلك فى حملته على الاستعمار :

صنوان : الاستبداد فى طغيانه ويل والاستعمار كيف أغارا
يتباريان لنكبة الدنيا ، وكم صبا عليهـــا نقمة ودمارا
هل يعبدان لشر ماقد نالها إن كان فالمتعبدون سكارى

فنجد البيت الثانى جميلا للغاية ، الاستبداد والاستعمار يتسابقان لنكبة الدنيا التى طالما أذاقاها الدمار والنقمة ؛ إلا أن الزوائد فى البيت الأول أضاعت بهجته وقوته ، وهى « ويل » ، و « كيف أغار » . . . والبيت الثالث أشهد أنى لم أفهم مراد الشاعر منه ، وماذا أراد أن يقول فيه ، فعبادة الاستبداد والاستعمار لامعنى لها ، ومارتبه على هذه العبادة لاجدوى له .

وننتقل مع الشاعر إلى وصفه لمجد تونس القديم ، وأثرها فى الحضارة الإنسانية ، مما يبلغ الشاعر فيه غاية الجودة والروعة ، فيقول :

ياتونس الخضراء لاتتفزعى | أو تيأسى مهما بلوت خسارا
لابد من عهد وشيك يانع | إذ تنفضين به الهوان غبارا
ولم الهوان وذاك روحك معتل | قمم العصور ينافس الأقدارا ؟
يامن خلقت الفاطميين الأولى | خلقوا الحضارة للشعوب شعارا
المانحين لها عجائب عقلهم | والمبــدعين صفاتها أبكارا
والمرشدين الخلق من آدابهم | كالنحل هذب شهده المشتارا
يامن جعلت الدين نورا هاديا | لاظلمة تشتى ، ولا إعصارا
يامن نشرت الفن حرا رائعا | أحيا الموات وأنطق الأحجارا
يامن حميت العلم حين هدت به | أمم صغرن جهالة وصغارا
يامن نصرت الفكر وهومشدد | أبدا ، وجونب كالوباء نفارا

وتصويره لنفور الأمم المتأخرة من الفكر الحر بنفورها من الوباء فى نهاية الروعة والدقة والجمال . . ويستمر الشاعر فى حديثه الممتع فيقول :

يامن وهبت العبقرية حقها | والناس تشبع ربها إصغارا

والشطر الثانى غامض الصورة ، غير مفهوم المعنى ، ويطول بنا الحديث فى شرح مايفهم منه ، مما لاندرى هل أراده الشاعر منه أو لم يرده ، ويقول :

يامن أحبتها الطبيعة فانتشت | بجوارها ، وتنفست أزهارا
من ذا يحاول أن يردك عن منى | ربى الزمان حقوقهن صغارا ؟
ومن الدعى يقول إنك طفلة | عبثت ؟ كأنك ماسطعت منارا

وهنا يترك حديث الفاطميين ويعود إلى تاريخ تونس القديم جدا ، إلى قرطاجنة وهانيبال فيقول :

قرطاجة حمل الزمان جلالها | تاجا على هام القرون أنارا
هل كان . . هانيبال وسم خرافة | أو كان من سجدوا له إكبارا

أو كان « هانو » سائحا متوغلا | فى البحر إلا الفاتح القهارا
وهل الصناعات التى زخرت بها | وكنوزها وهم ، فطرن وطارا
وهل الجوامع والمعاهد والقرى | فى عزة الإسلام كن بوارا
يا للتبجح ! إنها لم تزل | مجدا يحس ، ويلهم الأشعارا
وصحائفا يجرى المنقب خلفها | وتعمر التاريخ والأسفارا
أوفى بها الإسلام من عليائه | فنما ، وزاد تألقا ونخارا

فنجد أروع الصور ، وأجمل الأساليب ، وأحفل الأداء بضروب البيان وألوان التعبير ، والضمير فى « نما وزاد » فى البيت الأخير يعود إلى المجد الذى ذكر قبل ذلك ببيت . ثم يستمر الشاعر فى حديثه المونق ، حديث المؤرخ العميق النظر إلى سير التاريخ وأحداثه ، وحديث المفكر الملم بأطوار الإنسانية فى عصورها وتقلباتها ، فيقول :

وبكل فن أسهمت ، وبكل علـ | ـم أزهرت ، وتفجرت أنهارا
الحكمة الزهراء من إيحائها | والفلسفات الباسمات نهارا

يريد : المشرقات كالنهار ضياء وسطوعا :

سبقت معارفها الفتوح بسيفها | ويظل يخضع علمها البتارا

يريد أن علومها سبقت جيوشها الفاتحة بالسيوف ، وحضارتها أخضعت لها السيوف المشروعة والجيوش المتوثبة :

إن قدر المستعمرون خضوعها | أبدا فقد فقدوا لهم أعمارا

وهنا يضعف الشاعر ، وترتعش الصورة ، ولا نفهم معنى أنهم « فقدوا لهم أعمارا » :

ومن الشعوب الساكنات ثوائر | فى حين يسمع غيرها هدارا
لن يستطيع الذل من تجرى بهم | تلك الدماء وتخلق الأحرارا

يريد بالبيت الأخير أن الشعوب التى تجرى فى أعصابها دماء النزوع إلى الحرية ان تستطيع الصبر على الذل والرضاء به . لأن دماءهم تخلق الأحرار، وهم قد شبوا على الحرية وحبها :

من روحهم شمم ، ومن إيمانهم عمم ، ومن يستبسلون غيارى

وكلمة غيارى جمع «غيران» كما أن كلمة غير - بضمتين - جمع غيور . .

ومن الإسار لهم كلعبة مازح حر يعاف تقيداً وإسارا
من يكرمون الضيف حتى إن عدا لايهدرون كرامة وذمارا
من أطلعوا التوحيد ملء نبوغهم فى كل ماهاموا به فأنارا
إن أخرجوا ذهب المعز وسيفه فالعلم بزهما وساد وبارى
ويظل فى رأى الزمان عجائبا تروى ، وفى سمع الزمان هزارا
الأزهر المعمور بعض تراثه وعليه قام وألهم الأقطارا
وتحرر الأذهان من آثاره فى عالم قد أله الأبقارا
هيهات تجحد مصر ماظفرت به منه ، إذا جار يعق الجارا

فنجد صورا ومعانى وأفكارا وأساليب وألفاظا على أجمل مايكون وأبلغه . وأدقه وأعمقه وأروعه . . ثم يناشد الشاعر مصر أن تنهض للدفاع عن الأحرار فيقول :

يامصر هذا يوم برك فاعملى عملا تهز ببره الأبرارا
ياموئلا : هم العروبة همه ردى ديونا ماتزال كبارا
لاتكتفى بمواعظ ومنابر لاتردع الأوغاد والأشرارا
كونى الزعيمة للعروبة كلها وذرى الجناة ، وقاطعى الكفارا
برئت فرنسا منهمو ، فجميعهم قد ألبسوها بالعقوق العارا
وأخس ألوان العقوق جناية للعهد ، أوغدر غدا استهتارا
إن يحسبوا سواسها فإخالهم أنجاسها ، ورأى الزعيم حمارا

وهذه صورة بارعة عجيبة فائقة الحد : فى التصوير ، وفى التهكم بقادة فرنسا الاستعماريين الذين يوردون بلادهم موارد العار والهـــلاك . . ويستمر أبو شادى فى التهكم بهم فيقول :

من يحسب الملك العريض عماده　　قتل الشعور وعدها أصفارا

وقوله : « وعدها أصفارا » معنى عامى مبتذل لايمكن وضعه مع معانى الشاعر الجميلة العالية .

من يحسب الظلم الفظيع ثماره　　آى الخضوع ، فلا ينال ثمارا

يريد أنهم يحسبون استعمارهم القاسى قد جنوا ثماره بخضوع الشعب لهم ، وهم فى الواقع لايجنون ثمـارا ، لأن هذا الظلم عاقبته ستدور عليهم . . ومع ذلك فالصورة قلقة ، ليست مستقرة ، ولا متلاحمة الأجزاء ، ولا واضحة الفكرة .

من لايزال على التعثر زاعما　　فيه الرجاء ، فلا يفوت عثارا

وقوله « لايفوت عثارا » كان الأولى مكانه « لاييسر عثارا » مثلا أوما شابه ذلك .

جعل الأكاذيب السخيفة درعه　　حتى إذا خذلته شاه وخارا

والبيت لطيف التصوير والأداء ، بارع للغاية .

واستسهل التهريج فى أحكامه　　طوع النضار ، فما وفى وأجارا
من ذا يضلله ، ولو أصغى له　　كل الوجود ، وأطلق المزمارا ؟
من ذا يصدق أن الاستعمار فى　　عقباه ينقذ أمة وديارا ؟
أو من يرى أهليه كانوا آية　　فى الرأى ، أوكانوا به أطهارا ؟

وهذا أبلغ رد على النغمة الكاذبة التى ترددها الدول المستعمرة ، بأنهم إنما يستعمرون الأمم المتأخرة لخير أهليها ورفاهيتهم وتقدمهم .

ويرد الشاعر على فرنسا ، ناعياً عليها سياستها الاستعمارية البغيضة فيقول:

إيه فرنسا ، كلنا بك مؤمن إلا الألى قد لوثوا التيارا
شتان بين المالئين حياتنا عطرا ، ومن صبوا علينا القارا
من بغضوا للناس محض وجودهم إذ شب نارا حولهم وشفارا

يريد بالشفار السيوف القاطعة ، وقوله « إذ شب » كان الأولى « إذ شبوا » على قياس بغضوا ، ولكن يجوز عربية أن يفرد الضمير بملاحظة لفظ « من » وأن يجمع باعتبار معناها ، ولكن هذا التأويل تأويل للتخريج فقط ، ومادام الشاعر قد جمع الضمير فى صدر البيت فقد كان الأولى به أن يفعل مثل ذلك فى صدر الشطر الثانى منه .

واستعبدوا الإنسان حتى إنهم ضربوا عليه فى الشقاء حصارا
من حاربوا خير المبادىء ، وانتشوا
بالعسف ، واتخذوا النفاق ستارا
من سودوا الوجه الصبيح وسوغوا الـ
ـفعل القبيح ، وأسرفوا استكبارا
وكأنهم فى ملعب مأساته تستعبد الأحرار والثوارا
وتوهموا حق الشعوب رواية تحكى ، وتوفية الحقوق حوارا
لم يعبأوا بذميم ماقد أسلفوا وتجاهلوا الأحداث والإنذارا
حسبوا الزمان يظل أبكم واقفا لا مفصحاً يوما ولا دوارا

وهذه صور مشرقة بالبيان والتعبير ، ناطقة بالحياة والدم الخافق ، تمشى فيها القوة والبلاغة ، معبرة عن آمال الإنسانية وآلامها وحياتها المشوبة بالأحداث المفزعة . . والبيت الأخير فى نهاية الروعة وليس لجماله حد . . ويستمر أبو شـــادى فى ثورته الإنسانية السامية الهائجة على الاستعمار والمستعمرين ، فيقول :

حتى استثاروا عالما متحررا سئم الطغاة ، كما أبى الأوغارا

فنجده يضعف ويهبط بعد أن كان محلقا ، وهذا أثر للشاعرية التي لا تعرف التنقيح والتهذيب والتجويد والتخير ، ولا آثار الصنعة ، وإنما تؤثر الطبع وتحبه وتفضل نتاجه على ماسواه ، ويقول :

الحقد من كل الجهات ينوشه   والبؤس ينهش جسمه تكرارا

يقول للمستعمرين : إنكم خلفتم فى العالم العربى حقداً دفينا عليكم ، وبؤساً وشقاء متفشياً ينهش أجسام أهليه . وكلمة « تكرارا » ضعيفة مرذولة بعيدة عن البيان والبلاغة .

والوحش ينشب ظفره فى قلبه   متبجحا بستجمع الأنصارا

وهو تعبير رائع ، يريد بالوحش الماركسية :

ومهللا للغدر ، يزعم أنه   فضل ، ويبعث ماتنا غدارا
نحوه عنى ، لاهوادة بيننا   ولدفعه أستعذب الأخطارا
من كان غادر أهله وبلاده   سخطا على حكم الفساد وثارا
وغداً بسيرته إباء صارخا   حياً ، وعادى الظلم حتى انهارا
هيهات يخدع ، أو يصفق هاتنا   للغاصبين ، وأن يحل العارا

وهكذا يختم الشاعر قصيدته ويعلن سخطه على الاستعمار وأنصاره والمادية ودعاتها ، ويقف هاتفاً بالحرية ، مدافعاً عن الأحرار ، متاضلا فى سبيل تقدم الإنسانية وازدهارها ورفاهيتها وخير شعوبها .

والقصيدة طويلة تقارب المائة بيت ، وهى طائفة من التصورات الجميلة والأفكار الدقيقة ، والمعانى الإنسانية العالية ، وهى تجمع بين الكلاسيكية المتحررة القوية ، وبين الرومانتيكية العميقة ، وأسلوبها العالى فى كثير منها أسلوب فياض بآثار الطبع وموهبته البيانية الأخاذة .. ونحن — مع ماأفضنا فيه من نقد القصيدة — نعتبرها ثروة أدبية يعتد بها ، ومثلا واضحا لشاعرية

الشاعر وفنه الأدبى فى قصائده ، حتى مع هذه السن العالية والأسقام المحيطة به ، وآلام الغربة التى يقاسيها .

ونحن نقف من الشاعر وقفة المنصف فى النقد ، لانعيبه لأنه من المجددين — بل حامل لواء التجديد فى الشعر المعاصر — ، كما يفعل بعض الناس ، ولا نطرح كما يفعلون أسلوبه فى الشعر بدعوى أنه أسلوب جديد على العربية أو غريب عليها ، ولا نؤاخذه بشىء لايستحق المؤاخذة عليه . . وإنما نعتد بحسناته الكثيرة التى ليست لمعاصر سواه . ونعرض أخطاءه الفنية على ميزان النقد السليم ، غير معتذرين بشيخوخة أو مرض أو غربة ، أو عجمة المهجر الذى يعيش فى بيئته .. نعطيه حقه ، ونحاسبه على مايزل فيه .

هذه القصيدة ، مع كل ماوجهناه إليها من نقد ، وما يمكن أن يعتذر به عن الشاعر من ألوان الاعتذار ، فإنها صورة بيانية فنية فريدة ؛ وقد يقول بعض الناس : إن الشاعر اشتهر بالإجادة فى شعر الحرية ، فلم لم تختر له قصيدة من غير هذا الفن ؟ وأنا أرد على ذلك فأقول : وأى فن لم ينبغ فيه الشاعر ؟ أليس هو شاعر الطبيعة وشاعر الوصف ، وشاعر الحب والجمال وشاعر التصوف والعلم والوطنية والاجتماع وغيرها من شتى أغراض الشعر وفنونه ومذاهبه ؟ أليس هو جديراً بلقب «رائد الشعر الحديث»؟ وهبوا أن للشاعر أخطاء ، أليس كل الشعراء قد أخطأوا ، ألم تروا أخطاء كثيرة فى شعر الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمحدثين والقدماء والمعاصرين ، فلم نطلب من أبى شادى أن يكون معصوما عن الخطأ دون سواه من الشعراء ؟ وقد تقولون إن أخطاءه تزرى بمكانته الأدبية بين الشعراء ، وأنا أقول لهم : ومن من الشعراء أحدث من الآثار ماأحدث أبو شادى فى الشعر العربى المعاصر ؟ ومع ذلك كله فنحن لانستطيع أن نسوى بين شعر الشاعر وهو فى سن الشباب وقبل أن تنضج ملكاته الأدبية هذا النضج ، وحيث لم يكتمل تمرسه بالآداب العربية وبلاغاتها ، وحيث شاعت فى شعره مظاهر الخيال الغربى

والتأثر بالآداب الأوربية ، وبين شعره بعد عهد الشباب حيث عمق فكره وأصالته وثقافته وذوقه الأدبي .

— ١٧ —

أبو شادى والشعر الجديد :

كان أبو شادى من طليعة من نظموا فيه ودعوا إليه وحبذوه ، فكتب الشعر الطليق (المرسل) من قيد القافية وإن التزم فيه أن يكون من بحر واحد . وهذه نماذج منه من شعر أبي شادى .

قال الشاعر من قصيدة عنوانها « أنا وغيرى » :

لست إلا كنقطة البحر تجرى — فى حمى الموج لاتطيق انفكاكا
فأنا بعضه وإن كنت أدرى — أنى غيره كفرد سوى
وأنا رهنه : فإنى إليه — أتناهى وأنى فيه أجرى
فشعارى تعاون وتآخ — شأن حر حنا على ود حر
إنما المرء غيره فى سمو — وحياة الإنسان ملك أخيه
والذى يرفض التعاون يحيا — كغريب وتائه وسفيه
أوكغرض مضى بقارب خوص — فى مياه حيالها ظلمات
حسب الفتح فى الجهاد وحيدا — وجهاد الغى فيه الممات[1]

ومن قصيدة له عنوانها « مناظرة وحنان » ، وهى نموذج من الشعر المرسل المتنوع الوزن ، وهى فى وصف حسان أوروبيات ازدن بالأزهار وجلسن يتأملن فى المرايا تجاه بعضهن فى مجتمع[2] :

وجلسن بين تناظر متأملات فى المرائى

(١) ٣٥ مختارات وحى العام .

(٢) ٤٥،٤٤ المرجع .

فلم التناظر ؟
الحسن وحدته تجل وإن تنوع أو تباين
فله الجلالة ؟
وللمحبين أشواق وتقديس
هيهات يحصرها داع إلى حصر !
فالحسن سلطان ، والجوهر الأسنى
لاقسمة المظهر ،
مهما ازدهى وغلا !
وكأنما الأزهار أيضاً قد حنن إلى التناظر !
ما كن حليتهن ، لكن كن رسل العاشقين
وكأن كلا تشتهى أبهى التفوق فى الملاحة
وكذا الحسن ليس يتبع آخر ،
بينا الأسارى التابعون على افتتان رهن رحمة !
انظر إلى الأزهار !
انظر جميل التثنى !
وضعن فى الأكمام
وكن بين اهتزاز ونشوة من غرام !
والزهر كالناس يهفو إلى الثغور الجميلة !
فيا بنات الرشاقة !
ارحمن أزهار حب حياتها للجمال !
وقد كفا كن أنا ضحية الحرمان
فرحمة بالأزاهر !
فإنها ترجمان وإننا القارئون

وانتا العابدون !
عطفا عليها لتحيا !
عطفا عليها بقبلة !
كأن هذا نعيم لنا وإن غاب عنا !
محبه الحسن لا نقضى بإيثار
ومن أحب الطبيعة
رأى نعيم سواه كمتعة قد أتته !
دعن المرائى إذن وانظرن فى الأزهار
تنظرن أرواح ناس قلوبهم كالأزاهر !

وهذان نموذجان صغيران من الشعر المرسل نظمهما أبو شادى ، الذى كان يدعو إلى أمثال هذا التجديد فى الشعر ، ورفع القيود عن الشاعر ، ليستكمل حريته الفنية . . . وقد كان أبو شادى يرى القافية عبئا على الشعر رغم أن جل قصائده يلتزم فيها القافية بنظامها العربى ، ولكنه مع ذلك كان ينطلق أحيانا من إسار القافية ، ليكون بعمله قـــدوة للشباب من الشعراء . . . فإذا قرأنا ديوانه « فوق العباب » مثلا ، وجدنا أغلب قصائده قد التزم فيها الشاعر القافية ، وإن كنا نراه مع ذلك قد يلجأ إلى نظام الموشحات ، كما فى قصيدته « قصة الحب الخالد [1] » ، وقد يستروح بالنظم على نظام الأراجيز كما فى قصيدته « الصنوبر الكاذب [2] » ، وقد ينظم من الرباعيات كما فى قصائده : « المرآة العميقة [3] » ، و « أبو قردان [4] » ،

---

(١) ص ١٠٥ فوق العباب .
(٢) ص ١٠٢ فوق العباب .
(٣) ص ٩٨ فوق العباب .
(٤) ص ١٦ فوق العباب .

وسواها ، وقد يجعل كل بيتين من قافية كما فى قصائده : النافذة المغلقة [١] البداية والنهاية [٢] ، الزارعون [٣] ، وسواها ... ولا نجد ظلا للشعر المرسل فى هذا الديوان . . . أما ديوانه من السماء مثلا ، فأغلب قصائده كذلك يلتزم فيها الشاعر القافية ، وقد يأتى الشاعر بأربعة أبيات من قافية ، ثم بأربعة أخرى من قافية غيرها ، وهكذا كما فى قصيدته « من السماء [٤] » . وقد يقسم القصيدة إلى أقسام كل قسم من قافية كما فى قصيدته « الجدول المسحور [٥] » ، الذى جعل فيها لكل أربعة عشر بيتا قافية خاصة ، وقد يلجأ إلى نظام الرجز فى القصيدة ، فكل بيت يكون ذا قافيتين متحدتين تخالفان قافيتى البيت الذى يليه كما فى قصيدته « دمعة وابتسامة [٦] » ويسير على نظام قصيدته « من السماء » فى قصيدته « قبلة أعوام [٧] » ، فيجعل فيها لكل أربعة أبيات قافية خاصة ، وقد يجعل القصيدة أقساما كل قسم سبعة أبيات ولكل قسم منها قافية مغايرة لقافية القسم الآخر كما فى قصيدته « قطرات الندى [٨] » .

وكل هذا التنقل فى القافية جائز مباح للشاعر أن ينظم عليه قصائده ، ولكن الذى لا نستسيغه هو الشعر المرسل ، الذى هو فى رأيى نثر لا شعر ... وأغلب دواوين أبى شادى خالية من هذا اللون من ألوان التجديد فى القافية

---

(١) ص ١١ فوق العباب .

(٢) ص ٦٨ المرجع .

(٣) ص ٨٦ المرجع .

(٤) ١٣ من السماء . . . وكذلك قصيدته « بطل العلمين » ص ٣٢ من السماء

(٥) ص ١٨ من السماء .

(٦) ٥٨ المرجع وكذلك فعل فى قصيدته « كابوس نائم » ص ١٤٤ المرجع .

(٧) ص ٨٠ المرجع .

(٨) ص ١١٤ المرجع .

وهو الشعر المرسل (١) » . . . ونحن أيضا لا نوافقه على استحسانه للشعر الحر ، ونرى أنه هدم للشعر العربى لاتجديد فيه .

وقد كتب الشاعر حبيب عوض الفيومى مقالا فى مجلة أدبى (٢) ضمنه آراء كثيرة فى شعر أبى شادى ، ووقف أمام جنوح أبى شادى إلى « الشعر المرسل » متسائلا عن سر نظمه منه مع قدرته على رياضة جموح القافية (٣) ، ويجيب أبو شادى عن ذلك مدافعا عن هذا اللون من الشعر بأنه « قد أثبت (٤) استقراء الفنون أن الحرية من أهم عوامل الابتداع فيها ، وبديهى أننا لانريد بالحرية شيئا من الفوضى ، كما أن النظام فى الفن لايجوز أن يرادف العبودية ، ومن الخير أن يترك كل فنان إلى طبيعته وسجيته فى تكييف نظمه ، ولولا هذه السماحة لما ظهرت الموشحات والأزجال العربية الجميلة ، كما أن هذه السماحة هى سند مااستحدث من شعر مرسل وشعر حر ؛ ولكل من هذين الضربين موسيقاه الخاصة به ، كما أن لكل منهما مزاياه ، فالشعر المرسل هو شعر الملاحم الكبرى بلا نزاع ، وقد ساعد أدباء الغرب على نظم الملاحم الطويلة ، والشعر الحر هو من أجمل أدوات التمثيل الرفيع ، ومتى تهيأت الأذواق لهما فسيظهر الشعراء المجيدون فيهما ، وستزداد ثروة الأدب العربى بهما » . . . واستشهد أبو شادى بقصيدة شكرى المشهورة « نابليون والساحر المصرى (٥) » التى هى من الشعر المرسل ، وعلق عليها أبو شادى بأنها « بنت (٦) الطلاقة الفنية ، وهى جميلة

---

(١) فى كتابى : « التجديد فى الشعر العربى » فصل عن الشعر المرسل فلاداعى لإطالة الحديث عنه فى هذا الكتاب ، والكتاب مخطوط .

(٢) ص ٢١٦ — ٣٢٧ مجلة أدبى يوليو ١٩٣٦ .

(٣) ص ٣٢٠ مجلة أدبى

(٤) ص ٣٢٧ أدبى - يوليو ١٩٢٦ .

(٥) ص ٣٢٨ و ٣٢٩ مجلة أدبى .

(٦) ص ٣٢٩ مجلة أدبى .

الموسيقى ، لم تبن على قافية معينة ، وإنما جاءت قوافيها طوع معانيها كيفما اتفق فى حدود الانسجام ، ومن السهل الآن أن يقال إنه فى الإمكان إعادة نظم هذه القصيدة على قافية معينة ، ولكن العبرة بخلق معانى القصيدة ، والغالب أن الشاعر ما كان يستطيع إتحافنا بكل هذه المعانى الشعرية الرائعة لو لم يرسل نفسه إرسالا أثناء النظم » . . . ثم قال أبو شادى : « ولقد نظمنا كثيرا من الشعر المقفى فى موضوعات شتى ، وفى مواقف مختلفة وفى نفس طويل ؛ فلسنا إذن ممن يعزز الشعر المرسل عن قصور ، وإنما حبا فى زيادة ثروتنا الأدبية بإفساح مجال التفنن أمام الشعراء ، فليس يغل خطواتهم مثل الشعور بالسلاسل والقيود » .

ونحن لا نوافق الشاعر أبا شادى على هذا اللون من التجديد ، فلا نرى فى الشعر المرسل ولا فى كثير من ضروب الشعر الحر ما يتلاءم مع روح الشعر العربى . . . ونرى فى الألوان التى ابتكرها العرب قديما كالموشحات والمخمسات والمربعات والأراجيز ما يخفف من قيد القافية إلى أكبر حد ، كما أن فى الأزجال وما شابهها ما يخفف من قيود الوزن إلى حد ما عند الشعراء المجددين . . . أما أن ننظم من الشعر المرسل والشعر الحر ، ونسمى ما ننظم قصيدة عربية وشعرا ، فذلك مالا نوافق عليه .

إننا نؤمن بأن الشاعر أمامه أبواب واسعة للخروج من قيد القافية على نحو ما فعل أبو شادى ، ولكن ليس من هذه الأبواب النظم من الشعر المرسل . . كما أنه ليس من الشعر العربى هذا الشعر المختلف الوزن ، المتعدد البحور .

الشاعر وروعة التصوير الفنى :

ولأعرض على القارىء هذه القصيدة الرائعة للشاعر ، التى سماها « أحلام الظلام » ، ويقول فيها :

ولما حان توديعى ولاحت | على النور الموشى بالظلام
تحف بنا الرياحين اللواتى | تزف من ابتسام لابتسام
ويحجبنا السكون بلا حجاب | ويفضحنا الحنين على احتشام
وقفت كوقفة الدنيا إذا ما | أطاح بها السلام إلى الحمام
وما هى غير لحظة مستعز | ولـكن قلبـــه دام ودام
ويجرى النور فى لون عجيب | على وجناتنا جرى المدام
فنسكر فى صموت اليأس حتى | كأن اليأس من سكر الغرام
ويغلبها الحياء وفيه معنى | حفى بالتواضع والتسامى
فأرقبها على لهف كأنى | أطبب بالسهام من السهام
وأشرب حسرتى الكبرى دواء | وإن كان الدواء من الضرام
وهل غير العذاب شقاء روحى | أنا العانى بلا أمل أمامى
وقفنا لحظة هى كل عيشى | وموتى فى السلام بلا سلام
ففرقنا الزمان بلا وداع | سوى اللهفات أشربها هيامى

فستجدك أيها القارىء أمام لوحة فنية كاملة ، تأخذ بإعجابك ، وتثير فيك الدهشة والاستغراب ، وتدعك حائرا مذهولا ، من هذا التصوير الفنى البارع الذى ليس لجماله غاية ، ولا لتجويده نهاية . . ولو أن صاحب موسيقى بارعة وضع قطعة موسيقية لموقف الوداع ، أو لو أن مصورا عبقريا رسم صورة له ، ما استطاع أحد منهما أن يبذ شاعرنا فى دقة هذا التصوير وجماله وروعته وسحره .

وأدع القارىء يتأمل محاسن هذه القصة التى سجلها الشاعر فى قصيدته .. ليعرف ويفهم ويتذوق وينقد ويحكم .

---

(١) ٥٨ فوق العباب .

— ١٨ —

بكيت حبي وأوطاني :

بكى الربيع طروبا فى مباهجه وقد بكيت أنا حبي وأوطانى
أنا الغريب وروحى شاركت بدنى
هـذا العذاب بأشواقى وأحزانى
فيم العزاء . ولا قلب ألوذ به ولا حنان يناجينى كتحنانى ؟
لى فى ثرى « مصر » دمع نائح ودم
أذيب من مهجتى اللهفى ونيرانى
تركته مثل غرس الحب ماذبلت أزهاره أو أغاثت روح لهفان
أشمهـا فى اغترابى حين تلذعنى
ذكرى الشباب وذكرى عمرى الفانى
يامن فتنت بها فى حين ماعلمت إلا توارى عن بث وأشجان
أو الرموز بألحان أرددها مثل الدرارى طافت بابنة الحان
روحى إلى صوتك الفتـان ظامئة
ولم يكيف ظمائى أى ظمآن
يا ليتنى كنت أحكى عبقريتها
فى بعض خلقى وتكوينى وإنسانى
إذن لما عبأت بالناس بل هرعت إلى فؤادى وغذت جوع فنان
إذن لما حفلت بالسن ، بل حفلت
بما أمثل من فكر وإيمـان
ومن مواهب تعلينى وترفعها لو اشتركنا بإبداع وإحسان
وكنت أولى بها من كل مجترىء صفر المواهب فى أخلاق ثعبان
ما أضيع الفن عنـد الحسن يخدعه
حرق البخور ، فيغدو عبد شيطان

لاتنهروا روحي :

لاتنهروا روحي لفرط ولوعها ... دمعي الذي تأبون بعض دموعها
ألقت بي الأحداث دون ربوعها ... وأظل أحيا في صميم ربوعها
تثب الرؤى حولي بأنفاس الربى ... ونوافح الغدران حول ربيعها
وتهزني الذكرى فأشرق بالأسى ... والذكريات وهوبها كمنوعها
كم واهم أني سلوت وما درى ... معنى السلو وحرقتي لجوعها
إني الفتى الوافي بكى حصباءها ... كبكائه لسمائها وزروعها
دنيا الصباحة والجمال تلألأت ... بجنانها، وتراقصت بولوعها
أجد الخضوع لها أحب عبادة ... شتان بين عبادتي وخضوعها
لو أستطيع طردت عن أزهارها ... غير الندى والشمس غب طلوعها
وحميتها ممن أغار تجنياً ... وجعلت أضلاعي أبر دروعها
وبعثتها من نومها، وجعلتها ... في عزمها كالشمس بعد هجوعها
وأثرتها لعظائم ومفاخر ... سيان بين وضيعها ورفيعها
مصر الحبيبة جنة لاأشتهي ... منها الخيار، نخيرها بجميعها
أهوى لها الإعزاز كيف تمثلت ... بحياتها وتصورت بصنيعها
إن كان عاقبني الزمان بغربتي ... فلقد أفاء على حلم بديعها
أو لم تنل عيني شعاع سنائها ... فلقد جنت عيني طيوف نزوعها
وتركتني في حيرة لاتنتهي ... والنفس حيرتها أشد صدوعها
ركعت بمحراب الجمال بوهمها ... وتبتلت في حبها وركوعها
وأذابت الأحلام في ألحانها ... والدمع والتقبيل يوم رجوعها؟
لاتنهروا روحي لفرط ولوعها ... دمعي الذي تأبون بعض دموعها

خلع الفاروق :

الشعب أزمع، فارعوى الحدثان ... وهوى الجناة مع العتي الجاني
من ذا يصدق أن جيلا واعيا ... ينسى فيحمد موته بهوان؟!

لم يرحم الدخلاء يوم تحكموا ... فيه سوى نفع لهم وأمانى
ضاعت كرامتنا بهم ، بل ضيعوا ... رمزا وعيناه لخير زمان
جعلوا من الملك المرجب دمية ... واستعبدوا الشعب الشقى العانى
واستنصروا الشهوات ، وهى حليفة
للظالمين ولحدهم فى آن
وكأنما التاريخ فى مرآته ... لم يعطهم عبراً ، وفى الميزان
حتى أثير الجيش بعد تمنع ... وأثير سخط الشعب بعد تفان
فإذا الحوادث مثلت كرواية ... فيها المهازل معرض الأشجان
فاروق ! يامن كنت أهتف باسمه ... وأخصه بمحبتى وحنانى
يامن تألق فى الطفولة والصبا ... بخلاله وجماله الفتان
يامن حسبناه مجدد شعبه ... متوثباً بشعوره الإنسانى
يامن تيمنا ببسمة ثغره ... وكأنها قبس من الفرقان
يامن نسينا منتشين بحبه ... مامضى من يأس ومن حرمان
يامن تنافسنا لعزة ملكه ... وكأن مصر وشخصه سيان
أفقدتنى ثقتى بكل مسود ... من بعد ماعانيت من خذلان
من بدل الوجه الوسيم عبوسة ... والعدل ألوانا من الطغيان ؟
والطهر شر الموبقات كأنما ... تلك الدعارة دينك الروحانى ؟
كم قد أتيتك ناصحاً ومحذراً ... فنبذت تحذيرى وضاع بيانى
ولقيت أحقر الاضطهاد عقوبة ... فى هم مغتربى وفى أوطانى
من كل أرعن شامخ بأذاته ... وكأنما هو فارس الفرسان
أومن تبختر فى (السفارة) زاعماً ... ماشاء ، يحسب (رعمسيس الثانى)
يجنى على الأحرار فى غلوائه ... ويخون مصر بطبعه الخوان
ويقول : « مصر أنا » ، ومصر بريئة
منه براءتها من الشيطان
كم قد بذلت الجهد فى دفع الأذى ... بوفاء مطبوع على الإحسان

متفانياً فى دعوتى ، ومحامياً عن أمتى ، ومضحيا بكيانى
وجعلت من شعرى ذخائر حكمة للعابثين فضاع فى الآذان
أين الذين تملقوك فزدتهم منحا؟ لقد خصوك بالكفران؟
ياللدناءة ! وهى غير عجيبة من عصبة التزوير والبهتان
إنى أرى فى الغيب من أحداثه ما يستثير تلهفى وجنانى
وأرى الذى قد تم حلا عاثرا فالحكم للجمهور لا التيجان
وأرى النزاهة أن يعمم بأسها سيفا على الأفراد والسلطان
لهفى ! وبين المادحين عصابة عاشت على التهريج ، لا الإيمان
كفرت بماضيها المجيد وأصبحت بفسادها من لعنة الأزمان
هموا بنى وطنى إذا ماشئتمو تطهير دولتكم من الأدران
لاترهبوا فى الحق لومة لائم وتكلموا بصواعق النيران
واقضوا على الباغين كيف تشكلوا وإن احتموا بتبجح رنان
حظ الشعوب يقينها وإخاؤها لازهو تيجان ولا سلطان
وأجل شعرى عن رثاء مظاهر تفنى ، وعندى كل عرش فان !

اضحكوا ثم اضحكوا :

اضحكوا ثم اضحكوا ياهازلين ! واغنموا تعذيبكم قلبى الطعين ؟
اضحكوا ! لم يبق عندى أمل فى شفاء العابثين الماجنين
الألى باعوا على أوطانهم مثلما باعوا حقوق الكادحين
واستباحوا رجم مثلى بالأذى وأحلوا عزة الباغى الخؤون
بعد ماغادرت أوطانى لكم كل ظلم نالنى صار يهون
كيفما شئتم لكم أن تخنقوا أو تجيعونى كما شاء الجنون
وأنا الصلب الذى إن شاخ لم يتحطم بخطوب وشجون
أنا من نفسى أمير سيد وأنا منها هزبر فى عرين
حرقتى ليست لنفسى ، بل أسى للذى يشقى به الشعب الغبين

صلوات الذل فى أفواهكم والقرابين إلى (الحوت) البدين
يالكم من طغمة فاسدة تحسب الحمق سلاح الفاتحين
هى أيام لكم معدودة ومن الأيام فى الوهم سنين
ثم يمضى (الحوت) يبغى أكلكم لقمة واحدة ، غير ضنين !
اضحكوا واستعذبوا تقريبه جمعكم منه إلى يوم وحين
فقصاراكم جميعا صيدكم يستوى المأكول بين الآكلين !
ليس نوم الشعب إلا سنة وكذلك العدل أو صدق اليقين
إن تظنوا الأمر فى الدنيا لمن خادع الدنيا فعدته الأمين
فعظات الدهر فى أحكامها لم تخادع أو تخادع بالظنين
إنما الحق هو الغلاب ، لن يزهق الحق ولو عاش سجين !

أنا ابن عقيدتى :

أنا ابن عقيدتى وسليل فكرى ، ولست بنبت أرض أو سماء
أغذى بالرجاء وأسخر بالشقاء ، وأحسب كالهباء
وجودا ند عن إشعاع ذهنى ، وخاصم فن أخيلتى وشعرى
فلا تحسب شكاتى ، مضيعة لذاتى ، ومعلنة مماتى

فما لمست يقينى ، ولا قتلت حنينى
إلى دنيا الجمال ، على مر الليالى
فإن تملى بعض امتناعى
فليس إذن وداعى
لدنيا لاتحس ولا تراعى حقوق الحر ، نقصا فى الطباع
ولا كان امتناعى من زمانى
كإنسان يعانى
خضوعا أو خنوعا
ولا باليت يوما بالصعاب

وألوان العقـــاب
إذا لم أحرم الجهد الأبيا
لأنصاف العقيدة فى كفاحى

عذاب شاعر :

الحب والجمـــال روحى كالعطر واللون للأزاهر
كم حائر ريع من جروحى وغاب عنه عذاب شاعر
ماحيلتى فى شبـاب قلبى وفى تفـــانى بالجمال ؟
أيحسب الحب شر ذنب إذا تعلقت بالمحال ؟
إن كان ، لاكنت فى حياتى الخـالق الخـــير للوجود
كم يصدف الحسن عن صلاتى وما صـلاتى لهـا حدود
أبعض ذنبى عـلو سنى أنا الذى يلهم الشباب
أنا الذى يستقل فنى بنشوة مالهـا حساب
أنا الذى ينشر الأمانى كالنور فى ظلمة الهموم
أنا الذى يبـــدع الأغانى كالراح من لوعة الكروم
أنا الذى يسعد الزمانا نهاى ، إن حورب الغرام
أنا الذى يسبغ الأمانا إن يخذل الحب والسلام ؟!
لعل يوما يحـــين بعد يبر بى المعرض الجمال
لعله حينما أعـد الشاعر البالغ المحال !

الحساب :

وقف الزمان مبشراً ومحـذراً والناس تسخر من هداه غرورا
تجرى الحياة بهم ، وهم عن جريها لاهون ، لايتبينون النورا
سيان إحسان لهم وإساءة فى عرفهم ، متخبطين شعورا
لايدركون العيش محض تجارب والعمر إن يخلد يكن معمورا

فمضت بهم فرص الحياة ذليلة ومضوا بها كترابها منثورا
كم مضنى عمه لهم ، بل مضنى أنى أظل لطبعهم مأسورا
وأبى الزمان ضلالتى فأغاثنى وأتى يردد وعظه المأثورا :
أنت الذى ولدتك أمك باكياً والناس حولك يضحكون سرورا
فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا
فى يوم موتك — ضاحكا مسرورا

لاتخجلى :

لاتخجلى يافاجرة ! ، لاتخجلى ! ، لاتخجلى ! ، وتمهلى ؟ ، فستمسخين جهودنا وستجعلين يقيننا ، كفراً وينعم عندها ، أهلوك بالمستقبل ، لاتخجلى ! ، لاتخجلى ! ، كم من مرارات شربناها كشرب الحنظل ، وذووك حرب لاتلين، على الشريف الأمثل لاتخجلى ، لاتخجلى ! ، ساوى الحصيف لدى ذا العقل البهيم ، كل غريم كل يسبح حامداً ، مايستطيب به الجدا ، كيف اغتدى ، ويعاقب الأحرار عمداً ، وإلا كالاصغار ، إن عذبوا طيراً أبى فتمردا ، لاتخجلى ، لاتخجلى ! هذى جراحات تئن ، تبكى على مر الزمن ، وتظل شاهد بغيك فى أمسك بل بين يومك والغد ، ياعزة للمقتدى ! لكن هلمى وازعمى أن الضحية أنت لامن ذوقوا منك الأذى ، وتبخترى وتخطرى ، رمز البطولة واعتلى ودعى ضحاياك على الحالين فى بؤس ويأس وامرحى ! ، هيا افرحى ، ولتضحكى ! فالحظ خص بمثلك ، والغبن حظ النابهين ، من كل حر لايلين
لاتخجلى لاتخجلى

إلى أبطال الثورة المصرية :

ياأيها الأبطال ! هذا يومكم لاتتركوه يسف للأوغاد
بل قدموا التاريخ قرنا كاملا ركضا على الأغوار والأطواد
ودعوا التردد والتمهل بينما زمر العدو تظل بالمرصاد

من كل لص أو أثيم رأسه | أولى بها التسليم للجلاد
أتفوتكم عبر الزمان ، وكم له | عبر ، وصرخة طارق بن زياد؟
لاتطمعوا الأوشاب فى غفرانكم | فتضيع ثورتكم ضياع مبادى
الحق حق ، لايجامل مذنب | والعدل عدل ، لايناوأ فادى
تكفى مناحتنا السنين ورزؤنا | متكرر بفضائح وعوادى
لاتمهلوهم كم خدعنا بينما | عبثوا ، وما زالوا ، بحظ بلاد
لاتمهلوهم ؟ واطرحوا تدجيلهم | طرح الخبائث والوباء العادى
لاتمهلوهم ! ولتكونوا دائما | مثلا لدى القواد والرواد
ستفوز مصر إذا ضربتم ضربة | تقضى على الأوثان والأصفاد
أولا ، فهذا العرس طلعة مأتم | دان ، ويوم البشر يوم حداد

جوعان :

جوعان للحسن ، وهو المبعد القاسى
أبكى عليه كما أبكى على الناس
لم ألق حولى من يحنو على كبدى | ومن يحس غرامى مثل إحساسى
هل كان ذنبى أنى عاشق دنف | سما بكل معانى الحب والباس ؟
إن كان فليمرح الهاوون وليثبوا | على عذابى ، وليمشوا على ياسى
آبى التدنى ، وأحيا جد مغترب | بين الأنام ، وإن أغنوا بإيناسى
لكنهم كافأوا حبى بنقمتهم | على فؤادى ، وإيمانى بإيجاسى
لم يعرفوا قيمة الفنان ، بل جعلوا | للمال والعمر قدرا فوق مقياس
مثل النبوة شأن الفن لو عرفوا | شتان ما بين أطهار وأنجاس ؟
إن أرهقونى بحرمانى فقد خسروا
كنزاً بقلبى ، وبئس المرهق القاسى

يا ليت لى :

ياليت لى أملا بأن ألقاك وأعب ملء نهاى من مرآك
وأعيد للدنيا جمالك خالداً شعراً تبسم للوجود الباكى
يمضى الزمان وذاك حسنك ضائع
مثل الزمان ، فلم تصنه حلاك
تلهو به الأيام مثل رواية أرخت ستائرها الثقال يداك
فمضت لدن نزل الستار كأنها ماتمثلت أبداً بأى حراك
حجبت على عين بحسنك أواعت وتمج آى الفن حين تراك
ما كان ضرك لو أبيح توددى لجمالك الموحى بما أسماك
وأبيت أنت حواجزاً وستائراً أسرتك بين سلاسل وشباك
حتى أسجل للخلود مفاتناً الفن لم يحفل بها لولاك ؟ !

الشاعر والإنسان الجديد :

قبل الأرض وناجاها هياما كشريد عاد من منفى فهاما
هام بالأم الذى قدعقها فى ضلال وغرور وتعامى
وبكى مثل يتيم ضائع لم يزل يذكر بؤساً وسقاما
ضل فى الأوهام قبلا خاسرا فتهاوى حين ظنوه تسامى
قال : « ياأمى » كفانى أننى لك أحيا ثم أفنى مستهاما
أى روح غير روح منك لى أو وجود غير معنى فيك داما ؟
كل مافى الكون لايشغلنى ولئن كان شباكا تترامى
عالم المجهول لم أغنم به غير أحلام أضلتنى دواما
حيثما عندك آيات كفت نشوة العقل فتونا ومداما
أنت بنت الشمس ، فهى جدتى وكذا كنا شعاعا وضراما
إن عبدنا النور لم نخطىء فما كان غير الله نوراً وسلاما
أو رجعت اليوم عبداً صاغراً أتلقى عنك علما واحتكاما

فالأماني كلها في فسحة ... لك إن ضاقت فما ضاقت نظاما
جنتي أنت ، فإن ضيعتها ... حق أن أغدو في الذل حطاما
وإذا راعيتها في يقظة ... لم تنم أصبحت للخلد لزاما !
فاحتفت الأرض ثم ابتسمت ... عن ربيع فاض بشراً وغراما

الأنشودة الخالدة :

أسمعت أجراس الكنائس خشعا ؟
ورأيت نور الحب كيف تضوعا

اليوم عيد للبرية شامل ... كالنور هز رياضها والبلقعا
ماكان عن تقديره متخلف ... فهو الأب الحانى يلبي من دعا
عيد السلام على البسيطة كلها ... ولو ان فيها من جراح موجعا
عيد به يجنى الحصاد مكررا ... من غرس من بذر السلام فأبدعا
إن كان خضب بالدماء فربه ... كان الشهيد لأجله فترفعا
والسلم مثل الحق ليس مقدساً ... إن لم يصن ويسد ويبق ممنعا
ياعيد أهلا بالبشير وبالهدى ! ... وجدا بيومك للتحرر مطلعا
لم نشق بالظلام إلا ساءنا ... لسناك من ترك الظلوم مضعضعا
نلتف حولك في الرموز سواطعا ... مثلا تلمسها الجمال فوقعا
عيد الفداء هل الفداء سوى غنى ... أعيا النفوس تأملا وتوسعا ؟
عيد الفقير هل الخصاصة نعمة ... فلقد جعلت الفقر أنسا مرعا ؟
عيد الأخوة في المظاهر والنهى ... مضت القرون ولانزال الفزعا
عيد المكافح في الحياة بلا ونى ... اليوم ينعم بالسكينة مولعا
عيد اليتامى إن روحك ملجأ ... لهمو ولو ذرفوا لرزء مدمعا
عيد الأسير وقد يكون بأسره ... شعب تمثل بالمسيح فأزمعا
عيد الطهارة ، فالأثيم بدمعه ... غسل الذنوب لديك حين تضرعا
عيد الأمومة في أعز جلالها ... عيد الطفولة بهجة وتلعلعا

عيد الرجاء بحاضر وبمقبل ... للعالم الوانى وملهم من سعى
لك أيها العيد الحبيب تحية ... جمعت قلوباً ليتها تبقى معا!

ذكرى الشهداء :

ذكرى يرددها الزمان الوافى ... ألق الشموس لها من الأفواف
شعت على مر السنين ، وعمرها ... عمر البطولة بين كل شغاف
متغلغلا بنهى الفوارس ، دافعاً ... من يجمون إلى الخلود الضافى
اليوم يوم صلاتنا لجلالها ... واليوم نقرؤها الحنان الوافى
وعلى الثرى نجثو ، نقبل تربة ... عبقت بحر شعورها الرفاف
ما كان بالخافى على مستلهم ... شهم ، وليس على الأبى بخاف
إنا بنى الأحرار نعرف قدرها ... ونشيمها فى النور والأطياف
وبكل معنى للعظائم شامخ ... وبكل نبع للحقيقة صاف
لامجد غير الحق يبقى ناصعا ... سمحا على رغم الردى المتلاف
هذى مقابرهم وتلك دماؤهم ... مثل النجوم ونورها الشفاف
هيهات يدركها الطغاة وربما ... سجدوا لها رغما عن الآناف
سيجىء يوم للحساب ، قضاتهم ... تلك العظام ، بغضبة الإنصاف!
ياأمة الأحرار دومى حرة ... والتضحيات لك الجلال الكافى
وبحسبك الشهداء ، ضمخ ذكرهم ... هذا الأثير ، وشاع فى الألطاف
يوم كهذا اليوم تهتف عنده ... مهج الشعوب العانيات هتافى
وتعزه الدنيا التى حلمت به ... حلمى ، وتزأر وثبة الآلاف !

مكانك ياعزائى :

وافتقد الشاعر حسن كامل الصيرفى والدته ، ففاضت شاعرية أبى شادى بهذه الأبيات التى يعزى فيها صديقه الشاعر :

عزائى ! قف مكانك ياعزائى ! ... فإنى لاأراك سوى المرائى !

هجرتك مذ خبرت صروف دنيا تراوغنا بألوان الفناء
ولست بأى حال من نرجى لترجى للأخ الجم الإباء
إلى الحر الذى صاحبت فيه أحب الشاعرية والذكاء
ومن يطوى الفؤاد على هموم ولكن فى ابتسام الكبرياء
ومن نظراته للكون نور وإن بعد الوجود عن الضياء
ومن عرف الحياة وإن تسامت فناء قد تطور عن فناء
فحسبى أن أصوغ له رجاء من الصبر المرنق بالبكاء
ومن قلب وفى لايداجى ومن حب صفى لايرائى
بأن يحيا ملاذاً للأمانى ولو وئدت وضاعت فى الهباء !

مواكب الذكرى :

أمواكب الذكرى تأنى واهتنى كالرعد يهتف للسماء مرارا
تتجاوب الأجيال حولك مثلما تتجاوب السبع الطباق جهارا
مرفوعة الأعناق ليس لزهوها معنى الغرور ، بل السمو، شعارا
سيرى ملاحم للفخار ، وأنشدى للخالدين الحب والأشعارا
سيرى مـآثر للتحرر والعلى فاليوم يلهم حظك الأحرارا
ويصوغ للأقدار سيرتها غداً فتكيف الأحلام والأقدارا
يصغى الزمان إلى نشيدك واعياً ماكان فى ماضى الزمان معارا
لاحكم بعد اليوم إلا ماقضت شيم الشعوب به وإلا انهارا
ستردد الأقطار صوتك قاهراً خور النفوس ، وسائحا جبارا
سيَر البطولة كالمعارف للنهى تغذو الشعور وتخلق الأفكارا
روى الدم الغالى مآثرها ، كما شقت بأبهى التضحيات منارا
وجلالها حى ، وإن هى ووريت حقباً من التاريخ لاتتوارى
عيد يقدسه ذووه تفانيا ويظل فيهم حاكما قهارا
هو للبرية كلها : إيمانها أو ثارها أيان تطلب ثارا

صانت مبادئه السلام وإن تكن　　حملت إباء الصلب يقدح نارا
ياويل من عملوا على إرهاقه　　مثل الحليم على التعشق ثارا
تخذ النجوم شعاره ، ولعلها　　أولى به فى فهمها الأسرارا
فلتنصت الدنيا لما هو قائل　　تزدد إلى أعمارها أعمارا

تحية والد :

وقال يحيي ابنته صفية من قصيدة (١) :

العام يبسم ياصفية فابسمى　　للعام واستبقى سرور العام
لاتجزعى كأبيك من دنيا الورى　　لم أجن من جزعى سوى آلامى
وتفاءلى إن التفاؤل ثروة　　وتدفقى بخوالد الأنغام

نخب الثورة :

وهذه أبيات ارتجالية نظمها الشاعر عام ١٩٥٠ فى اجتماع وطنى ؛ قال منها :

شربنا مذاب النار بعد فكاكها　　فقهقهت الأكواب فى وثبة الجمر
وأحرجت الأقزام حتى تلعثموا　　وروعت الظلام فى غضبة الحر
نعم ظلموها من سنين بحبسها　　ولم يعلموا ، فالخمر روح لمن يدرى
ولما زارنا قيل سكرى تخبطوا　　وما نحن من يعنو إلى اللهو والسكر
ولكننا ثرنا على الضيم والقذى　　كما ثارت الأكواب بالسخط والثأر
وما أهدرت إلا وفى ديننا لها　　حقوق وأحكام على الجبن والغدر
وما كان نخب اللهو كأس شريفة　　ولكنه رمز التطلع للفجر

دماء :

دماء لاتجف ، وإن أريقت　　على نار السطور ، ولا تكف

---

(١) ١٢ عودة الراعى .

فدى للضائعين وللحيارى ... فموتهمو وقد بيعوا أخف
علام فداؤهم وعلام أشقى ... وليس بجمعهم حر يعف
وقد أكلوا على الحالين لحمى ... وقد هرعوا لتعذيبى وخفوا
بنو أهلى ، وإن هانوا وساءوا ... وآصرتى ، وإن صغروا وسفوا
أبيت لهم مذلتهم فعابوا ... وأصغرت التكالب فاستكفوا
كأن الحق يؤخذ بالتدنى ... كأن المجد يورثه المسف
وما عرفوا لماضيهم جلالا ... سوى أوهامهم فيما يزف
بنى وطنى ! ألا حر أبى ... يدوس على الخطوب ولا يسف
ويصرع كل جبار سفيه ... يغرر بالعقول ويستخف
شكته الأرض للأحرار لما ... دهاها منه تخريب وعنف
تدين بالعهارة ، ليس ستر ... يموه ما جناه ، وليس شف
وينسب للصلاح ، ولاصلاح ... سوى ما شاء مزمار ودف
حلال رجمه ، ولو ان جمراً ... قذفناه به يؤذيه قذف
وعار صلبه ، فالصلب مجد ... به ذكرى المسيح لنا ترف
فمن مجرى العدالة وهو يأبى ... مساومة ولا يثنيه عسف
ومن ذا يغسل الأدران عنا ... وعاراً لايزول ولا يخف
ومن ذا يرسل الطعنات بكرا ... تدف العابثين ، ولا تدف
ومن ذا يشترى الخلد احتسابا ... ولا يدع الدماء سدى تجف ؟

سؤال وجواب :

سيعيش فى هم ويشقى دائما ... من عاش مشغولا بهم الناس
فعلام يانفسى افتنانك بالورى ... وهمو القساة على الأبر الآسى ؟
الشعب يلثم أرضه بوفائه ... وهمو الجناة على هوى ومواسى ! »
فأجابت النفس التى لم ترتدع ... يوما ، وإن يرشد حليف الكاس
« أنا بعض هذا الناس كيف أعافهم ... وجميع إحساس لهم إحساسى ؟ »

الجنين :

أنا الجنين وهذى الأرض من قدم ... أمى ، وكم لفظت عد البلايين
وما استوى من بنيها غير شرذمة ... كانوا النبيين أو شبه النبيين
ويوم ميلادى المرقوب موعده ... يوم يتم به فنى وتدوينى
لا يولد المرء إلا حيثما ينعت ... آثاره مثل نوار البساتين
ودون ذلك لاعيش له أبداً ... وإن تسربل بالأخلاق والدين
عمرى بآثارى الزهراء إن نضجت ... وكل ذكر سواها ليس يغنينى
ويوم إحسانها يوم أعز به ... حيا ، ولدت لتخليد وتمكين
ما الجسم شىء ، وما للفرد من قيم ... وإنما هى أحلام المجانين
وليس إلا تراث العقل من أزل ... حى ، وماقد عداه فى القرابين !

يا أخى :

عمر ينقضى برشد وغى ... وحياة تشربت كل حى !
يا أخى ! أنت بعض نفسى ، فرفقا ! ... لاتحاول إرهاق قلبى الأبى
أو تلمنى على وفائى للحق ... وذودى عن الغبين الشقى
ذا كيانى ، وذا شعورى ، فمالى ... حيلة فى شعور قلبى الوفى
لم أكن من يغادر النيل لولا ... ه طريداً ، وإن أكن كالنبى
باكيا عزة الكنانة هانت ... وتوارت كفنها العبقرى
آسيا ، عانيا ، وقد حرم الخلـ ... ق — عليه السلام — فى كل شى
ألجموه ، وقيدوه ، وراحوا ... يعلنون الفكاك أفظع غى !
ربما كان لائمى من أفديـ ... ـه بروحى ، كما أفدى نبيى
من تغربت كى أدوى بما ير ... جو ، وقاسيت فى كفاحى العتى
ترجمانا له وحينا دليلا ... وحميا فى بؤسه الأزلى
أقبل الرجم راضيا وهو يشكو ... نى ؛ كأنى غريم شعب غبى

فاته لاهيا جهودى وآلامى دفاعا عن حقه المنسى
وغدا ساندا نكاية حسادى وباع بدا بثوب الولى
إن طعن الحميم أقسى وأنكى من شمات المضلل الجاهلى
وجحود الذى تخص به الحب لأمضى من كل داء عي
سنوات خمس تكاد بها تم ضى أمانى المعذب المنفى
إن أكن قد ظفرت فى جوى الطلا ق بعمر مجدد ألمعى
ففؤادى مازال يبكى على قو مى ، كحال اليهود والمبكى
ليتنا مثلهم ، وقد أصبحوا السا دة فى الدار والغنى السرمدى
حيثما نحن يرشق الحر منا نده ، عابثا بكل فرى

تحيـــة العيد :

العيد أنتم إذا ما النجح حالفكم والعيد أنتم بإخلاص وإيمان
صمتم فكانت حياة الصوم تجربة برآ بدين وأخلاق وأوطان
واليوم هنأكم عيد وباركم كما يبارك غرسا طاب بستانى
العيد جذلان إذ أضحت أخوتكم تزهى بكم بعد أتراح وأشجان
والعيد نشوان من دين يوحدكم كشعلة الحب تسقى كل روحانى
صمتم عن السوء والأحقاد فى زمن طاشت عقول وهددنا بعدوان
مرتلين من الآيات أحكمها مجداً لفكر وإنصافا لإنسان
صمتم مثال المساواة التى نشدت وما تزال لأزمان وأزمان
وجاء إفطاركم معنى لنصرتكم وجاء تعييدكم تتويج إحسان !
بوركت يا أمم الإسلام من أمم لا تعرف الشرك فى حق وديان
ولا بمبدئها فى الحكم صامدة كأنما هو دين عندها ثانى
هذا كتابك عدل لا مثيل له وذاك عهدك يأبى كل طغيان
وذاك تاريخك الفواح من سير بالعلم والحلم سارت سير ركبان
مصادر الوحى بعد الوحى باقية رؤى ، ولحنا ، وألوانا لفنان

ومنبع الأدب العالى لعارفـــه ومطلع العلم للراجى لعرفان
من ذا يبز تراثا ليس جوهره ملـكا لعصر ، ولاملـكا لسلطان
صونيه ، صونيه ،عمن هددوا أمما بختلهم ، أو بعدوان ونيران
واستقبلى العيد فى حرية سبغت شتان ما بين أحرار وعبدان !

مراكش الدامية :

وهى من آخر مانظمـــه الشاعر أبو شادى ، وأسلوب القصيدة كلاسيكى محض ، وهى من شعره العربى الصميم لغة وروحا وموضوعا وأصالة :

بنى (مراكش) الزهراء هبوا ! نعم هبوا لعزتـكم ولبوا !
تناديـكم قرون عامرات تحلق بالمفاخر أو تدب
ألستم من بنى الحمراء أصلا ومن فتحوا المعاقل واشرأبوا
فـكيف يخال أنـكمو سكنتم إلى ذل الحماية وهى سب ؟
ولولاكم وطارق ما أتيحت لأهل الغرب يقظتهم فهبوا
إذا الحرية الغراء ديست فان لهـا الرصاص الحر طب
يزغرد فى الجواء ، وللضحايا ينغم كل ما : وهبوا ، أحبوا
ويضمد جرحكم بجراح باغ يناوئـكم ، فان الحرب حرب
إذا عز السلاح فـكل هاو شهيد بينـكم للنصر صب
وقربان توهج فى سناه على مر الزمان ولا يخب
وإن قلت صفوفـكمو تجلت صفوف للروائع تستحب
فدائيون قد كتبوا خلوداً لأمتهم بما جادوا وربوا
دماؤهمو الصحارى باركتها ولقحت التلاع فبض خصب
ورف بـكل جلمود حنان كما ومضت من الإعجاب شهب
أينـكرهم بضلته عـــدو تمرغ فى الصغائر وهو قطب ؟ !

عبير الخلد ضمخ ذكريات   لهم عزت إذا هم لم يلبوا
ومن أنفاسهم أحلام جيل   تصاحبه إذا ماعز صحب
ومن آيات يوسف(١) فى رباهم   بقايا صانها للغيب غيب
متى الأذفونش أبطره غرور   برزن له ، فران عليه رعب
فصبرا للعواقب يافرنسا   فقبلك رنح الأذفونش غصب
وقبلك للأباطرة استذلت   شعوب ، فاعتلى شعب فشعب
وما صان الممالك غير عدل   إذا أودى بها نهب وسلب
أفى عصر الحضارة والترقى   يبشر بالحماية وهى نهب ؟ !
ويؤبى العدل للأحرار حتى   كأن العدل للأحرار ذنب ؟ !
أتأبى أمة الأحرار إلا   أذى المستعمر العادى لحسب؟ !
أمن هدموا لنا البستيل هدما   لهم حرية الضعفاء خطب ؟ !
أتشغلهم مؤامرة وسجن   وكم من مبدأ الأحرار عبوا ؟ !
وكم نصبوا الموائد فاخرات   لأذهان الورى حتى استطبوا
فكيف غدوا ضحايا للتدنى   كأن من التدنى ما يحب
وكيف يعاقب الأحرار جهراً   كأنهمو على بغى أكبوا ؟ !
أنهب الحق إحسان وسهل   ورد الحق إعنات وصعب ؟ !
وهل وزن العدالة فى اختلاف   كأن الشرق لم يعرفه غرب ؟ !
أوان حضارة العصر احتكار   ولم يسهم بها ركب وركب
وما عرفت رباط وفاس قبلا   نظائرها ، أو ان الروح تخبو
أليس حضارة الإنسان إرثا   مشاعا ، فالتحرر فيه دأب
شكا المستعمرون ، وكل فعل   لهم عار على الأيام يربو

---

(١) يوسف بن تاشفين ملك المغرب . . والأذفونش أو الأدفونش هو ألفونس السادس الأسبانى الذى نكل به يوسف فى موقعة الزلاقة .

أيشكون القلاقل ، وهى بعض   لما بذروا ، فان البغض حب ؟
وما استمع الحصاد إلى رياء   ولا أخفى بذور الشر عصب
لئن حجبت ضياء الشمس حجب
فما حجبت ضياء الحق حجب
ولو شاءوا لسبحت الضحايا   بما صنعوا ورد البعض حب .
وما أهل البلاد ، وإن أذلوا   بأهل الذل ، أو فيه استتبوا
إذا سكنوا إلى مستعمريهم   أبى التاريخ غفلتهم فقبوا
وأعطوا كل مرتخص وغال   وصادوا الأخطبوط به وتبوا
عزيز أن تغر به فرنسا   ولا تصحو ، فالاستعمار خب
وتحسبه كرامتها ، وهذى   كرامتها لنا علم وكتب
إذا منها تعلم ناقدوها   فهذا مجدها الحى المرب
وذاك تراثها إرث يفدى   تهش له الشعوب وتشرئب
ويذكره الزمان على التوالى   فليس لحده عصر وحقب
بنفسى هذه الآلاف تشقى   وذاك شقاؤها مر وعذب
وعضتها الكوارث إذ أناخت   فما وهنت لآلام تصب
رأت فى الغيب نصرتها فشدت   عليها ، مالها فى النصر ريب
يغالبها زبانية سكارى   لهم فى كل بارقة مهب
تنادوا بالتمدن وهو لغو   وليس لهم سوى الأطماع رب
ستطردهم كما طردت دمشق   لصوصاً ما استحوا منها وخبوا
ومن حرم الشعوب الحكم حراً   ويزعم نفعها الباقى فذئب
حرام أن نخص به عتاباً   إذا ضاع الحياء فليس عتب
وما غير الجهاد له جواب   ولو أن النفاق عليه ثوب
وفى تطوان والبيضاء مثل   تحرك من يشيخ ومن يشب
ومنها الموحيات ، وإن شأتها   من الثورات إمداد ووكب
بناة الأطلس العالى شموخا   فليس جلاله صخر وترب

حـدار من التفرق ليس يبقى إذا استهديتمو عجم وعرب
يـكاد يثور فى حمم ، ولـكن رجاحتـكم له رشـد ولب
دعوا استجداء مغتصب زنيم له زهو بمـا يجنى وعجب
تجرد عن هـداه وعاث حتى تبرأ منه وجـدان وقلب
ومن عجب ترى ذئباً خسيسا يساند شره أسـد وكلب
دعوه مروغا باللفظ حينا وبالوعد المزيف حين يكبو
فليس البربر الأبطـال منه ولا العرب الأشاوش منه حسب
ولا غير العذاب لـكم ملاذ ومن ثمن العلى قتل وصلب
ومن طلب السلامة فهو ميت فما عيش الورى أكل وشرب
ولا أنسى نساءكمو ، فعندى نساءكمو بمـا أبدين كسب
مآثرهن أسمق من منـال يحوم حوله وغـد ووشب
خلقن بطولة وهززن شعباً إلى الإقدام حين يهز عضب
وما وقب الظلام وما يعـانى بمنسيه ، ولا ضيق وكرب
ينفره من العـاتى إباء وإن داجى ، ولا يدنيه قرب
دعوه وشمروا واسعوا وصونوا توحدكم ، فإن الحق حزب
دعوا هذا الدعى ، فـكم تمادى وشردكم ، فلم يسعفه غلب
وخص بأهله الخيرات جمعا وأنتم حظـكم مرعى وأب
دعوا الأقدار تلطمه ، ولـكن بأيديـكم فأيديـكم أحب
إذا الأنخـاب دارت للأمانى فإعجابى بـكم للنصر نخب !

الشجرة الرائدة :

سيطر الصقيع — كما يقول الشاعر أبو شادى — على الغابة ، وأخذت الرياح الباردة تضرب الأغصان بعضها ببعض . كانت الأيام باردة نهاراً وقارسة ليلا ، ولـكن إحساسا بإقبال الربيع نشأ فى الغابة ، وإذ نشأ هذا الإحساس واجهه شعور آخر مضاد ، وهو الخوف من أن يؤدى التبدل إلى

عاقبة أوخم ، فقالت كل شجرة لنفسها : لن أجرؤ على أن أكون الرائدة فى الاعتراف بالربيع حتى لاتصاب براعيمى بأذى ، وراحت سنديانة عتيقة تحذر جارة لها من عقبى التسرع ، فأجابتها جارتها قائلة : « أيتها السنديانة التى كثيراً ماضربتها الرياح ! ألا يبهجك مهرجان الحياة التى يأتى بها الربيع ؟ » فساد السكون أياما ، ثم جاء صبح تمكنت فيه أشعة الشمس من مداعبة شجر الحور ، فتفتقت إحداها ، ثم تبعتها بقية الغابة :

سيطر البرد والصقيع على الغابة واشتد عصف قاسى الرياح
لم يبال البرد الغشوم بكنز مستسر فى هذه الأرواح
أو لعل الصقيع والبرد كانا يحرسان الحياة بالترهيب
فالبراعيم ملؤها خطرات حالمات فى مهدهن العجيب
وتمشى فى الغابة الحب والشوق لدانى الربيع وهو بعيد
أترى كانت البراعيم سكرى ، أم توارت وكلهن شهود ؟ !
أيحس النبات إحساس صوفى وإحساس شاعر مسجون
هامساً بالصلاة تبعث فى الجو حنانا ورعشة للغصون ؟
ثم ساد الأشجار خوف غريب من جديد يكون شر البديل
ربما كان مرهق اليوم تعمى حين نلقى الغد المخيف الوبيل
ومضت وهى فى التياع تناجى نفسها ، لاتود مرأى الربيع
لاتود اعترافها بقدوم موشك قد يخونها للصقيع
فبراعيمها حياة لآتيها ، وإيذاؤها هوان وموت
هى أولادها ، كأن قصيداً قد حواها ، فهن بيت وبيت !
ومضت سنديانة ضربتها قاسيات الرياح عمراً طويل
فى حذار تقول للجارة : العقبى إذا جازفت وجود هزيل
فأجابت : ألاتسوين من موكب هذى الحياة حول الربيع ؟
إيه ياجارتى : لقد خانك الرأى ، فان الربيع صيف وديع

إنه واهب الحياة وإن لم يبق في ركبه سوى أيام
إنه الخالد المجدد فينا حلو أعمارنا بعام وعام .
فأفاض الكون حساً عجيباً بعد صمت كالسحر ران عليها
ثم وافى صبح تجلت به الشمس بإشعاعها حنانا لديها
داعبت في شعاعها شجر الحور فذر الصبا الزمرد عنها
واستفاقت في إثرها شجرات ، فتزيت بكل مارف منها
ذاك سر للغابة احتضنته ، وهو سر النهوض في كل حي
ثورة للتحرر المتناهي واحتقار للعجز في كل شي
من يبالي الرياح والبرد لم يسلم ، ومن هم لم يخنه نهوضه
من يهاب الأخطار حامت حواليه ، ومازل من حماه ركوضه
كم شعوب خوف الممات من الموت تعاني ، وما لها من رائد
هي نهب للجهل والسقم والفقر ، وصيد محلل للصائد
فلنحي الأشجار في الغابة الحرة ولنحي ذكرها في العظات
ولنجد روح الريادة فيها ، تلك روح كفيلة بالحياة
كم رموز ملء الوجود تناجينا وتوحي لنا دروس الخلاص
ليس حتما على الأنام ممات ، إنما الموت صورة من قصاص
ولنكرم من يرفض الموت والذل ، ومن جاء بالبشارة فينا
والذي أخرج الضياء من الظلمة حتى أعز شعبا مهينا ؟

تبرئة مارس :

كان مارس إله الحرب – كما يقول أبو شادي – صديقا للإنسان الأول يعينه على كسب رزقه ، ولكن الغرائز تآمرت عليه تباعا مع الإنسان التالي وجعلته عبدا مسخرا ، فانتقم (مارس) منها ومن الإنسان بأن وضعها جميعا موضع السخرية ، وفرق بني الإنسان شيعا متضادة ، وجعل رجال الفنون والعلم عبيده ،

وترك الإنسانية رغم حضارتها فى هوان ؛ ويشاء العدل محاكمته بعد محاكمة البشر ابتداء بالإنسان الأول ، فيشرح مارس أهواء الإنسانية ومتناقضاتها وآثامها ، ويثبت أنه لم يجن عليها ، بل كان يربيها حتى تبلغ رشدها ، فيبرأ (مارس) ويحكم على الإنسانية بالوصاية حتى تتخطى دور قصورها . . . وقد نوع الشاعر البحرين الأخيرين من هذه القصيدة عمداً ملاءمة للموقف ومن أجل التأثير الصوتى :

حلمت وما أنا بالحالم ... وشمت وما أنا بالواهم
جلال الألوهة فى عرشها ... ومن عرشها النور للعالم
تحاكم من طوحوا بالوجود ... إلى البؤس والفزع الدائم
وقد أقبلوا حولها فى صفوف ... كطاير على المنهل الباسم
ولكن خلف التبسم حزما ... أحد من الضاحك الصارم
وخلف التهلل زأر العوا ... صف يكمن فى قلق واجم ؟
ونودى بالمذنب الأول ... فجاء يجرر ذيل الخلى
ورانت عليه السذاجة حتى ... تعثر فى وهمه المسبل
ولم يدر ماذنبه فى الوجود ... وقد ضاع فى ضربة المنجل
يحاكم وهو الضحية حتى ... لقد غاب فى الزمن الأول
وقد ضحكت منه كل القرون ... ولولاه للنور لم تعجل
أبوها الذى قد تغذى الزمان ... بواحته غاية المأمل
لئن غيبته رمال الدهور ... فما طمست سلم المعتلى !
وقال : أيا رب إنى برىء ... وإن كنت فى الصيد ذاك الجرىء
أعيش به ليس لى من صديق ... سوى (مارس) يلهمنى أو يفىء
وفى حلكة الليل يحنو على ... ويقتادنى نحو مرعى هنىء
فأغنم رزقى ، وإن كنت حينا ... أنغص بالمعتدى والمسىء
ويجعل حولى صخوراً تناهت ... عبوستها كنجوم تضىء
ويسكننى فى حصين الكهوف ... وأحصنها قد يخون البرىء

وقال : أيارب قد غالبتنى ... تباعا مخاوف كم ساورتنى
كذاك الغرائز سارت تباعا ... تقاتلنى أينما رافقتنى
تآمرن حولى وسخرننى ... ومكنها عصبة لاحقتنى
بنو عترتى ، كلهم واحد ... بحث الغرائز إذ سخرتنى
فخاصمنى مارس ، بل وانتهى ... به الأمر فى السخر مما حبتنى
وبددنا شيعا جمة ... فعاقبها حينما عاقبتنى
وقال : أيارب كم سخرا ... رجال الفنون وكم حجرا
أولى العلم حتى غدا علمهم ... مصابا على العلم بل أخطرا
أثار الحروب لتدويخهم ... وباع مآثرهم واشترى
وأنزلهم فى الحضيض المهين ... لدن طمحوا أن ينالوا الذرى
كأن الحضارة جرم فظيع ... يعاقب من حازها واجترا
ففرق أسوتنا مثلما ... أثار الحروب بها أدهرا
وقال : أيارب إنى غبين ... ونسلى لذكرى عقوق مهين
لقد لطخوا سمعتى بالهوى ... وبالجشع المستبد اللعين
قصارا همو باسم أوطانهم ... يزكون ظلما لشعب طعين
وتزويق كل ضلالاتهم ... لتبدو أشباء علم ودين
وجعل الحضارة أضحوكة ... كأن الحضارة خطب يشين
حرام أحمل آثامهم ... وأولى بهم لعنة اللاعنين
ونودى هذا وهذا تباعا ... وقد حوكموا فأزالوا القناعا
وكل يبرىء آثامه ... ويحسبها حجة أو دفاعا
وكل يغنى بأحقاده ... منمقة ويحلى الخداعا
وينسى الخراب الذى ألحقته ... بدنيا هوت خيبة واتضاعا
وينسى الحروب وما قد جنته ... على عالم ضيعوه فضاعا
فأضحى اللئيم به سيدا ... وديس النبيل إلى أن تداعى

وسيق إلى العرش مارس الأثيم   يحف به كل عان غريم
تضرمت النار من أنفه   ومن عينه شرر لا يريم
وليس هيوبا ، ولكن بدا   كرب الجلال النبيل الكريم
فقالت : أيارب هذى حياتى   مضت طوع كل خبيث زنيم
لقد ضيعونى فى غيهم   وقد أورثونى ذل الخديم
ولم أجن فى غضبتى مرة   عليهم ، إذا كان يجنى الرحيم
يا إلهى لاتعاقبنى على   حيلتى فى دفعهم نحو العلى
وجهودى ناشداً تأديبهم   إذ غدوا بعض لبعض معولا
كثرت آثامهم حتى بدت   مشكلا حير ذهنا عقلا
إن أكن أخطأت فى تهذيبهم   رب مكروه وإن مر حلا
إنما الإنسان طفل لم يزل   عابد الوهم وغراً مثقلا
أنا لم أجن عليه مرة   ولكم آذى وساء الرسلا
وراح مارس مذيعا كل ماشملت   ذكراه من نقم الدنيا وماجمعت
ملء العصور ، وما التاريخ أجمعه   إلا أقل المآسى كيفما اجتمعت
وشارحا نزوة الإنسان فى صور   شتى أساءت إليه حينما اتفقت
فلم يدن مارس بل قد عد مكتسبا
حقا على شيعة الإنسان إذ ضؤلت
أجل . فذلك إذ لم تكتمل همما   ولا إخاء بما رامت وما فعلت
وسوف تبقى كطفل لايباح لها
حق النضوج متى فى خلفها اقتتلت

عيد الحرية :

أمواكب الذكرى تأنى واهتفى   كالرعد يهتف للسماء مرارا
تتجاوب الأجيال حولك مثلما   تتجاوب السبع الطباق جهارا
مرفوعة الأعناق ، ليس لزهوها   معنى الغرور ، بل السمو ، شعارا
سيرى حلامم للفخار ، وأنشدى   للخالدين الحب والاشعارا

سيرى مآثر للتحرر والعلى فاليوم يلهم حظك الأحرارا
ويصوغ للأقدار سيرتها غدا فتكيف الأحلام والأقدارا
يصغى الزمان إلى نشيدك واعياً ما كان فى ماض الزمان معارا
لاحكم بعد اليوم إلا ماقد قضت شيم الشعوب به، وإلا انهارا
ستردد الأقطار صوتك، قاهراً خور النفوس، وسائحا جبارا
سير البطولة كالمعارف للنهى تغذو الشعور، وتخلق الأفكارا
روى الدم الغالى مآثرها، كما شعت بأبهى التضحيات منارا
وجلالها حى، وإن هى ووريت حقبا من التاريخ لاتتوارى!
عيد يقدسه ذووه تفانيا ويظل فيهم حاكما قهارا
هو للبرية كلها : إيمانها أو ثارها أيان تطلب ثارا
صانت مبادئه السلام وإن تكن حملت إباء الصلب يقدح نارا
ياويل من عملوا على إرهاقه مثل الحليم على التعسف ثارا
تخذ النجوم شعاره، ولعلها أولى به فى فهمها الأسرارا
فلتنصت الدنيا لما هو قائل فتضف إلى أعمارها أعمارا!

رباعيات من وحى الخيام (١) :

للدكتور فؤاد العقل الجراح والأديب الإنسانى ، كتابه بالإنجليزية « إلى أن يأتى الصيف » . . وهو أيضا أحد شعراء العرب الأمريكيين الذين ينظمون بالإنجليزية ، وديوانه الأول المرسوم « من السجل الباهت الماضى » مشهور ، والدكتور العقل هو أحد أعضاء أكاديمية الشعراء الأمريكيين . كان الدكتور أحمد زكى أبو شادى بنقل ديوانه هذا إلى العربية كما تولى ترجمة كتابه الأدبى التاريخى السالف الذكر . ومن طرائف ما فى هذا

(١) عن المقتطف عام ١٩٥٢ م .

الديوان الشائق رباعيات مستوحاة من صفوة روح الخيام ، وقد نقلها أبو شادى فى النظم الآتى : ـ

ستريق الدنيا بيوم دماءينا ، ولن تترك التغذى علينا
فلنرق قادرين فى دمها الورد ، ونشرب بنشوة ثأرينا
قيل إنى إلى الجحيم سأمضى ، وإلى الصوم والصلاة دعوكا
فلتدعهم واخلق لنفسك بالراح نعيما ، فربما لاتزكى !
هيىء الراح واصطحب ثم كأسين وناج الحبيب فى ظل جنة
واترك الهم والتقيد بالحلف ، فلا شىء غير هذى الجنة !
ما أزدهى مزهراً بنوم جمال ياحبيبى فكيف تبقى نؤوما ؟
قم إلى البدر فهو يدعوك والروض ، ويوماً ستغتدى محروما
الربيع القصــير أقصر منه عمـــر للشباب وهو يفر
فتيقظ مع الهوى ياحبيبى راح (جمشيد) مثلما راح (خسرو)
كل حى لابد يعتنق الموت إذا حان يومه الموقوت
فاشرب الراح قبل يومك يا صاح و بادر فالراح للعمر قوت
كيف تعنى بالصوم أو بصلاة حينما العمر لن يرى مرتين ؟
كل ماتستطيع لعبة نرد ونقاط تبدو على الحجرين
دع حديثا على السماوات والنار وعما ترى عقابا وبرا
مثل هذا يحل زوراً لقوم جهلوا ، لا الألى بمثلك أدرى
كنت فى حانة فساءلت شيخا عاقلا عن مآل من كان منهم
قال : « دعهم واشرب فما عاد منهم واحد بيننا لينبىء عنهم »
ذقت فى عالم النفاق المآسى ، ولدى الحان كان كل عزائى
أرقب اليوم يوم قافلة السير فأمضى بلا أسى أو رضاء
قيل إنى عرضت نفسى للسخر لأنى أسير نشوة خمرى
مادروا أننى تحاشيت عقلى ـ فى لقاء أو فى خداع ـ بسكرى
لم أخير فى مولدى ، ورحيلى لست أسطيع لحظة تأخيره

ولو انى لاخترت حانا وساقيها وخلفت للمليك سريره
ليس هذى الدنيا سوى مومياء حولها الناس كالكلاب الضوارى
فى عراك ، وغنمهم أى غنم تركها دون لهفة وانتظار
فكرة الموت تجلب الراحة الكبرى لنفسى إذ فيه يذهب شكى
كل خوفى من أن تقضى حياتى دون جدوى أحسها يوم تركى

رثاء هر :

المراثى فى هذا الموضوع قليلة نادرة فى الشعر العربى ، ومن أوائلها مرثية ابن العلاف لهر كنى به عن ابن المعتز حين قتله الخليفة المقتدر . . وللصيرفى الشاعر المعاصر رثاء لقطة ضرغام ، وقد اتخذ أبو شادى بعد هجرته إلى نيويورك قطا اسماه « لكى » — بمعنى جالب الحظ — أليفا له ، ولما مات رثاه الشاعر بهذه القصيدة :

إذن غبت عنى عامدا دون عودة ... كأنك قد أحببت تخفيف لوعتى
تركتك فى الشمس الحنون مدفأ ... برحمتها ، فى رقدة أى رقدة
وكلمتنى ، لما تركتك — آسفا — ... إلى عملى ، فى لهجة مستحية
بها من غناء الأمس ترخيم عاشق
ومن ضعفك البادى تراجيع حسرتى
فياليتنى آثرت قربك يومها ... فياطالما آثرت قربى وصحبتى
وياليتنى لم أخدع النفس واهما ... شفاء دوائى ، أو نجاحى بحيلتى
وساءلت عنك الأهل والجيرة التى ... رأتنا أليفى نشوة ومحبة
فنادوا وراحوا يبحثون كأنهم ... على مهمه قد ضللوا أى ضلة
وعادوا إلى يأسى بيأس مضاعف ... وعادوا إلى وجدى بوجد وحيرة
لكم مرة غنيت بالشكر والرضى ... وكم مرة قبلت عينى ووجنتى
وياطالما راقبت عودى ، كأننا ... عشيقان ، لم يستمرئا أى فرقة

مواؤك لم أعرفه إلا ملاحما ... وفنا لسمعى ، ليلة بعد ليلة
فمن بدل الصوت الجميل؟ ومن ترى ... أجاز لصفوى أن يسيل بعبرتى
هو الدهر ، من قد بعثر الخلق مثلما ... تبعثر ماء البحر ضربات صخرة
ولو كنت لى طفلا لما كان مدمعى ... أحر ، ولا ذكراى أدعى لحرقتى
عرفتك فى الخمس السنين بصحبتى ... عفيفا نزيها ، لم تلوث بريبة
ويا ما أقل الناس مثلك فى الهدى ... ولو أنهم كانوا لما اشتقت غربتى
ولو كنت منطيقا لما كنت مفصحا ... بأبلغ مما قد تركت بمهجتى !
حرام سكوتى بعد صمتك ميتا ... فمن ذا يوفى الدين قبل منيتى ؟
حرام وقد ألهمتنى كل ضحكة ... حسدت عليها مثل إلهام دمعتى
إذا كان هذا الشعر نفسى فإنه ... كذلك بعض منك فى طى نفحتى
وإن لم تخلف للورى أثراً يرى ... وإن لم تخلف لى عزاء وصية
فحسب الورى ساعات أنس نظمتها ... وحسب أليف غاب دمعى ووحدتى

أعداء العبقرية :

أما الجحود فحظ قد رضيت به ... فالناس منذ وجدوا للبر أعداء
لكنما حز فى نفسى وآلمها ... رجمى ، كأن الأيادى البيض سوداء
يامن يحاذر من فضلى ويطعنه ... لاتخش منى ، فإنى اليوم أشلاء
ولو رجعت سليما لاجراح به ... لما حفلت بإحسانى لمن ساءوا
إنى لأرضى ضميرى وحده فرحا ... ولن تميت ضميرى الحى أنواء
لا العقل يدفعنى فيما أحاوله ... للجاحدين ، ولا دنيا وأهواء
وإنما هو طبع عالق بدمى ... عانيت منه . فقلبى وحده الداء
آبى لغيرى إلا العدل أجمعه ... وإن غبنت وذم الناس ماشاءوا
ولو خلقت أنانيا لما شقيت ... نفسى ، وقد بات فى الإيثار إيذاء

تأملات الأصيل :

قالوا : « حسدنا فيك روحا دائما ... غضاً ، فما فت الشباب الثانى ! »

لم لا ، وماعرف الوجود تشاؤمى إلا وصار تفاؤلى المتفانى ؟
لم لا وما بددت عمرى عابثا بل صنته لمواهب الفنان ؟
لم لا وقد شرب الجمال تعففى وسما إلى ملكوته إحسانى ؟
لم لا وتلك عواطفى مشبوبة كتوهج الأزهار فى نيسان ؟
لم لا وقد أبدعت ألحان الصبا من مهجتى ، فتألقت ألحانى ؟
لم لا وكلى بسمة وتودد للكون والأحياء والإنسان ؟
لم لا وعمرى فوق أعمار الورى بتصوفى وتبتلى وحنانى ؟
لم لا وما دنست روحى مرة بتذبذب ، وحفظت طهر كيانى ؟
شاخ الشباب ولم أزل بفتوتى وكبا الصغار وما كبا وجدانى
إن كان أدمانى العقوق من الورى فلقد جعلت دمى لهم قربانى ؟
أبكى وأضحك ، والدموع تبسمى وأئن ، والأنات من غفرانى
ولرب يوم ترجع الدنيا به فيضمد الطعنات من أدمانى
ويرى حياتى للحياة ذخيرة فيصونها ويكف عن هجرانى
إن كان دون العبقرية منزلى فالحسن يخلفها ببعض حنان
أو كنت دون الحسن قدراً أوغنى فلربما خلقا مع الإحسان
عمرى كعمر النجم فى إشعاعه وله الضياء تجاوب روحانى
ولسوف أنصف فى غد ، ولسوف أسعد من يد إسعادها إيمانى !

ثكل الحب :

هيهات يعرف حزنى غير من عانى حينا عذابى وذاق الثكل ألوانا
لا ثكل يشجى كثكل الحب ضيعه غدر الزمان ، كأن الحب ما كانا

من رباعيات الشيرازى :

لأبى شادى رباعيات من الشيرازى ، جاء منها :

حين أزرار ذلك الورد تنفض كؤوساً ويحمل الخمر نرجس
آه ما أسعد العليم بفن قرمزى يحرر الروح والنفس !
من عتيق الشراب بالأمس سلطا ن تعلى ، فجد أجدده رسما
آه ، دعنى السالى لدنيا سلو فأغنى رجاءها لك حتما
يمى والسلاف يافتنتى النهـ ر فنفنى طى الكؤوس الهموم
إن وقت الحياة أيامها العشـ ر كورد فى البشر لافى الوجوم
يا أولى الحب فى عناق الأيادى حينما الوقت دائر منسيا
أوقفوه متى تمثل دورى لترى ذكريات (نيسان) رفيا
أسعدى بالسلاف قلبى وجيئى واحذرى من تحايل العذال
رق ممن دعاك المكث سؤل وحلت فتنة أجابت سؤالى
إن تقع مثلنا بفخ الغرام فالسلاف السلاف تقطع يأسك
نحن أهل المراح فى هضمنا الدنـ يا ، فدعنا كى لانعنف نفسك
الصبا منبع السلاف الشهى فاشربوا مغرقين ذل الصبابة
إنما الكون هزه لخراب وخراب الأرباب (١) يتلو خرابه
لاتدع قبلة لحافة كأس خوف أن يفلت الغنى والمجد
ملء كأس الحياة حلو ومر من شراب ومن شفاه تود
بين حسناء فى ابتسام وعود يوقظ الفجر ثم قلب تحلل
وملاذ وخمرة رقصت لى بدمى لست جود (حاتم) أسأل !
أنت بدرى الذى به يخسف الصبـ ح وأبهى من دورة (للكوثر)
كم قلوب ألقيت فى نونة الخـ ـد ببئر مختم بالعنبر !

(١) يريد « بالأرباب » جبابرة الأرض .

حين تنضى عنها الثياب انسياباً يتجلى بدر عديم النظير
إيه ياذا الجسم الرقيق بك القلـ ـب كيا قوته بموج نضير!
حول خصر لها مددت ذراعى دون لوم ، لـكن وددت الجميع
طوق الحصنى ساعدى وهى لم تبـ ـرح بعز فى سحرها بالخضوع
قلت : ياشامة السرور بقلبى ! فأجابت : « ياعاشق المتجنى ! »
ليس مرآة بهجتى تحفظ الخا ل ، ولـكن سواد رؤياك حسنى
قلت: «هذااللمى؟»فقالت: « حياة » قلت: «فوك؟»قالت: « حلاالمرجان »
قلت: «هذا الحديث؟»قالت:«شهى فى غناء ، وكل لفظ يزان »
أيولى سحر العيون اللواتى علمت (بابل) الرقى والفنون ؟
ثم أذن دقيقة فى جمان من غناء (لحافظ) لايهون ؟

لوعة للدكتور أحمد زكى أبو شادى (١) :

إلى الصديق (خفاجى) فى عوالمه مابين شاهق أبحاث واسفار
أبث من لوعتى مافاض عن كلمى وإن تحجب فى مـكنون إضمارى
تجمعت غصص الدنيا ـ ومافتئت ـ حربا على ، وعادتنى لإيثارى
فان أعش فى جنان كلها عجب فان قلبى بالتعذيب فى النار
قد ضيعت عصبة للنقل مـكتبتى ياعصبة النقل قد خلدت فى العار !
وضيع النقل رزقا كان لى سندا كأنما الدهر مشغول بافقارى
وضيع الهم نزرا كان عافيتى فما انتفعت بعكاز ولا جار
وصار دينى رفيقا لا يفارقنى وكان ودعه أو كاد إنذارى
وإذا عرضت لبيع كل ما ملـكت يدى خذلت كما قد ضيعوا دارى
أنا المعاقب، لاذنب «جنيت سوى برى ، كأن عظيم الذنب إيثارى

---

(١) بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى المؤلف من واشنطون وكان القلق قد استبد لما صنعه به زمنه وأناسه .

ومن عجيب إذا ما الحزن يغمرنى لطمته مثل سباح بتيار
لم أدر : هل جن قلبي فى تفاؤله أم مادرى خطبه أم أنه الدارى؟
لقد تمرست عمرى بالأسى فغدا منى ، ومد الأسى عمرى لأعمار!
لمن أعذب! ماجدواى من زمنى؟ وماحياتى؟ ومن يعنيه إكبارى؟
لج (المراقب) فى شطب لأفكارى ماكان أولاه تثقيفاً بأفكارى
إن الخيانة للأوطان أخطرها حجر على الحق أو إرهاق أحرار
وترك مثلى يعانى فى تحرقه عار على الجيل ، لاذنبى ولا عارى!

صور من آراء أبى شادى فى الأدب والنقد
مما كتبه فى المهجر

— ١ —

من دراساته الأدبية عن الشعراء العرب القدامى مقالة كتبها عن الشاعر الأندلسى ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وفى هذه الدراسة يقول :

يقول العلامة بروكلمان فى عرضه لمراحل التطور فى الشعر العربى قديمه وحديثه بمجلة « الأدب الإسلامى » الصادرة عن مدينة لاهور فى يونية سنة ١٩٥١ ؛ إن شعراء العربية فى الأندلس تشربوا حب الطبيعة وجمالها فتألق شعرهم واشتهر فى الشرق وقلده كثيرون من الأدباء فى مصر وسورية ، وانتشر هذا الشعر الجديد فى القرون الوسطى بأنحاء العالم العربى اللسان جميعه ، حين لم يكن ثمة فارق كبير ما بين إنتاج شعراء البلاط فى فاس والقاهرة وجنوبى بلاد العرب .

ونظرة مستقلة منصفة فى شعر ابن عبد ربه ترينا الشاعر المجدد كما ترينا الشاعر الكلاسيكى فى آن . وكثير من هذا الشعر يتضمنه : كتاب (يتيمة الدهر) وكتاب (تاريخ علماء الأندلس) فضلا عن كتابه (العقد الفريد) وفى الجزء الثانى منه أرجوزته التاريخية الشهيرة فى عبد الرحمن الناصر ، وإن قيل إن له

ديواناً كبيراً لا نعرف أنه اهتدى إليه بعد . وهو على الإجمال محافظ حتى إنه انتقد بشدة فى إحدى قصائده مسلم أباعبيدة القائل بكروية الأرض ! وعمر فوق الثمانين فشاخ شعره معه ، وراح ينقض شعره الغزلى السابق فى صباه بقصائد فقهية جافة ، ومع ذلك لم يخل من الحكمة الآسرة ، كما نرى فى هذا الشعر وهو آخر نظمه :

بليت وأبلتنى الليالى بكرها ... وصرفان للأيام معتوران
ومالى لا أبلى لسبعين حجة ... وعشر أتت من بعدها سنتان
ولست أبالى من تباريح علتى ... إذا كان عقلى باقياً ولسانى !

وهذا مثال من شعره الوجدانى المأثور :

أنت دائى وفى يديك دوائى ... ياشفائى من الجوى وبلائى !
إن قلبى يحب من لا أسمى ... فى عناء ، أعظم به من عناء !
كيف لا ؟ كيف أن ألذ بعيش ... مات صبرى به ومات عزائى
أيها اللائمون ! ماذا عليكم ... أن تعيشوا وأن أموت بدائى ؟
ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء !

ومثال آخر لغزله :

محب طوى كشحاً على الزفرات ... وإنسان عين خاض فى غمرات
فيامن بعينيه سقامى وصحتى ... ومن فى يديه ميتتى وحياتى
بحبك عاشرت الهموم صبابة ... كأنى لها ترب وهن لداتى
لخدى أرض للدموع ومقلتى ... سماء لها تنهل بالعبرات !

ومثال آخر فى « يوم الفراق » :

ودعتنى بزفرة واعتناق ... ثم نادت : « متى يكون التلاقى ؟ »
وتصدت فأشرق الصبح منها ... بين تلك الجيوب (١) والأطواق

---

(١) الجيب : مكان العنق من الثوب .

ياسقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أفظع يوم ليتنى مت قبل يوم الفراق !

ومثال آخر فى وصف رمح وسيف :

بكل رديني[1] كأن سنانه شهاب بدا فى ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال فى طول متنه وعادت به الآمال وهى فجائع
وذى شطب تقضى المنايا لحكمه وليس لما تقضى المنية دافع
ويستل أرواح الكماة انسلاله ويرتاع منه الموت والموت رائع !

ليس لابن عبدربه ابتداع يضارع تفنن ابن هانىء ولا عبد الملك بن شهيد ولا جرأة إبراهيم بن إدريس من شعراء العصر الأول الأندلسى ، ولكنه مع ذلك صاحب ألمعية انعكست على مرآتها وحيات زمنه فراح يجدد بالتوشيح والشعر القصصى ، كما انعكست على مرآتها ثقافته الدينية فصار المتزمت فى أواخر عمره ، وكان المحافظ فى معظم سنيه ، حتى إنه فى تأليفه (العقد الفريد) لم يعن بأدباء الأندلس وشعرائها ، وإنما عنى بأدباء المشرق وشعرائه فحسب عدا نماذج من شعره استشهد بها حتى قال فيه الصاحب بن عباد : « هذه بضاعتنا ردت إلينا ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شىء من أخبار بلادهم ، فإذا به يشتمل على أخبار بلادنا . لاحاجة لنا به » .

ومهما يكن من شىء فابن عبد ربه ، ناظماً وناثراً ، كان حلقة اتصال متينة بين القديم والجديد فى عصره ، وشعره فى الغالب شعر الذكاء والفكر ، وطاقته غير قليلة ، حتى قال فيه أبو الطيب المتنبى - على جلالة قدره - « ياابن عبد ربه ! لقد تأتيك العراق حبواً ! » .

وكتب أبو شادى تقديماً لقصيدة «صالح الشرنوبى» «الوجودية» يقول فيه:

---

(١) الردينى الرمح نسبة إلى ردينة وهى امرأة اشتهرت بتقويم الرماح .

أرأيت براعم الورد فى أوج الربيع وقد هاجمها الصقيع فجأة على غير انتظار فقضى عليها قبل تفتحها ، وترك عباد الجمال يندبون حظهم الضائع ؟ تلك هى مواهب الشاعر النابغة الشاب حينما تختفى والناس والأدب والأدباء أشوق ما يكونون إلى عبيرها الجديد وألوانها الزاهية الناضرة. تلك هى الألمعيات التى لوح لنا بها الزمان ثم سلبنا إياها فى أمثال محمد عبد المعطى الهمشرى وأبى القاسم الشابى والتيجانى بشير وصالح على شرنوبى وأضرابهم من شعراء الشباب الممتازين الذين لو كان عمروا لأضافوا إلى منزلة خلودهم منازل أخرى أجل وأروع ، فالخلود كالحياة ألوان ودرجات .

ويرجع إلى الشاعر صالح جودت الفضل الأول فى اكتشاف الشاعر صالح شرنوبى حينما لم يتجاوز العشرين بكثير ، ثم فى إحياء أول دواوينه ، (نشيد الصفاء) ، وفى التعريف بفلسفته « فلسفة الجموح والعاطفة المشبوبة والإنسانية الزاخرة والشك الذى تقوم دعائمه على التأمل وتنتهى فروعه إلى الإيمان العميق » .

إن الموت يسبغ على الفن والفنان حرمة كما يهيب بالغافلين أن يحيوا ذكراه ونفائس آثاره وإن لاقى فى حياته الجحود والإساءة من عديدين . ونحن إذ نقرأ الوجودية مثلا للشاعر صالح شرنوبى نعجب للأصالة الفنية المتجلية فى هذه الملحمة الرائعة إعجابنا بالبراعة فى أدائها دون لعثمة ، وقدار تفع الشاعر فوق ألاعيب الصناعة ، والإبهام ، والضحولة التى تحاول أن تتسم بالفلسفة ، وهو مع ذلك يأتى باللفظ البارع المجنح حاملا أخيلته ومعانيه العلوية ؛ وملحمته هذه من الشعر الساحر الجامع لأفانين من العاطفة والتأمل والوصف والحكمة والخيال فى صور جريئة متعددة متلاحقة ذات أصباغ أصيلة كثيرة وقد تناول فيها أهم مشكل حير البشر وهو لغز الوجود ، ثم تصرفات الإنسان المتناقضة فى مجتمعه الغاشم الصاخب .

صفية أبو شادى

— ١ —

كانت تقيم الشاعرة المصرية المهاجرة صفية أحمد زكى أبو شادى فى واشنطون،مع والدها الشاعر المصرى الكبير الدكتور أحمد زكى أبو شادى صاحب الآثار الأدبية العديدة المرموقة .

وقد تلقت ثقافتها فى مصر قبل هجرة والدها إلى أمريكا فى ١٠ إبريل عام ١٩٤٦ ، هذه الهجرة التى كانت أكبر سفارة أدبية وفكرية لمصر فى عصرنا الراهن ، والتى كان من أظهر أسبابها آراء أبى شادى التقدمية الرائدة فى الأدب والفكر والاجتماع والسياسة ، التى ذعر منها حكام مصر فى ذلك العهد البائد البغيض ، ثم ما كان يسود جو مصر الفكرى من خنق للحريات. واضطهاد للفكر ، ومحاربة لدعاة النهضة والتقدم والتجديد والإصلاح ، وقد كان القصر الملكى يهتز رعبا من آراء أبى شادى التى كان يبثها فى أنصاره وحوارييه ، وكانت الأحزاب البائدة ترتعد فرقا من تنديد أبى شادى بدعاة الرجعية السياسية المقيتة التى كانت تمثلها هذه الأحزاب ، وكان الإقطاعيون يقابلون دعوة أبى شادى إلى العدالة الاجتماعية وتوزيع الأرض على الفلاحين وإلغاء الألقاب بالنقمة والبغضاء . . وكان من البدهى أن تتأثر حياة الشاعر بكل ذلك تأثرا كبيرا ، وأن يلقى من الاضطهاد والعنت فى بيئته ماينوء بالعصبة أولى القوة ، وأن تنذره الحكومة بالحرمان إذا فكر أو تحدث أو كتب أو نادى برأى . . وفى هذه المحنة توفيت زوجه الحنون ، وبدأ أمام عينه الظلام القاتم المتجمع من كل أفق ، فهاجر الشاعر ، ومعه أبناؤه ، و « صفية » شاعرتنا وصاحبة ديوان « الأغنية الخالدة » من بينهم ، وحطوا الرحال فى نيويورك حينا من الزمان .

- ٢ -

و (صفية) شاعرتنا تنحدر من بيت عريق فى الأدب والشعر والنبل ، فوالدها شاعر مرموق ، وجدها « محمد أبو شادى بك » كان خطيبا مفوها وسياسيا ذائع الشهرة . وأديبا وكاتبا وشاعرا بليغا . وقد حمل لواء الجهاد مع سعد زغلول حتى توفى عام ١٩٢٥ ، وجدتها لأبيها كذلك كانت شاعرة ، وخال والدها كذلك شاعر مشهور : هو المرحوم مصطفى نجيب ، الذى توفى بعد مشرق القرن العشرين بقليل ؛ ولا شك أن هذا التراث الفكرى والأدبى قد انتقل إلى ذهن الشاعرة ، وتردد صداه فى عقلها وروحها ، منذ أن كانت طفلة صغيرة .

وعنصر الخيال الطلق البعيد الذى يمثله هذا الديوان ، والذى هو من أهم سمات شاعرية الشاعرة ، لعله كذلك ينبع من معين هذه الثقافة الأدبية الغربية ، وخاصة الإنجليزية ، التى تثقفت بها الشاعرة من طفولتها على يدى والدتها . وقد كانت تنتمى إلى عنصر إنجليزى عريق ، ثم فى المدارس التى التحقت بها فى الإسكندرية حيث كانت تقيم مع والدها قبل هجرته إلى أمريكا ، وهو أستاذ فى كلية طب جامعة الإسكندرية ، ووكيلها .

- ٣ -

وجانب كبير من قصائد هذا الديوان قد كتبته الشاعرة فى مصر قبل الهجرة ، والجانب الآخر كتبته وهى مهاجرة فى أمريكا . ومن ثم فإن هذه القصائد الفنية تمثل كثيرا من خصائص الثقافات الأدبية العالمية العريقة ، مما يجعل لهذا الديوان منزلته الخطيرة فى إنتاجنا الأدبى المعاصر ، لأنه صورة حية من هذه الثقافات الأدبية المنوعة التى تلقتها الشاعرة فى بيئات عديدة بعضها شرقى و بعضها غربى . ومن النتائج المترتبة على ذلك ما يمتاز به الديوان

من انطلاق الخيال ، وتحرر الفكر ، وسعة أفق العقل الأدبى ، والصوفية الحالمة العميقة النافذة إلى أعماق الحياة والطبيعة والوجود ، ثم امتزاج الروح الشرقى بالروح الأوربى .

— ٤ —

والديوان كله قصائد من الشعر المنثور . وهذا اللون من الشعر أكثر منه جبران ومى وغيرهما من شعرائنا وكتابنا المعاصرين ، وأساسه العناية بالفكرة والخيال والروح والعاطفة والموسيقى ، دون نظر إلى القافية ، ودون التفات إلى أوزان الشعر وبحوره . . . والنقاد العرب يقفون من هذا اللون من الشعور والشعر مواقف مختلفة .

ففريق يرون أن الشعر هو الكلام الفنى الجميل ، المحلق فى آفاق الخيال ، والضارب فى أعماق الوجدان ، والممثل لخلجات الشعور ، ونبضات القلوب ، ومن ثم فهم يذهبون إلى أن كل كلام - يغلب عليه التأنق والجمال والخيال ويخاطب العاطفة والوجدان والشعور - هو شعر ؛ ويستشهدون على ذلك بكلام حسان بن ثابت شاعر النبوة ، حين سمع من ابنه وصفا أنيقا منثورا لنحلة لسعته ، فقال : شعر ورب الكعبة . ولما قال بشار أبياته المشهورة فى الشورى وسداد مشاورة الأصدقاء ، أعجب بها الناس ، فسئل بشار عن ذلك فعلل إيمانه بحكمة الشورى بكلام بليغ منثور ، فقال النقاد أنت فى نثرك أشعر منك فى شعرك . وفى العصر الحديث ذهب بعض النقاد إلى عد كل كلام منثور بليغ يغلب عليه الخيال شعرا ، وإن لم يشتمل على وزن ولا قافية ، وأكثر من هذا اللون من الشعر جبران وسواه .

وفريق آخرون يقيدون الشعر بالوزن ، وسواهم يقيدونه بالقافية والوزن جميعا ، وهو رأى الكثير من النقاد العرب القدامى .

ومهما كان فإن حاجتنا إلى التجديد الأدبى ، وإيماننا بوجوب مسايرة

الأدب للحياة ، تقتضى منا أن نؤمن بأن كل إنتاج فى بليغ موهوب لا يتنافى مع الشعر الكلاسيكى المقيد بقيود الوزن والقافية والموسيقى ، بأية حال من الأحوال.

— ٥ —

ويمثل هذا الديوان صورا أنيقة من نظارة الشاعرة إلى الطبيعة والحياة والجمال الإنسانى الثرى بالألوان ، ويتحدث عن عواطف الشاعرة وآمالها ، وأحزانها ومسراتها ، حديثا عميقا خصبا مؤثرا . . . فبينما نجدها تقول فى قصيدتها « يأس » : (أقضى الأيام تائهة فى بيداء من الظلام ، والطرقات المتضاربة كلها أعشاب شائكة ، فإذا حسبت الأمل أمامى يومىء إلى، وجدته السراب القاسى يخدعنى) ، وتصور كفاحها الشاق الطويل وهى تناضل الحياة فى قصيدتها (الزورق الصغير) ، وفى قصيدتها الأخرى (وسط المحيط) ، وتردد (الأغنية الخالدة) فى صدى مدو ، وفى حزن عميق . . إذا هى تناجى الأمل والإيمان فى قصيدتها (فى عينيك الدموع) ، وفى قصيدتها الأخيرة (فيم تفكرين ؟) ، وتندمج فى الطبيعة فرحة شادية فى قصائد عديدة من الديوان مشرقة بالأصالة والطلاقة الفنية والتحرر والموهبة ، وتصف مشاهد فكاهية وصورا ضاحكة من عمل المنزل وجهاد الفتاة فيه ، وتتحدث عن المثل العليـــا للحياة ، وعن آثار من التفكير الراهن فى مستقبل الإنسان على الأرض . . إلى غير ذلك من الألحان العذاب ، والأغانى الحلوة ، والأناشيد الجميلة المؤثرة ، ذات الطابع الفنى المتميز .

— ٦ —

والرمزية بظلالها وألوانها الفنية ، المنطلقة فى سبحات الخيال ، وأحلام العقل ، ومشاهد الوجود ، وأعماق الطبيعة ، وأسرار النفس ، غالبة على

هذا الديوان ، المشبع بفهم حقيقى للأدب ، وإيمان عميق بالتجديد .

ويتميز حديث الشاعرة فى الديوان بالصدق والبساطة والجمال .. ولا شك أن هذه العناصر هى أهم سمات الأدب الجديد الذى نؤمن به وندعو إليه .

ومن ثم فإنه يمكننا أن نقول : إن الديوان ـ بما يشتمل عليه من آثار وسمات فنية متعددة ـ جديد كل الجدة ، فليس فيه تقليد لمذهب ، ولا لشاعر ولا لشعر بعينه . ولذلك تزداد أهميته بالنسبة لنا ـ نحن الأدباء والشعراء والنقاد ـ إلى حد كبير .

ـ ٧ ـ

والأدب النسوى المعاصر فى مصر والبلاد العربية قليل ضئيل بالنسبة للآثار الأدبية الحديثة ، ومن أظهر الشاعرات المعاصرات : فدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وجميلة العلايلى ، وجليلة رضا ، ومن أظهر أديباتنا المعاصرات مى وبنت الشاطىء والقلماوى ودعد الكيالى .

ولا شك أن الأدب النسوى المعاصر ، وخاصة الشعر ، سيكسب غنما كبيرا ، حينما يضاف إلى دراريه المتألقة شاعرتنا المصرية المهاجرة « صفية أحمد زكى أبو شادى » ، صاحبة هذا الديوان الجديد « الأغنية الخالدة » ، التى تعيش للأدب ، وتحيا بالأدب ، وإن لم تتخذه مهنة وتجارة ، ولم تمش به للدعاية بين الناس .

وكتب ديب نعوم ليون عن ديوان الأغنية الخالدة يقول (١) :

« مصادر الوحى للفن تنشأ عن مظاهر الكون الدائمة العمل والتحول ، وبمقدار ما يتأثر الفنان بهذه المظاهر يكون سمو إلهامه عاليا .

---

(١) جريدة الهدى النيويوركية عدد الثلاثاء ١٥ شباط ١٩٥٥ م .

وكلما ازدادت قوة الأثر فى نفس الفنان الموهوب استطاع هو أن يخلق كل جديد فى الحياة . وبمقدار تأثره يردد أثر هـذه المظاهر فى أنغام موسيقية أوصور رمزية ، أوفى شعر يعبر به عن الطبيعة الصامتة .

فالموسيقى تمثل حالة نفسية خاصة ، والتصوير يمثل مظاهر مادية الحياة والشعر يمثل تفكيرنا بإحساسنا وعواطفنا .

فيكون الشعر أشد وضوحا فى تمثيل الآثار الذهنية الإنسانية التى يصفها الفنانون ـ فى بحث ـ لاحتوائها على كل الفنون .

إن حضارتنا الشرقية لاتتقدم ولا ترتفع إلا إذا رفعنا مستوى النساء الأخلاقى بالعلم والمساواة .

وديوان ـ الأغنية الخالدة ـ للآنسة صفية أبو شادى ـ له ميزة خاصة فى عالم الأدب ، وله مكانة رفيعة بين كتاب العربية وقرائها ، ـ ينم عن نفس سامية تدرك مافى هذه الحياة من ضعف وقوة ، وما تصاب به الأرواح من ألم وسرور .

ولا ينقص من ميزة الديوان أن كانت مواضيعه كتبت فى أوقات مختلفة، فإن تناسقها يدل على تقارب مراميها ؛ والعواطف التى أثارتها كانت عواطف روحانية ـ إنسانية ـ عائلية ـ اجتماعية .

تصفحت الديوان فإذا أنا بين رياض غناء ، وخمائل شماء وورود وأنداء نمقتها يد عذراء .

يقال إن الغصون المبكرة قلما تحمل ثمرا وافياً ـ أما ديوان الأغنية الخالدة باكورة ماجادت به قريحة الآنسة صفية أبو شادى فإن كل غصن فيه مثقل بالأثمار . . وماأحلى وأطيب هذه الأثمار .

الغلو ـ يكون مصدره ماانطوت عليه جوانح المرء من الخيالات الغير المحدودة ـ وفى ديوان الأغنية الخالدة للآنسة صفية أبى شـادى لاتلمس فيه غلوا ، لأنها نظمته على أبواب شتى .

تطالع هذا الديوان فتجد مؤلفته جمعت فيه أغانى الطبيعة بكاملها - غنت بالزهور والرياحين وأنشدت مع البلابل، وناحت مع اليمام النازح، وزأرت مع أمواج البحر المتلاطمة، ومع صخب المياه المتكسرة فوق الصخور وربطت هذه الأناشيد بأوتار قلبها فكانت صادقة فى الوصف موزونة النغم معبرة عن اختلاجات الروح، لم تتجاوز الحد فى ماوصفت ولا بلغت الغلو فى مانطقت .

نظر الناس قديماً إلى ماتقوله الفئة المتعلمة من فقر وشقاء فى هذه الحياة فقالوا : إن ذكاء المرء محسوب عليه . وجاءنا المتنبي ببيت من الشعر يقول :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وجاء ابن خلدون وعالج هذا الموضوع كما عالجه المتنبي وزاد بقوله هؤلاء المتعلمون يكونون عادة من المتعيشين بالشعر أو من عمال الدولة، والدخل الذى يحصلون عليه لا يكون وافرا فتبقى حالة هؤلاء الكتاب والشعراء كما هى .

ودار الزمن دورته وتغيرت طريقة الكتاب والشعراء وتمكن هؤلاء من معرفة الحياة على مدى أوسع مما كانوا يتصورونه - بألوانها ولذائذها وآلامها - فبدا لهم أن الشعور بالخير نحو الإنسانية يرقى الفكر ويوسع الإدراك ليشمل مناحى الحياة .

وكان من نتيجة هذا التوسع وهذا الإحساس أن طباع الإنسان قد لانت وتيسر له إدراك مقدار نفسه فعرف مقدار سواه فلم يسخط ولم يتألم، والإنسان كلما ارتقى علميا اتسع عنـــده موضع الرضى من نفسه، ووأد كبريائه بيده .

لقد شبعنا من البكاء والعويل، وتلوعنا من الفراق والهجران،

وتألمنا من الفجيعة والخسارة وحان لنا أن نقلل من هذه المأساة الخيالية نوجه اهتمامنا إلى مايرضى حياتنا الصاخبة والمشمرة عن ساقيها فى ركب الحياة ، ونميل إلى السرور والحبور ، إلى انعاش النفس بما يسرها ويبهجها ، إلى التغنى بأوصاف الطبيعة ، إلى ماوصفه لنا العلم من مشاهد الحياة .

وإن خير أدب الأديب مايصدر عن نفسه ويترجم عن حسه بحيث يكون صورة صادقة له ، والشاعر والكاتب والفنان قد ينزع كل منهم نزعة مستحدثة طريفة ، فالعلم يردها إلى ما انطبعت عليه أخلاق هؤلاء .

فديوان ـ الأغنية الخالدة ـ حديقة لم يتمكن الخريف من تغيير معالمها ، أو شجرة تحمل زهرا عطرا وأثمارا شهية . بل هو الينبوع الصافى المغطى بالحشائش الخضراء تسرب بينها ماء زلال بارد .

إيليا أبو ماضى

١٨٨٩ — ١٩٥٧

— ١ —

فجأة مات الشاعر العربى إيليا أبو ماضى ، بعد أن ردد اسمه على كل لسان ، وغنى بشعره فى كل مكان ، إن إيليا أبا ماضى حى بقصائده الرفيعة، وأدبه الإنسانى ، وموسيقاه الرائعة ، وقصصه الجميل ، وتسلسل الحركة والصور فى شعره تسلسلا عجيبا ، إنه شاعر الصور ، والتجارب الباطنة العميقة ، والإيحاء الذاتى المؤثر .

مات إيليا فى الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٧ عن ثمانية وستين عاما ، إذ كان مولده عام ١٨٨٩ م . مات بعد أن حمل — كما يقول الأستاذ الكبير والشاعر المبدع محمد عبد الغنى حسن — « لواء الشعر العربى فى المهجر ، وكانت أنغامه عزاء المنكوبين ، وطمأنينة الحائرين ، وابتسامة فى وجه الزمان إذا عبس ، وأثبت كيان الفكر العربى فى العالم الجديد » .

وقد بلغ أبو ماضى غاية نضوجه الشعرى فى (الجداول) ، ولا سيما فى قصيدته (فلسفة الحياة) التى تعد من أشهر شعر أبى ماضى وأروعه [١] ، والنزعة الإنسانية سائدة فى شعره ، وتتردد فيه النزعة الواقعية أحيانا ، والنزعة التأملية ، وهو من شعراء الطبيعة ، وله العديد من المطولات الشعرية التى من بينها : الحكاية الأزلية ، والطلاسم .

— ٢ —

وفى الجداول نجد نزعة الحيرة والتفاؤل بالحياة جد ظاهرة ، وقصيدة

---

(١) ص ١١ إيليا رسول الشعر العربى الحديث للناعورى .

الطين تعد من أشهر قصائد أبى ماضى ، بل من أشهر القصائد فى الشعر العربى الحديث :

نسى الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيها وعربد

ويعقد الأديب الأردنى الكبير روكس العزيزى شبها بينها وبين قصيدة الرميثى التى كانت هى الأصل الذى احتذاه أبو ماضى وأخذ منه معانيه ، وهو ينظم قصيدته ، وقصائده : (المساء) ، (وزهرة أقحوان) ، (والعميان) ، (واليتيم) ، (والمجنون) : (والأشباح الثلاثة) من القصائد المشهورة ، ومن روائعه قصيدته (الطلاسم) :

جئت ، لا أعلم من أين ، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت أمامى طريقـــا فمشيت
وسأبقى سائرا إن شئت هذا أو أبيت
كيف جئت ، كيف أبصرت طريقى ، لست أدرى

والقصيدة لها شهرة ضخمة لاتعادلها شهرة ، وفى قصيدته (اليتيم) يقول أبو ماضى :

خبرونى ماذا رأيتم ؟ أأطفالا يتامى أم موكبا علويا
كزهور الربيع عرفا زكيا ونجوم الربيع نوراً سنيا
والفراشات وثبة وسكونا والعصافير بل ألذ نجيا
إننى كلما تأملت طفلا خلت أنى أرى ملاكا سويا
قل لمن يبصر الضباب كثيفا إن تحت الضباب فجرا نقيا
اليتيم الذى يلوح زريا ليس شيئا لو تعلمون زريا
ربما كان أودع الله فيه فيلسوفا أو شاعرا أو نبيا

— ٣ —

أما ديوان الخمـــائل فمن أشهر قصائده : (الشاعر والملك الجائر) ،

و (الفراشة المحتضرة) ، و (الأسطورة الأزلية) ، والديوان مملوء بروائع الفن القصصى الشعرى البديع ، مع الموسيقى العذبة ، والألحان الجميلة ، يقول أبو ماضى فى الخمائل من قصيدته (أنت والكأس) :

أنت والكأس فى يدى فلمن أنت فى غدى ؟
فاستشاطت لقولتى غضبا فى تمرد
وأشاحت بوجهها وادعت أننى ردى
كاذب فى صبابتى ماذق فى تواددى
قلت : عفوا فإنها سورة من معربد
وجرى الصلح والتقى ثغرها وثغرى الصدى
أذعن القلب طائعا بعد ذاك التمرد
فنعمنا هنيهة بالولاء المجدد
بين ماء مصفق وهزار مغرد
ثم عادت وساوسى فأنا فى تردد

إلى آخر هذه القصة الحائرة ، وفى قصيدته « أنا وابنى » يقول أبو ماضى :

قال ابنى وهو حيران بما يحكى ويقرا
كيف كان الله إنى قد وجدت الله سراً
أسمع الناس يقولون به خير وشرا
فأفدنى ، قلت : يا ابنى أنا مثل الناس طراً
لى فى الصحة آراء وفى العلة أخرى
كلما زحزحت سترا خلتنى أسدل ستراً
لست أدرى منك بالأمر ولا غيرى أدرى

— ٤ —

وإيليا [١] ابن « المحيدثة » تلك القرية الوادعة إحدى قرى لبنان الجميلة ، ولد فيها عام ١٨٨٩ م ، وفي عام ١٩٠١ وفد على مصر مهاجرا ، وأقام فيها إحدى عشرة سنة بين الإسكندرية والقاهرة ، يعمل في التجارة ، ويهوى الأدب ويحضر ندواته ومجالسه ، ويكتب في صحفه ومجلاته ، وينظم الشعر ، ويشارك الشعراء في تذوقه وفهمه ، متأثرا في موسيقاه الحلوة بمدرسة شعراء الإسكندرية . وفي عام ١٩١١ نشر ديوانه « تذكار الماضي » وفي عام ١٩١٢ هاجر إلى العالم الجديد مقيما في سنسناتي أو هايو ، وفي صيف عام ١٩٢٦ انتقل إلى نيويورك يعمل في الميدان الأدبي ، وأسهم في الرابطة القلمية التي أنشئت في نيويورك ، وتولى رياستها جبران ، وإن لم يكن من الذين حضروا أول اجتماعاتها في أبريل ١٩٢٠ ؛ وفي عام ١٩٢٩ أنشأ جريدة « السمير » بنيويورك ، وكانت من أوسع المجلات العربية ذيوعا في العالم الجديد .

وفي المهجر الأمريكي أخرج ديوانه « ديوان إيليا أبي ماضي » عام ١٩١٦ [٢] ، وطبع في نيويورك ويشمل شعره التأملي والوطني والقصصي ، ثم نشر عام ١٩٢٧ ديوانه « الجداول » الذي طبع في مطبعة مرآة الغرب في نيويورك ، وقدم الديوان للقراء ميخائيل نعيمة ، وفي عام ١٩٤٦ أخرج ديوانه « الخمائل » [٣] .. وطبع له بعد موته ديوانه « تبر وتراب »

---

(١) راجع ص ٩٧ وما بعدها « الشعر العربي في المهجر » للأستاذ محمد عبد الغني حسن.

(٢) يذكر الناعوري أنه صدر عام ١٩١٩ ، ص ١١ إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث طبع عمان : ويذكر محمد قرة علي أنه صدر عام ١٩١٧ (٩٢ شعر من المهجر) .

(٣) في كتاب الناعوري ص ١١ أنه خرج عام ١٩٤٠ ، وأعيد طبعه عام ١٩٤٩ .

وخطرات أبى ماضى الفلسفية ، وقوة الفكر وتركبه ، وعمق التجربة وحيويتها ، وحيرته بين التفاؤل والتشاؤم والانطوائية والانبساطية ، وموسيقاه العذبة الجميلة التى تجدها فى كثير من قصائده ، ومن بينها قصيدته « تعالى » التى يقول فيها :

تعالى نتعاطاها كلون التبر أو أسطع

وكذلك انطواء الرمزية فى موضوعه الشعرى أو تجربته مع الإبقاء على الصياغة المألوفة ، وصبغة الرمزية الفلسفية فى بعض قصائده ، من مثل « الطين » التى تتضمن محاورة بين غنى متكبر ، وفقير وديع ، ومثل « التينة الحمقاء » التى تؤامر نفسها على ألا تثمر كى لايطرقها طير ولا بشر ، واتجاهه إلى اتخاذ موضوع قصيدته من أتفه الموضوعات فى مثل قصيدته « الحجر الصغير » . . كل هذه من خصائص شاعرية أبى ماضى الذى يعد من فحول الشعراء الابتداعيين فى الشعر العربى الحديث .

ولقد كان فى مقدمة من تذوقوا عذوبة جداول أبى ماضى ، بجموعة ، الأديب التأملى الكبير ميخائيل نعيمه ، فقال فى بعض ماقدم لها :

« بين هذه الجداول ماتنساب روحى معه ، مترقرقة ، مترنمة مطمئنة ، جذلة بنور فى عينيها وجمال فى جانبيها ، مرحة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود . . . » .

وإلى الجداول التى قدم لها نعيمة نجد الخمائل وفيهما محور الكلام للباحث عن قيم الإنسان ، تتوثب إلى العين والفكر والقلب والنفس ، من رحاب لايتناولها قياس ، وفى شدو يفيض بالشعور الشامل ، جامعاً من سماوة الفلسفة ، فى هينمات الشعر ، بديهات طيبات الجنى ، دونها فى تسهيل الفلسفة وتقريب فوائدها ، كل تصنيف جامــع وكل مخاض عقلى موجع . . .

أنا بين جداول أبي ماضي ، أقرأ « فاتحتها » ففتح له جوانح ذاتي عند قوله :

« هذه أصداء روحي فلتكن روحك أذنا »

وبأذن روحي أصغي إليه وأرافقه ، في طواف خيالي ، للبحث عن « عنقائه » محساً ببداهة الشاعر المتكف على ذاته الشاعرة الباحث في آفاق روحه عن السعادة ، ضالة الإنسان ، في كل زمان ومكان ، فأسايره متحرياً جوانب الأرض وأطباق الفضاء . وبعد عبث البحث يعود ليشعرني بوجود عنقاء السعادة قائمة في دمعة الإنسان المتألم ألم الكبرياء النفسية ، المتطلع إلى حقيقة الإنسان ، ذلك التطلع الذي لاتتكشف له السعادة في غير مكامن الذات البشرية الخالدة ، فيلخص فلسفة وجودها بقوله :

« عصر الأسى روحي فسالت أدمعا فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمت حين العلم لايجدي الفتى أن التي ضيعتها كانت معي »

ولئن كان أبو ماضي يبدو دامعاً في نهاية هذه القصيدة دمعة الروح المجنحة التي قد يحسبها عليه الناظرون إلى سطحية الشعر نزولا إلى ساح من الضعف واللجوء إلى الدمعة ، فإنه في قصيدته « ابنة الفجر » يجسم البطولة في أروع معانيها ، موصياً حبيبة روحه أن تضبط نفسها عن مظاهر الضعف وتستعلي عن إسعاف الشكاية إذا ما ودعته ميتاً فيقول :

« لاتقولي واحسرتاه لئلا يدرك السامعون ما تضمرينه
وتقول العذال عنك بخيل هو خير من قولهم : مسكينة !! »

وحباً في الايجاز نلم بقصيدته « الطين » ففيها طبع فلسفي ، فيه من السذاجة بقدر ما فيه من السمو ، فيسمو بقارئها إلى آفاق الإنسان النابي عن دنيا التراب ، مؤنباً الإنسان المعتد بحطام الأرض بشعر إن فاتته أناقة التعبير فلا تعوزه روعة التصوير . فاسمعه يقول :

«نسى الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيها وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد
ياأخى ، لاتمل بوجهك عنى ماأنا فحمة ولا أنت فرقد»

وبعد أن يرسم خطوط الحياة الفضلى ، القائمة على ركائز خالدة صادقة، فى تعريض يصفع كبرياء المزهوين بالثروات الزائلة ينتهى بقوله :

أيها الطين لست أنقى وأسمى من تراب ندوس أو نتوسد
إن قصراً سمكته سوف يندك وثوبا حبكته سوف ينقد
لايكن للخصام قلبك مأوى إن قلبى للحب أصبح معبد
أنا أولى بالحب منك وأحرى من كساء يبلى ومال ينفد . .»

أما قصيدة «أنا» والأنانية عدوة الإنسانية ، ففيها نحو رفيع من سماحة الذات البشرية المجهزة بمناعة الروح نذكر منها :

«إنى إذا نزل البلاء بصاحبى دافعت عنه بناجذى وبمخلبى
وشددت ساعده الضعيف بساعدى وسترت منكبه العرى بمنكبى
وأرى مساوئه كأنى لاأرى وأرى محاسنه وإن لم تكتب
وألوم نفسى قبله إن أخطأت وإذا أساء إلى لم أتعتب»

ولعل خير ماجاء به أبو ماضى فى بداهته الفلسفية هذه الوحدة المتماسكة فأنت لاتستطيع أن تفاضل بين قصائده من نحو الانسياق المؤتلف ، فكلها تتساوق لتقدم لك خلاصات رائعة سامية النفس ، خلاصات الإنسان الذى نفض يده من تلمذته على الإنسان الترابى ليتتلمذ على إنسان الروح والطبيعة الأم الحنون المخضب تاريخه بالدم فيقول :

«نهانى عن قتـــل النفوس وعندما
رأى غرة منى تعـــلم بى القتلا

وذم إلى الرق ثم استرقنى   وصور ظلما فيه تمجيده عدلا
وكاد يرينى الإثم فى كل ما أرى
وكل نظام غـــير ماسن مختلا ... »

ولكنه يريدك أن تصفح عن هذه المساوىء ، التى تصدر عن الإنسان المسىء فهم إنسانيته ، فالدنيا حافلة بالبدائع وهاك فلسفته فى ذلك فى قوله :

« دع المساوىء فى الدنيا فما برحت فيها محاسن تنسينا مساويها
كم حاول الليل أن يطوى كواكبه فكان ينشرها من حيث يطويها »

وإذا أرادك أبو ماضى أن تدع المساوىء فى الدنيا وأن تقدرها بمحاسنها فلأنه يرى أن تدرك الله ، وأن تأنس إلى آياته فى هذه الأرض وما يحيط بها ، إدراكاً عقلياً ، فالعقل وحده يستطيع أن يفهمك ملاحة ماتقع عليه حواسك ، ومن تفهم ملاحة الخليقة هنئت روحه وارتاحت ظنونه وعاش مطمئناً ، وهاك قوله فى هذا المعنى :

« وصور وآيات تفيض بشاشة   حتى كأن الله فيها يبسم
فامش بعقلك فوقها متفهما   إن الملاحة ملك من يتفهم
أتزور روحك جنة فتفوتها   كيما تزورك بالظنون جهنم ؟! »

ولذلك فهو يكثر من إدخال هذا المعنى ، ، معنى الغبطة الناتجة عن مهمة العقل ، المعرض عن الشكاية والتشاؤم ، تلك الغبطة الخلاقة التى تهىء السعادة تهيئة عجيبة فيوصيك بها لتكون كافلة هناءتك إذ يقول :

« ايها الشاكى الليالى إنما الغبطة فكره
ربما استوطنت الكوخ ومافى الكوخ كسره
وخلت منها القصور العاليات المشمخره
تلمس الغصن المعرى فإذا فى الغصن نضره

وإذا رفت على القفر استوى ماء وخضره
وإذا مست حصاة صقلتها فهى دره
أيها الباكى رويدا لايسد الدمع ثغره
أيها العابس لن تعطى على التقطيب أجره
لاتكن مرا ولا تجعل حياة الغير مره
إن من يبكى له حول على الضحك وقدرة
فتهلل وترنم فالفتى العابس صخرة [1]

— ٥ —

وقد اشترك أبو ماضى فى نشاط الرابطة القلمية، التى أجمع مؤسسوها على:

١ — أن تدعى الجمعية « الرابطة القلمية ».

٢ — أن يكون لها ثلاثة موظفين وهم : الرئيس ويدعى العميد، فكاتم السر ويدعى المستشار، فأمين الصندوق ويدعى الخازن..

٣ — أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات : عاملين ويدعون عمالا، فناصرين ويدعون أنصارا، فمراسلين.

٤ — أن تهتم الرابطة بنشر مؤلفات عمالها ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين، وبترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية..

٥ — أن تعطى الرابطة جوائز مالية فى الشعر والنثر والترجمة تشجيعا للأدباء.. ويقول أبو ماضى :

لست منى إن حسبت الشعر ألفاظا ووزنا
خالفت دربك دربى وانقضى ماكان منا
فانطلق عنى لئلا تقتنى هما وحزنا

---

(١) نسيم نصر — مجلة الأديب البيروتية — من مقال له عن أبى ماضى.

واتخذ غـــيرى رفيقا وسوى دنيـــاى مغنى

— ٦ —

ولمـا توفى أبو ماضى أقيمت له حفلتا تأبين فى بيروت ودمشق وقد كانت حفلة بيروت فى قاعة الجامعة الأمريكية . . حيث غصت على رحبها بالمدعوين . . فكان أول المتكلمين جورج صيدح . . الذى رثى الفقيد بقصيدة عصماء . . كانت تحفة الشعر . . وكان من جملة ماقال :

من كان كل الناس . . فى أثوابه لأجل من أن يخلع الأثوابا
ذكراك فى لبنان ذكرى موجة جنحت إلى أخذ البحار غلابا
هى دمعة عربية لو لم تكن عربية لأضاءت الأنسابا

ثم تكلمت نازك الملائكة فوصفت حكمة أبو ماضى ، ثم تلاها الشيخ الجليل عبد الله العلايلى فحلق تحليقاً لايبارى وجال جولة فى آفاق المعنى الخالد ، ثم تلاه سامى الدهان . . فحلل شعر الفقيد ووصف خروجه عن التقاليد البالية والصيغ المسكوبة فى قوالب عتيقة أسماها شعر المومياء . . وأخيرا قال ميخائيل نعيمة كلمته فذكر بعض ذكرياته مع الشاعر الراحل .

وأما مهرجان دمشق فقد كان أول المتكلمين فيه أمجد الطرابلسى . . فقال إن هذا الشاعر العظيم كان يحمل بين جوانحه الإنسانية كلها بآمالها وآلامها . وتلاه سليم حيدر فقال يخاطبه :

أفى الدار للنازحين التقاء وفى النازحين إلى الدار باب

ثم السيدة وداد سكاكينى التى قصت حياة الرجل الفذ . . وحبه النقى الصافى للمرأة . . يسمو بها ويرتفع إلى مدارج الارتقاء والفضيلة . واعتبرت الحياة بدون هؤلاء الفنانين المبدعين صحراء من غير ماء .

وقد منح الرئيس شكرى القوتلى ، الشاعر المرحوم إيليا أبو ماضى

وسام الإخلاص من الدرجة الممتازة . . وكان قد نال وسام الاستحقاق السورى من الدرجة الأولى عندما زار سورية عام ١٩٤٧ ، كما نال نفس الوسام الأستاذ جورج صيدح عام ١٩٥١ م .

وأول ديوان شعر ظهر له هو « تذكار الماضى » الذى طبع فى الإسكندرية عام ١٩١١ م .

وبعد هجرته إلى أمريكا بخمس سنوات نشر الجزء الثانى من ديوانه بعنوان « ديوان إيليا أبو ماضى » وطبع فى نيويورك عام ١٩١٦ ، وفى عام ٩٢٧، نشر ديوانه « الجداول » الذى طبع فى مطبعة مرآة الغرب فى نيويورك، وقد كتب ميخائيل نعيمة مقدماته .

وفى عام ١٩٤٦ ظهر له ديوان « الخمائل » وبعد وفاته فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٧ عثر أبناؤه على ديوان اسمه « التبر والتراب » ..ووصف جبران خليل جبران أباماضى فقال : يصعد إلى الملأ الأعلى ولكن على سلم أبقى وأقدر من الجبال، يصعد بعزم الروح ويتمسك بحبال غير منظورة ، ولكنها أمتن من سلاسل الحديد يتمسك بحبال الفكر ، ويملأ كأسه من عصير أرق من ندى الفجر ، يملأها من خمرة الخيال ، والخيال هو الحادى الذى يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح » .

إن إيليا خالد فى روائعه .. وموسيقى أبى ماضى وطيوف القصة وملامحها فى شعره ، وشتى ألوان الجمال التى يصبغ بها شعره ، وروح البساطة والوضوح والصدق التى ترفرف على قصائده ، كلها من عناصر الخلود فى أدبه ، وقد لا يستطيع الشعر العربى أن يعوض الخسارة فيه بعد سنين طوال[1] .

---

(١) راجع ما كتبته عن إيليا أبى ماضى فى كتبى : الشعر والتجديد ودراسات فى الأدب والنقد . ورائد الشعر الحديث ، ومن رواد الأدب المعاصر .

وأخيرا وفى يوم الأحد ٢٤ من نوفمبر ١٩٥٧ — الثانى من جمادى الأولى عام ١٣٧٧ هـ نعى الشاعر إيليا أبو ماضى حيث توفى فى نيويورك ، فحزن العالم كله لوفاته، حزن لوفاة طفل قرية المحيدثة الغريب ، وصاحب دكان (السجاير) فى مصر الذى عشق الأدب والشعر ، وشاعر الطلاسم والطين ووطن النجوم وسواها من روائع القصيد ، والذى أسهم فى تطوير الشعر العربى : من حيث الموضوع والشكل ، حتى عد أحد رواد الحركة الشعرية الجديدة ، والذى عرض لكثير من المشكلات الإنسانية وناقشها فى ملحمة الطلاسم الخالدة ، كمشكلة القضاء والقدر وموقف الإنسان منها ، والذى دعا إلى الطمأنينة والثقة والتفاؤل بالحياة ، والإيمان بجمالها الموهوب ، فى مثل قوله :

أيهذا الشاكى وما بك داء كيف تغدو إذا غدوت عليلا
إن شر النفوس فى الأرض نفس تتوقى قبل الرحيل الرحيلا

هذا الشاعر الذى تألقت موهبته فى ديوانه « تذكار الماضى » الذى صدر فى مدينة الإسكندرية ، ثم فى « ديوان أبى ماضى » الذى ظهر فى نيويورك ، ثم فى الجداول والخمائل ، حتى صار أبرز شعراء المهجر الأمريكى ، وأسيرهم شعرا ، وأظهرهم فى بساطة الأسلوب ، وإنسانية الموضوع . . وجهود إيليا أبى ماضى - مع رشيد أيوب وجبران خليل جبران وعبد المسيح حداد وسواهم - فى إنشاء الرابطة القلمية سوف تبقى ذكرى لا تنسى على مرور الأيام :

رأى لأبى شادى فى الشاعر :

كتب أبو شادى فى مجلة المقتطف[1] بعد ظهور كتاب عيسى الناعورى « إيليا أبو ماضى رسول الشعر الحديث » يقول :

(١) عدد نوفمبر ١٩٥١

نحن إزاء تأليف دبجه شاعر وطني نابه قدمت له شاعرة نابهة أيضاً ، وقد تناول بالدرس شاعراً مشهوراً تناولا كله محبة وتكريم ، وهذه صورة جميلة يستهوينا بقاؤها كما هي لولا أن حب النقد الأدبي النزيه الذي دعينا إليه يطالبنا بشيء من التصحيح النزيه خدمة للأدب ذاته .

وأول مانلاحظه بعد تصفح هذا الكتاب أنه في مجمله يعطي صورة مخالفة لشاعرنا الموهوب عما يعرفه مخالطوه ، كما يختلف الرسم الذي على غلاف الكتاب عن هيئة الشاعر اختلافا كبيراً ، وكما يختلف شعره عن شخصيته اختلافا شاسعاً .

فالشاعر المطبوع إيليا أبو ماضي فيما نعلم ويعلم العديدون في أمريكا شاعر تأثر بأساطين (الرابطة القلمية) وعلى رسهم جبران ورشيد أيوب وميخائيل نعيمة ، كما تأثر بمطالعاته وبالوسط الأمريكي ، ومن ثمة كان شعره الذي يرضى عنه المؤلف في أغلبه شعراً أمريكيا بلغة الضاد ، ولذلك جاء مخالفاً لشعره الذي نظمه قبل وفوده إلى أمريكا . ولم يستبق من حياته في مصر إلا عنصرين : أولهما السهولة الفائقة التي تتسم بها ديباجته ، وهي التي اشتهرت عن شعراء مدرسة الإسكندرية وعلى رأسهم زميله الشاعر الكبير عثمان حلمي [1] ، وقد أرخ لهم واختار من أشعارهم الأستاذ علي محمد البحراوي سكرتير (جماعة الأدب المصري) في « ديوان الإسكندرية » ، وفي الإسكندرية أمضى شاعرنا المترجم له سنين عدة أثرت بيئتها في أسلوبه أيما تأثير . أما ثانيهما فصناعته الفنية ، وهذه أيضاً مصرية بحتة في رقتها وعذوبتها ، وقد تأثر بها حتى خليل مطران الشاعر الابتداعي الأول في العصر الحديث بلغة الضاد .

استهلت الشاعرة النابغة فدوى طوقان مقدمتها بقولها : « أدب المهجر أدب أصيل إنساني صادق لم تعرف عصور اللغة العربية مثله أصالة وإنسانية وصدقاً » ، وهذا في رأينا من آيات المبالغة التي لاتنهض على أساس . وقد

---

(١) راجع دراسة عنه في العدد الخامس - من مهرجان الشعر - طبع المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة .

تكون راجحة فى رأيها لو أنها ولو أن المؤلف اتبعا المنهاج المدرسى الصحيح كما يعمل السحرتى مثلا فى كتابه العمدة « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » أو كما فعل إسماعيل أدهم فى كتابه القيم « خليل مطران » فإنهما حينئذ ما كانا ليتحدثا عن الأصالة قدر حديثهما عن الحرية الفكرية فى العالم الجديد وتأثيرها فى فن الشعر ، ولكانا نوها تنويهاً خاصاً بأصالة شعراء أمريكا وبطاقتهم الفنية التى استمد منها شعراء المهجر إلهامهم ، بل كانت نبراساً لكثيرين منهم ، ونذكر على سبيل المثال فيما يخص أباماضى الشعراء إدجار ألن پو ، وروبرت جرين إنجرسل ، وأنطونى ونز ، فعن الأولين أخذ معانى ملحمته « الطلاسم » وما إليها ، وعن الأخير نقل قصيدة « نخب الفارس » بحذافيرها (راجع الكتاب المسمى كشكول تونى) ص ٦٥ ، وقد عنونها « حى » ؛ وهذه هى القصيدة التى جعلها الأستاذ الناعورى فى نهاية كتابه « مسك الختام » — فى حد تعبيره — قائلا : « إنه موقف لايستطيع أن يصوره بهذا الشكل الرائع المؤثر إلا شاعر كبير موهوب ، وكذلك هو الشاعر المهجرى إيليا أبو ماضى .

ونحن شخصياً لانقر هذا الاستيعاب على هذه الصورة ، وقد صنعه من قبل إبراهيم عبد القادر المازنى وآخذه عليه عبدالرحمن شكرى فى ذلك الحين ودرجات الاستيعاب عند أبى ماضى مختلفة ، وكذلك كان الشاعر المصرى على محمود طه الذى يتميز على أبى ماضى بمتانة الديباجة وجزالة الألفاظ ، وإن كنا شخصياً نؤثر سلاسة أبى ماضى التى نعدها من السهل الممتنع .

وكما أخطأ المؤلف فى قوله (ص ٧٤) إن الأميركيين يسومون الزنوج العذاب ألواناً ، أخطأ أيضاً بتوهمه أن أباماضى أصيل فى شعره الذى نظمه عنهم ، والحقيقة أنه من أقل شعراء المهجر أصالة ، فهو دون جبران ونعيمه وأيوب وعريضة والشاعر القروى مثلا فى الطاقة الشعرية الأصيلة وإن كان فى رأينا أعذب من معظمهم لفظاً وأسلس بياناً ؛ بحيث لايجد القارىء أى إجهاد فى تتبعه بل تشمله النشوة والحبور من حلاوة موسيقاه ولكن ليس

هذا بالعذر لتجيده على حساب الملهمين الرائدين اعتماداً على جمال صناعته وعرضه .

إن إيليا أبا ماضى لايعيش إلا فى جوانب قليلة من شعره أهمها محبة الحياة والتمتع بها ، ونعتقد أن شعره فى هذا الباب ذو فائدة عظيمة .

وأما فكرة الشاعرة فدى طوقان أنه يدعو إلى المشاركة ويطبقها عملياً فغير صحيحة ، وكذلك النعوت الأخرى التى ذكرتها وذكرها المؤلف ، فإنها بعيدة كل البعد عن حقيقة الشاعر ، وليس فى ذلك مطعن فيه ، وإنما هو وضع للأمور فى نصابها فحسب ، كما صنعنا نحن فى حديث سابق عنه فأعطينا فيه مواهبه حقها من التقدير الصحيح المستقل . وإذا كانت مثل هذه الأوصاف التى جاءت فى هذا الكتاب تخلع على شاعر معاصر مايزال حياً يرزق فى حين أنها أو معظمها نقيض مايعرف عنه ، فكيف يلام مؤلف يتحدث عن المتنبى مثلا أحاديث تاريخية وتحليلية لاتماشى الحقيقة وبيننا وبين أبى الطيب عشرة قرون فاصلة ! ؟

لقد فات المؤلف أن يلاحظ فيما تجب ملاحظته نشوة النظم لدى شاعرنا ، وأن جانباً غير قليل من نظمه (الذى لايمثل أية رسالة له يحيا لها ويحيا فيها) هو من قبيل الرياضة الذهنية الفنية فحسب ، كما كان شأن شوقى .

ثم إنه آخذ الشاعر على مانعته بشعر المناسبات ، وهذه مؤاخذة نعدها فى غير محلها ، فجميع الشعر وليد مناسبات وحالات نفسية ، حتى ولو كان منظوماً فى موضوعات مجردة ، ومفاخر الشعر العربى الخالدة هى وليدة مناسبات ، بل إن رسالة الغفران ذاتها وليدة مناسبة ، وإنما العبرة كل العبرة بالتناول الفنى وبالطاقة الشعرية الأصيلة فحسب، وهذا أحسن شعر للمؤلف ذاته وليد مناسبات وطنية ألهبت فؤاده وأثارت مشاعره الحرة .

ومن طريف ماذكره المؤلف أن أسئلة شاعرنا فى مطولته « الطلاسم »

هى جميعاً من قبيل تجاهل العارف . ولا نعرف نحن إلا أنها صدى لأسئلة الملايين من قبل ، ولأسئلة العديدين من الشعراء على رأسهم عمر الخيام وحافظ الشيرازى والمعرى والزهاوى فى الشرق ، وكلهم من المتشككين ، ولا ريب أن بعده عن التعمق حببه إلى الجماهير[1] ، وعزز شهرته امتهانه الصحافة والسياسة كما صنع العقاد والمازنى وطه حسين وهيكل وأضرابهم من قبل .

والخلاصة أن هذا كتاب لطيف يقوم على الإعجاب الذى منشؤه التجارب مع حلاوة الشاعر الموسيقية ، ولا دعامة له من البحث المقارن ولا من التدقيق الذى يلجأ إليه كل مؤرخ سواء للمتقدمين أو للمعاصرين ، وبغير هذا التدقيق لا مفر من الزلل والشطط ، مهما يكن نبل الغاية لدى المؤلف ، ولكننا مع ذلك نرحب بتأليفه كما نرحب بإخلاصه النبيل ، وهذه هى روح الأديب المحسن .

رأى لروكس العزيزى :

لما نشر الأديب الكبير عيسى الناعورى الطبعة الثانية من كتابه «إيليا أبو ماضى رسول الشعر الحديث» كتب إليه الأستاذ الكبير روكس العزيزى يقول :

عزيزى عيسى ! لقد كنت أود أن أبقى لك ما أردت أنت أن تسجله على نفسك فى هذا الكتاب لو أن تهجمك اقتصر على ، ولو أن قلبك للحقائق لم يتناول المرحوم أبا شادى والأستاذ عبد المسيح حداد ! أما شتائمك الخاصة بى فأتغاضى عنها لأنك موتور ، ومن ضاق صدره اتسع لسانه . ولعلمى أن أى سوقى يستطيع أن يقذف حتى الأنبياء صلوات الله عليهم ،

---

(١) «الشعر والشعراء» لخليل ضاهر (ص ١٠٠ — ١٨٣) .

ويجدف على الله عز شأنه . وخلاصة ماأريد أن أوضحه للنقاد أن كتابك يتلخص فيما يلى :

١ — أن نقدى لأبى ماضى لم يقصد به أبو ماضى بل أنت .

٢ — أنى كنت معجبا بأبى ماضى ، ولم أنقلب عليه إلا بعد صلتى بأبى شادى .

٣ — أن الرميثى لاوجود له ، وأن قصيدته لاأصل لها .

٤ — أنى أثبت قصيدة الطين فى كتابى المنهل فى تاريخ الأدب العربى ج ٢ وأنى كتبت على أبى ماضى فى هذا الجزء بحثا قوامه ثلاث صفحات ونسبت قصيدة الطين لأبى ماضى .

٥ — وأنى لم أنشر مقالى « الشيوعية فى أدب أبى ماضى » إلا بعد صدور كتابك الأول الذى بايعت فيه أبا ماضى برسالة الشعر الحديث : وأن غرضى من المقال تدميرك أو تدمير مركزك عند رجال الدين الكاثوليكى .

ثم نعت عن أبى ماضى كل أشعاره المأخوذة من الناس وكل سرقة أدبية مع أنك تعرف قول الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
فالناس للناس والعيرة بين الناس !

على أى حال فأنا لاأناقشك فى إيمانك بالرجل فكل شىء يحتمل المناقشة إلا الإيمان. أنا لاأناقشك فى الخلط الغريب العجيب الذى خلطته بين الإنسانية وعدم المبالاة، ولا أريد أن أقول لك أن قصيدة (اليتيم) لأبى ماضى تذوب خجلا واستحياء من نفسها إذا وزنت بـ (أم اليتيم) للرصافى . وأن قصيدة

(الفقير) تتمنى لنفسها الوأد إذا وزنت بـ (الريال المزيف) للأخطل الصغير. ولا أريد أن أقول إنه تولاك البهر . وعجزت عن أن تبرهن على إنسانية أبى ماضى من شعره . ولولا خوفى من أن أفجعك فى نفسك لقلت لك إنك برهنت على نقض ذلك تماما . فليتك أبقيت المسكين مستريحا فى قبره ، ولم تزعج جثمانه ، أجل ليتك أبقيت المسكين الذى فر من دنياه ينعم بالوحدة ويرقد بسلام ، ولم تنبش له قبره بقلمك ! . . مسكين أبو ماضى إنه منك فى بلاء حيا وميتا ! . .

عفواً عيسى ! لقد جعلت الانهزامية إنسانية ، وجعلت عدم المبالاة إنسانية ، وأردت أن تبرهن على حبه للطبيعة بقصيدته « تعالى » وهى قصيدة لايقولها إلا مراهق تفترس أعصابه الإلحاحات الجنسية ، وهى أولا وأخيرا مستوحاة من قول عمر بن أبى ربيعة :

ليت هندا أنجزتنا ماتعد وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة ، إنما العاجز من لايستبد ! . .

أما الحياة الأزلية فمستوحاة من قصة « جبل الشقاء ! » .

ثم أظهرت المسكين أنانيا حسودا لايريد لغيره الخير ، لابل إن غبطة الناس هى سبب شقائه فى الحياة :

لو لم يكن غيرى فى غبطة ماشعرت روحى بالبؤس!

فأين هذا الحقد الدفين والحسد المتمدن الناقم من سماحة النفس الفطرية عند ابن البادية القائل :

يارب زيد المسعدين سعادة وخفف عن المهمومين هموم !

فالفطرة السمحة تطلب للناس السعادة فوق ماهم فيه من سعادة ، وتسأل

الله أن يخفف هموم النفوس المعذبة المهمومة ! أرأيت أنك حتى فى هذا حطمت المسكين قبل أن تبلى أكفانه .

أما ما يتعلق بإعجابى بأبى ماضى - يرحمه الله - فإنى كنت وما زلت معجبا ببعض قصائده ، ولم تكن الطين فى يوم من الأيام واحدة منها !

فقد أثبتت له فى الزنابق ج - ٧ قصيدة ابتسم ، وجعلت أحد طلابى يرويها فى حفلة الخريجين من كلية تراسانته فى عمان ، مع أن القصيدة « ابتسم » مسروق أغلب معانيها ، وأثبت « كن بلسما » فى الزنابق ج - ٦ ؛ فعلت ذلك كله ، وما زلت أقيم لهذه القصائد وزنها ، وإن كنت غير راض عن قوله :

فلعل غيرك إن رآك مرنما طرح الكآبة جانبا وترنما

وأوثر عليه قول النادبة الأمية الفطرية :

لاتضحكى عند الحزينة لاتمر مريها يا فطينة
قولى لها الصبر زين
ياويل من قهرت حبها تشمت ولا تحفظ يديها
الله يخون الخاينـــين ! . .

فالنادبة توحى باحترام حزن الحزانى وتنهى عن الابتسام والضحك عند من يحزنون ، لأن ذلك عندها « قهر حب » أى تنكيل عاطفى !

أما انى انقلبت على أبى ماضى على أثر اتصالى بأبى شادى ، فكيف يكون هذا وأنت نفسك تقرر أنى نقدته قبل أن أتصل بأبى شادى فكيف تنسى نفسك بين سطر وسطر ، أقول هذا لأنك تعد النقد انقلابا . حقا إن هذا لمن أعجب العجب ، فأنا ناقد معروف وأنت تشهد لى ببراعة النقد ، وقد عرفت مقالاتى فى النقد وفى تحليل أدب من هم أعظم من أبى ماضى

قبل أن أتصل بصديقى المرحوم أبى شادى . فإذا كنت تعد النقد والدراسة انقلابا فمنطقك غريب حقا ! . . .

أما الرميثى الذى أنكرت وجوده فورطت أبا ماضى أشنع ورطة لاعتماده عليك ، فقد ثبت وجوده ، ووجود ديوانه ، ولو أنك كنت إنسانا يحترم الحقيقة ، لما سعيت لدى الأخ الذى اتفق معى على نشر كل مايتعلق بقضية الرميثى ، ووقع العقد معى ، لما سعيت لوأد الكتاب يوم خشيت من النور ، فعبثت بهمتك الأيدى الطيبة النظيفة بأصول الكتاب بسعيك المشكور . فأنقذت أنا مااستطعت إنقاذه من الكتاب ، ونشرته مبتورا كما أردت أنت . ولم أزد على أن ابتسمت .

مراجع عن أبى ماضى :

١ — إيليا أبو ماضى والحركة الأدبية فى المهجر — بغداد ١٩٤٥ — بقلم روفائيل بطى .

٢ — رأيت وسمعت — محمد قره على — بيروت ١٩٥١ م .

٣ — إيليا أبو ماضى شاعر المهجر الأكبر — لزهير ميرزا — دمشق ١٩٥٤ .

٤ — إيليا أبو ماضى رسول الشعر العربى الحديث — عيسى الناعورى — عمان .

٥ — أدب المهجر عيسى الناعورى — مصر ١٩٥٩ م .

٦ — إيليا أبو ماضى — عبد اللطيف شرارة — بيروت ١٩٦١ م .

٧ — حديث الأربعاء الجزء الثالث — طه حسين .

٨ — الشعر والشعراء خليل ضاهر — نيويورك ١٩٣١ م .

٩ — الشعر العصرى ـ فؤاد افرام البستانى ـ مجلة المشرق جـ ٢٥ (١٩٢٧)

١٠ — الشعر والشعراء ـ للمؤلف السابق ـ مجلة الشرق ٣١ (١٩٣٣).

١١ — لبنان الشاعر ـ صلاح لبكى ـ بيروت ١٩٥٤.

١٢ — الشعر العربى فى المهاجر الأمريكية ـ وديع ديب ـ بيروت ١٩٥٥.

١٣ — شعراء الرابطة القلمية ـ نادرة جميل سراج ـ مصر ١٩٥٧ م.

١٤ — أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية — صيدح — بيروت ١٩٥٧ م.

١٥ — الشعر العربى فى المهجر — بيروت ١٩٥٧ — لإحسان عيسى ونجم.

١٦ — مجلة المقتطف ١٩٢٧.

١٧ — مجلة الهلال ١٩٢٧ م.

١٨ — الشعر العربى فى المهجرى ـ محمد عبد الغنى حسن.

١٩ — أدبنا وأدباؤنا ـ لصيدح.

صور من شعر إيليا أبي ماضي :

تعــالى (١)

تعالى نتعاطاها كلون التبر أو أسطع
ونسقي النرجس الواشي بقايا الراح في الكأس
فلا يعرف من نحن ولا يبصر ما نصنع
ولا ينقل عند الصبح نجوانا إلى الناس

تعالى نسرق اللذات ما ساعفنا الدهر
وما دمنا وما دامت لنا في العيش آمال
فإن مر بنا الفجر وما أويقظنا الفجر
فما يوقظنا علم ولا يوقظنا مال

تعالى نطلق الروحين من سجن التقاليد
فهذي زهرة الوادي تذيع العطر في الوادي
وهذا الطير تياه فخور بالأغاريد ؟
فمن ذا عنف الزهرة أو من وبخ الشادي

أراد الله أن نعشق لمّا أوجد الحسنا
وألقى الحب في قلبك إذ القاه في قلبي
مشيئته .. وما كانت مشيئته بلا معنى
فإن أحببت ما ذنبك أو أحببت ماذنبي ؟

دعي اللاحي وما صنف والقالي وبهتانه
أللجدول أن يجري وللزهرة أن تعبق
وللأطيار أن تشتاق أياراً وألوانه ،
وماللقلب وهو القلب إن يهوى وإن يعشق ؟

(١) الجداول ، ص ١٧ - ١٩ .

تعالى إن رب الحب يدعونا إلى الغاب
لكى يمزجنا كالماء والخمرة فى كاس
ويغدو النور جلبابك فى الغاب وجلبابى
فكم نصغى إلى الناس ونعصى خالق الناس

يريد الحب أن نضحك فلنضحك مع الفجر
وأن نركض فلنركض مع الجدول والنهر
وأن نهتف فلنهتف مع البلبل والقمرى
فمن يعلم بعد اليوم مايحدث أو يجرى ؟

الدمعة الخرساء (١)

سمعت عويل النائحات عشية ... فى الحى يبتعث الأسى ويثير
يبكين فى جنح الظلام صبية ... إن البكاء على الشباب مرير
فتجهمت وتلفتت مرتاعة ... كالظبى أيقن أنه مأسور
وتحيرت فى مقلتيها دمعة ... خرساء لاتهمى وليس تغور
فكأنها بطل تكنفه العدى ... بسيوفهم وحسامه مكسور
وجمت فأمسى كل شىء واجماً ... النور والاظلال والديجور
الكون أجمع ذاهل لذهولها ... حتى كأن الأرض ليس تدور
لا شىء مما حولنا وأمامنا ... حسن لديها والجمال كثير
سكت الغدير كأنما التحف الثرى ... وسها النسيم كأنه مذعور
وكأنما الفلك المنور بلقع ... والأنجم الزهراء فيه قبور
كانت تمازحنى وتضحك فانتهى ... دور المزاح فضحكها تفكير
قالت وقد سلخ ابتسامتها الأسى ... صدق الذى قال الحياة غرور

---

(١) الجداول ص ١١٣ ، والخمائل ص ١٣ - ١٦ .

أكذا نموت وتنقضى أحلامنا في لحظة وإلى التراب نصير
خير إذن منا الألى لم يولدوا ومن الأنام جلامد وصخور
ومن العيون مكاحل ومراود ومن الشفاه مساحق وذرور
ومن القلوب الخافقات صبابة قصب ! لوقع الريح فيه صفير
وتوقفت فشعرت بعد حديثها إن الوجود مشوش مبتور
الصيف ينفث حره من حولنا وأنا أحس كأننى مقرور
صارت إلى قلبي الشكوك فنغصت ليلى ! وليس مع الشكوك سرور
وخشيت أن يغدو مع الريب الهوى كالرسم لا عطر وفيه زهور
وكدمية المثال حسن رائع ملأ العيون وليس ثم شعور
فأجبتها لتكن لديدان الثرى أجسامنا ! إن الجسوم قشور
لا تجزعى فالموت ليس يضيرنا فلنا إياب بعده ونشور
إنا سنبقى بعد أن يمضى الورى ويزول هذا العالم المنظور
فالحب نور خالد متجرد لا ينطوى إلا ليسطع نور
وبنو الهوى أحلامهم ووراؤهم لا أعين ومراشف ونحور
فإذا طوتنا الأرض عن أزهارها وخلا الدجى منا وفيه بدور
فسترجعين خميلة معطارة أنا فى ذراها بلبل مسحور
يشدو لها ويطير فى جنباتها فتهش إذ يشدو وحين يطير
أو جدولا مترقرقا مترنما أنا فيه موج ضاحك وخرير
أو ترجعين فراشة خطارة أنا فى جناحيها الضحى الموشور
أو نسمة أنا همسها وحفيفها أبداً تطوف فى الربى وتدور
تغشى الخمائل فى الصباح بليلة وتؤوب حين تؤوب وهى عبير
أو تلتقى عند الكثيب على رضى وقناعة صفصافة وغدير
تمتد فيه وفى ثراه عروقها ويسيل تحت فروعها ويسير
ويغوص فيه خيوطها فيلفه ويشف فهو المنطوى المنشور

يأوى إذا اشتد الهجير إليهما　　الناسكان الظبي والعصفور
لهما سكينتها ووارف ظلها　　والماء إن عطشا لديه وفير
أعجوبتان زبرجد متهدل　　نام ! تدفق تحته البلور
لا الصبح بينهما يحول ولا الدجى　　فكلاهما بكليهما مغمور
تتعاقب الأيام وهى نضيرة　　مخضرة الأوراق وهو نمير
فالدهر أجمعه لديها غبطة　　والدهر أجمعه لديه حبور
فتبسمت وبدا الرضا فى وجهها　　إذ راقها التمثيل والتصوير
عالجتها بالوهم فهى قريرة　　ولكم أفاد الموجع التخدير
ثم افترقنا ضاحكين إلى غد　　والشهب تهمس فوقنا وتشير
هى كالمسافر آب بعد مشقة　　وأنا كأنى قائد منصور
لكننى لما أويت لمضجعى　　خشن الفراش على وهو وثير
وإذا سراجى قد وهت وتلجلجت　　أنفاسه فكأنه المصدور
وأجلت طرفى فى الكتاب فلاح لى　　كالرسم مطموساً وفيه سطور
وشربت بنت الكرم أحسب راحتى
فيها　　فطاش الظن والتقدير
فكأننى فلك وهت أمراسها　　والبحر يطغى حولها ويثور
سلب الفؤاد رواه والجفن الكرى　　هم عرا فكلاهما موتور
حامت على روحى الشكوك كأنها　　وكأنهن فريسة وصقور
ولقد لجأت إلى الرجاء فعقنى　　أما الرجاء فخائب مدحور
ياليل أين النور ؟ إنى تائه　　مر ينبثق أم ليس عندك نور
أكذا نموت وتنقضى أحلامنا　　فى لحظة وإلى التراب نسير

كم تشتكي ؟؟ (١)

كم تشتكى وتقول إنك معدم ... والأرض ملكك والسما والأنجم
ولك الحقول وزهرها وأريجها ... ونسيمها والبلبل المترنم
والماء حولك فضة رقراقة ... والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبنى فى السفوح وفى الذرى ... دوراً مزخرفة وحيناً يهدم
فكأنه الفنان يعرض عابثاً ... آياته قدام من يتعلم
وكأنه لصفائه وسنائه ... بحر تعوم به الطيور الحوم
هشت لك الدنيا فمالك واجماً ... وتبسمت فعلام لا تتبسم
إن كنت حسراناً لعز قد مضى ... هيهات يرجعه إليك تندم
أو كنت تشفق من حلول مصيبة ... هيهات ينفع أن يحل تجهم
أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل ... شاخ الزمان فانه لا يهرم
انظر فما زالت تطل من الثرى ... صور تكاد لحسنها تتكلم
ما بين أشجار كأن غصونها ... أيد تصفق تارة وتسلم
وعيون ماء دافقات فى الثرى ... تشفى السقيم كأنما هى زمزم
ومسارح فتن النسيم بحسنها ... فسرى يدندن تارة ويهمهم
فكأنه صب بباب حبيبه ... متوسل مستعطف مسترحم
والجدول الجذلان يضحك لاهيا ... والنرجس الولهان مغف يحلم
وعلى الصعيد ملاءة من سندس ... وعلى الهضاب لكل حسن مبسم
فهنا مكان بالأريج معطر ... وهناك طود بالشعاع معمم
صور وآيات تفيض بشاشة ... حتى كأن الله فيها يبسم
فامش بعقلك فوقها متفهما ... إن الملاحة ملك من يتفهم

---

(١) الجداول ص ١١٩

أتزور روحك جنة فتفوتها كيما تزورك بالظنون جهنم
وترى الحقيقة هيكلا متجسدا فتعافها لوساوس تتوهم
يامن تحن إلى غد فى يومه قد بعت ماتدرى بما لاتعلم

فلسطين (١)

ديار السلام ، وأرض الهنا يشق على الكل أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلى وماكان رزء العلى هينا
سهرنا له فكأن السيوف تحز بأكبادنا ههنا
وكيف يزور الكرى أعينا ترى حولها الردى أعينا
وكيف تطيب الحياة لقوم تسد عليهم دروب المنى
بلادهم عرضة للضياع وأمتهم عرضة للفنا
يريد اليهود بأن يصلبوها وتأبى فلسطين أن تذعنا
وتأبى المروءة فى أهلها وتأبى السيوف ، وتأبى القنا
أأرض الخيال وآياته وذات الجلال ، وذات السنا
تصير لغوغائهم مسرحاً وتغدو لشذاذهم مكمنا
بنفسى « أردنها » السلسبيل ومن جاوروا ذلك الأردنا
لقد دافعوا أمس دون الحمى فكانت حروبهم حربنا
وجاءوا بكل الذى عندهم ونحن سنبذل ما عندنا
فقل لليهود وأشياعهم لقد خدعتكم بروق المنى
ألا ليت « بلفور » أعطاكم بلاداً له لا بلاداً لنا
« فلندن » أرحب من قدسنا وأنتم أحب إلى « لندنا »
ومنَّاكمُ وطناً فى النجوم فلا عربى بتلك الدنى

---

(١) الخمائل ص ٩٤ .

أيسلب قومكم رشدهم ... ويدعوه قومكم محسنا ؟
ويدفع للموت بالأبرياء ... ويحسبه معشر دينا ؟
ويا عجباً لكم توغرون ... على العرب « التامز والهدسنا »
وترمونهم بقبيح الكلام ... وكانوا أحق بضافى الثنا
وكل خطيئاتهم أنهم ... يقولون : لا تسرقوا بيتنا
فليست فلسطين أرضاً مشاعاً ... فتعطى لمن شاء أن يسكنا
فان تطلبوها بسمر القنا ... نردكم بطوال القنا
ففى العربى صفات الأنام ... سوى أن يخاف وأن يجبنا
وإن تحجلوا بيننا بالخداع ... فلن تخدعوا رجلا مؤمنا
وإن تهجروها فذلك أولى ... فان « فلسطين » ملك لنا
وكانت لأجدادنا قبلنا ... وتبقى لأحفادنا بعدنا
وإن لكم بسراها غنى ... وليس لنا بسواها غنى
فلا تحسبوها لكم موطناً ... فلم تك يوماً لكم موطنا
وليس الذى نبتغيه محالا ... وليس الذى رمتم ممكنا
نصحناكم فارعووا وانبذوا ... « بليفور » ذيالك الأرعنا
وإما أبيتم فأوصيكم ... بأن تحملوا معكم الأكفنا
فإنا سنجعل من أرضها ... لنا وطناً ولكم مدفنا !

العنقاء (١)

أنا لست بالحسناء أول مولع ... هي مطمع الدنيا كما هي مطمعى
فاقصص على إذا عرفت حديثها ... واسكن إذا حدثت عنها واخشع
ألمحتها فى صورة ؟ أشهدتها ... فى حالة ؟ أرأيتها فى موضع ؟
إنى لذو نفس تهيم وإنها ... لجميلة فوق الجمال الأبدع
ويزيد فى شوقى إليها أنها ... كالصوت لم يسفر ولم يتقنع
فتشت جيب الفجر عنها والدجى ... ومددت حتى للكواكب إصبعى
فاذا هما متحيران كلاهما ... فى عاشق متحير متضعضع
وإذا النجوم لعلمها أو جهلها ... مترجرجات فى الفضاء الأوسع
رقصت أشعتها على سطح الدجى ... وعلى رجاء فى غير مشعشع
والبحر .. كم ساءلته فتضاحكت ... أمواجه من صوتى المتقطع
فرجعت مرتعش الخواطر والمنى ... كحمامة محمولة فى زعزع
وكأن أشباح الدهور تألبت ... فى الشط تضحك كلها من مرجعى
ولكم دخلت إلى القصور مفتشاً ... عنها، وعجت بدارسات الأربع
أن لاح طيف قلت: ياعين انظرى ... أورن صوت قلت: ياأذن اسمعى
فاذا الذى فى القصر مثلى حائر ... وإذا الذى فى القفر مثلى لا يعى
قالوا: تورع إنها محجوبة ... إلا عن المتزهد المتورع
فوأدت أفراحى وطلقت المنى ... ونسخت آيات الهوى من أضلعى
وحطمت اقداحى ولما ارتوى ... وعففت عن زادى ولما أشبع
وحسبتنى أدنو إليها مسرعاً ... فوجدت أنى قد دنوت لمصرعى
ما كان أجهل نصحى وأضلنى ... لما أطعتهم ولم أتمنع

---

(١) ديوان الجداول ص ٥ – ٨

إنى صرفت عن الطاعة والهوى ... قلبى ، ولا ظفر لمن لم يطمع
فكأننى البستان جرد نفسه ... من زهره المتنوع المتضوع
ليحس نور الشمس فى ذراته ... ويقابل النسمات غير مقنع
فمشى عليه من الخريف سرداق ... كالليل خيم فى المكان البلقع
وكاننى العصفور عرى جسمه ... من ريشه المتناسق المتلمع
ليخف محمله ، فخر إلى الثرى ... وسطا عليه النمل غير مروع
وهجعت أحسب أنها بنت الرؤى ... فصحوت أسخر بالنيام الهجع
ليست حبوراً كلها دنيا الكرى ... كم مؤلم فيها بجانب مفزع
تخفى أمانى الفتى كهمومه ... عنه ، وتحجب ذاته فى برقع
ولربما التبست حوادث يومه ... بالغابر الماضى وبالمتوقع
ياحبذا شطط الخيال وإنما ... تمحى مشاهده كأن لم تطبع
إما حلمت بها حلمت بزهرة ... لاتجتنى ، وبنجمة لم تطلع
ثم انتبهت فلم أجد فى مخدعى ... إلا ضلالى والفراش ومخدعى
من كان يشرب من جداول وهمه ... قطع الحياة بغلة لم تنقع
ذهب الربيع فلم تكن فى الجدول الشادى ، ولا الروض الأغن الممرع
وأتى الشتاء فلم تكن فى غيمه ... الباكى ، ولا فى رعده المتفجع
ولمحت وامضة البروق تخلتها ... فيها فلم تك فى البروق اللمع
صفرت يدى منها وبى طيش الفتى ... وأضلنى عنها ذكاء الألمعى
حتى إذا نشر القنوط ضبابه ... فوقى فغيبنى وغيب موضعى
وتقطعت أمراس آمالى بها ... وهى التى من قبل لم تتقطع
عصر الأسى روحى فسالت أدمعاً ... فلمحتها ولمستها فى أدمعى
وعلمت حين العلم لايجدى الفتى ... أن التى ضيعتها كانت معى

بردى ياسحب (١)

رضيت نفسى بقسمتها فليراود غيرى الشهبا
كل نجم لا اهتداء به لا أبالى لاح أو غربا
كل نهر لا ارتواء به لا أبالى سال أو نضبا
ما غد يامن يصوره لى شيئاً رائعاً عجبا
ما له عين ولا أثر هو كالأمس الذى ذهبا
اسقنى الصهباء إن حضرت ثم صف لى الكأس والحببا
ليس يروينى مقالك لى أنها العقيان منسكبا
إن صدقاً لا أحس به هو شىء يشبه الكذبا
لاينجى الشاة من سغب أن فى أرض السهى عشبا
ما على من لايطيق يرى نور الوادى أو اكتئبا
ما يفيد الطير فى قفص ضاق هذا الجو أو رحبا
بردى ياسحب من ظمأى واهطلى من بعد ذا ذهبا
أو فكونى غير راحمة حمماً حمراء لا سحبا
ولأكن وحدى لها هدفاً ولتكن نفسى لها حطبا
أنا من قوم إذا حزنوا وجدوا فى حزنهم طربا
وإذا ما غاية صعبت هونوا بالترك ما صعبا

---

(١) الجداول ص ٥١

المساء[1]

السحب تركض فى الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنما عيناك باهتتان فى الأفق البعيد
سلمى ... بماذا تفكرين ؟
سلمى ... بماذا تحلمين ؟

أرأيت أحلام الطفولة تختفى خلف التخوم ؟
أم أبصرت عيناك أشباح الكهولة فى الغيوم ؟
أم خفت أن يأتى الدجى الجانى ولا تأتى النجوم ؟
أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنما
أظلالها فى ناظريك
تنم يا سلمى عليك

إنى أراك كسائح فى القفر ضل عن الطريق
يرجو صديقاً فى الفلاة ، وأين فى القفر الصديق
يهوى البروق وضوءها ويخاف تخدعه البروق
بل أنت أعظم حيرة من فارس تحت القتام
لا يستطيع الانتصار
ولا يطيق الانكسار

---

(١) الجداول ص ٣٣

هذى الهواجس لم تكن مرسومة فى مقلتيك
فلقد رأيتك فى الضحى ورأيته فى وجنتيك
لكن وجدتك فى المساء وضعت رأسك فى يديك
وجلست فى عينيك ألغاز وفى النفس اكتئاب
مثل اكتئاب العاشقين
سلمى ... بماذا تفكرين ؟

بالأرض كيف هوت عروش النور عن هضباتها !
أم بالمروج الخضر ساد الصمت فى جنباتها ؟
أم بالعصافير التى تعدو إلى وكناتها ؟
أم بالمسا ؟ إن المسا يخفى المدائن كالقرى
والكوخ كالقصر المكين
والشوك مثل الياسمين

لافرق عند الليل بين النهر والمستنقع
يخفى ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع
ان الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى
أحلامه ورغائبه
وسماؤه وكواكبه

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها
لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرها
كلا ، ولا منع النسائم فى الفضاء مسيرها
مازال فى الورق الحفيف وفى الصبا أنفاسها
والعندليب صداحه
لا ظفره وجناحه

فأصغى إلى صوت الجداول جاريات فى السفوح
واستنشق الأزهار فى الجنات مادامت تفوح
وتمتعى بالشهب فى الأفلاك مادامت تلوح
من قبل أن يأتى زمان كالضباب أو الدخان
لاتبصرين به الغدير
ولا يلذ لك الخرير

لتكن حياتك كلها أملا جميلا طيبا
ولتملأ الأحلام نفسك فى الكهولة والصبى
مثل الكواكب فى السماء وكالأزاهر فى الربى
ليكن بأمر الحب قلبك عالما فى ذاته
أزهاره لا تذبل
ونجومه لا تأفل

مات النهار ابن الصباح فلا تقولى كيف مات
إن التأمل فى الحياة يزيد أوجاع الحياة
فدعى الكآبة والأسى واسترجعى مرح الفتاة
قد كان وجهك فى الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك فى المساء

العميان (١)

كم خفضنا الجناح للجاهلينا
وعذرناهم فما عذورنا
خبروهم ياأيها العاقلونا
إنما نحن معشر الشعراء يتجلى سر النبوة فينا

ذكروهم فرب خير كبير
فعلته الهداة بالتذكير
إنما الناس من تراب ونور
فبنو النور يعبدون النورا وبنو الطين يعبدون الطينا

قيل عنا قصورنا من هباء
تتلاشى فى ضحوة ومساء
أو سطور بالماء فوق الماء
لو سكنتم قصورنا بعض ساعه لنسيتم شهوركم والسنينا

لو دخلتم هياكل الإلهام
وسرحتم فى عالم الأحلام
واجتليتم سر الخيال السامى
وعرفتم كما عرفنا الله لخررتم أمامنا ساجدينا

قد سقتنا الحياة كأساً دهاقا
حسنت نكهة، وطابت مذاقا
وسقينا مما شربنا الرفاقا
فتركناهم حيارى سكارى يتمنون أنهم لايعونا

همكم فى الكؤوس والأكواب
آه لو كان همكم فى الشراب

(١) الجداول ص ٤٥

اطرحتم عنكم قيود التراب
وشعرتم بلذة أو عذاب   هـذه الخمر ليتكم تشربونا
أتقولون إنه مجنـــون !
أتقولون إنه مفتون !
أتقولون شاعر مسكين !
كم مليك كم قائد كم وزير   ود لو كان شاعراً مسكينا
عاش «ملتن» فلم يكن مذكورا
وهو ميروس «كالشيخ» كان ضريرا
ولقد مات «ابن برد» فقيرا
أرأيتم كما رأى العميان؟   أفلستم بنورهم تهتدونا ؟

الزمان (١)

يمشى الزمان بمن ترقب حاجة   متثاقلا كالخائف المتردد
حتى ليحسبه أسيراً موثقاً   ويراه أبطأ من كسيح مقعد
ويخال حاجته التى يصبو لها   فى دارة الجوزاء أو فى الفرقد
ويكون مايرجوه زورة صاحب   ويكون أبعد مايرجى فى غد
فإذا تولى النفس خوف فى الضحى
من واقب تحت الدجى أو معتدى
طارت بها خيل الزمان ونوقه   نحو الزمان المدلهم الأسود
فكأنها محمولة فى بارق   أو عارض أو عاصف فى فدفد
ويكون أقصر ما يكون إذا الفتى   مدت له الدنيا يد المتودد
فتوسط اللذات غير منفر   وتوسد الأحلام غير منكد

(١) الجداول ص ٤٨

فاذا لذيذ العيش نغبة طائر ... وإذا طويل الدهر خطرة مرود
وإذا الفتى لبس الأسى ومشى به ... فكأنما قد قال للزمن اقعد
فإذا الثوانى أشهر ، وإذا الدقا ... ئق أعصر ، والحزن شيء سرمدى
وإذا صباح أخى الأسى أو ليله ... متجدد مع همه المتجدد
قهر الورى وأذلهم إن الورى ... متعلل أو طامع أو مجتدى
جعلوا رغائبهم قياس زمانهم ... والدهر أكبر أن يقاس بمقصد
وقتلت فى نفسى الرغائب والمنى ... فقهرته بتجردى وتزهدى
يشكو الذى يشكو السهاد جفونه ... لو لم يكن ذا ناظر لم يسهد
إن كان شيء للنفاد أعده ... فيما انقضى ومضى وإن لم ينفد
ما إن رأيت الكحل فى حدق المهى ... إلا لمحت الدود خلف الأثمد
من ليس يضحك والصباح مورد ... لم يكتئب والصبح غير مورد
سيان أحلام أراها فى الكرى ... عندى وأشياء بها اشتملت يدى
أنا فى الزمان كموجة فى زاخر ... أنا فيه إن يزبد وإن لم يزبد
مهما تلاطم فهو ليس بمغرقى ... أو مخرجى منه ولا بمبددى
هيهات ما أرجو ولا أخشى غداً ... هل أرتجى وأخاف ما لم يوجد
والأمس فى فكيف أحسبه انتهى ... أفما رأيت الأصل فى الفرع الندى؟
قبل كبعد حالة وهمية ... أمسى أنا ، يومى أنا ، وأنا غدى

الشاعر فى السماء

رآنى الله ذات يوم ... فى الأرض أبكى من الشقاء
فرق والله ذو حنان ... على ذوى الضر والعناء
وقال : ليس التراب دارا ... للشعر ! فارجع إلى السماء
وشاد فوق السماك بيتى ... ومد ملكى على الفضاء

فالتفت الشهب حول عرشي   وسار في طاعتي الضياء
وصرت لا ينطوي صباح   إلا بأمري ولا مساء
لا تسوق الغيوم ريح   إلا ولي فوقها لواء
فالأمر بين النجوم أمري   لي الحكم فيها ولي القضاء
لكنني لم أزل حزينا   مكتئب الروح في العلاء
فاستغرب الله كيف أشقى   في عالم الوحي والسناء
وقال : مازال آدميا   يصبو إلى الغيد والطلاء
ومس روحي واستل منها   شوقي إلى الخمر والنساء
وظن أني انتهى بلائي   فلم يزدني سوى بلاء !
واشتد نوحي وصار جهراً   وكان من قبل في الخفاء
وصار دمعي سيول نار   وكان قبلا سيول ماء . . .
يأيها الشاعر المعنى   حيرني داؤك العياء !
هل تشتهي أن تكون طيراً ؟   فقلت : كلا ! ولا غناء !
هل تشتهي أن تكون نجما ؟   أجبت ، كلا ! ولا بهاء !
هل تبتغي المال ؟ قلت : كلا   ما كان من مطلبي الثراء
ولا قصورا ، ولا رياضا   ولا جنودا ، ولا إماء
وليس مابي يارب داء   ولا احتياجي إلى دواء
ولا حنيني إلى القناني   ولا اشتياقي إلى الظباء !
ولا أريد الذي لغيري   ذا حكمة كان أم مضاء
لكن أمنية بنفسي   يسترها الخوف والحياء !
فقال : ياشاعراً عجيبا   قل لي إذن ماالذي تشاء ؟
فقلت : يارب فصل صيف   في أرض لبنان أو شتاء ؟
فإنني ههنا غريب   وليس في غربة هناء
فاستضحك الله من كلامي   وقال : هذا هو الغباء !

لبنان أرض كـكل أرض وناسه والورى سواء !
وفيه بؤسى وفيه نعمى وأردياء وأتقيـــاء
فأى شىء تشتاق فيه ؟ فقلت : ماسرنى وساء !
تحن نفسى إلى السواقى إلى الأقاحى ، إلى الشذاء
إلى الروابى تعرى وتـكسى إلى العصافير والغناء
إلى العناقيـد والدوالى والمـاء والنور والهواء !
فأشرف الله من علاه يشهد لبنان فى المســاء
فقال : ما أنت ذو جنون وإنما أنت ذو وفاء
فإن لبنان ليس طوداً ولا بلاداً ، لـكن سماء !

أقبل العيد

أقبل العيد ولـكن ليس فى الناس المسرة
لا أرى إلا وجوهاً كالحات مـكفهرة
كالركايا لم تدع فيها يد المـاتح قطرة
أو كمثل الروض لم تترك به النـكباء زهرة
وعيوناً دنفت فيها الأمانى المستحرة
فهى حيرى ذاهلات فى الذى تهوى وتـكره
وخدوداً باهتات قد كساها الهم صفرة
وشفاها تحذر الضحك كأن الضحك جمرة
ليس للقوم حديث غير شكوى مستمرة
قد تساوى عندهم لليأس نفع ومضرة
لا تسل ماذا عراهم كلهم يجهل أمره
حائر كالطائر الخائف قد ضيع وكره
فوقه البازى والأشراك فى نجد وحفرة
فهو إن حط إلى الغبراء شك السهم صدره

وإذا ما طار لاقى قشعم الجو وصقره
كلهم يبكي على الأمس ويخشى شر « بكره »
فهم مثل عجوز فقدت في البحر إبرة !
أيها الشاكي الليالي إنما الغبطة فكرة
ربما استوطنت الكوخ وما في الكوخ كسرة
وخلت منها القصور العاليات المشمخرة
تلمس الغصن المعرى فإذا في الغصن نضرة
وإذا رفت على القفر استوى ماء وخضرة
وإذا مست حصاة صقلتها فهي درة
لك ، ما دامت لك ، الأرض وما فوق المجرة
فإذا ضيعتها فالكون لا يعدل ذرة
أيها الباكي رويداً ! لا يسد الدمع ثغرة
أيها العابس لن تعطى على التقطيب أجرة
لا تكن مراً ولا تجعل حياة الغير مرة
إن من يبكي له حول على الضحك وقدرة
فتهلل وترنم فالفتى العابس صخرة
سكن الدهر وحانت غفلة منه وغرة
إنه العيد . . . وإن العيد مثل العرس مرة . .

علام لا تتبسم

كم تشتكي وتقول إنك معدم والأرض ملكك والسما والأنجم ؟
ولك الحقول وزهرها وأريجها ونسيمها والبلبل المترنم
والماء حولك فضة رقراقة والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبني في السفوح وفي الذرى دوراً مزخرفة وحيناً يهدم
فكأنه للفنان يعرض عابثا آياته قدام من يتعلم . .

وكأنه لصفائه وسنائه ... بحر تعوم به الطيور الحوم
هشت لك الدنيا فمالك واجماً ... وتبسمت فعلام لاتتبسم ؟
إن كنت مكتئباً لعز قد مضى ... هيهات يرجعه إليك تندم
أو كنت تشفق من حلول مصيبة ... هيهات يمنع أن تحل تجهم
أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل ... شاخ الزمان فانه لايهرم
انظر فما زالت تطل من الثرى ... صور تكاد لحسنها تتكلم
مابين أشجار كأن غصونها ... أيد تصفق تارة وتسلم
وعيون ماء دافقات فى الثرى ... تشفى السقيم كأنما هى زمزم !
ومسارح فتن النسيم جمالها ... فسرى يدندن تارة ويهمهم ..
فكأنه صب بباب حبيبة ... متوسل ، مستعطف ، مسترحم
والجدول الجذلان يضحك لاهياً ... والنرجس الولهان مغف يحلم
وعلى الصعيد ملاءة من سندس ... وعلى الهضاب لكل حسن ميسم
فهنا مكان بالأريج معطر ... وهناك طود بالشعاع معمم
صور وآيات تفيض بشاشة ... حتى كأن الله فيها يبسم !
أتزور روحك جنة فتفوتها ... كيما تزورك بالظنون جهنم ؟
وترى الحقيقة هيكلا متجسداً ... فتعافها لوساوس تتوهم ؟
يا من يحن إلى غد فى يومه ... قد بعت ماتدرى بما لاتعلم ..

ابتسم

قال : السماء كئيبة وتجهما ... قلت : ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال : الصبا ولى فقلت له : ابتسم ... لن يرجع الأسف الصبا المتصرما ..
قال : التى كانت سمائى فى الهوى ... صارت لنفسى فى الغرام جهنما
خانت عهودى بعدما ملكتها ... قلبى ، فكيف أطيق أن أتبسما ؟
قلت : ابتسم واطرب فلو قارنتها ... قضيت عمرك كله متألما

قال : التجارة فى صراع هائل ... مثل المسافر كاد يقتله الظما
أو غادة مسلولة محتاجة ... لدم وتنفث كلما لهثت دما
قلت : ابتسم ما أنت جالب دائها ... وشفائها ، فإذا ابتسمت فربما ...
أيكون غيرك مجرما وتبيت فى ... وجل كأنك أنت صرت المجرما ؟
قال : العدا حولى علت صيحاتهم ... أأسر والأعداء حولى فى الحمى ؟
قلت : ابتسم ، لم يطلبوك بذمهم ... لو لم تكن منهم أجل وأعظما !
قال : المواسم قد بدت أعلامها ... وتعرضت لى فى الملابس والدمى
وعلىَّ للأحباب فرض لازم ... لكن كفى ليس تملك درهما
قلت : ابتسم يكفيك أنك لم تزل ... حياً ، ولست من الأحبة معدما ؟
قال : الليالى جرعتنى علقما ... قلت : ابتسم ولئن جرعت العلقما !
فلعل غيرك إن رآك مرنما ... طرح الكآبة جانباً وترنما ...
أتراك تغنم بالتبرم درهما ... أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما ؟
ياصاح ! لاخطر على شفتيك أن ... تتثلما ، والوجه أن يتحطما
فاضحك ! فإن الشهب تضحك والدجى ... متلاطم ، ولذا نحب الأنجما
قال : البشاشة ليس تسعد كائنا ... يأتى إلى الدنيا ويذهب مرغما
قلت : ابتسم مادام بينك والردى ... شبرا ، فإنك بعد لن تتبسما !

جورج صيدح وديوانه « حكاية مغترب »

«حكاية مغترب» أحدث ديوان ظهر للشاعر المهجرى الكبير جورج صيدح ، صاحب « النوافل » ، والنبضات » وهما من أبلغ الدواوين الشعرية الحديثة ، والأول صدر فى بونس ايرس عام ١٩٤٧ ، والثانى طبع فى باريس عام ١٩٥٣ ، وصاحب كتاب « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر » .. « وحكاية مغترب » مطبوع عام ١٩٦٠ م .

وقد أهدى صيدح ديوانه إلى كل عربى اللسان والوجدان ، ويضم « حكاية مغترب » أكثر شعر الديوانين السابقين ، والشعر الجديد الذى نظمه الشاعر ولم ينشر بعد فى ديوان . . ويشتمل على أبواب كبيرة هى : آفاق ، أشواق ، حكاية مغترب ، أصـــداء ، أهواء ، تراويح تباريح ، أكباد ، أزباد .

أما القسم الأول « آفاق » فأكثر قصائده فى الطبيعة . وإن احتوى على عديد من القصائد فى موضوعات أخرى .. ومن مثل شعره فى الطبيعة قصائده الجميلة الرفافة : ساعة الغروب ، الكوكتيل على الشاطى ، المطر ، البحر ، على قمة الجبل ، شلال نياجرا . والشاعر فى هذا الجانب من شعره عميق التصور ، دقيق التصوير ، أحب الطبيعة ، ورآها بعينه وقلبه ومشاعره وعاش فى حناياها الحنون ؛ يقول الشاعر من قصيدته « طائرات الشعر » :

شعراء العصر أعلام الحجى   قطب الاشعاع فى الشرق السعيد
عفوكم لا أدعى مرتبة   بينكم أو عصمة الرأى السديد
غير أنى عشت عمرى فى الشذا   فعرفت الفرق ما بين الورود
إنما الشعر انطلاق للذرى   واندفاق نحو أغوار وبيد
إنه البحر الذى أمواجه   تتتالى حرة ضمن الحدود

والبيت الثالث من هذه الأبيات يشير إلى صلة الشاعر بالطبيعة وحياته معها . . ومن قصيدته « ساعة الغروب » :

هناك على مذبح الرابية يموت النهار
وفى هيكل الغابة الكابية شموع تنار
يجز الشعاع رؤوس الشجر فتجرى الدما
كأن إله الجمال انتحر بباب السما

إلى آخر هذه الصور الرومانسية الجميلة ..

ومن مثل قصائد هـــذا القسم فى غير الطبيعة قصائده : وصيتى ، سهرة العيد ، عام جديد ، سلة المهملات ، الجندى المجهول ، بين شاعر وقومه ، المهاجر ، أديب المهجر ، وهما قصيدتان من عيون الشعر العربى الحديث ، العائدون ، الألم الجبار . . وهذه القصائد تنم عن شاعر أصيل محلق رومانسى النزعة . . يقول الشاعر فى قصيدته « أديب المهجر » وهى على نمط الموشحات الأندلسية :

ياوردتى طرت كذات الجناح ولم تعودى فى معاد الطيور
رباه سلطت عليها الرياح فحومت فوق الربى والثغور
وانطرحت كالعندليب الصدى فى صفحة المستنقع الأربد

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة التى تعد مرثية رفيعة لوردة ، وتعد من أرفع موضوعات الشعر الحديث وقصائده .

أما القسم الثانى من الديوان وهو « أشواق » فيشمل على قصائد رفيعة نظمها الشاعر فى الحنين إلى وطنه وملاعب صباه ، وكل قصائده رائعة جميلة ، ومنها : إلى مدرستى عينطورة ، العيد فى المنفى ، حنين إلى دمشق ، وهى من روائع شعر صيدح ، وفى مطلعها يقول :

ذكرتها نائيا والدمع هتان أم تناست بنيها حالما بانوا

ونحن نعلم أن الشاعر قد ولد فى دمشق وعاش فيها فترة من طفولته حتى غادرها إلى القاهرة فباريس فالمهجر الأمريكى ، الذى أقام فيه ربع قرن إلى أن عاد إلى أرض العروبة وأقام فى لبنان عام ١٩٥٣ .. وقصيدته هذه «حنين إلى دمشق» جديرة بكل تأمل وإعجاب ، يقول الشاعر فيها :

أنا وليدك يا أماه كم ملكت ذكراك نفسى وكم ناجاك وجدان
منذ افترقنا نعيم العيش فارقنى والهم والغم أشكال وألوان
كأنى لم أبت والحب فى سكنى والشعر فى خاطرى وحى وتبيان
والفكر حر طليق فى مساربه لا المال عبء ولا الأشغال أرسان
مشى الزمان على الأحلام فاندثرت
ياليت لم تعقب الأزمان أزمان
عهد الشباب وعهد الشام إن مضيا فكل ما أعطت الأيام حرمان

ثم يتحدث الشاعر فيها عن هجرة أبنائها وسعيهم لطلب الرزق ، ويستمر فى هذه القصيدة الرفيعة شاديا حزينا وفيا حتى يختمها بقوله :

حسبي من الوجدان هجران منيت به وحسبك العهد لاينسيه هجران

والقصيدة بحق عنوان على شاعرية صيدح المتمكنة القوية الرفيعة الملهمة ، بل إنها صيدح نفسه الشاعر الحر المتوثب الوفى الوديع .

ومن قصائد هذا القسم قصائده : وطنى ، بردى ، حنين إلى مصر ، حمائم لبنان .

أما القسم الثالث وهو حكاية مغترب ، وبه سمى الديوان كله ، فيشتمل على قصائد تمثل حياة الشاعر بين الهجرة والاغتراب ، وأولى قصائده «الخطوة الأولى ، من المدرسة إلى المتجر» ويتحدث فيها الشاعر عن هجرته إلى مصر وبواعثها ، ثم تليها قصيدته «التاجر الخاسر» وهى قصيدة عالية فى المنزلة الفنية ، ويصور الشاعر فيها أسباب هجرته من مصر عام ١٩٢٥ ، ومطلعها :

أظلم النـاس من ظـلم يائسا تاه فى الظلم

ويقول فى آخرها :

إنمـا العيش نائيـا عنك يامصر كالعدم

ومن قصائد هذا القسم قصائده : فى سفينة المهاجرين ، وتتمثل فيها مشاعره وعواطفه وهو سائر فوق البحر إلى المهجر الأمريـكى ، وقصيدته « وكان الصباح » وقد نظمها حين استقر به المطاف فى كراكاس عاصمة فنزويلا . وقصيدته « فى البرازيل » وقصيدته « فى دمشق الشام » ، وفراق الوطن الأم ، ولقاء بيروت وفى ضيافة لبنان ، وفى وداع لبنان ، وكل قصائده هذا القسم حرية بالدراسة المستفيضة المستوعية .

أما القسم الرابع «أصداء» فيشتمل على ألوان عديدة من شعره فى المناسبات ومن قصائد هذا القسم : قصيدته « داء الشباب » التى يقول فى مطلعها :

نصحت فؤادى فلم يصغ لى وكررت نصحى فلم يحفل

وقد نظمها وهو على سرير المستشفى فى المدرسة ، ويصور فيها طموحه والفرق بين حياته فى الطفولة ومابعدها ، وهى قصيدة متينة عذبة رائعة ، ومن قصائد هذا القسم : سوريا ، سلام على نيويورك ، البوكر ، سلمى ، نسمة الشام ، وسواها .

والقسم الخامس من الديوان « أهواء » قصائد وجدانية حالمة ، بين الطبيعة والحب ، ومن قصائده : الصبوح والغبوق فى حدائق دمشق ، إلى جارتى ، على الشرفة ، سائقة السيارة ، ليلة البحيرة وهى من ذكريات رحلته فى سويسرا ، العاصفة فى غابة بولون ، على الهاتف ، سأراك ، اللقاء الأخير فى القطار التى يقول فى مطلعها :

نظرت إليـك ولم تنظر تـكسر طرفى على المرمر

سكوتك أحدوثة الشامتين ... فلا تحرجي موقفي ، ثرثري
حضرت وداعي وفكرك ساه ... شريد ، كأنك لم تحضري
عهدتك أوهن مني مراسا ... فكيف صبرت ولم أصبر
أهز يديك ولولا الحياء ... هجمت على فمك السكري

إلى آخر هذه القصيدة الحلوة الجميلة « السكرية » التي هي مثال لطبع صيدح المطبوع . وشاعريته الملهمة .

أما القسم السادس « تراويح » فهو قصائد وطنية وعربية وقومية،ومنها : بني فلسطين . دمشق الجريحة ، جلوة الحرية وقد نظمها في عيد الجلاء في سوريا ، المولد النبوي ، عبرات ، عيد الأضحى ، سوريا في يومها وغدها . . ومطلع هذه القصيدة الرقيقة :

لمن تشتكي والهوى قاهر ... إلى الله أمرك ياشاعر
عذرناك لو لم تكن ثائرا ... وفي العشق لايعذر الثائر

وفيها يرد على الناعبين قديما الذين كانوا ينادون بضم سوريا إلى العراق. ومن قصائد هذا القسم أيضا : « بعد الهدنة » ، الحجيج . ذكرى فلسطين . انقلاب في سوريا ـ دير ياسين ـ هواجس .. وقد نظمهاصدى للمؤتمر الذى عقده ملوك العرب ورؤساؤهافي بيروت على أثر العدوان الثلاثي على مصر.

وهذا القسم ترجمان صادق لوطنية صيدح وعروبته وإخلاصه للوطن العربي وللقومية العربية الصاعدة .

والقسم السابع من الديوان وهو « تباريح » تضم قصائد نظمها في المناسبات وأهداها لأصدقائه ، ومنها قصيدته « إيليا أبو ماضي » وسواها .

والقسم الثامن «أكباد» يشتمل على شعره في أسرته التي عاش صيدح وفيالها وفاءه لوطنه،ومن قصائده قصيدته « رسالة جد » . « مع الحفيدين » ـ وأجمل

قصائد هذا القسم قصيدته فى رثاء أمه وعنوانها « نعى الوالدة » ، ويقول فى مطلعها :

ودعوها شيعوها بتراتيل الخضوع
وعلى الهام ارفعوها واغسلوها بالدموع

والقسم الأخير وهو « أزباد » يحتوى على قصائد مختلفة من بينها : سيارة الدكتور — صلعة الشاعر — ياطبيبى — القهوة فى سان باولو — شاعر العطر ، وبانتهاء هذا القسم ينتهى ديوان صيدح البديع صاحب الشاعرية العميقة — والمثالية الرفيعة والأسلوب الأنيق — والديباجة الحلوة — وصاحب الطبع الأصيل فى الشعر العربى الحديث .

* * *

ولصيدح كتابه المشهور « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية » .

ولم ينل كتاب من الشهرة والذيوع ما نال كتاب « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية » الذى ألفه جورج صيدح ، ذلك الإنسان العربى الشاعر الأديب الناقد جميعاً .

الإنسان الذى يعرف وطنه الأكبر الإنسانية حق المعرفة ويؤدى لها حقها فى نزوع إلى الحق والخير والحب والإخاء .

والعربى الذى وفى لعروبته وبلاده وأدى لها أكثر مما أخذ منها ، وعاش يترنم بأناشيد الحرية للعرب فى كل مكان .

يقول فى يوم الجلاء عن سوريا :

جلوة النصر ، دفقة الفجر ، رؤيا تتهادى على العيون الندية
إنها الساعة التى ارتقبتها مقلة الشرق منذ عهد أمية
ساعة المجد ، يظمأ المجد ، حتى يستقيها من العروبة ريه
زغردى ياحرائر الشام هذا مهرجان لأختك الحرية

ويقول فى مأساة فلسطين :

وطنى طيفك طيفى فى الكرى ... كلما أطبقت جفنى وفد
يتجنى فإذا ملت إلى ... ضمه أعرض عنى وابتعد
أترى طيف بلادى مثلها ... كلما رق له القلب استبد
عبثا ياطيف تبلو جلدى ... ليس لى بعد فلسطين جلد
وطنى ماذا على النازح إن ... ذكر القدس فصلى وسجد
قسما بالمسجدين ارتفعا ... حينما أسرى النبى المعتمد
بوليد الطهر فى مذوده ... بدم المصلوب ، بالله الأحد
ردهم ، لاثبتت أقدامهم ... قبل أن يقضى قضاء لايرد

والشاعر الذى أخذ من البحترى ديباجته ، ومن المتنبى حكمته ، ومن المعرى فلسفته ، كما يقول فيه وديع فلسطين ، والذى أصبح شعره مفخرة للضاد بما اشتمل عليه من آى التجديد والتجويد والسحر البلاغى والطرب الغنائى ، والذى يعد من أشعر المهجريين وأنصعهم ديباجة وأعظمهم وقوفا على أسرار الضاد وأكثرهم تجديدا وأعلمهم بفن الشعر كما يقول العقاد(١) .

والأديب الذى حفل أسلوبه بكل عناصر الأدب الحى القوى الرفيع من صياغة عالية وفكر عميق ومعنى مبتكر وثقافة واسعة .

والناقد الذى حكم فى كل قضايا الأدب المهجرى أحكاما نزيهة ، بل عرض لأخطر مشكلات النقد ، فحللها وفصل الكلام عليها فى كتابه بروح نقدية موهوبة منصفة .

إن جورج صيدح مفخرة من مفاخر جيلنا العربى المعاصر ، ولقد رفعه فكره وأدبه وشعره وروحه الإنسانى المتسامح منزلة عالية بين أدبائنا المعاصرين .

---

(١) ٢١٠ أدبنا وأدباؤنا ط ثالثة .

وبين يدى الطبعة الثالثة من كتاب « أدبنا وأدباؤنا » التى صدرت فى ٧٥٠ صفحة فى حلة قشيبة عن دار العلم للملايين ببيروت مشتملة على زيادات كبيرة لم تتضمنها الطبعتان السابقتان .

وكتاب « أدبنا وأدباؤنا » هو المرجع الحجة ، والمصدر الثبت ، لكل مايتعلق بأدب المهجر وأدبائه ، وقد صار عمدة الدراسات المهجرية وكل مايتعلق بالمهجريين وأدبهم من بحوث ويتضمن الكتاب فى طبعته الجديدة تسعة عشر فصلا ، الثمانية الأخيرة منها تتناول تراجم لأدباء المهجر فى جميع دول أمريكا الشمالية والجنوبية ، والأحد عشر فصلا الأولى تتحدث عن الهجرة ، وأدب المهاجرين ، وخصائص الأدب المهجرى ، ورسالته ، وما بينه وبين الأدب العربى والآداب العالمية من تأثر وتأثير ، وسر التفوق فى أدب المهجريين ، وعن مناحى الأدب المهجرى ، وأدب المناسبات والحفلات والمباسطات ، وعن مآخذ النقاد على الأدب المهجرى .

وفى التراجم زاد المؤلف فى هذه الطبعة ثلاث عشرة ترجمة ضافية لأعلام مشهورين من أدباء المهجر وشعرائه ، وثمانى عشرة نبذة عن أعلام من المهجريين شعراء وأدباء .

وأعاد كتابة ثمانية بحوث لم تكن وافية فى الطبعتين السابقتين ، وتوسع فى البحث فى مواضع كثيرة من الكتاب وحذف من الطبعة الثانية العديد من البحوث والدراسات ، وكل ماأمكن حذفه من الشواهد حتى أصبحت هذه الطبعة بمثابة كتاب جديد فى الدراسات الأدبية المهجرية .

والمؤلف لايقف فى دراساته وأحكامه الأدبية موقف المتعصب على الأدب المهجرى ولا المتعصب له ، وإنما تناوله فى حياد نقدى نزيه يحكم له وعليه أحكاما عادلة منصفة ، ويرد الأحكام الجائرة التى صدرت فيه ويناقش كل رأى وكل فكرة ، مناقشة هادئة متزنة ، فى أسلوب ناصع البيان ، مشرق

الصفحة ، يمتاز بالتركيز والعمق ، والاستقصاء والشمول والنقد والموازنة والتحليل والتعليل .

يقول صيدح عن نعيمة: « طابع أدبه الاقتصاد فى اللفظ والسخاء فى المعنى ، على مرونة فى الأداء تتسع للقديم وللحديث من محاسن الأدب ، فكأنه سكب روح التجديد فى الهيكل القديم » .. ثم يقول عنه : « إن أدبه ولد كبيراً ومشى إلى الخلود فى طريق القصة والنقد ، لا فى طريق الفلسفة الذى اتبعه فيما بعد » (٢٦٢) .

ويقول عن أبى ماضى : « أحدث تجديداً فى الكلمة الشعرية جعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية ، وللمشاكل النفسية ، دون أن تخرج عن إطار البساطة والوضوح » (٢٧٦) .

ويقول عن القروى : « قلما عرفت العروبة مثله شاعراً أميناً على عزتها وكرامتها ، ثابتاً على مبادئها ، زاهدا فى مالها وحطامها » (٢٩٤) .

ويقول عن فرحات : « أدبه عصرى الطابع ، تحرر فى الفكر ، وتجديد فى الأداء ، وصدق فى العاطفة ، إن نظم فتلبية لسليقة عربية أصيلة فى نفسه ، وعاطفة جياشة فى صدره مترفعة إلى القول الحق الصراح ، وإن تألمت روحه لمأساة من مآسى الوطن تدفق شعوره أمواجا عارمة تجرف الظالمين والخانعين على السواء ، وتتكسر على صخور المستعمرين الأقوياء » (٤٤٤) .

ويقول عن زيتون : « أديب حمصى كبير يعد من أمراء البيان المنثور ، لا فى المهجر فقط بل فى الأوطان العربية أيضا ، ونقادة بحاثة عميق الغور ، له جولات موفقة فى دراساته ومباحثه الفكرية (٥٢٢) .

أسلوب نقدى رفيع يكاد يذكرنى بأسلوب الثعالبي فى « يتيمة الدهر » فى جلاله وروعته وسحره .

وفى الكتاب فوق ذلك كله نصوص مهجرية لا يمكن العثور عليها فى مصدر آخر من مصادر الأدب المهجرى ، مما يرفع من قيمة الكتاب ، وقيمة عمل مؤلفه .

ولقد استوقفنى فى الكتاب ناحية أحب أن أوضحها وهى أن صيدح أشار فى صفحة ٢٢٨ نقلا عنى فى كتابى « فصول من الثقافة المعاصرة » أن أبا شادى أرسل إلى دراساته فى الأدب المهجرى مخطوطة كتبها فى واشنطون قبل أن ينتقل إلى رحمة ربه .

والحقيقة أن أبا شادى كتب فصولا عن الأدب المهجرى وأعلامه وكان يبعث بها وبغيرها من دراسات إلىّ وإلى جميع أصدقائه فى العالم العربى ، وكان قد فوضنى فى نشر كتبه المطبوعة والمخطوطة إن رأيت ذلك ، ولما توفى اعتبرت آراءه المهجرية مما يستحق أن يجمع فى كتاب وينشر فجمعتها فى كتاب وقدمت له وأعطيته لناشر فى القاهرة لنشره ولا تزال أصول الكتاب لديه حتى اليوم لم يبدأ فى طبعها بعد ، وبعض هذه الفصول نشر فى كتاب جمعته من دراسات أبى شادى بعد وفاته باسمه بعنوان « قضايا الشعر المعاصر » وقامت بنشره دار النشر العربية فى القاهرة ، وهى التى عندها أصول دراسات أبى شادى للأدب المهجرى .

والمسألة الأخيرة التى أحب أن أعرض لها أن صيدح كتب فى الكتاب عن حبيب إبراهيم كاتبه أن ميلاده عام ١٩١٢ (٣٥٨ أدبنا) وفى الصفحة نفسها يذكر أنه أنهى دراسته فى الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩١٢ ، ويؤكد فى الصفحة التالية (٣٥٩) أن ميلاده عام ١٩١٢ يقول : إنه مات قبل أن يبلغ الأربعين (توفى حبيب كاتبه عام ١٩٥١) لذلك اعتقدت أن تحريفا مطبعياً حدث أدى إلى هذا اللبس الغير المقصود من المؤلف .

إن كتابه « أدبنا وأدباؤنا » ثروة نفيسة ، وكنز ثمين من كنوز الأدب

العربى المعاصر ، ويرفع من قيمته أن مؤلفه هو الشاعر العربى المهجرى الذى دوى ذكره فى كل مكان من أنحاء الشرق والغرب على السواء ، وأن موضوعه هو دراسة الأدب المهجرى الذى عاصره وعاش فى تياره شاعرنا صيدح أمداً طويلا .

صور من شعر صيدح

المهاجر (١)

مل عيش السلم فى ظل السلامة ... فمشى للبحر يستوحى عرامه
ركب الأخطار فاستسهلها ... مركباً ، واجترف الموت أمامه
من جهام السحب يستسق الحيا ... عاصراً بالكف أثداء الجهامه
من رآه فى المفازات رأى ... أسداً يستنجز الغاب طعامه
وله أجنحة النسر إذا ... نفر الرزق ، وأطراف النعامه
كيف يرتاح ، وتذكار الحمى ... كلما أقعده الجهد ، أقامه ؟
برجه العاجى من يقطنه ؟ ... إنه يقطن بالروح خيامه
ويزيح المجد عن ناظره ... ليرى أشباح نجد وتهامه
كل نصر حازه دبجه ... بسمات عربيات الوسامه
ورواها سيرة عن جده ... حفزت نفس عصام للعظامه؟
يبعث المال سلاماً للحمى ... فالحمى يأبى بلامال سلامه ...
رفع الهامة باستقلاله ... عجباً ، هل قبله طأطأ هامه
عانق البيرق دهراً قبلما ... شرع الحكام فى القصر سنامه
قل لمن يحميه فى غربته ... إن من أعدائه اللد غرامه

---

(١) ديوان نبضات ص ٥ - مجلة العالم العربى ١٠ حزيران ١٩٥٢

لو تسلى بالدنى عن قومه | لم تعكر جو مناه غمامه
لاتلمه لابداً فى بقعة | قد تبنته على حكم الشهامه
إنها أندلس ثانية | كاد يستأثر فيها بالزعامة
قدرته لحبته وطنا | وتناسى الوطن الأم مقامه
رب أحجار بها الشرق ازدرى | أصبحت فى حائط الغرب دعامه
وعظيم شاب فى دار النوى | لن تلاقى داره إلا عظامه
كمت الأوطان فاه فاعتلى | منبر المهجر يستوفى كلامه !

القطيعة (١)

حلل الحب ما التعصب حرم | فاتحدنا ، وما خلقنا لنقسم
واعتنقنا دين العروبة ديناً | واطرحنا لزوم ماليس يلزم
شرع مجدنا ، سواء نسبنا | أرز صنين أو نخيل المقطم
بين لبنان والشآم لبان | رضعاه ، ولم يزل يتوحم
حدثونا عن انفصال فلذنا | باتصال من العواطف محكم
وضربنا عن السياسة صفحاً | واحتكمنا إلى اللسان وللدم
أى غنم من القطيعة نجنى | إن خسرنا مؤونة القلب والفم؟
رب سور على الحدود منيع | إن لمسناه بالشعور تهدم
مابناه علوج عهد انتداب | كيف تبنيه دولة الخال والعم ؟
ياولاة الأمور ، سمعاً لشكوانا | وسعياً ، إن المهم المقدم
أوثقوا عروة العروبة فينا | ذهبت ريح أمة تتقسم
وجهودنا ، فنحن قوم حيارى | بالزعامات والطوائف نأتم
أفهمونا كنه السياسة ، إنا | قد شقينا فى حب ماليس نفهم

---

(١) ديوان نبضات ص ٢٣

عللونا بوحدة الروح تأتى بعدها وحدة التخوم فتسلم
أرشدونا إلى السبيل المؤدى لأمان القطيع فى غاب ضيغم
دربونا على انتزاع كفاف العيش من قبضة الثرى المنعم
وانصرونا على غلاة أساءوا فهم طه وفهم عيسى بن مريم
شهد الله ، ماأردنا ولياً غير من حرر البلاد ونظم
والزعيم الذى يقود السرايا يوم ثأر ، هو النبى المعظم

ويقول صيدح فى سان باولو موجها جديثه إلى أدباء المهجر فيها :

بلد صارت بكم أندلسا لاتلوموا الشام إن هامت بها
زعموا أن سناها عرض وأراه جوهرا فى لبها
أدب لومدَّ فى قرطبة ظله ، ماأفلتت من عربها
مهجرى ، علوى ، محدث شرّق الآداب فى مغربها
وبناها كعبة ثانية فى مغانى الأرض لافى كثبها
عشت ظمآنا إلى (عصبة) أتشهى قطرة من سحبها

شاعر من عبقر (١)

— ١ —

يقول شاعرنا المهجرى الكبير إلياس فرحات :

يقولون : عمن أخذت القريض ... وممن تعلمت نظم الدرر
وأين درست العروض وكيف ... تلقفت هذا البيان الأغر
وما كنت يوما بطالب علم ... فإنا عرفناك منذ الصغر
فقلت : أخذت القريض صبيا ... عن الطير وهى تغنى السحر
وعن خطرات عليل النسيم ... يمر فيشفى عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجدا ... ول فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الأديب ... يزاحمه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتى ... يكدن يغلغلنها فى الحجر
وعن عبرات الحزانى الضعاف ... ففى عبرات الحزانى عبر
كذاك تعلمت نظم اللآلى ... لفرط الغرام وطول السهر
فإنى سهرت كثيرا وكنت ... إلى النيرات أطيل النظر
وإن الكواكب كانت تغيب ... وتبقى بقلبى جليل الأثر
فهذى القصائد منها السماك ... ومنها الثريا ومنها القمر
لئن كنت لم أدخل المدرسات ... صغيرا ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات ... وذا الدهر أستاذها المعتبر
فمن يحى يوما ولا يستفيد ... أعمى البصيرة أعمى البصر

---

(١) راجع كتاب عيسى الناعورى عن إلياس فرحات ، ولفرحات كتاب طبع فى دمشق بعنوان « قال الراوى » .

وهذه القصيدة « منابع الشعر » تفسر لنا كل مجهول فى حياة فرحات ، وكل خفى من أسرار فنه وشاعريته .

وأول شىء نعرفه منها أن الشاعر فرحات ليس صورة لغيره من الشعراء، وليس فنه تقليدا لشاعرية أخرى . . إنه عبقرية كاملة منحها هذا الملهم الشاعر ، وظهرت فى فنه الأخاذ الجليل الباهر ، وكأنه خيوط من ضوء القمر ، أو نغمة من نسيم السحر . ومن تمام شخصية الشاعر هذه الذاتية الفنية ، التى تأبى التقاليد ، وتسعى فى مجالات التجديد ، وترى الشعر طبعا لا صنعة ، وروحا ناطقا لا صورا موشاة بحلى الأساوب ، وبدائع الزينة . . وهذه الذاتية أوضح ماتكون عند فرحات الذى يخاطب بشعره الجماد فيتحرك ، والحجر فيهتز ويطرب . . وتتضح هذه الذاتية فى موسيقى فرحات الجميلة ، وفى بساطة تعبيره وسلاسته ، وفى صدقه فى الأداء والتصوير ، وفى تمثيل شعره لتجاربه الدفينة فى أعماق نفسه .

والشاعر هنا يؤكد أنه لم يأخذ الشعر تقليدا ولا تعليما ، ولا تلمذة على شعراء آخرين . . إنما أخذه عن أستاذه الكون ، وعن ملهمته الطبيعة ، وعن مدرسته الحياة . . وهو هنا ينقل موضوع الشعر من ميدان النظرة المدرسية المحدودة إلى مجال الحياة الواسع الممتد الشامل . . وهو بهذا أحد الملهمين الرواد من شعرائنا المعاصرين الذين أحدثوا ثورة فى الشعر المعاصر تعد من أخطر ثورات التجديد فيه ، وتعد كذلك فاصلا كبيرا بين مدرستين فى الشعر العربى الحديث : مدرسة المقلدين الذين يحسبون الشعر طرازا فنيا مصنوعا ، ومدرسة المجددين الذين اتسعت نظرتهم إلى الشعر اتساع إلى الحياة فى القرن العشرين بما احتوت عليه من مظاهر ومشاهد وثورات والذين عبروا بالشعر إلى المجالات الإنسانية الكبيرة حتى أصبح موضوعا لكل حدث ، ومتناولا لكل تجربة ، وتعبيرا عن كل صورة .

وثانى خاصية لفرحات ، أن شعره ليس فيه من المناسبات الخاصة إلا النزر اليسير ، ولم ينظم فرحات فى المناسبات العامة إلا إذا هزته هزا عنيفا ، وانفعلت بها نفسه انفعالا قويا . . إنه يعبر بشعره عن نفسه وانفعالاته ومشاعره وتجاربه ، فهو لايلهو بشعره ، ولا يتخذه حرفة أو تسلية أو متعة مادية ، بل قد عاش ينسج الشعر يوشيه بآلامه ، وينسجه من خيوط أمانيه ، ويصوغه من ذات عواطفه ، ويضمنه تجاربه الكثيرة العميقة فى الحياة ، ومن ثم كثرت الحكم والأمثال فى شعره كثرة ملحوظة حتى لنصيب إن سميناه بذلك « متنبي المهجر » ومع مافى شعره من تهذيب وتجويد ، حتى إنه أحرق بعد الحرب العالمية الأولى كل مانظمه من شعر قبلها لعدم رضائه الكامل عنه.إلا أن هذا التهذيب لم يجعله شاعرا مصنعا ، بل قوى من طبعه ، وصقل من فطرته ، وجلى مواهبه الكامنة ، ونأى به عن التصنيع ، فقد كان تجويده وتهذيبه ليس من الجانب اللفظى الأسلوبى فحسب ، بل كان راجعا قبل كل شيء إلى حرصه على الصدق فى التعبير والتصوير والعاطفة ، وعلى أداء تجربته كاملة بكل ما احتوت عليه من صور ومشاهد وموسيقى ، وألوان وحياة . . وقد استتبع هذا التجويد إيثار فرحات فى شعره لرقة اللحن ، وبلاغة العبارة ، وتمكن القافية ورصانة الأداء ، وإحكام النسج . . مع أنه هاجر من لبنان وهو ينظم الزجل العامى ، ويقرأ الميسور من المكتوب ، ويجهل أصول العربية وقواعدها .

وثالث ميزة لشعر فرحات ما احتوى عليه من تحرر فكرى وشمول إنسانى . فجوانبه الإنسانية كثيرة متعددة الألوان ، حتى لنراه يبكى لذبول الزهر ، وشحوب القمر ، ويثور لشتى مناظر الحياة الحزينة . . وقصيدته « الراهبة » مع إعجازها الفنى ـ جديدة فى روحها الإنسانية الرفيعة ، وفى مطلعها يقول الشاعر :

أطلت من الدير عند الضحى وفى ناظريها بريق الأسى

فتاة كأن الإله براها ليجعلها فتنة للنهى
ولكنها فى صباح الحياة علا وجنتها شحوب المها
تصلى فتحسبها دمية من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع فيوشكن يلثمنها من جوى
تحاول نسيان محبوبها وزهو الشباب وعز الغنى
وأقسى من الحب كتمانه وأنكى من الهجر فقد الرجا

وتبدو هذه النظرة الإنسانية كذلك فى قصيدته فى ميلاد ابنته التى يقول فيها :

أولى فراخ البلبل الغرد هذا جناح أبيك فاعتمدى

هذى الرياض منابت الزهر
تلك البحار مصادر الدر
ذاك الفضاء نجومه تجرى

بالله يابنتى من أيها أنت فى أيها كنت
ما أنت من هذا التراب ولا تلك المياه وذلك الخلد
بل أنت من روحى ومن كبدى

أما مظاهر التحرر الفكرى فكثيرة فى شعره ، فهو من الرواد الذين أسهموا فى حرب الجمود والرجعية والضعف وفقدان الأمل ، وبذروا بذور الإيمان بوحدة العرب ، وبالقومية العربية ، فى صدور جيلنا العربى المعاصر ، حتى نما الغرس ، وطاب الثمر ، وازدهر الروض ، وأتى كفاح الشاعر فى هذا السبيل أكله جنيا شهيا . يقول فرحات يعبر عن إيمان الشباب العربى بالوحدة بين شعوب العرب :

إنا وإن تكن الشآم ديارنا فقلوبنا للعرب بالإجمال
نهوى العراق ورافديه وماعلى أرض الجزيرة من حصا ورمال

وإذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا   نروى بسائغ نيلها السلسال
بنا وما زلنا نشاطر أهلها   مر الأسى وحلاوة الآمال

ويقول كذلك :

وطنى حببتك سيدا ومسودا   وحببت أهلك عوسجا وورودا
أبغى لهم رتب العلا ولو أنهم   تخذوا على جسدى الطريق صعودا
ماذا تفيد العرب ثروة بعضهم   ما دام حائط مجدهم مهدودا
ما أفقر المتمولين إذا همو   كسبوا بخسران البلاد نقودا
لو كان لى نفط الكويت جعلته   يمشى على جثث اليهود جنودا

ويقول يخاطب أنصار التفرقة والمذهبية الضيقة ويرد عليهم ويفحمهم :

هذى دمشق وذى بيروت إنهما   فى طلعة الوطن المعبود عينان
لسنا نفضل مهما نلق من عنت   عينا على أختها ، لسنا بعوران

إلى ماسوى ذلك من قصائده فى القومية العربية ، وفى تعزيز الإيمان بالوحدة الشاملة بين العرب فى كل مكان .

وقصيدته « يارسول الله » مثل من أمثلة تحرره الفكرى ونزعته الإنسانية معا ، ويقول فيها الشاعر :

غمر الأرض بأنوار النبوة   كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت   ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس   فتحت فى مكة للنور كوه

ويقول فيها :

إن فى الإسلام للعرب علا   إن فى الإسلام للناس أخوه
فادرس الإسلام ياجاهله   تلق بطش الله فيه وحنوه

ومن شعره فى تمجيد الإسلام قوله :

سلام على الإسلام أيام مجده   طويل عريض يغمر الأرض والسما

نما فنمت فى ظله خير أمة　　أعدت لنصر الحق سيفا ومرقما

وإيمانه الوطنى ، وتضحياته الجسيمة طول حياته استجابة لوطنيته ، مثل من أمثلة الإباء والاعتزاز والصلابة التى عرف بها فرحات طول حياته ، حتى رفض المساومة واعتز بعقيدته دون أن يتزحزح عنها . ومن قصائده الوطنية المشهورة قصيدته « موطنى » المشهورة . وهى على نمط الموشحات الأندلسية التى شهر بها فرحات ونظم منها كثيرا من القصائد . ويقول فى هذه القصيدة :

نازح أقعده وجد مقيم　　فى الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم　　عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر العهد القديم فينادى
أين جنات النعيم من بلادى
زانها المبدع بالفن الرفيع　　منصفا بين الروابى والبطاح
ملقيا من نسج أبكار الربيع　　فوق أكتاف الربى أبهى وشاح
حبذا راعى القطيع فى المراح
ينشد اللحن البديع للصباح
موطنى يمتد من بحر المياه　　ممعنا شرقا إلى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه　　بجمال فائق حد الجمال
ذكره يغرى فتاه بالمعالى
أنا لا أرضى سواه فهو مالى

— ٢ —

أما حياة فرحات فهى مع ذلك قطعة من الكفاح والنضال . فقد كافح ابن « كفرشيما[١] » المولود فى لبنان عام ١٨٩٣ الفقر طفلا صغيرا . فترك المدرسة وهو فى العاشرة من عمره ليعمل سبع سنين متواليات فى الحرف الصغيرة . ثم هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠ ؛ وكان قد سبقه إليها أخوه سعد ووديع . وحل رحاله

(١) هى موطن آل اليازجى وآل شميل وآل تقلا .

فى أرض المهجر فى السابع والعشرين من سبتمبر من العام نفسه ، ولحق به إخوته كريم وسليم وأخته غنم . وبقى فى لبنان والده وشقيقاه الصغيران سعيد وجرجس وإخوته زينة ووديعة ونظيرة .

وتنقل فى البرازيل ، وعمل فى كل الحرف ، ولاقى كل الأهوال ، وعاش فى الغابات والأكواخ ؛ ولقى من الفقر فى مغتربه ما أذكى فيه روح الشاعرية وتمثل حياته فى المهجر قصيدته الرائعة « حياة مشقات » . وقد نظمها بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩٢٣ ويقول فيها :

أغرب خلف الرزق وهو مشرق
وأقسم لو شرقت كان يغرب
لئن غردت للشاعرين بلابل فان غراب البين حولى ينعب
أقول لنفسى كلما عضها الأسى فآلمها : صبرا ففى الصبر مكسب
فلولا إباء مازج الطبع لم يكن لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب

وفى قصيدته « بين البر والبحر » كذلك صورة لحياة فرحات وكفاحه وآلامه .. ! وأدب فرحات كله نبع من بيئة المهجر فقد أحرق كل ما قاله من زجل وشعر قبل عام ١٩٢٠ ، وصدر ديوان فرحات عام ١٩٣٢ ، وقدم له جورج حسون المعلوف ، واشتغل بالصحافة فى عدة صحف ، واشترك مع توفيق ضعون فى إصدار مجلة « الجديد » فى سان باولو ١٩١٩ ، ثم اشترك فى تحرير « المقرعة » عربيا وطنيا حرا ثائرا ، وكان ينشر شعره فى صحيفة « أبى الهول » وجريدة « الأفكار » .

وفى عام ١٩٢ تزوج الآنسة جوليا بنت بشارة جبران من « بشرى » .، وقصيدة « خصلة الشعر » كانت من أشهر قصائده فى مرحلة حياته الأولى ، واحتلت منزلة عالية بين أشهر القصائد فى الشعر المعاصر ، وأصدر ديوانه

« رباعيات فرحات » عام ١٩٢٥ ، وطبع ديوان فرحات أخيرا فى سان باولو عام ٩٥٤. مشتملا على (الرباعيات، الربيع ، الصيف، الخريف)، ولفرحات كتاب « أحلام الراعى » ، وقد ظهر عام ٩٥٢، وهو نقد اجتماعى لاذع[1].

وقد توليت نشر ديوانه « مطلع الشتاء » فى القاهرة عام ١٩٦٧ ، وكان الفضل فى ذلك راجعا إلى تشجيع الشاعر العراقى الكبير هلال ناجى .

— ٣ —

هذا هو فرحات، شاعر من عبقر ، تتمثل حياته وعبقريته فى شعره ، وفى دعوته للتجديد ، التجديد فى الصور والتعابير والمعانى والموسيقى ، التجديد الذى ينطوى عليه مثل قوله من قصيدته « السكرة الخالدة » :

فكم صوروا المقل الساحرات فهل صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قبل العاشقين فهل صوروا طعم تلك القبل

وهذا هو فرحات المؤمن بالعروبة وبالعرب كما يصوره لنا مثل قوله :

العرب واقفة ياشمس فانطفئى والعرب زاحفة ياأرض فاشتعلى

والداعى إلى القومية العربية التى يصورها مثل قوله :

مالشام مالبنان ماحوران ما عمان والقدس الشريف الخالد
هذى الدويلات المبعثرة القوى عمد يقوم بهن بيت واحد
قسما بأمـــة يعرب وبتربه فيها أبو الجمرات يعرب خالد
لولا مكائد بعضنا للبعض لم تنجح لأعداء الجميع مكائد
إن التعصب للمذاهب شر ما أبقى لأمتنا الزمان البائد

(١) طبع فى مطابع مجلة الشرق لصاحبها الأستاذ موسى كريم فى ١٤٠ صفحة

وهذا هو فرحات الفنان الذى يتمثل فنه مشرقا باهرا فى مثل قوله :

فر عصفور شبابى من يديا تاركا فى مهجتى جمرا ذكيا
طالما أوحى فغنيت على مسمع الليل نشيدا عبقريا
كان إن أطلقته فى جنة يلثم الزهر ويرتد إليا

وهذا هو فرحات الفيلسوف الساخر الذى تتمثل لنا سخريته فى مثل قوله :

ولما رأيت الغنى الغبى يفوز على الفيلسوف الفقير
تنهدت حزنا ورحت أقول مخاطبا الله بارى الشعوب
إلهى لماذا خلقت العقول بعصر تفكر فيه الجيوب

وفى مثل قوله :

ترى هل أعيش بقول أجدت ويالك من شاعر مفلق
خلقت شقيا وعشت شقيا وأحسب أنى أموت شقى

والذى يتمثل لنا إباؤه فى مثل قصيدته « لولا ضميرى » .

وإذا كان لفرحات صورة غير صورة حسه ، وبدنه ، فلتكن هى صورة ملاك ساحر أوشاعر فر من عبقر ، فعزف للناس أروع ماسمعوه من ألحان. وأبدع ماطوبوا له من موسيقى. صورة هزار يحلق فى السماء، ولا يبغى الهبوط إلى الأرض ، ولا يرى الناس منه إلا صوته العبقرى ولحنه العلوى .

إن فرحات فى قلب الشعب العربى المقدار لكفاحه وعبقريته، ولفرحات المجد والعزة ، ولأدبه وفنه البقاء والخلود ، وهذه بعض قصائد له :

يا عيد :

إنى التفت أرى الخلائق تحتسى راح الصفا وأنا المدامع راحى
فكأنهم قد أودعوا أتراحهم فى مهجتى فتضاعفت أتراحى

بين البدر والبحر :

أمشى من الأحزان خلف جحافل
ومن الدواهى الدهم تحت لواء
ومن البلايا المهلكات بموكب يمشى أمامى تارة ، وورائى
ياأيها البدر المنير بحرمة العليا ، بهذى الطلعة الغراء
قل هل رأيت بمن رأيت من الورى
شخصا يقاس شقاؤه بشقائى
يا أيها البحر المحرك موجه جيشا يهدد فسحة البيداء
خذنى للجك إنه أقصى أذى وأخف شرا من بنى حواء
أنا فى الوجود كمركب فى لجة لاساحل يبدو بها للرائى
غضبت عليه الكائنات فأقبلت تجتاحه بعواصف هوجاء
شق الهواء شراعه وتناولت سكانه الواهى يد الأنواء
بحر الحياة أما بقربك ساحل أرتاع عند صخوره الملساء؟
تبدو الدموع على الجفون جوائلا
فيصدهن عن السقوط حياتى

ولفرحات ديوانه أحلام الراعى الذى طبع لأول طبعة فى سان باولو بالبرازيل عام ١٩٥٢ ، ثم صدرت طبعته الثانية فى بيروت منذ أعوام ، وكتب عنه الشاعر المصرى محمود أبو الوفا فى مجلة قافلة الزيت يقول : « تسامى فرحات فى هذا الديوان حتى على نفسه ، فقد ارتفع حتى شاوى حقيقته ، واستوفى غايته ، وقال كلمته ، وأدى رسالته ، وهذا الديوان أجمل شىء فيه كان فرحات نفسه (١) » .

---

(١) قدمت عن فرحات رسالة ماجستير إلى كلية آداب القاهرة بعنوان « فرحات ، حياته وشعره » قدمها الطالب الأردنى سمير بدوان (الأخبار عدد ٤ / ٧ / ١٩٦٦ .

ويقول إلياس فرحات من مذكرات له نشرها فى مجلة القلم الجديد بعمان :

كنت حتى عام ١٩٤٧ أعتقد اعتقاداً ثابتاً أنى من مواليد سنة ١٨٩٣ ، ولكن حدث أن تسلمت منذ أيام إحدى المجلات التى تصدر فى بيروت ، وكان فى الجزء الذى تسلمته فصل عنى يقول كاتبه فيه إنى ولدت سنة ١٨٩١. وبالطبع لاأستطيع أن أجادل هذا الكاتب ، إذ لاسجل رسمى لدى ، ولأ نى لا أذكر هذا الحادث العظيم .

ومما لاريب فيه أنى ولدت فى اليوم الثامن من شهر كانون الأول فى إحدى تينك السنتين . أظل على هذا اليقين حتى يقيض الله لى كاتباً آخر يزعم أنى ولدت فى شهر شباط مثلا ، أو شهر أيلول أو نيسان .

فى هذا اليوم ، يوم ميلادى السعيد ، صرخت أول صرخة فى وجه الظلم ، وما أظن صرختى تلك كانت « موزونة مقفاة » كصرخاتى التى أرسلها اليوم .

قلت إنى ولدت فى سنة ١٨٩٣ ويقول الكاتب الذى ورد ذكره أنى ولدت فى سنة ١٨٩١ ، ولكن للحكومة البرازيلية رأياً ثالثاً فى الموضوع ، وهو لاشك أبعد الآراء عن الصحة ، مع أنه أقربها إلى القلب . تقول أوراق هويتى إنى ولدت فى اليوم الثامن من شهر كانون الأول سنة ١٩٠٠ « ألف وتسعمائة فقط لاغير ، وفى الأمر سر لابد من إماطة اللثام عنه .

عندما تزوجت ، أو عندما عزمت على الزواج ، كنت أقطن فى مدينة كوريتيبا عاصمة ولاية برنا ، وكانت العروس تقطن فى بلدة ريو نيغرو من تلك الولاية . ولما كان لابد من تقديم أوراق هوية رسمية لإتمام معاملات الزواج المدنى ، ولم يكن لهذه الأوراق من أثر ، وكانت خطيبتى وذووها يجهلون تاريخ ميلادى ، فقد قدروا عمرى آنذاك تقديراً يتفق ورغبة العروس

طبعاً .. إذ زعموا أنه واحد وعشرون عاماً .. وكان ذلك فى منتصف عام ١٩٢١، وهكذا جاء عمرى ناقصاً فى رأيى سبع سنـــوات ، وفى رأى الأديب « الدرويش » تسعاً .

بعد سنوات أصدرت الحكومة البرازيلية أمراً لكل إنسان يقطن فى البرازيل بأن يحمل دفتر هوية ، وكان على الذين لا أوراق رسمية لديهم تثبت تاريخ ميلادهم ، أن يقدموا أوراق زواجهم ، إذا كانوا متزوجين ، وأنا كنت من هذا الصنف ، فقدمت إلى الدائرة المختصة فى هذا العمل أوراق زواجى ، على أنى أفهمت المسجل أن عمرى مغلوط فيه ، وأنى من مواليد سنة ١٨٩٣، فنظر فى الورقة التى أعطيته إياها ، وجمع وطرح وضرب ، ثم أنشأ يقول — وعمر السامعين يطول — : جنابك غلطان ... إنك بحسب أوراقك هذه من مواليد سنة (١٩٠٠) فقط . قلت : ولكن هذه أوراق مغلوطة ، وأنا أدرى بعمرى من كاتبها ! فقال باسماً : لا بأس ، ويجب أن لا تغضب ، فانك ستخرج من هنا راجعاً سبع سنوات إلى الوراء ، ولو كنت امرأة لخرجت شاكراً مسروراً . .

وكان فى جانبى ساعتئذ رفيقى وصديقى الحميم خليل كرم ، وكان يزعم غروراً منه ، أنه أصغر منى سناً ، فنظرت إليه وقلت بلهجة المنتصر : والآن... أتكذب الحكومة البرازيلية وهذه الأوراق الرسمية ؟! فاصفر لونه ، وبلع ريقه وسكت .

وأبى هو حبيب فرحات ، ويقول شيوخ الأسرة : إن نسب فرحات يرجع إلى أسرة حيدر ، أو أبى حيدر ، فى بسكنتا ، وإن فرحات هذا ، لو أباه أو جده ، نزح من بسكنتا وأخوين له ، اسم أحدهما عبد الله ، وهذا سكن (بطشى) ، واسم الآخر نمر ، وهذا نزل فى (وادى شحرور) . وأنا أعلم أن لنا أنسباء نعرفهم ونزورهم ويزوروننا فى بطشى ووادى شحرور .

والأم هى كاتبه بنت كامل كامل من بيروت ، حى مزرعة العرب « حى

القبضايات ، وأعلم أن أصل المرحوم جدى كامل من وادى شحرور ، ولا أدرى إذا كان هو الذى نزح إلى بيروت أو أبوه أو جده .

ومسقط الرأس (كفر شيما) ، وهى قرية تقع فى الجنوب الشرقى من بيروت، عند طرف صحراء الشويفات الشمالى الشرقى، بين الحدث والشويفات ووادى شحرور ، ينتهى عندها الساحل ويبتدىء الجبل ، وهى غزيرة المياه ، كثيرة البساتين ، وفيرة الاخضرار ، تقوم أبنيتها على تلين متقابلين بينهما فسحة ، تملأها الحدائق ، وعلى تل ثالث أعلى من أخويه يتجه إلى البحر . وفى قمة هذا التل دير لطائفة الروم الكاثوليك (دير القرقفة) تحيط به أشجار الصنوبر الجميلة الغضة ، هذه هى كفر شيما : تلان منبسطان متقابلان كأنهما جناحا طائر ، وتل فى الصدر شامخ كأنه صدر هذا الطائر ، ودير فى قمة هذا التل الشامخ كأنه الرأس يكسوه ريش أخضر . .

تبعد كفر شيما عن بيروت نحو ثمانية كيلومترات (أو عشرة) فإذا سار المسافر من بيروت على طريق صيدا ، واجتاز « الحدث » - حدث بيروت - يصل إلى نهر الغدير فيقطعه على جسر حجرى جميل مؤلف من خمس قناطر وما إن يصل إلى طرف الجسر حتى يخرج من الطريق العام فرع يتجه شمالا . هذا الفرع من الطريق يؤدى إلى كفرشيما الواقعة على مسافة كيلومتر واحد من الجسر .. ولكفر شيما فى تاريخ الأدب العربى الحديث ذكر ممتاز ، فمن هذه القرية الصغيرة طلع آل الشميل ، وآل تقلا ، واليازجى ، وكسبانى ، وغيرهم ، وفى هذه القرية فى بيت متواضع من (حارة المجادين) على مقربة من محلة (الرملية) ، ولد صاحب الترجمة .

على أنى لا أذكر من طفولتى إلا أنى كنت ولداً كالأولاد الذين يلعبون فى ساحة (الرملية) التى كانت تعقد فى دكاكينها مجالس الرجال ، وأذكر أنى كنت محبوباً من هؤلاء لشدة حافظتى ، و « خفة دمى » . . فكان إذا جاء « النور» إلى الساحة فرقصوا وغنوا بلغتهم المخاوطة ومضوا ، دعانى الرجال

إلى تقليدهم ، فرقصت وغنيت بتلك اللغة بدون أن أفهم منها حرفا ، ولكنى كنت أتقن التمثيل كأنى «فرخ نورى» .. ولا أزال أذكر من ذلك الغناء الجميل مقطعاً وهو (آرم بارم شاردما) ، وأذكر أنى عندما كنت ولداً لا يتجاوز عمرى ست سنوات ، وكنت ألعب حسب العادة فى الرملية ، دعانى شاب اسمه خريستو — توفى وأناصبى — لآخذ حماره إلى العين فأسقيه ، فسررت لهذه الدعوة سروراً عظيما ، لأن العين تقع فى منتصف القرية ، ولأنى سأذهب إليها راكباً الحمار .

ولما كان الحمار كبيراً ، وكنت أنا صغيراً ، جررته بالرسن إلى قرب حائط ثم علوت الحائط وقفزت ، فجاءت قفزتى أكبر مما يجب أن تكون ، إذ وقعت على الأرض إلى الجانب الآخر معفراً بالتراب ، وصوت صراخى يملأ الساحة ، فتراكض الرجال فرفعونى ونفضوا ثيابى وأخذونى إلى البيت — وهو قريب — مكسور الذراع أو «مفكوشها» .. فبقيت أكثر من شهر طريح الفراش .

وأذكر أنى كنت مرة ألعب فى الساحة ، فجاء رسول من البيت يقول لى : إن أخاك وديعاً جاء من بيروت وقد جلب لك طربوشاً جديداً ، فطرت إلى البيت فرحاً ، ولكن وجدت فيه بدلا من أخى وديع ومن الطربوش الجديد ، رجلين غريبين ، فأمسكانى وكشفا عن ذراعى وأجريا لى عملية التلقيح ضد الجدرى ، ولا يزال أثر هـذا التلقيح ظاهراً على عضدى كأنه «ريال مجيدى» . . .

وكان على أن أذهب إلى مدرسة الدير لأتعلم القراءة عند أحد القسوس ، والمدرسة تبعد عن البيت أكثر من كيلومترين ، وقرب البيت مدارس غيرها ، ولكن «ابن الطائفة يجب أن يدرس فى مدرسة الطائفة» حتى لا يهرطق طبعاً .. فكنت أذهب إلى هذه المدرسة كل يوم ، وكنت كما قلت سابقاً

سريع الحفظ ، لايكاد يجاريني فيه واحد من زملائي ، وهكذا كنت أبدأً في المقدمة ، وكان القسيس المعلم يعطيني « الرسائل » كل سبت ، محتما على قراءة الفصل الخاص منها في الكنيسة صباح الأحد ، فكنت آخذ الكتاب كله إلى البيت وأدرس ليلا الرسالة التي على أن أقرأها في الكنيسة في اليوم التالي ، أدرسها حتى أغيبها ، وفي القداس كنت أضع كتاب الرسائل على (القراية) وأتوسط الكنيسة ولا كتاب في يدي ، فأقرأ الرسالة غيباً وأنا « مكنفش » زهواً واعتزازاً .

لا أذكر السن التي ابتدأت أذهب فيها إلى المدرسة ، على أني أؤكد أني تركت المدرسة — مدرسة الضيعة — ولي من العمر عشر سنوات ، ثم لم أدخل بعدها مدرسة أتعلم فيها قط ، بل ذهبت إلى مدرسة في الشويفات مع رفاق لي مدة أسبوع ، ثم تحولت عنها إلى مدرسة أخرى في وادي شحرور كنت أذهب إليها وحدي مدة شهر ، وكانت تدير هذه المدرسة نسيبة لي من وادي شحرور اسمها المعلمة (ليا) وكانت تعلم مبادىء الإنكليزية ، وكانت رغبتي — بعد أن حفظت العربية ... « صرت اقرأ المزامير ... » — في أن أتعلم الإنكليزية . فغار مني ابن عم لي اسمه سبع — سبع فرحات — وهو أكبر مني سناً ، فذهب معي إلى مدرسة النسيبة أسبوعا ، تشاجر في آخره مع أولاد الوادي فشج رأس أحدهم ، وكانت هذه الشجة آخر عهدي بالمدارس. إذ خفت بعدها أن أذهب إلى الوادي فيثأر مني الأولاد .

وقبل أن أودع المدارس نهائياً ، كنت أصبحت في نظر الأولاد « قوالا » أي أني كنت اشتهرت بقول الزجل اللبناني المعروف « بالقرادي » .

وكان صديق لي اسمه حليم يشتغل في معمل للكراسي في بيروت وكان هذا المعمل لرجل من كفرشيما اسمه إبرهيم هاشم فرأيت أن أذهب مع حليم فأتعلم صناعة الكراسي في معمل إبراهيم الكائن آنذاك في بيروت على (طريق الشام) فاستأذنت والدي فأذنا لي بذلك ، وهكذا ابتدأت أعمل وليس لي من

العمر أكثر من عشر سنوات وبضعة أشهر ، وكان على أن أتعلم قبل كل شيء تسخين الغراء ثم تقشيش الكراسى ، أى نسج مقاعدها على أن ترددى إلى معمل إبراهيم هاشم لم يطل أمره . وذلك أنى هجوت الرجل بردة قرادى نقلها إليه أحد الزملاء فى العمل فطردنى . فنقلت إلى معمل آخر قريب منه ؛ وكان هذا الرجل من كفر شيما أيضاً ، واسمه سعيد سعاده .

ظللت أكثر من سنة أشتغل فى معمل سعيد ، وكان معظم رفاقى من أولاد الضيعة ، وكنا ننام فى المعمل ولا نرجع إلى الضيعة إلا مساء السبت من كل أسبوع ، حيث نقضى فيها الأحد ونعود الاثنين إلى بيروت ، وكنت فى بعض الليالى أذهب إلى بيت خالة لى فى « مزرعة العرب » قرب كنيسة « مارميخائيل » فأنام هناك ، وكانت خالتى تقص على ولديها سليم وخليل نوادر وحكايات عن القديسين وعجائبهم .. وأذكر من قصص خالتى قصتين الواحدة منهما أشد غرابة من الأخرى الأولى حكاية دير مارجريس الحميراء ، ومائه الذى ينبع من مكان ما ثم يجرى إلى أراضى الدير مجتازاً أرضاً للمتاولة دون أن يروى فيها نبتة واحدة ، لأن مارجريس — عليه السلام — لا يحب المتاولة. فكان يأمر المياه أن تنزلق عند مرورها فى أراضيهم انزلاق القطرة الواحدة عن لوح الزجاج ، حتى إذا وصلت إلى أراضى الدير « انفكشت » فيها وتغلغلت ، وروت من الأشجار والأعشاب ماشاء ماجريس أن تروى .

والحكاية الثانية حكاية « مارميخائيل » وكنيسته القريبة وجرسها كانت خالتى تؤكد لنا أن جرس كنيسة مارميخائيل يدق لنفسه بقوة عجائبية . وأن البخور يتصاعد من قبة الكنيسة كلما قتل مسلم مسيحياً فى المدينة . . . ولم تكن هذه العجيبة إلا دعوة لقبضايات المزرعة ليتسلحوا ويثأروا للمسيحى القتيل .

لابد من الاعتراف بأنى كنت قليل الثبات فى العمل فكنت دائم الانتقال من معمل نجارة فرنجية إلى نجارة عربية ، وبالعكس ، وكانت دائرة شهرتى

كقوال « مغنى وقرادى » آخذة فى الاتساع فبعد أن كانت محصورة بين أولاد المدرسة ، انتشرت بين أولا الضيعة وشبانها ، فصار هؤلاء لا يعقدون مجلس طرب إلا وأنا معهم ، يأخذوننى إلى الأفراح والأعراس «لأنازل فحول القول» ولقد فاتنى أن أقول إن المرحوم والدى كان فى شبابه « قوالا » وعليه فإن «مرضى وراثى » .

قلت إن المرحوم أبى كان فى شبابه قوالا ، فأنا لم أسمعه يغنى ولا مرة ، لأننى إذ كنت صبياً كان هو قد تجاوز الكهولة إلى الشيخوخة ، ولكننى كنت أسمع عنه ما يزيد رغبتى فى « الفن » ويحفزنى إلى مجاراته . وأذكر أنه أول مرة سمعنى أغنى على ضفة نهر الغدير قرب الجسر ، منازلا المرحوم سعيد الكلارجى ، وكان هذا قوالا مشهوراً ، بكى سروراً .

فى تلك السن المبكرة غزا الحب قلبى... غزاه بطريقة وحشية جنونية ، ملأت أوساطه وحواشيه ، ولم تترك فيه « مغرز إبرة » خالياً.. كانت «العروس» نسيبة لى ، وكانت فى فجر صباها ، يتدفق سحر الأنوثة من عينيها السوداوين الواسعتين ، كانت فى مثل السن التى كنت فيها ، أو كانت أصغر ، منى قليلا رجع أبوها من أميركا وهو على شىء من الغنى بالنسبة إلى محيطه ، وإلى غنى تلك الأيام . وكان ميالا إلى الأدب .

يروى كثيراً من أخبار العرب وأشعارهم ، ويشترك فى مجلة (الهلال) وكانت هى — العروس — متقدمة على فى « المعرفة » فرأيت أن أسابقها ، وأسبقها ، فكنا نجلس « أناوهى » فنقرأ (الهلال) ونقرأ روايات الهلال ، ونقرأ كل ما يقع فى أيدينا من كتب ، وكنا إذ نقرأ رواية (فتاة غسان) لزيدان ، نغير اسمينا فأصير أنا « حماداً » وتصير هى (هنداً) وهما اسما بطلى الرواية ، وكنا لما يجمعنا من لحمة النسب نجتمع أبداً وبدون تحفظ ، حتى اشتهر فى القرية أمر حبنا ، ولما كنا فى حكم العقلاء طفلين ، رأى والدانا

أن يحدا من « طيشنا » فأرسلها أبوها إلى مدرسة داخلية للراهبات فى (برج البراجنة) القريبة من كفر شيما ، وأرسلنى أبى مع (أولاد كنعان) إلى زحلة . وأولاد كنعان جيران لنا فى كفر شيما ، كانوا يشتغلون فى زحلة نجارين ، وكانت لهم شهرة تتفق مع إتقانهم العمل واجتهادهم فيه حتى إنهم كادوا يحتكرون النجارة فى تلك المدينة الجبلية ، فقلما قام فيها بناء جديد إلا صنعوا هم « منجوره » . وأظن الآن أن للطائفية دخلا فى هذا النجاح ، فهم من طائفة الروم الكاثوليك ، ومعظم سكان زحلة من هذه الطائفة . وبهذه المناسبة أذكر أنه عندما كنت معهم فى زحلة كان ممن معنا فى جملة العمال رجل حلبى ، فكان يقول لى ضاحكا — « ولك إلياس . . انتو الكواتلى وين فى منكم غير فى حلب وفى زحلة ، وفى جهنم ؟ ؟ ؟ » صدق والله ...

ولكن زحلة بعيدة ، وأنا يكاد الشوق إلى الضيعة يميتنى ، وذكر الحبيبة وخيالها يملآن كيانى . فرحت أنظم الأزجال والأشعار التى يعلم الله كيف كانت من حيث اللغة والصرف والنحو . على أننى أكاد أؤكد الآن أنها من حيث الأوزان كانت « مضبوطـــة » ، لأنى لا أذكر أن لى شعراً مكسوراً .

بقيت فى زحلة شهوراً كانت كأنها أعوام ، لم يكن يصل إلى يدى من المال ما يكفى لشراء جواز سفر إلى كفر شيما ، وكنت أتهيب الهرب إليها مشياً على الرجلين . ففى أحد الأيام كتبت إلى المرحوم أبى هذه « القرادية » :

العصفور اللى بعد صغير متشـــوق للضيعة كتير
فى سجنو مش راح يبقى بس يريش بدو يطير

ولما كان المرحوم من « أولاد الذكاء » ، فهم حالا ما أريد ، فكتب إلى « المعلمين » أن يشددوا على المراقبة ، ويمنعوا عنى أية كمية من النقود تكفى لجواز سفر . . . وأخيراً رأيت أن لابد من الهرب ، فهربت مشياً إلى أول محطة للقطار ، وهى : « سعد نايل » وهناك اختبأت بين الأكياس المعدة

للشحن ، حتى إذا وصل القطار دخلته متوكلا على الله وعلى « آدمية » المفتش، الذى لم يخب ظنى فيه ، لأنه عندما وصل إلى وسألنى عن الجواز ، أفهمته أن لا جواز ولا نقود وأنى من كفر شيما ، وأريد أن أرجع إلى أهلى ، فشفق على وتركنى .

وصلت إلى البيت بغتة ، فاستقبلتنى أمى — رحمها الله — بالتقبيل وتظاهر أبى بعدم الرضى ، ثم لم يلبث أن رضى . وثانى يوم وصولى ذهبت إلى برج البراجنة لأزور نسيبتى المحبوبة المسجونة فى المدرسة متسلحاً بالقربى. فلما جاءت الراهبة لترى ماذا أريد . أفهمتها أنى نسيبت أنيسة وأنى أريد مشاهدتها فدعتها فجاءت ، فكاد يغمى على إذ وقعت عينى عليها ، ووضعت يدى فى يدها مسلماً وكنت وإياها نرتجف كأننا تحت عاصفة ثلجية ، ولم نكن إلا تحت عاصفة نارية . . وكانت الراهبة كريمة فإنها إذ تأكدت إننا نسيبان تركتنا وذهبت « فجلسنا على مقعد هناك أسألها وتسألنى وأعيننا الأربع تقابل كل منها أختها لاتحيد عنها قيد شعرة . واذكر أنى سألتها عن كتاب « مجنون ليلى » ، وكنت تركته لها فقالت باسمة — أطعمونى عليه بجدرة...» ثم أخبرتنى أن الراهبات إكتشفنه معها فأجبرنها على طرحه فى الموقد لأن الحب « خطيئة مميتة » .

لم يطل جلوسنا معا ، لأن الراهبة عادت تدعوها إلى الدرس فنهضت ونهضت أودعها بالنظر دون اللسان ، لأنى شعرت ساعتئذ أنى أخرس .

وكان آخر عهدى بالتجارة سفرة فاشلة قمت بها إلى « زحلة » حيث سرقت هناك ثيابى ، وسقطت فى نهر الصفا فى مكان قرب ينبوعه المتدفق وقد نجوت من الغرق بأعجوبة ، ولما رجعت إلى البيت بعد أشهر قليلة ، كان الوسخ يغطى ثوبى الوحيد الذى تركه لى السارق ، وكان شعر رأسى نازلا على كتفى كشعر فنانى الأفرنج فى القرون الماضية على أن حنان الأم لم ير الوسخ ، ولم يهتم بالشعر الطويل فتلقتنى بالتقبيل ودموع الفرح بعودتى

إلى البيت تجول بين أجفانها . وأما أبى فتلقانى ببرودة مصطنعة لم تلبث أن زالت ، فإنه كان ـ رحمه الله ـ رجلا طيبا يأبى أن يوجه إلى أو إلى سواى كلمة سوء ولم يكن كالوالدين الذين يرغمون أولادهم على اتباع خطة معينة يرسمونها لهم .

بعد أيام من رجوعى من عين زحلة لقيت صديقا لى يعمل فى إحدى جرائد بيروت منضد حروف ، فقلت له إنى سأكون رفيقه ، وسأتعلم صنعته تاركا صنعة النجارة ، فسر بهذا وأقرنى عليه ، الأمر الذى ضاعف رغبتى فأطلعت والدى على رغبتى هذه ، فقال الوالد باسماً — « حسن جدا ، ستصير إن شاء الله (جرنالجى) » .

هبطت بيروت ورفيقى المنضد ، فأخذنى إلى إدارة جريدة (الوطن) وكان صاحبها آنذاك الشاعر شبلى ملاط . ولأول مرة فى حياتى وقع نظرى على شاعر . وأذكر الآن أن الملاط أسمر شـــديد السمرة ، وجهه منقوش بالجدرى .

فى مطبعة (الوطن) تعلمت « صف الحروف » وقد كنت أحب هذا العمل لأنه يدنينى مما أريد من القراءة قراءة الجرائد والكتب ، وسماع أحاديث الأدباء . ومن جريدة الوطن نقلت إلى جريدة الحقيقة لصاحبها الشيخ عباس الأزهرى — رحمه الله — وكان شيخاً جليلا وقوراً فى غير عبوس ، مع أن اسمه « عباس » . . . وأذكر أنه كان لطيفا مع صغار عمال المطبعة ، يكلمهم كما يكلم أولاده . وأذكر كذلك أنى عرفت ولده الأستاذ كمال .

صور من شعر إلياس فرحات

الراهبة [1]

أطلت من الدير عند الضحى   وفى ناظريها بريق الأسى
فتاة كأن الإله براها   ليجعلها فتنة للنهى
ولكنها فى صباح الحياة   علا وجنتيها شحوب المسا
رماها الزمان بهجر الحبيب   فداوت ضلال الهوى بالهدى
تصلى فتحسبها دمية   من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع   فيوشكن يلثمنها من جوى
تحاول نسيان محبوبها   وزهو الشباب وعز الغنى
وأقسى من الحب كتمانه   وأنكى من الهجر فقد الرجا
ولما بدت شمس ذاك النهار   بدت خارج الدير ذات التقى
تجمع من حوله ضمة   من الزهر تهدى لفادى الورى
فبينا تسير على مهلها   وتجمعها من هنا ومن هنا
وقد عانق الورد فى كفها   حسان الشقيق عناق الهوى
رأت زهرة فى أعالى الجدار   تداعبها نسمات الصبا
فأعجبها شكلها المستطيل   ولون كقوس السحاب زها
وقد زاد فى قدرها أنها   تعز على من يريد الجنى
فحرك منظرها نفسها   وقالت بملء الحنان لها :
ـ أخية يهنيك هذا السمو   وهذا البهاء وهذا الرضى
ولكن أما كان أشهى لديك   جوار الأزاهير بين الربى
تحوم عليك بنات القفير   وتسعى إليك صبايا القرى

---

(١) ديوان فرحات ص ١٣٦ .

وتسمعك الطير إنشادها ... ومنه الحجاز ومنه الصبا
لأنت تعيشين فى عزلة ... فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ... ومن يتنشق هذا الشذا ؟
وفى الليل سارت إلى خدرها ... وفى قلبها مثل نار الغضا
ولما نضت ثوبها لتنام ... تبين من حسنها ما اختفى
فمدت إلى صدرها كفها ... وقد فتح الورد تحت الندى
وقال لها قائل صامت ... وكان الذى قيل رجع الصدى
— وأنت تعيشين فى عزلة ... فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ... ومن يتنشق هذا الشذا ؟ !

لولا ضميرى (١)

توالت هموم الحياة عليا ... ولولا ضميرى لعشت خليا
فكم ثروة تعجز الحاسبا ... تسلمت وهى لبعض التجار
فقلت أفر بها هارباً ... فقال ضميرى حذار حذار
فأرجعتها وغسلت يديا ... ولولا ضميرى لكنت غنياً
وبكر أتت حجرتى موهنا ... يقود خطاها غرور الصبى
فقلت سأبلغ منها المنى ... فقال ضميرى ألست أبا ؟
فأغمضت عن حسنها ناظريا ... ولولا ضميرى جنيت الشهيا
وسابقت فى الشعر فرسانه ... فقصرت عن فارس مفلح
فقلت أعرقل ميدانه ... فقال ضميرى ألا تستحى ؟
فعدلت حب التفوق فيا ... ولولا ضميرى تركت دويا
شكوت ضميرى شكوى الجهول ... ونحت على الحظ نوح الغراب

---

(١) ديوان فرحات ص ٢٤٨

فأسمعنى الله صوتاً يقول   أتشكو ضميرك يا ابن التراب
ولولا ضميرك ماكنت شيا   ولو كنت من نيرات الثريا !

دار العروبة (١)

دار العروبة دار الحب والغزل   هاجرت منك وقلبى فيك لم يزل
هلا مننت بلقيا أسترد بها   فجر الشباب فشمس العمر فى الطفل
هذى الغريبة ما زالت تقبلنى   والسم يقطر من أنيابها العصل
والله يشهد أنى كلما رجعت   منى إليك الصبا حملتها قبلى
أنت الحبيبة لاهذى التى زرعت   فى المشيب فلاح اليبس فى السبل
الحسن فيها جديد وهو مبتذل   والحسن فيك قديم غير مبتذل
ما للعذول إذا حييته كرماً   رد التحية مزوراً كذى حول
أساءه أن حبى ثابت أبداً   وأنه قد أضاع الوقت فى عذلى
أكان يرضيه منى أن أعق حمى   ربى الأنام وأغنى الأرض بالرسل
وأن أعين على تمزيق وحدته   مفرقاً بين جفن العين والكحل
وأن أفضل إيليا على حمد   وأن أفاخر بالقديس كل ولى
وأن أذم جموع العرب قاطبة   وأن أقدس ذكرى الغاصب النغل
إن كان هذا الذى يرضى العذول فلن   يرضى ولو رد أيام الفتوة لى
لاتخدعنك أصوات يكبرها   بوق الغريب لغدر بالوفاء طلى
إن العروبة فى لبنان سائدة   من أخمص البحر حتى مفرق الجبل
إن كان يسمع فيه همس فرنجة   بيض الصوارم لاتخلو من الفلل
لسنا نجادل عمياً يطلبون على   ضوء النهار دليلا والنهار جلى
أو يلصقون بأنساب تباعدهم   عن أقرب الناس إرضاء لذى دخل

(١) ديوان فرحات ص ٢٧٤

أو يجعلون من الإسلام داهية ... دهماء تبتر ماروناً بسيف على
أو ينحتون كهوفاً من تعصبهم ... للعقل يقبع فيها غير منتقل
بل نرفع الحق مشعالا ليقصده ... عشاق غرته من أقوم السبل
فلينظر الناس هل من أمة فعلت ... للمجد فعل رعاة الشاء والإبل
العابدين إله المجد من قدم ... والسابقين إليه أقدم الملل
والناقشين على الأسياف آيته ... والشارحين معانيها على القلل
من يلقهم ونيوب الحرب دامية ... يلق الضراغم فى غاب من الأسل
ومن يلذ بحماهم حين يطلبه ... ريب المنون ينل عهداً من الأجل
العرب واقفة ياشمس فانطفئ ... والعرب زاحفة ياأرض فاشتعلى
فى مسمع الدهر أصداء محدثة ... عن عاصف بصهيل الخيل متصل
نار المحارق فى أسبانيا أكلت ... باسم الصليب نتاج العلم والعمل
كأنما لهب النيران ألسنة ... تشكو إلى الله جند الغى والخطل
فالتاركون لنا مجد الظبي تركوا ... مجد اليراع فتم الإرث للبدل

لا تظى (١)

لاتبينى فإن فى القلب وجدا ... ذا ضرام يزيده البين وقدا
لاتبينى عن عالم لك ابنتيه ... تلاقين فيه عطفاً وودا
عالمى جنة إذا سرت فيها ... صار فيها التراب مسكا ونداً
جنة للغرام تنشد فيها الطير ... لحن الخلود خطفاً ومدا
تكتسى أرضها إذا هزت ... الريح الأماليد ياسميناً ووردا
والأزاهير تكسب الطل لوناً ... مستحباً من لونها مستمدا

---

(١) مجلة الشرق ١٩٥١

فهو در وعسجد وعقيق فوقها ، آه لو انتظم عقدا
لتقدمت غير وان إلى من هى أسمى منه وأسنى وأندى
ربة الحسن والذكاء ومن تقطر ألفاظها رحيقا وشهدا
قائلا هـــذه نجوم من الشمس إلى أختها الصغيرة تهدى
فاقبليها فهى التى صاغها الفجر فجاءت بلطفها لك ندا
واعذرينى مقصرا فانا أملك قلباً ولست أملك نقداً !
إن سراً كتمته كان قلبى مهده يوم كان يصلح مهدا
أم حنانا كما أرجى وحبا يجعلان اللظى سلاماً وبردا ؟
ليت شعرى ماذا يكون نصيبى منك إذ ينجلى أعتباً وصدا
لا تظنى بى الظنون إذا كنت اسمى ليلى ولبنى وهندا
أنا من يعرض الزجاج ويخفى الماس إن اللصوص كالرمل عدا
أنت قصدى دون الأنام ولكنى أسمى سواك فى الشعر عمدا
أنت قصدى وكل أسماء حواء ثياب لاسم حبيب مفدى

ياساتر(١)

وقفت صباحاً على ربوة يرصعها زهر زاهر
والمريج فيها تنفس بكر يثير جواها هوى باكر
وما حولها من جمال الرياض له أول ماله آخر
يسرح فيها الفتى طرفه وفى وصفها فكره حائر
رأيت الفراش خلال الورود فلم أدر أيهما الطائر
وهذى الحقول بألوانها مطارف ناسجها ماهر
وحالت بواسق دون الخضم رواقص يطربها صافر
موائس يضفو عليها الهزار ويحلم فى ظلها الشاعر

---

(١) مجلة « الشرق » السانبولية أيلول ١٩٥٠

عرائس ناشئة فى الدلال مآزرها الورق الناضر
فلم يبد منه سوى جانب صغير فغاص به الخاطر
فقام القليل مقام الكثير ودل على الغائب الحاضر
كدرزية فى ربيع الحياة يسودها حسنها الباهر
تغطى بمنديلها وجهها ليسلم من سحرها الناظر
وتكشف للناس عن عينها وفى عينها يكمن الساحر!

خصلة الشعر

خصلة الشعر التى أعطيتنيها عندما البين دعانى بالنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها وسأتلوها إلى اليوم الأخير!
خنت عهد الحب لابأس! فانى مكتف بالأثر الغالى الثمين!
فإذا ماعدت أحيا بالتمنى بعد أن منيتنى عشر سنين
أحمد الله ، فما الإخلاف منى إننى كنت لك الصب الأمين
راجعى سيرة حبى . . راجعيها فهى نور ساطع للمستنير
وإذا مرت بك الريح سليها إنها تعرف من أمرى الكثير ؟
هيكل الحب تداعى وترامى تاركاً للعين أطلال الوفاء
كتباً توقظ فى قلبى الهياما كلما نام على ذكر الجفاء
إننى أرنو إلى الخط احتراما فأرى فى الخط أنقاض الرجاء!
وأرى الأسطر آثاراً تقيها غيرتى الشماء من عبث العصور
وأرى الحبر وقد جف شبيها بدم جف على بعض الصخور
وأرى ـ فيما أرى ـ شكلا فظيعا خصلة الشعر أراها فأخال
جثة الحب وقد خر صريعاً تحت أنقاض عليها الدمع سال
فيفيض القلب من عينى دموعا وتروح الروح عن دنيا الضلال
تلك آثار هوانا! فانظريها تعلمى ماذا جنى ذاك الغرور

ودموع صنتها لاتذرفيها ليس يمحو جرمك الدمع الغزير !
ربطة القلبين حلتها يداك ويدى تأبى امتهان الشعرات
لم يحركها إلى الإثم جفاك فهى لاتعرف غير الحسنات
لمسها مجموعة الشعر يحاكى لمس هذا الثغر تلك الوجنات !
إن أعد بعد التنائى تبصريها مثلما سلمتها يوم المسير
فهى كالطفلة فى حضن أبيها لاترى إلا حناناً وشعور !
هى أصفى منك حباً ووداداً هى أوفى منك رعياً للذمم !
هى فى غى الصبا لم تتمادى هى لم تتبع هوى جر ندم
أنت قوضت من الحب العمادا أنت خنت العهد عمداً ، وهى لم
لم تراوغ ! لم تر الصب بفيها عسلا ، والخل فى القلب يفور
قد وفتنى ، وأنا أيضاً أفيها فكلانا حافظ عهد العشير !
كلما أذكر أيام صبانا ولياليها اللذيذات العذاب
تصهر الأحزان فى صدرى الحنانا فأقاسى كل أنواع العذاب
فإذا أيقنت أن الموت حانا وتصورت نزولى فى التراب
نشقة من خصلة الشعر تليها قبلة تخمد ذياك السعير
فتخوض النفس بحر الأنس تيها ويزول اليأس عن قلبى الكسير

يانجمة الليل

أراك مؤرقــة هاجدة فهل أنت عاشقة واجدة ؟
وهل مضك الحب يوماً فهمت
كما همت بالظبية الشاردة ؟
وهل أنت مثلى رأيت الحياة صعوداً فجبت الفضا صاعدة ؟
وهل لقنتك كما لقنتنى الليالى دروساً بها الفائدة
وهل سلعة الحق فى سوقكم كما هى فى سوقنا كاسدة

وهل عندكم من يدوس أخاه ... لأجل مآربه الفاسدة ؟
وهل للنضار هناك عبيد ... تظـــل محاسنه عابدة
وهل يستر « القرش » عار اللئيم ... فيخفى عن الأعين الناقدة
وهل فى السماء كما فى الثرى ... شرور ترى أبداً سائدة ؟
إذا كان هـذا الذى فى السماء ... فنفسى به وبهـا زاهدة !
إلهى ! جعلتِ الحياة نعيما ... فمـالى أرى نارها واقدة ؟
وصيرت قاعدة العيش حبا ... فشذ الجميع عن القاعدة
أرى المال أفسد قلب الوجود ... وأيقظ أطماعه الراقدة
وحلت محل الرءوس جيوب ... لـكل معانى الهوى فاقدة !
فحقرت الأنفس الصالحات ... وقدست الأنفس الحاقدة
بـكيت وإن الخلائق تبـكى ... وليست مدامعها الشاهدة
فـكم مظهر فرحاً والهموم ... تماشيه قائمـــة قاعدة
تسيل مدامعه فى الضلوع ... وتبدو بأجفانه جامدة
وما أدمع تحرق القلب حزنا ... لدى الحق كالأدمع الباردة ...
أحن إلى الغاب حيث الشرور ... هنـــالك نيرانها خامدة
أحن إلى حيث لايجلس الغد ... ر قرب الوفاء إلى مائدة !
أحن إلى حيث لا المنـكرات ... تعيش ولا الأعين الحاسدة
فهل من فتاة كعاب تـكون ... رياح مطامعها راكدة ؟
تحن حنينى وتلقى على الـكو ... ن نظرة عاقلة راشدة ؟
فأمنحها مهجتى ونعيـش ... بعيدين عن عصبة جاحدة
ويفرح قلبي الحزين بها ... كما يفرح الطفل بالوالدة
فإن مسها الداء يوماً ونامت ... تراقبهـا مقلتى السـاهدة !
وأن أمت القبر قبلى تظل ... ترافقنى روحها الخـــالدة
ولست أبالى ولو كلمتنى ... بإحدى لغات الورى البائدة

إذا مالغات الشفاه اختلفن فما للقلوب سوى واحدة !
خفوق يخـــر لديه البيان وتعنو المعانى له ساجدة . .

موطـــنى

نازح أقعـده وجـد مقيم فى الحشا بين خمود واتقاد
كلمـا افتر له البـدر الوسيم عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر العهد القديم فينـادى
أين جنـات النعيم من بلادى ؟
زانها المبدع بالفن الرفيع منصفاً بين الروابى والبطاح
ملقياً من نسج أبـكار الربيع فوق أكتاف الربى أبهى وشاح
حبذا راعى القطيع فى المراح
ينشد اللحن البديع للصبـــاح
موطنى يمتد من بحر المياه ممعناً شرقاً إلى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه بجمال فائق حد الجمـال
ذكره يغرى فتـاه بالمعـالى
أنا لا أرضى سواه فهو مالى !

السكرة الخالدة

سكرت بعينيك منـذ الأزل وها أنا فى سكرتى لم أزل !
ألا تذكرين الزمان القـديم ألا تذكرين العصور الأول ؟
ألا تذكرين بأنا وجـــدنا محبين قبل وجود الغزل ؟
وأنا شهدنا سقوط العروش وأنا شهدنا قيـام الدول ؟

تحولت فى الروض من زهرة   إلى نحلة لا تطيق الكسل
وكنت رفيقك فى الانقلاب   وعونك عند ازدياد العمل
نطير إلى الروض عند الصباح   وننقل من زهرها ماانتقل
ونحتال فى صنع تلك الشهاد   وإن قوام الحياة الحيل
ومن ذلك الوقت كنت تحلين من صدر صبك أسمى محل
وفاجأنا الموت يوماً فمتنا   ولكن مماتاً قصير الأجل
وكان الوجود الجديد نعيما   لبسنا به زاهيات الحلل
فصيرنا الله زوجى حمام   نغنى الضحى ، ونغنى الطفل
وفى ليلة من ليالى الشتاء   وقد هطل الثلج مع ماهطل
أضعتك بين الغصون ومن   أضاع الرفيق أضاع الجذل !
فناديتك الليل حتى انجلى   وناديتك العمر حتى اضمحل
أخيرا خلقت بشكل امرىء   يقلب بين نيوب الوجل
ويذكر عهداً قديماً مضى   فيذكر حباً قديماً رحل
ففتشت عنك مآوى الحمام   زماناً فكان نصيبى الفشل
فعدت وفى مهجتى لوعة   أفتش عنك القرى والحلل
ولما التقينا بذاك المساء   وكنت كأنك نجم أطل
سألتك باللحظ هل تذكرين   الزمان القديم فقلت : أجل !
فيا لسرور المحب الذى   سعى يبتغى مبتغى فوصل
ويا لابتهاجى بفتانة   تعود العليل فتشفى العلل
يسائلنى الصحب عن رسمها   وما رسمها صورة تبتذل
وإن المصور مهما أجاد   تظل الإجادة دون الأقل
فكم صوروا المقل الساحرات   وما صوروا سحر تلك المقل

وكم صوروا قبل العاشقين فهل صوروا طعم تلك القبل ؟
وهل من يصور نشر الورود إذا صوروها حساناً ؟ وهل ؟
ولكنني شاعر بيراعي كسوت المصور ثوب الخجل
فصورتها بجمال المعاني ولونتها بمعاني الجمل !
ففي خلقها كل لطف النسيم وفي خلقها كل أنس الحمل
وفي شعرها كل عطر الرياض وفي ثغرها كل طعم العسل !
وفي لفظها خير ما في الكروم وما في كئوس قسوس الجبل
وفي وجنتيها ، وفي مقلتيها خضاب الحياء ونور الأمل
تغني فيأخذ عنها الهزار وتمشي فيأخذ عنها الحجل
فيارب صنها لهذي الصفات تصن صبها عن مهاوي الزلل !

الشاعر القروى رشيد سليم الخورى

— ١ —

كانت تربطنى بالشاعر الكبير رشيد سليم الخورى صلات روحية وثيقة منذ أمد طويل ، فقد كان لأدبه وشعره دوى فى العالم العربى لم ينقطع صداه. وكان صديقنا الدكتور أحمد زكى أبو شادى رحمه الله ينقل إلينا صورا زاهية عن الشاعر القروى تحببنا فيه ، وتجمعنا حول أدبه .

ثم شاء الله أن يعود القروى الشاعر من المهجر ، وأن يترك سان باولو فى البرازيل إلى الجمهورية العربية المتحدة ، وأن ينزل على القاهرة بعد فترة ضيفا على وزارة التربية والتعليم ، وقد زار دار رابطة الأدب الحديث زيارات عدة ، واحتفت به الهيئات الأدبية فى القاهرة احتفاء يليق بمنزلة شاعرنا القروى فى الشعر المعاصر . ومكانته بين أعلام الشعراء المعاصرين .

— ٢ —

والشاعر القروى شاعر القومية العربية ، ومن الشعراء الذين نادوا بالوحدة العربية فى شعرهم ، وكان ميلاده فى قرية « بربارة » بلبنان فى ٥ نيسان عام ١٨٨٧ م ، وتلقى تعليمه فى لبنان ، ثم اشتغل بالتدريس ، وورث الشعر عن أسرته ، وألهمته ثقافته العربية روائع القصيد ، وقد ظهر ديوانه الرشيديات، وهو فى مقتبل العمر ،وعمل معلما ثم هاجر إلى البرازيل ومعه أخوه قيصر عام ١٩١٣ ه ، وكافح من أجل القوت والكفاف[1] ، وفى عام ١٩٢٦ ظهر ديوانه الأعاصير ، وفى عام ١٩٤٦ ظهرت لامياته الثلاث مطبوعة ، وفى عام

---

(١) كان يحمل الكشة على ظهره ، ويضرب فى مناكب الولاية يبيع بضاعته، راجع ترجمة صيدح له فى كتابه « أدبنا وأدباؤنا ٣٨٦ — ٤٠٧ » .

١٩٥٣ ظهر ديوان الشاعر القروى الضخم يجمع جميع شعره ، ويقع فى نحو ألف صفحة . وقد طبع على نفقة الجالية العربية فى المهجر .

والقروى ذو شاعرية محلقة ، وديباجة متمكنة من اللغة والبيان أى تمكن .

ويقول الشاعر فى مقدمة ديوانه : إنه ولد فى الخامس من نيسان ١٨٨٧م، ويقول عن والده : إنه كان يجيد النثر والنظم ، وللشاعر أخوة أشقاء منهم : قيصر ويلقب بالشاعر المدنى[1]، ويقيم هو وأولاده فى سان باولو ، وفيكتوريا وتقيم هى وزوجها وأولادها فى الولايات المتحدة ، وفيليب ، وأديب، ودعد، ونديم ، ويقيمون فى البرازيل .

وتلقى الشاعر القروى تعليمه — كما يقول فى مقدمة ديوانه — فى مدرسة القرية ثم فى مدرسة الفنون الأمريكية فى صيدا ، ثم فى الكلية السورية الإنجيلية ببيروت . ثم اشتغل بالتعليم سبع سنوات متوالية فى مدرستى طرابلس والميناء الأيكيتين ، وفى مدارس أخرى ؛ حتى هاجر إلى المهجر الأمريكى فى البرازيل بدعوة من عمه الذى كان قد سبقه إلى الهجرة إلى البرازيل .

وفى مقدمة ديوان الشاعر القروى تفصيل أسباب هجرته ، وأصبح الشاعر القروى من أعلام أدباء المهجر ، وكان عضوا عاملا فى العصبة الأندلسية بعد قيامها .

— ٣ —

وحياة الشاعر فى المهجر الأمريكى الجنوبى كانت حافلة بألوان الكفاح ،

---

(١) له قصيدة عنوانها المشيب الجميل (مجلة العصبة الأندلسية ص ٦٩١ عدد تشرين الأول ١٩٥٢) وقصيدة أخرى عنوانها الطلل المأهول (مجلة العصبة ص ٧٦٥ عدد أيلول ١٩٥١) .

والنضال الأدبى ، وكان يعيش معه فى سان باولو رفقة من الأدباء العرب المهاجرين، ولكنه شغف بمتابعة الأحداث السياسية فى الوطن العربى ، وبالنظم فيها ، وكان طوال حياته شديد الإيمان بالوطن الأم ، وبالقومية العربية ، وفى ذلك يقول : « تساهلنا فى وطنيتنا شر علينا من تعصبنا لأدياننا » ، ويقول : إن وطنية العربى ما كانت قط اعتداء أثيما ، ولا حقدا لئيما ، إنها رسالة تكبير وتوحيد ، ودعوة تعاون على البر ، ويقول : إن العروبة شعار الأمة العربية ، وروحها وشمس أوطانها ومهوى أفئدتها وملتقى ما تعدد من أقاليمها ولهجاتها ، وهى دين الأمة الشامل . . وهكذا يتفجر إيمانه بالقومية العربية والوحدة العربية من أعماق قلبه ، فيقول : العروبة أن يشعر اللبنانى أن له زحلة فى الطائف ، والعراقى أن له فراتا فى النيل . . ويقول يصور حبه للعروبة والعرب : « أنا واحد من سبعين مليونا من العرب ، كل واحد منهم أنا ، فينبغى أن أحبهم سبعين مليون ضعف حبى لنفسى » . . وقد وضح هذا الاتجاه فى شعره وضوحا كبيرا . . ومن ثم تجده يقول فى شعره :

أمتى أنا مكثراً ووطنى أنا مكبراً

— ٤ —

وللقروى رأى فى الشعر سجله فى مقدمة ديوانه ، قال : الشعر أرفع الفنون ، والشاعرية كاللانهاية لا حدود لها ، وكل ما يقع ولا يقع تحت الحس فى هذا الوجود العظيم يستحق أن يكون موضوعا للشعر ، ويعلل ظهور اللون الوطنى الحماسى فى شعره فيقول : لقد سلب اللصوص نصيب أمتى من خبز الحرية والعدالة والحق ، وما شعرى الحماسى إلا ألم صارخ من أغوار نفس أزعجت عن ذلك المحل الأرفع ، ومثله العليا ، فهى دائمة الحنين إليها ، والتوجع لفراقها :

والقروى يفتخر بأمجاد العرب فى كثير من قصائده ، ويقول :

مهلا أخى مهلا ظلمت ولم تكن لولا العروبة بالأخ المستمهل

تالله لم هذا الجفاء لأمة ؟ ما أنجبت غير المعم المخول
أتريد أعظم من أبى بكر ومن عمر إذا انتسب الكرام ومن على
أتجف أوراق العروبة فى ربى لبنان وهى نضيرة فى يذبل ؟
ماذا يضيرك لو جمعت المجد من طرفيه من صنعاء حتى يبيل

وفى نكبة فلسطين — وكان جرحها عميقا فى نفسه — يقول عتابا خوانه العرب من قصيدة له فى ذكرى المولد النبوى :

يهنىء بعضكم بعضا وإنى أهنى النفس أنى لا أهنى
أرى تفاح هذا العيد جرا ولو قطفوه من جنات عدن
وألمس ناعم الأزهار شوكا وأنشق عطرها نتنا بنتن
ويطرف ناظرى حسن الغوانى ويجرح مسمعى شدو المغنى
أأرضى والرسول قتيل غيظ وأفرح والمسيح شهيد حزن

وهكذا نجد شعره الوطنى والقومى واضحا كل الوضوح فى شعره ، يقول من أبيات له وجهها إلى « دول الاستعمار » :

جهلت لساننا ولنا حديث يترجمه لكم عنا الحسام
يبلغه مكان الفهم منكم وصيغته كلـــوم لا كلام

ويقول فى وعد بلفور :

الحق منك ومن وعودك أكبر فاحسب حساب الحق يامتجبر
تعد الوعود وتقتضى إنجازها مهج العباد خسئت يامستعمر
عد ماتشاء بما تشاء فإنما دعواه خاسرة ووعدك أخسر

ويقول من قصيدة له فى فيصل يوجه الخطاب إلى السفير الإنجليزى :

وما شأن ملك سامه العبد ذلة وأبرق صعلوك عليه وأرعدا
وكم تاج ملك صار نيرا لربه وكم صولجان عاد فى العنق مقودا
أيزعم ذوالقرنين . . أنك عبده ومثلك من يلقى السلاطين أعبدا

ليعلم عبيد التاج أنك سيد تزيد به التيجان مجدا وسؤددا

ويقول الشاعر القروى ينادى بالحرية للناس جميعا ، الحرية بأوسع معانيها ، وأضخم مدلولاتها :

أنت حر فاستوطن البلد الحر وصاحب من أهله إخوانا
مثلك الكون والزمان فلا تلح مكانا ولا تسب زمانا
ليس فى قضمك الحديد هوان إن فى بثك الشكاة هوانا
بسمة تظهر الفقير غنيا دمعة تمسح الشجاع جبانا
فتلق الحياة بالبشر فالعيش نعيم إن لم تكن شيطانا
كن إله النضار إنك عندى لست شيئا مالم تكن إنسانا
أشبع العقل حكمة واختبارا واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الأرض والسماء وهل يدعى فقيرا من يملك الأكوانا

وقد وصفوا الشاعر القروى بأنه شاعر الوطنية العربية ، يقول الشاعر نظير زيتون عنه : ولد الشاعر القروى مع الأعاصير فى الغابات ومع الزلازل فى الجبال ومع الصواعق فى البحار ، ولد مع الندى فى الفجر ومع الأزاهير فى الربيع ، ومع البلابل فى الجنان ، ومع الجمال فى نشوة نيسان ، ولد مع الأسطورة فى عبقر ، ومع الأنبياء فى الوادى المقدس ، ومع الرؤى فى ومضة الروح ، ومع السحر فى أهداب العذارى ، ولد مع أمته فى شروقها وغروبها ، ومدها وجزرها .

وقد وبخ الشاعر القروى الملوك والأمراء والحكام العرب الذين كانوا سوط عذاب على بلادهم مع الاستعمار الأجنبى ، اقرأ له وهو يقول من قصيدته لسلطان الأطرش .

فى الهيجاء لاتعتب علينا وأحسن عذرنا تحسن صنيعا
تمرستم بها أيام كنا نمارس فى سلاسلنا الخضوعا

فأوقدتم لهـا جثثا وهاما وأوقدنا المباخر والشموعا
إذا حاولت رفع الضيم فاضرب بسيف محمد واهجر يسوعا
« أحبوا بعضكم بعضا » وعظنا بها ذئبا فما نجت قطيعا
فياحمـــلا وديعا لم يخالف سوانا فى الورى حملا وديعا
غضبت لذات طوق حين بيعت ولم تغضب لشعبك حين بيعا

ويكشف الشاعر القروى سر تغلغل الجانب الوطنى فى شعره فيقول من حديث له مع مجلة مصرية ــ آخر ساعة ــ فبراير عام ١٩٦ م :

هاجرت إلى البرازيل من قريتى « البربارة » فى أول شهر آب (أغسطس) سنة ١٩١٣ بعد أن ضاعت ثروة أبى ، وظللت أشهرا لا أجد بارة واحدة ، وفى ولاية ميناس فى البرازيل .. تعرضت لأشد ألوان الفقر ، ثم انتقلت إلى ريو دى جانيرو فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهناك كنت أرتزق بتعليم العزف على العود ، ثم بالتدريس فى إحدى المدارس ، ثم انتقلت إلى سان باولو عام ١٩١٥ ، ورحت أعمل فى التدريس فى بعض المدارس العربية والأجنبية ، ثم تركت التعليم لأنصرف إلى العمل معتمدا لبعض المحلات التجارية ثم اشتدت على الأزمة من الناحية المادية إلى أن أوسع الله على بعد أن تعرفت إلى أحد الفتيان ممن يهوون العزف على العود فأعطيته بعض الدروس ، وهكذا انفرجت أزمتى .. وتاجرت مرة أخرى ، وظللت ثلاث سنوات أصنع الكراريس فى نفس مدينة سان باولو ، ولكننى بعد ذلك أقفلت مصنع الكراريس لضياع نصف رأس مالى ، وكان الشعر فى ذلك الحين هوايتى الأولى ، وكانت هناك جالية لها أندية وجمعيات وصحافة ، وكانت تقيم الحفلات بكثرة ، فى سبيل الأغراض الاجتماعية والوطنية ، وكانوا يدعوننى لأقول شيئا من الشعر فألبى دعوتهم ، فكثرت الحركة الفكرية ، وكنت أراقب هذه الأحداث بنفس ثائرة وأصورها بشعرى ، وكان ذلك هو أول عهدى بالجهاد الأدبى فى « سان باولو » التى كنا نسميها عاصمة اللوائيين ،

أى حاملى اللواء ، هؤلاء الشبان ، الذين كانوا يوغلون داخل البلاد للاكتشاف والتعمير .

وكل الحفلات كانت تحتاج إلى القصيدة والأنشودة ، وقد كنت اللسان المعبر عن ذلك ، وفى البرازيل كان أعداء العروبة يأخذون على هذا الهوس بالشعر الوطنى الحماسى ، وبالذات حينما كنت أردد مثل هذه القصيدة التى أسائل فيها أبا الطيب المتنبى . . هذه بعض أبياتها :

بشاعرها فلتفتخر كل أمة　　يهددها بالموت والعار طغيان
إذا طويت أعلامها فهو بيرق　　وإن أخمدت أنفاسها فهو بركان
يهز رفات الغابرين صراخه　　فتنشق أرماث وتنحل أكفان
وتبعث أبطال وتمضى صوارم　　وتنشر أعلام وتنصف أوطان

— ٥ —

ولما عاد الشاعر القروى إلى وطنه العربى عام ١٩٥٨ ، ووطئت قدمه أرض سورية كرمته الدولة ، وألقى فى حفل تكريمه قصيدة وطنية رفيعة جعل عنوانها « عودة الشاعر » ، وذلك فى نيسان عام ١٩٥٩ ، ويقول الشاعر فيها :

حتى م تحسبها أضغاث أحلام　　سبح لربك وانحر أنت فى الشام
لم يأذن الله يا بوق العروبة أن　　تقضى الحياة غريبا بين أعجام
وكنت فى أبعد الأمصار أقرب من　　أهلى إلى وأخوالى وأعمامى
أضناك طول السرى والسير ياولدى
فاطرح رداءك وامسح جرحك الدامى
هذى عيونى وجناتى وفاكهتى　　فاملأ يديك وبرد قلبك الظامى
وارتع بقلبى واسبح كالشعاعة فى　　عينى ونم بين أهدابى وأحلامى
يا آل جلق يا أزكى الأصول إذا　　باهى السراة بأصلاب وأرحام

حسبي بكم شرفا أني على ضعتي ... كأن كل ملوك الأرض خدامي
أعيت بياني وشكراني عوارفكم ... يا أكرم الناس بالغتم بإكرامي
كم لائم لامني في حبكم سفها ... فبدل القرب حسادا بلوام
لبيت بالفرح المجنون دعوتكم ... وإخوتي ورفاقي دمعهم هام
يا يوم جدد في الخضر آيته ... لما أطلت على بيروت أعلامي
والوحش منفغر الشدقين يرصد لي ... والبغي أسطوله خلفي وقدامي
أعدى على بظهر الفلك شرذمة ... ممن تضروا على فتك وإجرام
لم يجدهم طول إغرائي بصحبتهم ... فحاولوا حين عيل الصبر إرغامي
هموا بأخذي فثارت كل محصنة ... وكل حر عريض الصدر همهام
فأدبر البغي مدحورا وعدت إلى ... سربي وقلت لها يا مقلتي نامي
وبت ليلي وعين الله تحرسني ... حتى وضعت بأغلى الترب أقدامي
في اللاذقية في شط يمت إلى ... بربارتي بجمال جل عن ذام
في أرض قومي في الدنيا التي احتكرت ... أقطارها كل آمالي وآلامي
ما الأرز والشام إلا توأما وطن ... وأمة بالنجوم الزهر متآم
وسرت في موكب الأحرار مرتقيا ... إلى صلنفة من سام إلى سام
ترى الصفا بين خضراء الربى انتثرت ... على بساط من الاستبرق النامي
هشت عليها الغصون الوارفات كما ... دش الرعاة على قطعان أغنام
والحور يخفض للسماق هامته ... كما تواضع جبار لأقزام
والريح تهمس والأفنان في قلق ... كأنها عاشق يصغي لنمام
مد السماط فلم أشهد سوى نجب ... صيابة من لباب العرب أعلام
فرسان علم على خيل مجنحة ... تغزو السماء بأوراق وأقلام
فاقوا الليوث كما فاقت عرائنهم ... شتان بين فراديس وآجام
وعدت ريان من ماء ومن أدب ... شبعان من خبز أرواح وأجسام
تغذ بي وأصيحابي مطهمة ... لا تستقاد بإسراج وإلجام

مطاطها من وعود الغرب مصطنع ... وبوقها من أغاني عمها سام
ما أدلجت موهنا إلا وناه بها ... أطواد علم وأخلاق وأحلام
كواكب يهتدي الساري بصحبتهم ... ويأمن الركب من ظلم وإظلام
من كل ندب كنصل السيف منصلت ... طلق المحيا كثغر الفجر بسام
القفر أمرع حولي من بشاشتهم ... ونافست ليلتي في الحسن أيامي
فلم نزل بين إحسان ومكرمة ... ولم نزل بين إحجام وإقدام
حتى بلغنا بها الفيحاء فارتبعت ... قريرة العين مثلي رغم أسقامي
حيث العروبة شدت مصر وحدتها ... وأسلم الأمر ضرغام لضرغام
حر بنى وأخ حر أتم غيـا ... لليعربيين بناء وتمام
إذا فشت علل التفريق في بلد ... داوت يد الحزم إعلالا بإدغام
فالأرض تياهة العطفين راقصة ... على الأهازيج في مصر وفي شام
كم قبلة لهما عبر الخضم وكم ... تحية في السحاب المرسل الهامي
لتجرفن السدود السود بينهما ... بمارج من لظى مهدودر طام
أنا العروبة لي في كل مملكة ... إنجيل حب ولي قرآن إنعام
سل عهد شامي وبغدادي وأندلسي ... عن عمق فلسفتي عن عدل أحكامي
ما اخضوضر الشرق إلا تحت أقدامي ... وازهوهر العرب إلا تحت أعلامي
تمشي البطولة والسحر الحلال معي ... فالأرض مسرح آساد وآرام
نقشت في الشمس طغرائي وما برحت ... مرسومة في جبين البدر أختامي
ما غيرت نكبات الدهر من شيمي ... وإن طوت في ثنايا الترب آطامي
حطمت أشرس ضار في جزيرته ... ما ابتل نعلي ولا دنست أقدامي
فارتد عن بورسعيد جيشه كلما ... خطت على الرمل أو أشباح أقلام
كم نبضة من فؤادي في عمان لها ... قصف يدك الصياصي في بكنهام
وزأرة من جبال الأطلس اخترقت ... كالنصل سمع المصلي في نتردام
لا أسأم الحرب ما طالت وما حزبت ... فالعام كاليوم حين اليوم كالعام
حتى أفوز بحق غير منتقص ... ويذهل الخلق إنشائي وإتمامي

والحق أغلب والأعداء جانحة　　للسلم بعد رضى أو بعد إرغام
وابنى فتى النيل حلانى بجوهرة　　عزت على كل غواص وعوام
من يبك عهد الموامى والدمى فأنا　　والحمد لله قد حطمت أصنامى
شغلت قلبى بحب المصطفى وغدت　　عروبتى مثلى الأعلى وإسلامى
عاش الذى أدب الطاغى وكبكبه　　عن السويس ذليلا خافض الهام
دع ذكر كل عظيم حين تذكره　　وقف دقيقة إجلال وإعظام
فما رمى رمية إلا مسددة　　ولا خطا خطوة إلا بإلهام
كم خطبة كالندى والجمر منه شفت　　أكبادنا وشوت أكباد ظلام
نفوسهم تحت أطباق الثرى ضعة　　وشرهم بين أفلاك وأجرام
ماقط كلمهم إلا وكلمهم　　كأن ألفاظه من حد صمصام
ولا رأوا رسمه إلا لحرقتهم　　ودوا لو انتقموا من كل رسام
وزاعمين مساواة وأسودهم　　من أرض آبائه فى دار أيتام
ما صنة العبد إن قيست بسمعتهم　　فى الأرض إلا شذا ورد بأكمام
لا يستبين المصلى فى كنائسهم　　إن كان يصغى لقس أو لحاخام
حرية لملوك المال خاضعة　　تساق فيها الرعايا سوق أنعام
فما الرئيس وأتباع الرئيس لهم　　إلا الأرقاء فى أزياء حكام
ماضر إيدن لو تمت أناقته　　أو كان بدل أخلاقا بهندام
يود بالنفس لو ردت مكانته　　ولو قضى العمر فى أطمار لخام
ألوحة الدرس أم سيناء غارقة　　من العدى بجنود أم بأرقام
محاهم الله منها محوة تركت　　فى مهجة الغرب جرحا غير ملتام
لما تحالف أثلاثا على بطل　　فرد خبير بعلم الكسر حطام
قام الرمى على ساقيه منتصبا　　ولم يزل جاثما فى أرضه الرامى
ينام ذو البغى فى المهد الوثير على　　جمر الصلال ويمشى فوق ألغام

قل للأولى سخروا بى وازدروا أدبى من خائن وشعوبى ونظام

وكل هشام أعراض له قلم وغد وليس له عرض لهشام

وشامت بى مسرور بحزنى مسـ ـتشف بدائى ملتذ بآلامى

قولوا له عربا تقضوا عليه فإن يسلم فثنوا بقرآن وإسلام

كم من سيوف على أعدائكم شهرت صيغت مضاربها من قلبى الدامى

وراية حرة فى جوكم خفقت حيكت حقائقها من غزل أوهامى

ما أبعد النقطة السوداء عن صحفى وما أعز التقاء الذال واللام

آمنت بالنصر إيمان الذى لمست كفاه لا خارص بالغيب رجام

خروشوف كنت على الأفواه أغنية فلا تبيعن تمـداحا بتنعام

عاطاك ناصر كأس الود صافية وعز كأسك عن ريب واتهام

تأبى العروبة أن ننسى الصديق لكى نرضى العدو ويأبى دينها السامى

والحق لم يعل إلا بعد أن ضربت ألطاف ربك هداما بهدام

قميص بغداد لم تبرح مزررة بعروة تتحدى ألف مفصام

ما أقرب الوحدة الكبرى مبجرة أحلام كل شعوبى وقسام

سيان بعد التلاقى يا بلادى لو خلدت أو حكم الطاغى بإعدامى

أما رجعت؟ ألم أنشق هواك؟ ألم ألثم ثراك؟ ألم أسمعك أنغامى

أحس بالراحة الكبرى كأنى قد طرحت فى البحر عنى كل آثامى

ومن قصيدته «عرائس الإلهام»، وهى القصيدة التى أنشدها الشاعر القروى فى نادى متخرجى الجامعة الأمريكية ببيروت مساء الأحد فى ٢٧ / ١٢ / ١٩٥٩ أثناء الحفلة التكريمية التى أقامتها له جمعية إنعاش القرية :

إلى م تبيت الليل رهن الهواجس تطوف بوادى عبقر شبه يائس

وحولك من لبنان فى كل مسرح مراح ومغدى للظباء الأوانس

نواعس أجفان إذا سهد البـكا عيون اليتامى كن غير نواعس
زنابق طهر ماتحلـل مسهـا ولا شمهـا إلا لشم المعاطس
حوال وراء الدر بالعلم والحجى روافل بالأخلاق تحت الأطالس
أيستلهم الغيلان فى القفر واجد من الأنس حور ارتعا فى الفرادس
ويسأل عن جنية الشعر من له عرائس إلهام كهذى العرائس ؟
تحية روحى ، بنت قومى : تحية ذكت كبخور العيد ملء الـكنائس
وشكر غريب عن أخيه وأخته فقير إلى القلب الحنون المؤانس
أرى الناس حولى لا يعد عديدهم وأكثرهم فى كل شىء معاكس
أودع صفوى حين أدعى لمجلس فوافزعى من جو تلك المجالس
أبش إلجلاسى وأقضى حقوقهم ويعمى عيونى بالدخان مجالسى
فلم أر كالتدخين فى الضر عادة مقاربها يؤذى بها كالممارس
فرائس إدمان أجازى بذنبهم قتيلا بقتلاهم فريس الفرائس
رويدك رهن المحبسين فاننى من الزهد والحرمان رهن المحابس
أمر من الحساد فى كل بلدة باطلال أخلاق كبيتى دوارس
ضننت على نفسى لأنفع غيرها وعشت كأهل البؤس من أجل بائس
ولولا إباء عن جدودى ورثته لبت الليالى غارقا فى الطنافس
يفيض على السعد من كل جانب فأجعله وقفا على كل ناعس
كأنى طود كاـــل الثلج هامتى
وفاضت سفوحى بالعيون البواجس
عدمت نظيرى فى وفائى لأمتى فقل عشيرى حين قل مجانسى
ولا كنت للمستعمرين مواليا ولا ابتعت منهم منذ جيل ملابسى
وكم غادة فى الغرب أنكرت حبها وأعرضت عن أملودها المتمايس
كعنترة العبسى إن يدعنى الحمى إلى البأس إلا أننى غير عابس
وما ضرنى ألا أسل مهندا وأورى زندا من وراء المتارس

فرب خطاب لى يسوق كتيبة — وقافية ترمى العدى بالفوارس
وكم غارة لى « بالأعاصير » حمحمت — وضجت بأبطال الجهاد الأشاوس
بروحى ملأت الأرض نسلا مباركا — بنى تلاميذى ، بناتى مدارسى
بتلقيح أفكار وغرس مبادىء — سلوا كل أحرار الحمى عن مغارسى
تناسل أرواح الورى لجسومهم — فيالى شيخا عانسا غير عانس
وشيخ كريم أطربته قصائدى — وهزته هز العضب فى كف فارس
فأهبنى مادمت حيا هدية — تليق بسلطان على العرش جالس
تفجر نفطا أسوداً فأردها — بيمناى نبراس الليالى الدوامس
ككف أمير « جابر » كل عثرة — ووجه « صباح » داحر كل دامس
على عبقريات البلاد حبستها — وأعظم بمحبوس عليه وحابس
فلاهى عندى فى البنوك تجمدت — ولا ذاب منها درهم فى الخسائس
أسالت لعاب الطامعين وأوجدت — لمرخصها ألفى حسود منافس
يحاول سبق الموت فى حجب غيثها
بقلب جديب الحس كالصخر يابس
ولا خير فى خل نشيد بحبه — جهارا ويجفونا لهمسة هامس
نودعه عند الرواح بقبلة — ويغدو كأنا بيننا حرب داحس
لتنفث أفاعى الغدر كل سمومها — ويضرب عداتى سادساً إثر خامس
فما كان صدرى للضغينة موطنا — ولا كان رأسى معملا للدسائس
شغلت بموسيقى الكواكب مسمعى — بعيداً بعيداً عن هميم الخنافس
« شهابى » رأيى فى الخطوب « وناصرى »
يقينى بأن الله لا شك حارسى

— ٦ —

وينادى الشاعر القروى بأدب قومى فيقول من بحثه : « ادب اللامبالاة أدب الشماتة والعقوق » ، وقد كتبه ردا على الأستاذ وديع ديب فى كتابه « الشعر العربى فى المهجر الأمريكى » الذى كان هجوما على القروى وشعره[1] :

نحن أحوج إلى أدب يخشاه المستعمرون ، لا أدب يكونون هم أول ناشريه ، والداعين إليه والمروجيه ، وبالاختصار أنكم تهملون كل الإهمال مايجدر بكم أن تعنوا به كل العناية . فأنت ، كسواك من معظم مؤلفى الكتب فى الشعر المهجرى ، قد حشدت فى كتابك ما حشدت من الأمثلة على الحنين والغزل ، والتفلسف والأمومة ، والتصوف ، وما إلى ذلك من النواعم ، ولكنك أعرضت إعراضاً تاما عن الحماسيات ، ولم تقدم شاهدا واحداً من هذا الشعر الذى بصدوره عن القلب ، ودفاعه عن أنبل مطالب الحياة ، يحقق شرطين جوهريين من شروط الشاعرية ، وقد بلغ بك أن تجانفت حينما عنه اتفق دنوك منه ، كأن فيه برصا ، فإنك لما ساقك إلمام الشعر المهجرى بالطقوس الدينية ، إلى إيراد مثل من قصيـــدتى « وداع قنديل » جئت بهذا المخمس :

فقل لمن ضلوا سبيل الهدى
وضاع فيهم كل نصح سدى
يا وطنى منك نفضت اليـدا
فمن يحاول عنك دفع الردى
حاول أمراً دونه المستحيل

---

(١) وللشاعر القروى رد على توفيق ضعون فى نقده لأبيات من شعره (العصبة الأندلسية صـ ٧٤٩ عدد أيلول ١٩٥١) .

ثم قفزت منه إلى مرادك ، فأظهرت الشاعر ، وتركت القارئين معه ، فى هذا التناوم اليائس ، وأكلت عليهم المخمس التـــالى الذى فيه الرجاء والبرء والعافية :

لا ! لا ! ستحيا رغم أنف الزمن
بل أنت حى رغم هذا الكفن
ما دام حر واحد فى الوطن
فهو بهـــذا الحر حر وإن
عاش به مليون عبد ذليل

ولو أنك يا أخى الوديع قاطعت الشعر الوطنى مقاطعة سلمية فحسب ، لهان الخطب ، ولـكنك أبيت إلا أن تشهر عليه حربا . باختيارك منه ما استعبت، واتخاذه جسراً للهجوم على ناظمه بلواذع الكلم ، فهل ذكرت من هذا الشعر الذى يسمع بلادك المستعبدة صوت الحرية ، والذى يعمر به ديوانى البالغ ألف صفحة غير بضعة أبيات وجدت فيها مغمزاً لقناة أو مجالا لتعريض؟ ألم تشح عن كل ما فى عينية « سلطان الأطرش والتنك » . من الفن الذى طالما أعجب أقرانك ، محاولا تدمير أقوى أبياتها التى آسف أنك لم تحسن تأويل المراد من مخاطبتى السيد المسيح فيها على هذا الشكل المستثير المستنصر ؟ :

أحبوا بعضكم بعضاً وعظنا ... بها ذئبا فما نجت قطيعا
فيا حملا وديعاً لم يخلف ... سوانا فى الورى حملا وديعا
ألا أنزلت إنجيلا جديداً ... يعلمنـــا إباءاً لاخنوعا
أجرنا من عذاب النير لامن ... عذاب النار إن تك مستطيعا

فهل من دليل على صدق هذا الشعر أنصع من تهافتنا على أقدام هذه الدول الغربية التى تحتقرنا ، واستمرارنا على احتمال صفعاتها المتوالية بروح فقدت كل إباء ؟ وأى خير وأى جمال ترجو الإنسانية على أيدى أدباء يجبنون عن

ذكر مآسيها ، فيتغاضون عن الظالمين ، ويغذون بأنبهم الأفيونى روح الاستعمار .

إنى ماعرضت قط فى شعرى لدين أو لكفر كباحث فى العقائد ، بل مسخراً إياها للبلاغ الوطنى الذى وقفت عليه معظم أدبى وحياتى .

إنها رسالة الحرية الفكرية ، والجرأة الأدبية . والغيرة الوطنية، التى مع كل تطرفنا المزعوم منك ، لم نبلغ فيها حد الضرب بالكرابيج فى الهياكل . هى التى أملت علينا ماأنكرت ، وإنا لنعجب كيف خطر على بالك أننا اقتبسناها من تعاليم نيتشه أو غيره من الغربيين ، وعندنا المعلم الذى صاح فى وجوه فريسى زمانه « ياأولاد الأفاعى » . وأخوه الذى هتف بعده بستة قرون: قل الحق وإن كان مرا. إننا عن هذين المعلمين الأكبرين أخذنا، ولسنا نتطلب من أى أديب عربى ، لكى يتتلمذ لهما معنا، أكثر من أن يساوى وطنه بدينه ومذهبه . وأن يضع أمته وبلاده موضع أسرته وبيته ، وهذا كل السر فى الفرق بيننا وبين الذين ينقمون منا غلونا فى الوطنية ، إذ كيف تنتظر من امرىء أن يغضب وهو لايشعر أنه أهـين . . . أو أن يقاوم ، وهو لاينذر بعدو .

القروى جرفته القوافى فى تيارها ... القروى استهواه تصفيق المنابر . القروى ما نظم الكثير من شعره الوطنى إلا وفى نفسه شوق إلى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس . . . القروى يستدرجه المنبر إلى مايرضى عباد المنابر الخشبية. .. القروى فى شعره تطرف فى القول تأباه النفوس . . . القروى يميل إلى مجاملة الخاصة وإرضاء العامة وتهريج النقاد . . . إلى غير ذلك من التهم الباطلة ، والتجنيات الجائرة ، حتى ليستغرب المطالعون تخصيصك القروى بهذه الشدة فى نقدك ، فبعض يكاد لايخفى ريبته فى عدم تحيزك ، وبعض يغالى فيقول : كأنك لم تؤلف كتابك إلا لتشن هذه الغارة على .

وإنك ماتداركتنى بسفة من السكر فى تقريظك إلا لأستسيغ ماجرعتنى من من الخروع فى نقدك .

أما أنا فانى لم يخامرنى شك فى نبل شعورك نحوى ، وعذرك عندى أنك قصرت التشنيع على أبيات معدودة أكرهتنى بعض مواقفى تجاه الاستعمار على أن ألمس فيها وتر الدين ، وأتصدى لنزعة روحية قد يكون لها فى نفسك جذور عميقة ، وإليها مرد حملتك المتطرفة على ، ومثلك كثير من خلص إخوان الأدب الذين يحسون إحساسك ، ويمضهم من هذا الشعر مامضك ، ولولا الكياسة التى يفرضها عليهم أدبهم وثقافتهم لما اختلفوا فى هذه النعرة عن عامة الناس ، وأنا أعرف هذا الضعف فيهم فأعذرهم وأحبهم كما أعذرك وأحبك .

ولكن إذا برأتنا هذه النزعة الموروثة من سوء القصد ، فإن تاريخ جهادنا القومى لن يبرئنا من سوء مغبتها على الوطن . إنها عبودية ثانية أشد علينا من عبوديتنا السياسية ، وعلى الدين الصحيح والأدب الصحيح أن يتعاونا على تحريرنا من كلتيهما ، إن الأمة العربية واستقلالها وبقاءها ، ومثلها غيرها من أخواتها الشرقيات الرازحات تحت نير الغرب ، لأهم عندى بكثير من رجل فرد يقيم فى عاصمة الرومان . . أنا عرضت بانسان من أجل مبدأ . من أجل أمة منكوبة . من أجل سلام الإنسانية التى تبشر أنت أكثر منى بخيرها وسعادتها ، وأنت ذممتنى علنا من أجل إنسان ، مهما سما قدره فإنه يخطىء ويصيب كسائر الناس ، وقد أساء قبلى إلى نفسه ، بإساءته إلى ذلك المبدأ ، وتلك البلاد ، وهذه الإنسانية ، فما أعظم الفرق بين حملى وحملتك يا أخى ، وما كان أقربك إلى العدالة لو أنك حولت عظاتك إلى الذين تهز رياح البغى جباههم ، ولا تهز الريشة التى بين أناملهم ، ولا يثورون كالعاصفة إلا على من يثور من إخوانهم على الظالم ، ويكافح الاستعمار ، وينشد الحق السليب ، ويذود عن الحمى المستباح .

وما كان أولاك بأن تقول معنا للذين يسمون دفاعنا هجوما . وتظلمنا ظلما ، ويعدون كل هبة ريح ساكنة منا تطرفا . ألا ساء ماتتصورون يا إخواني وماتحكمون ، لئن كنتم تترفعون عن التعاون مع حمقى الوطنية أمثال فرحات والقروى . فدعوهم على الأفل وشأنهم . لكم دينكم ولهم دين .

وهل يتهم « بالهوس » حسب تعبيرك ، والتعصب الأعمى لوطن أو دين ياعزيزى الوديع من يخاطب علم بلاده بمثل هذه الأبيات :

إن كنت للحق فلتخضع لك الأمم ... أو كنت للظلم لاحييت ياعلم
إنى أعيذك من مجد يغض له ... جفن الإباء ويستحيى به الكرم
قد يحسب المرء نذلا وهو منتصر ... وقد يعد شريفا وهو منهزم

وهل يكون مثل هذا النفس المحيط المحلق الذى يستدبر تخوم الأثرة ، والذى يضع القيم الأخلاقية فى أعلى مرتبة ، شعرا سياسيا إقليميا عقيما . كما يطيب لبعض الناقدين ، وللمقصرين فى مجاله أن يدعوه ؟ وإنى لأربأ بعلمك الغزير يا أخى أن تعوزه الزكانة التى لاغنى عنها لمن يمارس النقد . وإلا فكيف توفق بين اعتقادك ورأيك المتناقضين . اعتقادك الذى أقابله بأعظم الشكر وعدم الادعاء ، إنى « فى نظرك أخلص شعراء العرب للقومية العربية لاتستثنى منهم أحداً » ، ورأيك « أنى مانظمت الكثير من شعرى الوطنى إلا وفى نفسى شوق إلى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس ؟ » ، أيجتمع الإخلاص والرياء فى صدر ذى رسالة نبيلة كمن وصفت ؟ وهل روى التاريخ أن حرا بعيداً لهم . كبير مراد النفس ، ألقى بالا إلى « تصفيق العامة . ومجاملة الخاصة ، وتهريج النقاد ؟ » .

المضحك المبكى أنى كثيرا ما أرضيت العدو ، وأغضبت الصديق . فيما رأيته حقا فجهرت به ، أو باطلا فحملت عليه :

لأقول كل الحق حين عدوى ... الراضى وحين صديقى المستاء

فلكم تنكر لى صحاب لم أرد إغضابهم وتشكر الأعداء
للعدل قسطاس بكفى قائم العرب والأفرنج فيه سواء
خلق أموت عليه غير مهاود ولو ان خسران النعيم جزاء

إنى مثلك لا أجحد فضل وطننا الصغير الحبيب لا على البلاد العربية وحدها بل على كل بلاد هاجر بنوه إليها ، وأنه « كان بوق التحرر ورسول النهضة الأدبية والفكرية لمن حوله » ولكن كل هذه الحسنات القلمية لم تغنه عندنا عن حريته التى لو أرادها فى ذلك الحين لما عدم وسيلة غير السيف يعلن فيها رغبته ، وحملتنا النزيهة عليه لم تكن لقعوده عن الجهاد فحسب ، بل لأنه كان بذل الانتداب راضيا ، وله طالبا ، وعلى من أراد تحريره منه ثائرا :

صبرنا على عيش من الذل أنكد وأنكده ألا نرى العيش أنكدا

وكانت مصيبة أحراره به أشد من مصيبته بالمستعمرين :

ما إن ذممت غريبا يستبد به إلا أتانى ذم من أهاليه

ولعلك إذا تمعنت فى قصيدتى - عيد استقلال لبنان - وأما الألى - تعلم بأية محبة وغيرة ولهفة ورحمة كنت أحمل على حبيبى الأول إجلالا له عن حياة الهوان ، وهذه الروح المتجلية فى أقوالى ، تجسمت مرارا فى أفعالى ، فإنى حينما أبصرت راية الأرزة - الأرزة البريئة من أى شعار أجنبى - ترفرف لأول مرة فى مطار صنبول . وسمعت صدى « كلنا للوطن » يتجاوب فى سماء مهاجرنا السحيقة ، طغى شعورى بالعزة القومية حتى كاد يتفجر صدرى وطفقت أبكى وأنشج كالطفل الصغير ، لشدة فرحى ، وأحسست فى تلك الساعة السعيدة . إنى أستطيع أن أقبل ألف أسخريوطى يختال على صلبى ، وأن أجرف العداوات كلها بفيض العاطفة المقدسة التى غمرت قلبى ، ولقد عبرت عن هذا الشعور الطامى ، والروح السمحاء ، ببيتين من

قصيدة حال من لا أسميهم دون إلقائها فى المهرجان . حيلولة أضافت حسكة جديدة حادة فى إكليل الشوك الذى ماضفره لى غير اللبنانيين إخوانى ، والذى طالما أدمى جبينى وفؤادى فى سبيل حرية وطنهم وطنى ، وهاك البيتين:

لنمح خطايانا بدمع سرورنا　　عفا الله عما لفقته الجرائد
تعالوا أقبلكم فلبنان جنة　　ولا يستحق العيش فى الخلد حاقد

ولقد أفرط يوما بعضهم بالتبجح حتى خيل إلى سامعهم أن لبنان لم ينل حريته إلا بجهادهم وتضحياتهم فأخرجت مفكرتى وكتبت :

للاستقلال يوم الجد معنى　　عدمتم روحه أثرا وعينا
فلو عادت حبيبتكم لعدتم　　وعدنا للنضال كما ابتدينا

فيا أرباب البيان ، ويا أساطين الفكر فى شرقنا العزيز ، إن الأمة العربية ، أمتنا لاسواها ، على شفا جرف من التشريد العام ، والافناء التام ، وعلى أدبها ، قبل أى جندى فيها ، أن يفتح العيون على هذه الحقيقة المرعبة ، لا أن يزيدهن غمضا وسياحة فى عوالم الأحلام . إن فى الكلمة لسرا يحيى ويميت وليس فى هذا الأدب الذى نعيره كل اهتمامنا علاج لأمة مدنفة ، بل هو قمين بإضعاف القوى والإجهاز على الضعيف ، وما احتج منا بالأدب الإنسانى إلا كل من لايعد قومه فى الناس ، أو كل عريض الدعوى ، يتطاول إلى الأبعد ، وهو يقصر عن الأدنى . وإنى لأعيذ كتابنا وشعراءنا ، اللاهين منهم بالزهور والخمور والشهوة الحمراء ، والمعالجين منهم كل فنون النظم والنثر . ماعدا أدب الواقع المرير ، أدب الحاجة الملحة ، أدب النضال الطبيعى الشرعى فى سبيل البقاء ، أدب الرجولة والحمية والنخوة والنجدة والتعاون على البر بالأهل والأوطان ، الأدب الذى هو اليوم وحده دون سائر ألوانه ، بوق بعثنا ، وكوكب رجائنا ، وخبز كياننا . وعماد بنياتنا إنى لأعيذ هؤلاء الإخوان العباقرة ، أن يحيروا التاريخ يوما ، فى أى عصر وجدوا ، ومن أى أمة كانوا .

— ٧ —

وفى شعر القروى جوانب عدة من شعر الوطنية والقومية وشعر الوجدان وشعر الطبيعة وشعر التصوير والشعر الإنسانى ، وتعد قصيدته « حضن الأم » من أروع قصائده وأجملها ، ويشتمل ديوانه الضخم على المقدمة ، والبواكير والأعاصير وهى مختارات من شعره الوطنى ، والزمازم ، وشعر المحافل والمجالس ، وزوايا الشباب ، والموجات القصيرة ، والأزاهير .

وقد أهدى ديوانه إلى روح أبيه ، ومن أروع قصائد الشاعر : « تحية الأندلس » ، و « عيد الفطر » التى يقول فى مطلعها :

صياما إلى أن يفطر السيف بالدم وصمتا إلى أن يصدح الحق يافمى

وقصيدته « إلى شباب العرب » تعد من روائع شعره ، وكذلك قصيدته « أين وجدت الله ؟ » وقصيدته « اليأس » ، و « الدمعات العشر » وسواها من روائع شعره .

والقروى شاعر مؤمن بنفسه وبكرامته ، يقول فى قصيدته « أنا إن ثرت » :

أنا إن ثرت أو شكوت فما ثر ت لبطل ولا شكوت لعجز
بعدت همتى فعفت كنوز الأرض لما عرفت قيمة كنزى
لا أبالى شبعت أم جعت والفن شرابى وعزة النفس خبزى
ذل قومى ذلى وإن كنت أغنى الناس طرا ، وعز قومى عزى

وروائع شعره فى الطبيعة كثيرة ، تدل على هيامه بها وفنائه فيها ، وعشقه لها إلى حد بعيد . . يقول القروى :

مررت بأترابى التاجرين فلم ألق إلا العبوس الوقورا
فملت إلى الحقل حيث الصغار تناغى الطيور وتجنى الزهورا
فهل صار كل رفاقى كهولا وهل أنا وحدى ظللت صغيرا

فأسمعنى الطير عند الصباح جواب الطبيعة لى تنشد
بنى ولدتك طفلا جديدا فقل للرفاق الألى تعهد
لقد ملأ الأرض أولادكم وأنتم إلى الآن لم تولدوا

— ٨ —

والقروى من زعماء المدرسة الكلاسيكية المجددة المعبرة عن الشاعر وانفعالاته وأحاسيسه وتجاربه ، ولا يكاد يجاريه أحد فى حسن الديباجة وجمال الأداء وروعة التصوير ورقة التناول .

إنه شاعر من أعماق نفسه ، شاعر رفاف الشاعرية حلو الموسيقى عذب الأداء جزل الأسلوب .

إنه شاعر فى شتى صوره ، وفى ارتعاشات فنه ، وفى كل مايتصل بشعره وشاعريته .

أصدر القروى أول دواوينه : « الرشيديات » ثم تلاه « القرويات » ثم « الأعاصير » وجمع أخيراً شعره فى ديوانه الضخم « ديوان القروى » وقد ضمنه سبعة أبواب أولها :

١ — البواكير : منظومات متعددة الأغراض مختارة من ديوانه « الرشيديات » و « القرويات » المطبوع أولهما سنة ١٩١٦ وثانيهما ١٩٢٢ فى سان باولو .

٢ — الأعاصير : مختارات من شعره الوطنى طبعت فى سان باولو سنة ١٩٣٣ ، وفى صيداء ١٩٤٨ م .

٣ — الزمازم : مختارات من منظوماته الحماسية بعد طبع الأعاصير .

٤ — المحافل والمجالس مما أنشده فى شتى المناسبات الاجتماعية .

٥ — زوايا الشباب : من شعره الغزلى .

٦ — الموجات القصيرة : خواطر أكثرها مما كان ينشره نثرا بعنوان « شرر الفكر » .

٧ — الأزاهير : أعيد طبعه فى القاهرة طبعة جديدة عام ١٩٦٢ م .

وهذه صور مما جاء فى مقدمة ديوان القروى مما يتصل بالمؤثرات العامة فى شاعريته . . . [١] .

شغفى بالطبيعة [٢] :

أرانى فى حياتى أشعر منى فى شعرى . فما زرت بلدة إلا وشاقنى قبل التعرف إلى قاطنيها وناسها ، أن أرود مايحيط بها من الأرض الفضاء . مصعدا فى الروابى . هابطاً الأودية ، سابراً المغاور . جائساً الكهوف، باحثاً عن الينابيع . وأشد ما يستهوينى تلك الهضاب التى تتوسط الصخور تعاشيبها. كأنها الأغنام رابضة فى المراعى الخضر . فإذا ما انحجبت عن العيون ، واطمأننت إلى المعزل البعيد . استخفنى السرور ، وأطعت سنة الهواء والنور . فرحت أطرح عنى ثيابى قطعة قطعة ، وأنا أطفر بين التلال هازجاً أنفر السائمة .

وإذا طغى الجمال . كما فى لبنان . فجمع بين سمو الجبال . ونضرة السفوح وترقرق الجداول . وزرقة البحر والسماء . ردنى إلى خشوع يلصق جبينى بالتراب . ويسكب من عينى وشفتى تسبيحة رطبة حارة .

وقد يتجسم شعورى بصلة القربى بينى وبين هذه الأكوان . فأنعطف

---

(١) راجع ١٩ - ٢٢ شعر من المهجر لمحمد قره على .

(٢) من مقدمة ديوان القروى ص ز ـ ك .

على الشجرة أعانقها ، والصخرة أضمها ، والزهرة أناغيها ، والمرجة أتقلب عليها . وأمد ذراعي إلى السماء أحييها ، وأبعث إلى الشمس بقبلاتي ، على أطراف بناني . والشمس بين روائع الطبيعة حبيبتي الأولى . وفتنتي الكبرى ليس أبعث لنشاطي الجسدي والذهني من الاستحمام بنورها ، ولا ينافس إشراقها في قلبي غير ابتسامة المرأة الحسناء . وأعتقد أن تشاؤم المعري كان بقدر حرمانه من كلتيهما .

وقد تسكن نفسي المضطربة في المدينة إلى عشبة خضراء بجانب الطريق فأقف عندها أو أمشي متمهلا حذاءها ، شاكراً لها إحساناً غير مقصود .

وكم هزني الشتاء العاصف . كالربيع الضاحك . فإذا اهودر الشؤبوب . صحت : لبيك ! فنضوت عني ، وقفزت إليه . وبيدي الليفة والصابونة ، حتى إذا أشبعت جامح رغبتي في الاغتسال بماء السماء . عدت فتنشفت وجلست إلى مكتبي أشد ما أكون استعداداً لاقتبال الرؤى ونظمها .

شعوري الوطني [1] :

أمتي أنا مكثراً ، ووطني أنا مكبراً ، إذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكأنما أكلوا جارحة من جوارحي . وإذا هدروا عربياً في لبنان أو تطوان فكأنما شربوا نغبة من دمي .

وكأن كل بلد قوي من بلادي ساعدي مفتولا ، وكل شعب خامل فيها زندي مشلولا . بل ما أعد ذاتي إلا خلية في جسد أمتي . أنا واحد من سبعين مليون من العرب .

كل واحد منهم أنا . يابني إني أحبهم سبعين مليون ضعف حبي لنفسي ، من افتداهم فكأنما أحياني سبعين مليون مرة . ومن خانهم فكأنما قتلني

(١) من مقدمة ديوان القروي ص : ط ك

مثلها ، ولذا ترانى أصب جامات غضبى على الظالمين ، وصنائع الظالمين والصابرين على الظلم ، بعنف من يدرأ الموت والعار لا عن نفسه فحسب بل عن سبعين مليون نفس كنفسه محشودة فيه ، شاغلة عالم الأرض من لانهاية روحه ، وقدر الشعور يكون الألم . ومن فقد الغيرة أنكر الغضب . وما استكثر اللعنة إلا من استقل الخيانة . وما يأسر السفاحين إلا من استهان بدماء قومه فحسبها ماء كدمه . .

مقياس الوطنية (١) :

« للمحبة الوطنية مقياس حرارى . هو حب المرء نفسه . إذا أهانك جارك الخباز رحت تشترى الخبز من فرن بعيد لأنك تقدم كرامتك على راحة قدميك . وإذا اعتللت استدعيت الطبيب لأن صحتك أعز من جنى يديك . وإذا سطا اللئام على دارك استقبلت الموت بصدرك لأن عرضك أغلى من النسمة التى بين جنبيك ، وقد أنزل الأعداء هذه الضربات جميعا على أشدها بوطنك . فالى أى مدى بلغت غيرتك عليه بالنسبة إلى غيرتك على نفسك؟ قس تعلم رتبتك فى جدول المجاهدين وتكتشف درجة حرارتك فى ميزان الوطنية . . » .

التعصب الوطنى (٢) :

« تساهلنا فى وطنيتنا شر علينا من تعصبنا لأدياننا فلا غلو فى وطنية من يكافح الاستعباد إنما مثل المستكين للرق كمثل المنتحر بيد سواه ، وكائن ترى من متروض بصيد وحوش الغاب ، وهى أبرأ ذمة وأقل شراسة . فلماذا لا يكون للشرقى حق الصراع مع السباع التى تفترس حريته وشرفه وهما أثمن من حياته ألف ضعف ؟ لله ما أبسط عربيـــا يدعو — وبلغته

(١ و ٢) من مقدمة ديوان القروى ص : ط ك و ن

العربية — إلى السلام ، إنسانية تأبى أن تعترف به إنسانا ... بل هى تكرم كلابها وتحتقره ولا قيمة لمواهبه عندها إلا حين تسخرها للتغنى بفرو تماسيحها وترياق ثعابينها وتقوى شياطينها ! .

العروبة (١) :

ويسألكم الشعوبيون هازئين : ما العروبة وما برنامج العروبة ، قولوا : العروبة شعار الأمة العربية وروحها وشمس أوطانها ، ومهوى أفئدتها ، وملتقى ما تعدد من أقاليمها ولهجاتها . العروبة دين الأمة الشامل والدين إيمان ومحبة وتعاون وخير عميم . والطوائف طقوس وشقاق وشر مستطير وبرنامج العروبة . معان تعمر بها القلوب ومناقب حفلت بها سير أبطالكم فى العصور .

العروبة روح حاتم ومعن والسموأل فى سلوك كل نبيل عربى ، وروح عنترة وطرفة وامرؤ القيس والأخطل والمتنبى فى خيال كل شاعر عربى وروح خالد وأسامة وطارق وصلاح الدين ويوسف العظمة على سيف كل جندى عربى ، وروح على وأبى بكر وعمر على قلب كل متسلط عربى .

العروبة ليست أحواضاً للسباحة فى ناد هنا وناد هناك وآخر هنالك بل هى بحر محيط يضم أرخبيلى أقطارنا وتجرى فيه رياح تضامننا كما تشتهى سفن أمانينا ، العروبة أن يشعر اللبنانى أن له زحلة فى الطائف والعراقى أن له فراتا فى النيل . العروبة دم زكى يجرى فى عروق جسد واحد، أعضاؤها الأقطار العربية وكل ما يعوق دورة هذا الدم يعرض الجسد كله للأخطار .

« ويقولون فشلت العروبة ، قولوا : بل عوقت عن النصر إلى حين ثم

---

(١) من مقدمة ديوان القروى ص ن .

كان المؤتمرون هم الفاشلين . من سار على نور العروبة لم يضل . ومن عمل بوحيها لم يضر . بإسفنجة العروبة يمسح الضغن وبميثاقها تزول القطيعة وعلى شاطىء وحدتها يتكسر الاستعمار . وعند آفاقها يقف زحف الليل . وفى ظل علمها تغمض عين الأمن . وفى ميادينها الواسعة تعم الحركة وتثمر المواهب ، وينشد اليسر والرخاء . من أحشائها تولد العبقرية ومن عروقها يتفجر دم الأصالة ، فأيان كانت خيلها فهنالك تعقد ألوية النصر ، وتنفخ أبواق السبق فى المضامير . كل حزب لا يولد من صلبها فهو دخيل عليها متربص بها ، وهى كالبحر لايشقه آسفين . تضرب فيه العمود فيشغل منه بقدر حجمه وهو به محيط ، فما أن تنزعه حتى يتعانق الماء ويعود جسدا واحداوروحا واحدة كما كان (١) » .

القروى الشاعر كما عرفته

— ١ —

شاعر فى رقة الهواء ، وصفاء الماء ، طارت شهرته فى كل مكان ، وهزت شاعريته العرب فى كل قطر ، وسارت أغانيه وأناشيده القومية والوطنية على كل لسان ورددت أهازيجها على كل فم .

شاعر عاش مؤمنا بعروبته ، مخلصا لقوميته . مضحيا فى سبيل إيمانه الوطنى بكل غال ونفيس .

عاش منذ عام ١٩١٣ فى المهجر الأمريكى الجنوبى فى البرازيل ، بعيدا عن الوطن العربى الأم .

---

(١) وقد نشرت مجلة العصبة الأندلسية له مقالا عنوانه «كيف أنظم الشعر» ص ٥٧٨ العصبة عدد أيلول ١٩٥٢ وترجم الدكتور سلومون جورج مجموعة من شعر القروى إلى البرتغالية ، وطبعت فى كتاب بعنوان « حضن الأم » .

ومع ذلك فقد ظل يعيش لينشر فكرة العروبة والقومية العربية ووحدة شعوب العرب بين إخوانه المهاجرين فى أمريكا ، وبين أبناء عمومته العرب فى شتى البلاد العربية .

لم يفته حدث وطنى عربى إلا تحدث عنه ، ولم يترك محنة سياسية لشعب عربى إلا ونظم فيها ، جاهد القوميين فى المهجر وفى سوى المهجر بقصائده الرفيعة ، وناضلهم بلسانه العربى البليغ ، نضالا مراجريئا قويا لاهوادة فيه ،

كان القروى ينظر إلى الأفق لعله يحمل إليه نسيم يهب من وطنه العربى ، أو يحمل إليه نبأ يبشره ببدء البعث فى العالم العربى ، وكان يتنقل بين البرازيل والأرجنتين يخطب فى وفود المهاجرين ، يبث فيهم روح الإيمان بالعروبة والقومية العربية ويذكرهم بذكريات المجد الخالد لآبائهم العرب الميامين ، ويشعل فيهم روح العروبة القوية المكينة لتظل شعلتها المقدسة خالدة فى قلوبهم وفى عقولهم خلود أمجاد العرب وبطولاتهم .

هذا هو الشاعر القروى رشيد سليم الخورى ، الذى لم يتغير على مرور الزمان ، ولم يحد عن العهد ، ولم يترك قضايا أمة العرب لحظه من لحظة حياته المجيدة الكريمة .

— ٢ —

وعاد الشاعر القروى من أرض الغربة إلى أرض الوطن عام ١٩٥٨ ، فاستقبلته دمشق الفيحاء واستقبلته أرض العرب استقبال الأم الحنون لابنها البار الذى طالما كان يحن للقائها ، والذى طالما ردد فيها قوله :

أخت العروبة هيىء كفنى   أنا عائد لأموت فى وطنى

وبين سورية العزيزة ولبنان الجبل العربى الأشم قضى القروى شهورا جميلة يفيء فيها إلى ذرى وطنه ، ويلثم ترابه ، ويشم عبق زهرة ورده ، وفى

يناير عام ١٩٦٠ وصل القاهرة ضيفا على مصر العربية ليشرف على طبع ديوانه الذى قررت الدولة طبعه على نفقتها تقديرا منها لجهاد ابن من أبر أبنائها ولكفاحه فى سبيلها أكثر من ربع قرن قبل اغترابه ونحو نصف قرن وهو فى المغترب .

هـذا الشاعر الذى بدت بواكير شاعريته فى مثل قصيدته الرائعة « لوترين » التى يقول فيها :

أين يا هند أنت أين لترى آه لو ترين
شبحا باسط اليدين يسكب الدمع جدولين
أحمرين
شفه الحزن والجوى فهو أضنى من الهوا
كلما أن للنوى أرسل الآه مرتين
مرتين
إن شكا اغرورق النسيم وبدت فى السما غيوم
وتجلت على النجوم حيرة الدمع وهو بين
عاملين
لاصق الجسم بالتراب عالق الجفن بالسحاب
كل أيامه عذاب ليس يروى عن عاشقين
هائمين
تارة يركب القطار تارة يركب البحار
يشهد الليل والنهار أنه بين تارتين
مرتين
من وداع إلى وداع ليس فى ليلة شعاع
ضربات بلا انقطاع أيها الدهر بين بين
بين بين

كل حظى من الوجود قلم ناحل وعود
وأنا والورى هجود أتسلى ببلبلين
شاديين
إيه لبنان هل يراك هائم شفه هواك
حبذا العيش فى حماك حبذا العيش ليلتين
ثم حين

وفى هذه القصيدة الجميلة يبدو طابع شعر القروى فى عهد الشباب واضحا جليا ، هذا الطابع الرومانسى الحالم البعيد عن القيود والحدود .

ثم أخذت نفسه تنوء إلى حقيقة الواقع الأليم فى وطنه العربى الذى كبله الاستعمار بالسلاسل والأغلال ، فأخذ يشدو فى أعاصيره بوطنياته الرفيعة ، ويردد مثل قصيدته : « الاستقلال حق لاهبة » ، « ووعد بلفور » ، « ونكبة الشام » ، « وصيحة للجهاد » ، « وسقوط أورشليم » ويردد مثل قوله من قصيدته عيد الفطر :

صياما إلى أن يفطر السيف بالدم وصمتا إلى أن يصدح الحق يافمى
أفطر وأحرار الحمى فى مجاعة وعيد وأبطال الجهاد بمأتم
أكرم هذا العيد تكريم شاعر يتيه بآيات النبى المعظم
ولكننى أصبو إلى عيد أمة محررة الأعناق من رق أعجمى
إلى علم من نسج عيسى وأحمد وآمنة فى ظله أخت مريم

وفى المهجر برز الشاعر القروى بوطنياته الرفيعة ، وبشعره فى القومية العربية ووحدة العرب ، ونظم فى شعر الطبيعة ، ووصف بره بالأمومة ، وتحدث عن أمانيه الإنسانية وعن مشاعره ووجدانه ، حديث الشاعر الحكيم .

ونقرأ له فى قصيدته « أومافى العرب ؟ » مثل قوله :

زعم الأغرار أنى شاعر ضيق الآفاق محدود الحدود

وستبلى وطنياتى التى رفلت منها البوادى فى برود
والتى يحسد هداب الضحى خيطها المنسول من حبل وريدى
إن يكن غير الذى قد زعموا واضياعى بين أصنام الجمود
أو يكن للموت قلب واثب فى ضلوعى كلما نادى ونودى
و «الأعاصير» التى اجتحت بها أعظم الموتى كأجفان الرقود
والتسابيح التى رتلتها لبنى أمى على أنات عودى
ففدى استقلال قومى شهرتى وأغاريدى وشعرى وخلودى
جعلوا الرقة مقياساً وما أبعد الرقة عن تلك الكبود
أرأيتم شاعراً تطربه أنة الثكلى على رطب وحيد
ويرى إخوانه تنثرهم زعزع البغى على كل صعيد
وهولاه ينسب الشعر على رنة الكأس بقد وبجيد
ليس هذا شاعر الخلد كما وهموا بل شاعر «العصر الجليدى»
ليس فيهم منصف يخبرهم أننى شاعرهم رغم الجحود
قبل أن أجتاز عقداً ثانياً زنت جيد الدهر بالعقد الفريد
أى فن من فنون الشعر لم أقرع الأفذاذ منه بشرود
أنا للحب وللحرب معا وقوافى لمن شاء شهودى
لست بالمزهو لكن أدبى صنته عن كل مهذار بليد

وتقرأ له كذلك مثل قوله من قصيدته «جئناك» يفتخر بقومه فى مجال الأدب والشعر :

يامنكرا أدبى هديت ألا إنا من صميم عشيرة الأدب
من دولة الفن التى عصمت وتنزهت عن مدع وغبى
من أسرة النور التى تركت ليل الغرور ممزق الحجب
الفجر أختى والصباح أخى والشمس أمى والنهار أبى
لاتنكروا عجزى وقلبى فى نارين من حزن ومن غضب

أنى يجيد الشعر مضطرب أوطانه نهب لمنتهب ؟

ومن روائع قصائده فى المهجر قصيدته « أما الأولى » ، وقصيدته « حضن الأم » و « الأزهار الغريبة » و « زهرة ليونى » و « تسبيحة الحب » و « أين وجدت الله ؟ » و « الربيع الأخير » و « اليأس » التى يقول فى مطلعها :

هل بينكم من راحم قاتل يزحزح الأيام عن كاهلى
يقذف بى فى درك اللج لا يلفظنى موج إلى ساحل

— ٣ —

وفد الشاعر إلى مصر ، فكرمته هيئاتها الأدبية وأدباؤها وشعراؤها تقديرا لجهاده الطويل فى سبيل أمته ، ففى رابطة الأدب الحديث نوه به وبأدبه: السحرتى ووديع فلسطين والخفاجى وعبد الجبار وحليم مترى وجليلة رضا والدكتور مندور وسواهم ، وفى حفلة التكريم الرسمية التى أقامها له مجلس الفنون والآداب الأعلى تحـــدث السادة : وطـاهر الطناحى ومهدى وعلام ومحمد طاهر الجبلاوى وصالح جودت وعبد الله شمس الدين ومحمد أحمد وسواهم وفى منزل القائد العربى عبد الله التل تحدث القائد العربى التل وكامل السوافيرى والشاعر محمد الحومانى والشاعر على الجندى فنوهوا بأدب القروى وبوطنيته . وفى ندوة الشاعر خالد الجرنوسى تحدث خالد وشمس الدين والشاعر على الجندى ومحمود جبر وسواهم ، فنوهوا بالقروى وبشعره ، وفى ندوتى جمعية الشبان المسلمين احتفى الأدباء : عزيز أباظة وعبد المنعم خلاف وعمر الدسوقى ومصطفى السحرتى وأحمد الشرباصى وسواهم بالشاعر القروى فكرموه وكرموا وطنيته وشعره ، وفى ندوة الأستاذ إبراهيم فودة وندوة الأستاذ عبدالله عبد الجبار كرمه الأدباء والشعراء واحتفوا به احتفاء بالغاً .

وفى حفل الاتحاد القومى بالسويس ، وفى أعياد الوحدة ، وفى شتى الحفلات

الأدبية التي أقيمت لتكريم الشاعر ، تحدث القروى وأنصتت له الجماهير مكرمة محيية محتفية به وبأدبه خير احتفاء .

هذا هو الشاعر القروى الذى يتسم بالغيرة على مستقبل أمته ، وبالحب العميق لعروبته ، والذى جمع إلى رقة الخلق وداعة النفس وصفاءها ، وعمق الروح وسموها ، ونبل الضمير والوجدان والمشاعر ، حيا العروبة بأدبه ، والعروبة اليوم تحييه وتهتف به وبأدبه ، ترد له بعض ماقدم ، وتوفى بعض ديونه التى طوق بها جيد العرب فى كل مكان .

إن ديوان الشاعر القروى ببواكيره التى تنتظم ديوانيه « الرشيديات» المطبوع فى سنة ١٩١٦ «والقرويات» المطبوع عام ١٩٢٢ فى صنبول ، وبأعاصيره وأزاهيره وبزمازمه ومحافله ، وبشتى أبوابه وفصوله دليل عبقرية فذة وشاعرية محلقة ، وموهبة جليلة .

ولقد أقام له نادى الخريجين البيروتى حفلا تكريميا كبيرا عام ١٩٥٩ م . وكانت حفلة نادى الخريجين(١) فى بيروت على شرف الشاعر القروى حفلة رائعة فى مظهرها عكاظية فى جوهرها ، وقد أقيمت فى شهر نيسان عام ١٩٥٩ ، وأتاحت للنخبة من أهل العلم والفكر والقلم والأريحية أن يفتحوا صدورهم ويفصحوا عن شعورهم أمام الشاعر المهجرى العائد إلى أهله بعد أن كلله الشيب وجلله المجد وزوده الجهاد الوطنى بأضخم رصيد حازه شاعر عربى فى حقل الإنتاج الشعرى الرفيع عاد يحمل إلى وطنه جهادا ضخماً . ويرفع للشعر العربى عرشاً مكيناً كان مهدداً بالتداعى أمام تيار المادة فى بلد الإشعاع .

— ٤ —

ويقول أحمد زكى أبو شادى عن الشاعر القروى : هو غير مدافع ، العلم الشامخ للشعر القومى فى دنيا العروبة . ولئن عاش فى البرازيل ، فهو

---

(١) جريدة الديار اللبنانية ٦ نيسان ١٩٥٩

كالشمس أينما كان محله أضاء وأحيا . وإن صدور ديوانه الكامل الضخم لحدث أدبي جليل ، فالديوان بمثابة كتاب للعروبة جمعاء وليس حجمه البالغ زهاء ألف صفحة ولا جمال طبعه وتجليده ولا روعة قصائده العديدة ولا شاعريته المجلية بأعظم الصفات التي يتحلى بها هـذا الديوان ، أعظمها في رأينا الروح المخلصة الحساسة النبيلة التي ترفرف عليه وتضيء كل حرف من كلماته .

ولد شاعرنا في ليلة عيد الفصح سنة ١٨٨٧ ، وقد أتحفنا في توطئة الديوان بترجمة شخصية مستوفاة وجد ممتعة ، ومنها نعلم أن مسقط رأسه قرية «البربارة» على هضبة مشرفة على البحر الأبيض بين مدينتي جبيل والبترون من جبل لبنان ، وقد عرف أهلها بالقوة البدنية ورخامة الصوت لا يكاد يشذ منهم في الميزة الأخيرة أحد ذكوراً وإناثاً ، كما نعلم أن شاعرنا من أسرة يجري في دمها حب الأدب والفن وقد نبغ فيها غير شاعر أو أديب أو فنان إلى جانب صاحب الترجمة الموهوب الذي لازمه عوده ملازمة عروس الشعر إياه ؛ وأهم ما يعنينا من ترجمته بعد ذلك ولوعه بالأدب وافتتانه بالطبيعة وروحه الإنسانية العالية وتضحيته بكل نفيس في سبيل مبادئه الشريفة التي تدور حول إنصاف العروبة لتسهم الإسهام الواجب في خدمة الإنسانية .

إن رشيد سليم خوري لم يعش لنفسه فحسب في أي وقت ، بل إن إيثاره الذي يضرب به المثل قضى على فرصة زواجه ، كما يعني بزمرة من آله المهاجرين جملة إلى البرازيل وحباً في وفاء لم يكن ملزماً به .

أما ما تحاشى هو ذكره فقد حدثنا عنه الأستاذ عبد اللطيف الخشن[1] إذ قال في وصفه : «القائد الذي لا يزال جندياً ، ونعني به ذلك الرجل

---

(١) مجلة (العالم العربي) ، عدد يناير سنة ١٩٥٣ م .

الذى لم يرض بلقب رفيع من الألقاب على لقبه ، ولا بحسب من الأحساب على حسبه ، ذلك الذى يشبه السيد المسيح بوداعته ، ويأبى إلا أن يبقى ابن الإنسان الوديع ، رافضاً كل لقب غير لقبه ، وكل نسب غير نسبه ، وكل رتبة غير رتبة الشاعر المتواضع ، إنه الشاعر الذى رفض جميع الألقاب والمناصب والنياشين والرتب والهبات ، هو الشاعر القروى الذى كانت قوافيه جيشاً يسير إلى جانب كل جيش عربى مشى إلى ميدان الجهاد وساحة الشرف.

إنه الشاعر القروى الذى لا يوجد معلم أو تلميذ فى دنيا العرب لا يحفظ قصيدة فى قصائده أو قطعة من نفائس شعره . والشاعر القروى الذى من شاهد حياته البدوية ومعيشته الفطرية فى البرازيل أيقن أنه شاهد ثالث العمرين بعد عمر الخيام وعمر بن الفارض ، فذلك فى حكمه وهذا بزهده وصوفيته ، بل من شاهد القروى فى كوخه الهادىء أيقن أنه شاهد رجلا من رجال الله وقديساً من القديسين الذين وهبوا جميع نبوغهم وعبقريتهم ونفوسهم لله وللإنسانية جمعاء » .

إن الطاقة الشعرية التى تتألف فى هذا الديوان الذى يعد مفخرة للمجد الأدبى العربى لطاقة جبارة يساندها خلق كريم هو خلق الزعيم الشريف.. وهذا ما نعشقه فى الشاعر الذى ينصب نفسه لهداية قومه وللدعاية إلى المثل العليا ، إذ لا يكفينا منه فنه المجرد ، ولن يكون لفنه أو لصناعته النظمية أى أثر خالد متى كانت سيرته مخالفة لدعوته ، ومتى لم تكن شخصيته هو حية فى شعره .

أما الشاعر القروى فهو المثل السامى فى حياته التقية النبيلة لخلوص ما يدعو إليه ، وعلى الرغم من ضخامة مجده الأدبى فقد ترفع عن الغرور والمساومة فى أى شىء ترفعه عن المهاترة والصغار .

وإلى جانب الشاعرية المحلقة نجد الديباجة المتمكنة من اللغة والبيان أى

تمكن ، ونجد الشعر الكلاسيكى فى أبهى حلله العصرية البليغة ، ونكاد نشعر بالتطاول إذ نحن عمدنا إلى الاقتباس والاختيار من هذه الكنوز التى لا أول ولا آخر فى تنوعها وجمالها وجاذبيتها ونفاستها ، لذلك نرى لزاماً علينا أن نكون بين رواة الكثير منها فى المحافل الأدبية وعلى الأثير فى مناسبات شتى ، معتبرين فى ذلك شرفاً ونعمة لنا ، راجين أن يتنبه العالم العربى تنبهاً أوفى إلى فضل هذا الشاعر الفحل المتقشف المتواضع ، وهو ذلك العلم الشامخ بمواهبه وأخلاقه ، حتى كاد فى زهده وإيثاره وتضحيته أن يصلب نفسه بنفسه ليستفز الشباب العربى إلى حياة الشرف الصحيح .

لقد بدأ شاعرنا حياته معلماً ، وهاهو ذا الآن فى شيخوخته المباركة ذلك المعلم العبقرى والقدوة النابهة للأمم العربية ولشعراء العرب على السواء ، ومع ذلك فهو القائل :

يامن يعد علىّ كل صغيرة   إن لم تكن متساهلا كن عادلا
إن كنت مثلى ناقصاً فاعذر ، وإن   تك كاملا فاعذر لتبقى كاملا

إن قصائد الشاعر القروى العربية أشهر من أن تعرفّ .. فلنختم حديثنا هذا بطرائف من شعره الوجدانى والإنسانى والفلسفى .

يقول من قصيدته « اجعل الأرض حيث كنت جناناً » :

صغرت نفس حاصر النفس فى أشـ
بار أرض يعدها أوطانا
أنت حر فاستوطن البلد الحر (م) وصاحب من أهله إخوانا
مثلك الكون والزمان فلا تلـ   ح مكاناً ولا تذم زمانا
ليس فى قضمك الحديد هوان !   إن فى بثك الشكاة هوانا
بسمة تظهر الفقير غنياً ،   دمعة تمسخ الشجاع جبانا
فتلق الحياة بالبشر فالعيـ   ش نعيم إن لم تكن شيطانا

كن إله النضار ، إنك عندى لست شيئاً ما لم تكن إنسانا
أشبع العقل حكمة واختباراً ، واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الأرض والسماء ، وهل يد عى كـ فقيراً من يملك الأوانا

وقال من قصيدته : « أين وجدت الله » :

هو الحب حتى ليس فى الأرض مجرم
ولا مدمع يجرى عليها ولا دم
وحتى كأن القلب فى خفقانه يود به نطقاً كما نطق الفم
فقل للذى لم يعرف الحب قلبه ولم يلف إلا شاكياً يتألم
أيا صاحبى إن العداء جهنم وما فيه من عز لتحلو جهنم
ويا صاحبى إن التجهم يقتضى من الجهد مالا يقتضيه التبسم
ألا كل دين ماخلا الحب بدعة ألا كل علم ماعدا توهم
ولا عجب أن ينكر الله كافر فماذا ترى من يجهل الحب يعلم ؟

وقال بعنوان « الغفران » :

قمت قبل الطيور أشدو حبوراً لا أرى علة لفرط حبورى
مؤنساً وحشة الفضاء كأنى نبأ طيب سرى فى الأثير
وعلى وجنتى للورد ظل عائم فوق موجة من نور
أتهادى بين الغصون كغصن وأناغى العصفور كالعصفور
قلت « ربى ! أزال عهد شقائى أم أرانى فى عالم مسحور ؟ »
وإذا زهرة كوجنة طفل جنبها شوكة كناب هصور
فتذكرت ليلة الأمس حلماً منه أدركت سر هذا السرور
إن كف الرحمن تحت سكون الل يل بالعفو غلغلت فى سريرى
فرمت نفحة من العطر فى قلـ ى وعادت بشوكة من ضميرى !

وقال من قصيدته « بين الحقول » :

هل تذكرين لقاءنا فى روضة سحرية والطير تهتف باسمك
والشمس تلقى فى المروج ظلالنا عمداً لتحفظ فى المروج برسمك
والنحل يطمعنى برشف لماكِ وال أغصان تغرى ساعدى بضمك
لما شغلتك بالزهور هنيهة وشغلت عن شم الزهور بشمك
ثم ارتمينا بين أحضان الربى ثملين فى الغض الندى لجسمك
وغدوت كالعقد النثير على الثرى أعجزت ألبق شاعر عن نظمك !

هذا ما يقوله شاعرنا الذى يعبد الجمال ، حتى ايقول : « يكهربنى الجمال على أنواعه فأشيد بذكر القطعة البارعة ولو أنها لعدو لدود ، بل حتى لو كانت لى » . وهذا مايقوله شاعرنا الذى يغضب للحق ولا يحقد ، وتبلغ به الجراءة والصراحة حد الخشونة على الرغم من وداعته الطبيعية . وهذا مايقوله الإنسان الحكيم الذى يعلن : « قد أنسى الله حيناً فى بأسائى ولكنى لم أنسه قط فى نعمائى » .

صور من شعر القروى :

عند الرحيل (١)

نصحتك يانفس لاتطمعى وقلت حذار فلم تسمعى
فإن كنت تستسهلين الوداع كما تدعين إذاً ودعى ! !
رزمت الثياب فلم تحجمين ولم ذا ارتعاشك فى أضلعى
ألا تسمعين صياح الرفاق وتجديف حوذينا ؟ اسرعى
رأيت السعادة أخت القنوع وخلت السعادة فى المطمع
ولما بدا لك عزمى قنعت وهيهات يجديك أن تقنعى
خرجت أجرك جر الكسيح تئنين فى صدرى الموجع
ولما غدونا بنصف الطريق رجعت وليتك لم ترجعى
لئن كنت يانفس مع من أحب فلم ذا اشتياقى ولم أدمعى
أظنك تائهة فى البحار فلا أنت معهم ولست معى
كفاك اضطرابا كصدر المحيط قفى حيث أنت ولا تجزعى
سأقضى بنفسى حقوق العلى وأرجع فانتظرى مرجعى

تحية الأندلس

أم الشاعر الأسبانى فرنسيسكو فيلاسبسا مدينة سان باولو ، وحاضر فى أشهر مجامعها وأنديتها العلمية والأدبية محاضرات نوه فيها بذكر أمجاد أجدادنا العرب فى الأندلس مباهياً بانتسابه إليهم ، مما حمل الرابطة الوطنية السورية على إحياء حفلة تكريمية له أنشد فيها القروى هذه القصيدة :

خبرينا كيف نقريك السلاما

---

(١) ديوان القروى - من البواكير ص ٥٥ ، ٥٦

طيب النشر كأنفاس الخزامى
والشذا المحي بسوريا العظاما
غادر الشام وبيروت وهاما
فى بلاد حرة لم تحن هاما
وأنوف لم يقبلن الرغاما
خبرينا كيف نقريك السلاما ؟
أمن (الميماس) حيث العلج رافع
راية حمراء تحميها المدافع ؟
أم من الشام وطرف الشام دامع ؟
أم من الأرز وليث الأرز خاضع ؟
أم من الأردن والأردن ضارع
خاشع الرأس ذليلا يترامى
أمن العبدان ترضين سلاما ! !
إن بالحمراء أرواحاً مطيفه
لم تزل تحمى ذرى القصر المنيفه
أرسلت من بينها عين الخليفه
نظرات هن لعنات مخيفه
لايحيينى سوى نفس شريفه !
أبعدوا لبنان عنى والشآما
من ربوع الذل لا أرضى سلاما ! !
يا ابنة الزهراء يا أندلسيه
لم تزل فيك من المجد بقيه
لمعت فيها السيوف المشرفيه
ضاربات بزنود عربيه

فعلى مثلك لا تلقى التحيه
بأكف لم يجردن حساما
خبرينا كيف نقريك السلاما ؟
فإذا بغداد عادت كالقديم
موطن الشعر وديوان العلوم
وإذا رن بها عود النديم
مرجفاً بالحب أعصاب النجوم
ومثيراً لوعة الليل البهيم
ومديراً أدمع الفجر مداما
عند هذا سوف نهديك السلاما
وإذا بيروت ، أم النور ، ولى
عن سماها أثقل الرايات ظلا
وإذا السيف من الصحراء سلا
نافضاً عن أربع الفيحاء ذلا
وإذا لبنان بالأمر استقلا
فلبسنا العز أو متنا كراما
عند هذا سوف نهديك السلاما !

أين وجدت الله (١)

لطمت جدار الأفق حتى تصدعا وغادرت باب اللانهاية مشرعا
وأطلقت ورقاء ابن سينا لخلقت ترود محلا فى السماوات أرفعا
وما برحت تطوى الفضاء لعلها تلاقى ليوحنا ورؤياه موضعا

---

(١) ديوان القروى ص ٨٢٧ - ٨٣٣ .

إلى أن أتمت دورة الكون وانثنت
وما تركت من دارة الكون إصبعا
فلم تر يوحنا ولم تر بطرساً ولم تر إيليا ولم تر يوشعا
ولم تر من خلد ولا من مخلد ولم تر لاعرشاً ولا متربعا
فعادت يهيض اليأس هيضاً جناحها
ويجرش منها جارش الحزن أضلعا
تزعزع إيمانى وحاق بى الأسى وودعت عهداً للصلاة تكرسا
لأنى لم ألق الإله بعالم يشابه فيه اللامس المتلمسا
وصرت إذا للدين يعقد مجلس
عقدت وأهل الكفر للكفر مجلسا
وخيل لى أن خلفت «شميلا» وإنى بعلمى يرفع القوم أرؤسا
وإنى للإصلاح أضرمت ثورة وهدمت «بستيلا» وحررت أنفسا
وإذ نال منى العجب يوماً مناله وفارت دمائى فى عروقى تحمسا
تذكرت تهديد «الوليد» لربه وألقيت فى النار الكتاب المقدسا
فلاح لعينى فى الدجنة مشهد غريب تقوم النفس منه وتقعد
كأن زفير النار بوق «أديصن» سمعت به آى الكتاب تردد
وداود أستاذ المغنين منشداً وأيوب فى أوجاعه يتنهد
وطارت إلى القرآن منه شرارة تلاقى بها موسى وعيسى وأحمد
ومحصت النيران محكم آيهم كما من تراب الأرض محص عسجد
فلم يبق فى أفواههم غير لفظة تخر لمعناها القلوب وتسجد
أحاطت بجو اللانهاية فاغتدى بقوسين من حاء وباء يحدد
هو الحب حتى ليس فى الأرض مجرم
ولا مدمع يجرى عليها ولا دم
وحتى كأن القلب فى خفقانه يود به نطقاً كما نطق الفم

فقل للذى لم يعرف الحب قلبه ولم يلف إلا شاكياً يتألم
أيا صاحبى إن العداء جهنم وما فيه من عز لتحلو جهنم
ويا صاحبى إن التجهم يقتضى من الجهد مالا يقتضيه التبسم
ألا كل دين ماخلا الحب بدعة ألا كل علم ماعداه توهم
ولا عجب أن ينكر الله كافر فماذا ترى من يجهل الحب يعلم
أبيحت به للسالكين المذاهب فمذهبه أن ليس فيه مذاهب
ووحدت الأنحاء فيه فلا ترى مشارق فى سلطانه ومغارب
ولا عربى عنده وأعاجم ولا وطنى عنده وأجانب
ولا فيه مغصوب ولا غاصب ولافيه مغلوب ولا فيه غالب
تمشى بأعصاب الوجود فأشعلت به كالمصابيح النجوم الثواقب
ودارت حواليه البرايا كأنه نواة حواليها تدور الكهارب
فليس له إلاه فى الكون دافع وليس له إلاه فى الكون جاذب
كشفت ضمير الدين يوم كشفته ولم أعترف بالله حتى عرفته
فما أنا فى الأكوان بعد بباحث وفى كبدى ألفيته وألفته
غسلت من البغضاء والحقد أضلعى
ببعض الذى من كأسه قد رشفته
وشدت به بيتاً جعلت حدوده وراء حدود الوصف لما وصفته
بأعمدة الخلق المتين دعمته وأجنحة الروح الأمين سقفته
فما الأرض إلا ذرة فى فنائه مغلغلة بين الحصى إذ رصفته
وما الزهر فى السبع الطباق تنضدت
سوى ثمر من روضه قد قطفته
أرى الله لفظاً بالمكارم ينطق ودينا بمحمود الفعال يصدّق
كفاكم كلاماً إن تلوتم كلامه وما زاد عنه فالذى زاد أحمق
تلوكون لفظ الحب مليون مرة تزوجتموه وهو منكم مطلق

ولم يوصكم ربى بأن تتشدقوا ولكنه أوصى بأن تتصدقوا
فبالبر والإحسان صلوا وسلموا عليه وبالغفران والرحمة اتقوا
ويا ليت كل القول يحشو جيوبكم ويا ليت بعض المال لله ينفق
ويا ليت أرزاق اللئام لمحسن فقد قل من يهوى العطاء ويرزق
فيا من تمنى أنه كان رائياً كرؤياى نق القلب وامش ورائيا
فقد شمت وجه الله فى وجه مخلص صريح ولو فى الكفر ليس مرائيا
وصافحت كف الله فى كف محسن يجسم فى كف الفقير أمانيا
وعاينت عين الله فى عين شاعر تسح على أهل الشقاء لآليا
ولامست قلب الله فى قلب راحم يذر على القلب الكليم تعازيا
ففى ثغر من منكم أرى الله باسماً وفى عين من منكم أرى الله باكيا
وفى كف من منكم أرى الله محسناً
وفى لطف من منكم أرى الله شافيا
مضى كل ما أبقى الغنى لآله وظل الذى أفنى على الفضل باقيا

فوزى المعلوف

١٨٩٩ — ٧ يناير ١٩٣٠ م

صاحب قصيدة « على بساط الريح »[١] المشهورة ، تعلم فى مدارس زحلة ، وورث عن أبيه حب الشعر والأدب ، فنظم الشعر ، وألف بعض الروايات التمثيلية وهو لم يزل بعدفى سن الشباب . وأقام مع والده فى دمشق ، وعين فى وظيفة بالمعهد الطبى العربى بدمشق عام ١٩١٨ م ، وفى عام ١٩٢١ م هاجر مع بعض إخوته وأقاربه إلى سان باولو بالبرازيل ، وأنشأوا فيها جميعا مصنعا للحرير . . وعاش فى رفاهية وثراء حتى توفى فى يناير عام ١٩٣٠ [٢]..ونوه به فيليب حتى أستاذ التاريخ العربى بجامعة برنستون بالولايات المتحدة ، وغيره من الأدباء العرب ، ومن المستشرقين . . وترجمت قصيدته « على بساط الريح إلى الإنجليزية والألمانية والروسية والفرنسية والرومانية والبرتغالية والأسبانية ، ونالت شهرة واسعة . وفوزى المعلوف صاحب نظرات متشائمة فى الحياة . .

ألف تمثيلية « سقوط غرناطة » ذات الفصول الخمسة ، وله دواوين : «شعلة العذاب »، و«تأوهات الريح »،و«من قلب السماء» ، و«أغانى الأندلس » .

ثم كتب « على بساط الريح » وهى قصيدة طويلة ذات أربعة عشر نشيدا وطبع هذا الكتاب فى ربودى جانيرو عام ١٩٢٩ ، وكتب مقدمته الشاعر البرازيلى فرنسيسكو فيلاسباسا وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذه الملحمة عام ١٩٢٩ .

(١) نشرت عام ١٩٢٩ فى مجلة المقتطف ، ثم طبعت فى البرازيل طبعة ممتازة ، أخرج البدوى الملثم عنه كتابه . « شاعر الطيارة »

(٢) ٢٣٧ و ٢٣٨ الشعر العربى فى المهجر- محمد عبد الغنى حسن .

والشاعر فى التاسعة والعشرين من عمره فى ريودى جانيرو ، فى مقدمتها مجد فرنسيسكو فيلا سباسا ، انتصار الشـــاعر للقوة الروحية ، وغناءه منها لروح الشرق الخالدة ولأروع مافى هذه الروح من جمال وقوة وخيال ؛ ونوه فيها كذلك بملامح الشبه القوية بين المهجريين والأندلسيين (١) . . وأشار إلى تمثيليته « سقوط غرناطة » وإلى دواوينه : شعلة العذاب ، أغانى الأندلس ، تأوهات الروح ، من قلب السماء .

وكما يقول كاتب المقدمة : لقد جمع فوزى المعلوف فى قصيدته المبتـكرة هذه ، وتحت هذا العنوان الشرقى المحض ، تأثيراته الأولى فى رحلة هوائية قام بها دون أن يسكر بخمرة المدنية الأوروبية .

وهذه مختارات من هذه الملحمة :

— ١ —

فى عباب الفضاء ، فوق غيومه ... بين نسره ونجمته
حيث بث الهوا بثغر نسيمه ... كل عطره ورقته
حلق الشاعر العصامى منذ الـ ... ـبدء لـكن بروحه لا بجسمه
ضارباً فى الفضاء مع ربة الشعـ ... ـر ومن حوله عرائس حلمه
ملك قبة السحاب له قصـ ... ـر ، وكل الأثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الدجى فاح كافو ... ر دراريه فوق عنبر فحمـه
هالة البـــدر كللته بتـاج ... صيغ من نثر فضة حسن نظمه
والسوافى عرش له نفض الليـ ... ـل على جانبيه رهبة رسمـــه
والثريا فى كفه صولجـان ... ذهب الصبح ضم لؤلؤ نجمه
شاعر طائر بغـــير جناحيـ ... ـن بأمر الخيال يقضى وباسمه
ملـكه ركنه الهواء ولـكن ... إله الخـلود قام بدعمـه !

(١) ص ٩ و ١٠ و ٢٩ - ٣٥ على بساط الريح .

هجر الأرض طالباً راحة الرو ح بعيداً عن الوجود وظلمه
صد عنه طوعاً بملء رضاه بعـد أن جاءه مقوداً برغمه
هو منه ، وليس منه ، فمازا ل غريباً ما بين أبناء أمـه

— ٢ —

يا نفوساً فى بردة الشعراء رفعتهم على الهواء
أبعدتهم عن عالم الأحياء قربتهم من السماء
لست من عالم التراب وإن كنـ ت تجسدت بالتراب عليه
أنت من عالم بعيد عن الأر ض يفيض الجمال عن جانبيه
عالم أنت فوقه نسمات حملت نفحة الشور إليـــه
هو مازال طاهراً ونقيا لم يدنس إثم الورى بردتيه
وفى الشعر فيه يستنزل الوحـ ى بياناً يجثو الخـــلود لديه
مبقياً طى مصحف الأفق آثا راً توشى بحسنها صفحتيه
ما شعاع الأصيل غير لهيب شع من قلبه على مقلتيه
وقتام الغمام غـــير دخان صعدته الهموم من شفتيه
ما أنين الرياح غير زفير سرقته الرياح من رئتيه
ونواح الطيور غير أناشيـ د روتها الطيور عن أصغريه
ما بريق النجوم غير شظايا كأس حب تحطمت فى يديه
وندى الفجر غير در دموع شربتها الأزهار من محجريه

— ٣ —

بين روحى وبين جسمى الأسير كان بعد ذقت مره
أنا فى الترب ، وهى فوق الأثير أنا عبد وهى حره
أنا عبد الحياة والموت ، أمشى مـكرها من مهودها لقبوره
عبد ماتحتوى الشرائع من جو ر يخط القوى كل سطوره

بيراع دم الضعيف له حبـ ـر ونوح المظلوم وقع صريره
أنا عبد القضاء ، عبد هناه وشقاه ، بشيره ونذيره
عبد عصر من التمدن نلهو ضلة عن لبابه بقشوره
عبد مالى ، أسعى إليه فأحظى بعد طول العنا بوطأة نيره
عبد إسمى ، أذيب نفسى وجسمى طمعاً فى خلوده وظهوره
عبد حبى ، جعلت قلبى مأوا ه فأضرمت أضلعى بسعيره
إن جسمى عبد لعقلى ، وعقلى عبد قلبى ، والقلب عبد شعوره
وشعورى عبد لحسى ، وحسى هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بى تحت العبودية العمـ ياء فوق الوجود بين شروره
غير روحى ، فإنها حرة تمـ شى بروض الخلود بين زهوره

* * *

ومن قصيدته « القفاز اللقيط » :

عثرت به فى الأرض والثلج باسط عليها جناحيه النقيين كالطهر
وقد بث فيه البرد والثلج رعشة كما انتفض العصفور بلل بالقطر
فساءلته عمن رماه فلم يجد جواباً ، بلى كان الجواب شذا العطر
تضوع منه فى خلال نعومة ونمنمة نمت على ذلك السر
فلم يبق من ريب بأن التى رمت به غادة ، أو ضاع منها ولم تدر
فيا لك قفازاً طريحاً على الثرى يعانى عذاب البرد والذل والهجر
نعمت بيمناها وكم لك قبلة على الثغر منها والغدائر والصدر
وكم مرة منت عليك بزفرة ، وكم مسحت دمعاً على خدها يجرى
إلى أن قضى بالبعد دهرى عليكما فلا حيلة فى ما قضت حكمة الدهر
ولكن عزاء عن بياض يمينها بثلج حكاها بالبياض وبالنشر
ويهنيك ثلج عذبتك ببرده ، فكم عذبت قلب المحب على جمر

محبوب الخورى الشرتونى

١٨٨٥ — ١٩٣١ م

ولد شاعرنا فى لبنان عام ١٨٨٥ م فى قرية شرتون من أعمال قضاء الشوف ، ونسب إلى قريته ، وتلقى تعليمه فى مدرسة الفرير ومدرسة قرنة شهوان ومدرسة الحكمة .

أسرته أسرة شاعرة ، أبوه شاعر ، وجده من أعلام الزجل فى زمنه .. تلقى ثقافته فى لبنان وعمل فى وظائف التدريس[1] فيها كما عمل فى الصحافة ، فتولى رياسة جريدة لبنان[2] . وهاجر إلى الولايات المتحدة حيث عمل فى التجارة ، واشتغل بالأدب والشعر والكتابة ، ثم هاجر إلى المكسيك وأقام فيها ، وأصدر فيها جريدته « الرفيق » العربية عام ١٩٢٥ م.

وقد عمل بجانب ذلك فى التجارة فى المكسيك وأثرى منها ثراء كبيرا ، ولكنه منى بأحداث كثيرة بددت ثروته منها الحريق ، والغرق ، والسرقة ، وقال فى إحدى هذه الأحداث قصيدته :

حلم جميل من ذهب مازارنى حتى ذهب

وفى عام ١٩٣١ ترك المكسيك إلى الولايات المتحدة ، وتوفى فيها وهو يستشفى فى مستشفى (مايو) بمقاطعة رونشستر .

---

(١) اشتغل معلما فى المدرسة البطركية والمخلص والفرير والكلية اليسوعية ومدرسة الحكمة وغيرها .

(٢) كانت تصدر هذه الصحيفة فى مدينة بعبدا بلبنان ، وقد أنشأها فيها عام ١٨٩١ الصحفى اللبنانى الأديب إبراهيم الأسود ، ولما تولى الشرتونى رياسة تحريرها صارت جريدة أدبية بعد أن كانت صحيفة أخبارية .

وقد طبع ديوانه عام ١٩٣٨ فى مطابع جريدة السمير العربية بنيويورك، وكتب مقدمته الشاعر المهجرى إيليا أبو ماضى .

ويصور شعر الشرتونى لونا من الأدب المهجرى الذى نما وازدهر على أيدى المهجريين فى المكسيك ، التى كان يعيش فيها جالية عربية كبيرة ، وأنشأ المهاجرون فيها صحفاً عربية كثيرة تبلغ نحو العشرين صحيفة خلال القرن العشرين .

وشعره فيه سهولة وعذوبة ، ويتضمن ديوانه قصائد فى الوطنيات والاجتماعيات والغزل والرثاء وفى شتى المناسبات ، شأنه فى ذلك شأن الشاعر مسعود سماحة ، وإن امتاز عنه بالسهولة والوضوح ورقة الأسلوب .

صور من شعره

أنابك خطب فلم ترجعى ... أم الطير تنبو عن المرتع؟
أسى ياحمامة فى جانحى ... وحزن تغلغل فى الأضلع
ولو لم يعذب جفونى السقام ... لجللت ذكرك بالأدمع
غداة تركت فراش الضنى ... طلبتك فى ذلك الموضع
وساءلت عنك جهات الفضاء ... فضاع السؤال ولم ينفع
هو الفجر عودنى أن أراك ... هناك على الحائط الأرفع
فكم طلع الفجر ثم انقضى ... وعاد وعدت فلم تطلعى
لقد كنت ذاك الأنيس الأحب ... إذا ماظفرت من المخدع
أمتع طرفى بنور الضحى ... وبالورد والحبق الأضوع
أجل اكنت أبدع رسم يلوح ... لعينى فى المشهد الأبدع
فكنت أرى فيك رمز الوفاء ... ورمز الطهارة فى المنزع
وأبصر فيك رسول السماء ... يحدث عن قدرة المبدع

وقوفك فى شرفات السطوح　　وقوف يشوقك أن تسجعى
كأنك فى أوجها شاعر　　أطل على العالم الأوسع
وكنت إذا ما شققت الفضاء　　بجانحك الخـــافق الطيع
تصورت أنك طير الخيال　　يطير بعيـداً عن المجمع
إذا كنت فى قيد هذى الحياة　　تعـالى إلى وعيشى معى
فأنت هنالك رهن الخريف　　إذا نقص الحب لم تشبعى
وليس هنالك أمن فإن　　رمتك يداً صائد تصرعى

إلى شاعر مكسيكى

يافتى الشعر مااختلاف اللسان　　كائن فى عواطف الإنسان
لغة القلب بيننا فتـكلم　　ليس للقلب فى الهوى لغتان !
جمعتنا فى الشاعرية قربى　　فـكلانا بحـكمها إخوان
وبلاد هبطتها أنت فيها　　بلبل من بلابل الأغصان
المياه التى جرعت عذاب　　والثمـار التى اشتهيت دوانى
والرجال الألى عرفت كرام　　والحسان التى هويت غوانى
والعشير الذى اتخذت شريف　　والمـكان الذى نزلت مـكانى
فـكأنى ـ رغم الفراق ـ مقيم　　بين أهلى على ربى لبنان

الفقير

ليس الذليل هو الفقير بماله　　إن الفقير بعقـله لذليل
الشوك محتقر وفيه خضارة　　والورد محترم وفيـه ذبول
هبط المسيح من السماء وماله　　إلا مغارة « بيت لحم » مقيل
وأتى الحياة محمد لا أمـه　　بنت الأمير ، ولا أبوه نبيل

أحبهم

قالوا تحب العرب؟ قلت أحبهم
يقضى الجـوار علىّ والأرحام
قالوا : لقد بخلوا عليك ، أجبتهم
أهلى وإن بخلوا علىّ كرام
قالوا الديانة ، قلت جيل زائل ويزول معه حزازة وخصام
ومحمد بطل البرية كلها هو للأعارب أجمعين إمام
قالوا البداوة ، قلت أظهر عنصر صفت النفوس هناك والأجسام
الأريحية والشهـامة والندى فى الأرض حيث أيانق وخيام
قالوا الشآم ، فقلت رؤية وجهها كنز ، ولثم ترابها إنعام
وطن لنا ذكراه نفحة عنبر وحديث عودتنا إليه مدام
أرض المهاجر نحن فى جنباتها ريح تسير لغاية وغمام
وإذا تمر بقرية عصفورة فعلى السطوح وقوفها إلمام
نسمات واديها وعزلة عشها ومروجها وسماؤها أحلام

الربيع فى المكسيك

هو ذا الكون فى قشيب ردائه والحلى ملء أرضه وسمائه
الحقول الخضراء ألقى عليها باسط الأرض مسحة من بهائه
وغمام السماء يبكى ولكن تضحك الروض كلها من بكائه
إيه ماألطف الربيع وأبهى زهره وهو مشرف من خبائه
كشباب الفتى أنيق ولكن لهف نفسى على قليل بقائه
يارواسى الربى أنا ابن الروابى وربيب الأشم فى عليائه

ذكرينى بموطنى وأرينى مثلا من جماله وروائه
شاعر عن مضارب الريف ولى ناشد فيك راحة من عنائه
جاء يشكو إلى رباك هجيرا كهجير الحجاز فى بطحائه
فامنحيـــه برودة ورفاها وخذى من مديحه وثنائه
أيهذا القطار تسرع فى الحقـ ـل فدعنى أهيم فى خضرائه
يذهب الطرف والخطى لمعات فيرى ما أمامه من ورائه
أنت كالعمر ليس يمهل حتى يتملى الشباب من أشيائه
ليتنى كنت فى الحياة هزارا ناعم البال فى فسيح فضائه
مطلق الجانحين فيه بعيدا عن أذى المرء عن كثير جفائه
ليس يلهيه والحدائق ملاى طلب القوت عن لذيذ غنائه
يرتدى من صنيع باريه ثوبا ما ارتداه ابن آدم فى رخائه
خلق الله للتوجع منى شاعراً غير باحث عن دوائه
هو فى الأرض حيث كان غريب ليس فى أهله ولا عشرائه
كفراش الحقول ماهو إلا
ضائع القلب ، شارد الفكر ، تائه
روحه ترقب البعيد وتشكو قلقاً فى عروقه ودمائه

حلم وذهب

حلم جميل من ذهب ما زارنى حتى ذهب
أمسيت ذا نشب وقد طلع الصباح ولا نشب
ذعر النيـــام لصائح بالويل يصرخ والحرب
النـار تمعن فى الحمى والناس تمعن فى الهرب
والريح تلعب باللهيـ ـب كأنه إحدى اللعب
هجم السعير على المضا رب واللصوص على السلب

فوقفت أنظر ما الجحـ ـيم وما الأبالس عن كثب
وحسبت أن الكون أجـ ـمع قد تضعضع واضطرب
ونظرت نظرة ذاهل أودى بحكمته العجب
ثم التفت إلى الورا ء وقست مرحلة الخبب
تلك الأباطح من جها د والبواذخ من تعب
يا نفس لا تتوجعى أخذ المهيمن ما وهب
ذهب السعير من العما رة بالهشيم وبالخشب
ومن الحطام براجع والحد يرجع ماذهب
ومن الكتاب بكاغد ومن البراعة بالقصب
لا بالشباب ولا النشا ط ولا الذكاء ولا الأدب
ويقيم ذكرى فى المحا فل حيث لا يصل اللهب
أنا فوق من كدس النضا ر وإن خسرت وإن كسب
إن التفاوت بالعلو م هو التفاوت فى الرتب

رشيد أيوب

١٨٧٢ — ١٩٤١م[1]

الشاعر الباكى الشاكى ، وشاعر الدموع والأحزان ، يعد من أشهر الشعراء المهجريين ، ولد فى بسكنتا بلبنان ، وهى موطن ميخائيل نعيمة أيضا ، وتلقى شاعرنا فيها دراساته الأولى ، ثم سافر إلى باريس عام ١٨٨٩م ، حيث مكث فيها ثلاث سنوات ، ثم سافر إلى مانشستر يعمل فى التجارة ، وعاد إلى لبنان فأقام فى وطنه شهورا ثم غادره إلى أمريكا عام ١٨٩٥ م ، واشتغل بالتجارة والأدب والصحافة ، واشترك مع زملائه فى تكوين الرابطة القلمية ، وطارت شهرته فى الولايات المتحدة خاصة وفى المهجر عامة ، وأخرج دواوين ثلاثة هى : أغانى الدرويش — الأيوبيات — هى الدنيا ، وقد كتب ميخائيل نعيمة مقدمة ديوان « أغانى الدرويش » وزين جبران رسومه . . وتوفى فى بروكلن فى السابع والعشرين من كانون الأول عام ١٩٤١ م .

ويقول عنه العلامة روكس العزيزى من دراسة له عن الحيرة والألم فى أدب رشيد أيوب .

«رشيد أيوب من الشعراء البارزين » إذا عد أدباء المهجر ، وشعراء المهجر ، ومن أعضاء الرابطة القلمية التى عملت على تحرير الأدب العربى من قيود التقليد المؤثمة ، ومن أعضائها المرموقين .

وأول مايبدهك من أدب (رشيد أيوب) عناصر الحيرة والألم ،

---

(١) راجع ٢٤١ شعر من المهجر لمحمد قرة على ، وفى كتاب «الشعر العربى فى المهجر» أن مولده عام ١٨٧١ م (١٦١المرجع) .

والحنين إلى الوطن ، تلك العناصر التى تكاد تكون طابعاً عاماً لأدباء المهجر ، المتفائلين منهم والمتشائمين .

لكن حظ (رشيدأيوب) من الحيرة والألم يكاد يكون طابعاً خاصاً به . ولعل سر ذلك أنه انتقل فجأة من هدوء القرية الشامل إلى ضجيج أوربة وأميركة الصاخب الهائل ؛ ومن حياة (بسكنتا) الوادعة التى يمازجها سحر (حنين) ، والصمت المخيم على منحدرات (وادى الجماجم) إلى دوى العجلات فى معامل (باريس) و (منشستر) و (نيويورك) تلك الحياة التى تحول الإنسان إلى مايشبه الآلة ، لاغاية له إلا العمل والإنتاج ! . .

تلك الحياة ، حولت (رشيد أيوب) ناقوساً أينما نقرته ، ردد عليك أنغام الحيرة والألم ! . .

حتى قصائد (رشيد أيوب) التى تبدو باسمة ، لابد أن تطالعك فيها ابتسامة متلعثمة غامضة ، تنم على قلب حزين حائر فى حاضره جم التلهف على ماضيه ، زائغ النظر فى مستقبله .

(رشيد أيوب) موزع بين آماله الضائعة ، وآلامه الممضة ، هو برم بالناس ، برم بالفقر الكافر ، هارب من واقع الحياة المؤلم !

يضاف إلى كل ماتقدم ، أن له نفساً شاعرة بالفطرة ، لاترى للحياة معنى بغير الشعر ، والشعر أخسر البضائع صفقة ، وأحقرها قيمة فى الشرق ، وهو أقل قيمة فى الغرب ، عند قوم لايعرفون لغة الشاعر ، ولا يقيمون لأمة الشاعر نفسها وزناً ، فالعرب كلهم فى نظر القوم ترك جفاة ! . .

فلا عجب أن تطول حسرة (رشيد أيوب) ويتمزق قلبه الحساس ، الذى لايستطيع أن يواجه الحياة بصلابة الفيلسوف . فالشيب الذى فضله أبو العلاء المعرى على الشباب بقوله :

خبريني ، ماذا كرهت من الشيب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياء النهار ، أم وضح اللؤ ؤ أم كونه كثغر الحبيب
واذكرى لى فضل الشباب وما يجمع من منظر يروق وطيب
غدره بالخليل أم حبه للـــغى أم أنه كعيش الأديب ؟

هذا الشيب يصدع قلب شـــاعرنا المهجرى (رشيد أيوب) فاسمعه يقول :

أرغى المشيب وأزبد وابيض ما كان أسود
فقلت « هذا حسابى مع الزمان : يسدد ! »

إن قوله : « هذا حسابى مع الزمان يسدد ! » قد بلغ منتهى المرارة النفسية ، فهو يشعر بأنه مهزوم فى الحياة ، وأنها قد مضغته فلفظته ، فهو يحس بأنه فقد لذة الحياة ومرح الشباب ، والأمل نفسه ، إلا بقايا من الأمانى الحائرة التى تراوده كومضات الذبالة المحتضرة ، تلمع ثم تخبو ، فتموت ، وهو يحاول إيقاظ تلك الأمانى فى نفسه ، من حين إلى آخر ، لئلا يطول حزنه ، ويستبد به اليأس ! . .

والمرء لولا الأمانى تموت فيه وتولد !
لما رأيت عليها ، إلا الحزين المنكد !

صور من شعر رشيد أيوب :

أين كنت [1]

لقيتك لما نصبنا الخيام
ألا تذكرين زمان اللقاء
فأسكرت قلبي بخمر الغرام
وخلفت نفسى بوادى الشقاء
ثم غبت
ألا تذكرين بشط الغدير
على صخرة قد جلسنا هناك
ولما انحنيت لصوت الخرير
لمحتك فى الماء مثل الملاك
حين لحت
ولما مشينا لنجنى الورود
بظل فراشاتها الحوم
تعبت فودعت هذا الوجود
وقلت لأغصانها خيمى
ثم نمت
وأودى الزمان بعهد الهوى
ولكن قلبي ذاك الأمين
حفظتك فيه برغم النوى
فوا عجباه ألا تذكرين
أين كنت

(١) هى الدنيا . .

العراك [1]

أيمر كل العمر بالهمس
أفما كفى نفسى صدى الأمس ؟
فتبيت فى أحلامها شبحاً
ينسل من رمس إلى رمس
وإذا سعت للرزق فى غدها
فكأنها تغدو كما تمسى
يا نفس إن العيش نغصه
قلم بكى حظى على الطرس
لا تشتكى الدنيا إلى أحد
فلكم مررت بأبلغ الدرس
فالناس يبتعدون عن رجل
يشكو إليهم حالة البؤس
هاتى من الأشعار أطربها
وتجاهلى ما فيك من يأس
عودى عن الأحلام فى عالم الأمس
وامشى مع الأيام والخمر فى الكأس
حتى إذا ألفيتها سكرت
وكأننى جردت من حسى
ناديت دمعى كف عن جفنى
جرت الرياح بما اشتهت سفنى
إن التى قلب الزمان لها

---

(١) هى الدنيا ص ٤٣ .

ظهر المجن الآن فى أمن
فإذا خلا كيسى عمدت إلى
كاس بها أخلو فاستغنى
وضربت أوتارى على نغم
جعل السماء قريبة منى
ودخلت عبقر وهى لى وطن
منها حملت بدائع الفن
وأتيت بالأشعار صافية
كالكوثر السلسال فى عدن
وظننت أنى عدت منتصرا
فإذا بنفسى خيبت ظنى
عادت إلى الأحلام والهمس فى أذنى
ومشت مع الأيام والدمع فى جفنى
فالناس فى الدنيا لجهلهم
لا يشترون بضاعة الجن

جزيرة النسيان [1]

أرغى المشيب وأزبد وابيض ما كان أسود
فقلت هذا حسابى مع الزمان تسدد
ورحت فى الحلم قصرى فوق النجوم مشيد
والمرء لولا الأمانى تموت فيه وتولد
لما رأيت عليها إلا الحزين المنكد
قد فرق بينى وبين عزمى وبعد

(١) أغانى الدرويش .

وهان عزى لديه والدهر إن لنت يشتد
وخانني البال حتى كأنني اليوم جلمد
نسيت ما كان مني في ما يذم ويحمد
ومن تعود رغداً ان يمرر العيش يزهد
وبينما أنا يوماً جزيرتي أتفقد
وجدت فيها كتاباً خط الشباب المبدد
إمضاء دمعي عليه وأنجم الليل شهد
كم نحت في الحب نوحا صداه باق يردد
وقلت في الشوق شعراً ما زال يتلى وينشد
وفيت للحب ديناً ومن يفي الدين يسعد
أيام كان فؤادي كجمرة يتوقد
فراجعي ياليالي ما في السجل المخلد
ترى بأول سطر بجانب اسمي مقيد
ما زال في الأرض حيا وفي سما الحب فرقد

عصير الروح (١)

سأجمع ما تكسر من فؤادي وأحمل ما بصدري من معان
وأرحل عن ربوعك ياسليمي إلى دنيا تصح بها الأماني
فانفخ في سماء الحب نايي وأنشد مابنفسي من أغاني
وأشرب من عصير الروح خمراً يحول شعاعها دون العيان
فإن جاءت هموم الدهر يوماً تفتش في مكاني لاتراني

---

(١) مى الدنيا ص ٢٩ - ٣٠ - ٣١

جيرة الوادى (١)

من مبلغ فرط شوقى جيرة الوادى وآهاً لقد جارت الدنيا بإبعادى
وصرت لما وهت أيام ميعادى إلى الرجوع بأحلامى أداويها
يا ساهراً دمعه فى العين لايجمد ونار أشواقه فى القلب لاتخمد
انظر إلى القبة الزرقاء ثم ارقد وأشبع النفس رؤيا من دراريها
يانفس قد قل عندى زيت مصباحى
قومى اشربى من كميت الراح وارتاحى
دنيا تساوى بها النشوان والصاحى لاخير فى عيشها لولا أمانيها
قددت من مهجتى للدرب قيثارى يامن رأى مهجة قدت لأوتار
ثم استعنت بأنغامى وأشعارى وسرت فى الدرب تطوينى وأطويها

فى سبيل الحب (٢)

هذا حديث رواتها عنها وعن عاداتها
فاسمع لمن عرف الحيا ة وخاض فى غمراتها
قد كنت فى جيش الصبا بة حاملا راياتها
أهوى الليالى كيفما جاءت على علاتها
فلكم شربت الراح صر فآمن أكف سقاتها
وأجبت داعى النفس بالإعراض عن شبهاتها
والنفس تأبى إن سمت ما زاد عن حاجاتها
فصفت لى الأيام حتى لحت فى مرآتها
وحسبت ذاك العيش فى دنياى من حسناتها

---

(١) هى الدنيا ٢٩ - ٢٠ - ٣١
(١) أغانى االدرويش .

مرت ليالى لم أزل ألهو بتذكاراتها
هى نشوة تأتى إلى الشعراء فى ميقاتها
والقلب فى لفتاته والنفس فى خلواتها
لا أذمم الدنيا إذا ما غيرت حالاتها
فإذا مضى زمن الشبا ب وغاب فى طياتها
هى عادة تجرى بها الـ دنيا إلى غاياتها
أنا فى سبيل الحب أهـ وى العين فى عبراتها
والطير إن ناحت على الـ أغصان فى غدواتها
والريح يهوى العاشق الـ مشتاق فى نفحاتها
والليل أصغى فيه للأفلاك فى رناتها
أنا أعشق النفس التى تلتذ فى حسراتها

أنا والأمانى (١)

هون الله وعدنا فالتقينا
وتذكرنا الليالى فبكينا
يوم كنا فى بساتين الصبا
من ثمار الحب نجنى ما اشتهينا
وهنت مثلى ولكن لم يزل
فى حواشى العمر ما يحلو لدينا
قلت هذى روضة هيا بنا
نتصابى فمشيناها الهوينا

---

(١) هى الدنيا .

وجلسنا في حمى صفصافة
خيمت أغصانها عطفاً علينا
وعقدنا موثقاً أن لا نرى
بعد هذي . هكذا كنا نوينا
إنما لما طوينا ساعة
يعلم الله بها كم قد طوينا
دارت الدنيا بنا دورتها
فتفرقنا كأنا ما التقينا

قصري (١)

قصري بناه الوحي رحب المجال — في القبة الزرقاء منذ الوجود
فارقصن فيه يابنات الخيال — ياحبذا منكن هز القدود
وامرحن في ساحات ذاك الجمال — والبسن من تلك الدراري عقود
تلوح في دهم الليالي الطوال — علامة للنفس في زهدها
والذة العيش برعي النجوم — بين أسى الشاكي ورشف المدام
إذ تطرد الأحلام جيش الهموم — إذ تنجلي الآمال تحت الظلام
دبي رعاك الله بنت الكروم — وغلغلي في الأرض حتى ينام
على بساط مد فوق الغيوم — حاكته أيدي النفس من وجدها
ماتنفع الشكوى ودمعي بحور — جفت حياة سل منها الشباب
لم يبق منها الدهر إلا قشور — لولا قليل أودعوها التراب
لكن في قصري وراء البدور — باق إلى يوم القشور اللباب
قد وفرته النفس قبل العبور — من هذه الدنيا إلى مهدها

---

(١) أغاني الدرويش ص ٨

ياعاذلى فى سهد ليلى الطويل ... ولا تُمى لما أطلت النواح
دعنى فمالى غير هذا السبيل ... فمن حواشى الليل يبدو الصباح
فإن رأيت الدمع منى يسيل ... فذا بشرع الحب عين الصلاح
أو قلت قصرى ماعليه دليل ... أقصر وخلّ النفس فى رشدها
من أين حسن الزهرلولا السواد ... هيهات لولا الصبر عيش يطيب
ياقلب والآمال أحلى وساد ... لمن بهذا الكون أمسى غريب
نم آمناً من بعد هذا السهاد ... فإن ماترجوه خلف المغيب
ومن رأى الدنيا بعين الرشاد ... حاشاه أن يبكى على فقدها
أنا على دربى بظل الأمان ... أشدو كدرويش غريب شريد
وكل يوم لى برغم الزمان ... فوز على الدنيا وعيش رغيد
حتى إذا مانام هذا الجنان ... لحقت أحلامى بقصرى البعيد
إذ ألتقى بالنفس حول الجنان ... فالنفس مازالت على عهدها

وولى ماعرفناه (١)

وقفنا عند مرآه ... حيارى ما عرفناه
عجيب فى معانيه ... غريب فى مزاياه
له سربال جواب ... غبار الدهر غشاه
ووجه لوحته الشمس ... غارت فيه عيناه
سألنا الناس من هذا ... فقالوا يعلم الله
فلا ندرى بما فيه ... ويسهو إن سألناه
كأن فى صدره سرا ... وذاك السر ينهاه
إذا ما جنه ليل ... ترامت فيه نجواه

---

(١) أغانى الدرويش .

فيرعى النجم إذ يبدو كأن النجم مغناه
تراه إن سرى برق تمناه مطـــاياه
وإن أصغى لصوت الناى أشجاه وأبكاه
إذا أعطيته شيئاً أبت جدواك كفاه
وفى الدنيا لأهليها خطام ما تمناه
ألا يا ساكنى الدنيا تعالوا استنطقوا فاه
سلوه ربما المسكين سوء الحظ أقصاه
فقالوا إنه صب وفرط الحب أضناه
وقالوا شاعر يشكو فمـــا تجديه شكواه
وقالوا زاهد لمـــا رأوه عاف دنياه
ومنهم قال درويش غريب ضاع مأواه
سألناه بلا جدوى وولى ما عرفناه

أنفس الشعراء (١)

لما بدا البرق فى الظلماء ملتهبا وراح يطوى فضاء الله واحتجبا
ناديت ربى وطرفى يرقب السحبا رباه يا خالق الأكوان واعجبا
كم تشبه البرق هذا أنفس الشعرا
يا ليل مهلا ولا تشفق على بصرى فما تعودت فيك النوم فى صغرى
يا ليل مهما تطل لا بد من سهرى حتى يودع طرفى نجمة السحر
تلك التى عشقتها أنفس الشعرا
دعه يغيض بلج الكأس أدمعه فقد تذكر نائى الدار أربعه
وهات عودك واضربه ليسمعه لكن توق رعاك الله أضلعه
تلك الأضالع فيها أنفس الشعرا

(١) أغانى الدرويش ـ والقصيدة موجهة إلى مواكب جبران .

سَل الكمنجة معنى أنة الوتر والريح إن هينمت سلها عن الخبر
والطير إن بكرت تشدو على الشجر
سلها وسل كل روض زاهر عطر
تجبك يا صاح هذه أنفس الشعرا

يا هائماً بابنة العنقود تطربه منها الحميا وفعل الراح يحسبه
أستغفر الله مما بت تنسبه للراح إن الذى فى الكأس تشربه
ياصاحبي رشحته أنفس الشعرا

طوباك ياساكناً فى الغاب تؤنسه إلاهة الشعر والأشباح تحرسه
يضم كل لطيف الروح مجلسه ملآنة من صفا الأيام أكؤسه
وحوله تتغنى أنفس الشعرا

لله « ناى » تناهت روح صاحبه حتى وقفنا حيارى عند واجبه
فصحت والليل زاه من كواكبه يا نافخ الناى يحدو فى مواكبه
بنغمة الناى هامت أنفس الشعرا

المسافر (١)

دعته الأمانى نخلى الربوع وصار وفى النفس شيء كثير
وفى الصدر بين حنايا الضلوع لنيل الأمانى فؤاد كبير
فحث المطايا وخاض البحار ومرت ليال وكرت سنون
ولم يرجـــع

وألقى عصاه وحط الرحال بأرض الأشاوس والأشبل
تنم عليه فعال الرجال كما نمت الريح بالمندل
وراح يغنى بصفو الزمان غناء البلابل فوق الغصون
عـــلى مسمعى

(١) أغانى الدرويش .

النفس الهاربة

ضربنا بقرب السواقى الخيـام
وبتنا هناك بظل السلام
إلى أن تجلى لنفسى الغرام
ففكت سلاسل أغلالها وألقت إلى بأثقالها
تمشت إلى الروض عند الصباح
يموج على منكبيها الوشاح
فأصغت إلى هينمات الرياح
وسارت على درب آمالها تمس النجوم بأذيالها
تغنت بلحن بعيد القرار
كهمس السواقى وشدو الهزار
فلما توارت وشط المزار
ترى هل خطرت على بالها بدنيا الهموم وأهوالها ؟
ألا أين كأسى وهاتوا الشمول
لأنعش قلباً عراه الذبول
ألا ليت شعرى أما من رسول ؟
يذكر نفسى بأطلالها وأن غناها بإقلالها ؟
فغن فؤادى إلى أن نعود
كفانا بأنا رعينا العهود
ليال تمر بهـــذا الوجود
وإدبارها مثل إقبالها وصفو الحياة كبلبالها ..

نسيب عريضة

١٨٨٧ — أبريل ١٩٤٦

من حمص السورية ، بها ولد ، وفيها تلقى تعليمه الابتدائى ، ثم التحق عام ١٩٠٠ بدار المعلمين الروسية فى « ناصرة الجليل » حيث شارك عبد المسيح حداد وميخائيل نعيمة أوقات الدراسة فيها ، وهاجر إلى نيويورك عام ١٩٠٥ ، حيث عمل فى الأعمال التجارية المختلفة ، مع انصرافه إلى هوايته الأولى وهى الأدب ، وأنشأ فى نيويورك مطبعة الأتلانتيك ، ثم أصدر هو ورفيقه نظمى نسيم « مجلة الفنون » ذات الشهرة العالية (١٩١٣ — ١٩١٨) واشترك مع رفاقه من أدباء المهجر فى إنشاء الرابطة القلمية . وحرر فى السائح التى كان يصدرها صديقه عبد المسيح حداد فى نيويورك ، وكذلك فى الهدى ، ومرآة الغرب.. وظل يكافح الحياة ، وتوفى أخوه « سابا » فى المهجر ، وتزوج نسيب عريضة ولم ينجب أبناء . وفى عام ١٩٤٢ خلال الحرب العالمية الثانية عمل مترجما بمكتب الأنباء الأمريكى .

خلف ديوانه المشهور « الأرواح الحائرة » وقصتين نثريتين : حديث الصمصامة ، وديك الجن الحمصى ، وتوفى فى أبريل عام ١٩٤٦ عن تسعة وخمسين عاما بعد أن خلف ميراثا شعريا خالدا ، وشهرة أدبية ذائعة ، وبعد أن أغنى الأدب المهجرى بألحانه وأنغامه الحلوة الجميلة المؤثرة .

وكانت وفاته فى بروكلن خسارة كبيرة للشعر العربى عامة والمهجرى خاصة ؛ وقد قدم ديوانه « الأرواح الحائرة » حبيب إبراهيم كاتبه وهو من قرية يبرود السورية ، وكان من أدباء المهجر المبرزين فى النثر ، ونشر فى السائح فصولا عن الأدب المهجرى لم يتمها ، إذ عاجلته المنية قبل إتمامها .

ولم ينجب عريضة أبناء ، وكان متزوجا أخت الأديب الكبير عبد المسيح حداد .

و « الأرواح الحائرة » لنسيب عريضة طبع فى نيويورك عام ١٩٤٦ ، وقدم له حبيب إبراهيم كاتبه الذى لاحظ أن سورة القنوط واليأس تتغلب على قصائد معظم المهجريين ومنهم نسيب عريضة الذى سمى ديوانه « الأرواح الحائرة » ، وذكر حيرة نسيب فى محيطه وعصره وحيرته الفكرية الكبرى بالنسبة إلى الكون العظيم الذى استغرق فيه الشاعر .

وكان عريضة يجيد الروسية إذ كان قد تلقى تعليمه فى مدرسة الناصرة الروسية ، وفى ذلك سار فى طريق واحد مع نعيمة وعبد المسيح حداد وغيرهما.

و نسيب عريضة من أقطاب الرابطة القلمية ومن شعرائها المبرزين ، ونجد صدى ذلك واضحا فى الديوان .

ويذكر صاحب المقدمة أن نسيبا هبة من هبات الزمان ، وأن ديوانه ذخر لطلاب البلاغة عند المهجريين .

وقصيدته « نشيد المهاجر » مشهورة ومن قصيدته النهاية :

ذللوه ، قتلوه ، حملوه
فوق ما كان يطيق
حمل الذل بصبر من دهور
فهو فى الذل عريق

ومن قصيدته « يا نفس » :

يا نفس مالك والأنين تتألمين وتؤلمين
عذبت قلبي بالحنين وكتمته ماتقصدين
وأبيت يا نفس المنام أفأنت وحدك تشعرين

وفى الديوان مطولته المشهورة «على طريق إرم»، ومطولته «احتضار أبى فراس».

«إلى نفسى»:

حنانيك نفسى أطلت الأنينا رويدك ـ ويحك ـ كم تشتكينا
وكم تستغيثين! ما تطلبينا كفاك اختباطا ألا تتعبينا
أيا ثائرة

على قبرى:

أقيموا على قبرى من الصخر دمية بها رمز عيشى بعد موتى يعرض
يدان بلا جسم تمدان فى الفضا تمدان من صخر على القبر يربض
فيمناهما مبسوطة تشحذ الجدا لتشبع جوع النفس والجوع يرفض
ويسراهما فيها فؤاد مضرج تقدمه للناس والناس تعرض

قلمى:

أوه ألم يكتب لهذا القلم إلا بأن يشكو الأسى والألم
ياقلمى الشارب خمر الشجا والمسمع الطرس صرير النقم
من أى غصن قصك المبترى من أى غيم قد سقتك الديم

من قصيدته «حديث الشاعر»:

حدث الشاعر عن نور القمر وافترار الليل عن ثغر السحر
عن نفوس ظفرت فى عيشها بالذى يرجو محب قد صبر
عن جنان وعد الخلق بها وعلى كوثرها نعم المقر
كل هذا مطرب تسمعه نفس محزون فينسيها الكدر

ومن قصيدته «لماذا»:

لماذا نحب نضير الزهور ولا نعشق الزهرة الذابلة؟

أعدلا نود الحيـــاة لها ونسى معـانيها الزائلة

ومن قصيدته « على الطريق » :

لمـاذا وقفت بخوف وحيرة
أيا نفس عند الطريق العسيرة
ألا امشى فإن الحياة قصيرة

ألا أمشى

ومن قصيدته « النهاية » :

كفنوه ، وادفنوه ، أسكنوه ..
هوة اللحد العميق
واذهبوا لاتندبوه ، فهو شعب
ميت ليس يفيق

ويقول ميخائيل نعيمه من مقال نشره فى مجلة الأديب البيروتية عن نسيب عريضة :

حسبك أن تقرأ قصيدة أوقصيدتين من نظم نسيب عريضه لتشعر أنك فى حضرة شاعر فذرحب الخيال مرهف الحس رفيع الذوق خفيف الظل صافى النبعة صادق النبرة، ولأنه كذلك تراه يتنكب السبل المطروقة والقوالب المألوفة ، ويترفع عن كل مبتذل فى اللون واللحن وفى المبنى والمعنى ، فلا يتملق ولا يمارى ويتصنع ولا يتحذلق ولا يبرق ويرعد أويرغى ويزبد ، ليهول عليك بالضجيج والصخب، بل هو يبث شعوره بالحياة بثا أشبه مايكون برذاذ المطر يتساقط فى سكينة الليل على البقاع العطشى فيؤنسها ولا يزعجها ، فيحييها ولا يجرفها على عكس ما كان يفعله السيل العارم إذ يمر بالأرض مرا عنيفاً خاطفا فيجرف التراب الذى على سطحها ، أماقلبها فيتركه فى عطش وفى جفاف.

ماثل صاحب « الأرواح الحائرة » عن باقى إخوانه فى « الرابطة القلمية » من حيث شعورهم بالقلق المادى فى ديار هجرتهم — ذلك القلق الذى كان يصرفهم قسر إرادتهم إلى ميادين التجارة والصناعة لحفظ الرمق وصون ماء الوجه، فقد كان ميلهم الفطرى إلى الأدب يأبى عليهم التسكع على عتبة الدولار، وكانت الحاجة لا ترحمهم فتحملهم على وأد الكثير من بنات قرائحهم ترضية للدولار ، وفى ذلك ما فيه من مرارة الرغائب المكبوتة والآمال المهدورة والإرادة المقهورة ولا هو شذ عن إخوانه من حيث شعورهم بغربتين ملازمتين : غربتهم عن الوطن المادى وغربتهم عن الوطن الروحى ، ولعل الغربة الثانية كانت الأقسى على قلب نسيب عريضة فلا عجب أن تسمع الأسى فى شعره أنغاماً شجية وأن تبصر فيه كل ألوان الحيرة والوحدة والوحشة والحنين ، ثم لا عجب فى أن يطرح الشاعر على ذلك كله وشاحا من الصوفية العميقة الصافية كالتى تطالعها على الأخص فى منظومته البديعة « على طريق إرم » .

قضى شاعرنا وهو مايزال فى الطريق الممتد بين وطنه الترابى ووطنه الروحانى فلا هو انعتق من الأول ولا هو أدرك الثانى ، بل ظل قلبه حتى آخر نبضة يتلفت حينا إلى العاصى ورياضه، وإلى عروس العاصى فيناجيها :

يا حمص ياأم الحجار السود

وحينا ينطلق فى ضوء الخيال البعيد إلى تخوم وطنه الآخر فيهتف :

إيه ضوئى البعيد
لح ولح ماتريد
ليس طرفى يحيد
عنك حتى يعود
لتراب ودود

وأنا لو شئت أن أصف نسيب عريضة بكلمتين لا أكثر لأسميته « شاعر الطريق » ، فما وقعت فى كل من وقعت عليهم من شعراء عرب وغير عرب على شاعر أفاض وأبدع فى وصف طريق الحياة وما يرافق سالكيه من تحرق على معالم تركوها خلفهم وحنين إلى معالم تلوح لهم من بعيد وتتمنع عليهم إلى حد ما فعل ذلك صاحب « الأرواح الحائرة » ، فهو يحس الحياة سيرا متواصلا لا راحة فيه ولا توقف ويحس الوجود طريقاً غاب أوله فى غيبوبة الجهل وتوارى آخره فى غيبوبة المعرفة فلا ينقطع بحث قلبه إلى الأمام .

وقد كتب عنه حارث طه الراوى فى مجلة الأديب عدد أكتوبر عام ١٩٦٥ يقول :

أصدر مجلة « الفنون » التى حملت لواء التجديد فى الأدب ، وكان من كتاب « الفنون » فى فجر حياتها « جبران خليل جبران » و « أمين الريحانى » ، وكتب فيها « ميخائيل نعيمة » سنه ١٩١٣ وكان أول مقال له فى « الفنون » عن كتاب جبران « الأجنحة المتكسرة » الذى نشر تحت عنوان « فجر الأمل بعد ليل اليأس » ، وكان نسيب عريضة يشجع أصدقاءه من الأدباء الناشئين .

إلا أن حماس « نسيب عريضة » وإخوانه للتجديد ترك فيهم نوعا من الاعتداد غير المستحب ، فقد خيل إليهم أنهم وحدهم سدنة التجديد وعماده وأن الزعامة لهم وحدهم فى هذا المجال .. فبالرغم من أن « مصطفى لطفى المنفلوطى » كان قد خرج فى كتابه « النظرات » خروجا معقولا مقبولا عما ألفه كتاب تلك الفترة من السجع المتكلف الفارغ والمواضيع السطحية التافهة ، إلا أنه لم يصادف هوى فى نفوس المهجريين ولاسيما فى نفس نسيب عريضة .

وقد بلغت آلام وأحزان « عريضة » الذروة عند وفاة شقيقه « سابا » سنة ١٩٢٢ فرثاه بثلاثة قصائد خلال هذه السنة هى « صرخة من الوادى »

و « ياغريب الدار » و « ذكرى الغريب » ، ويكاد نسيب عريضة أن يبذ فى قصائده هذه أغلب القصائد التى قالها شعراء العربية فى رثاء أشقائهم ، فهى تبذ همزية « ابن الشبل البغدادى » الرائعة فى رثاء شقيقه « أحمد » التى يقول فى مطلعها :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحى من بعد ميت بقاء

أما مطولته « على طريق إرم » وتقع فى ٢٢٦ بيتاً موزعة على ستة أناشيد ، وهذه المطولة تصور ، بدقة وطرافة ، المراحل الروحية التى قطعها الشاعر وهو يبحث عن الحقيقة ، وقد قدم لها نسيب عريضة بتوطئة نثرية لا بأس من إيراد نصها ، قال :

« جاء فى أساطير العرب أن « إرم ذات العماد » مدينة عجيبة بناها شداد ابن عاد من حجارة الذهب واللؤلؤ والجواهر ، فكانت فتنة باهرة للعيون لا يقدر القادم إليها من بعيد أن ينظر إليها إذا واجهها فى ضوء النهار ، ثم أقفرت هذه المدينة العجيبة واختفت فى الصحراء فهى فى مكان محجوب ، عامرة بقصورها السحرية وكنوزها المباحة ولكن لا وصول إليها ، وقد طلبها كثيرون فهلكوا ، أوضلوا وعادوا قانعين من الغنيمة بالإياب . هذه إرم الأساطير ، أما إرم التى يتحدث عنها الناظم فى ملحمته فهى « إرم » الروحية يسير الشاعر مراحل مع قافلته فى طلبها ، ويصف طريقه مرحلة مرحلة ، حتى يخيل إليـــه أنه رأى نارها من بعيد . . . ولكنه لم يصل إليها .. » .

فى النشيد الأول « أول الطريق » يخاطب الشاعر « سمير نفسه » ويغريه بأن يرافقه فى رحلة روحية يطيران فيها من « عالم الحدود » إلى حيث الآفاق الروحية الواسعة :

قم نتخذ للمنى جناحا يطير من عالم الحدود

ويستأنف نسيب عريضة وصف رحلته الروحية فى النشيد الثانى : « القلوب على الدروب » الذى تنطلق منه أنغام عذبة شجية والذى ينتهى بالمقطعين الرقيقين اللذين يخاطب بهما الشاعر القلوب المتعطشة إلى المعرفة ، مستحثا إياها على المسير :

ياقلوبا غدت نياقا سامها الوجد أن تساقا
دون أن يقطع الوثاقا أحسنى ، أحسنى اللحاقا
أسرعى بالهبوب
مع ريح الجنوب

وفى « الطلل الأخير » — وهو النشيد الثالث — يخاطب الشاعر طللا من أطلال الروح ، حائراً مثل الشاعر ، يسأل عن الركب :

ترفق أيها الطلل فقلبى طافح وجل

وفى النشيد الرابع : « فى القفر الأعظم » يلمح الشاعر السراب فيخيل إليه أن فيه روضا كرياض جنة الخلد . . . ولكن أين السراب من الماء ، وأين الخيال من الحقيقة ... فلاغرابة إذا مانحر الشاعر المسافر المنهوك ناقة وجده وعاد للقفر وحده وقد استبد به النصب وعصر قلبه اليأس :

ما أجمل الآل يبدى مياهه من قريب

وفى النشيد الخامس : « القيروان » يبلغ الشاعر ذروة الإبداع عندما يصور لنا صراعه المحتدم بشكل يكاد يكون ملموسا ، فقد حشد الشاعر « قلبه » و « مهجته » و « هواه » و « عقله » و « شوقه » و « حلمه » و « رغبته » و « طويته » و « بنات صدره » و « ذكرياته » و « ساحرات الأمانى » و « عائلات الخطايا » ، كل هذا الحشد العجيب المتنافر ، جمعه الشاعر على « طريق الجنون » :

على طريق الجنون
بين المنى والمنون
حيال وادى السكون

وقفت أجمع ركبي

وفي النشيد السادس : « نار إرم » يخيل للشاعر الباحث عن اليقين أنه قد لمح نور الحقيقة المحجوبة ، يلوح لعيني خياله من بعيد .. فيخاطبه متلهفاً ويهتف في المقطعين الأخيرين من هذا النشيد :

إيه ضوئي البعيد لح ولح ما تريد
ليس طرفي يحيد عنك حتى يعود
لتراب ودود
لح ولح في الفضاء ! قد سمعت النداء
ودليلي الرجاء فعساه يقود
ظامئاً للورود

صور من شعر نسيب عريضة

يانفس (١)

يانفس ، مالك والأنين ! ؟ تتألمين وتؤلمين !
عذبت قلبي بالحنين وكتمته ما تقصدين
قد نام أرباب الغرام وتدثروا لحف السلام
وأبيت يا نفس المنام أفأنت وحدك تشعرين ؟
الليل مر على سواك أفما دهاهم ما دهاك
فلم التمرد والعراك ؟ ما سور جسمي بالمتين
أطلقت نوحك للظلام إياك يسمعك الأنام
فيظن زفرتك النيام بوق النشور ليوم دين

---

(١) الأرواح الحائرة ص ٨٧ - ٩٠ .

يانفس مالك فى اضطراب كفريسة بين الذئاب ؟
هلا رجعت إلى الصواب وبدلت ريبك باليقين !
أحمامة بين الرياح قد ساقها القدر المتاح
فابتل بالمطر الجناح يانفس ، مالك ترجفين ؟
أو ما لحزنك من براح حتى ولو أزف الصباح
يا ليت سرك لى مباح فأعى صدى ما قد تعين
أسبتك أرواح القتام فأرتك ما خلف اللثام
فطمعت فى ما لا يرام يا نفس كم ذا تطمحين !
أصعدت فى ركب النزوع حتى وصلت إلى الربوع
فأتاك أمر بالرجوع أعلى هبوطك تأسفين ؟
أم شاقك الذكر القديم ذكر الحمى قبل السديم
فوقفت فى سجن الأديم نحو الحمى تتلفتين ؟
أأضعت فكراً فى الفضاء فتبعته فوق الهواء
فنأى وغلغل فى العلاء فرجعت ثكلى تندبين ؟
أسلكت فى قطر الخيال درباً يقود إلى المحال
فحططت رحلك عند آل يمتص رى الصادرين
فنسيت قصدك والطلاب ووقفت يذهلك السراب
وهرقت فضلات الوطاب طمعا بماء تأملين ؟
حتى إذا اشتد الأوام والآل أسفر عن ركام
غيبت رأسك كالنعام فى رمل قلبى تحفرين
أعشقت مثلك فى السماء أختا تحن إلى اللقاء
فجلست فى سجن الرجاء نحو الأعالى تنظرين ؟
لوحت باليد والرداء لتراك ـ لكن لا رجاء
والقلب ـ وأسفى عليه كالطفل يبسط لى يديه

هلا مددت يداً إليه ... كالأمهات إلى البنين
غذيته مر الفطام ... وحرمته ذوق الغرام
وصنعت شيخا من غلام ... يحبو على باب السنين
فغدا كحفار القبور ... يئد العواطف فى الصدور
ويبيت يهتف بالثبور ... يشكو إليك وتشتمين
أعمى تطاعنه الشجون ... وجراحه صارت عيون
وبها يرى سبل المنون ... فيسير سير الظافرين
حتى إذا اقترب المراد ... تطلى رواه بالسواد
ويعود مكفوفاً يقاد ... برنين عكاز الحنين
يتلمس النور البعيد ... بأنامل الفكر الشريد
ويسيل من فمه النشيد ... سيل الدماء من الطعين
أرأيت بيت العنكبوت ... وذبابة فيه تموت
رقصت على نغم السكوت ... ألماً فلم يغن الطنين
فكذاك فى شرك الرجاء ... قلبى يلذ له الفناء
ما ذاك شدواً ، بل رثاء ... يبكى به الأمل الدفين
يانفس إن حم القضا ... ورجعت أنت إلى السما
وعلى قميصك من دما ... قلبى فماذا تصنعين ؟
ضحيت قلبى . للوصول ... وهرعت تبغين المثول
فإذا دعيت إلى الدخول ... فبأى عين تدخلين !

علقت عودى (١)

علقت عودى على صفصافة اليأس ... ورحت فى وحدتى أبكى على الناس
كان فى داخلى قبراً بوحشته ... دفنت كل بشاشاتى وإيناسى

---

(١) الأرواح الحائرة ص ١٢٨ - ١٢٩ .

ماقبر حرب ولا درب المنخل أو دفائن الجن شيئاً عند إرماسى
فيها وأدت بنيات وأغلمة صبح الوجوه عليهم نضرة الآس
حفرت بالفأس فى قلبى الضريح لهم وكنت أبكى ويبكى الصخر من فاسى
خير لهم وأدهم من موتهم سغباً أو أن يبيحوا مياه الوجه للحاسى
ياقبر آمال نفسى فى ثرى كبدى يسقيك صوب دم من قلبى القاسى
زرعت فوقك أزهاراً بلا أرج سوداء مرت عليها نار أنفاسى
ما أروع الزهرة السوداء قد سقيت بدمعة القلب تحميها يد الياس
يا يأس صنها فإنى قد قنعت بها ولست أبدلها بالورد والآس
إنى جعلتك ناطوراً لروضتها إياك أن تجتليها أعين الناس
وأنت والحزن كونا فى الضلوع معى إنى عهدتكما من خير جلاسى
كتمت أمركما دهراً فضاق بنا ذرعاً فؤادى وأفشى السر أنفاسى
فإن أسر فى ظلام الليل مستتراً فالحزن يسطع من عينى كنبراس
حزنى غناى ، فلو فرقته هبة على النفوس لأثرت أنفس الناس

يا أخى (١)

يا أخى يا أخى المصاعب شتى وبعيد مرادنا والموارد
وأمام العيون درب عسير لم تسر قبلنا عليه الأوابد
مظلم ، موحش كثير الأفاعى والسعالى المستهويات الطرائد
غير أن المسير لابد منه إن أردنا إدراك بعض المواعد
فلنسر فى الظلام ، فى القفر ، فى الـ وحشة ، فى الويل ، فى طريق المجاهد
فلنسر أعزلين — إلا من الحق سلاحاً — والفكر حاد وقائد
وإذا اشتدت الذئاب عواء فلنقابل عواءها بالنشائد

---

(١) الأرواح الحائرة ص ١١١ ، ١١٢ .

وإذا احلولك الظلام أضأنا ... مشعل القلب مثل نار المواقد
يا أخى ، يارفيق عزمى وضعفى ... سر نكابد — إن الشجاع المكابد!
فإذا ماعييت تسند ضعفى ... وأنا بعد ذا لضعفك ساند
سر ، تقدم ، لكى نخط طريقاً ... لأباة الهوان عند الشدائد !
يا أخى يا أخى ، المصاعب شتى ... غير أنا فى سيرنا غير واحد
فلنسر ! فلنسر ! وإما هلكنا ... قبل إدراكنا المنى والمواعد
فكفانا أنا ابتدأنا وأنا ... إن عجزنا ، فقد بدأنا نشاهد

نشيد المهاجر (١)

أنا المهاجر ! ذو نفسين واحدة ... تسير سيرى وأخرى رهن أوطانى
ابن العروبة — لا أسلو الربوع ولو ... كانت مثيرة أوصابى وأشجانى
بعدت عنها أجوب الأرض تقذفنى ... منى حثثت لها ركبى وإظعانى
ما إن أبالى مقامى فى مغاربها ... وفى مشارقها حبى وإيمانى
أنا المهاجر — لا أنسى الوداع وما ... جرى من الدمع فى أجفان غزلان
ولوعة فى حشا الأحباب ما بردت ... عللتها بلقاء ... رهن أزمان
مرت ثلاث ولم أنس العهود وهل ... تنسى مواثيق أرحام وإيمان
الأهل أهلى ، وأطلال الحمى وطنى ... وساكنو الربع أترابى وأقرانى
قد كنت أشتاقهم والعين تنظرهم ... ياعظم شوقى على بعد وهجران !
إن أنكرونا فما والله ننكرهم ! ... وإن جفوا لانقابلهم بنسيان !
نحبهم كيفما كانوا وإن ركبوا ... مراكب الهجر من آن إلى آن
هيهات نطلب بالزلفى محبتهم ... تأبى المحبة أن تشرى بأثمان
والمال أهون مبذول إذا رفضوا ... شوقاً بشوق وتحناناً بتحنان
أنا الذى إن تناسى الناس قومهم ... هيهات ينسى وما الكفران من شأنى
لى العروبة أمشى فى مخارفها ... من العراق إلى ما بعد وهران
أزهو بثوب نخار من مناسجها ... حتى تقرب أيدى البين أكفانى

---

(١) الأرواح الحائرة ص ٢٤٥ — ٢٤٨ .

فى القفر (١)

نحرت ناقة وجدى على ضريح غريب
فسال منها دمائى وطار منها رجائى
وقلت للقبر : هذا قرى الأسى والوفاء
أجمع جياعك ، إنى مضيفهم فى العشاء
فلم يلب ندائى سوى الصدى فى الفضاء
ولم يجىء لطعامى ضيف ولا لشرابى
ضاعت وليمة قلبى بين الحصى والتراب
وطار نسر وحيد روعته بانتحابى
يانفس لافرق عندى فى سلك أى الدروب
تقدمينى وسيرى إلى مكان بعيد
كل الدروب تؤدى إلى سبيل جديد
إنا وإياك ركب على طريق الخلود
وليس فى الركب حاد يغنى السرى بالنشيد
وأنت ظعنى وحملى وقائدى ودليلى
فاحدى لذاتك نفسى تسمع نفوس الطلول
عسى يجيبك منها رجع الصدى بالمثيل
فنسمع القفر صوتاً من بعد صمت طويل

---

(١) من قصيدته الملهمة « إرم ذات العماد » .

رباعيات (١)

شربت كأسي أمام نفسي … وقلت : يانفس ما المرام ؟
حياة شك وموت شك … فلنغمر الشك بالمدام
آمالنا شعشعت فغابت … كالآل أبقى لنا الأوام
لابأس . ليس الحياة إلا … مرحلة بدؤها ختام

أخذت نفسي إلى طبيبي … وقلت : يا طب ما العلاج ؟
فراح يأسو سقام جسمي … ويحسب الداء في المزاج
فقلت : يا صاح ، جف زيتي … فباطلا تجبر السراج
إذا خبا النور في الدراري … فما ترى ينفع الزجاج ؟

رباه ما أكثر الضحايا … ماتوا زحاماً على الدروب
كل الورى موكب مهيب … يسير في مأتم القلوب
يمشون والرمس في حشاهم … والدم يجري من الندوب
ما ميتهم يعظمون قدراً … بل دية الميت في الجيوب

لو حدّق المرء في البرايا … لشام ما لا ترى العيون
ما حولنا عالم خفي … تدركه الروح في السكون
كم مبصر لا يرى ، وأعمى … يرى ويدري الذي يكون
يا ويح من لا يرون شيئاً … إلا إذا فتّحوا الجفون !

---

(١) الأدواح الحائرة ص ٨٣ - ٨٦ .

لماذا ؟ (١)

لماذا نحب نضير الزهور   ولا نعشق الزهرة الذابلة ؟
أعدلا نود الحياة بها   وننسى معانيها الزائلة ؟
لماذا نود ابتسام الثغور   ونعرض عن دمعة هاطلة ؟
لماذا دموع الفقير تسيل   وعنها عيون الورى غافلة ؟
تمر الرياح فتعرض عنها   وترمقها الشمس كالجاهلة ؟
وإن هطلت دمعة للندى   تعانقها النبتة المائلة
وتبدى لها الشمس والريح عطفاً   كمعشوقة فى الحشا نازلة
وتمتصها من ثغور الورود   وتمسح أهدابها الناحلة
لماذا تهب الرياح على   شواهق ليست بها حافلة ؟
وتحرم من بردها مهمهاً   به أوشكت تهلك القافلة
لماذا السفينة تطلب ريحاً   ومن تحتها أبحر طائلة ؟
وفى القفر عطشى يريدون ماء   وريح السموم بهم نازلة
لماذا نحس ، لماذا نحب ،   لماذا نعيش بلا طائلة ؟
لماذا التناسل ، والنسل ندرى   بأن الحياة له قاتلة ؟
أكيما نزيد المقابر رمساً   ونصغى إلى رنة الثاكلة ؟
لماذا غلام يموت وتبقى   شيوخ تثقل فى العائلة ؟
لماذا يفوت الأديب الغنى   وتحظى به فئة جاهلة ؟
لعمرى وعمرك هذى أمور   تحير ذا حجة عادلة ؟
ومن راح يطلب تفسيرها   سيضنك قوته العاقلة
فصمتاً أيا من يلوم الزمان   ويشكو أفانينه الهائلة
فإن الحياة لأقصر من أن   نحل بها عقدة شاغلة

(١) الأرواح الحائرة ص ٤٤ ، ٤٥ .

حديث الشاعر[1]

حدث الشاعر عن نور القمر ... وافترار الليل عن ثغر السحر
عن شموس سطعت أنوارها ... تملأ الأرض سروراً والبشر
عن رياض فتحت أحضانها ... لعناق الصب فى ظل الشجر
عن جمال الغيد فى فتنته ... عاف هاروت الخلود المنتظر
عن عيون حلها سحر الحور ... وخدود مسها لطف الخفر
وقدود قد طغى الحسن بها ... جائراً جور اقتدار وظفر
ينظر الصب إليها كلفاً ... حسبه من نظرة بعض الوطر
عن نفوس ظفرت فى عيشها ... بالذى يرجو محب قد صبر
عن ليال عبرت ما عابها ... فى التلاقى والرضى إلا القصر
عن أمان لألأت فى ليلها ... فاز راجيها بها قبل السحر
عن حياة المجد والحب كما ... يشتهيها رهط فرسان السمر
عن جنان وعد الخلق بها ... وعلى كوثرها نعم المقر
كل هذا مطرب تسمعه ... نفس محزون فينسيها الكدر
وأنا أحسب نفسى شاعراً ... جاش فى قلبي عزيف من وتر
وتر واه على ألحانه ... يسكر القلب ويفشى ماستر
ضاق ذرعاً بالأسى لكنه ... ظل فى كتمانه حتى انفجر
فاسمعوا أناته تروى لكم ... رجع ماردده صوت الغير
عن ظلام العيش، عن سجن البقا ... عن فيافى التيه، عن ظلم القدر
عن ليال الويل، عن قطع الرجا ... عن دنو البين، عن بعد المفر
عن خداع، عن شقاء، عن شجا ... عن فراق، عن دموع، عن سهر
عن شقى، عن أبى عاثر ... عن شريد، عن نبى محتقر

---

(١) الأرواح الحائرة ص : ١٧

عن فقير حاسد طير السما ... عن طريد ماله العمر مقر
عن عذارى بذلت أعراضها ... فى سبيل العيش ، بئس المتجر
عن ديار بعد مجد خملت ... وبنوها الصيد صاروا فى النفر
مابقى من عز أجداد لهم ... غير ذكرى من غدا ضمن الحفر
عن ... وكم من أنة فى وترى ... فى صداها عنعنات عن خبر
باطلا ترجون لحناً مفرحاً ... قطعت أطرب أوتارى العبر
فدعوا قلبي مع الباكين فى ... مأتم العيش على حال البشر

أشرب وحيداً (١)

رفعت كأسى حين لج الهوى ... واستعصت الأشجان فى راسى
وصحت مغروراً بطيش الصبى ... أين الندامى — أين جلاسى ؟
فلم يجبنى أحـــد منهم ... سوى الصبا مرت بأنفاسى
وجاوبتنى بلسان الصدى ، ... وللصدى رهبة إيجاس :
-اشرب وحيداً أيها ذا الفتى ... أو صم عن اللذة فى الطاس
قلت : أما من رجل صادق ... ذى أدب خريج أكياس
يشرب نخبي وأنا نخبه ... ونقرع الكاس على الكاس
أروى له أخبار أهل الهوى ... ويكتم السر عن الناس
فصاح بى من داخلى هاتف ... منتهر فى زى خناس :
اشرب وحيداً ويك ياذا الفتى ... أو صم عن اللذة فى الطاس
قلت أما من غادة بضة ... على يحنو قلبها القاسى
ترمقنى شزرا بلحظ الهوى ... وتقرأ النجوى بأنفاسى

---

(١) الأرواح الحائرة ص : ٢١

أشكو شذوذى فى حياتى لها   وصد خلانى وجلاسى
حتى إذا ما اشتد داعى الهوى   تقول لى : مافيك من باس
وترفع الكأس إلى ثغرها   فأستقى من فضلة الكاس
« قف ! » قال لى رجع الصدى غاضباً
« يكفيك وهما أيها الناسى »
« اشرب وحيداً أيها ذا الفتى   أو صم عن اللذة فى الطاس »
فقلت : إن كان على ما أرى   أمرى نخل الناس للناس
وقمت والكأس علت فى يدى   رفعتها أعلى من الرأس
شربت وحدى نخب نفسى ولم   يقلقنى هاتف وسواس
وكان سمارى نجوم الدجى   وكانت الآمال جلاسى
رأيتها تهتز سكراً معى   منشدة نغمة إيناس :
اشرب وحيداً أيها ذا الفتى   ولا تصم عن لذة الكاس

على طريق إرم

تفتحت أعين الدرارى   واستيقظت أنفس الليالى
وهينمت فى الدجى الأمانى   ورفرفت أجنح الخيال
وأفلت الحلم من عقـــال   فطار يسعى إلى الجمال
فقم بنا ياسمير نفسى   نقفو الأمانى إلى الكمال
قم نتخذ للمنى جناحاً   يطير من عالم الحدود
عسى نرى فى السماء درباً   نسير فيه ولا نعود
نؤم خدر الرؤى ونحظى   بما حرمناه فى الوجود
قم واترك الجسم حيث يبلى   فالموت خير من الجمود
لى كل يوم هوى جديد   بلا وصال ولا لقاء
حولى مياه حلت وساغت   لكن قلبى بلا ارتواء

لو رمت يوما لكنت أجنى من ثمر الحسن ما أشاء
لكن هوى النفس فى خيال قدح لاح للروح فى السماء
أحن شوقاً إلى ديار رأيت فيها سنى الجمال
أهبطت منها إلى قرار أمست به الروح فى اعتقال
أهيم فى الليل مثل أعمى جاع ولا يحسن السؤال
يهزنى فى الدجى حنين إلى الذى مر من وصال ..
هل من سبيل إلى رجوع هل من طريق إلى وصول !
تهيم نفسى ولست أدرى بحاصل أو بمستحيل
ياصاح قد حرت أين أمضى والسبل ضلت عن الضلول
فاستلمح البرق هل تراه فإنه أول السبيل
أنظر فلى فى البروق سر تعرفه النفس فى البروق
ألا ترى البرق نار ركب تقدمونا على الطريق ؟
من ألف دهر وألف دنيا سموا إلى المشرع الحقيق
فسر بنا نقتفى خطاهم نصر إلى منبت الشروق
سر قبل أن تحجب الغوادى عن ناظرينا ذرى السماء
سر لست أخشى على فؤادى أن يبقى فى الأرض للفناء !
وكيف ترجو اصطحاب قلبى والنفس والقلب فى عداء؟
إن كان لابد من فؤاد فلنبق فى الأرض للشقاء
إن كان لابد من فؤاد فقم نفتش عن الفؤاد
إن فاتنا أو نوى استتارا نستهد بالحزن والسواد
نلقاه حيث الجهاد يفنى أو حيث لا نفع فى الجهاد
أو سائراً فى ركاب ريح يهرب فيها من العباد ..
يا نسمات سرين ليلا متى تعودين يا نواسم ؟
سلبت قلبى وقد أراه يطوف فى ركبك العوالم

فهل تراه يعـــود يوما إلى ، ألا يزال هائم ؟
ياويح قلبى وويح نفسى من صحبـة لم تكن تلائم !
ياقلب ! يا طـائراً صغيرا مضطرباً فى يد الحيـاة
يا ظامئـا والدماء تجرى منـه ليروى بهـا سواه
تعـال نختر لنـا طريقاً نقفو بهـا الحلم فى سراه
تعـال أو تنقضى الليـالى فننثنى دون أن نراه !
تقرحت أعـين الدرارى وحشرجت أنفس الليالى
وولولت فى الدجى شكوكى ورفرفت أجنح المحـال
واستأسر الحلم باختيار وطـار همى بلا عقـال
فعـد بنا يا سمير حزنى نقنع فى الأرض بالخيـال

سفر الدهور

شعشع الخمر وهات الـ ـكأس من نار ونور
علنى أعـلم بعض الـ ـعلم ما معنى السرور !
يا نديمى وانـس ما كا ن وما سوف يصير
ودع العتب على الدهـ ـر فلا تدرى الدهور ..
قم بنـا نطلب لهـواً غير عـود وزمور
نتـأمل مسرح الدنـ ـيا بطرف لا يحور
نبصر النـاس عليـه كـألاعيب تدور
كلهم يلعب دوراً غـير ما يخفى الضمير
إن ما لاح هو غيـ ـر الذى خلف الستور
ياندیمی إن بعض النـ ـاس إن جست الأمور
عالم يبحث طول الـ ـعمر ما بين السطور
جامع فى صـــدره ما ليس تحويه الصدور

ما تراه حاز من فهـ   م الأحاجى والجذور ؟
آه هل يحترم الأعـــ   لام دود فى القبور ؟.
دعك منه واقلب الصف   حة فى سفر الدهور !
يا نديمى إن بعض النا   س إن جست الأمور
ذو ثراء يحسب الما   ل غنى وهو غرور
يملك المـــال . . ولـكن   هـو للمـــال أجير
دعك منه واقلب الصف   حة فى سفر الدهور
يا نديمى إن بعض النا   اس إن جست الأمور
تاجر يطلب ربحـــاً   من بضاعات ودور
يضرب الخمس بسدس   وصحيحاً بـكسور
يسهد الليل لخوف   من متاع أن يبور
ثم ينسى المتجر الأسـ   مى لدى حسب الأجور
دعك منه واقلب الصف   حة فى سفر الدهور ؟
يا نديمى إن بعض النـا   س إن جست الأمور
عاشق يرقب فى الظلـ   ماء أنوار الخدور
همه أن يتلهى   بنحور ، وثغور !
يقتـل النفس على مر   أى قـــدود وخصور
ما تراه يرتجى من   وصل غادات وحور ؟
وإذا ما شبع الجسـ   م وأضناه الفتور
أنزل الحب عن العر   ش إلى سوق الفجور
دعك منه واقلب الصف   حة فى سفر الدهور . .
ياندديمى إن بعض النا   س إن جست الأمور
شاعر مهنته صو   غ القوافى من شعور
يعشق الحسن ويبنى   فى علا الجو القصور

يمتطي الشمس ويسعى فوق هامات البدور
وهو في الأرض يجر الر جل تدميها الصخور
يأمر الدهر وينها ه ببهتان وزور
دعك منه واقلب الصف حة في سفر الدهور
يا نديمي ! إنني أب صر هل أنت بصير ؟
ولعمري قد يرى السكـ ران ما يخفي الضمير
إن كل الناس أشبا ه إذا زحت الستور
ليس في الدنيا غني ليس في الدنيا فقير
لا عليم ، لا جهول لا عظيم ، لا حقير
كلها حالات وقت كغبوق وبكور
كلها تمثيل أدوا ر على ملهى العصور
فالغني والفقر ؛ إن كنـ ت غنياً ، في الشعور
والنهى والجهل إن كنـ ت عليما ، في الصدور
يا نديمي نحن مثل النا س إن جست الأمور
كلنا أسرى حياة أذهلتنا عن نشور
نضرم النار ولا نعـ لم ما تحوى القدور
فاعطني الكأس وهات الـ خمر من نار ونور
ثم أيقظني فإن لم أصح من سكر الغرور
دعك مني واقلب الصف حة في سفر الدهور

مسعود سماحة (١)

١٨٨٢ — ١٩٤٦

هاجر مسعود سماحة من لبنان عام ١٩٠٠ م ، ثم عاد إلى وطنه بعد ثمان سنوات ، وأصدر فيه صحيفة عنوانها « دير القمر » مع صديقه نعوم أفرام البستانى . . ثم عاد إلى الولايات المتحدة عام ١٩١٣ وعمل بالتجارة واشتغل بالأدب والشعر ، وقد تأثر مسعود سماحة بالأدب العربى القديم ، وبالشعر الجاهلى والمخضرم ، وظهر أثر ذلك فى شعره الذى كان صدى للشعر العربى فى عصر فحولته وجزالته ، وكان مستقل النزعة عن نزعة شعراء الرابطة القلمية ، فلم يحتذ حذوهم فى أسلوب الشعر وموسيقاه ، ولم يكن عضوا فى هذه الرابطة المجددة فى الشعر المهجرى ؛ وقد عمل سماحة فى التجارة فى المهجر الأمريكى فى واشنطون ، ولم يلق من الربح مايساعده على الحياة الطيبة ، فعاش فى فقر وشقاء وآلام نفسية وصفها فى شعره ، وعاد إلى لبنان عام ١٩٢٥ ، فنظم قصيدته البليغة التى يقول فيها فى وصف حالة لبنان :

مشت القرون وكل شعب قد مشى ... معها وقومك واقفون ونوم
لم ترتفع كف لصفعة غاشم ... فيهم ولم ينطق بتهديد فم

وقد نظم مسعود سماحة الشعر فى الجانب الوطنى وفى الغزل والرثاء وفى شتى المناسبات الاجتماعية .

وعمل مسعود سماحة فى جريدة البيان بنيويورك خلال الحرب العالمية الثانية ، ونال درجة « كولونيل » من ولاية كنتكى فى الولايات المتحدة . .

---

(١) ص ١٧٩ - ١٨٦ الشعر العربى فى المهجر - محمد عبد الغنى حسن .

وتوفى عام ١٩٤٦ عن أربعة وستين عاما . . بعد أن خلف ذكرا لاينسى ، وآثارا شعرية رائعة باللغة العربية ، وأغانى جميلة باللغة الانكليزية . .

وقد طبع ديوانه عام ١٩٣٨ فى مطابع جريدة السمير العربية بنيويورك التى أسسها الشاعر الكبير إيليا أبو ماضى ، فى نحو ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير .

صور من شعره

الربيع

سرّح الطرف فى الربى الخضراء   وتمتع بما بها من بهاء !
واترك الهم فهو أقبح داء   فى نفوس الورى وأفتك داء
أنت فى الأرض رملة فى فضاء   من رمال ، وقطرة من ماء
أنت فيها ظل يزول وطيف   تائه بين ودها والرياء
أنت فى الكون للفناء وما فى ال   ـبر والبحر والهوا للفناء
فضع القلب بين عود وكأس   ومغن وكاعب هيفاء
فى رياض أزهارها زينتها   بشكول سحرية الأزياء
ليس أشجى للنفس من روعة الزه   ر وأسمى حسناً لعين الرائى !
نوّر النبت فى الربى وتوارى   من أمام الربيع وجه الشتاء
لا ثلوج تأتى بجوع وضيق   لا ليال بظلمة دكناء
لا غيوم بهاطل مسبطر   لا رياح بزعزع هوجاء
ورواء الأعواد عاد إليها   فتحلت بحلة خضراء
بجذوع ريانة وفروع   ناضرات يلثمن برد ذكاء !
يتجلى الجمال فى كل حى   كونته السماء تحت السماء

وندى الفجر شبه الفجر بردا   وسلاماً فى الروضة الغناء
فحكى فى الورود حبات در   أو دموعاً فى وجنة الحسناء
تفتح الزهر قلبها لهوى الشمـ   ـس وتهتز من عناق الهواء
من ورود ثغورها تنفث السحـ   ـر سماوية الشذا حمراء
وأقاح تحكى جباه الغوانى   وخزامى تحكى شفاه الإماء!
وعبير الريحان أفعل فى النفـ   ـس وأشهى من نشوة الصهباء
والنسيم العليل يلعب بالأغـ   ـصان طوراً وتارة بالماء
والسهول الخضراء كانت بقاعا   قاحلات كجبهة المستاء!
وبنات القفير طرن ألوفا   فى الفضا يفترعن زهر الفضاء!
ومشى الماء فى الغدير نميرا   يتلألا كأدمع العذراء
والهوا يلثم الزنابق سرا   فيذيع العبير سر الهواء!
وثلوج الربى تسيل حياة   فى رياض مخضلة رياء
كل شىء أضحى جميلا كأن الـ   ـحسن قد حل سائر الأشياء

فى راحتيك

لو ملكت الدنى سماء وأرضا   لوضعت الأكوان بين يديك!
ولقلدت جيدك الشمس والبدر   ر وصغت النجوم فى قرطيك
وأخذت السواد من لمة الليـ   ـل وألقيته على فوديك
ولحكت الضباب ثوباً وبردا   ووضعت النسيم فى برديك!
وجعلت الورود حولك تنمو   واحمرار الورود فى خديك
ووضعت الجلال فوق محيا   ك ولمع البروق فى عينيك
وأخذت الجمال من روعة الفجـ   ـر وحولته إلى صدغيك
وأخذت ابتسامة ابنة خمس   طابعاً مثلها على شفتيك

ومزجت الرقى بطلسم سحر ووضعت المزيج فى مقلتيك !
وجعلت السلام فرشا وثيراً ورميت الهنا دثاراً عليك !
ومددت الطريق دراً وماساً ووضعت الياقوت فى خفيك !
ونثنى الغصون مابين جنبيـ ـك وشكل السيوف فى حاجبيك !
ولألقيت ما ملكت ، وزندى وفؤادى ، والروح فى راحتيك !
وفعلت الذى فعلت لعلى أسعد النفس بالوصول إليك . .

الملك ملـكاك

الملك ملـكاك والبهاء بهاكا والأرض أرضك والسماء سماكا
الـكون مع مافيه من متحرك أو ساكن قد كونته يداكا
نظمت أمكـنة النجوم وسيرها والأرض والقمرين والأفلاكا
لامسعف إلاك ، لا متساهل إلاك ، لا متسلط إلاكا
تهوى العروش وعرش مجدك ثابت
وسواء ملـكك كل ملك فان
سلطان مجدك أنت فيه أول لا رأى فيما ترتئيه لثان
من بعض حسنك كل حسن فى الورى
والنور بعض بهاك والقمران
لاالعقل يدرك كنه سرك ، لا ، ولا تلقى جمالك مقلتا إنسان . .
والملحدون وكلهم متجاهل أو جاهل لايقبل البرهانا
قالوا الزمان هو الرقى وقولهم يوهى الجحود ويدعم الإيمانا
من أوجد الأسماك فى أبحارها من كونّ الأجسام والإنسانا ؟
من قيد الأبحار فى قيعانها من نظم الأفلاك والأكوانا ؟
حارت عقول الباحثين وقصرت وسواك كل عاجز ومقصر
لم يعثروا إلا بما أوحيته وأذعته لهم ، ولما يعثروا
ماقصروا فى البحث ، لـكن لم تشأ رفع الحجاب عن المصون فقصروا

لو رمت كشف حجاب سرك للألى بحثوا لأبصره الذى لا يبصر
رصدوا النجوم فلم تفتهم غاية منها ، ولم يشكل عليهم أمرها
والكيميا دانت لعلمهم ولم يغمض عليهم حلوها أو مرها
قاسوا البسيطة برها وبحورها وعنا لهم قر الفصول وحرها
لكن بعض سرائر حجبتها طمست عقولهم وحلق سرها . .
هذا بأطمار يطوف وغيره بالفرو والخز الموشى يرفل
هذا قوى الجسم ، هذا واهن هذا بلا حول ، وهذا أحول
هذا فضولى ، وهذا فاضل هذا نطاسى ، وهذا أخطل
سر جلالك صانه ، فعلى الورى أن يذعنوا لعلاك ، لا أن يسألوا
لك رحمة فيها اليراع مقصر وبيان أرباب الفصاحة أعجم
لو رمت عدلا فى الخليقة ما بقى فى الأرض مخلوق به يجرى الدم
قالوا الخطاة المجرمون مصيرهم لجهنم ، وسواك كل مجرم
حاشى لرحمتك العجيبة أن ترى نفساً وأنت صنعتها تتألم . .
ضل الغنى بماله ، ولو اهتدى لرأى الغنى بإزاء باب المحسن
أعطيته مالا فجد ماله لامؤمن بالتبر فيك بمؤمن !
لم يدر أن المقتنى يفنى ونو ر علاك وضاح ويفنى المقتنى
والموت قد ساوى الورى ففقيرهم يتجرع الكأس العتيدة كالغنى
نخشى الممات وما لنا من حيلة فى رده عنا ، ولا من مهرب
الملك كالمملوك يجرع كأسه والطفل يطرق بابه كالأشيب
نعنو له متهيبين وليتنا نعنو لسطوته بدون تهيب
فالموت مرقاة النفوس لربها وهنا يزول شقاء جسم المتعب . .

اتركينى

لست منى ولست منك فسيرى واتركينى مقيداً بأمورى
لست منى ولست منك فإنى ناظر للباب لا للقشور

لا تحبين ما أحب فقلبي لا يرى فى الغرور غير الغرور
أنت بنت اللذات بنت التجنى أنت بنت الأهواء بنت السرور
تحسبين الحيـاة إرهاق صب وجمال الحياة رشف الخمور
وقدوداً تموج بين قدود وخصوراً تميل بين خصور
وقصـوراً محاطة برياض ورياشاً محشوة بقصور
اتركيني فإن قلبي يهوى من كحيل العينين لطف الشعور
والفقـير الأديب عندى أغنى من غنى فى أصغريه فقير
لا جمـال للمرء إلا بحسن فى زوايا فؤاده مستور
لا أرى الحسن فى الأزاهر حسنا إن خلت من روائها والعبير
إن ما تحسبين نوراً بهيا هو عندى جهنم بالسعير !
وجمـالا يراه طرفى نورا هو فى مقلتيك ليس بنور
فرق الله بيننا فكلانا مستقل برأيه فى الأمور
أنت بالزهو والملاهى تفردت، ونفسى تفردت بالشعور...

بين الشك واليقين

أجلت بميدان الحياة ظنونى فراحت بشك وانثنت بيقين
أرتنى حياة الكائنات بأسرها سكون تمشى تائهاً لسكون
فماء وطين دب فى الأرض برهة وعاد لماء فى التراب وطين
ويلعب فينـا الدهر حتى كأننا سفين بيم، أو قلوع سفين
وينزل جورا بالألى ساء حظهم وتسكره منهم دموع حزين
يخون الذى خارت قواه ولا يرى لغير صليب العود غير خئون
تقاضتنى الأيام عن كل هفوة ولكن ديونى ما تزال ديونى
أنام وبى منها جروح ثخينة كأنى قد جالدت ليث عرين
كأنى لم أترك لغيرى شئونه كأنى قد عالجت غير شئونى

وفتشت عن خدن بأيام محنتى	فما طالعت عيناى عين خدين
فكم من صديق لم أخنه ، نخاننى	ومؤتمن قد بات غير أمين
وأنكر فضلى من أدنت ولم أنل	دعاء قريب أو ثناء مدين
إذا جزت سهلا فى الزمان فإنما	ستسرى بوديان به وحزون
وتجرع من مر النوائب أكؤسا	إذا رمت أن تروى بكأس معين

الفقــير

أيها الليل ! طل فأنت سميرى	وسمير العفـاة والتعسـاء
أيها الليل ! أنت نور على من	لا يرى فى الحياة غير الشقاء
أيها الليل ، أنت كالشمس لاتفـ	ـرق بين المثرين والفقراء
أنت تهدى الأحلام للناس ياليـ	ـل وتهدى الأفكار للشعراء !
قدَّر الله أن أكون شقيا	فى حياتى من جملة الأشقياء
ليتنى لم أكن فإن حياتى	ومماتى لدىَّ مثل الهباء
إن أيامى الطويلة داء	لفقــير مثلى بدون دواء
كلما شاب مفرقى شب حزنى	فى فؤادى وشب فيه عنائى
ليس فى الصيف لى مقر ولا لى	مايقينى قر الشتاء فى الشتاء
ليس لى ملجأ أحن إليه	فلدىَّ البلــدان كالصحراء
أين منى معنى الحيـاة فإنى	تائه بين صبحها والمساء ؟
لست أنسى يوماً تعمدت قوما	من كبار المثرين والأغنياء
طردونى فقلت ياقوم إنى	مثلكم . . . إنما من الضعفاء !
قلت إن الجسوم منكم كجسمى	والدما فى عروقكم كدمائى
إننى مثلكم ولدت وإنى	مثلكم صنع رافع الزرقاء
غير أن الظروف قد حرمتنى	من نصيبى من الهنـا والثراء

أى ذنب لمن يفتح عينيـ ـه إذا لم يجد سوى الظلماء؟
أنتم تهربون منى كأنى مبتلى بينكم بأقبح داء
أنتم تنظرون نحوى كما ينـ ـظر مولى الإماء نحو الإماء
إننى مثلكم على الرغم منكم من لحوم مركب ودماء
بين جنبى لى فؤاد خفوق كاللوا هزه مهب هواء
ذو شعور يهتز مع كل قلب ذو ولاء يسرى بكل ولاء
أنتم تبذلون كل عزيز فى سبيل الأميال والأهواء
تقتلون الأوقات فى حفر الإسـ ـراف بين القمار والفحشاء
تسهرون الليل الطويل وأنتم بين سعد باد ، وسعد ناء
تعرفون الحياة أكلا وشرباً ومناما وبذل ماء الحياء
فالسما فى جهنم إن أردتم عندكم أو جهنم فى السماء

ندرة حداد

١٨٨٠ — ١٩٥٠

صاحب ديوان « أوراق الخريف » الذى نشره عبد المسيح حداد بعد وفاته ، وفى شعره نزعة إنسانية ، وثراء فى الأغراض والصور والأخيلة ، وله شعر قصصى . .

وهو شقيق عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح المشهورة ، وشاعر من الشعراء المهجريين المعروفين ، ومن أعضاء الرابطة القلمية المعلمين ، صاحب رسالة فى شعره ، أوحى بها إليه الحب والكفاح فى الحياة .

يقول فى الحب :

ما الحب ياصاح سوى نفحة قدسية بين الورى تسطع
يرفعه الكاهن فى كأسه والقوم فى معبدهم خشع
يحصده الزارع إن أخصبت فى الموسم الأرض التى يزرع
تحمله الأم على زندها كذلك الحامل والمرضع

وقصيدته « سرمعى » تحمل فى طياتها عاطفة إنسانية مثالية رفيعة ، سداها الحب، ولحمتها الإخاء والتعاون فى مجال الكفاح فى الحياة ، يقول فيها ندرة:

ياأخى الساعى لنيل المـ ـجد خفف عنك جمحك
سر معى فى الأرض تنسى المال والجاه وطمحك
أنا راض بالعصا يا أيها الحامل رمحك
وسأرضى خبزك الأسود فى الحب وملحك
وسأنسى جرح قلبى كلما شاهدت جرحك

ولما أصدر عبد المسيح جريدته العربية المشهورة « السائح » فى نيويورك

عاونه أخوه ندرة حداد فى تحريرها ، وعاش يكافح من أجل الأدب والحياة حتى توفى عام ١٩٥٠ عن أكثر من سبعين عاما قضاها فى النضال والجهاد من أجل إرادة الحياة ورسالة الأدب .

وديوان «أوراق الخريف» لندرة حداد ، مطبوع عام ١٩٤١ ، وقد قدم له وليم كاتسفليس ، وهو يمثل شاعرا مفكرا واقعى النزعة .. ومن الديوان قصيدته «لو ترين» :

آه ياهند لو ترين موقفى بين عاذلين
أشتكى لوعة وبين وهما غير منصفين
لو ترين
ليتنى زهرة تطيب قطفتها يد الحبيب
دون واش ولا رقيب وضعتها براحتين
رخصتين
ليتنى طائر صغير وحبيبى معا نسير
من غدير إلى غدير من غصين إلى غصين
طائرين

وقصيدته إلى ابنه وليم مشهورة :

جئت يا ابنى مثلما وا لدك المسكين جاء
جئت دنيا كلما محضتها زدت ازدراء
وإذا ازددت بها معر فة زادت خفاء
أغبياء قد أتينا ها ونمضى أغبياء
ماطلبناها ولكن هكذا الخالق شاء

وقصيدته «يارفيق» أيضاً تمثل نزعة واقعية ، وفيها يقول :

يارفيق هاهى الدنـ ـيا التى فيها اجتمعنا

قد قطعنا أكثر الدر ب معا حتى تعبنا

وقصيدته « الحب دين الله » ، وكذلك قصيدته « وطنى أمامى » مشهورة ، وكذلك قصيدته « الله »، و« طابع البريد » ، و « الراهبة »، ومرثيته الرائعة « هذى دموعى » التى رثى بها « رشيد أيوب » معروفة ومطلعها :

لاتسأليني اليوم عن أمسى حسبي الذى ألقـاه يانفسى

وأبياته المشهورة سائرة ، وهى :

كم تمنينا صغارا أن نرى يوما كبارا
ثم صرنا نتمنى اليوم لو عدنا صغارا
هى دنيا كيفما دا رت عليها المرء دارا
وكما سن لنـا نحيـا ولم نعـط الخيارا

وكتب عبد المسيح حداد[1] عنه : فى أواخر سنة ١٨٩٧ ودع ندرة حداد حمص مسقط رأسه ، وأهله ، ورفاقه ، وأترابه ، واقتعدغارب : اليم قاصدا العالم الجديد ، كان عمره حينذاك سبع عشرة سنة،وقد بلغ من العلوم الأولية الـكفاية لذلك العهد ، إلا أنه مال بـكليته إلى آداب لغته العربية ، وإلى قرض الشعر على موازينه التى تعلمها ، فكان شـــأنه منذلك انتظار موعد يدفعه إلى نظم قصيدة ، ولـكن مالبث أن ثار على نفسه فى ذلك ، فحبس قريحته لعجزها ، على سجيتها ، عنخلق المواضيع التى ترحب بهانفس الشاعر ، فما كان ليجد دافعاً لقرض الشعر إلارسالة لصديق أو تهنئة بعرس أو رثاء فقيد توفاه الله — هـكـذا كان الشعراء فىذلك الزمان يبدأون وعليه يبقون حتى الانقضاء .

أما ندرة فاستوحش حياته فى مطلع شبابه ، من حيث درى ومادرى

---

(١) مجلة الصداقة عدد ١٢/٣/١٩٥٣

فكأن الموهبة العلوية فى داخله أخذت عواملها تدغدغه فيما هى كانت تنمو فيه فشعر بأنه ضائع ثم أراد أن يهتدى إلى نفسه ليجدها — ولكن أين ؟

كان حتى مغادرته وطنه شابا ظريفاً يعمل فى أول شبابه كاتباً فى دائرة قلم المال فى حمص ، وقد طفق الناس يتوسمون له رقيا سريعاً فى الوظائف البلدية ، ويشير إليه الأهل بأنه سيبلغ من ذلك ارتقاء متواليا ، إلاأنه هو لم يشعر بذلك بل سرعان مابدأ بالعمل حتى أخذت نفسه تبدى له استبحاثاً جماً ، راغبة إليه فى أن يحملها إلى محيط ترتاح إليه فترحب به ويرحب بها . إلى الولايات المتحدة — إلى العالم الجديد — وكانت المهاجرة عندئذ فى بدايتها ، ولكن الشاب ندرة مال إليها لعل بها يجد نفسه ، ولعل نفسه تجد محلها ، فيشعر بالطمأنينة إلى ذاته بأنه موجود لاتائه ولا ضائع فى هذا الوجود .

ووصل المهاجر الشاب ، ندرة حداد ، إلى نيويورك بعدشهرين أوأكثر ، فاستقبله فيها أفراد من أقاربه الماهدين ، وفى الحال أخذ ينشد عملا فى البلد الذى أحبه بعدما استعظمه ، وقرأ فيــه آيات العمران بظواهره الضخمة التى فاقت حد تصوره ، وقد بلغ ماتاقت إليه نفسه من الأعمال ، وشرع يتعلم لغة البلاد ، وحياة عالم البلاد ، إلا أنه ما كاد يتعلق بالمحيط الأمريكى حتى عاد ضائعاً فيه ، وحائرا فى ذاته ، لايدرى كيف يرضى نفسه الراغبة ، ولا كيف يسير بها إلى حال تطمئن عنده فتغدق عليه كنوز هباتها العلوية .

وغادر ندرة نيويورك إلى أقصى البلاد — من المحيط الاتلانتيكى إلى المحيط الباسيفيكى ، وكان يعلل النفس خلال رحلته ببلوغه أمله بإيجاد نفسه لذاته ، وباطمئنانها معه ، فتنقلت أبصاره معجبة بألوان العمران الأميركى ، وبالسوانح التى لاحد لها فى طرقه . ودخل فى الزحام الأميركى فأصاب

كسباً ، وقاده كسبه إلى الارتقاء علماً وأدباً ، فتوغل فى مجاهل الاقتباس والاختبار ، وكان بدء ذلك جميلا فى عينى ندرة ، إلا أنه ماعتم أن أدرك أنه لايزال حائراوضائعاً ، تريد نفسه شيئا لايدرى ماهو ، وعليه أن يحققه لها .

« مالى وللمال . مالى وللأعمال ؟ مالى ولهذه السوانح ؟ كل ذلك جميل ، إلا أنه لايخصنى ، بل يخص غيرى ، فأين نصيبى من الحياة ؟ وأين أنا ؟ وأين أستطيع أن أجد نفسى فى محلها ؟ أكاد أتمزق من الافتكار بذلك ، فما العمل ؟ » .

وعاد ندرة من ولايات الغرب الأقصى إلى ولايات الشرق الأميركى — إلى نيويورك فاستقبله الأهل والأصحاب ، وكان عددهم قد كثر خلال غيابه . وقد عاد شابا تدل هيئته على أنه من رجال أميركا العارفين بطرقها ، والممسكين بمحلات نهضاتها العمرانية ، وما زالوا به حتى حملوه على افتتاح محل تجارى فى هذا البلد .

وتاجر ندرة ، ومهر فى صناعة تجارته ؛ وقد ظهر عمله للسوى كبداية نجاح عظيم أكيد ، ولكن ندرة نفسه ماعتم أن شعر بأن نجاحه المادى لايروى لنفسه أواما ، ولكن ماالعمل ؟ يالله من كل هذا وكيف السبيل إلى ضالته ، أو بالأحرى ضالة نفسه ؟ .

ومضى به الزمان سنوات زحمتـــه فى أحوال كثيرة الهموم وعديدة الهواجس ، وكان يبددها باختباراته ومقدرته فى مداورة الأمور وطباعه الهادئة وأخلاقه النبيلة ، ولكنه مابرح يشعر بازدياد نفسه ضلالة ، وبازدياده تثبتا من أنه ، على الرغم من معاطاته التجارة والصناعة فى بلدهما ، كان لايزال حائراوضائعاً تنشد نفسه شيئا ماأدركه بعد ولم يعرف كنهه أيضا . إن نفسه تتطلب أمرا لايشترى بمال ، ولاشأن للسوانح فيه !

ودخل ندرة فى عالم الاجتماع ، ونفسه تقول : لعلى أجد ضالتى هناك . إلا أنه كاد أيضا أن يتعثر بالخيبة ، ولكن القدر عندئذ ساقه إلى حيث يطل

من خلال ذلك العالم على بلد الخيال ، وقد أدرك خياله وذهب به مسحورا ، ومال إليه بكليته ، ورعاه بميله وكل عنايته . وكنت أنا قد التحقت بندره وباقى إخوانى الذين سبقونى إلى المهجر .

وأذكر أنه نظم أبياتا لينشدها المغنى فى حفلة جمعية الاتحاد السورى التى رأسها فيما بعد ، وهذه هى أبياته :

خفف عن المضنى ، ومن عذله
فالقلب لايقوى على حمله
أضحى نحيل الجسم حتى لقد
أوشك أن يمشى بلاظله
يبيت كالملسوع فى كربة
سهران يرعى النجم فى ليله
يبكى ويستبكى إذا هاجه
شوق إلى الأوطان أو أهله
فيا ربوع الشرق ، كم من شبح
فى الغرب مشتاق إلى مثاله ؟!
وكم خليل ود لو أنه
يطير من شوق إلى خله ؟
فلا تلمه إن « بكى لوعة »
فالصب معذور على فعله !
الشرق أصل ، نحن أبناؤه
والشهم من يعتز فى أصله

وأذكر جيدا أن الجماهير التى سمعت تلك الأبيات ينشدها المغنى بصوته

العذب ، أخذ أفرادها فى الحال يتساءلون لمن الأبيات ، فقد طربوا لمعناها كما طربوا لصوت منشدها ، وأذكر أيضا أن الدكتور رزق حداد الذى كان خطيب الجالية وشاعرها اقترب من ندرة وهنأه على أبياته ، ثم طفق يستزيده نظما .

منذ ذلك اليوم ، وكان ندرة قد قطع ربع القرن من عمره ، بدأ يشعر بأنه أصبح على الطريق المؤدية إلى ضالة نفسه ، وبدأت نفسه تؤانسه وتكبر أمله بالنجاح — بشعوره أنه واجد نفسه بنفسه ، وأنه عندئذ سيرتاح إلى ماوجده — إلى ماخلق من أجله ، وسيشرع فى تأدية رسالته العلوية .

فى بلد الأعمال والمال ، فى بلد أكبر زحام عرفه التاريخ البشرى . فى بلد العجائب والاختراع وغرائب الإبداع — أخذت عين ندرة تميل عن كل هذه العظائم إلى عالم الخيال ، عالم الإلهام ، عالم الجمال — عالم الشعر العاطفى والشعراء الحقيقيين .

وسار ندره ، مابقى له من العمر ، شبه صوفى ، لافى صومعة ، بل فى معمعة — وهنا الغرابة فى حياته ، وأخذ ينظم نفسه شاعراً عربيا فى ملأ أجنبى يحيا للمادة ، واكتفى ندرة بأن تترنم نفسه بما كان ينظمه وبما يأتى به من درارى الخيال مسبوكا بأبدع الكلام وأصح العبارة ، عن كل مافى الدنيا من حطام ، وشرع الإلهام يمنيه بالمواضيع الشعرية النفسية فيتهلل لأنه بذلك وجد نفسه فى محلها وأما كل ماعدا ذلك فما كان ندره ليأبه له أويعيره جانباً من اهتمامه .

أجل ، وجد ندره ضالة نفسه ، ذات يوم ، عند الزهرة فى إحدى الرياض فخاطبها قائلا :

يازهرة لعبت بها أيدى الزمان القاسيه
ماأنت وحدك ياجميلة بعد عزك زاويه

إنى غبطتك بالذبو ل كما غبطتك زاهية
فسترجعين ، وإن ذبلت مع الطبيعة ناميه
أما أنا ، مازلت أجهل مايحل غـــدا بيه
لا العقل أرشدنى ولا كتب الديانة وافيه

ووجد ندره نفسه فى عزتها إذ وقف خياله أمام الجبل نخاطب الجبل قائلا :

كلانا ، يا أخا الدنيا رفيق ليس ينفصل

ولما اطمأنت نفس ندره إلى ضالتها من حياته شاء أن يصطحب معه كل من أحبها إلى بلد سحيق فى عالم الروح ، منزه عن أدران هذه الدنيا ، يزدهى بأبدع فنون الجمال الإنسانى ، وبالأخلاق ذات التغاضى والتساهل وبالصفات الإنسانية للإنسان الكامل ، فقال :

ياأخى الساعى لنيل الجد خفف عنك جمحك

وندرة ، ياقارئى ، كان شاعر العاطفة المطلقة الحرة التى لاتعرف غير الله خالقه وخالقها وقد لقبوه بشاعر «العاصى» لكثرة ما حن إلى حمص ونهرها «العاص» وقد أحب اللقب ، ولكم كان يجد نفسه فى حنينه إلى ذلك النهر العذب الفياض .

ومات ندرة فى أواخر «مايو» عام ١٩٥٠ فى أحد الأعراض فجأة فبكاه العرس وذرفت الجالية عليه أحر الدموع تاركا لبنى لغته وأدبه ديوانا واحدا باسم «أوراق الخريف» إلا أن له أكثر من ديوان كبير لقصائد رائعة .

شفيق معلوف

شفيق المعلوف من أبناء زحلة فى لبنان ، وقد ولد فيها فى ٣١ آذار ١٩٠٥ ، من أب له شهرته العلمية هو العلامة عيسى اسكندر المعلوف الذى اختير فيما بعد عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق ، وهو وميشال المعلوف (١) ، وفوزى المعلوف ، ورياض المعلوف ، واسكندر المعلوف ، نالوا شهرة كبيرة فى المهجر البرازيلى .

وتلقى شفيق المعلوف تعليمه فى مدينة زحلة ، والتحق فيها بالكلية الشرقية ، وفى عام ١٩٢٣ هاجر إلى دمشق حيث كان والده هناك ، والتحق بجريدة « ألف باء » محررا فيها ، وكان يصدرها عيسى العيسى ، وأصدر فيها ديوانه « الأحلام » . ثم هاجر عام ١٩٢٦ إلى البرازيل حيث كان شقيقه فوزى المعلوف قد سبقه إليها هو وبعض أقاربه ، واشتغل فى أعمال تجارية وصناعية هناك حيث عرف فى هذا الميدان وطارت فيه شهرته وكان يعمل معه اسكندر المعلوف ، ونال شفيق جانبا من الثراء مكنه من العيش الرغد . والإقامة الطيبة ، وأسهم مع ميشال المعلوف فى الميدان الأدبى وفى تأسيس العصبة الأندلسية عام ١٩٣٢ ، وبفضله خرجت مجلة العصبة الأندلسية إلى الوجود ، وكان يرأس تحريرها حبيب مسعود ، وأصدر شفيق عام ١٩٣٦ ديوانه أو ملحمته الشعرية « عبقر » فى اثنى عشر نشيدا ، وأعيد طبعها مع مقدمة طويلة بقلم والد الشاعر . وقد ترجمت ملحمته عبقر إلى البرتغالية ، ترجمها إليها شعراً الشاعر البرازيلى « جوداس ازغوروغونا » ، وترجمها إليها نثراً موسى كريم صاحب مجلة الشرق ..

---

(١) تولى رياسة العصبة الأندلسية عند قيامها عام ١٩٣٢ ، وفى عام ١٩٣٨ زار وطنه لبنان ، ومات أبان الحرب العالمية الثانية فى مسقط رأسه زحلة .

ثم أصدر شفيق ديوانه الثالث «لكل زهرة عبير» وبعد ذلك بعام أصدر ديوانه الرابع «نداء المجاديف»(١).

وكتب نعيمة إلى شفيق معلوف ينوه بمجموعته الشعرية «لكل زهرة عبير» تنويها كبيراً(٢).

ولأبي شادي دراسة عن شفيق معلوف يقول فيها: إنه شاعر متزن وأديب مفكر رصين مستوعب للفكر الفلسفي(٣).

ولشفيق معلوف أبيات ترجمها من البرازيلية عن الشاعر البرازيلي (فيسنتي ده كارفاليو)(٤).

صور من شعر شفيق المعلوف

بين شاطئين(٥)

ذراع ملاق أثر كف مودع ... تلوحان لي كلتاهما خلف مدمعي
مناديل من ودعت يخفقن فوقهم ... فلا ترهقيهم يا سفين وأقلعي
بعدن فغشاهن دمعي كأنني ... أراهن من خلف الزجاج المصدع
ومال بناصاري السفينة فالتوت ... تشق بنا صدر العباب المروع

---

(١) راجع ١٨٥ شعر من المهجر لمحمد قرة علي، ٢٣٩ و ٢٤٠ الشعر العربي في المهجر لمحمد عبد الغني حسن.
(٢) ١١٣ - ١١٥ مجلة العصبة السنة ١٢، العدد ٢، نيسان عام ١٩٥٢.
(٣) راجع ص ٥١٠ مجلة العصبة الأندلسية عدد آب ١٩٥٢، وقد نشرت هذه الدراسة في كتاب أبي شادي (شعراء العرب المعاصرون)
(٤) ص ٢١٩ مجلة العصبة عدد أيار ١٩٥٢
(٥) نداء المجاديف ص ١٠٢ والقصيدة موجهة إلى اخوانه في الرابطة القلمية.

كأنى بها يجرى مقدمها على ... قطيع خراف بجفل متدفع
أساى على قلب كثير حنينه ... على كل أطراف البلاد موزع
بكيت لأهلى والتقيت بمثلهم ... فأجريت أجفانى بما بين أضلعى
وما كان يبكينى التلاقى وإنما ... وراء الملاقى لاح ظل المودع
خليلى بدت جبارة المـــدن تزدهى
بأعظم ما ازدانت به الأرض فاخشع
أدارت على الآفاق مشعل عزها ... ومدت إلى شمس العلى كف يوشع
وأعلت بروجاً فى الغمام رؤسها ... فما تظفر الحدثان منها بمطمع
تمد إلى وكر الصواعق عنقها ... وتطوى جناحيها على كل زعزع
مدينة جن جوَّد الإنس نحتها ... بازميل جبار وحكمة مبدع
فكل بناء ذاهب فى فضائها ... يشير إلى باب السماء بإصبع
وتلك نياغارا تعالى دويها ... وشلالها سكران بالمجد لايعى
تفتت قرص الشمس فوق هضابها ... وسال بماء الصخرة المتنبع
سيول تهاوت جارفاً إثر جارف ... على أفق بالسافياء مبرقع
كأن إلهاً مر ينفض بردة ... على الصخر من قطن الغمام الممزع
متى حار عقل المرء عند جلالها ... تقول له : هذى حدودك فارجع
جبابر تحنى للجلال ظهورها ... كأنى بها فى سجدة المتورع
أطل عليكم والمنى تزحم المنى ... بصدرى وأنتم ملء قلبى ومسمعى
بنى النهضة الكبرى أعيد وانشيدها
على عاشقيها مقطعاً بعد مقطع
وردوا على الفصحى أغانى مجدها ... فنحن سكارى من صداها المرجع
ألا إن ملكا مثل هذا رجاله ... قيام عليه لهو غير مضعضع
لئن تسألوا مافى الجنوب فإننى ... حملت اليكم قلبه خافقاً معى
ويا سائلى عن فتية المجد هذه ... عيونى ملأى منهم فتطلع
أنا شيدنا تلك التى تكبرونها ... بدأتم بها أنتم بأروع مطلع

وإن لواء نحن قمنا نهزه   خفوقاً على حصن البيان الممنع
لواء ظفرتم أنتم باكتسابه   ونحن ركزناه بأرفع موضع

القصيدة الخرساء [1]

صحابى وما استشرفت فى يومكم غدى   فصافحتكم إلا يدى صافحت يدى
وهل أنا إلا طائر بجناحكم   يبز جناحى كل طير مصعد
فلولاكم ترقون بى كل ذروة   وتوردنى أسرابكم كل مورد
لما كنت إلا لاصق الريش بالثرى   كطير بألياف التراب مصفد
أبيت وللفولاذ حولى جبابر   حلاقيمها غصت بخيط معقد
متى شاقها التقبيل دوت بصعقة   بها جلمد يهوى على صدر جلمد
فأين مجال الوحى منها وشدقها   يلوك حديداً تحت ناب محدد
فوالله لولا أن يهيج صداحكم   بصدرى أحلام العلى لم أغرد
ولولاه ما كانت قوافى بينكم   سوى صوت تصدام الحديد المعربد
هل الفضل فضلى إن تكن جن عبقر   تداركن شعرى بالبيان المجود
حنون على عودى فسلت أناملى   له وتراً من شعرهن المجعد
بنيت لنفسى معبداً ، ولحكمة   أشاد بها الكهان هدمت معبدى
وما أنا فى شعرى سوى قلب مؤمن   أطل على الأحياء من جفن ملحد
سلكت سبيلا قد أكون ضللته   وربه غاو بالغواية يهتدى
وهل عبقر إلا وميض خلابة   يلوح على أفق الشباب المورد
نقلت إليها الأرض فى بهجاتها   وأبديت منها مشهداً بعد مشهد
وحجبت عن أهل الحياة دموعهم   ودرت عليهم بالرحيق المبرد
أقول لنفسى إن تنهدت فازفرى   رويداً على جمر العذاب المرمد

---

(١) نداء المجاديف ص ٧٠ والقصيدة موجهة إلى إخوانه فى العصبة الأندلسية .

وعضى بسن البشر ثغرك وانحرى　　على شفتيه زفرة المتنهد
فياليتنا فى كل يوم بعبقر　　نذيع على الدنيا أناشيد معبد
فأطيب مافى العمر أن يحلم الفتى　　وقد حبكت جفنيه أوتار منشد
وماالفضل أنى عدت من قلب عبقر　　وبى شعلة من روحها المتوقد
فعبقر ما صعدت فى هضباتها　　وحيداً ولا طوفت فيها بمفردى
فلى فى تلقى الوحى عنها نجية　　أجوز بها الدنيا وفى يدها يدى
نجية شعرى المستطاب وزهرة　　جناها ليلقيها الخلود على غدى
لك الله فى أصقاع كولمب عصبة　　تناضل عن حوض البيان المهدد
بيان يشوق النابهين وساده　　وما فيه غير القض للمتوسد
وسفر من الآداب لسنا نرى به　　على كل حرف غير جفن مسهد
بقية أمجاد تشدون حولها　　سواعد تحميها بغير مهند
فما كان منكم لو حماكم مهند　　إذا كان هذا شأن شعب مشرد
ذر اللوم يحرق قائليه بناره　　فما نحن إلا هادم لمشيد
ونعم معدات الدمار وقد هوت　　بمعولها الهدام كف المجدد
لنا اللغة المثلى متى انهار سورها　　بصرح دعمناه بصرح ممرد
لو الأدب الشرقى حفته راية　　يهب عليها شبه نفحة سؤدد
لكنا تركنا البحر خلف ظهورنا　　ملففة أمواجه بالزبرجد
وكنا نبذنا الشط تنعى صخوره　　مجاديفنا من كل مدن ومبعد
وملنا عن الدر النثير بقعره　　ولم نعن إلا بالنظيم المنضد
أراجع قلبى وهو بالحمد ناطق　　فيشكو بيانى وهو ليس بمنجد
رميت كتابى من يدى فإن أكن　　أسأت يقاضى أو أجدت يخلد
لئن كان لم يولد خلودى بعبقر　　يبشر هذا المهرجان بمولدى

ساعى البريد (١)

ساعى البريد وما ينفك منطلقاً ... وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مغلفة ... تفوح منهن أطياف المواعيد
خلف النوافذ أجفان مشوقة ... إليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهز عقود الغيد مقدمه ... هز النسيم لحبات العناقيد
كم قبلة من فم العشاق يحملها ... على يديه ويهديها إلى الغيد
يا ساعياً بابتسامات توزعها ... على الشفاه بلا من وترديد
كم وجه أم عجوز إن برزت له ... لم تبق من أثر فيه لتجعيد
تلق إليها كتاباً إن يصب يدها ... شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف ... لابن إلى صدر تلك الأم مردود
وكم وكم رقعة كالحظ مشرقة ... وهبتها كل كابى الحظ منكود
ياواهباً كل بشرى حين جدت بها ... راحت تكذب عنك الفقر بالجود
أبعد بذلك فينا ما بذلت نرى ... عينيك فى مأتم والناس فى عيد
لو تعلم الناس يوماً أنها سلخت ... أيامها البيض من ليلاتك السود

الفلاح (٢)

وفى الحياة ديونها ... كرماً وما وفيت ديونه
ومضى تشق الأرض — ... قبضته بعزم لا يخونه
عرق الجهاد همى على ... عينيه فانطبقت جفونه
هلا نظرت جبينه ... كم فيه لؤلؤة تزينه
ضنت عليه بالدموع — ... عيونه فبكى جبينه

---

(١) لكل زهرة عبير ص ٣٥ .
(٢) لكل زهرة عبير ص ١١ .

جورج صوايا

طبيب شاعر ، نبغ فى الطب ، كما نبغ فى الشعر ، فقد جمع بين الطب والشعر ، كما جمع بينهما أحمد زكى أبو شادى وإبراهيم ناجى وغيرهما . . بل كما جمع بينهما فى القديم ابن سينا (٤٢٩ ﻫ) ، وعبد اللطيف البغدادى (٦٢٩ ﻫ) ، وابن دانيال الحكيم ، وغيرهم .

والدكتور صوايا من شعراء المهجر الجنوبى [١] ، وقد كانت هجرته إلى الأرجنتين ، وحياته فيها ، وظهرت شاعريته بها .

ولد عام ١٨٧٢ فى لبنان ، بقرية كفر حاتا ، ودرس الطب فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، ثم سافر إلى نيويورك مهاجرا من وطنه (عام ١٩٠٩) ومنها واصل الرحلة إلى الأرجنتين فى أمريكا الجنوبية ، وأقام فى بيونس آيرس عاصمة الأرجنتين هو وأسرته . . وعاد إلى الدراسات الطبية من جديد فى إحدى كليات الطب بالأرجنتين ليستطيع أن يعمل فى الميدان الطبى بالأرجنتين ، وتخرج منها وزاول مهنة الطب ، وعمل بالصحافة محررا فى جريدة « القرن العشرون » التى أنشأها لبيب الرياشى عام ١٩١١ فى عاصمة الأرجنتين .

وكان يجيد العربية والفرنسية والإنجليزية والأسبانية ، إجادة تامة .

وفى عام ١٩١٩ أنشأ جريدة « يقظـــة العرب » اليومية فى عاصمة الأرجنتين .

---

(١) ترجم أدباء المهجر فى الأرجنتين كثيرا من الآثار الأدبية العربية إلى اللغه الأسبانية ، وقد قام سيف الدين الرحال بترجمه القرآن الكريم إلى اللغه الأسبانية.

ومن بيونس آيرس صدرت جريدة العلم ، ولا تزال تصدر فيها منذ عام ١٩١٤ ، ويكتب فيها مديرها ورئيس تحريرها عبد اللطيف الخشن الفصول الأدبيه والوطنيه المنوعه .

ثم أنشأ عام ١٩٢٩ فى عاصمة الأرجنتين بيونس آيرس جريدته « الإصلاح » اليومية باللغة العربية ، ثم جعلها مجلة أسبوعية .

ومال إلى الأدب والشعر منذ كان فى لبنان ، وطبع له ديوان كامل اسمه « همس الجفون » ، وكتب هو مقدمته . . واشتمل على قصائد فى الوطنية والاجتماع والحنين إلى الوطن ، وفى شتى المناسبات .

وصوايا متحرر فى أسلوبه . متسامح فى مراعاة أصول اللغة والنحو ، يولى الفكرة والمعنى عنايته ، أكثر مما يولى الأسلوب والصياغة ، وفى شعره مايوحى بصناعته كقوله :

جسوا السطور تحسوا نبضا كنبض الصدور

صور من شعره :

غادة

غادة تخطر فى ضوء القمر ترتدى ثوباً من الحسن قشيب
رقد الناس وقد لاح السحر وهى تشكو للدجى ظلم الحبيب
طارحت بالحب زهر الرابية وأباحت بجواها للغدير
شاركتها بالأنين الساقية وحفيف الروض عطفاً بالزفير
فمضت للبدر ترنو شاكية ياأمير الليل ! أنصف يا أمير !
حين هز الريح أغصان الشجر هزها الوجد كما الغصن الرطيب
فشكت لليل أطوار البشر وهوى أحرمها العيش الخصيب
رفعت مقلتها نحو السما فرأت أهل السما عنها نيام
نادت الدهر ولكن وجما وسقاها الدهر من بلواه جام
ثم قالت وعلى الخد همى الد مع : ربى إيه ما هذا النظام ؟
مقلة فى الحب يضنيها السهر وعيون عندها النوم يطيب
مهجة للرغد والأنس مقر وقلوب داؤها أعيا الطبيب . . ؟

الكتاب

يارفيق الشباب يامحيي الليـ … ـل بقربي إن مل مني الجليس
وأنيس الغريب قد أوحشته … ساعة غاب عنه فيها الأنيس
ياصديقاً يبش في ساعة اليسـ … ـر وفي العسر . والصديق عبوس
ورشيق الحديث يفعل في نفـ … ـسي ماليس تفعل الخندريس
يا إناء الرشاد بين البرايا … يا غذاء تقتات منه النفوس
بين لوحيك قد قضينا ربيع الـ … ـعمر وهو العهد الجميل النفيس
وسجدنا لديك في خلوة النفـ … ـس نناجيك أيها القدوس
ينصت الليل معجباً بجوانا … وينام الورى ونحن جلوس ..
أنت مرآة ذا الزمان رأينا … فيك مافيه . لم يمت رعمسيس
خالد فيك أفلاطون وهوجو … والمعري حي وجالينوس
يستوي الناس في مقامك سيا … ن لديك الرئيس والمرؤس

على جناح الأثير

على جناح الأثير … يانفس رحماك طيري !
وامضي لأقصى بلاد … وراء هذي البحور
فاستطلعي حي قوم … هم محج شعوري
ورفرفي في حماهم … وارميهم بالزهور
بثي إليهم حنيني … قلبي إليهم زفيري
فوخز شوقي إليهم … مضن كوخز الضمير
وفي الحشا حر وجد … كوهج نار السعير
كم مر يوم بيوم … وأشهر بشهور ..
ولا نرى غير وعد … بالوصل بعد النفور

ولم يكن مطل حب يوماً بخطب يسير
مع المداد فؤادى يسيل ضمن السطور
جسوا السطور تحسوا نبضاً كنبض الصدور
ينساب فيها ولائى انسياب ماء الغدير !

طيف الممات

أيها الواجف من طيف الممات ينشد الغبطة فى طول البقاء
ليس لولا الموت فى الكون حياة فتوجه صامتاً نحو السكون
إن فى طول البقا طول الشقا فانبذ العيش ورحب بالمنون
أيها الهاجع فى الوادى الظليل خاطراً كالحلم فى فكر الدهور
بدد الحلم ، انقضى الليل الطويل فمتى اليقظة من هذا الهجوع ؟
يذبل المرء ويذوى كالزهور هل ترى ينعشه ظل الدموع ؟

نعمة الحاج

أحد شعراء المهجر المشهورين ، ولا يزال يعيش حتى اليوم فى الولايات المتحدة .

ولد نعمة الحاج عام ١٨٨٩ فى قريته غرزوز بلبنان ، وفى عام ١٩٠٤ وهو فى الخامسة عشرة من عمره هاجر إلى الولايات المتحدة ، وكان عمله فى التجارة ، وكمل دراسته اللغوية والأدبية بنفسه وباتصاله بشتى أدباء المهجر وبقراءاته المنوعة . وكتب فى جريدة السائح التى أسسها عبد المسيح حداد عام ١٩١٢ فى نيويورك ، واشترك نعمة الحاج فى النشاط الأدبى فى المهجر ، وأخرج عام ١٩٢١ ديوانه المشهور « ديوان نعمة الحاج — الجزء الأول » الذى طبعه فى جريدة الهدى العربية النيويوركية ، وقدم الديوان الشاعر المهجرى المشهور إيليا أبو ماضى .

وكثير من شعره منشور فى السائح والهدى والبيان والسمير ، ولا يزال يوالى نشر قصائده فى مجلة الأديب اللبنانية .

ومن شعره قصيدته « ما نسينا » المنشورة فى مجلة الأديب عدد نوفمبر عام ١٩٦٤ ، يقول فيها شاعرنا المهجرى :

ما نسينا ويشهـــد الله أنا … نحن بالروح فى الحمى حيث كنا
إن بعدنا وإن قربنا فلبنا … ن سناه يشع فينا ومنا
أيها السائلون : من نحن ؟ مهلا … إن جهلتم فسائلوا الدور عنا
حين جبران والأمين وإيليا … وميشا وكل من فاق فنا
ينشئون الجديد فى لغة الضاد … فيسبى العقول لفظا ومعنى
نحن فى الأرض أنجم ونسور … حلت العاليات برجا ووكنا

فهى يرسل الشعاع رشادا	وأكف كالنحل سعيا وأجنى
هذه النهضة الحديثة منكم	قربت منذ نحن بالأمس بنا
قد نفخنا بوقها وأثرنا	نارها والعيون إذ ذاك وسنى
أيقظتكم من الكرى فهبتم	وأجدتم تجديدها فهى أسنى
وازدهار العمران والعلم والفن	تراه العيون أكمل حسنا
عاش مأوى الفؤاد لبنان فيه	يجد المرء كل مايتمنى
وإذا طابت الفروع يعود	الفضل للأصل فهو نضر غصنا
لكم الفضل يا أصول المعالى	وإليكم بالعز والفخر عدنا
ورأينا القلوب منفتحات	فكأنا عن الحمى ما اغتربنا
وسمعنا الترحيب أهلا وسهلا	فأبنتم من الجوى ماأبنا
ضم نسر العلى جناحيه إذ حط	على الأرز جاثما مطمئنا
وعظام الجدود هشت من الترب	وبشت والقلب للقلب حنا
إيه لبنان مانسيناك ونحمى	لك ونحمى الحمى بحيث كنا

شكر الله الجر

شاعر مهجرى مشهور ، ولد فى قرية « فتوح كسروان » بلبنان ، وتلقى دراسته الابتدائية فى قرية جبيل اللبنانية ، وكثيراً ما كان يتردد على وادى يحشوش حيث صديقه وقريبه داود بركات ، فيسامره وينادمه كأس المعرفة والأدب والشعر .. وفى عام ١٩١١ التحق بمدرسة الحكمة فى بيروت ، وهاجر عام ١٩١٩ إلى البرازيل يعمل فى التجارة. ثم هوى الصحافة ، فأنشأ مجلة الأندلس الجديدة ، ثم الزنابق ، وأغلقت صحيفته خلال الحرب العالمية الثانية وأصدر ديوانه « الروافد » ، وفى عام ١٩٤٥ أصدر زنابق الفجر .

وشكر الله الجر من أعضاء العصبة الأندلسية ، وكانت سان باولو المدينة التى شهدت آثار عبقريته وشاعريته . . . بل كان هو صاحب الفكرة الأولى فى قيام العصبة الأندلسية ، وقد خف بنفسه من ريودى جانيرو إلى سان باولو لتحقيق فكرته فوجد لدى ميشال معلوف استجابة له ولها[١] .

ويبدو تأثير جبران عند شكر الله الجر فى كتابه « نبى أورفليس » الذى نوه فيه بجبران وفلسفته تنويها جليلا ، وتأثر فيه بكتاب « النبى » لجبران تأثراً واضحاً ، وفيه يقول عن جبران :

لقد كان جبران الحرارة فى نفوسنا ، والعذوبة فى أرواحنا ، والجمال فى أعيننا ، والخيال فى أدبنا ، والفكرة النيرة فى قلوبنا ، والجديد فى قديمنا ، والمحرك الأكبر لأقوالنا وأفعالنا ، لقد خلق لنا جبران لغة لكل ما كنا ندركه ونحسه ولا نقوى على تصويره والإفصاح عنه .

ونجد فى ديوان والجر « زنابق الفجر » روح أسلوب جبران ، يقول شكر الله الجر :

---

(١) ٢٥ الأدب المهجرى للناعورى .

فصلاة الطير فى الربوة والسفح غناء
وعبير الزهر بخور تعالى فى الهواء
لايضير الله أن نعبده حيث نشاء
هيكل الله جبال وبحار وسماء
وعلام القول إن الله قد حجب عنا
هو فى الليل وفى الفجر إذا فتحت جفنا
هو فى البرق وفى الرعد إذا أرهفت أذنا
هو فى الأكوان مذ كانت ، وفينا منذ كنا

صور من شعر شكر الله الجر

هواجس (١)

أنا إن أرقص فى الناس فمن حز الألم
وإذا صفق كفايا فمن هم ألم
وإذا نغمت فى عرس فأنغامى - نواح
أنا من روح وجسم مثل أبناء الحياة
يدرك الناس الذى أجهل من ذى الكائنات
ولقد أدرك ماأغمض عن غيرى وغاب
ولكم ألمح فى الدمعة أسرار البحور
ولكم أسمع فى اللجة أنغام الطيور
ولكم أبصر فى الظلمة أنوار الصباح
فلكم أنشق بالزهرة أحلام القبور
ولكم ألمح فى النظرة ما يخفى الضمير
ولكم أقرأ ما يكتب فى الشط العباب

(١) زنابق الفجر ص ١٠١ ، ١٠٢ .

فأنا الصخرة والزهرة فى حقل القضاء
وأنا النجمة والنيزك فى هـذا الفضاء
وأنا الناحب والناعب والحلو الصداح
إن فى روحى صيفاً وخريفاً وربيع
وشتاء مدلهماً عاصف الريح مريع
وظلاماً وصباحاً وصفاء وضباب

قشور لباب[1]

أترى الأشجار تدرى أنها كانت بذورا
أم ترى الأثمار تدرى أنها كانت زهورا
ليس عند الأرض علم أنها كانت ضباب
لا ولا «الابريز» يدرى أنه كان تراب
كل ما خلناه قشراً صار فى الأرض لباب
أترى الأرواح تمشى جوهراً خلف التراب
إن أمر البعث سر
كائن خلف الوجود
ووجود المرء غصن
جذعه تحت اللحود

ويقول شكر الله الجر فى رثاء أخيه عقل الله الجر الشاعر المهجرى المبدع:

ياعظاما حبيبة طالما تاقت لمهد الطفولة التواق
للشـذا ، للنسيم ، للأفق الوردى فى موطن النهى السباق
أنت عندى أعز كنز ففضت الترب عنه في رعشة المشتاق

---

(١) زنابق الفجر ص ١٢١

إن فى عودك المرجى للبنان لنصر يشع فى إخفاقى
حسب حظى أنى أحقق حلماً كان يا (عقل) غصة فى التراقى
فهنائى بأن أعيد للأرز ، إلى ظل روحه الخفاق

وكان الشاعر عقل الله قد مات فى المهجر ، وعاد جثمانه إلى لبنان ليدفن فى أرزه ، وهو القائل :

ذكر الأرز بعد شط مزاره أى جرح يسيل من تذكاره
ليس أشهى على القلوب وأندى من شذا شيحه ونفح عراره
عانقت سدة الكريم رواسيه وألقت ظلالها فى بحاره
وطن بالعيون نسقى ثراه إن توانى الغمام عن إمطاره
إن حرمنا من نعمة العيش فيه ماحرمنا من مرقد فى جواره

وعاد عقل الله الجر بعد موته لينام فى مرقد فى جوار أرزوطنه الحبيب.

على متون الأمواج[1]

ركبنا من اليم طوداً يقل الـ عباد ، فكل إلى رغبته
فياله من مشهد للوداع يذيب الحديد على قسوته
فأم تضم إلى قلبها وحيداً يسير لأمنيته
وأخ يكفكف دمع أخته وزوج يرفه عن زوجته
وعاشقة أومأت بالبنان إلى عاشق غص فى عبرته
جرى كلهم فى خضم الحياة إلى درر غص فى لجته
يجمعهم مطلب فى الثراء ويذريهم الكون فى فسحته ..
فتجرى الحظوظ بأقدارهم ويجرى الزمان على فطرته
فتلقاهم بعد طول الكفاح وكل يكد إلى بغيته

(١) «الروافد» ص ٥٥ طبع البرازيل .

توقل بعض مراقى الفلاح وبعض تورط فى كبوته
فيالك من مطمع بالثراء يطوح بالنفس فى غمرته
ويالك من ضارب فى العباب تحوم الأمانى على دفته
ويا له معصوصف فى الرياح يقهقه كالرعد فى شدته
كأن أواذيه اللاعبات صلال تنضنض فى لجوته
ويا له من أملس ناعم يحاك الحرير على وجنته
تخال المراكب فى عرضه سطوراً من الشعر فى صفحته
تجعده النسيم الساريات ويصقله الريح فى هبته!
فيبدو لعينك ديباجة يفوقها الموج فى رغوته
وينشر من فوقها بردة شبيه الملاءة من زبدته
إذا الزهر شقت قميص الدجى لمست الأقاح على زرقته
تعوم وتغرق بيض الزوارق مثل الأوز على موجته..!
فيالت شعرى أيحظى المهاجر فيما يرجيه من هجرته؟
ويا ليت شعرى أيلقى المسافر يوما سبيلا إلى أوبته
أم أن الليالى تزرى به فتذرو الفتى الحر فى تربته
فلا أم تبكى على قبره ولا أخت تسقى ثرى حفرته

رياض المعلوف

١٩١٢

من أسرة شاعرة ، وهو شاعر مهجرى متميز بفلسفة الحزن والبكاء التى يمثلها ديوانه « الأوتار المتقطعة » ، وله « خيالات عام ١٩٤٥ » ، و « وزورق العباب » .

وقد عاد إلى زحلة منذ عام ١٩٤٧ ، وهو إلى اليوم يقيم فيها ، وله بالفرنسية دواوين : تلاوين ـ غيوم ـ الفراشات البيضاء ـ حبات رمال ـ

ومثل لبنان فى مؤتمر الشعر الدولى المعقود فى بلجيكا عام ١٩٥٢ (١) .

وكان ميلاد رياض المعلوف عام ١٩١٢ فى زحلة ، وهاجر إلى البرازيل سنة ١٩٣٩ ، وديوانه خيالات مشهور .

وهذه هى صور من شعر رياض المعلوف :

آه منك

أحبك للعبادة آه منك ... وقلبك بين تأكيد وشكّ
إذا ملكت يدى الدنيا سأبقى ... فقيراً قبلما تضحين ملكى . .
فأضحك دون ماسبب لضحك ... وأحزن دون ماسبب وأبكى
ولا أدرى لماذا سال دمعى ... ولا أدرى لماذا هاج ضحكى
كأن الهدب مشدود بهدب ... وقلبك شد من قلبى بسلك

(١) مجلة العصبة الأندلسية عدد أيلول ١٩٥٢ ص ٦٠٥ ـ وراجع ص ٤٣٤ أدبنا وأدباؤنا .

فضحنا .. كيف كل الناس تدرى   سرائرنا ، ولم تحكى وأحكى ؟
وكل قصيدة تحدى وتشدى   على فم منشد عنى وعنك ..

إلى عصفور

غن ياعصفور غن   لى ألحان التمنى
وانتفض فى الماء نفضا   ت الوريقات بغصن
سلمت ريشة من لو   ن ريشات بفن
من خيوط الشمس والآ   فاق والروض الأغن
فأرى شدوك شدوى   وأرى لحنك لحنى
هذه روحى طارت   فى فضا لحنك منى ..
ليت قلبى فى جناحيـ   ك وفى المنقار سنى ؟
غن ياعصفور غن   ثم طر عنك وعنى !

موجة نور

نم ! نم ! وسادك صدرى   وطوع أمرك أمرى !
واحلم لحلمك نور   وفضة فوق تبر
شعورك الشقر تاج   بهالة الشمس يزرى
وفى العيون سماء   زرقاء توحى وتغرى ..
أهواك ملء عيونى   ومبسمى المفتر
مهما وصفتك يعيا   عن وصف حسنك شعرى
أأنت موجة نور   أم أنت موجة عطر ؟

إلى موسيقى

حضنتها قيثارة كأن فيها أضلعك
أودعت فيها كل ما فى الروح ربى أودعك
داعبتها مستلهما فأسمعتنا بدعك . .
وارتعشت أوتارها مقبلات أصبعك
ألحانها درب المنى قلبى مشى فيه معك
من وتر لوتر ضيعنى وضيعك . .

الهزار المنتحر

كنت طلق الجناح غير مقيد يا هزارى تختال بين الغصون
أسرتك الأقفاص كم تتنهد فى جوارى بحرقة وشجون
أين تلك الأغصان من قضبانك والجداول وقهقهات الأزاهر
أين تلك الآيات من ألحانك فى الخمائل وحسن صوتك ساحر
كنت فى الدوح آمناً بصداحك متضاحك من الورى متشائم
غير اللحن بعد قص جناحك بنواحك فصرت بالهم واجم
بجناح جربت فك سراحك فتكسر بكرَّة وبفرَّة
خضب الريش من دماء جراحك وتحير فبت للناس عبرة
مت أسرا فكفنتك ورودك والزنابق بموكب يتهادى
ورثتك الأطيار وهى جنودك والشقائق مقطبات حدادا
إنما الذنب للجمال بصوتك فى إسارك يافتنة للنواظر
سبب الحسن شتمه عند موتك وانتحارك فمت ميتة شاعرٍ !

لبنان

هـل ياترى نعود إليـك يالبنـان
فتصـدق الوعود ويسمح الزمان
فنقطف العنقود منوع الألوان
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان
ما أحسن السهر فى خلوة الـكروم
وبيننـا القمـر وقربنـا النجوم
فهـذه الصـور تمـر كالغيـوم
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان
زقزقة العصفور ورعشة الأغصان
حتى أرى الصخور ندية الألوان
وعتمة الدجور تشتفها العينان
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان
كم سحت فى المعمور ما غرنى منظر
فبلدى المهجور وكوخى الأخضر
أحلى من القصور والذهب الأصفر
هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان
ما أحسن الذكر فى مقلة الغريب
فهو إذا ذكر موطنه الحبيب
يرتعش النظر وعينه تغيب

هـل يا ترى نعود
إليـك يا لبنـان

الله والشاعر

في كل آونة بعيني أشهد   عظمات ملـكك كلها وأعدد
وكفى بقولي الله حتى تنتشي   نفسي وتشخص مقلتاي فأسجد
يا صاحب الملك الذي لا ينتهي   أبداً وسدته الملا والسرمد
بيني وبينك ألفة ومودة   أبداً تزيد ، ودائماً تتجدد . .
رحماك ! رغم تباعد بمقامنا   إني أحبك هل ترى أنا ملحد !
أتعد هاتيك النجوم ونورها   أم خلقنا ، أم فضلك المتعدد ؟
يتخاصمون عليك في صلواتهم   واخجلتاه ! وأنت أنت الأوحد
نخذ الصلاة من الورود على الشذى
ومن الطيور على المناقر تنشد
نورت أعيننا بأنوار الهدى   فإذا بهن مشاعل تتوقد
فبكل عين للورى لك شمعة   منذورة ، وبكل صدر معبد !
فلما خلقت الموت يا باري الورى ؟
ولمـــا نموت ولا نعيش ونخلد ؟
ألهمتنا الشيء الـكثير.. ولم يزل   هذا الغشاء ، ترى متى يتبدد ؟
إن كان يفنينا الممات فمعشر الشـ   ـعراء من كل البرية أخلد
في فقرهم كل الغنى وثرائه   إن الغنى لماله مستعبد
لوحات « رافاييل » لا مال يوا   زيها ، ولا أقدارهن تحدد
كم قطعة تغني النفوس ثقافة   وقصيدة بكلامها يستشهد
فالشعر في إنجيلنا وكتابنا   والشاعران هما المسيح وأحمد..!

الدنيا لنــا

هذه الدنيا لنا لحبيبي ، لى أنا
فتمتع ياحبيبي فالمنى تلو المنى
أى شىء نبتغيه لم تنله يدنا
طالمــا أنت بقربى كل شىء ههنا

قبلة الضحى

الطرف كم أبدى وكم شرحا
فضح الهوى مابيننا ، فضحا
إن التعقل فى الهيام خرافة
لانصح فيه ، خاب من نصحا
كم ليلة قضيتها فى متعة
للفجر حتى ديكه صدحا
هى ليلة كل الليالى دونها
هى فرصة وبها الهوى سنحا
والليل كم حضن الهوى فى جنحه
لولاه كان الحب مفتضحا
نام الحبيب على يدى متنعما
قبلته ، عند الضحى ، فصحا
ومضى وخلى القلب ينهشه الأسى
من بعد ماقلبى به فرحا

نعمة قازان (١)

أديب وشاعر لبنانى مشهور ولد عام ١٩٠٨، وهاجر إلى البرازيل عام ١٩٢٧، وانضم إلى العصبة الأندلسية، وظهرت مواهبه الشعرية فى المهجر.

ونعمة قازان شاعر «معلقة الأرز» محب للتجديد، لم يسلك مسلك زملائه أعضاء «العصبة الأندلسية» فى المحافظة على عمود الشعر وجزالته وصحته، بل سار فى طريق التجديد إلى أقصى غاياته، متعصبا لجبران ومذهبه فى التجديد، منوها به غاية التنويه فى معلقة الأرز.

وقد ظهرت معلقة الأرز عام ١٩٣٨، وفيها يقول:

فقلتم يقول النحاة فقلت لقد كان ذلك فى البصرة
فقلتم يقول الكسائى فقلت وجبران قال على صحة

وقد وقف نعمة قازان مع المعنى، ولم يلتزم حدود الصحة اللغوية والنحوية، ولا مقتضيات الصياغة العربية.. وهو يسير فى تيار التجديد بروحه مع الرابطة القلمية وزعيمها جبران.

وقد كتب توفيق ضعون الأديب المهجرى المشهور مقدمة «معلقة الأرز» الذى لم يوافق الشاعر على منهجه فى معلقته من «الاستهتار باللفظ وبالحدود والقيود اللغوية والعروضية».

ولنعمة قازان فضل على الشاعر المهجرى أنطون شكور، فهو الذى شجعه وكشف مواهبه، وطبع له روايته «من المهد إلى اللحد».

وكذلك كان له فضل على شاعر مهجرى أصله من مصر عاونه وكرمه، وهو محمود الشريف، الذى كتب عن «معلقة الأرز» كتابا سماه «ثورة قازان فى معلقة الأرز» دافع فيه عن نعمة قازان ورفع فيه من منزلته وشاعريته.

---

(١) ٤٩٦ - ٥٠٠ أدبنا وأدباؤنا

صور من شعره :

— ١ —

صورة من « معلقة الأرز »

تطاول قوم على شهرتى ... فقلت : خذوها بلا منة
إذا كان ذلك ماتنشدون ... من الشعر والفن واخيبتى !
وإن كان ذلك ما تنشقون ... فواضيعة العطر فى الزهرة !
وإن كان ذلك ماتبصرون ... فواضيعة النور فى الظلمة !
وإن كان ذلك ماتسمعون ... فواضيعة الصوت فى أمتى . !
وقفتم ببابى ولم تدخلوا ... فماذا تريدون يا إخوتى !
تغنيت بالأرز . ما حيلتى ... إذا الأرز طابت به نغمتى ؟
إذا نبت الأرز فى مهجة ... فماذا على طيب المنبت ؟
بلادى . أأسطيع نكرانها ... إذن فاقلعوا الحب من بزرتى
ولبنان أمى به حفنة ... سقتك السموات ياحفنتى !
وأهلى . وماذا أقول بأهلى ... وماذا أقول بمحبوبتى ؟
أقول : بقاع الدنى حلوة ... وأحلى بقاع الدنى بقعتى !
هجرت وللنفس أطماعها ... وإنى مع الحظ فى هجرتى
فلا المال أشبع من جوعتى ... ولا المجد أطفأ من غلتى
غريب أرانى على ضفة ... كأنى غيرى على ضفة !
حتى السواقى إذا نغمت ... كأن السواقى بلا نغمة
وهذى النجوم وقد شعشعت ... تلوح لعينى بلا لمعة
وهذى الأزاهر تكسو الرياض ... أزاهر لكن بلا نفحة . !
هى النفس تحيا بإحساسها ... وليس على الحس من قدرة
لقد عاشت العمر فى لذة ... وسوف تموت على اللذة

فلا ! لا أحب سوى قريتى ولا ! لا أريد سوى أمتى . !
ربيت طليقاً على فطرتى ويا ما أحيلى طفولتى !
فياما شربت من النيرات وياما أكلت من « القتلة »
وياما تربصت فى الخيمة وياما ركضت مع الغيمة !
وياما سبقت جواد الرياح على غصن أملد مهرتى !
وياما سرحت ، وياما مرحت وياما جنحت إلى الربوة !
وياما بكرت إلى الكرمة وياما سكرت من الحبة !
وياما كسيت بلا كسوة وياما شبعت من الكسرة !
وكنت سعيداً وأى سعيد أبيع السعادة « بالكلة »
وكنت مع الله فى قريتى فصرت بلا الله فى غربتى
وكنت غنياً مع القلة فصرت فقيراً مع الكثرة
فثرت وثارت أنانيتى فضعت وضاعت ألوهيتى !
ولولا الحبيب وعودى الرطيب رمانى اللهيب إلى الشهوة . !
ولولا الرجاء بعود الرجاء قذفت بنفسى إلى الهوة . !

— ٢ —

أنشودة الغريب

الأرز والوادى يارمز أمجادى
ياكنز أحفادى ياثرى لبنان !
يا مسبح الأحلام يا مهبط الإلهام
يا منهل الأقلام يا سما لبنان !
يا ناثر الأتراح يا شاعر الأفراح
يا ناشر الأرواح يا هوا لبنان
يا ماخر الأبحار يا فاتح الأمصار !

يا باعث الأنوار　　يا ذكا لبنان
مذبوحة العينين　　مكسورة الجفنين
مكمومة الخدين　　يامها لبنان
أغرودةالشحرور　　زفزقة العصفور
موسيقة الطيور　　يا غنا لبنان
رويت من دمى　　غذيت من لحمى
يا حاضنا أمى　　يا ثرى لبنان
هل يرجع الغريب　　للوطن الحبيب ؟
وتهتف القلوب　　مرحبا لبنان ؟
الأرز والوادى　　يا مهد أجدادى
يا أرض ميعادى　　يا ثرى لبنان

حسنى غراب [1]

من شخصيات أدباء المهجر الجنوبى ، ومن أبناء حمص الخالدة ، وممن تركوا صدى عميقا فى بيئة الأدب المهجرى ، كتب عنه شكر الله الجر فى مجلة « الأديب » اللبنانية عدد يونيو ١٩٦٦ يقول :

حسنى غراب لؤلؤة من ذلك العقد المنفرط على شواطىء الأتلانتيك ، ولد فى تلك الرقعة المباركة « حمص » مدينة ديك الجن ، التى انطلق من أعشاشها بلابل البيان لتغرد أغاريدها فى شمال الأرض وجنوبها ؛ فمن الولايات المتحدة إلى البرازيل . من نسيب عريضة وندرة وعبد المسيح حداد فى

(١) ولد فى ٢٠ آب ١٨٩٩ ، وهاجر إلى البرازيل عام ١٩٢٠ (راجع ٥١٥ - ٥١٨ ذكرى المهجرة) .

نيويورك . إلى حسنى غراب ونصر سمعان وميشال مغربى ونبيه سلامة وموسى حداد وسواهم فى مدينة سان باولو . وفى حمص يقول شاعرها حسنى وقد هزه الحنين إليها :

أبعد حمص لنا دمع يراق على   منازل أم بنا من حادث هلع ؟
دار نحن إليها كلما ذكرت   كأنما هى من أكبادنا قطع
وملعب للصبا نأسى لفرقته   كأنه من سواد العين منتزع

تلقى حسنى علومه فى مدارس حمص ، فأتقن العربية وبرع فى تأدية معانيه الفكرية فى قوالب فصيحة جزلة . فهو من هذه الناحية على ماتشاء من صفاء الديباجة وعفوية الخاطر ، حتى لتخال وأنت تقرأ شعره كأنما هذا الشعر نظم نفسه فانتظم أسلاكا من الدر على الطرس .

هاجر حسنى من حمص عام ١٩٢٠ مشمرا وراء الثروة فى بلاد بعيدة ، فابتسمت له الأيام فى أوائل عهده بيد أن الليالى ، وهى حرب على الأدب والأدباء ، لايطيب لها عيش إن لم تر الشاعر يغص بلقمته ، وينام مروعا على وسادته .

لم تهادن الأيام حسنى ليتفرغ للنظم ، وما كان (حانوته الصغير) يدر عليه الرزق الوفير ليعود إلى هوايته الكبرى وهى الأدب ، ولكن فى هذا القليل الذى تركته لنا ثروة طيبة تعطيك صورة عن مدى تفكيره ورسوخ قدمه فى صناعة القريض ، وهو لايضيره أنه نظم فى المناسبات ، فلطالما اتخذ من هذه المناسبات وسيلة للانطلاق إلى مواضيع سياسية ووطنية خطيرة . فأبدع وأجاد حتى فى معرض الرثاء ، كقوله فى رثاء صديقه عقل الجر :

الحمد لله لاهم ولا وصب   نام العليل وألقى حمله التعب

إن الوجود الذى غادرته عدم والعامرات التى فارقتها خرب
والأرض غاب مخيف وحشه بشر
كم فيه مغتصب يحميه مغتصب
أظفاره بلهى الأحرار عالقة ونابه بدم الأبرار مختضب

وماكان حسنى إلا واحدا من أولئك الذين أنجبتهم المدرسة الكلاسيكية دوحة عالية فى قمم الشعر .

ومن شعره الكلاسيكى قوله :

يقول البخيل وقد رآنى أجود ببعض ماملكت يدايا
ألم تحسب ليوم غد حسابا ويوم غد محاط بالرزايا
فقلت : صدقت واسترعيت سمعا
لو انك ناصح بشرآ سويا
أتنهانى عن المعروف خوفا على مال تبدده العطايا
وحولى من ضحايا البؤس ناس تذوب لفرط شقوتهم حشايا
أكنت تلج فى عذلى ولومى لو انك بعض هاتيك الضحايا

وفى عيد المولد النبوى يقول :

شعلة الحق لم تزل يامحمد منذ أضرمت نارها تتوقد
غمر الأرض نورها فإذا رمت دليلا فعد إلى الأرض واشهد
جئت والناس فى ضلال وغى ومن الهدى فى يديك مهند

زكى قنصل

ولد الشاعر زكى قنصل عام ١٩١٧ ويحدد صيدح ميلاده بعام ١٩١٩ ، وهو من سوريا من قرية يبرود السورية ، وتلقى ثقافته فيها ، ثم هاجر إلى البرازيل فالأرجنتين عام ١٩٢٩ مع أخيه إلياس حيث عمل بائعاً جوالا ، وظل يوالى المثابرة والكفاح فى سبيل الرزق ، وظهر نشاطه التجارى والأدبى فيها ، ونظم الشعر الجميل المؤثر ، وأخرج ديوانا سماه « سعاد » وكله وقف على رثاء طفلته « سعاد » التى لاقت ربها ، وهى لاتزال فى المهد طفلة صغيرة بعد عام واحد من عمرها وحزن عليها حزناً عميقاً ، وهو القائل من رثائه لطفلته :

قد كان يضحك لى غـدى   واليوم أهرب من غدى
ماتت أناشيدى الحسا   ن وبح صوت المنشد

وأخرج هو وأخوه إلياس قنصل مجلة أدبية عنوانها المناهل استمرت تصدر فى بيونس إيرس ثلاث سنوات ، ولا يزال زكى قنصل يعيش حتى اليوم فى الأرجنتين ، موزع النشاط بين التجارة والأدب والشعر .

وقد أصدر الأستاذ عبد اللطيف اليونس عنه كتابا بعنوان « زكى قنصل شاعر الحب والحنين » ، وفى مجلة الأديب اللبنانية عدد يونيو ١٩٦٩ مقال عنه بقلم عيسى فتوح بعنوان « الحنين إلى الوطن فى شعر زكى قنصل » ، وإليه رجعنا ، وشعر قنصل يسير فى الحنين إلى الوطن ، وله فى هذا الباب آيات ، يقول زكى قنصل :

أيها العائدون للشام هـلا   نفحة من شميم أرض النبوة
علم الله كم صبونا إليها   واشتهينا تحت العريشة غفوة

ويقول من قصيدة أخرى :

يا عائدين إلى الربوع   قلبى تحرق للرجوع

نهنهته فازداد تحنانا وعربد فى الضلوع
لايطمئن إلى الوساد ولا يقر له ولوع
كانت تسليه الدموع فصار يهزأ بالدموع

ويقول :

يا عائدين إلى الحمى قلبي به عطش وجوع
بالله هل فى الركب متسع للهوف ولوع
وحزمت أمتعتى فيا قلب ارتقب يوم الرجوع

وله أيضا :

ويح الغريب يعيش فى حلم ريان يملأ نفسه كمدا
حبل الرجاء يظل يعقده ويحله ماقام أو قعدا
الفرع يربطه إلى بلد والقلب يعبد غيره بلدا

ويقول :

ويح الغريب على الأشواك مضجعه
وخبزه من عجين الهم والتعب
يعيش عن ربعه بالجسم مغترباً وقلبه وهواه غير مغترب
يستقبل الليل لاتغفو هواجسه ويوقظ الفجر فى ليل من الكرب
موزع الروح إحساساً وعاطفة مقسم الفكر فى بعد وفى قرب
ياغصة فى لسان الشاعر انعقدت من ذا يحل لسان الصادح الطرب
ويح الغريب أما تكفيه غربته حتى تجرحه الذكرى وتكويه
أكلما شام من وادبه بارقة هفا وصفق تحنانا لواديه
الله فى نازح أودى الحنين به لولا بصيص رجاء فى دياجيه
يعلل النفس بالرجعى ويخدعها فهل تحقق بالرجعى أمانيه

ويقول زكى أيضاً فى لهفة ظاهرة وحنين دائم إلى الوطن الأم :

الشام مدت للبنين يداً هيا نجد إلى الشآم يدا

قولا لها إنا على سفر بالروح إن لم نرتحل جسدا

ويقول :

هاجنا الشوق للشآم فكبر ثم كبر إذا ذكرت الشآما
نحن من روضها حساسين ذرتها رياح النوى فهامت يتامى
هي نجوى الفؤاد إن سهد الجفن ورؤيا الخيال إن هو ناما

ويقول :

غصص الحنين وذكريات الدار حثت خطاى وأرهفت أوتارى
أنا إن شكوت فدمعتى من جفنكم وإذا شدوت فصوتكم قيثارى
مرحى بنى أمى لأنتم مفزعى فى النائبات وأنتم أظفارى
فى ظلكم نبتت خوافى شهرتى وزها جناحى واستطار غبارى

ويقول كذلك فى الحنين :

عاد البنون إلى حضنى فواجذلى يا دمعة اليأس هلت بسمة الأمل
تلك الفراخ التى أطلقتها زغبا عادت قشاعم ملء السهل والجبل
فرشت أهداب عينى فى دروبكم فيا حماة العلى سيروا على مهل
واسترجعوا فى جوارى بعض ما أكلت
منكم ليالى الأسى والكد والعمل
إنى لأخشى وقد أنزلتكم كبدى أن ينتهى بفراق آخر جذلى

صور من شعره

قصيدة « البناء »

يبنى القصور وكوخه خرب ساءت حياة كلها تعب
الشوك يزخر فى مسالكها والريح ماتنفك تضطرب
لايزدهى فى ليله قبس إلا تولت طمسه النوب

لكأنه في الناس حاشية وكأنه في الأهل مغترب
جلبابه رقـــع تألفها غرض ، وباعد بينها نسب
مشت السنون عليه فاختلطت أصباغه وتقارب السبب
بالروح في (تموز) وقفته يكويه من أنفاسه لهب
بالروح في كانون نظرته يصطك من قر ويضطرب
تلهو الرياح به فإن سكنت فتحت عليه ثقوبها السحب
يارب عفوك إن كفرت فما ترقى إلى ملكوتك الريب
أو ليس يجمعـــه بسيده نسب من الصلصال أوحسب
فعـلام تشتاق الريال يد ويد تراكم حولها الذهب
وعلام يغصب حق مجتهد ليفوز باللذات مغتصب
يا غائصاً بالطين لانصب يوهي عزيمته ولا وصب
ماأنت أول كادح عثرت آماله وكبابه الدأب

منضد الحروف(١)

حي المنضد في رثيث ثيابه والجم غرورك إن وقفت ببابه
لاتخشين على يديك خضابه كم شع نور من سواء خضابه
هذي اليد السوداء أنصع من يد بيضاء دنسها الحرام بعابه
عار عليك إذا قرأت صحيفة ألا تمجده على إتعابه
بالروح نظرته يموج بها الأسى وتشير حيرتها إلى أوصابه
خنق الإباء دموعه فتفجرت في صدره ناراً ، وفي أعصابه
الليل يعلم وحده كم زفرة خرساء أطلقها على محرابه
ياساخراً بين المطابع قلبه ومجازفاً خلف الرؤى بشبابه

---

(١) عن المعرفة السورية ـ تشرين الثاني ١٩٦٤

أجنيت من دنياك إلا علقماً ومن الرجاء الحلو غير سرابه ؟
ماذا فناؤك فى محيط جاهل تتزاحم الأطماع فى أبوابه
ضاعت مقاييس الفضيلة عنـــده
وجرت نسور الفكر خلف ذبابه
الشهرة الصفراء غاية شيبه والشهوة الحمراء حلم شبابه
لاترج خيراً من زمانك إنه ذئب يجيش الشر فى أنيابه
أمن القوى المستبد حياله وتعرض الحمل الوديع لنابه
فكأنه يطوى العصور القهقرى ليعيد فى الدنيا شريعة غابه
ياحامل الأغلاط عن شعرائه ومكفكف الزلات عن كتابه
لو كان عند الناس إنصاف لما ضاقت طريق الرزق عن طلابه
لكنهم ضنوا فعشت بفاقة وتكالبوا فعزفت عن أسبابه
وتجاهلوا قدر المنضد وهو لا ينفك يغمرهم بفيض سحابه
يغفو وجلجلة الحديد بسمعه ويفيق والأوراق ملء جوابه
لولاه لاندثرت حضارات ولم يفتح لنا التاريخ صدر كتابه
ولكان ماضى الناس لغزاً مبهما تتقاصر الأفهام دون حجابه
ولمات ذكر العبقرى بموته ومشى الفناء على العظيم النابه
يانابش الأرماس ينفخ بينها روح الحياة على هوان ثيابه
لكأن فيك من المسيح بقية وكأنما تمشى على أعقـــابه
وكأن من صلبوه لما يبرحوا يتآمرون عليه فى أنسابه
وكأن آثام الخيانة لم يزل يحبو إليه بغدره وبنابه
ياملتقى الأقلام دونك شاعرا لم ينس فضلك رغم طول غيابه
ركب الخيال إلى حماك يحثه شوق المحب سعى إلى أحبابه
فاجعل له فى باب كوخك أيكة يسحب على الإيوان ذيل إهابه

ضحك الصباح

ضحك الصباح فقلت لو لاها لما ضحك الصباح
أهلا عروس الفجر أه لا بالصباحة والصلاح !
هاض الأسى جنحى فلم ا جئت طرت بلا جناح
وتكاثرت فى الجرا ح فكنت برءاً للجراح !
أسعاد هل أحلى من اسم ك بين أسماء البشر ؟
لكأنه أهزوجة نشوى على شفة الوتر !
لكأنه نجوى النس يم يهز أعطاف الشجر
لكأنه قبل الندى تنساب مابين الزهر . !
ماذا بكاؤك ياسعا د وعين أمك ساهرة ؟
غيرى تنهنه عن سر يرك كل عين شازرة
سلمت يداك ! لقد أقل ت لها الأمانى العاثرة
وبعثت من آمالها ماليس تدرك آخره . !
هذا ملاكك فارتعى فى ظله الضافى الظليل
واستمتعى منه بأز كى من شذا الخلد البليل
ما أهون الأخطار يد فع شرها هذا الدليل !
ما أقرب القصد البعيد وأيسر العبء الجليل . !

ماتت سعاد

رفت رفيف الأقحوا نة وانطفت فى عمرها
ماذا جنت حتى تصيدها الردى فى فجرها ؟
يارب ! لا تحبس فؤا دى لحظة عن ذكرها

أنا قد عبدتك بسمة وضاءة فى ثغرها !
وشممت أنفاس الجنا ن شذية فى شعرها !
يا من يرد إلى شفا هى بسمة الأمل الندى
ويعيد لى ما أفنت الأيا م من قلبى الصدى
أنا من أساى ومن جرا حى فى ظلام سرمدى
قد كان يضحك لى غدى واليوم أهرب من غدى
ماتت أناشيدى الحسا ن وبح صوت المنشد !
أسعاد جئتك لابشا شة فى العيون ولا بريق
النـار ملء جوانحى والشوك فى عرض الطريق
دجت الحياة وشاه فى عينى محيـاها الأنيق
لا الروض زاه بعد زغ لولى ولا عودى وريق
ويحى ! أأغرق فى الدمو ع وليس لى أمل الغريق ؟
أين ابتسامتك الندية تملأ العش ابتساماً ؟
وتشيع فى ما حولها أرجا كأنفاس الخزامى ؟
أين احتجاجك يستثير الضحك فى «بابا» و«ماما»؟
ينساب دمدمـــة وينز ل فى فؤادينا سلاما
لم تلفظى حرفاً ولـ كن كنت أفصحنا كلاما !
هـــذا سريرك ياسعا د فأين صاحبة السرير ؟
عينى عليه ومهجتى ترتاد حاشية الأثير
جردته ، لمـــا ذهبـ ت ، من النضارة والعبير !
يا جدولا لا ماء فيـ ه ولا رواء ولا خرير
هل كنت تحلم أن تصـ ير إلى الهوان وأن نصير

إلياس قنصل

نشأ إلياس قنصل فى سوريا ، حيث ولد فى قرية « يبرود » السورية عام ٢ ١٩ ، أو عام ١٩١٤ كما يقول صيدح وتلقى ثقافته فى وطنه . ثم هاجر عام ٩٢٤، إلى البرازيل ، ومنها هاجر عام ١٩٣٠ إلى الأرجنتين ، التى كان قد سبقه فى الهجرة إليها الكثير من مواطنيه وأبناء قريته . وعمل فى التجارة بائعا جوالا . وظل يعمل فى التجارة .

وفى عام ١٩٣١ أخرج ديوانه « على مذبح الوطنية » حيث طبعه فى مطبعة عربية بعاصمة الأرجنتين بيونس إيرس، وكتب مقدمته موسى يوسف عزورة ، صاحب الجريدة السورية اللبنانية التى بدأت الصدور عام ١٩٢٩ فى الأرجنتين .

وفى العام نفسه طبع ديوانه الثانى « العبرات الملتهبة » .

وفى عام ١٩٥٤ عاد إلى سوريا وظل بها .

طبع لإلياس قنصل فى سوريا : دولة المجانين ـ فلسفة حمار ـ غالب أفندى المغلوب ـ رباعيات قنصل .

وفى المهجر طبع له : فى سبيل الحرية ـ على ضفاف بردى ـ العبقرى المجنون ـ أصنام الأدب ـ بين معارك الثورة ـ البقايا ـ صديقى أبو حسن ـ عساف شوفان فى جزءين ـ نساء ، وأخرج فى الأرجنتين مجلة « المناهل » التى صدرت ثلاث سنوات .

وله من الدواوين الشعرية : بسمات الفجر ـ السهام ـ الأسلاك الشائكة ـ على مذبح الوطنية ـ العبرات الملتهبة .

ورأس إلياس قنصل تحرير جريدة « الجريدة السورية اللبنانية » أكثر

من ست سنوات ، وتولى التحرير فى جريدة السلام الأرجنتينية .. كما كان يكتب إلى السائح والسمير والعالم العربى والشرق والأديب والديار ومجلة القلم الجديد والمواهب ، وغيرها .

صور من شعره

الحب العميق

رياح البعاد تهز فؤادك هزاً عنيفاً ، ودمعك يهمى
وقد رسم الشوق رسماً جلياً على وجهك العابس المدلهم
فأنت ضحية دهر خئون وأنت فريسة حزن وغم
وفى زفراتك لفحة حب عميق ، بمن يا غريب تفكر ؟
بأمى .... !

هل تذكرين؟

أتطالعين قصائدى أم تعرضين عنها ؟ وقد طوقتها بتوجعى
وسكبت بين سطورها قلبى الكئيب ومزجتها بتنهدى وتفجعى
وأزحت فيها الستر عن حزنى الغريب أتطالعين قصائدى ؟ أتطالعين ؟
لو تعلمين تعاستى لو تعلمين مما أكابد من حنين والتياع
لعراك ـ رغم صدودك ـ الأسف الشديد
وذكرت ماضى عهدنا قبل الوداع
وعرفت أنى ما أزال على العهود لو تعلمين تعاستى لو تعلمين . !
أنسيت كم أسمعتنى ذاك اليمين والليل داج والخلائق نائمات
والكون هاد ، والكواكب فى وجوم :
« قسما بربى لن أخون مدى الحياة
عهد الهوى ، وليشهد الليل البهيم » أنسيت كم أقسمت ، أم هل تذكرين؟

أنسيت كم قبلت ثغرك والجبين
وضممت جسمك فارتعشت من السرور

وودت لو نقضى ! فيذسينا الممات — أن الثرى يحوى المصائب والشرور
ويضم أنواع الأسى والكارثات — أنسيت ذاك الليل ، أم هل تذكرين؟!

وهذه قصيدته « مناهل من جمر »[1] :

قضيت حياتى هائماً برغائب — تحير فى تحديد أوصافها فكرى
تلوح لعينى كالسراب اتائه — تغلغل فى أوصاله ظمأ الفقر
أمد يدى أبغى جناها فتختفى — كما تختفى الأسرار فى مكمن الصدر
وأهرب منها راضياً بسلامتى — فتترك مأواها وتركض فى أثرى
ترافقنى فى يقظتى ، وتعودنى — إذا نمت ، أحلاماً ، لها وحشة القبر
ولو كان فى بذل المساعى وصالها — لما عاقنى عن وصلها غضب الدهر
ظننت جلال الفن يبعد طيفها — فصال على شعرى ، ودمدم فى نثرى
ولذت بسحر اللحظ والخد واللمى — فلم يجد ما فى الغانيات من السحر
وقلت لعل الكد يبرىء علتى — فألهو بما فيه من العسر واليسر
فألقيت ذاتى فى عباب نزاعه — تقاذفنى الأمواج بالمد والجزر
ولكن جهودى كلها ذهبت سدى — وظلت دياجى التيه حولى بلا فجر
فيارب ماركبت بين أضالعى — أذى خفقان أم مناهل من جمر ؟
وهل أبدعت كفاك دنيا جديدة — أحن إلى آفاقها دون أن أدرى
شقيت بنفس عن ثراها غريبة
تكابد من جسمى ضروبا من الأسر
طلاسم آمالى تجرعنى الأسى — وشوقى إلى المجهول يمعن فى قهرى
وأصعب أشـــكال التعاسة وحدة
وحولك ، لو يرضيك ، ماشئت من بشر

---

(١) مجلة قافلة الزيت عدد شعبان ١٣٨٤ هـ

مصادر الكتاب

١ ــ المنهل فى تاريخ الأدب العربى ـ ٣ أجزاء ـ روكس العزيزى
٢ ــ قصة الأدب فى الأندلس ـ ٥ أجزاء للمؤلف
٣ ــ البناء الفنى للقصيدة العربية ـ للمؤلف
٤ ــ قصة الأدب المعاصر ـ ٤ أجزاء للمؤلف
٥ ــ قصة الأدب فى مصر ـ ٥ أجزاء للمؤلف
٦ ــ المغتربون ـ عبد اللطيف الخشن ـ عدد خاص من مجلة العرفان اللبنانية عام ١٩٦٤
٧ ــ ذكرى الهجرة ، لتوفيق ضعون مطبوع فى سان باولو عام ١٩٤٥ و ١٩٤٦
٨ ــ الأدب المهجرى ـ عيسى الناعورى القاهرة ـ دار المعارف
٩ ــ فى الأدب والنقد ـ محمد مندور
١٠ ــ فى النقد الأدبى ـ شوقى ضيف
١١ ــ دراسات فى النقد الأدبى ـ المؤلف
١٢ ــ النقد العربى الحديث ومذاهبه ـ للمؤلف
١٣ ــ أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية ـ الطبعة الثالثة بيروت تأليف الشاعر المهجرى جورج صيدح
١٤ ــ أدب المغتربين ـ إلياس قنصل ط دمشق ١٩٦٣
١٥ ــ أبوشادى فى المهجر ـ مقالات لأبى شادى ـ ط القاهرة ١٩٥٩
١٦ ــ شعراء العرب المعاصرون لأبى شادى ـ ط القاهرة ١٩٥٨
١٧ ــ قضايا الشعر المعاصر ـ أبوشادى ط القاهرة ١٩٥٩
١٨ ــ انطباعات مغترب ـ عبد المسيح حداد ط دمشق ١٩٦٣
١٩ ــ النثر المهجرى ـ عبد الكريم الأشتر

٢٠ — أمين الريحانى لجميل جبر - ط بيروت ١٩٦٤
٢١ — أمين الريحانى لمارون عبود - سلسلة اقرأ
٢٢ — أمين الريحانى لحارث الراوى - ط بيروت
٢٣ — أمين الريحانى لمحمد على موسى من سلسلة أعلام الفكر العربى - ط بيروت
٢٤ — هذا الرجل من لبنان لبربارا يونغ - ترجمه إلى العربية سعيد بابا
٢٥ — نبى أورفليس لشكر الله الجر
٢٦ — التجديد فى شعر المهجر - محمد مصطفى هدارة
٢٧ — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - مصطفى عبداللطيف السحرتى
٢٨ — الأدب العربى فى المهجر - دراسات للمستشرق المجرى عبد الكريم جرمانوس
٢٩ — فيلسوف الفريكة - للمستشرق الروسى كراتشوفسيكى
٣٠ — بحوث مخطوطة عن الأدب المجهرى للنقاد : أبوشادى - السحرتى — وديع فلسطين — محمد العامر الرميح —
٣١ — بحوث مخطوطة عن الأدب المهجرى لروكس العزيزى تشمل :
١ — نظرات فى أدب المهجر أو بين الأندلس والمهجر
٢ — كفاح أدباء المهجر
٣ — لحظات مع فيلسوف الفريكة
٤ — جلسة مع الخالدين : أبو شادى - مسعود سماحة - فوزى المعلوف - عبد المسيح حداد - رشيد أيوب - نسيب عريضة
٥ — الحيرة والألم فى أدب رشيد أيوب
٣٢ — الأدب المهجرى - حسن جاد - القاهرة - ١٩٦٣
٣٣ — أدب المهجر - حسن جاد - القاهرة ١٩٦٦

٣٤ — المراجعات الريحانية - مجموعة الرسائل المتبادلة
بين الريحانى ومحمد الحسين آل كاشف الغطاء
٣٥ — الريحانى ومعاصروه - جمع شقيقه البرت الريحانى
٣٦ — ميخائيل نعيمة الأديب الصوفى - ثريا ملحسن - بيروت ١٩٦٥
٣٧ — دنيا المغتربين - جمال الفرا
٣٨ — القومية والإنسانية فى شعر المهجر الجنوبى - عزيزة مريدن
٣٩ — مشاعر من عبقر (شفيق المعلوف)- عبداللطيف اليونس -ط بيروت
٤٠ — العروبة فى شعر المهجر لفريد جحا
٤١ — قال الراوى - للشاعر إلياس فرحات
٤٢ — مطلع الشتاء - لفرحات - ط القاهرة ١٩٦٧
٤٣ — العراق فى الشعر العربى والمهجرى - محسن جمال الدين
٤٤ — الشعر العربى فى المهجر الأمريكى - وديع ديب
٤٥ — الشعر العربى فى المهجر الأمريكى - إحسان عباس ومحمد نجم
٤٦ — دراسات فى الشعر العربى المعاصر - شوقى ضيف
٤٧ — بلاغة العرب فى القرن العشرين محي الدين رضا - ١٩٢٤ القاهرة
٤٧ — العرب فى المهجر الشمالى - محمد كفافى
٤٩ — تاريخ الولايات المتحدة والمهاجر السورية للخورى
٥٠ — الأدب العربى الحديث فى معركة المقاومة — أنور الجندى
٥١ — الشعر العربى المعاصر - أنور الجندى
٥٢ — الشعر العربى فى المهجر - محمد عبد الغنى حسن
٥٣ — جبران لميخائيل نعيمة - ١٩٣٤
٥٤ — اعترافات - توفيق ضعون
٥٥ — هيكل الذكرى لحبيب مسعود - سان بالو ١٩٤٤
٥٦ — النزعة الإنسانية عند جبران - عدنان يوسف - دار الكاتب

٥٧ — مهمة فى قارة ـ أكرم زعيتر ١٩٥٠
٥٨ — نظير زيتون الإنسان ـ وزارة الثقافة السورية ـ جمع عدنان داعوق
٥٩ — الناطقون بالضاد فى أمريكا الجنوبية ـ يعقوب العويدات (البدوى الملثم)
٦٠ — جبران والشابى ـ خليفة التليسى
٦١ — الشاعر القروى ـ عبد اللطيف شرارة
٦٢ — فصول من الثقافة المعاصرة ١٩٦٠ ـ للمؤلف
٦٣ — دراسات فى الأدب والنقد ـ للمؤلف
٦٤ — رائد الشعر الحديث ـ جزءآن ـ القاهرة ٩٥٥ للمؤلف
٦٥ — الناطقون بالضاد فى أمريكا ـ نشر معهد الشئون العربية الأمريكية ـ نيويورك ١٩٤٦
٦٦ — شعراء الرابطة القلمية ـ نادرة سراج
٦٧ — شاعر الطيارة (فوزى المعلوف) للبدوى الملثم ـ القاهرة ١٩٤٨
٦٨ — إلياس فرحات لعيسى الناعورى ـ عمان ١٩٥٦
٦٩ — إيليا أبو ماضى لعيسى الناعورى ـ بيروت
٧٠ — مذاهب الأدب ـ للمؤلف ـ القاهرة ١٩٥٣
٧١ — رسالة مخطوطة عن « شعراء العصبة الأندلسية » مقدمة إلى كلية آداب جامعة عين شمس بإشراف د. عبد القادر القط
٧٢ — رسالة عن « الصورة فى الشعر ولا سيما فى شعر المهجر » مقدمة إلى كلية آداب جامعة القاهرة لأديبة سورة
٧٣ — رسالة عن الشعر المهجرى للأستاذ عبد الرحيم زلط أمين مكتبة كلية اللغة العربية ـ مقدمة إلى معهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة ـ بإشراف الدكتور شوقى ضيف
٧٤ — أدباء العرب فى المهاجر الأمريكية والأوربية والأفريقية والآسيوية ـ أصول مخطوطة للأديب الأردنى يعقوب العويدات (البدوى الملثم)
٧٥ — أدب ميخائيل نعيمة رسالة دكتوراه للمستشرق الهولندى نايلاند

٧٦ — محاولات فى درس جبران ـ أمين خالد
٧٧ — الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ـ أنيس المقدسى ـ بيروت ١٩٥٢
٧٨ — الرمزية والأدب العربى الحديث ـ أنطون غطاس كرم بيروت ١٩٤٩
٧٩ — جبران ـ الأب إلياس زغبى
٨٠ — إيليا أبو ماضى ـ نجدة فتحى صفوه
٨١ — على المحك ـ مارون عبود ـ بيروت ١٩٤٦
٨٢ — رساله المنبر ـ فيلكس فارس ـ دراسة عن جبران ونعيمة
٨٣ - مجد دون ومجترون ـ مارون عبود ـ بيروت ١٩٤٨
٨٤ — جدد وقدماء ـ مارون عبود ـ بيروت
٨٥ — مناهل الأدب العربى عدد عن نعيمة (ج ٢) بيروت
٨٦ — مناهل الأدب العربى عدد عن نسيب عريضة (ج ٢) بيروت
٨٧ — حديث الأربعاء ـ طه حسين ـ دار المعارف القاهرة ١٩٤٦
٨٨ — جبران لحبيب مسعود
٨٩ — إيليا أبو ماضى ـ زهير مرزا ـ دار اليقظة العربية ـ دمشق
٩٠ — أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى ـ كمال نشأت ـ القاهرة ١٩٦٧
٩١ — التجديد فى شعر المهجر ـ أنس داود ـ القاهرة ١٩٦٧
٩٢ — الطبيعة فى شعر المهجر ـ أنس داود ـ القاهرة ١٩٦٦
٩٣ - الأدب العربى الحديث ومدارسه ـ للمؤلف ـ القاهرة ١٩٦٧
٩٤ - قضايا الفكر فى الأدب المعاصر ـ وديع فلسطين القاهرة ١٩٦٠
٩٥ — تاريخ الصحافة العربية ـ فيليب طرازى ـ بيروت ١٩٢٣
٩٦ — شعر المهجر ـ كمال نشأت ـ المكتبة الثقافية ـ القاهرة ١٩٦٥

دواوين شعرية :

١ — ديوان القرويات ـ رشيد سليم الخورى ـ سان باولو ١٩٢٢

٢ — « القروى رشيد سليم الخورى ـ سان باولو ١٩٥٢

٣ — « الأعاصير رشيد سليم الخورى سان باولو ١٩٣

٤ — « الروافد ـ شكر الله الجر ـ ريودى جانيرو ١٩٣٤

٥ — « فرحات ـ إلياس فرحات ـ سان باولو ١٩٣٢

٦ — « خيالات ـ رياض المعلوف ـ البرازيل ١٩٤٥

٧ — « الأوتار المتقطعة رياض المعلوف ـ القاهرة

٨ — « العبرات الملتهبة ـ إلياس قنصل ـ بونس آيرس ١٩٣١

٩ — « على مذبح الوطنية . إلياس قنصل ـ بونس آيرس ١٩٣١

١٠ — « همس الشاعر ـ جورج صوايا ـ بونس آيرس ١٩٢٩

١١ — عبقر ـ شفيق المعلوف ـ ١٩٤٩ سان باولو

١٢ — معلقة الأرز ـ نعمة قازان ـ ١٩٣٨ ـ سان باولو

١٣ — ديوان الكعديات للشاعر جورج الكعدى ـ بيروت ١٩٦٩

١٤ — « الغريب فى الغرب ـ ميخائيل رستم ـ نيويورك ١٨٩٥

١٥ — « نسمات الغصون ـ سليمان داود ١٩٠٥

١٦ — « نفحات الرياض سليمان رزق حداد

١٧ — « شظايا ـ زكى قنصل ـ الأرجنتين ١٩٣٩

١٨ — « إيليا أبو ماضى الكتانى ـ نشر الخانجى بالقاهرة ١٩٦٩

١٩ — « عودة الغائب ـ إلياس فرحات

٢٠ — ديوان سعاد زكى قنصل ـ الأرجنتين ١٩٥٣

٢١ — « شعر النحلة ـ لويس صابونجى ـ ١٩٠١

٢٢ — « الجداول ـ أبو ماضى ـ نيويورك ١٩٢٧

٢٣ — « الخمائل ـ أبو ماضى ـ بيروت

٢٤ — ديوان الأيوبيات ـ رشيد أيوب ـ نيويورك ١٩١٦
٢٥ — « أغاني الدرويش رشيد أيوب ـ نيويورك ١٩٢٨
٢٦ — « هي الدنيا ـ رشيد أيوب
٢٧ — « همس الجفون ـ ميخائيل نعيمة ـ بيروت
٢٨ — « مسعود سماحة ـ جزءآن ـ نيويورك ١٩٣٨
٢٩ — « محبوب الخوري الشرتوني ـ نيويورك ١٩٢٧
٣٠ — « الأرواح الحائرة لنسيب عريضة
٣١ — « أوراق الخريف لندرة حداد
٣٢ — « نعمة الحاج
٣٣ — « من السماء لأبوشادي ـ طبع نيويورك ١٩٤٩
٣٤ — « الأغنية الخالدة ـ صفية أبوشادي ـ القاهرة ١٩٥٣

قصص :

١ — المواكب ـ جبران ـ القاهرة ١٩٢٣
٢ — الموسيقى ـ دمعة وابتسامة ـ الأجنحة المتكسرة ـ عرائس المروج ـ الأرواح المتمردة ـ العواصف ـ البدائع ـ حديقة النبي ـ رمل وزبد ـ النبي ـ المجنون ـ يسوع ـ آلهة الأرض ـ وهي كلها لجبران
٣ — أنتم الشعراء ـ النكبات ـ الريحانيات ـ وهي كلها للريحاني
٤ — المراحل ـ زاد المعاد ـ النور ـ الديجور ـ البيادر ـ وهي كلها لنعيمة
٥ — لقاء ـ لنعيمة

دوريات :

١ ــ مجلة العصبة الأندلسية
٢ ــ « الشرق سان باولو
٣ ــ جريدة السائح نيويورك
٤ ــ مجلة أبولو ١٩٣٢ ــ ١٩٣٤
٥ ــ « الرسالة ـ القاهرة ـ أحمد حسن الزيات
٦ ــ « الثقافة ـ القاهرة
٧ ــ « القلم الجديد ـ عمان ـ ومنها عدد أغسطس ١٩٥٣
٨ ــ « الضاد الحلبية ـ عدد فى ذكرى فوزى المعلوف
٩ ــ « المقتطف القاهرة (راجع مجلد ٧٥ و ٨٧ و ٩١)
١٠ ــ « الأديب اللبنانية
١١ ــ « الآداب اللبنانية

الكلمة الأخيرة

هذه هى خاتمة الجزء الثانى من هذا الكتاب الموسوعى « قصة الأدب المهجرى » .. الذى استغرق ست سنوات فى البحث والكتابة والتنقيب والمراجعة .

وكان لابد من المثابرة والعكوف على الدراسة والكتابة ، ليخرج هذا العمل وافيا بكل متطلبات البحث عن الأدب المهجرى وخصائصه وألوانه وموضوعاته وأعلامه ، وعن العوامل التى أثرت فيه .

وأحمد الله على توفيقه ، وأسأله العون والسداد ، والخير الموصول ، والصواب المأمول ، فهو ولي ، نعم المولى ونعم النصير ...

وما توفيقى إلا بالله ؟ المؤلف

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع

تم الفهرست